منبر الإسلام

العدد الخامس ـ السنة ٢٤
جمادى الاولى ١٣٨٦ هـ ـ ١٧ أغسطس ١٩٦٦
الثمن ٥ قروش

منبر الإسلام

رئيس التحرير

محمد توفيق عويضة

العدد الخامس - السنة ٢٤

جمادى الأولى ١٣٨٦ - ١٧ أغسطس ١٩٦٦

بسم الله الرحمن الرحيم

من محتويات العدد

* خطاب السيد الرئيس جمال عبد الناصر فى عيد الثورة الرابع عشر
* حديث مع الاستاذ أحمد الشقيرى عن قضية فلسطين والحلف الاسلامى
* الصوفية فى الهامهم **الاستاذ حسن كامل الملطاوى**
* حق الفرد على المجتمع **فضيلة الشيخ محمد محمد المدنى**
* المنزلة بين المنزلتين **الدكتور أحمد الحوفى**
* الخوف والرجاء **الاستاذ عبد العزيز الأهل**
* دعوة الميثاق الى تعديل القوانين **المستشار أحمد موافى**
* عود على بدء **فضيلة الشيخ عبد الجليل عيسى**
* السنة النبوية والحديث القدسى **فضيلة الشيخ عبداللطيف السبكى**
* خواطر مستشار **المستشار على على منصور**
* دفاع عن القرآن الكريم **الدكتور عبد الغنى الراجحى**
* الصبر فى القرآن الكريم **الدكتور مصطفى زيد**
* بناء الرجال أصعب من بناء المصانع **فضيلة الشيخ محمد حافظ سليمان**
* ماذا تعرف عن العالم الاسلامى **الدكتورة عنايات الطحاوى**

الإشتراكات عن سنة

٥٠ قرشا فى الجمهورية العربية المتحدة ٤٠ قرشا للعمال والطلبة

يضاف الى هذا قيمة البريد خارج الجمهورية العربية المتحدة

ومايساوى هذه العملة فى البلاد الأخرى

الإشتراكات تدفع مقدما

تقبل كوبونات البريد الدولى ذات القرشين

العنوان

٣ شارع الامير قدار المتفرع

من شارع التحرير بالقاهرة

ت ٢٨١٥٦٠

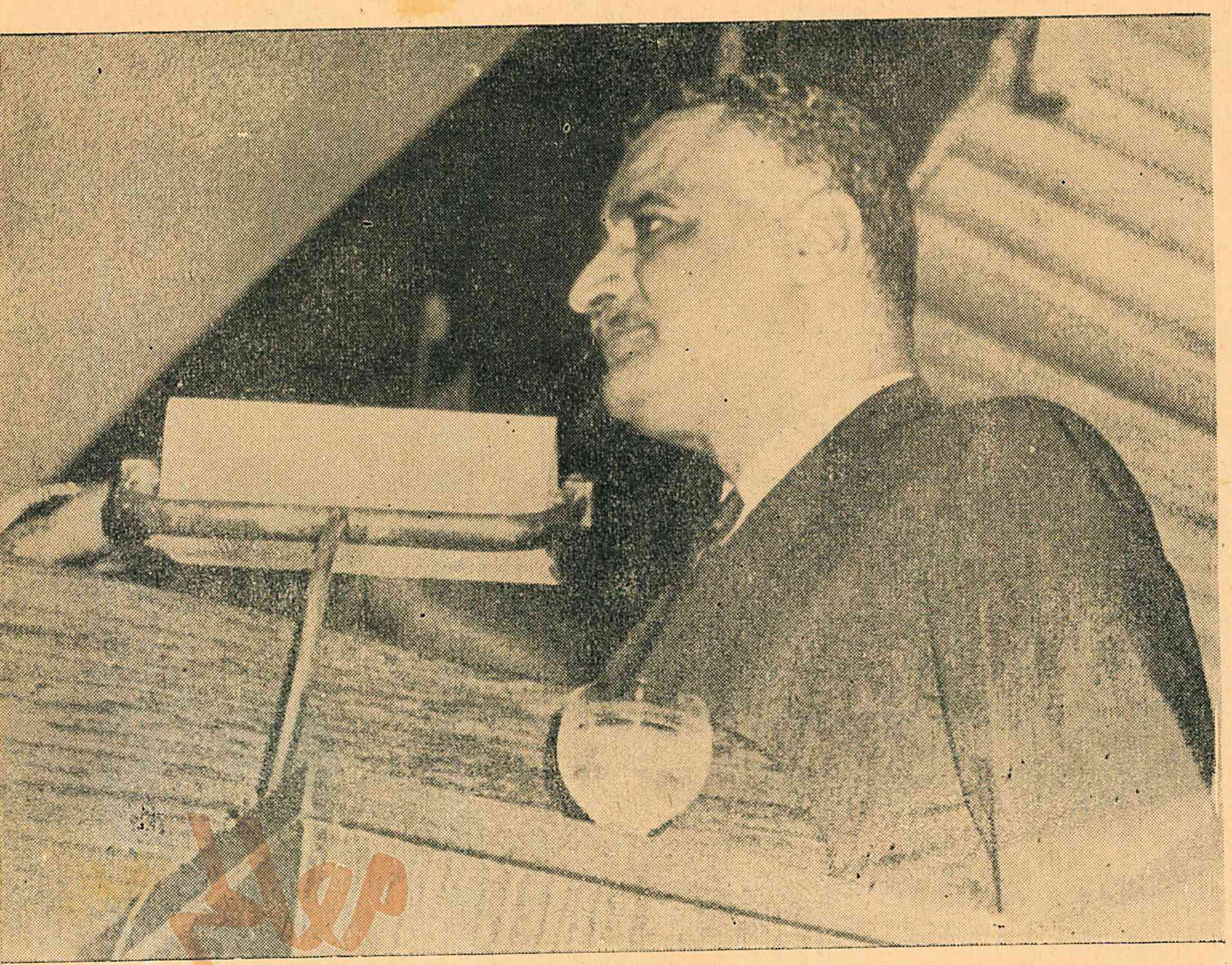

معهد الطريق

خطاب السيد الرئيس جمال عبد الناصر
فى العيد الرابع عشر للثورة

٢٢ يوليو ١٩٦٦

• **الجمهورية العربية لم تنسحب تماما من سياسة مؤتمرات القمة لحرصها على المؤسسات التى انبثقت من هذه المؤتمرات: منظمة التحرير - القيادة الموحدة - هيئة مشروعات مياه الأردن ...**

• مؤتمرات القمة كان هدفها وحدة العرب من أجل قضية فلسطين .. ولكن الرجعية استغلتها لتحقيق وحدة ضد القوى الوطنية..

أيها الاخوة المواطنون : احييكم فى هذه المناسبة مناسبة العيد الرابع عشر لثورة ٢٣ يوليو العظيم .. وكل سنة وانتم طيبين ومنتصرين .. واسمحوا لى ان احيى باسمكم الوفود الشقيقة التى تشاركنا فى هذا الاحتفال وان اشكر باسمكم الاخ الدكتور عبد الرحمن البزاز على كلمته اليكم واطلب منه أن ينقل باسمكم التحية الى العراق الشقيق ورئيسه الرئيس عبد الرحمن عارف .

واسمحوا لى ايضا ان اشكر باسمكم الاخ شريف بلقاسم على الكلمات التى وجهها اليكم والى شعب الجمهورية العربية المتحدة واطلب منه ان يحمل الى شعب الجزائر الشقيق تحياتنا والى مجلس الثورة الجزائرى والى الأخ هوارى بومدين .

أيها الاخوة المواطنون ..

هذا العيد الرابع عشر لثورة ٢٣ يوليو العظيمة له معنى خاص وله جو متميز ذلك لانه يتوافق مع العيد العاشر لتأميم قناة السويس فى يوليو سنة ١٩٥٦

وفى الوقت الذى نلتقى فيه هنا لاحتفالنا السنوى لعرض ايام كفاحنا الشعبى فان صحافة العالم واذاعات العالم والكثيرين من ساسة العالم يبدون اوسع الاهتمام بما استطعنا ان نحققه فى يوم حاسم من تاريخ امتنا العربية سبق قبل أربع عشرة سنة ومعركة حاسمة فى تاريخ الثورة الوطنية والقومية سبقت قبل عشر سنوات . وكلاهما اليوم . يوم الثورة . والمعركة ما زالت لها أكبر الاثار واهم النتائج فى وطننا المصرى . وفى وطننا العربى . ووراء حدودها الى افاق بعيدة .

فى الفترة الاخيرة قابلت كثيرين سعوا الى القاهرة يسألون ويبحثون ماذا كان لليوم الحاسم وللمعركة الفاصلة من اثار ونتائج .

كانوا يسألون ويبحثون هل تحقق ما تمنيناه واردناه واخلصنا فى النضال من اجله . او تحقق ما ادعاه الذين واجهوا شعبنا بالكراهية والعداء .

كانوا يسألون ويبحثون هل تحطمت الثورة المصرية التى اعلن ايدن رئيس وزراء بريطانيا انها تمثل الخطر الداهم على مصالح الاستعمار البريطانى

• الحرية التى اشتريناها بالدم لن نبيعها لأمريكا بالقمح

• نحن نسعى الى إيجاد علاقات طيبة مع العالم كله ونهتم بعدم الانحياز .

لم تتحطم الثورة المصرية وهى أقوى وما تزال — والحمد لله — خطرا داهما على كل نوع من انواع الاستعمار

وكانوا يسألون ويبحثون . هل تم تدمير الجيش المصرى كما كان حزب ايدن وشركاؤه فى العدوان الثلاثى على اساس ان هذا الجيش وهو قوة عسكرية وطنية خطر على المصالح الاستعمارية .

لم يتحطم هذا الجيش وهو اقوى وهو درع القومية العربية كلها . ولقد كان مجرد ذهابه الى اليمن نهاية لوجود الامبراطورية البريطانية فى المغرب العربى وتحرر عدن نقطة الارتكاز فى خط المواصلات الامبراطورى الى الشرق

كانوا يسألون ويبحثون هل تحولت قناة السويس تحت الادارة المصرية الى الى مستعمرة سوفيتية كما كان ايدن بنفسه وكما تنبأ .

ان قناة السويس فى احسن حالاتها بشهادة الدنيا كلها . ادارة احسن من اى وقت . توسع اكثر من اى وقت . دخل اكثر من اى وقت . وهو دخل لشعب قناة السويس وليس كما كان من قبل للمغامرين والدخلاء .

دارت عليهم الدائرة

وكانوا يسألون ويبحثون هل تبدد حلم المصريين فى بناء السد العالى لانه أكبر من قدرتنا وان تكاليفه سوف تكون عبئا لا يستطيعون تحمله كما ذكر ايدن فى كراهيته العمياء . السد العالى تمت مرحلته الاولى وتوشك مرحلته الثانية ان تتم . وقد بدأ فى حجز المياه فعلا منذ سنتين وسيبدا فى توليد الكهرباء بعد سنة .

وكانوا يسألون ويبحثون هل تحولت مصر بالتعامل مع الاتحاد السوفييتى الى مستعمرة سوفيتية كما كان ايدن يهذى وهو يتحدث كذبا امام مجلس العموم البريطانى فى نفس ايام المعركة عن كيف التقطوا اشارات باللغة الروسية بين قادة الدبابات فى سيناء وعن مليونى بطانية وملاية معدة للجيش الروسى حين يجىء متخذا من مصر قاعدة لغزو الشرق الاوسط كله .

البقية ص ٢٤٨

حديث مع الأستاذ

أحمد الشقيري رئيس منظمة تحرير فلسطين

عن

الحلف الإسلامي وقضية فلسطين

إعداد :

عبد الودود محمد طه

عبده الزيني

يسر المجلة أن تلتقى مع الأستاذ أحمد الشقيرى رئيس منظمة تحرير فلسطين

فى محاولة لالقاء الضوء على الدعاوى والمزاعم المزيفة التى تحاول بها الرجعية العميلة المتواطئة مع الاستعمار ربط العالم العربى والاسلامى فى عجلة الاستعمار وعلى الصفحات التالية نقدم للجماهير العربية

نص الحديث الخطير الذى أدلى به سيادته للمجلة :

وكانت بداية الحديث :

هل هناك تآمر على قضية فلسطين من جانب الاستعمار والرجعية بعد ظهور اللافتة المزيفة للحلف الاسلامى ؟!

فقال سيادته :

ان التآمر على قضية فلسطين لا يتوقف ما دامت اسرائيل قائمة حيث ان اسرائيل قاعدة استعمارية فى منطقتنا ويحرص الاستعمار على حمايتها بمختلف الوسائل والطرق اللاانسانية ومن ابرز الوسائل الاستعمارية

تحريك العملاء

تحريك العملاء بضرب كل حركة جادة من أجل تحرير فلسطين ولكن الى أى مدى سينجح تحرك العملاء ..؟

أمثلة وعبرة .. !

اذا نظرنا فى منطقتنا العربية نجد هناك شعارات وهتافات مزيفة : أمثال الجامعة الاسلامية فى عهد الطغيان العثمانى وحلف بغداد فى القرن العشرين ولكن الشعب الواعى الشعب العربى كشف العملاء وحطم الخرافات وكشف النوايا الخبيثة وعراها للعيان : فأين هى هذه الدعاوى اليوم ؟ لقد ذهب حلف بغداد بمؤسسيه نورى السعيد وعبد الاله ذهبوا جميعا بعد ان حاسبهم التاريخ

وانتقلنا الى نقطة ثانية :

مارأى سيادتكم فى الموقفين المتناقضين لشاه ايران : الأول دعواه الاسلامية المزيفة • **الثانى •• تعاونه مع اسرائيل والصهيونية اعداء العرب والاسلام ؟**

فقال سيادته :

لقد أصبح واضحا كل الوضوح ان الشاه البهلوى كان ولازال أحد الركائز الاستعمارية فهو قطب الرحى فى حلف بغداد السابق الذى سقط فى بغداد نفسها • وهو مايسمى بالحلف المركزى الآن فهو عميل من العملاء ،وتجد واضحا ان التعاون الاسرائيلى الايرانى من خبراء صهاينة ينتشرون فى جميع ارجاء ايران حتى ان منهم الخبراء العسكريين الذين يخططون ليل نهار على منطقة الخليج العربى •

اطماع شاه ايران

فأطماع شاه ايران فى منطقة الخليج العربى معروفة ، وهو المنفذ الاساسى للسياسة **الاستعمارية فى هذا الجزء • كذلك الجميع يعلم بأن البترول الايرانى يتدفق عبر العقبة الى مصافى البترول فى حيفا ، ويحرك آلات العدو ضد أمتنا العربية والتعاون الاسرائيلى الايرانى قائم بدون شك •**

العالم الاسلامى وقضيتنا

اننا اذا أردنا ان نوضح موضوع الحلف الاسلامى بالنسبة لقضيتنا فلسطين فاننا نعلم أن جميع الشعوب الاسلامية تقف الى جانب قضيتنا بدون هذا الحلف ـ فأندونيسيا وماليزيا وباكستان دول اسلامية موقفها موقف التأييد التام لنا لجميع الخطوات التى تمت اجل التحرير وفى افريقيا نجد الصومال، ومالى، التحرير وفى افريقيا نجد الصومال ، ومالى ، وغينيا ، وموريتانيا وجميع الدول الاسلامية متضامنة كل التضامن مع شعب فلسطين

حتى ان الرئيس الغينى أعلن اكثر من مرة **قوله ((بأننا نؤمن بأن وجود اسرائيل خطر يهدد وحدة القارة الأفريقية)) واذا نظرنا الى الدول الاسلامية الباقية التى يريد دعاة الحلف الاسلامى جرنا معها نجدها • ايران ذات السياسة الخطيرة التى تريد الانتقام والقضاء على قضية فلسطين •**

اعمال غير اسلامية

فشاه ايران يتخذ هذه الخطوات الغير اسلامية رغم ارادة الشعب الايرانى المسلم • وهم يتنكرون لشعوبهم ، ولبلادهم ولاسلامهم ويريدون جر الشرق كله الى أتون الاستعمار الغربى الذى خلق اسرائيل

((كشفوا عن نواياهم))

وبذلك قد كشف العملاء عن نواياهم فى موضوع الحلف الاسلامى بأنهم يريدون ربطنا بالاحلاف وبالاستعمار بطريق غير مباشر

بورقيبة العميل

وتطرقنا الى موقف بورقيبة من قضية فلسطين ودعواه الاسلامية المتناقضة • فقال سيادته :

ان موقف بورقيبة فى العام الماضى هو موقف الملك حسين هذا العام لقد تمرد بورقيبة على قضية فلسطين وعلى الاجماع العربى وارتمى فى احضان الغرب ولكن منظمة التحرير الفلسطينية سارت فى طريقها وثبتت قوتها العسكرية ، وتمت ارادتها ولن تتوقف وهذا العام ستسير المنظمة الفلسطينية أيضا رغم موقف (حسين) ورغم الدعاوى الغير مؤمنة سنسير فى طريقنا وسيمشى الشعب الفلسطينى يحدوه ايمانه فى طريقه الى فلسطين رغم الدعاوى الزائفة

وانتقلنا الى نقطة هامة وخطيرة وهى

تساؤل مضحك .. !

مع من نتعاون ؟ مع اعداء شعب فلسطين ؟ ومؤسسى اسرائيل أمريكا وبريطانيا ؟ ونعادى الأصدقاء من الكتلة الشرقية بدعوى الشيوعية ؟؟

وعلى هذه النقطة يقول السيد رئيس منظمة تحرير فلسطين :

لقد أظهر المعسكر الشرقى دائما موقفا مشرفا لقضايانا وخاصة قضية فلسطين .

سلاح بدون شروط .. !

وأمدونا بالسلاح بدون شروط تحمله اليوم ايد عربية صميمة ، كذلك آزرتنا بالمعاونة فى **كفاحنا ضد الاستعمار واسرائيل :**

لسنا شيوعيين

وليعلم المتخاذلون أن موقفنا هذا ليس معناه اننا اصبحنا شيوعيين ولكننا أصدقاء ضد الاستعمار والعبودية واستغلال الشعوب

ماذا يريد العملاء ؟؟!

أما الدول الغربية التى يريد العملاء ربطنا بهم فهى التى أقامت اسرائيل وهى التى تساند اسرائيل وتدافع عنها

السلاح الامريكى !

عن صفقات الأسلحة الأخيرة .. ؟ طبعا لاسرائيل .. ! ومن هى اسرائيل .. . عدوة العرب مشردة شعب فلسطين ؟ ماهو الغرض من السلاح الأمريكى قتل شعب فلسطين والعرب حقا مع من نتعاون ؟ تساؤل مضحك! هل فهم العملاء ؟ ان ايديهم الملطخة بالدماء.. فى أسيا وأفريقيا وفلسطين ان مخططاتهم الحاقدة .. ونزعاتهم الشريرة لاتجعلنا نثق فى القتلة ومصاصى دماء الشعوب

عداء ... وبكاء ..

ثم جرنا الحديث بعد ذلك الى العداء ومحاولة الهدم الموجهة لمنظمة التحرير الفلسطينية مع انها وليدة مؤتمر القمة العربى .. وفى نفس الوقت نسمع التباكى على التضامن العربى ، من قبل الرجعية وهم يطعنونه

فقال سيادته :

ان منظمة التحرير الفلسطينية وليدة ارادة الشعب الفلسطينى ومؤتمرات القمة كانت بركة لمولدها التى سعى اليها الشعب الفلسطينى منذ تشرده

عقبات وصعوبات

ولقد لاقت منظمة التحرير عقبات وصعوبات من قبل الرجعية العميلة منذ انشائها وحاولت هذه الرجعية مدعية تمسكها بالتضامن العربى ومؤتمرات القمة ولكنها للاسف أول من طعن التضامن العربى فهم لم ينفذوا قرارا واحدا من قرارات مؤتمرات القمة الخاصة بقضية فلسطين سوى تلك القرارات التى استطاع الملك حسين بها جمع ٦٥ مليون جنيه لاغراض غير تحريرية

أما تنظيم الجيش الفلسطينى وتسلحه وتنظيم شعب فلسطين .. وتسليح الحدود ودخول جيوش عربية قادرة على حماياتها فهذا ممنوع وغير مرغوب فيه .

واختتم سيادته حديثه قائلا

ان القضاء على الرجعية العميلة المتواطئة مع الاستعمار جزء لايتجزأ من قضية فلسطين والعودة الى أرض فلسطين

وبعد ..

شكرا للاستاذ أحمد الشقيرى رئيس منظمة التحرير الفلسطينية على حديثه القيم .

الصوفية في إلهامهم

الأستاذ حسن كامل الملطاوي

.. « ولكن ربك رب الكون الذى خلقه ودبره ، وقام بأسبابه من غير سبب ولا ألزام ، فاذا فزت وقرت عيناك ، فاشكر الله ، والصبر أولى ، ولا تذهب نفسك عليهم حسرات ، فانك انما تنتظر نفاذ القضاء ، وما قضاه لك خير كبير ، ورزق كثير ، ونعمة وافية ، وقلب راض .. والله يرزق من يشاء بغير حساب » .

وهكذا يوجهنى شيخى العارف بالله سيدى عبد السلام الحلوانى ــ رضى الله عنه ــ الى ما يقول به السادة الصوفية ، من أن المؤمن لا يحصل له حقيقة الايمان بربه الا بأمرين : الامتثال لأمره ، والاستسلام لقهره .

والامتثال لأمره سبحانه ، يقتضى من المؤمن أداء ما تعبده الله به ، وفى أداء العبادات يلقى المؤمن بعض المشقات التى تستعصيها النفس فى البداية ، حتى اذا استقرت عليها ، تعودتها واستحلتها فى مذاقها ، فساعدت حلاوة المذاق على استباق الخيرات فاستنارت البصيرة ، وأدركت بنورها ما حجب عن عوام المؤمنين .

وتلك الأنوار التى تضىء بصائر الخواص ، تعينهم على احتمال ما يتعرضون له من المكاره التى قدر الله تعالى أن تصيبهم، لحكمة يعلمها سبحانه ، وتكون خافية عن عباده .

وفى هذا يقول القطب سيدى ابن عطاء الله السكندرى ــ رضى الله عنه ــ : « انما يعينهم على حمل الأقدار ورود الأنوار ، وذلك أن الأنوار اذا وردت كشفت للعبد عن قرب الحق سبحانه وتعالى منه ، وأن هذه الأحكام لم تكن الا عنه ، فكان علمه بأن الأحكام من سيده سلوة له ، وسببا لوجود صبره ، ألم تسمع لما قال الله سبحانه وتعالى لنبيه ــ صلى الله عليه وسلم ــ :

« واصبر لحكم ربك فانك بأعيننا » .. أى ليس هو حكم غيره فيشق عليك ، بل هو حكم سيدك القائم باحسانه اليك ، ولنا فى هذا المعنى :

وخفف عنى ما ألاقى من العنا
بأنك أنت المبتلى والمقدر

وما لامرىء عما قضى الله معدل
وليس له منه الذى يتخير

ثم قال سيدى ابن عطاء الله : « ومثال ذلك لو ان انسانا فى بيت مظلم ، فضرب بشىء ، ولا يدرى من الضارب له ، فلما أدخل عليه مصباح ، نظر فاذا هو شيخه أو أبوه أو أميره فان علمه بذلك مما يوجب صبره على ما هنالك .. »

وقد وقع لى مرة انى كنت مرشحا للدرجة الرابعة ، فلم أظفر بالترقية اليها ، فضاق صدرى بفواتها ، ورأيت أن أزور سيدى الشيخ عبد السلام الحلوانى - نور الله ضريحه - وكان على قيد الحياة ، لأخفف برؤيته الألم عن نفسى ، فركبت الترام قاصدا لقاءه فاشتد ضيق صدرى فى الطريق وماكدت أصل الى منتصف الطريق ، حتى وعظنى واعظ الله فى قلبى ، واذا بهاتف يهتف بى : « ده ده انت هاتعمل زى اللى بيقول فيهم ربنا « **ومن الناس من يعبد الله على حرف ، فان أصابه خير اطمأن به، وان أصابته فتنة انقلب على وجهه خسر الدنيا والآخرة ، ذلك هو الخسران المبين** » .

فتنبهت من غفلتى وبانت لى زلتى ، فاستغفرت ربى وسألته التوبة، فذهب الحرج عن صدرى ولما وصلت الى سيدى الشيخ سلمت عليه وقصصت عليه ما جرى فابتسم - رضى الله عنه - وقال لى : « دى خواطر القرآن عظيمة جدا » أى الزم ما وعظك به ربك فى كتابه الكريم .

وقد قال همام ، وكان رجلا عابدا ، لمولانا الامام على بن أبى طالب - كرم الله وجهه - يا أمير المؤمنين صف المتقين حتى أنظر اليهم فتثاقل الامام عن اجابته ، ولكن ألح عليه .. فقال له فيما قال - كرم الله وجهه - :

« **نزلت أنفسهم منهم فى البلاء كالتى نزلت فى الرخاء ، ولولا الأجل الذى كتب لهم ، لم تستقر أرواحهم فى أجسادهم طرفة عين شوقا الى الثواب وخوفا من العقاب** » .

« **عظم الخالق فى أنفسهم فصغر ما دونه فى أعينهم ، فهم والجنة كمن قد رآها فهم فيها منعمون ، وهم والنار كمن قد رآها ، فهم معذبون ، قلوبهم محزونة وشرورهم مأمونة ، وأجسادهم نحيفة وحاجاتهم خفيفة ، وأنفسهم عفيفة ، صبروا أياما قصيرة أعقبتهم راحة طويلة ، تجارة مربحة يسرها لهم ربهم ، ارادتهم الدنيا فلم يريدوها ، وأسرتهم ففدوا أنفسهم منها** .

« **فمن علامة أحدهم أنك ترى له قوة فى دين ، وحزما فى لين ، وعلما فى حلم ، وقصدا فى غنى ، وخشوعا فى عبادة وتجملا فى فاقة وصبرا فى شدة ، وطلبا فى حلال ، ونشاطا فى هدى ، وتحرجا عن طمع** » .

وقد زرت سيدى الشيخ عبد السلام الحلوانى - رضى الله عنه - فى مرضه الأخير ، فدلنى مظهره على شدة مرضه فاشتد ألمى ، وأحس الشيخ بنور بصيرته ، انى متألم لما يجد ، فأراد أن يسرى عنى .. وأن يعلمنى الرضا بالمقدور فى كل حال ، فقال - رضى الله عنه - فى صوت خافت من الاعياء ، له الملك وله الحمد ، عطف سبحانه الحمد على الملك ، والملك يشمل الخير والشر ، اشارة منه سبحانه ، الى أنه يجب أن يحمد فى الخير والشر على السواء .

وهذا الذى وجهنى اليه شيخى بمذاقه العالى ، ييسر لنا فهم ما قال به امامنا على - كرم الله وجهه - نزلت أنفسهم منهم فى البلاء كالتى نزلت فى الرخاء .

وقد حدثنى أحد أصدقائى الصالحين، ان شيخنا الأكبر وصاحب طريقتنا قطب عصره ، سيدى الحاج محمد أبو خليل ، الحسينى نسبا ، وساكن ضريحه الأنور بالزقازيق « انتقل الى رضوان الله فى يونية ١٩٢٠ » أصابه مرض فى ساقيه ، فتألم المريدون لمرضه ، فقال لهم مسليا ومعلما : ان ساقى حملتانى ثمانين عاما ، ولم تشكوا منى مرة ، فكيف أشكو اذا مرضتا أياما قصيرة .

وتذكرنى فلسفة شيخنا الأكبر هذه بفلسفة صوفى من الأقدمين ، عاد تلميذا له كان مريضا

فقال التلميذ لشيخه شاكيا : انى ملازم فراشى منذ مائة وعشرين يوما ، مستطيلا بذلك مدة المرض ، فقال له شيخه معلما : أحصيت أيام البلاء فهل أحصيت أيام الرخاء ٠

أقول وما أكثر من يحصى منا على ربه أيام المرض ، وينسى لربه أعوام الصحة ، واذا أعطى المؤمن العدل من نفسه، فيجب أن يشكر لربه فى الرخاء وأن يصبر لحكمه فى البلاء ٠

وفى قول سيدى الشيخ عبد السلام : ولكن ربك رب الكون الذى خلقه ودبره ، وقام بأسبابه من غير سبب ولا الزام ، تعليم باللجوء اليه ـ سبحانه ـ فى كل أمورنا لأننا عبيد احسانه ، أوجدنا فضلا من العدم ٠٠ ورزقنا كرما من غير حول منا ولا قوة ، وجاد علينا من جوده ، فحبب الينا الايمان وزينه فى قلوبنا وكره الينا الكفر والفسوق والعصيان ٠٠ واذا نحن تعرضنا للبلاء فى هذه الحياة الدنيا ، فانما ذلك لخيرنا واسعادنا ، وقد قال تعالى « **انما يوفى الصابرون أجرهم بغير حساب** » ٠ ونحن لا ندرك حلاوة العافية الا أن ذقنا مرارة البلاء ٠

واذا جاءنا البلاء تضرعنا اليه ـ سبحانه ـ بالدعاء ، مفتقرين اليه ، ومظهرين العبودية بين يديه ، ومقرين بضعفنا له ، ومعترفين بسلطانه علينا ٠٠ ونراه سبحانه عند البلاء أقرب الينا من كل قريب ، وأحب الينا من كل حبيب ، وأنجع فى كشف ضرنا من كل طبيب ، فاذا كشف الضر عنا شكرناه تعالى فى السراء التى أعقبت الضراء ٠٠ فبان بالضدين فضله، وبرز بالنقيضين لطفه ، فقوى يقين العبد فيه واعتماده عليه ، واتجاهه اليه ، وهى درجات لا ينالها المؤمن بالعبادات الخالية من المذاق ، فسبحان اللطيف الخبير الرءوف الرحيم ٠

تعرف سبحانه الى عباده بالرحمة فى قوله الكريم « بسم الله الرحمن الرحيم » لئلا ييأس مذنب من مغفرته ، ولا مبتل من شفائه ولا فقير من سعته ، ولا جاهل من تعليمه ، ولا مكروب من تفريجه ، وعلمنا ـ سبحانه ـ أن ندعوه ليستجيب ، والدعاء مخ العبادة كما جاء فى الحديث الصحيح ٠

ويفرق سيدى ابن عطاء الله ، بين عوام المؤمنين وخواصهم فى صلتهم بربهم فيقول : « لا يزال اضطرار انولى لربه ، لتحققه بفقره ولا يكون مع غير الله قراره ، لاستيحاشه مما سواه ، فهو مستأنس بقربه ، طلق اللسان بذكره ، بخلاف العامة فان اضطرارهم بمثيرات الأسباب فاذا زالت زال اضطرارهم وذلك لغلبة دائرة الحس على مشهدهم ٠٠ »

قد سمع سيدى ذو النون المصرى ـ رضى الله عنه ـ برجل صالح فى جبل المقطم فذهب اليه زائرا ، وأقام معه بعض الوقت ، فلما أراد الانصراف سأل ذلك الصالح دعوة فقال الصالح : آنسك الله بقربه ، فقال سيدى ذو النون : زدنى ، قال : من آنسه الله بقربه أعطاه أربعا بغير أربع : علما بغير طلب ٠٠ وغنى بغير مال ، وعزا بغير عشيرة ، وأنسا بغير جماعة ٠

ومقام الرضا بقضاء الله ، مقام شريف ، وهو من مقامات اليقين الكبرى ، ودون الوصول اليه ، جهاد كبير ، وصبر جميل ، وذكر كثير وسهر طويل ، ولا تبدو آيات الله مكشوفة، الا لأولى الألباب الذين يذكرون الله قياما وقعودا وعلى جنوبهم ، ويصفهم فى الهامه المشرق ، أستاذى العارف بالله سيدى الشيخ على عقل فيقول ـ رضى الله عنه ـ :

هم الجواهر طبعا لا يغيرهم
مر الزمان وهم من أهله الدرر

ان يشبعوا حمدوا أو أفقروا صبروا
أو يحزنوا اكتموا أو يوهبوا شكروا

لهم سمات مع الأملاك سائرة
وفوق هام سماء المجد قد نظروا

ملائك الله ترعاهم وتتبعهم
والفضل يحضر فيهم أينما حضروا

من أمهم كان فضـــل الله غامره
وحيث منزلهم يســـــتنزل المطر

أزكى القلوب وأسماها وأشرفهـا
من بالهـــداية والايمـــان يأتزر

ان النفوس اذا زادت محبتهـــا
فى ربهـــا واستنار القلب والبصر

صارت ملائك تصفو من كدورتها
حتى تـــرى كل شىء ما به كدر

والعاشقون لهم فى الحب ان صبروا
روض من العز لم يذبل له ثمـــر

مياهه الذكر والتقوى ينابعـه
والعلم والدين والآيات والصبر

خل المعارف للعشاق تقطفهـــا
ان كنت منهم فسر واسهر كما سهروا

وأنت ترى مما تقدم ، ان الســــــادة الصوفية يتعلقون بالله وحده ، ويركنون اليه فى جميع أمورهم ، مع التفويض اليه سبحانه فيما يختار لهم ، والرضا بالمقدور فى كل حال وهم لذلك يرفعون همتهم عن الخلق ، ولذلك قال سيدى القطب الكبير الشيخ أبو الحسن الشاذلى - رضى الله عنه - انى أيست من نفع نفسى لنفسى ، فكيف لا أيأس من نفـع غيرى لنفسى ، ورجوت الله لغيرى ، فكيـف لا أرجوه لنفسى .

وكذلك قال - رضى الله عنه - : نظرت الى الخلق ، فوجدتهم على قسمين : أعداء وأحباء، فنظرت الى الأعداء فعلمت أنهم لا يستطيعون أن يشوكونى بشوكة لم يرد الله بها، فقطعت نظرى عنهم ، ثم تعلقت بالأحباء فرأيتهـــم لا يستطيعون أن ينفعونى بشىء لم يرد الله به فقطعت اياسى منهم ، وتعلقت بالله تعـــالى ، فقيل لى انك لن تصل الى حقيقة هذا الأمر حتى لا تشك فينا ، وتيأس من غيرنا ، أن يعطيك غير ما قسمناه لك .

وقال مرة أخرى لما سئل - رضى الله عنه - عن الكيمياء ، فقال : أخرج الطمع من قلبك ، واقطع يأسك من ربك أن يعطيك غير ما قسمه لك ، وليس يدل على شعار العبـــد ، كثرة عمله ، ولا مداومته على ورده ، وانما يدل على نوره غناه بربه، وانحباسه اليه بقلبه وتحرره من رق الطمع ، وتحليه بحلية الورع وبذلك تحسن الأعمال ، وتزكو الأحوال ، قال تعالى:

« انا جعلنا ما على الأرض زينة لها لنبلوهم أيهم أحسن عملا » .

فحسن الأعمال انما هو بالفهم عن الله تعالى والفهم هو ما ذكرناه من الاغتنــــاء بالله .. والاكتفاء به ، والاعتماد عليه ، ورفع الحوائج اليه ، والدوام بين يديه ، وكل ذلك من ثمرة الفهم عن الله تعالى .

وقد قال لنا شيخنا العارف بالله سيدى عبد السلام الحلوانى - رضى الله عنـه - انه وقع له ضيق مالى يوما ، فمد يده الى ورقة أخرجها من جيبه ، وكتب فيهـــا : من كان رزقه على الله فلا يحزن ، وطوى الورقة ، وما هو الا وقت قصير ، حتى جاءه شخص وسلم عليه ، وقدم لسيدى الشيخ مبلغا كان دينا عليه للشيخ ، ولم يكن فى بال الشيخ واعتذر المدين من تأخره فى الأداء ، وهكذا فرج الله ضيق الشيخ من مال كان له عند بعض الناس فجاء به المدين عند احتياج الشيخ اليه ، ولم يسأله الناس شيئا .

اللهم ارزقنا من حبك ، ما يتنـــاسب مع احسانك الينا ، فان نعمك علينا ، لا تعد ولا تحصى ، فوجب أن يكون حبنا لك شـــديد القوى ، بعيد المدى ، فلا ينتهى أفقـــه الا بالسكون مع المحبوب الأعلى .. واجعلنـــا يا الهى من الشاكرين عند الرخاء والصابرين عند البلاء ، فتشهد قلوبنا العطاء فى البــلاء ، كما تشهده فى الرخاء ، والطف بنا فيمـــا يجرى به القضاء فيكون اللطف مظهرا لرحمتك فانك رحيم ودود على الدوام وقد قلت جـــل شأنك « ما يفعل الله بعـــذابكم ان شكرتم وآمنتم وكان الله شاكرا عليما » .

الاشتراكية العربية فى ميزان الإسلام

-٤-

حق الفرد على المجتمع

فضيلة الشيخ محمد محمد المدنى

فى الحديث الشريف عن رسول الله صلى الله عليه وسلم :

« من أصبح آمنا فى سربه ، معافى فى جسده ، عنده قوت يومه ، فكأنما حيزت له الدنيا بحذافيرها » .

وهذا الحديث يتضمن الأصول الضرورية للحياة السعيدة المستقرة التى يجب على المجتمع أن يكفلها لكل فرد من أفراده .

وهذه الأصول هى :

(١) الأمن الشخصى .

(٢) والعافية البدنية .

(٣) والقوت اليومى .

فأما الأمن الشخصى فهو المعبر عنه بقوله صلى الله عليه وسلم « آمنا فى سربه » ، والسرب - بفتح السين - هو الطريق ، وفى التنزيل العزيز « **سواء منكم من أسر القول ومن جهر به ، ومن هو مستخف بالليل وسارب بالنهار** » أى : سواء منكم فى علم الله من كتم القول فى نفسه ومن جهـــر به ، ومن هو مستخف بالظلمات وظاهر فى الطرقات ، فعلى هذا يكون معنى « **آمنا فى سربه** » : آمنا فى متقلبه ومتصرفه ، يغدو ويروح كما يشاء لا يخاف شيئا .

وروى السرب فى هذا الحديث بكسر السين أيضا ، وأصله الجماعة من الطير أو الظبـاء ، تقول مر بى سرب من القطا ، أو من الظباء ، فعلى هذا يكون المعنى على التشبيه والاستعارة : « **من أصبح آمنا فى سربه** » أى على نفســه وحرماته وعياله .

وخلاصة المعنى فيهما أن يتحقق للانسان أمنه الشخصى فى نفسه وأهله وولده ، وفى الحرية التى يتمتع بها ، ويتمكن معها من التصرف حيث شاء .

والواقـع أن الأمن على النفس والأهـل والولد، وعلى الحرية فى التصرف، ركن أساسى فى الحياة ، لأن من يشعر بقوة تهدده وتخيفه فى شىء من ذلك لا يمكن أن يستقر له قرار ، فهو ربما تخيل مهدديه وقد هاجموه فى عقر داره ، أو تربصوا له فى احدى زواياه ففتكوا به أو بما يعز عليه أن يفتكوا به من أهله أو ولده ، فهو يحمل من ذلك هما مقيما مقعدا لا يمكن أن يكون معه ســـعيدا متمكنا من

الطمأنينة والسكون، قادرا على العمل والتفكير والتصرف، وبذلك تكون حياته مقيدة ناقصة، فمن حقه على المجتمع ان يدرأ عنه ذلك الخوف، وأن يتخذ من الوسائل النظامية ما يجعله هو وأمثاله مطمئنين على أنفسهم وذويهم .

والفرق الأساسى بين مجتمع الغاب، ومجتمع المدنية والتحضر هو كفالة الامن الاجتماعى، أى الصادر من المجتمع، لا الذى يمكن أن يصنعه الفرد لنفسه معتمدا على قوته الجسدية، ووسائله الخاصة، فالانسان فى المجتمع الحضارى ينام ملء جفنيه آمنا مطمئنا لا يقض مضجعه خوف ولا فزع، لأنه يعلم أن فى مجتمعه حراسا على أمنه، يسهرون لينام، ويحذرون ليطمئن، اما مجتمع الغاب فالاعتماد فيه على الظفر والناب، فمن كان قويا بأظفاره أو مخالبه فهو الجدير بتحقيق سلامته والفوز بمطالبه .

والخلاصة أن الأمن الشخصى بكلا المعنيين اللذين يؤخذان من الحديث الشريف، هو الحق الطبيعى الأول للفرد على مجتمعه .

وفى سبيل ذلك شرع الاسلام القصاص فى العمد والديات فى الخطأ، لحفظ الأمن على النفوس .

وشرع أحكام الزواج ونظام الأسرة والروابط التى تربط بين أفرادها للمحافظة على العرض والنسل .

وشرع الأحكام الخاصة بتوفير الطمأنينة للناس فى مساكنهم من مثل الاختصاص، ووجوب الاستئذان قبل دخول البيوت، ومنع التجسس، وتحريم النظر الى العورات المنزلية، وايجاب حق الشفعة، ومنع الضرر والضرار ولا سيما بين الجيران. كل ذلك شرعه الاسلام حماية لأمن الانسان، واستقراره على أبلغ ما يكون من الطمأنينة فى مستقره الذى اختار لنفسه، وذلك هو المعبر عنه فى عصرنا: « بحرمات المساكن » .

الى غير ذلك ...

ولا شك أن الاسلام حين يكفل هذا الحق الطبيعى الأول للأفراد فى المجتمع، انما يكفله للذين يستقيمون على المناهج المشروعة، ويسيرون فى نطاقها، لا للذين يفسدون فى الأرض، ويقترفون الظلم، ويحترفون البغى، ولذلك نرى الاسلام يأذن لولاة الأمر فى تعليق هذا الحق، عن شخص أو عن جماعة تسعى لتعكير صفو الأمن، أو ترتكب من الآثام ما تستحق به العقوبة زجرا لها، وحفظا للناس من شرها .

وهذا التعليق أو الوقف، أمر طبيعى نقضى به سنة العدل، فما كان المصلح كالمفسد، وما كان المحق كالمبطل، وما كان المسالم كالمحارب، وفى ذلك يقول الله عز وجل: **« أفنجعل المسلمين كالمجرمين ؟ ما لكم كيف تحكمون » « أم نجعل الذين آمنوا وعملوا الصالحات كالمفسدين فى الأرض، أم نجعل المتقين كالفجار » .**

ومن علامات الامام العادل أن « يخافه المجرمون، « ويأمنه » الصالحون .

فاذا أردنا فى هذا الجانب الذى تبينت فيه « وسطية الإسلام » أن نوازن بين النظم الرأسمالية الجائرة، واشتراكيتنا العربية العادلة، فاننا نجد ان الرأسمالية الجائرة تعطى الأمن للأقوياء، وتحرم منه الضعفاء، ففى ظلها يعيش الاقطاعيون آمنين مطمئنين على أنفسهم وذويهم وأموالهم وكل ما يتصل بهم، لا يسألون عما اكتسبوا ومم اكتسبوا، ولا يؤخذون باساءاتهم الى الذين يستعبدونهم فى مزارعهم أو فى مصانعهم، فمهما اضطهدوهم فهم منصفون، ومهما ظلموهم فهم عادلون، ومهما جاروا على حقوقهم فهم معتدلون .

وقد يقتلون فتعجز العدالة عن أن تجد سبيلها اليهم .

وقد ينهبون أموال الضعفاء فلا يجدون من يحاسبهم .

وقد يعتدون على الأعراض فلا يجدون من يردعهم .

فالأمن فى الحقيقة لهم وحدهم، ووسائل الحياة وطرقها ومساربها مفتوحة أمامهم دون غيرهم .

ولذلك يزدادون مالا الى مال ، وأرضا الى أرض ، وجاها الى جاه ، ويزداد الذين يتعاملون معهم ، أو يسخرون لهم ، فقرا الى فقر ، وذلا الى ذل ، وضعفا الى ضعف .

واذا كان عمر بن الخطاب قد قال يوم تولى الخلافه « ان أقواكم عندى الضعيف حتى آخذ الحق له . وان اضعفكم عندى القوى حتى آخذ الحق منه » ، فان هذا القول ينعكس تماما فى مجتمع الاقطاع ، فالأقوى هو الذى يستطيع بقوته وبوسائله الخاصة ان يفوز بغنيمته او بسرقته أو بعدوانه ، والأضعف هو الضعيف الذى لا يستطيع أن يرد عن نفسه ظلما ، أو يدفع عن أهله وولده ضيما .

هكذا يكون مجتمع الرأسمالية غالبا ، لأن الظلم من شيم النفوس ، ولأن القوة تعلم صاحبها البطش ، ولأن الغنى الفاحش يصحبه فى أكثر الأحيان البطر والطغيان ، وصدق الله العظيم الذى يقول : « كلا ان الانسان ليطغى أن رآه استغنى » .

فهل كذلك اشتراكيتنا العربية أو هى قد أخذت بمبدأ « الوسطية » الذى سنة الاسلام؟

انها تحاول أن تصل الى تصحيح الأوضاع فى المجتمع ، وتعلم أن الاقطاع هو بيت الداء ، وانه لا أمن ولا استقرار ولا طمأنينة للناس ما بقيت له باقية ، وان تاريخه البعيد وتاريخه القريب يشهدان بذلك ، فهل تراها تكفل له الأمن والطمأنينة فتمكنه بذلك من أن يسرح ويمرح ويصول فى آفاق الظلم ويجول ؟ أتراها تحسر ظل الأمن عن الضعفاء والفقراء والعاملين الكادحين لتوفره ظليلا مديدا لهذه الحفنة من المستغلين ، والعتاة الظالمين ؟

أترى لو أن عمر بن الخطاب قدم الى المجتمع المصرى قبل الثورة ، أكان يرضى أن تفرض الفاقة كل الفاقة على الأكثرية العظمى من الناس ، وأن تمنح الحماية كل الحماية لأهل الاقطاع والترف والنعيم من فريق النصف فى المائة ، الذين علوا فى الأرض ، وجعلوا أهلها شيعا وأحزابا وطبقات ، ليمزقوهم وليضمنوا السيادة والتوجيه والسيطرة لانفسهم ؟

ان الفلاحين فى المزارع ، والعمال فى المصانع ، كانوا يسامون الخسف وسوء العذاب ، وكان الأمن كله مكفولا للذين يسخرونهم ويستضعفونهم وكنا نرى مأمورى المراكز والأقسام ورجال الخفر والشرطة يعملون على اكتساب ثقة السادة المستبدين على حساب المستضعفين ، وكنا نسمع بأخبار انتهاك الحرمات ، واغتصاب الحقوق ولانكاد نجد من ينهض انتصارا لها ، وحفاظا عليها ،وهاهى ذى رواسب الماضى وبقاياه ما تزال ماثلة بين أعيننا تحاول الثورة جاهدة أن تطهر البلاد منها ، وتقى المواطنين من سوئها وشرها ، ولكن الداء المستحكم لا يمكن أن يزول فى عام أو أعوام ، ولا بد للشعب من أن يتعاون مع ولاة أمره على هذا التطهير مخلصا ، وكل ما نبغيه ونرجوه هو أن نرتفع بأنفسنا عن ارادة الانتقام والكيد للبرآء والصلحاء لكيلا نستبدل ظلما بظلم وعسفا بعسف ، واذا صلحت النية واتخذت الحيطة ، سدد الله الخطوات ، وغفر ما عسى أن يكون دون قصد من الهفوات والزلات .

واما الركن الثانى من أركان الحياة الطيبة التى يجب على المجتمع أن يقيم عليها حياة أفراده ، فهو « العافية البدنية » التى قررها النبى صلى الله عليه وسلم بقوله « معافى فى جسده »·.

وذلك يشمل كل ما تقدمه المجتمعات المتحضرة من رعاية للشئون الصحية ، وحرص على وقاية الأفراد من أن تقتل أبدانهم ، أو تفسد فسادا يؤدى الى ضعف الحياة ، أو الى التعجيل بالموت .

وهذا الركن الأساسى لا يمكن للفرد أن يحققه لنفسه بنفسه ، بل لا بد له من أن يعتمد فيه على مجتمعه ، اذ الأفراد أنما يتوقون الأمراض فى حدود طاقاتهم وامكانياتهم الفردية ، فلا يمكنهم أن يمنعوا الأوباء مثلا ،

وانما الذى يمنعها هو المجتمع متكافلا بمايضعه من النظم الواقية ، ومن وسائل العلاج .

فاذا وجد مجتمع يهمل هذه الناحية ، ولا يحرص على أدائها ، ورعاية حقوق الأفراد فيها ، فانه يكون مجتمعا متخلفا تكثر فيه العلل والأمراض ، وتنشأ الكثرة من المواطنين فيه نشأة ضعيفة هزيلة معوقة بالعاهات الظاهرة والباطنة عن بلوغ درجات الرقى والتقدم التى تصل اليها الأمم الواعية المتمدينة .

وفى سبيل ذلك شرع الاسلام أحكاما يراعيها الأفراد فى أنفسهم ، وأحكاما يحققها المجتمع :

شرع للأفراد النظافة ، ومن مظاهرها الوضوء والغسل ، وشرع غسل اليدين قبيل الاكل وبعده ، وحذر من أن ينام المرء دون أن يغسل فمه من أثر الطعام لئلا تسرح اليه الهوام ، وشرع السواك لحفظ الأسنان وتطهيرها من الجراثيم التى تعلق بها عادة وبما حولها من اللثة ، وهى تسبب كثيرا من الأمراض ، وحذر من أن يورد مصح على ممرض ، أو ممرض على صحيح ، لكيلا تلحقه العدوى ، وقال النبى صلى الله عليه وسلم مبينا ضرر العدوى وان كانت غير مؤثرة بذاتها ولكن بارادة الله « لا عدوى ، وفر من المجذوم فرارك من الأسد » ومعناه : ان الله تعالى هو المحصن ، ولو شاء لحصن عبده من أن تصيبه عدوى المرض، فهى غير مؤثرة بنفسها ، ولكن بتخلية الله بينها وبين الانسان اذا أهمل اتخاذ سبل الوقاية فعليه أن يتخذها كما هى قاعدةاتخاذ الأسباب، ولذلك أمره بأن يفر من المجذوم كما يفر من الأسد ، ليكون فراره ابتعادا بنفسه عن المرض، واتخاذا لسبب السلامة من العدوى باذن الله .

الى غير ذلك مما شرعه الله تعالى رعاية لصحة الانسان فى بدنه ، وكلف به الأفراد .

وكما شرع مثل ذلك فى حق الأفراد ، شرع وجوب المحافظة من ولى الأمر الذى هو حارس المجتمع ، وعلى الصحة العامة ، وقد أراد عمر ابن الخطاب – رضى الله عنه – أن يقدم بأصحابه ومن معه من المسلمين على احدى البلاد ، فلما كان فى منتصف الطريق اليها ، علم أن بها وباء هو الطاعون ، فتوقف عن المسير ، واستشار أصحابه من المهاجرين والأنصار ، فاختلفوا : فمنهم من قال : نقدم اليها ولا خوف من العدوى ، ومنهم من قال : لا ندخلها ، وتأمل عمر – رضى الله عنه – فى الأمر مليا ، ثم عزم على أن يرجع بالمسلمين خوفا عليهم من الوباء ، فقال له بعض أصحابه : افرارا من قدر الله يا عمر ؟ قال : نعم نفر من قدر الله الى قدر الله ، وضرب له مثلا براع معه ابل ، وهو يحرص على أن ينزلها واديا فيه نبت وكلأ ، وليس فيه ما يضر بها ، أو يسيىء اليها فى أبدانها ، فان نزل بها هذا الوادى المعشب النقى، فقد نزل بقدر الله وأن نزل بغير هذا الوادى فقد نزل بقدر الله أيضا ، وهذا من حصافة عمر ودقة وزنه للمصالح ، وقد علم بعد ذلك أن النبى – صلى الله عليه وسلم – قال فى الوباء « اذا كان بأرض فلا تدخلوها ، واذا كنتم بأرض ولحقكم فيها فلا تخرجوا منها » فحمد الله عمر على أن وفقه الى الصواب ، والى الحكم الذى حكم به رسول الله صلى الله عليه وسلم .

وهذا هو نظام الحجر الصحى الذى تأخذ به الأمم المتحضرة .

واشتراكيتنا والحمد لله تعمل على وقاية الشعب ، وعلى اشتراكية العلاج ، فتبنى المستشفيات فى كل مكان ،وتمنح الدواء فى أغلب الأحيان بالمجان ، وتقيم دراسات طبية متخصصة فى كل نوع من أنواع الأمراض ، ولا تدخر فى ذلك جهدا ولا مالا ، لتستطيع البلاد أن تحافظ على صحة أبنائها ، وهى متجهة فى ذلك كله الى التعميم والشمول ، شيئا فشيئا ، وسوف يأتى الوقت الذى يكون فيه العلاج والدواء ، حقا للجميع كالتعليم والهواء.

والركن الثالث هو كفالة الحد الأدنى للعيش الكريم ، وهو المعبر عنه فى الحديث الشريف بقوله – صلى الله عليه وسلم « عنده قوت يومه » .

البقية ص ١٩

المنزلة بين المنزلتين في تفسير الزمخشري

الدكتور أحمد الحوفي

١ – دخل رجل على الحسن البصري فقال . يا امام الدين ، لقد ظهرت جماعة فى زماننا يكفرون أصحاب الكبائر ، هم وعبدية الخوارج، وجماعة يرجئون أصحاب الكبائر ، والكبيرة عندهم لا تضر مع الايمان . بل العمل على مذهبهم ليس ركنا من الايمان ، ولا تضر مع الايمان معصية ، كما لا تنفع مع الكفر طاعة ، هم مرجئة الأمة ، فكيف تحكم لنا فى ذلك ؟

ففكر الحسن ، وقبل أن يجيب قال تلميذه واصل بن عطاء : أنا لا أقول ان صاحب الكبيرة مؤمن مطلقا ، ولا كافر مطلقا ، بل هو فى منزلة بين المنزلتين . ثم قام واعتزل الى اسطوانة بالمسجد ، وجعل يقرر ما اجاب به على جماعة من أصحاب الحسن ، فقال الحسن: اعتزل عنا واصل ، فسمى هو وأصحابه معتزلة .

وقد دار خلاف كبير حول وصف مرتكبى الكبيرة ، فالحسن البصرى رأى أنه منافق ، وواصل بن عطاء ذهب الى أنه فى منزلة بين الكفر والايمان ، وتابعه على رأيه عمرو بن عبيد ، والمرجئة وصفوه بأنه مؤمن ، والأزارقة وصفوه بأنه كافر ، وأهل السنة قالوا أنه فاسق .

واستدل المعتزلة بأن الايمان اجتماع التصديق والاعتقاد القلبى وأداء الواجبات ، فمن صدق بأن الله واحد ، وان محمدا رسوله ، ولم يقم بالفرائض ، لم يكن مؤمنا ، لأنه لم يستكمل خصال الخير .

وبنى المعتزلة على رأيهم هذا أن المعاصى قسمان : كبائر وصغائر ، ولكنهم اختلفوا فى تعريف كل منهما ، وان كان أكثرهم على أن الكبيرة ما أتى فيها وعيد ، والصغيرة ما لم يأت فيها وعيد ، وقالوا ان بعض الكبائر تصل الى حد الكفر ، فمن شبه الله بخلقه ، أو نسب اليه الظلم ، أو كذبه فى خبر ، فقد كفر .

وهناك كبائر أقل منها منزلة، يسمى مرتكبها فاسقا ، والفسق منزلة بين الكفر والايمان ، ولهذا فان الفاسق ليس مؤمنا وليس كافرا ، بل هو فى منزلة بين المنزلتين .

٢ – وقد أول الزمخشرى بعض الآيات الكريمة تأويلا يؤيد هذا الرأى .

أ) فمن تأويله للأيات المتصلة بالمنزلة بين المنزلتين انه قال فى تفسير قوله تعالى : **«الذين يؤمنون بالغيب ويقيمون الصلاة ، ومما رزقناهم ينفقون» الايمان الصحيح أن** يعتقد الحق ، ويعرب عنه بلسانه ، ويصدقه بعمله • فمن أخل بالاعتقاد وان شهد وعمل فهو منافق ، ومن أخل بالشهادة فهو كافر ، ومن أخل بالعمل فهو فاسق •

وعلق ابن المنير بقوله : انه أراد بالفاسق غير المؤمن وغير الكافر ، وهذا من الأسماء التى سماها القدرية - المعتزلة - وما أنزل الله بها من سلطان •

ويعتقد أهل السنة أن الموحد لله الذى لا خلل فى عقيدته مؤمن ، وان أرتكب الكبائر ، وهذا الصحيح لغة وشرعا •

أما لغة فان الايمان هو التصديق ، وهو مصدق ، وأما شرعا فأقرب شاهد عليه هذه الآية ، فانه لما عطف فيها العمل الصالح على الايمان دل على أن الايمان معقول بدونه ، ولو كان العمل الصالح من الايمان لكان العطف تكرارا •

(ب) وقال فى تفسير قوله تعالى : « الذين قال لهم الناس أن الناس قد جمعوا لكم ، فاخشوهم ، فزادهم ايمانا ، وقالوا حسبنا الله ونعم الوكيل » : لما لم يسمعوا قول المثبط ، وأخلصوا النية والعزم على الجهاد ، وأظهروا حمية الاسلام ، كان ذلك أثبت ليقينهم ، وأقوى لاعتقادهم ، كما يزداد الايقان بتناصر الأدلة ، ولأن خروجهم على أثر التثبيط الى وجهة العدو طاعة عظيمة ، والطاعات من جملة الايمان ، لأن الايمان اعتقاد واقرار وعمل •

وعن ابن عمر : قلنا يارسول الله هل الايمان يزيد وينقص ؟ قال : نعم يزيد حتى يدخل صاحبه الجنة ، وينقص حتى يدخل صاحبه النار •

وعن عمر رضى الله عنه انه كان يأخذ بيد الرجل فيقول : قم بنا نزدد ايمانا • وعنه : لو وزن ايمان أبى بكر بايمان هذه الأمة لرجح به •

(ج) وقال فى تفسير قوله تعالى « ويبشر المؤمنين الذين يعملون الصالحات ان لهم اجرا كبيرا ، وان الذين لا يؤمنون بالآخرة اعتدنا لهم عذابا أليما » : ان الله ذكر المؤمنين الأبرار ، وذكر الكفار ، ولم يذكر الفسقه ، لأن الناس حينئذ اما مؤمن تقى ، واما مشرك ، وانما حدث أصحاب المنزلة بين المنزلتين بعد ذلك •

(د) ومن تأويله للآيات المتصلة بالكبائر والصغائر أنه قال فى تفسير قوله تعالى : « ذلك الكتاب لا ريب فيه ، هدى للمتقين » • المتقى هو الذى يقى نفسه تعاطى ما يستحق من العقوبة من فعل أو ترك • واختلف فى الصغائر ، وقيل الصحيح أنه لا يتناولها ، لأنها تقع مكفرة عن مجتنب الكبائر •

وعلق ابن المنير بقوله : من تمنى القدرية على الله تعالى اعتقادهم أن الصغائر ممحوة عنهم ما اجتنبوا الكبائر ، وأنه يجب أن يعفو الله عنها لمجتنب الكبائر ، كما يجب عندهم الا يعفو عن مرتكب الكبائر ، وهذا هو الخطأ الصراح ، والمحادة لآيات الله البينات وسنن رسوله الصحاح •

والحق أن غفران الصغائر وان أجتنبت الكبائر موكول الى المشيئة ، كما أن غفران الكبائر موكول اليها أيضا •

ومن لا يعتقد ذلك وهم القدرية يضطرون الى الوقوف عند قوله تعالى : **« فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره ، ومن يعمل مثقال ذرة شرا يره »** فانه ناطق بالمؤاخذة بالصغائر •

ويتحيرون عند قوله تعالى : **« أن الله يغفر الذنوب جميعا »** فانه مصرح بمغفرة الكبائر •

أما أهل السنة فقد ألفوا بين هاتين الآيتين بقوله تعالى : **« أن الله لا يغفر ان يشرك به ، ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء »** •

فان التقييد بالمشيئة فى هذه يقضى على الآيتين المطلقتين •

(هـ) وقال فى تفسير قوله تعالى : **«قل ياعبادى الذين أسرفوا على أنفسهم لا**

تقنطوا من رحمة الله ، ان الله يغفر الذنوب جميعا ، انه هو الغفور الرحيم » •

يعنى بشرط التوبه • وقد تكرر ذكر هذا الشرط فى القرآن ، فكان ذكره فى مواضع مغنيا عن عدم ذكره فى مواضع ، لأن القرآن فى حكم كلام واحد ، ولا يجوز فيه التناقض•

وفى قراءة ابن عباس وابن مسعود (يغفر الذنوب جميعا لمن يشاء) والمراد بمن يشاء من تاب ، لأن مشيئة الله تابعة لحكمته وعدله لا لملكه وجبروته • ثم ذكر ما قيل فى أسباب نزول الآية •

(و) وقال فى تفسير قوله تعالى : « **وان ربك لذو مغفرة للناس على ظلمهم ، وان ربك لشديد العقاب** » : أى مع ظلمهم أنفسهم بالذنوب ، ومحله الحال ، بمعنى ظالمين لأنفسهم •

وفيه أوجه : أن يريد السيئات المكفرة لمجتنب الكبائر ، أو يريد الكبائر بشرط التوبة ، أو يريد بالمغفرة الستر والامهال •

وروى أنها لما نزلت قال النبى صلى الله عليه وسلم : لولا عفو الله وتجاوزه ما هنأ أحدا العيش ، ولولا وعيده وعقابه لاتكل كل أحد •

وعلق ابن المنير بقوله :

الوجه الحق بقاء الوعد على اطلاقه ، الا حيث دل الدليل على التقييد فى غير الموحد ، فان ظلمه أعنى شركه لا يغفر ، وما عدا الشرك فغفرانه فى المشيئة • والزمخشرى يبنى على عقيدته التى وضح فسادها استحالة الغفران لصاحب الكبائر وان كان موحدا الا بالتوبة ، فيقيد مطلقا ، ويحجر واسعا •

بقية مقال « الاشتراكية العربية فى ميزان الاسلام »

وليس المراد بالقوت اليومى هو أدنى الكفاف، واقل ما يحفظ الحياة ، من طعام أو شراب أو ملبس ، وانما هو حد الكفاية اللائقة بالانسان باعتباره انسانا •

فالله سبحانه وتعالى يبيح المتاع الحسن ، والزينة التى لا تخرج الى حد الاسراف والترف، فيقول جل جلاله « قل من حرم زينة الله التى أخرج لعباده والطيبات من الرزق ، قل هى للذين آمنوا فى الحياة الدنيا خالصة يوم القيامة » •

فهو يستنكر تحريمها ، ويضيفها الى نفسه فيقول « زينة الله » ويمتن بها فيقول « التى أخرج لعباده » •

ويذكر « الطيبات من الرزق » بعنوان كونها طيبات ، ثم يقرر أنها « للذين آمنوا فى الحياة الدنيا » فالهدف هو مستوى رفيع يعيش فيه الانسان المؤمن ، لا مجرد عيش تافه حقير كما هو مستوى بعض الحيوانات العجماوات ، ومن ثم يجب على المجتمع أن يحفظ لكل فرد مستوى من الكفاية اليومية يعيش به عيشا انسانيا محترما •

ولاشك أن الاسلام لا يبغى لأفراده أن يعيشوا فى أدنى الكفاف ، فانه يحضهم على العمل والسعى وان تكون ايديهم هى العليا ويشرع اعطاء الزكاة للفقراء والمساكين بما يدرأ عنهم الحاجة ، ثم يشرع لولى الأمر اذا لم تكف الزكاة أن يأخذ من أموال الأغنياء ما يكفى لسد الحاجات ، واقامة الضرورات •

ونحن نرى اشتراكيتنا العربية تنشد فى هذا ما ينشده الاسلام من كفاية وعدل، ونحرص على أن يكون الانسان العربى قادرا على أن يعيش هو وأولاده فى مستوى مناسب للانسانية ، ولذلك تمنح الفلاح خمسة أفدنة لو زرعها فأحسن زرعها ، وخدمها فأحسن خدمتها لأنتجت له انتاجا طيبا ، وهى مع ذلك تعينه على زرعها وعلى تسميدها ، وعلى تنقية محصولاتها من الأعشاب الضارة ، والآفات الفاتكة ، كل ذلك تفعله لتحقق لكل فرد كفايته ، والله المستعان •

من حضارة الإسلام

الخوف والرجاء

الأستاذ عبد العزيز سيد الأهل

التحول الفاصل – طرائق السلوك – الطريق الأقوم •

الرجاء والأمنية – اقوال وردود – مشرق النور

التحول الفاصل :

ونحن نتحول منذ الآن الى مجتمع عادل وحياة فعالة حيث تتحقق المساواة والتكافؤ فى كسب الحقوق وتتحقق الحركة والنمو بأداء الواجبات لانتردد فى أن نعتز بأن هذا التحول انما هو بمحض ارادتنا التى صممت على ان تتعجل خطاه اعتمادا على تقاليدنا القادرة على التكيف والتوافق لتطورات الحياة •

ودون أن نرجع أو نتلكأ فاننا لن نزال نحث السير لتحول عاجل نرعى فيه – بحذر شديد – حقوق الأحياء منا وحقوق المد البشرى الذى ننتظره غدا من الأبناء والأحفاد مهما أنذر هذا المد بعبء ثقيل •

ومشاعرنا الدينية التى لاتخمد فيها الحكمة تبعث فينا الهمة وتسدد الرمية بما فى هذه المشاعر من صفات النبل والقوة ، فهى من حيث انها قادرة على اجتياز الموانع وتحطيم العراقيل قادرة على مجانبة التهور ومفاتن الشهوات •

ومن هذه المشاعر العميقة التى تصرخ فى عروقنا وأفكارنا – نحن المسلمين – من المواريث ذات الغنى والتقاليد تتنادى رغبة صارخة متخطية بأصواتها الحواجز والحدود فتدعو الى التحول الجماعى والاسراع به لتلبى الأمة داعى مشاعرها النبيلة وتتساوى مع افكارها الرفيعة وتتخلص كلها من ماض متعثر وتاريخ مؤسف وبيل •

ولا تختلق الأمة فى حضارتها حدثا جديدا حينما تسلم جل قيادها الى قوى فتية تتحرك فيها مشاعر الايمان والاهتمام بالزمن وتنطلق بصائرها في آماد العلم والمعرفة وتتقيد خطاها بحواجز الأخلاق والسلوك ، اذ فى تاريخ حضارتها أن تأمن الأمة بهؤلاء أن تبطىء أو تتقهقر ، وحتى لو تعثرت بعض الخطا فليس من المخوف ان تحمل الكواهل الفتية جهدا مضاعفا فتستبدل بالخطأ صوابا وتحصل بجرائها على صواب جديد

وفى راسخ اعتقادنا أن الشريعة الغراء قد رسمت لكل سالك سديد الخطوة فى عمل من أعمال الدنيا أو الآخرة أن يسلك طريقا محفوفة من جانبيها بالحذر والأمل بل بحذر كله خوف وأمل كله رجاء •

ومهما ثارت الهمم وغلت بها الصدور فعلى كل متحول الى أفضل ان ينظر الى جانبى طريقه فى كل خطوة ويقيس الأبعاد من كل جانب ثم يتلفت وهو ينقل قدميه الى جانب الرهبة والخوف حتى كأن لم يبق فى نفسه أمل أو رجاء ويتلفت الى جانب الجرأةوالأمن وكأنما لم يبق فى نفسه خوف ثم يسلك على خط الالتقاء الدقيق بين البعدين طريقا للسلامة والنجاة مهما رآه طريقا صعبا ومسلكا دقيقا ٠

ويبدو من هذا الالتقاء الضيق ان الاسلام قد يسر على اللغة ان تطلق لفظ الخوف فيراد الرجاء معه أو تطلق الرجاء فيراد الخوف معه فلم يعد بينهماانفصال الا فىاختلاف الحروف ولعل من هذا قوله سبحانه « مالكم لاترجون لله وقارا » فقد قيل ان معناه مالكم لاتخافون فحل الرجاء فى الآية مكان الرجاء والخوف جميعا ٠

وفى غير استكبار أو ضعف ترسم الأفكار الاسلامية لفطرة الخليقة سلوكها وعلاجها وهى حين تصورها وتحدد سيرها وتصف دواءها تدعى فى صدق حاسم أنه تصوير الخالق المصور الذى وضع لما خلقه شريعة وطبا لتكون بهما الهداية ويكون الشفاء ٠

وحين لانتخلى ونحن ننهض ونتحول الى أفضل - عن منهلنا النابغ الفياض وندأب على الاستقاء منه ونحث على الورود اليه لانختلف الى غيره مهما اختلف غيرنا على مشارب قد استنبط ماءها أفذاذ من الفلاسفة والعلماء فان مشاربهم ما تلبث ان تغيض أو تأسن ، أما منهلنا فانه من سماء تتدجى بالغيوث وكلما شالت منها سحابة ثقلت بالغيث سحابة أخرى ٠

طرائق السلوك :

وتفصيلا لهذا الاجمال نقول انه ليس من احد لم يستشعر الخوف ،حتى اجرأالشجعان وليس منهم من لم يتذلل بالرجاء حتى اعتى المستكبرين ٠ وتعريف العلماء للخوفوالرجاء بأنهما من قبيل الخواطر واولهما يرج القلب فما ويخلعه عن طمأنينة الأمن وثانيهما يهزه سرورا عند استرواحه الأمل ويطرد عنه ركدة اليأس - هذا التعريف لهما لايزيد الناس معرفة بهما ، وربما كان التحويم عليهما وكشف مباعثهما وآثارهما والبحثعن مواضع اجتماعهما أو رجحان واحد منهما انفع وأجدى ٠

والخوف الذى نرمى اليه فى مقالنا ليس هو ما يخطر بالبال من الرعب كاستشعاره من الهوام والضوارى أو المرض والعدوى ، كما لانريد من الرجاء مداعبة الأمل بالأمانى والخيال بالأكاذيب ولكننا نقصد الخوفالذى هو فضيلة بالكف عن الأذى واجتناب الاهمال والمعصية واختيار الجد والطاعة ونقصد بالرجاء ما نتوقعه من أمر محبوب يحدث لا محالة عنأمارة مظنونة أومعلومة وهمابالمعانى التى نقصدها منهما يرادان جميعا فى أمور الدنيا وأمور الآخرة على سواء

والناس وهم يخوضون فى مسالكهم الى أغراضهم يخوضونهامن احدى طرقثلاث :فاما من طريق الأمن والجرأة واما من طريق الخوف والرجاء أو يصدون عن الطريقين الى طريق اليأس والقنوط ٠ وكلها طرق تجتمع على خط من وسط وطرفين تتمثل عليه احدى قضايا الفضائل فى الفلسفة اليونانية طرفاه يؤديان الى مضلة وانحراف واما الوسط فهو معدلة الطريق ٠

وعلى طريق الأمن والجرأة يسلك الجاهل والمغتر الى بغيته ، فهو لايرسل بصره ليرىولا فكره ليحسب ولا بصيرته ليحكم وانما يخبط العشواء أو العمياء متوهما الوصول فى أمن من العثرات ولكنه لن يصل ولن يأمن اذ ليس فى طرق الحياة والجد طريق واحد يخلو من عقبة أو مشقة حتى الطرق التى مهدتها الجهود وعبدتها الأزمنة وسالت فيها مهج الآباء ٠

أما اليأس والقنوط فهما لايسميان طريقا الا مجازا اذ هما عقبة فى أول الطريق وسد مانع لأول السعى والهمة فلا يتخطاهما اليائس القانط الى زرع يحصده أو ثمرة يجنيها لأنه لم يزرع ولم يسق أو يتعهد فلا حظ له فى ثمرة أو حصاد ٠

ومن عجيب الأمر أن هذين الطريقين المهلكين من الأمن واليأس أوسع مجالا وأسهل سلوكا وأكثر داعيا ، أما وسط الخط وهو اضيق مسلكا وأقل داعيا فانه الفضيلة التى تتوسط الانحرافين والمنجاة التى ترتفع بين المهلكتين ، فمن طريق الخوف والرجاء يسلك القاصد الى مايريده فردا أو أمة فى عمل دنيوى أو أخروى — فيجنبه الخوف أن يأمن ويجرؤ ، ويجنبه الرجاء ان يهمل فيقنط . ومن لم يلتزم جادة الطريق ارتطم بالجهل والغرور أن أمن ولم يحذر أو الخيبة والقعود أن يئس ولم يستمر ماضيا .

وليس من الطبائع السليمة ولا الفطرة المستقيمة دوام الانحراف الى أحد الجانبين اذ لايحدث الانحراف الا من حالة عارضة موقوتة لمصاب بالسكر أو الكباد ، وهو ان افاق أو شفى توسط فى أمره واعتدل فى سيره . والقاعدة ان يفيق السكران ويصح المكبود ، أما ان يستمر الخمار أو الداء فأمر يكذبه العقل ويأبى القلب أن يصدقه مادامت بيد المصاب بهما جرع الدواء وهو على قيد الحياة

ولن يتغير لون الفضيلة فى أى سير . وسواء سلك المرء طرائق الدنيا أو سلك طريقا للآخرة فان قواعد الفضائل لاتتغير . فالآمن مدهوم والقانط محروم ولم تكتب السلامة الا لمن خاف ورجا ففاز ونجا .

الطريق الأقوم :

وينجو فى دلجة الخوف من لم ينس عقبة تخطاها ففرح أو عقبة عثر بها فصبر وكانت تتجلى له صور العواقب سيئة المنظر لو أمن واجترأ فقدر لرجله وخطوه حتى لاتزل قدمه ولكنه كان كلما أسرف فى رهبته وخوفه ذكر الله اذ يقول ((قل ياعبادى الذين أسرفوا على انفسهم لاتقنطوا من رحمة الله ان الله يغفر الذنوب جميعا)) فاطمأن قلبه ومضى .

وينجو كذلك فى لمحة الرجاء من لم يمض بطرا وصمم على البذل والعطاء موقنا ان يدالله تعينه وأن عينه ترعاه ولكن قلبه لايطمئن الى بلوغ الغاية حتى يقدرها الله له بفضله وهو لاينسى أبدا قوله سبحانه وتعالى « فليحذر الذين يخالفون عن أمره أن تصيبهم فتنة أو يصيبهم عذاب أليم »

وكعظة منبرية — والمنابر من أروع معالم حضارتنا . تنصب هذه الحقائق عن الخوف والرجاء فى الأسماع وطالما دارت دورات متتابعة مع الزمن تنصب قوية هادرة من عظات المنابر وأقوال الخطباء حتى يجمع كل سائر سرباله ويلملم اطرافه دون ان ينطوح ذات اليمين أو ينطرح على ذات الشمال ويستوى على الطريق الأقوم والصراط الأعدل

أما الخوف فلأنه يحجب العين عن الفتنة ويزجر النفس عن الهوى . وأما الرجاء فلانه يكشف للبصيرة لمعة الهداية ويحث الهمة على المضى ويلجىء الى رحمة الله وعفوه . وما لم تنته النفس بالتخويف والتهديد وتنبعث بالتحبيب والترغيب جمحت كالدابة الحرون التى يهددها السوط من جانب ويلوح لها الطعام من جانب فتستوى على الطريق .

ولم يعجز القرآن الذى أعجز البلغاء عن تصوير الخوف والرجاء فى قوله بالوعد والوعيد والترغيب والترهيب وبالمزاوجة الدائمة بينهما والمبالغة فى ايرادهما بآياته نظائر وأشباها تصور من الثواب الكريم مالا صبر عنه ومن العذاب الأليم مالا صبر عليه وكان القرآن لو أفرد السطوة بالذكر لخيف أن تؤدى الى القنوط من العفو والرحمة كما كان لو أفرد الرحمة بالذكر لخيف أن تفضى الى الجرأة والغرور .

ومثل قوله سبحانه « نبىء عبادى أنى أنا الغفور الرحيم وان عذابى هو العذاب الأليم » انما هو سطر واحد من سطور لاتحصى جاء بها القرآن مثبتا قاعدة الطريق الأقوم حتى تحذر العين الغفوة وتسدد القدم الخطوة

ومن المؤكد ان كل الأديان وكل مذاهب الحكمة قد جرت فى هذا الطريق . وطاوس ابن كيسان الجندى — وكان رأسا فى العلم والعمل — جمع لرجل يقال له عبد الله الشامى هذا الطريق حين دخل عليه ذات مرة فقال له طاوس : أتحب أن أجمع لك التوراة والانجيل والزبور والفرقان فى مجلسى هذا ؟ فقال : نعم فقال طاوس : خف الله مخافة لايكون عندك

شيء أخوف منه وارجه رجاء هو أشد من خوفك اياه

والطريق الذى اختاره البكاءون من أمثال ابن عباس وسعيد بن جبير وزيد بن مرتد كان طريقا أدنى الى الخوف من حيث لم يفقدوا روح الرجاء فلم تهدأ قلوبهم من القلق ولم تمسك عيونهم عن الدمع فكانوا هداة الأمة ومنابع الخير فيها .

أما الطريق الذى سلكه أعراب الحرورية الجهال الذين شهروا السلاح وقتلوا الأبرياء وبلبلوا الخواطر ادعاء منهم بأنهم اشتروا أنفسهم فى سبيل الله فانهم لم يفعلوا غير ان استرابوا بكل يقين وشكوا فى كل خير ورموا بالكفر كل مرتكب .

ولقد تساوى هؤلاء فى الخطل بالمرجئة الذين عطلوا الأحكام وارتمو على الأوهام ولم يضل هؤلاء وهؤلاء الا انهم وقعوا فى حالة من مرض العصاب القهرى فمرقوا من الدين ولم يتعلقوا بعقدته أو يلتصقوا بطينته

أما الذين تقابلت فيهم موانع الغفلة بما يساويها أو يزيد عليها فان نفوسهم هى وحدها التى انبعثت للخير والحق واهتزت له ورغبت فيه .

الرجاء والأمنية :

وقد يختلط الرجاء بالأمنية على كثير من الناس فيغلطون اذ يحسبونهما جسدا واحدا ، ولكنهما يختلفان اكثر مما يختلف الخوف والرجاء ، بل انه قد يمتزج هذان فى اناء ويجتمعان فى خط أما الرجاء والأمنية فانهما متنافران ابدا لايمتزجان .

فالرجاء غير التمنى ، فمن زرع وغرس ثم اجتهد فجنى وحصد فذلك هو الراجى لأنه اعتمد على أصل ثابت وعمل دائم ، ومن لم يزرع او يغرس ثم لم يجتهد ليجنى أويحصد فذلك هو المتمنى لأنه لم يستند الى أصل ولم يعتمد على عمل . وجدير بالراجى أن يحصد الزرع ويجنى الثمار أما المتمنى فليس له من جنى غير الغفلة والخسار .

وقد جعل القرآن التمنى بين يدى الشيطان الذى لايعد ولايمنى الا غرورا فقال سبحانه **((يعدهم ويمنيهم وما يعدهم الشيطان الا غرورا)) وطالما محق القرآن الأمانى فجعلها ظنا كاذبا وأملا خائبا .**

ثم وضع رسول الله - صلى الله عليه وسلم - حدا للراجى والمتمنى فى حديثه الذى يقول **((الكيس من دان نفسه وعمل لما بعد الموت والعاجز من اتبع نفسه هواها وتمنى على الله الأمانى))**

ومنذ جعل رسول الله هذا الحد لهماوفقهاء المسلمين يفسرون ويفصلون ، وكان من احسن ماقاله الحسن البصرى فى ذلك ان اقواما الهتهم أمانى المغفرة حتى خرجوا من الدنيا مفاليس وليست لهم حسنة فيقول أحدهم انى احسن الظن بربى ، وكذب ، لو أحسن الظن بربه لأحسن العمل له . ثم تلا قوله تعالى ((فمن كان يرجو لقاء ربه فليعمل عملا صالحا)) ثم تلا قوله : وذلكم ظنكم الذى ظننتم بربكم أرداكم فاصبحتم من الخاسرين))

وهكذا لاشقاء أكثر من شقاء التمنى والذهاب وراء أخيلة الطمع والباطل ، والمرء يكفيه من حلاله ما يبلغه الرمق ، وقدجرب هذا التمنى خالد بن صفوان ثم أفاق من غفلته وأصبح يقول :

بت أتمنى ليلتى كلها فكبست البحر الأخضر بالذهب الأحمر فاذا الذى يكفينى من ذاك رغيفان وكوزان وطمران .

وكما يشتبه الرجاء بالأمنية تقترب المحبة من الرجاء فيحسبهما الناس من معين واحد ولكنهما كذلك مفترقان اذ الرجاء الحق لايخلو من الخوف والمهابة والخوف الحق لايخلو من الرجاء أما المحبة فاذا افرط فيها المرء فربما آل به الأمر الى فعل المثالب والتردى فى المعاطب .

والمحبة درجات :

فمحبة الجائع للطعام أو الوالد للولد أو الرفيق فى السفر لمن يجاوره فيه لاتبلغ هذه كلهامكانة المحبة التى تصلح بها الجماعات وتحيا الأمم ، وهذه كلها دون المحبة التى لا تصلح الا لله وحده وهى محبة العبودية التى تستلزم الخضوع له والعود على المحبات

الأخرى بما أمر ونهى . والا لزم المحب الذم أو لحق بالمشركين الذين يقول الله فيهم «ومن الناس من يتخذ من دون الله اندادا يحبونهم كحب الله والذين آمنوا أشد حبا لله»

أقوال وردود :

وقد رأى قوم من المسلمين أن مخافة الله واجبة لا لعلة ولا لسبب بل يخاف سبحانه ـ ولله المثل الأعلى ـ كما يخاف السبل الذى لايدرى العبد من اين يأتيه . وقد بنوا ذلك عندهم على أن الخوف يتعلق بذاته سبحانه فرادفوا بين الخوف والمهابة ـ من غير نظر الى فعل العباد . وألزموا العبد الخوف فى كل حال أحسن أم أساء ولم يجعلوا لأفعاله فى المخافة تأثيرا .

ورد قوم ـ ومن ألسنتهم ابن القيم ـ بأن ذلك ينفى السبب والحكمة واتهم أولئك بقله النصيب من المعرفة بالله وكمال حكمته واستند الى قول على بن أبى طالب ـ كرم الله وجهه : لايرجون عبد الا ربه ولايخافن الاذنبه فجعل ابن أبى طالب الرجاء متعلقا بالرب سبحانه لأن رحمته من لوازم ذاته واما الخوف فمتعلق بالذنب وهو سبب المخافة ، حتى لو قدر الله على العبد أن لايذنب ابدا لم تكن مخافة أبدا .

على انه ليس معنى ذلك ان مشيئة الله تتبع العبد مطيعا وعاصيا فان العبد مهما أطاع فانه يعجز عن الوفاء بما فرض عليه من الطاعات ففوزه بالثواب انما هو صدقة وفضل لايكافئهما عمل ولا يساويهما اجتهاد .

والأثر الذى يقول « ان رحمة الله سبقت غضبه » لايعنى سبق زمان بل سبق سبب وتعلق ، فالرحمة من لوازم ذاته القديمة وأما الغضب فمتعلق بأسباب تأتى من العبد فتستوجبه ، ولذا فقد جلت الرحمة عن الزمان ولم يجل عنه الغضب لأن مصدره متعلق بالزمان .

وليس الغضب الذى ينسب الى الله فى مقابل الرضا الا مجازا يراد به عقابه ، أما الغضب الذى هو اهتياج الطبع واحتدام الغيظ ثم هو ينطفى ببرد الرضا وعواطف الحلم فليس الا من صفات المخلوقين .

وقالوا ان الخوف مايزال صاحبا فى الدنيا وموقف الحساب أما فى الجنة فهل يزول أو لايزول ؟ أما زواله عن الآمن فلأن الجنة ليست دار سعى وعمل ولا فرائض وتكاليف وانما هى دار نعيم وجزاء ويقولون فى ذلك : ان الله لايجمع على عبده مخافتين ، فمن خافه فى الدنيا أمنه يوم القيامة ومن أمنه فى الدنيا ولم يخفه اخافه فى الآخرة .

ولكن الذى لاشك فيه أنه يبقى من الخوف المهابة لأنها تتعلق بالذات والذات أبدا على حالها من الجلال والاكرام .

ويرى أهل التصوف أن الناس من الخوف والرجاء أهل بداية وأهل وسط ونهاية ، أما أهل البداية فلهم تغليب جانب الخوف وأما أهل الوسط فهم الذين يتعادل فيهم الخوف والرجاء ويستويان وأما أهل النهاية فهم الواصلون الذين يغلب عليهم جانب الرجاء فلايرون لأنفسهم فعلا ولا تركا ، ان فعلوا قربة رجوا وان ارتكبوا ذنبا رجوا . كأيوب النبى الذى يعج كتابه بفلسفة التوكل فلم ير لنفسه فعلا ولاتركا وظل راجيا شاكرا يقول : الله أخذ والله اعطى .

ومن غير استخفاف بمذاقات العارفين من أهل التصوف ، أولئك الذين ساووا بين الوعد والوعيد واستلذوا العقاب كالثواب فانه لم يختلف عليهم المختلفون الا لأن هؤلاء نظروا الى الذات فرأوا انها تبتلى بالنعمة والعذاب فكان كلاهما عندهم مرضيا أما مخالفوهم فنظروا الى العباد فرأوا أن يلتزموا التفريق لئلا تشملهم رعونة المحبة وبالنسبة لجماعة الناس فان انكار الوعيد تمرد وانكار الوعد تدلل وكلا الأمرين من التمرد والتدلل انعكاس لمرض داهم تتخبط النفس فى أوجاعه ، فاذا آن للنفس ان تنهض من الانهيار والتهافت عادت الى ايمانها من غير حرد أو عناد .

مشرق النور :

وانما يشرق النور فى قلب أقامت به مشاعر الخوف والرجاء وامتزجت فلم يعد للنفس من قدرة على ان تستنقذ واحدا من الآخر كانهما

السالب والموجب فى النواة ان افترقا تحطمت وان اتفقا التحمت ودارت فيها صفة الحياة .

وفى حسن الظن بالله يمتزجان ، لأن من حسن الظن به الحذر من معصيته والفزع من عقابه ثم الاقبال عليه والاجتهاد فى طاعته . وفى الظن الحسن بالله لاينفك الرجاء الحق عن الخوف الحق وقد اجمل الصوفية ذلك فى قولهم : الرجاء كله لأهل الخوف لا للآمنين والخوف كله لأهل الرجاء لا لليائسين .

ويتحقق كيان المحبة فى شغاف من مخافة الاحتجاب ورجاء القرب وليس للمحبة مكان فى غير القلوب ، فاذا خلت منها أظلمت وعطبت ، والمحبة من غير جناحيها لا تكون وقديما قالوا : من عبد الله بالحب وحده فهو زنديق ومن عبده بالخوف وحده فهو حروري ومن عبده بالرجاء وحده فهو مرجئ ، أما من عبده بالحب فى خوف وفى رجاء فهو صاحب الايمان .

وقد قال علي لرجل : كيف انتم ؟ قال : نرجو ونخاف فقال علي : من رجا شيئا طلبه ومن خاف من شيء هرب منه . ما أدرى ما خوف رجل عرضت له شهوة فلم يدعها لما يخاف وما أدرى مارجاء رجل نزل به بلاء فلم يصبر عليه لما يرجو . فجمع علي بما قاله محبة الله فى الكف عن الاشتهاء والصبر عند البلاء

وقد جمع القرآن كل هذه المقامات فى قوله سبحانه وتعالى « أولئك الذين يدعون يبتغون الى ربهم الوسيلة أيهم أقرب ويرجون رحمته ويخافون عذابه ان عذاب ربك كان محذورا » فحيث كان الرجاء والخوف طريق أوليائه كانت الوسيلة محبته الداعية الى التقرب منه . وبهذه المقامات يجتمع القلب على الطريق ويصدر عنه دعاء الأوابين .

والمخافة الراجية شرط فى الايمان أو هو شرط فيها أو هما متلازمان ويزيدهما العلم بالله قوة واستمكانا . وليس اخوف من الله وأرجى له الا من علم به وهو سبحانه يثنى على العلماء به قائلا « انما يخشى الله من عباده العلماء » ويثنى على اقرب عبادة اليه فى قوله عن انبيائه « انهم كانوا يسارعون فى الخيرات ويدعوننا رغبا ورهبا »

ومهما أطاع العبد وتبتل فليعلم انه على مخطرة فلعل حائلا يحول بينه وبين التوبة فلا يجد مناصا من العقاب . وما من قلب الا وهو بين اصبعين من أصابع الرحمن فان شاء أقامة وان شاء ازاغة .

وحسب الحذر أن يعلم قوله سبحانه « واعلموا ان الله يحول بين المرء وقلبه » وان يعلم أنه — صلى الله عليه وسلم — كان اكثر ما يكون قسمه ويمينه أن يقول الا ومقلب القلوب الا ومقلب القلوب .

وعز سبحانه عن مقالة التجسيم والتمثيل وانما الاصبعان — كما قال الشريف الرضى هما الحسنتان : معرفة القلب بخالقه ورازقه والغبطة بتحسين الخلق وتوسيع الزرق فاذا استنار القلب اقبل شاكرا واذا اظلم ادبر منكرا .

والذين نظروا الى طريق الأبدية فرأوه مظلما وعرا فقطعوا عنه طرائق الدنيا وعكفوا على مادتها وحدها ليرتفعوا بدنيا الانسان لم يستطيعوا ان يخترعوا لطرائق الدنيا احمالا خفيفة بل لم يزالوا يحملون الكواهل احمالا مبهظة واعباء مضنية ولم يفعلوا شيئا سوى ان نزعوا جناحا من القوة واوصدوا فى وجه الانسان مرأى اخيلة الأبدية التى تثور لها الهمم وتمتد الآمال وتستقيم الخطا وتنعم الروح وليس من دليل دامغ واحد على انها لا تكون .

ولكن مهما فتن المؤمن لينزل عن آرائه فى وصل هذه الحياة بالأبدية فانه عند أمر كلى لايقبل التجزئة ولا الانفصال . انه ليس جوهر قصة الانسان الشاملة وحسب ولكنه حكمتها البالغة التى كان شطرها سبق النفس الى ادراك المحسوس وشطرها الثانى اندراج نور العقل واشراقه واتصاله ببهجة الروح

والبعد الذى يشبه الفرار من الاعتراف بهيمنة الألوهية أو التهجم على أرادتها فلايكون خوف ولا رجاء ولا محبة فانما هو عبث وضلال اما الذي لابد منه لفطرة الايمان التى لاتغلب ولاتقاوم فالخوف من الله خوفا يستوجب خوفا مقترنا بالسكينة والمحبة وهو غير خوف المسيء المقرون بالوحشة والنفرة لأنه خوف الهارب من الله والمعاند المكابر المعتدى على فطرة الايمان .

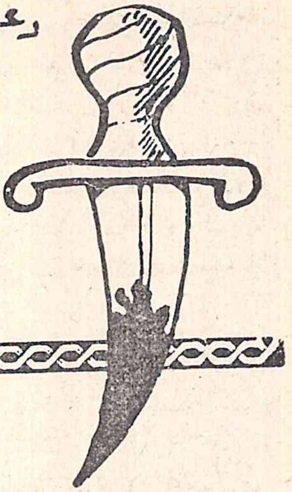

دعوة الميثاق الى تعديل القوانين دعوة حق

حول جرائم الأخلاق فى الشريعة والقانون

المستشار. أحمد موافى

تختلف نظرة القوانين الوضعية الى الزنا الذى هو أخطر جريمة خلقية عن نظرة الدين اليه فهو فى الدين أوسع معنى منه فى القانون لان معناه ديانة كل اتصال محرم بين رجل وامرأة سواء كان أحدهما أو كلاهما متزوجا أو غير متزوج فهو يقع من رجل متزوج مع امرأة متزوجة أو غير متزوجة كما يقع من رجل غير متزوج مع امرأة متزوجة أو غير متزوجة أما فى القانون فمعناه خيانة العلاقة الزوجية ومن ثم فلا يتصور وقوعه الا مع قيام الزواج بان يتصل رجل متزوج بامرأة ليست زوجته سواء كانت متزوجة أوغير متزوجة فيعتبر زانيا لأنه خان زوجته ومن باشر الاثم معها تعتبر شريكته فى جريمته أو أن تتصل امرأة متزوجة برجل ليس زوجها سواء كان متزوجا أو غير متزوج فتعتبر زانية لأنها خانت زوجها ومن باشرت معه الاثم يعتبر شريكا لها فى جريمتها وقد اختلفت القوانين الوضعية بشأن تلك الجريمة وذهبت فى ذلك مذاهب ثلاثة :

مذهب اعتبر الخيانة الزوجية عملا غير مؤثم شأنه شأن العلاقات الأخرى الآثمة التى تقع من غير المتزوجين (كالقانون الانجليزى والقانون الروسى)

ومذهب اعتبرها جريمة معاقبا عليها دون ان يفرق بين جريمة الزوج وجريمة الزوجة سواء من حيث الأركان المكونة للجريمة او من حيث العقوبة المقررة لها (كالقانون الالمانى)

ومذهب ثالث اعتبرها جريمة مع التفرقة بين الزوجة والزوج سواء من حيث العناصر التى تتم بها الجريمة أو من حيث العقوبة المقررة لكل منهما فجريمة الرجل لا تكتمل اركانها الا اذا وقعت الخيانة فى منزل الزوجية اما ان وقعت خارج منزل الزوجية فلا يقع بها اثم .

ومن القوانين التى نحت هذا النحو القانون المصرى الذى نقل عن القانون الفرنسى ولم تختلف جريمة الزوجة عن جريمة الزوج فى هذا القانون فى الأركان المكونة للجريمة فحسب وانما اختلفت فيه العقوبة المقررة لكل منهما اذ هى بالنسبة للزوج لاتزيد مدة الحبس المقررة للعقوبة عن ستة أشهر فى حين ان هذه المدة تصل فى جريمة الزوجة الى سنتين

وهى تفرقة صارخة بين الرجل والمرأة وخروج لامبرر له على المبدأ العام الذى يوجد بينهما فى المسئولية والعقاب ولعله من الطريف ان نشير الى ماكان عليه حكم القانون قبل التعديل سنة ١٩٣٧ (فقد كان يشترط فى جريمة الزوج ان يكون الفعل مع امرأة أعدها الزوج لذلك — وهى التى تسمى بالخليلة أو العشيقة — وان يباشر الفعل معها اكثر من مرة حتى تستوفى الجريمة أركانها كما كان يجيز معاقبة الزوج بالغرامة لاتزيد على عشرة جنيهات وهذا يعنى فى وضوح ان الزوج كان يفلت من كل عقاب اذا زنى خارج منزل الزوجية ويفلت من كل عقاب اذا زنى داخل منزل الزوجية بامرأة ليست خليلة أوعشيقة

أو اذا حصل منه الفعل مع عشيقته داخل منزل الزوجية مرة واحدة وتعدد النساء واستبدال الواحدة منهن بالأخرى أمر فرض القانون فيه الا تتأذى الزوجة منه أو تحاسب زوجها عليه •

ولما تأذت الانسانية من هذا الاستهتار ومن ذلك المجون وتحركت الاقلام وعلت الصيحات حصل التعديل ولكنه لم يكن كافيا ولم يأت على كل عيوب التشريع فألغى بعضها وابقى على بعضها الآخر الغى قيد الخليلة فأصبح الزنا مع الخليلة كالزنا مع غيرها — والغى شرط التكرار فأصبحت الجريمة تقع بمجرد ارتكاب الفاحشة ولو مرة واحدة — والغى عقوبة الغرامة ولكنه ظل مصرا على ضرورة وقوع الفاحشة بمنزل الزوجية حتى تكتمل عناصر الجريمة واستمر التصريح الممنوح قانونا للزوج باباحة الزنا خارج منزل الزوجية قائما وبقيت عقوبة الحبس لا يزيد حدها الأقصى على ستة أشهروظل القانون — رغم التعديل على حاله من عدم التسوية بين الرجل والمرأة تلك التسوية التى تعتبر اساسا فى كل تشريع جنائى • وقبل الرجل — وهو الذى وضع أحكام القانون والذى فرض فيه أن يكون مثلا تحتذى به المرأة ان يكون فى ذلك المستوى من الانحلال والفساد •

على أنه رغم كل ذلك فمما لاشك فيه أن ثمة حقيقة واضحة امامنا لاتقبل التأويل وهى أن القانون — حتى بذلك التعديل القاصر الهزيل خطا خطوة بطيئة نحو الفضيلة وتحول من طريق الفوضى والانحلال نحو طريق الحق والنور او فى عبارة اخرى نحو المبادىء التى تقرها أحكام الشريعة الاسلامية لأن الشريعة الاسلامية كما هو مسلم به من الكافة تقوم احكامها على الفضيلة مجردة عن الغرض والهوى وقيد الخليلة الذى الغاه القانون لاتقره الفضيلة وبالتالى لاتقره الشريعة الاسلامية وقيد التكرار الذى الغاه القانون لاتقره الفضيلة ومن ثم لاتقره الشريعة الاسلامية وعقوبة الغرامة التى الغاها القانون لاتتناسب مع خطورة الجريمة ولا مع مبادىء الفضيلة أو مبادىء الشريعة الاسلامية والآن وقد تطور المجتمع تطورا جديدا وسار فى طريق الفضيلة والمثالية ودعا ميثاقه الوطنى فى صراحة تامة الى ضرورة تعديل القوانين تعديلا شاملا وهو أمر طبيعى يتمشى مع حقيقة زوال الاستعمار لأنه بزواله زال كل أثر له فى مجتمعنا المتحرر سواء كان هذا الأثر سياسيا أو اجتماعيا أواقتصاديا لم يعد بدمن أن يزول كل أثر تشريعى للاستعمار من حياتنا وأن تكون تشريعاتنا نابعة من صميم بيئتنا ومجتمعنا •

وقديما قام الحكم — ابان الاستعمار على الرذيلة والفساد وانعكست هذه الحقيقة على الاحكام التى صيغت لجرائم الاخلاق وهى جرائم لا تقل خطرا عن جرائم الاعتداء على النفس أو جرائم الاعتداء على المال فصيغت لها أحكام تافهة تعبر عن الفوضى والانحلال •

لم يكن عيب التشريع مقصورا فى جرائم الاخلاق على جريمة الزنا التى يرتكبها الزوج واشتراط القانون لاكتمال اركانها ان تقع فى منزل الزوجية وانما فيه حالات اخرى كثيرة نكتفى منها بالاشارة الى جريمتين أخريين •

الجريمة الأولى — جريمة هتك العرض اذا وقعت بالرضا وهى التى نصت عليها المادة ٢٦٩ من قانون العقوبات — ويدخل فى مدلولها الزنا من غير الأزواج فاذا زنا رجل بامرأة ولم يكن احدهما زوجا للغير لايعتبر فعله فى القانون زنا وانما يعتبر هتك عرض•

وهتك العرض على هذه الصورة — أى فى حالة حصوله بالرضا لا يعتبر فى القانون عملا مؤثما الا اذا وقع على قاصر لم تتجاوز سنه الثامنة عشرة فان تجاوزت هذه السن فلاإثم على فاعله وفى عبارة أخرى فرض القانون حماية الأعراض حتى بلوغ الثامنة عشرة أما بعد بلوغها فيكون الشخص حرا فى عرضه مع انه يعتبر قاصرا ما يزال بالنسبة لتصرفاته المالية التى لاتنعقد صحيحة الا ببلوغه الحادية والعشرين وهى مفارقة عجيبة من القانون ظاهر منها انه كان بما وضعه من أحكام اكثر حرصا على المال منه على العرض أى ان المال كان عنده أغلى من العرض فحرص على حمايته وصيانته لحين بلوغ الحادية والعشرين وترك العرض مباحا منذ الثامنة عشرة مع انه من غير

المستساغ فى مجتمعنا المتطور ان نقول للشخص حذار أن تتصرف فى مالك قبل بلوغ الرشد لانك قبل بلوغه مشمول بالوصاية ونتركه وشأنه يتصرف فى عرضه ودون رقيب أو حسيب قبل بلوغ تلك السن والا يكون من اثم عليه أو على المعتدى عليه حتى ولو كان ثمرة الأثم جنينا تحمله الفتاة فى احشائها أو وليدا تأتى به الى أهلها .

والعجيب ان القانون قبل سنة ١٩٣٧ كان لايحمى الاعراض الا لسن السادسة عشرة وتلقاء صيحات دعاة الاصلاح رفعت هذه السن الى الثامنة عشرة وظل القانون رغم التعديل القاصر على حاله من الابقاء على ذات المقياس وهو النظر الى المال نظرة أغلى من العرض واصبح فى اعناقنا ان ننبه الى ان حكم القانون فى هذا الشأن لم يعد يتناسب مع الفضيلة وبالتالى مع احكام الشريعة المجردة عن الغرض والهوى وانه بات لزاما على المشرع ان يتناول احكام هذه النصوص بالتعديل والتغيير تغييرا يتفق مع مبادئنا الجديدة ومجتمعنا المتطور .

على انه رغم كل ذلك فمما لاشك فيه ان القانون بهذا التعديل القاصر الهزيل خطا خطوة بطيئة نحو تحقيق المبادىء التى تقوم عليها احكام الشريعة الاسلامية حين أثم افعالا لم تكن مؤثمة قبل التعديل .

الجريمة الثانية ـ جريمة الاعتياد على ممارسة الدعارة التى يحكمها القانون رقم ١٠ لسنة ١٩٦٠ وهى الجريمة التى تقوم بالنسبة للمرأة لا على اساس الرغبة فى اشباع اشتهائها الجنسى وانما تقوم على اساس السعى وراء الكسب فتتقدم نفسها من الناحية العرضية لكل من يطلبها دون تمييز بين شخص وآخر أو فى معنى آخر هى التى تنزل جسدها منزلة السلعة فلا ترد يد لامس مادام يدفع لها المقابل .

وهذه الجريمة لاتكتمل أركانها فى القانون الا بالاعتياد على ممارستها (المادة ٩ فقرة ٣) والاعتياد قانونا يتم بإباحة الجسد مرتين على الأقل والرأى منعقد بين رجال القانون على أن الاعتياد على الدعارة لايرجع الى مجرد تكرار ارضاء شهوة الغير انما يرجع الى تكرار المقابلة أو المناسبة التى تم فيها هذا الارضاء فلا يعتبر اعتيادا اذا أرضت امرأة شخصا واحدا اكثر من مرة فى مقابلة واحدة حتى ولو طالت فترة تلك المقابلة اياما كذلك يشترط القانون لاعتبار المرأة عاهرة ان يكون تفريطها فى عرضها بأجر ، أما تلك التى تفرط فى عرضها وتحصل على لذتها الجسدية بدون مقابل فلا تعتبر عاهرة فى نظر القانون

ورغم ان الدعارة ظاهرة تخضع لعنصرى العرض والطلب فقد عالجها القانون من جانب واحد فقط هو جانب العرض دون جانب الطلب فالمرأة العاهرة التى تعرض نفسها بمقابل اكثر من مرة يعاقبها القانون والرجل الذى يطلب عرض المرأة بمقابل أكثر من مرة لايعاقبه القانون مع ان الدعارة مرض اجتماعى اذا اريد القضاء عليه كان من الواجب أن نعلن الحرب عليه من الجانبين معا جانب الطلب وجانب العرض ـ وهذا عيب يضاف الى عيب اشتراط التكرار واشتراط ان يكون البذل بمقابل ـ وهى شروط لامحل لها اذا كان الغرض من تأثيم الدعارة هو حماية المجتمع وصيانة الفضيلة .

واذا لم يكن بد من تعديل احكام القانون فلا مناص من الغاء اشتراط المقابل عند البذل والغاء اشتراط التكرار فى الفعل وجعل الطلب مساويا للعرض فى التأثيم .

واذا رأينا انه لم يعد مستساغا ان تختلف جريمة زنا الزوج عن جريمة زنا الزوجة وانه لم يعد مستساغا ان ينظر القانون الى المال نظرة أغلى من العرض فانه لم يعد مستساغا كذلك ان تقوم الدعارة على التكرار والكسب والعرض (دون الطلب)

على انه رغم كل ذلك فمما لاشك فيه ان القانون بما اتى به من احكام قاصرة هو اتجاه منه نحو حماية الفضيلة أو فى عبارة اخرى هو اتجاه منه نحو الطريق الذى رسمته الشريعة الاسلامية لهذا النوع من جرائم الاخلاق .

وهكذا رأينا القانون الوضعى لم يجد بدا من الاتجاه تدريجيا نحو احكام الشريعة الغراء وذلك حين الغى فى جريمة زنا الزوجة

البقيه ص٣٢

عود على بدء

فضيلة الشيخ عبد الجليل عيسى

لم نقصد فيما ينشر لنا فى هذه المقالات الا اغلاق باب الخلاف العنيف بين المسلمين فيما ليس من عقائدهم

- ٩ -

هذه عظمة الرسول الأكرم شامخة

علمت مما تقدم ، فى المقال السابق ، ما لاحظه العلماء ، فى روايات «الاسراء والمعراج» وقبل المضى فى تحقيق الموضوع ، أقول :

اننى عندما وصلت الى هذا القدر ، من تحقيق هذا الموضوع . شعرت كأن هاتفا يقول ومالنا لانترك عوام المسلمين ، واشباههم من المثقفين ، يشبعون نهم عواطفهم المحمة ، بما **يقال عن نبيهم ، من كل ما فيه اشاده بعظمته أو رفع لمنزلته ، صلى الله عليه وسلم ؟**

فرأيت انه من الواجب ، أن أوضح ما الجأنى الى ما سلكته فقد وجدت نفسى . بين أمرين ، لاثالث لهما

الأمر الأول : هو العمل الجاد المثمر فى الاسهام لجمع طوائف المسلمين على كلمة سواء هى التجمع حول المتفق عليه ، والتلاقى عنده فى صفاء شامل ، واخوة حانية

ثم نترك ماوراء ذلك ، من الخلافات الفرعية التى لاتمس العقيدة ، فلكل أحد أن يعتقد ما يشاء . أو ان يفعل مايراه ، وهذا هو الواقع الذى حملنى ، على اخراج كتابى (ما لايجوز فيه الخلاف بين المسلمين) .

الأمر الثانى : هو الحرص على أمور ، حاك اكثرها حول الرسول ، صلى الله عليه وسلم ، **خيال محب غافل ، أو عدو ماكر ، يريد صرف الأنظار عن مصدر العظمة الحقة ، التى تغنى الأجيال ولا تفنى .**

فوازنت بين الأمرين ، وفكرت فى ايهما أصلح للمسلمين ، وأقرب الى رضاء رب العالمين فرأيت أن أقف بجانب الرأى الأول لأسباب .

منها : ان القرآن حذر كثيرا من تفرقة كلمة المسلمين ، فقال تعالى :

« ولا تكونوا كالذين تفرقوا واختلفوا من بعد ماجاءهم البينات وأولئك لهم عذاب عظيم» آية ١٠٥ من سورة آل عمران ، وقال سبحانه «ان الذين فرقوا دينهم وكانوا شيعا لست منهم فى شىء آية ١٥٩ من سورة الانعام ، وقال جل شأنه : « ولاتنازعوا فتفشلوا وتذهب ريحكم » أية ٤٦ من الانفال ، وقال عزوجل « واقيموا الصلاة ولاتكونوا من المشركين . من الذين فرقوا دينهم وكانوا شيعا كل حزب بما لديهم فرحون) فى آيتى ٣١و٣٢ من سورة الروم، وقال تبارك وتعالى : « .. ان اقيموا الدين ولا تتفرقوا فيه كبر على المشركين ما تدعوهم اليه

الله يجتبى اليه من يشاء ويهدى اليه من ينيب وما تفرقوا الا من بعد ماجاءهم العلم بغيـا بينهم » فى آيتى ١٣و١٤ من سورة الشورى

وبين الرسول صلى الله عليه وسلم ، خطر الخلاف بين المسلمين وأكده بقوله « **افترقت اليهود والنصارى الى ثلاث فرق ، وستفترق أمتى الى سبعين فرقة ، كلهم فى النار ، الا واحدة ، قالوا : وما هى يارسول الله ؟ قال :** هى ما أنا عليه واصحابى . يريد صلى الله عليه وسلم بهذه الفرقة الناجية ، من تكون على ما هو عليه وأصحابه من تعاليم الشريعة الحقة ، وسعة الصدر ، مع المخالف فى غير المقطوع به والمعلوم من الدين بالضرورة

وبذلك اكون قد سلكت ما يرضى الله سبحانه ، وتقربه عين نبيه صلى الله عليه وسلم (ومنها) أن عظمة الرسول صلى الله عليه **وسلم ، أثبت واسمى ، من ان ينال منها حاقد أو جاحد ، لأن الذى بناها له ، القادر الذى بنى السبع الطباق ، وستبقى شامخة مشرقة ،** يملأ ضوءها الآفاق ، ويعشى عيون المكابرين ، فهى فى غنى عن استجداء مجد متصيد من هنا ومن هناك ، معتمد على جذوع خاوية وخيوط واهنة ، يمزقها واهى النسيم ، وهل يرجو مسلم عاقل ، آية لصدقه ، أدوم وأقوى ، مما **ذكره الله فى الرد على من قالوا : « لولا أنزل عليه آيات من ربه « قال : أو لم يكفهم أنا أنزلنا عليك الكتاب يتلى عليهم ان فى ذلك لرحمة وذكرى لقوم يؤمنون »** آية ٥١ من سورة العنكبوت ، بعد ان تحداهم به ، ولم يأتوا ولو بسورة واحدة منه ؟

ثم أى عظمة نرجوها لنبى ، بعد ما سجل له ربه فى كتاب الخلود من قوله تعالى : «وما أرسلناك الا رحمة للعالمين » آية ١٠٧ من سورة الأنبياء ، ومن قوله سبحانه : « وانك لعلى خلق عظيم » آية ٤ من سورة القلم ؟ومن قوله عز شأنه « ورفعنا لك ذكرك » آية٤

من سورة الشرح ؟ الم يأمر سبحانه **كل** متشهد فى صلواته ان يتلو **اسم محمد** رسوله ، صلى الله عليه وسلم ، **بعد اسمه** تعالى ، كل يوم فى فرضه ونفله ، **مرات** كثيرة العدد بأن يقول فى تشهده : **اشهد** ان لا اله الا الله ، وأشهد ان **محمدا رسول** الله ؟ ومن هذا نعلم ان الله **سبحانه ، لم يقبل من عبده المؤمن ، مجرد اعتقاده لمعنى كلمتى الشهادة فقط ، بل أوجب عليه انينطق بهما مكررتين ، كل يوم وليلة ، على الوجه السابق**

وأروع من ذلك الاقتران ، أن يأمر الله سبحانه أيضا ، كل مؤذن أن يذكر اسم محمد ، بعد اسمه تعالى خمس مرات فى اليوم والليلة ، فوق رءوس الأشهاد ، ومن فوق أعلى مكان ، فى كل بلاد المسلمين ، شرقا وغربا ، **يدوى صوته باسم محمد ، واسم رب محمد . دويا عاليا : (الله اكبر ، الله أكبر ، أشهد ان لا اله الا الله ، أشهد أن محمدا رسول الله**

ولقد قال فى ذلك حسان بن ثابت :

وضم الاله اسم النبى الى اسمه
اذا قال فى الخمس المؤذن اشهد

وقال غيره :

الم ترأنا لايصح اذاننـا
ولا فرضنا اذ لم نكرره فيهما ؟

وأدرك ذلك العربى الصميم ، الذى يفنى ماله كله فى سبيل الحصول على ذكروصيت لايقاس بهذا ، فقد قال لما سمع المؤذن لأول مرة

هذا هو الفخر لاقعبان من لبن
شيبا بماء فصارا بعد ابوالا

ومن هذه العظمة ، ماجاء فى قوله تعالى : لنبيه صلى الله عليه وسلم : **قل يأيها الناس انى رسول الله اليكم جميعا الذى له ملك السموات والأرض ، لا اله الا هو يحيى ويميت ، فآمنوا بالله ورسوله النبى الأمى ، الذى يؤمن بالله وكلماته ، واتبعوه لعلكم تهتدون »** آية ١٥٨ الأعراف

فخبرنى بربك ، أى تكريم لبشر عرفه العالم أجمع ، أعظم من أن يأمر الله سبحانه الناس

جميعا على اختلاف أجناسهم ، وأوطانهم ، ومنازلهم ، من ملوك ، وأمراء وعلماء . وغير أولئك ممن لايحصى لهم عد فى كل زمان ، الى ان تفنى الخلائق ، وتقوم الساعة ، يأمرهم سبحانه أن يكونوا تابعين لرجل أمى ، ماكان يتلو قبل رسالته من كتاب ، ولا خط بيمينه طول حياته كتابا ، وماذلك الا لينالوا باتباعه سعادة الدارين ، وشرف المنزلتين ، والا حق عليهم العذاب المهين نقول بعد كل ما تقدم من الحث على سعة صدر المسلم ، لأخيه المسلم . فيما يخالفه فيه ، مما لم يرد فيه نص قاطع ، ليعيشوا اخوانا متحابين ، نقول : اليس كان فى الامكان ، ترك بعض هذه الأشياء التى يراها البعض تزيد الناس تعلقا برسولهم الأكرم ، شائعة بين العوام واشباههم ؟ نقول : كان يمكن هذا ، لو كان هؤلاء يقفون عند حد أنها أمور ليست فى صلب العقيدة ، التى يجب على المسلم الايمان بها ، كما يجب عليه أن يترك كل من خالفه فيها حرا فى الأخذ بها ، أو عدمه ، ما دام يؤمن بما يجب الايمان به . ويؤدى ما أوجبه الله عليه ، ويبتعد عما نهاه عنه . نقول : كان يمكن ، لو وقفوا عند هذا الحد ، كما كان حال المسلمين ، فى الصدر الأول ، كما أسلفنا **ولكن الواقع الصارخ ، انهم لم يفعلوا ذلك فتعرضوا للوقوع فى خطرين ، كلاهما مر ، وضار بالمسلمين**

(أحدهما) أنهم جعلوا هذه الأمور مما **لاتصح عقيدة الايمان الا به ، وكفروا ، وفسقوا من لم يقل فيها كما يقولون ، وبذلك فرقوا كلمة المسلمين ، ومزقوا وحدتهم ، ولامصلحة فى هذا الا لأعداء الاسلام والمسلمين**

(وثانيهما) انهم وضعوا أنفسهم فى موضع الصيد ، الذى يسهل لخصوم المسلمين اقتناصه ، وبيان ذلك : ان خصوم المسلمين **كثيرون ، منهم الظاهر ، ومنهم المستتر تحت ثوب الاستشراق . أو البحث العلمى ، أوحرية** الفكر ، وهذا النوع الأخير ، هو ماابتلينا به **فى العهود الأخيرة واشتد سعاره بعد ان رفع الالحاد رأسه مستعينا ببريق علوم الدنيا ، على تحطيم كل العقائد وقد بلينا قبل ذلك** ببعض هذه الأنواع ، فكان خصم الاسلام المدثر بثوب الاستشراق ، يغشى المجامع العامة ، التى يكثر فيها العمال ، والصناع واشباههم ، ويحاول فتح باب الجدل فى نوعين بالأخص ،

الأول : الأمور التعبدية التى لامجال للعقل فيها ، فيسأل بعض من يتصدى له ، ممن يرى فيه رائحة التدين قائلا : ما هو السبب فى جعل صلاة الظهر ، وقت القيلولة والراحة ، أربع ركعات ، فى حين أن صلاة الصبح ، وهو وقت النشاط يجعل صلاته ركعتين ولم كانت صلاة المغرب ثلاث ركعات ؟ فلا هى أربع ولا هى اثنتان ؟ وما الى ذلك من الأمور التعبدية ولا سيما فى أعمال الحج ، كعدد مرات الطواف ، حول الكعبة ، ورمى الجمرات فى منى ، فالجدل فى هذه الأمور ، ضرورة انها تعبدية لايقف عند حد ، فكان أحسن رد عليه فى ذكر مثل هذه المواضيع ، ان قيل له : دعنا من هذه الأمور الفرعية ، ولننتقل الى اصل ما بنى عليه الاسلام ، وهو صدق الرسول وان هذا القرآن من عند الله

فلنحصر الكلام فى هاتين النقطتين فقط ، **فاذا أقمنا الدليل القاطع . على أن الرسول ، صلى الله عليه وسلم صادق وأن القرآن من عند الله قطعا ، لايستطيعه بشر ، وجب علينا ان نقبل كل ماجاء عنهما ، ولو لم تصل الى حقيقته عقولنا ، متى ثبت ان الله كلفنا بهافى كتابه ، أو على لسان رسوله . فيفحم الخصم ولا يستطيع الدخول فى هذا المجال**

والأمر الثانى الذى يسهل على الخصم ان يلجه : الأمور الخيالية ، أو العاطفية ، ككونه **صلى الله عليه وسلم ، ولد مختونا ، أوطافت به عند ولادته ملائكة السماء وغير ذلك مما لا يستطاع اقامة البرهان القاطع عليه ، الذى يسكت الخصم**

وقد نبهنا الله سبحانه ، الى اغلاق هذا الباب ، من التحايل على تضليل العوام بالدخول

فى جدل مفتوح النوافذ ، اذا أغلقت منه بابا فتح عليك منه أبواب ، نبهنا الله سبحانه فيما حكاه عن نبيه ابراهيم عليه السلام ، عندما جادله الكافر ، الذى وسع الله عليه ملكه ، وقال له ابراهيم ، ان ربى الحق ،هو الذى يحيى ويميت ، فقال الكافر : انا ايضا أحيى وأميت ودعا برجلين ، أمر بقتل احدهما وترك الآخر وقال : هاهو ذا الذى تركته ،صار حيا ، والآخر أمته ، فكان ممكنا لابراهيم ،أن يدخل معه فى جدل ، قد يخفى فهمه على بعض العوام ، بان يقول ان الله يحيى ، أى يبعث الحياة فى الجسم الذى لاحياة فيه ،كما فعل فى آدم أبى البشر ، وفى كل حى بعده وأما أنت فلم تفعل مثل هذا ، لان ترك الحى حيا ، لايقال له احياء ، كان ممكنا ان يقول له ابراهيم هذا ، ولكنه عمد الى الدليل المفحم ، الذى يلجم خصمه ، فلا يستطيع نطقا فقال :ان ربى يأتى بالشمس من المشرق ، فان كنت الها حقا ، فأت بها من المغرب ؟ (فبهت الذى كفر) آية ٢٥٨ من سورة البقرة

وفيما حكاه الله أيضا عن نبيه موسى ،عليه السلام ، لما قال لفرعون : « قد جئناك بآية من ربك » وأدرك فرعون أن جرأة موسى على هذا الموقف تدل على انه قوى الحجة ، فأراد صرفه الى أمور يسهل فيها الجدل ، فقال : فمن ربكما ياموسى فقال موسى : ربنا الذى اعطى كل شيء خلقه ثم هدى ، ٤٩و٥٠ من سورة طه قال فرعون ((فمال بال القرون الأولى؟ أية ٥١ من السورة يريد فرعون أن ينقل موسى الى أمور يمكن الجدل فيها ، فان كنت رسولا حقا ، فأخبرنى عن حال الأمم الماضية وماحصل لها ، فاذا دخل موسى فى هذا الجدل ، سهل على فرعون أن يقول : كل ما ذكرته غير صحيح ، ولكن موسى عمد الى ما يسكته وقال : أما حال القرون الأولى : فان علمها عند ربى ، لايعلمها أحد سواه وانما انا عبد مثلك ، لا أعلم الا ما علمنى ربى ، وفى هذا قال الله سبحانه : قال علمها عند ربى فى كتاب لايضل ربى ولا ينسى آية ٥٢ من السورة .

هذا وأمثاله مما دعانا ان نشدد فى وجوب تسامح المسلم مع أخيه فيما ليس من صلب العقيدة ولا هو ثابت بنص قاطع ، ليعيشوا فى اخاء شامل ، وصفاء كامل .

والله الموفق والمستعان

بقية ((دعوة الميثاق الى تعديل القوانين دعوة حق))

شرط الخليلة وشرط تكرار الفعل وحين حمى المجنى عليها فى جرائم هتك العرض برفع سن المجنى عليها من السادسة عشرة الى الثامنة عشرة وحين وضع احكام القانون رقم ١٠ لسنة ١٩٦٠ لتأثيم بعض افعال الدعارة

وحين يستجيب القانون الى دعوة المجتمع فيسوى بين المتزوج وغير المتزوج وبين جريمة المرأة وجريمة الرجل فى جريمة الزنا وبين الصغيرة والكبيرة فى جرائم هتك العرض وبين المحترفة بأجر وغيرها وبين من يعرض الرذيلة ومن يطلبها فى جرائم الدعارة يكون قد استجاب الى تقرير الحكم المثالى فى الشريعة الاسلامية ذلك الحكم الذى وضع القاعدة فى كلمتين هما ((الزانية والزانى)) فسوى فى سبيل حماية الفضيلة وبناء المجتمع تسوية مثالية بين الجميع – بين الرجل والمرأة والمتزوج وغير المتزوج والمحترف وغير المحترف واذ يستجيب القانون الى ذلك كله يكون فى الوقت الذى حقق فيه المثالية كما اقرتها الشريعة الاسلامية قد حقق دعوة الميثاق الى تعديل القوانين .

خواطر مستشار

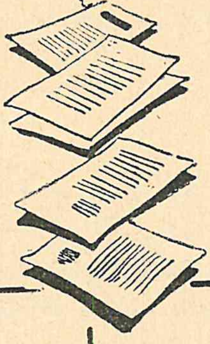

نظم الحكم والإدارة فى الإسلام

• مقارنات بين الشريعة الإسلامية والقوانين الوضعية حول السياسة الشرعية والقانونين الدستورى والإدارى

المستشار على على منصور

حملنا على ان تبدأ هذه الحلقة ، ما ذكرناه كتمهيد لمقال عدد ربيع الثانى سنة ١٣٨٦ يولية سنة ١٩٦٦ من أنه حين بدأ مجلس الأمة تشكيل لجنة تحضيرية لوضع ودراسة المبادىء العامة للدستور الدائم أبدى بعض أعضاء المجلس الرغبة فى أن تكون الشريعة الاسلامية هى المصدر للمبادىء العامة ، وان تكون كذلك المصدر الوحيد لجميع التشريعات التى تصدر فى هذه البلاد . وتحدثنا فى ذلك المقال عما سبق ان رددناه واتخذنا منه قضية طالما دافعنا عنها ودللنا على ان الشريعة الاسلامية بمختلف مذاهبها على سعة شاملة بحيث تستطيع كل دولة ان تجد فيها الحلول لجميع مشاكل الحياة وانها معين لا ينضب لكل ماتحتاجه الدول من تشريعات دستورية رئيسية وقوانين وضعية اصلية او فرعية ، لمواجهة احداث الحياة التى لاتنتهى ولمواجهة مشاكل الدول فى حالتى السلم والحرب

وتحدثنا ايضا عن ان الاسلام بشريعته ظل يحكم هذه البلاد منذ الفتح الاسلامى الى الآن . وان انشاء المحاكم المختلطة والمحاكم الأهلية فى أواخر القرن الماضى لم يقصد منه تنكب هذا الطريق . وقلنا ان القوانين الوضعية التى قننت لهما لم تكن الا تمشيا مع حركة التقنين التى بدأها نابليون فى أوروبا اذذاك وكان المقصود منها تجميع الأحكام والقواعد فى مواد مبوبة مرتبة تسهيلا للقضاة والمتقاضين ومنعا من تضارب الأحكام فى المسألة الواحدة وسقنا على ذلك العديد من الأدلة ومن بينها النصوص المتشابهة فى الدساتير المتتالية القائلة بان الاسلام دين الدولة الرسمى . ونفنيا ما ذهب اليه بعض فقهاء القانون الوضعى فى بلادنا من ان للدين المسيحى والدين اليهودى ولاية جزئية فى التشريع الوضعى للاحوال الشخصية . وقلنا اننا اذا تركناهم وما يدينون فى تلك المسائل فانما نتبع احكام الشريعة الاسلامية فى شأن الذميين . وانتهينا الى ان الولاية التشريعية العامة فى بلادنا هى للشريعة الاسلامية بحيث لو وجد القاضى نصا وضعيا يخالف حكما أصليا من أحكام الاسلام وجب عليه ان يهدره ولا يطبقه احتراما لقاعدة دستورية القوانين بحيث لايخالف الأدنى منها ما هو أعلى منه درجة .

وها نحن نتابع البحث فنقول :

انواع التشريعات وطريقة سن كل منها :

تنقسم التشريعات فى معظم الدول الى :

١ ـ التشريع الاساسى وهو الدستور

٢ ـ التشريع العادى ويسمى بالقانون

٣ ـ التشريع الاستثنائى وهو قانون

يصدره رئيس الدولة فى عطلة البرلمان للضرورة

٤ — التشريع الفرعى وتصدره السلطة التنفيذية أو أحد اعضائها ويسمى عادة باللائحة

ومن القواعد العامة لنظم الحكم الحديثة فى الدول الديموقراطية البرلمانية (دول الكتلة الغربية) ان يكون فى كل دولةسلطات ثلاث سلطة تنفيذية وسلطة قضائية وسلطة تشريعية وتتمثل السلطة التشريعية عادة فى جماعة من نواب الأمة ينتخبهم افراد الشعب ويتكون من هؤلاء النواب اما مجلسين مجلس النواب ومجلس الشيوخ ، واما مجلس واحد يسمى مجلس الأمة وتختص السلطة التشريعية عادة بسن القوانين

ونبادر فنقول ان الاسلام وسع على الدول والشعوب وكل ما أوجبه ان يقوم الحكم على الشورى بين الحاكمين والمحكومين ، أما كيفية تنظيم هذه الشورى وكيفية مراقبة الشعب لحكامه فتركه لكل دولة ترخص فيه بحسب ظروف الزمان والمكان

والجمهورية العربية المتحدة اضافت الى السلطات الثلاث التقليدية سلطة رابعة نص عليها الميثاق هى الاتحاد الاشتراكى الممثل لجميع قوى الشعب باعتبار أن الشعب هو مصدر السلطات جميعها • وهذا الاتحاد الاشتراكى وفق تشكيلاته الحالية يشمل جميع الهيئات من القاعدةالى القمة • ولابدفى الدستور الدائم أن يحدد وضع ومهمة كل سلطة من السلطات الاربعة

والدستور هو رأس التشريعات وقمتها ، ولما له من الأهمية جرت العادة على أن لاتضعه السلطة التشريعية ، وانما تضعه جمعية تأسيسية كبرى واذا وضعه مجلس الأمةوجب ان يعرض على الشعب للاستفتاء العام •ووجب ان ينشر قبل الاستفتاء للدراسة والنقد •وقد يكون الدستور منحة من الملك بحيث يمكنه سحب هذه المنحة وقد يكون وليد اتفاق بين الملك والشعب أثر ثورة

والدستور أهم تشريع فى الدولةويهيمن على مادونه من تشريعات بحيث لايصح أن يصدر قانون أو لائحة مخالفا للدستور • وتعديل الدستور لايحصل الا نادرا وبالطريقة التى ينص عليها فيه احتراما له ورغبة فى استقرار نظم الحكم فى الدولة •

موضوعات الدستور :

ويحتوى الدستور عادة على بيان شكل الدولة ، ويحدد السلطات التى تتكون فيها ، ونوع الحكم ، والحقوق والواجبات الاساسية التى للافراد أو عليهم ومن أهم موضوعاته :

١ — شكل الدولة وهو بيان ما اذا كانت موحدة كانجلترا وفرنسا مثلا ، او متحدة كأمريكا وسويسرا وروسيا

٢ — السلطات المختلفة فى الدولة من تنفيذية الى قضائية الى تشريعية ويضيف الميثاق اليها الاتحاد الاشتراكى

٣ — اما نوع الحكم فى الدولة فقد يكون ملكيا أو جمهوريا ديموقراطيا أو مطلقا ، كما فى الدكتاتوريات الفاشية والنازيةوالشيوعية

٤ — أما حقوق الأفراد وواجباتهم فتردفى الدساتير تحت عنوان الحريات العامة وتقسم عادة الى قسمين رئيسيين ا — الحريةوتشمل حرية التراث أى الحرية الشخصية ، وحرية التملك ، وحرية المسكن وحرية الرأى ،وحرية العقيدة ، وحرية الاجتماع وحرية التعليم • ب المساواة وتشمل المساواة أمام القضاء ، والمساواة فى التوظف ، والمساواة فى التكاليف العامة من ضرائب وخلافه

ولقد فصلنا هذه الحريات فى الاسلام وبيننا انها اوفى واسبق من جميع الدساتير الوضعية فى كتابنا نظم الحكم والادارة فى الشريعة الاسلامية والقوانين الوضعية من ص ٥٤ الى ص٧٠ بالدار القومية للطباعة والنشر

وعددنا من قبل الدساتير الوضعية التى صدرت فى مصر منذ سنة ١٨٨٢ ودستور سنة ١٩٢٣ ودستور سنة ١٩٣٠ فى ظل الملكية والاعلان الدستورى عند قيام الثورة سنة ١٩٥٢ ثم دستور الجمهورية المصريةسنة

١٩٥٦ ودستور الجمهورية العربية المتحدة سنة ١٩٥٨ والدستور المؤقت فى مارس سنة ١٩٦٤

صلة الأديان بالقوانين :

القانون فى نظر الفقهاء هو مجموعة القواعد التى تنظم حياة الأفراد ونشاطهم فى جماعة ما تنظيما يحقق الخير للفرد ويكفل التقدم للجماعة ، ويجب على الكافة احترام تلك القواعد والاقامت السلطة العليا فى تلك الجماعة بارغام الناس قسرا على ذلك بعقوبات مادية

ويقول فقهاء القوانين الوضعية ان القواعد القانونية مهما تغلغلت فى جميع نواحى الحياة للافراد وأحاطت بتصرفاتهم ، فانها لاتستأثر وحدها بتنظيم سلوك الافراد فى المجتمع وانما يشاركها فى ذلك قواعد اجتماعية اخرى منها ، قواعد الأخلاق ، وقواعد المجاملات ، وأوامر الدين . ويرتبون على ذلك ان الجزاء على مخالفة القاعدة القانونية مادى توقعه السلطة العليا فى الدولة كالحبس والسجن والغرامة فى حين أن الجزاء على مخالفة القاعدة الخلقية معنوى هو تأنيب ضمير المخالف او ازدراء الجماعة له . أما الجزاء فى رأيهم على مخالفة أوامر الدين ففضلا عن انه غير مادى فليس بدنيوى وانما هو عذاب فى الآخرة غير معروف كنهه يتهدد الدين به من يخالفه

وأساس هذه النظريه تعريفهم اوامر الدين (بأنها مجموعة القواعد التى يعتقد الأفراد أنها منزلة عليهم من الله تعالى عن طريق الرسل ليلتزموا طاعتها وتعنى هذه القواعد بتنظيم علاقة المرء بربه ثم واجب الفرد نحو نفسه، وواجبه نحو الناس . ولا تختلط أوامر الدين بقواعد القانون الا فيما تضعه من أحكام لتنظيم علاقة الانسان بغيره من الناس ، لوحدة الغرض بينهما وهو تنظيم الحياة الاجتماعيه. ومع ذلك ففى هذه الدائرة تفترق أوامر الدين عن قواعد القانون فى أن الجزاء الذى يهدد المخالف لها هو العذاب فى الآخرة بينما جزاء مخالفة القاعدة القانونية جزاء مادى تتولى توقيعه على المخالف السلطة العليا فى الجماعة

الفرق بين قواعد الدين الاسلامى وقواعد الأديان الأخرى :

نبادر فنقول ان الفوارق سالفة الذكر هى التى لقنها لنا اساتذتنا من فقهاء القانون الوضعى فى مدرسة الحقوق القديمة أخذا عن اساتذتهم من فقهاء الدول الأجنبية ، التى لا تدين بالاسلام ولايزال يلقنها تلاميذهم ممن يتولون التدريس فى كليات الحقوق بالجامعات المصرية الى الطلاب ولئن صدق ذلك على قواعد الأديان الأخرى سماوية كانت أو غير سماوية كاليهودية والمسيحية والمجوسية والزرادشتية والبرهمية والكونفوشيوسية وغيرها ، الا ان ذلك أبعد ما يكون عن الديانة الاسلامية ولبيان ذلك نقول :

ان الدين منذ القدم ضرورة اجتماعية . والوازع الدينى اقوى حافز على احترام القواعد التنظيمية فى أية جماعة ، ومنذ ان وجدت الجماعات البشرية اتجهت الى السمو عن طريق النزعات الدينية وكثيرا ما ردد الاجتماعيون ضرورة الدين كظاهرة اجتماعية . حتى قال بعضهم (لو لم يكن الله موجودا لوجب ان يوجد) وعلى هذا سارت المجتمعات كلها حتى الوثنى منها وما الاصنام وعبادة الشمس والنار والحيوانات الا ظواهر لمحاولة البشر خلق الديانات واطلاق أثرها فى النفوس هداية لها ودفعا لها على السمو وسار كل مجتمع فى فهم دينه وفق ماترشده اليه بيئته ، أو ما يهديه اليه عقله ، أو يوجهه اليه مفكروه ، أو ينذره به رسله . ولكنها جميعا كانت تلتقى عند قدر واحد هو الدين فى ذاته والعبادة فى مبدئها .

وبغير الدين تصبح الجماعات البشرية أقرب الى الحيوانية ، ولذا كرهت الجماعات البدائية الحياة على غير دين فعبدت القوة فى اشكال مختلفة ، فى الشمس وفى الكواكب وفى الحيوان وفى التمثال . ولقد روى التاريخ أن ابن المقفع يوم ان أزمع اعتناق الاسلام كره ان يبيت ليلة واحدة على غير دين ،حيث وعد ان يسلم من الغد ثم أدى بعض مراسم العبادة المجوسية فى المساء . ولما سئل كيف تفعل ذلك وأنت على وعد بالاسلام من الغد

قال « كرهت أن أبيت على غير دين » بل ان الملاحدة انفسهم حينما يبهرهم بديع صنع الله يذكرونه كخالق للكون ومدبر لشئونه • فجاجارين الذى لايعترف بوجود الهحينما رأى الارض معلقة بين السماوات نطق بكلمةالايمان دون ان يدرى فقال « عجبا ياالهى منوضعها هكذا » والجواب الحتمى هو الله الذى رفع السماء بغير عمد ترونها وكم من ملحد فزع الى الدين والى اله الدين اذا ما نزلت بهنازلة أو تقدمت به السن وصدق الله اذ يقول : **واذا مس الانسان الضر دعانا لجنبه أو قاعدا أو قائما فلما كشفنا عنه ضره مر كأن لم يدعنا الى ضر مسه كذلك زين للمسرفين ما كانوا يعملون •**

وما من شك فى ان الديانات السماوية التى نزلت على الرسل قبل الاسلام لم تكن عامة وانما كانت خاصة قاصرة على علاج بعض ما فشا من عيوب وآثام فى جماعات معينة ، ولذا فنحن نقرأ فى القرآن ان سيدنا يونس ارسل الى مائة الف أو يزيدون ، وان رسولين ارسلهما الله فى زمن واحد كل منهما الى جماعة معينة كما هو الشأن بالنسبة الى سيدنا ابراهيم وسيدنا لوط •

وقوام الرسالات السماوية كلها الدعوة الى توحيد الخالق • الله فاطر السموات والأرض الذى أنشأها انشاء أوليا من العدم ، وأعطى كل شىء خلقه ثم هدى •• والى جانب التوحيد كانت كل رسالة تشمل الحض على الفضائل وكريم الأخلاق ، وكذا الامتناع عما فشا فى المرسل اليهم من موبقات كالقتل والزنا والسرقة والغش فى المكيال والميزان والتعامل والتزام الصدق والبعد عن الكذب والخيانة، والتحلى بالتواضع والتسامح •

وكانت آخر الديانات السماوية نزولاقبل الاسلام هى المسيحية ، وقد حرفت كما حرفت تعاليم اليهودية من قبلها • ووصل التحريف الى قوام كل من الديانتين ،فقالت اليهود عزير ابن الله وقالت النصارى المسيح ابن الله وقال بعضهم بل هو ثالث ثلاثة ، ثم ادعى البابوات فى المسيحية ماليس لهمبحق وسلبوا سلطان الله فى ملكه ،وزعموالأنفسهم حق الثواب والعقاب والغفران من دون الله • وكما قال مارتن لوثر صاحب مذهب البروتستانت مندداً بذلك ، ان البابوات ورجال الدين المسيحى يتغفلون الناس ويسلبون أموالهم عن طريق بيع صكوك الغفران ، وزاد البابوات فى روما على ذلك بان ادعوا انهم خلفاء الله فى أرضه من دون الناس ، وان لهم وحدهم حق تعديلالتعاليم الدينية فأحلوا ما حرم الله ، وحرموا ما حلله، وضربوا الجزية على الناس حتى على المسيحيين بل فرضوها على البهائم فامتلأت خزائنهم بالمال فى حين اشتد الفقر بالشعوب • وكان جزاء كل من يجرؤ على نقد رجال الدين أو يعارض سلطانهم أن يشلح من الكنيسة ويطرد من ملكوت الله فى الدنيا والآخرة •واعتدى البابوات على سلطان الملوك والامراء والحكام وانتشرت فى أوروبا خلال القرون الوسطى عادة تتويج الملوك والامراء • واستغل الملوك والامراء تلك الشرعية التى يضفيها البابا على كل منهم ، فادعى كل ملك وكل أمير بدورهان له حقا الهيا مقدسا على شعبه يخوله حق وضع مايشاء من قوانين ويغير فيها ويبدل كيف شاء دون اعتراض من أفراد الشعب فلا حق ولاحرية لأحد ولا مال لأحد الا بقدرما يسمح الملك وفى ضوء ما يشرع الأمير • وحجته فى ذلك أنه قد تلقى حقه هذا حقا الهيا مقدسا ، تلقاه من البابا الممثل المباشر الوحيد لله فى أرضه • وكان الملوك يدفعون الكثير من الاموال للبابا لقاء تسليطه اياهم على الشعوب • وكانت بعض الممالك تتكون من عدة امارات ، وكان على كل أمير على اقطاعيةان يدفع بدوره الى الملك مقابل ماله علىالاقطاعية من حق تملك الأرض وما عليها من اناس وحيوانات •

فلما ان ساءت الحال فى اوروبا فىالقرون الوسطى ، وبلغ الظلم والاستبداد بالناس مبلغا لم يبلغه فى أظلم عصور التاريخ ، ثار الناس على هذه الاوضاع ، فنادى مارتنلوثر بالاصلاحالدينى وتبعهالكثيرون منالمسيحيين ونشأ المذهب البروتستانتى • وساعد على

انتشاره ان الكنيسة لم تناقش اراء لوثر بالحسنى رغم وضوح ما نادى به من أن طبيعة المسيح من طبيعة البشر . وان التثليث لا يجوز عقلا فى حق الخالق ، وان ليس للكنيسة حق تعديل تعاليم المسيحية على غير ماورد فى الانجيل • بل قررت الكنيسة شلح مارتن لوثر وأحلت دمه •

فصل أمور الدين عن أمور الدنيا كان له مايبرره فى أوروبا :

كانت الحروب الصليبيه من أهم الاسباب التى مكنت للبابا وكنائسه من السيطرة على ملوك أوروبا وامرائها وشعوبها ومن تحريف تعاليم المسيحية • اذ كانت دعوة رجال الدين لشعوب أوروبا لاستخلاص بيت المقدس من يد المسلمين فى الشرق والقضاء على الاسلام فى عقر داره دعوة لها أثرها الدينى وتحت ستارها بسطت الكنيسة سلطانها وحرفت وبدلت واستغلت وظلمت على نحو ما ألمعنا اليه فلما ان فشلت تلك الحملات الصليبية ، واحست الشعوب فى أوروبا بما هم فيه من ظلم وظلام وفقر واستغلال وسوء حال ، فكروا فى التحرر من سلطان الملوك والامراء عملاء رجال الدين وبالتالى فى التحرر من المظالم • وكان فشل الحروب الصليبة خيبة أمل دفعتهم الى الثورة • فقامت الثورة الفرنسية وقضت على الملك والامراء ونادت بالحرية والاخاء والمساواة لجميع افراد الشعب وأن الشعب هو مصدر السلطات • وتبعتها فى أوروبا افكار واراء غيرت من نظم المجتمعات ونادى المفكرون فى ظل الاصلاح الدينى والنهضة الحضارية بفصل أمور الدين عن أمور الدنيا • وكان هذا الفصل سهلا ميسورا ومستساغا • لأن الديانة المسيحية كما أسلفنا لم تشمل تنظيم أمور الدنيا للمجتمعات تنظيما شاملا •

وبدأت أوروبا فى القرنين السابع والثامن عشر تنظم أمور المجتمع من بيع وشراء ورهن وتعامل فيما بين الناس ، ووضعت لذلك القوانين الوضعية مستمدة بعضها من القانون الرومانى ، والبعض الآخر مما اسمته بالقانون الطبيعى ، وهو فى الحقيقة مستمد من الشريعة الاسلامية التى طرقت ابواب اوروبا من الشرق والغرب واستقرت فيها ردحا من الزمان • ومن هذا النوع الأخير اهم قواعد القانون الدولى الاوربى اذ هى ماخوذة عن الاسلام على نحو ما اثبتناه فى كتابنا الشريعة الاسلامية والقانون الدولى العام •

وظهرت فى فرنسا أول مجموعة للقوانين مبوبة مرتبة فى مواد متسلسلة وسميت مجموعة قوانين نابليون • وقيل ان علماء الحملة الفرنسية على مصر اخذوا معظم احكامها عن فقه الامام مالك وقام رجال القانون بالمانيا ينادون بايجاد مجموعة للقوانين على نحو ما حصل فى فرنسا وانتشرت الفكرة فى أوروبا وبدأ فقه القانون الوضعى بتعريف القانون والقاعدة القانونية واشترطوا لها ان يكون لها جزاء توقعه السلطة العامة فى الدولة على من يخالفها واشترطوا ان يكون هذا الجزاء ماديا ثم وجدت الى جوار القواعد القانونية قواعد اخرى لتنظيم المجتمع منها قواعد الاخلاق وقواعد المجاملة وقالوا ان الفارق بينها وبين قواعد القانون أن الجزاء عليها معنوى يتمحض فى ازدراء المجتمع لمن يخالف قواعد الاخلاق وفى تأنيب ضميره له •

ووجدت الى جوار هذه القواعد القانونية وتلك القواعد الاخلاقية ، نوع آخر من القواعد التنظيمية اطلقوا عليه أوامر الدين وهى البقية الباقية من تعاليم المسيحية واليهودية مما يتصل بتنظيم أمور الدنيا • ثم راح فقهاء القوانين الوضعيه فى أوروبا يجتهدون فى تعداد الفوارق بين مختلف هذه القواعد مع تسليمهم بانها جميعا تشترك فى تنظيم الجماعات

ولئن ساغت هذه التفرقة عندهم بين القواعد القانونية وبين أوامر الدين لما مر ذكره ، فهى غير سائغة فى رأينا ولدينا بالنسبة للدين الاسلامى واوامره اذ انها نزلت كاملة شاملة لتنظيم الأمرين معا وهو ما سنأتى على بيانه فى المقال التالى ان شاء الله اذ ان حيز هذا المقال لم يتسع له • وبالله التوفيق

السنة النبوية والحديث القدسى من وحى الله تعالى

اجتهاد الرسول

صلى الله عليه وسلم

فضيلة الشيخ عبد اللطيف السبكى

ذكر الامام القسطلانى شارح البخارى ان اقسام الوحى ثمانية ٠٠وذكر الاجتهادالنبوى فى المرتبة الثامنة ٠

وهناك من العلماء من ينكر حصول الاجتهاد من النبى ، ويتأولون تأولات بعيدة لما وقع منه ٠٠ والأكثرون على أن الاجتهاد وقع فعلا ، وأنه كان مأذونا فيه عند المناسبة اذا لم يكن عنده وحى فى الحادثة التى تطرأ عليهم ٠

وحينما يستشير أصحابه فى الرأى ، ويجتهد فى الاختيار، فان أصاب أقره الوحى ، ولم يعارضه بعد ، فيكون هذا الاجتهاد معترفا به : لأنه مأذون فيه بقوله تعالى « وشاورهم فى الأمر »٠٠ وأمرهم شورى بينهم » ولأن الوحى لم يعارضه بعد الاجتهاد ،فيكون معترفا به وحيا ٠

وأما اذا أخطأ فى الاجتهاد فان الوحى يبين له الخطأ ، ويرشده الى الصواب حتما، لأن هذا تشريع منسوب الى الله والنبى هو المبلغ عن ربه ، فلا يترك على الخطأ ٠

ثم ان الاجتهاد الذى حصل فعلا كان فى غير الأمور الدينية ، وقد قرر الأئمة أن اجتهاده صلى الله عليه وسلم كان فى شئون الحروب والأمور الدينوية ، ولم يكن فى شـأن من شئون الدين، فلم يحصل أنه استشار أصحابه فى تشريع فرض ولا نقل ، ولا تحريم حرام، أو تحليل حلال ٠ وربما عرضت لبعضهم رغبة فى شىء من ذلك ، فكان ينتظـر الوحى السماوى ، حتى يبين الله حكمه التشريعى بالوحى : قرآنا ، أو سنة ٠٠ فان المشرع هو الله ٠٠ والنبى مبلغ ٠٠ ولايقال انه مشرع ،الا على وجه المجاز فى الظاهر ٠

ومن قبل الاجتهاد الذى حصل منه ـ صلى الله عليه وسلم ـ وقوف الجيش فى موقفه يوم بدر ، فقد اختار مكانا ، ثم جاء الحباب بن المنذر فأشار على النبى بمكان آخر قريب من الماء ، فاختاره ، وكان اجتهادا موفقا ٠٠ ومن قبل الاجتهاد قبوله الفداء من أسرى الكفار بعد غزوة بدر ٠ فقد استشار أصحابه ، لأن هذا أول حادث من نوعه ، وليس عنده تشريع فيه ٠٠ ثم جنح الى رأى أبى بكر ، وأخذ الفداء لينفع به المسلمين ولكن الوحى نزل عليه بعد ذلك ، وبين له أن قتـل الأسرى كان خيرا للاسلام وأهله من الفداء ، وكان ذلك رأى عمر من قبل ٠

ومن قبل الاجتهاد أنه تقبل اعتذار المعتذرين عن الخروج للجهاد معه فى غزوة تبوك ، فتخلفوا باذنه .

ولكن الوحى نزل عليه، وعرفه أنهم منافقون يختلقون المعاذير المكذوبة ، وكان الخير أن يتريث النبى فى الأذن لهم « **لم أذنت لهم حتى يتبين لك الذين صدقوا ونعلم الكاذبين** » .

وهكذا من صور متعددة ، وكلها اجتهاد فى حروب ، أو شئون دنيوية ، كما قرر الأثبات من الأئمة ، وتحدث به شارع جمع الجوامع .

وعلى ذلك : لايقال أبدا ان السنة كانت باجتهاده ، وقد عرفنا منزلة الاجتهاد فى آخر مراتب الوحى ، كما ذكر القسطلانى .

وعرفنا أن الاجتهاد كان فى غير شئون الدين كما قرر الأئمة ..

وعلى فرض التوسع فى القول بالاجتهاد : فهو بعد سبعة مراتب من مراتب الوحى الثمانية ، وكلها فى السنة .

وقد قرأت لبعض الاخوة عبارة لايجوز شرعا سكوتنا عن تفنيدها لأنها خطيئة منه عن غير قصد وهى قوله فيما نشر :والذى لاينبغى أن يشك فيه مسلم : أن السنة النبوية كلها من كلام الرسول — صلى الله عليه وسلم : لفظا ومعنى ، فقد عصمه الله عز وجل من الخطأ فى أمور الشريعة اذ وكل اليه أن يبين بعبارته ما أنزل عليه ، وكلف بتبليغه للناس وهو لا ينطق عن الهوى .

ذلك كلام لا موضع له فى الذهن بعد الذى أوضحنا .. وهو كلام متناقض مع نفسه .

اذ كيف يبين النبى بعبارته هو ما أنزل عليه ، ولا يكون الذى أنزل عليه وحيا ؟؟ وما معنى كونه أنزل عليه ثم يكون من عنده هو لفظا ومعنى ؟؟ فهنا بيان بكلام النبى ، وهنا شىء أنزل عليه ، وذلك اعترافه .

ويقول الكاتب — فقد عصمه الله من الخطأ فى أمور الشريعة . فهل يريد الأمور التى هى من الوحى الذى يقربه ، ثم ينكره ..أوتكون الأمور كلها من باب الاجتهاد مع ان الاجتهاد أضيق أبواب الوحى ، وأضعفها كما علمت ؟؟ ذلك اتجاه يشق علينا فهمه ويشق علينا التوفيق بين صدر الكلام ، وعجزه الأخير

والحديث القدسى أيضا

٢ — والحديث القدسى ينسب الى الله تعالى .. ولا شك عند أحد فى أن معناه من عند الله — سبحانه .

ولكن الخلاف فى لفظه .. هل هو من كلام الله تعالى كالقرآن ، أو هو من كلام الرسول صلى الله عليه وسلم ؟؟

أما الذين ينكرون أن السنة النبويه وحى من عند الله — فيقولون : ان القدسى من كلام الرسول ، ونسب الى الله نظرا لمعناه الموحى به ، دون السنة النبوية .

وكيف يقال ذلك مع أن الرواة يقولون : قال رسول الله فيما يرويه عن ربه تبارك وتعالى ..

أو يقولون : قال الله تعالى فيما يرويه عنه رسول الله صلى الله عليه وسلم فذلك ظاهر فى نسبة الألفاظ الى الله ؟

يجيبون عن هذه الأسئلة بأن الله أذن لنبيه أن يحدث عنه بما شاء (وينسب اليه تعالى ما يقوله وهذا الاذن يسمى بالتفويض من الله لرسوله وكأنه قال لرسوله احكم بما تشاء ، فهو صواب موافق لحكمى ! .

وقد تعرض الامام الجلال المحلى — احد الجوامع فى أصول الفقه — لموضوع التفويض . فذكر أن العلماء تحدثوا قديما فى جواز حصول التفويض ، وعدم جوازه .. فافترض بعضهم جواز حصوله ، وتردد الشافعى فى القول بجوازه .. ثم نقل الجلال المحلى أن المختار عن العلماء جميعا أن التفويض لم يقع ،ولم يحصل لنبى ، ولا لغير نبى .

وطبعا هذه فروض جدلية .. ولو كان للتفويض وقائع .. أو واقعة واحدة لما أنكروها ..

والى هنا لا يقال بالتفويض ولا يقال : ان النبى يحكم بما يشاء ، وينسب الى الله ما يقوله ، أو يحكم به ٠

ولكن بعض المؤلفين للمختصرات ذكروا أن لفظ القدسى من عند الرسول ، ولم يراعوا بطلان التفويض من الله ، أو لم يصل الى علمهم ذلك : على حسن الظن بهم جميعا ٠

فان التوسع الى القول بالتفويض تأباه روح الدين ، ويتقزز منه العقل ، ولا يقبل الا عند الدراويش ٠

واذا كان فى العلماء من يقول : ان ألفاظ القدسى من عند الرسول ، فانها أفهام شخصية لهم ، وليست نصوصا من قرآن ، ولا سنة ، ولا آثارا عن السلف ٠

ويمكن أن نناقشهم فيما قالوا ٠٠ والامام مالك رحمه الله يقول : كل أمرىء يؤخذ من كلامه ، ويرد عليه : الا صاحب الرسالة العظمى ـ صلى الله عليه وسلم ٠

يقول قائل : ان ابن حجر يقول بذلك ، وهو امام جليل ، وجوابنا على ذلك ان ابن حجر الذى شرح الأربعين حديثا ليس ابن حجر العسقلانى الحافظ الحجة ، الذى شرح صحيح البخارى ، والذى تؤخذ عنه السنة ، وما يتعلق بها ٠٠ وانما هو ابن حجر الهيثمى ٠٠ وهو فقيه شافعى جليل ٠٠ ولكنه غير ذلك الحافظ الحجة ٠

وأما غير ابن حجر ممن يذكرونهم فأصحاب ملخصات ٠٠ ولا يقاسون على الأئمة ، وتلخيصاتهم لا يقام لها وزن بجانب الأمهات من المراجع ٠٠ فلا علينا من الشيخ نوح بن مصطفى الهندى ٠٠ ولا علينا من الشيخ المسمى فى الهند بالشيخ المدنى ٠٠ ولا أمثال هؤلاء ممن يستشهدون بتلخيصاتهم الواهية ٠

فنحن نطلب الجواهر من أربابها ، ونستمد الماء من بحوره الصافية ـ ومن طلب البحر استقل السواقيا ٠

ونحن نقول : ان ألفاظ الحديث القدسى من عند الله ، لا من كلام الرسول صلى الله عليه وسلم ٠

وذلك لوجوه :

منها أن النبى يتابع الوحى فى كل ما ينزل به ، كما تقرر ٠٠ فلا يستساغ أن ينسب من عنده الى الله الا ما نسبه الوحى الى الله سبحانه ٠

ومنها : ما ذكره صاحب كتاب ـ العقد المنظم فى أقسام الوحى المعظم ـ وهو قوله : ينسب الحديث القدسى الى الله تعالى : لأنه المتكلم به أولا ٠٠ وينسب الى النبى نسبة اخبارية ، لأنه مخبر به من عند الله ٠

ومنها : أن الأصل فى قوانين اللغة بقاء الألفاظ ، والنسب على ظاهرها ، فلا يصرف لفظ ، ولا تركيب عن ظاهره : الا لسبب يقتضى التأويل ٠٠ كتعذر المعنى ٠٠ أو فساد الظاهر ٠٠ أو معارضة لنص أقوى منه ٠٠ أو لرغبة بلاغية كالمجازات ٠٠ والاستعارات ٠٠ الخ ٠

وهنا لا توجد ضرورة من تلك الضرورات تسمح بتأويلنا للفظ القدسى من معناه الظاهر، ثم نتكلف فى تعسف أن ندور ، ونلف فى اعتبار القدسى من كلام الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ لا من كلام الله تعالى ٠

فاذا كان الحديث القدسى مثلا ـ لأرزقن عديم الحيلة حتى يعجب صاحب الحيلة ـ أو كان الحديث ـ من لم يرض بقضائى ، ويصبر على بلائى ، فليخرج من تحت سمائى ، وليعبد ربا سواى ـ أو كان الحديث ـ أنا ثالث الشريكين اذا لم يخن أحدهما صاحبه ٠٠ فاذا خان أحدهما صاحبه نزعت البركة من بينهما ـ أو كان الحديث ـ ياعبادى ٠٠ انى قد حرمت الظلم على نفسى ، وجعلته بينكم حراما ، فلا تظالموا ٠

الى آخر ما هنالك من حديث الله عن نفسه ٠٠ فهل يكون كل ذلك من كلام الرسول ولا يكون من كلام الله ؟؟ ولماذا ؟ لسبب واحد غير صحيح ٠٠ هو أن يقصروا الوحى على القرآن ، ومعنى الحديث القدسى فقط ، ويباعدوا بين السنة النبوية وبين الوحى ! لا ٠٠ لا ٠٠ الحق أحق أن يتبع ٠

البقية ص ٤٥

دفاع عن القرآن

الدكتور عبد الغني الراجحي

ألفاظه توقيفية متواترة وذاته مصونة لاتمس

فى شأن من يعرض عن آيات ربه ، وينسلخ منها ، متبعا لسبيل الشيطان ، مخلدا الى الأرض ، لا يرتفع الى مستوى السماويات ، عبدا لهواه. ممثلا دور الكلب الذليل ان تحمل عليه يلهث ، أو تتركه يلهث ، يقول الله فى محكم كتابه ((واتل عليهم نبأ الذى آتيناه آياتنا فانسلخ منها ، فأتبعه الشيطان فكان من الغاوين ولو شئنا لرفعناه بها ولكنه اخلد الى الارض واتبع هواه فمثله كمثل الكلب : ان تحمل عليه يلهث ، أو تتركه يلهث ، ذلك مثل القوم الذين كذبوا بآياتنا فاقصص القصص لعلهم يتفكرون ، ساء مثلا القوم الذين كذبوا بآياتنا وانفسهم كانوا يظلمون ، من يهد الله فهو المهتد .. ومن يضلل فاولئك هم الخاسرون)) .

من يوم أن كان اسلام ، ونزل قرآن ، والتكذيب بآيات الله لاينقطع، والتجبيه للحق والقرآن لا تفتر له حدة ، كلما تلألأ للحق والقرآن نور وضياء ، ازداد الباطل على نوره وضيائه عمى وسفاهة ، كلما أحدث القرآن هدى وشفاء ، وحجة وبرهانا ، احدث الكافرون له قحة وسفاهة وتكذيبا ، ((ما يأتيهم من ذكر من ربهم محدث الااستمعوه وهم يلعبون ، لاهية قلوبهم وأسروا النجوى الذين ظلموا هل هذا الا بشر مثلكم ، أفتأتون السحر وأنتم تبصرون)) .

الطاقات المبدعة الخلاقة ، ذات الاصالة والجدارة ، لابد ان تكون لها فاعلية ، وان تشق طريقها غير عابئة بما تقتضيه فاعليتها من أشواك تزرع فى طريقها ، واحقاد تثار حولها ، وحواجز تحاول الوقوف فى وجهها. فتكتسحها ، ثم لاتزداد على هذه الممانعة الاقوة وفاعلية .

ثم قال كفرة مكة ، ويهود يثرب ، وأعداء القرآن ابان نزوله ، كم قالوا وتقولوا عليه

الاقاويل . من انه شعر . أو سحر . أو كهانة . أو أساطير الاولين . او يعلمه بشر . أو ان محمدا افتراه . فذهب كل ذلك أدراج الرياح . وكان كلمة خبيثة كشجرة خبيثة، اجتثت من فوق الارض مالها من قرار . وبقى القرآن كالطود الاشم . لم تنل منه رياح الاهواء والمفتريات . وكان كلمة طيبة ، كشجرة طيبة أصلها ثابت وفرعها فى السماء تؤتى أكلها كل حين باذن ربها .

شق المسلمون تحت راية القرآن طريقهم فى الحياة . وانتشرت كلمة الله فى مشارق الارض ومغاربها وباتساع رقعة الاسلام . ومناطق نفوذ القرآن ، كانت تتسع دائرة السفاهات والبذاءات التى توجه نحو هذا القرآن العظيم . نقدا وتجريحا . وطعنا . وتشكيكا . فى صور متعددة . والوان من الافكار السقيمة لا حصر لها ولا عد . وأشكال تختلف باختلاف الازمنة والامكنة والاوساط والثقافات . لم يزدد القرآن بمقاومة ذلك كله الا نصوعا واشراقا وتأكيدا لفضله ومزيته . وكان الامر فى ذلك على حد قول القائل :

واذا أراد الله نشر فضيلة
طويت اتاح لها لسان حسود
لولا اشتعال النار فيما جاورت
ما كان يعرف طيب عرف العود

فى مطلع هذا القرن الرابع عشر الهجرى . القيت فى معارك عداوة القرآن وتحديه أسلحة جديدة . هى أسلحة الصليبية الفكرية . والاستعمار الثقافى . والعداوة الغربية . التى يضمرها الغرب وبلاده للاسلام وبلاده . من يوم أن ارتد الغرب عن الشرق . فى هيئة فلول حربية صليبية مهزومة مدحورة .

طوائف من المستشرقين والمبشرين والكاتبين يجندهم الاستعمار الغربى كطابور خامس . يمهد له الطريق فكريا . ونفسيا الى استعمار شعوب العرب والمسلمين . بقتل معنوياتهم والانة عريكتهم . واضعاف مقاومتهم . بالتشكيك فى القرآن . والطعن فى الاسلام . لاذابة المقومات والخصائص . وافناء الشخصية المستقلة . وصهرها فى بوتقة الغرب واستعماره . فلا عروبة ولا اسلام . ولا قرآن ولا لغة . ولا تاريخ ولا قومية . وانما انسلاخ من ذلك كله . وهجرة الى الغرب والاستعمار . وحياته المادية المترنحة الفاشلة، ثم عملية امتصاص يمتص الغرب والاستعمار بواسطتها كل معالم الحياة مما هو عروبة واسلام .

ترددت فى الايام الاخيرة . وفى الاوساط الفكرية والثقافية . التى تستمد عناصرها ومقوماتها من الوجود الاستعمارى والاستشراقى . مقالات حول القرآن . تزعم انه نزل بالمعنى . وأن النبى والصحابة كانوا مفوضين فى أن يقرأوه كيف شاءوا ، يغيرون لفظا بآخر يؤدى معناه . وزاد الطين بلة أن طالبة عربية مسلمة تقدمت الى جامعة الاسكندرية برسالة لنيل الماجستير . كان موضوعها اثبات لانفى هذه الشبهات والترهات التى تورطت فيها الطالبة الصغيرة ولم تعدم أن تجد لها من صغار النفوس ومرضى الاقلام من يدافع عن عملها هذا باسم حرية الرأى . والبحث والدرس .

ونحن باسم حرية الرأى . والبحث . والدرس . نقول ان الطالبة والذين شايعوها، والذين هم أصل أصيل فى هذه الافرازات الصديدية التى تتنزى بها القلوب التى نهشها الحقد على العروبة والاسلام . جميعهم يرددون دعوى لا اساس لها من الصحة . ولا تقوى على الثبات أمام صولة الحجة والبرهان . والبحث النزيه المبرأ من الغايات والاحقاد . ولا يوجد لهم دليل سليم . أو حجة مسلمة على صدق دعواهم . والدعاوى ان لم تقم عليها بينات . أصحابها أدعياء .

ان مما اجمعت عليه الديانات جميعا أن لله كلاما وكتبا والفاظا ينزلها على رسله . ليبلغوها للناس . ليعلموا بما حوته من المعانى . ليسعدوا فى دنياهم وآخرتهم . فالتوراة والانجيل أنزلهما الله على موسى وعيسى . ولكن لم يكن المقصود بهما التحدى والاعجاز .

ولم يكن مقصودا بهما الخلود والدوام. كالشأن في الرسالتين الموسوية والعيسوية . فانهما كانتا الى زمن مخصوص. وشعب مخصوص. تأتى بعدهما رسالة محمد بن عبد الله العامة الخالدة . لذلك نرى التوراة والانجيل قد اعتراهما فى الفاظهما التحريف والتبديل .

أما القرآن كلام الله المنزل على محمد صلى الله عليه وسلم للاعجاز والتحدى والتعبد بتلاوته . فانه لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه وقال فيه الذى انزله « انا نحن نزلنا الذكر وانا له لحافظون » وكانت الفاظه ونصوصه هى مناط التحدى والاعجاز والتعبد بالتلاوة وكان يطالب خصومه . بل الانس والجن عامة . بأن يأتوا بمثله من حيث الالفاظ والعبارات والاساليب فى سلاستها. وبلاغتها. وفصاحتها . وبلوغها الذرة التى لا يحوم حولها كلام متكلم . سلامة تعبير . وروعة تأثير . وحلاوة وطلاوة . وشرفا فى المعنى مع سلامة فى المبنى واللفظ العربى واعتماده حسبما يفهم من قوله تعالى « انا انزلناه قرآنا عربيا لعلكم تعقلون » وقوله تعالى « وما ارسلنا من رسول الا بلسان قومه ليبين لهم » وقوله تعالى « ولو نزلناه على بعض الأعجمين فقرأه عليهم ما كانوا به مؤمنين » وقوله تعالى « ولقد نعلم انهم يقولون انما يعلمه بشر . لسان الذى يلحدون اليه أعجمى . وهذا لسان عربى مبين » . وقوله تعالى « ولو جعلناه قرآنا أعجميا لقالوا لولا فصلت آياته . أأعجمى وعربى . قل هو للذين آمنوا هدى وشفاء . والذين لا يؤمنون فى آذانهم وقر وهو عليهم عمى »

أما المعانى وحدها ومن حيث هى معان فهى كما قال بعض علماء البلاغة مطروحة فى الطريق . يعرفها العربى والاعجمى . وانما العبرة بالالفاظ تعبر عن هذه المعانى ادق تعبير . وتصوغها أجمل صياغة . وكثير من معانى القرآن الكريم . ربما كانت فى جملتها ومن حيث هى معنى ، معروفة لكثير من الناس . موجودة فى كتب السابقين . حسبما ينبىء عنه قوله تعالى « وانه لفى زبر الأولين » وقوله تعالى « أو لم يكن لهم آية ان يعلمه علماء بنى اسرائيل .

وقوله تعالى ما يقال لك الا ماقد قيل للرسل من قبلك .

يقول الرافعى فى كتابه اعجاز القرآن «ومن أعجب ما رأيناه فى اعجاز القرآن واحكام نظمه . انك تحسب الفاظه تابعة لمعانيه . ثم تتعرف ذلك وتتغلغل فيه فتنتهى الى أن معانيه منقادة لالفاظه . ثم تحسب العكس . وتتعرفه متثبتا . فتصير منه الى عكس ما حسبت . وما أن تزال مترددا على منازعة الجهتين كلتيهما حتى ترده الى الذى خلق فى العرب فطرة اللغة . ثم اخرج من هذه اللغة ما اعجز تلك الفطرة . لان ذلك التوالى بين الالفاظ ومعانيها وبين المعانى والفاظها . مما لا يعرف مثله الا فى الصفات الروحية العالية . اذ تتجاذب روحان قد الفت بينهما حكمة الله . فركبتهما تركيبا مزجيا بحيث لا يجرى حكم فى هذا التجاذب على احداهما حتى يشملهما جميعا » .

كان القرآن اذن . منزلا على رسول الله صلى الله عليه وسلم بألفاظه العربية المقروءة عليه من جبريل عن رب العزة جل جلاله . واذا كانت الالفاظ أوعية المعانى وقوالب لها كما يقولون . والمعانى تابعة للالفاظ ولا لفظ بدون معنى . فان لالفاظ القرآن مزيد اختصاص بالمحافظة عليها وقراءتها كما نزلت، والتعبد بتلاوتها فى الصلاة وغيرها على الحروف التى نزلت عليها نصا. لا تبديل لحرف مكان حرف . ولعل ذلك يفهم واضحا مما روى فى السنة الصحيحة من انه صلى الله عليه وسلم كان شديد الحرص على سرعة تلقى القرآن وتلقف الفاظه من جبريل . يبادر بالتقاطها . ويعاجل بحفظها . وتحريك لسانه بها . قبل ان يتم جبريل قراءة الآية كاملة عليه . حتى قال له ربه « ولاتعجل بالقرآن من قبل ان يقضى اليك وحيه وقل رب زدنى علما » وزاده الله طمأنينة فى هذا المقام . ووعده بأن يحقق له رغبته فى حفظ نصوص القرآن وقراءته كما نزل . وانه سبحانه بعنايته . هو الذى يتولى اقراءة وبيانه

وجمعه . فقال تعالى لاتحرك به لسانك لتعجل به . ان علينا جمعه وقرآنه . فاذا قرأناه فاتبع قرآنه . ثم ان علينا بيانه » وقال تعالى « سنقرئك فلا تنسى الا ما شاء الله انه يعلم الجهر وما يخفى » .

لقد كان القرآن نفسه شديد الحرص على ان يبين لمن نزل عليه انه مامور باتباعه حرفيا والمحافظة عليه . وترتيله كما نزل . لا تبديل لكلمات الله . فنصوصه دساتير مقدسه . وذاته مصونة لا تمس . ليس لاحد أن يتصرف فى كلماته من تلقاء نفسه . لاملك مقرب . ولا نبى مرسل . ولا صحابى . ولا تابعى . ولا امة من الامم مهما بلغت مكانتها عند الله . لانه هو هكذا فى أم الكتاب عند الله . كما قال سبحانه « وانه فى أم الكتاب لدينا لعلى حكيم » وكما قال تعالى « بل هو قرآن مجيد فى لوح محفوظ » ولما قال كفرة مكة لرسول الله صلى الله عليه وسلم « ائت بقرآن غير هذا او بدله » امره ربه ان يرد عليهم بقوله «قل مايكون لى أن ابدله من تلقاء نفسى . ان اتبع الا ما يوحى الى » .

وقال تعالى فى بيان تنزل القرآن من عنده ، لا يتقول الرسول على ربه منه حرفا « انه لقول رسول كريم وما هو بقول شاعر . قليلا ما تؤمنون . ولا بقول كاهن. قليلا ما تذكرون تنزيل من رب العالمين . ولو تقول علينا بعض الاقاويل لاخذنا منه باليمين . ثم لقطعنا منه الوتين . فما منكم من أحد عنه حاجزين » . وشبيه بهذا المقام فى شدة تحذير الرسول من التبديل فى القرآن . أيا كان التبديل . قوله تعالى « وان كادوا ليفتنونك عن الذى أوحينا اليك لتفترى علينا غيره . واذا لاتخذوك خليلا . ولولا أن ثبتناك لقد كدت تركن اليهم شيئا قليلا . اذا لاذقناك ضعف الحياة وضعف الممات . ثم لا تجد لك علينا نصيرا » .

وفى هذا الاسلوب من الالهاب والتهييج على صيانة القرآن والفاظه ما لا يخفى . فان الله بين أن احب الخلق اليه لو فعل شيئا من تبديله بأى شكل كان التبديل . لانتقم منه اشد الانتقام . لا يستطيع احد له محاجزة او مناصرة . ومن البديهى انه صلى الله عليه وسلم لم يقع منه تبديل او تحريف ولم يقع عليه انتقام او تعذيب .

وقد حاول بعضهم ان يستدل على نزول القرآن بالمعنى دون اللفظ بقوله تعالى « وانه لتنزيل رب العالمين نزل به الروح الامين على قلبك » بمعنى ان الذى ينزل على القلب انما هو المعنى لا اللفظ ، والانسب باللفظ نزوله على الأذن لا القلب . فالقرآن — فى نظرهم — نزل بالمعنى على قلب الرسول ثم بلغ الرسول وأنذر بلسان عربى مبين . كما جاء عقب هذه الآية مباشرة قوله تعالى « لتكون من المنذرين بلسان عربى مبين » .

وهذا استدلال باطل. ومردود . لان النازل المقروء على سمع الرسول . لما كان بلسانه ولغته وكان افهم الناس له . وكان اقباله عليه وتشوقه اليه . يبلغ حدا لا يكاد يوصف . كانت معانى هذه الالفاظ المنزلة بمجرد نطقها من جبريل تصل وصولا سريعا مباشرا الى قلب الرسول ووعيه وفهمه . تتمكن منه فضل تمكن . لا يقف منها شىء فى سمعه واذنيه . يتوقف او يتعثر فى محاولة ادراك معناه ومدلوله . كما يحصل لمن يسمع الفاظا من غير لغته او فوق مستواه . او لا يلقى لها بالا . يحتاج فى ادراك معناها الى تأمل او معاناة او ترجمة او تنبيه. لا تزال اجراسها الصوتية . والفاظها المنطوقة تطن فى اذنيه وتتردد فيها الى ان تجد منفذا الى قلبه ووعيه بعد ادراك معناها .

وقد قالوا فى الكلام الزائف المجوج المصطنع الذى لا يكاد يلقى المستمع اليه بالا . ولا يعطيه اقبالا . لانه مجرد الفاظ ونبرات صوتية تخرج من فم المتكلم. لاتحمل شحنات معنوية تأثيرية . قالوا فى ذلك « ما خرج من اللسان . لم يجاوز الاذان » وقالوا فى عكس ذلك « ما خرج من القلب حل فى القلب » . فالقلب فى النهاية هو محل الادراك من السامع . ومصدر الكلام من المتكلم . جهاز الاستقبال . وجهاز الارسال . اما الالفاظ اينما كانت فى

الالسن والاذان . فانما هى دوال على مافى القلب . وقد يدل المتكلم على ما فى نفسه من الكلام . بغير اللسان والالفاظ . وقديما قيل «القلم احد اللسانين » رقيل :

ان الكلام لفى الفؤاد وانما
جعل اللسان على الفؤاد دليلا

فالالفاظ أدوات عبور وتعبير . تنطق باللسان وتسمع بالاذان . وتكتب بالقلم . ولها بالنسبة للقرآن ـ لانه كلام الله ـ مكانتها ورعايتها واحكامها من حيث البلاغة والفصاحة والاعجاز . والمحافظة عليها من التحريف لئلا تهتز او تتخلخل صور المعانى المرادة بها . هذه المعانى التى تنطلق الى القلب انطلاقا مباشرا فى مثل هذا المقام الذى شرحناه . والتى تكتسب جلالها وروعتها لانها من خلال هذه الالفاظ الموحى بها . والمتلقاه من لدن حكيم عليم . المعنى العظيم يحمله اللفظ العظيم . من متكلم عظيم . والله يقول لرسوله « وانك لتلقى القرآن من لدن حكيم عليم » والقرآن اسم للفظ والمعنى . بل هو باللفظ اشكل . لمزيد تعلق القراءة بالالفاظ . ويقول له « قل نزله روح القدس من ربك » ويقول « انه لقول رسول كريم . ذى قوة عند ذى العرش مكين » والقول بالالفاظ اشكل . ويقول « وما تنزلت به الشياطين وما ينبغى لهم وما يستطيعون . انهم عن السمع لمعزولون » والسمع بالالفاظ انسب .

فالقرآن نزل به الروح الامين . على قلبه صلى الله عليه وسلم . ليكون من المنذرين بلسان عربى مبين .

وهذا ما اردنا الانتهاء اليه اليوم . وللبحث بقايا . والله المستعان .

بقية مقال « السنة النبوية والحديث القدسى من وحى الله تعالى
لفضيلة الشيخ عبد اللطيف السبكى »

والوحى : قرآن .. وسنة .. وحديث قدسى ..

والسنة النبوية من كلام الرسول صلى الله عليه وسلم ، وما عداها فمن كلام الله سبحانه .

والفرق بين القرآن والحديث القدسى أن الأول المتعبد بتلاوته ، فى الصلاة ، وغيرها وانه للاعجاز والتحدى على طول الزمن ، وأن القرآن يتواتر ، وأن تلاوته محظورة على الجنب والحائض ، الا لضرورة .. والقدسى لا تتعلق به تلك الأحكام كما لا تتعلق بألفاظ السنة النبوية .

وبعد ـ فمعذرة الى القارىء فيما أطلت .. لأن المشكلة مشكلة دين ، وعلم ، وأمانة فى العلم .

وهى مشكلة اذا سكتنا عن اللغط فيها وقفت بنا على حافة الهاوية .

وقد قال النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ بما أوحى اليه به عن ربه : « انا عليم ببيت فى ربض الجنة ـ فى رحبتها ـ لمن قال الحق ولو كان مرا » .. ثم قال : أنا زعيم ببيت فى أعلى الجنة لمن ترك المراء وان كان حقا » .

وقد وضعت قلمى بعد أن قلت الحق .. واعتزمت ألا أتمادى فى المراء ولو كان حقا .. وسلام الله ورحمته على من يقرأ ، ويعى .

الحسين بن علي

الأستاذ محمود كمال

مقدمة :

قد يصعب على الباحث فى تاريخ الحسين ـ رضى الله عنه ـ ان لا يجعل نصيبا وافرا من بحثه لتاريخ ابيه ـ الامام على ـ كرم الله وجهه ـ ولتاريخ اخيه الحسن ـ رضى الله عنه ـ ثم لتاريخ معاوية بن ابى سفيان ، ويزيد ابنه ، وعبيد الله بن زياد ، عامل يزيد على الكوفة والبصرة ـ من اعمال العراق ـ ذلك لان كل واحد من هؤلاء يرتبط تاريخه بتاريخ الحسين أوثق ارتباط ويتصل به اكمل واتم اتصال ، بحيث يتعذر على القارىء ان يلم بتاريخ الحسين فى ادوار حياته ، واطوار جهاده فى سبيله الذى اختاره لنفسه ، مالم يكن عنده المام وحصيلة كافية من العلم بتاريخ هؤلاء الذين قدمنا ذكرهم .

ولسوف نعرض على القارىء ـ ها هنا ـ موجزا فيه غناؤه عن تاريخ كل واحد منهم ، لكى نكفيه مؤونة البحث عنه ، ونغنيه عن التنقيب .

واول من يجب ان نتصدى للكلام عنه هو الامام على .

* * *

اولا ـ الامام على :

1 ـ مولده ، واسلامه ، ووفاته :

ولد على بن أبى طالب فى داخل الكعبة ، يوم الجمعة الثالث عشر من رجب سنة ثلاثين من عام الفيل .

ولعله لم يولد فى جوف الكعبة غيره هو وحكيم بن حزام بن خويلد ـ من اجلة الصحابة ـ كما روى حسين بن محمد الديار فى تاريخ الخميس ، والسمعانى فى كتاب الانساب ، وابن الاثير فى أسد الغابة .

وقد اتفقت له منذ حداثته مصادفات تدعو الى كثير من التأمل والنظر .

ولعل اجدر هذه المصادفات بالانتباه هى انه ـ كرم الله وجهه ـ تربى ، لا فى بيت أبيه ، ولكن فى بيت ابن عمه ـ محمد ـ خاتم الانبياء والمرسلين ، ذلك البيت الذى خرجت منه الدعوة الى الله والى دين الله ،

ولذلك سبب .

فلقد حدث ان قحطا اصاب قريشا مما حمل محمدا — النبى الكريم — على ان يهيب بعمية : حمزة والعباس ، أن يحملا معه ثقل عمه ابى طالب ، فى تلك الازمة الطاحنة . فجاء الثلاثة ابا طالب وسألوه ان يدفع اليهم ولده فيكفوه امرهم . فأخذ حمزة جعفر . واخذ العباس طالبا . واخذ محمد عليا . « فعوضه ايثار النبى بالحب عن ايثار ابيه »

واسلم على وهو فى نحو العاشرة من عمره، وانت ترى من ذلك انه لم يسجد لصنم من الاصنام التى كانت آلهة معبودة للعرب فى الجاهلية .

وعدم سجوده لهذه الاصنام هو الذى من اجله يقرن اسمه دائما بعبارة « كرم الله وجهه » .

ولان عليا اسلم . واتبع رسالة محمد . وهو فى تلك السن المبكرة . فقد امتلأ قلبه بحب ذلك الدين القويم . وملك عليه ذلك الحب زمام نفسه ، ولقد قال « ما اعرف احدا من هذه الامة عبد الله بعد نبينا غيرى، عبدت الله قبل ان يعبده احد من الامة تسع سنين » .

وتوفى فى رمضان سنة ٤٠ هجرية . وهو فى الثالثة والستين من عمره .

وكانت وفاته على يد احد الخوارج . وهو عبد الرحمن بن ملجم المرادى . من القراء المشهورين فقد قرأ على معاذ بن جبل .

ومن المفيد أن نروى — فى هذه المناسبة — قصة هذا القاتل الاثيم . وما حدا به الى أرتكاب جريمته الشنعاء .

ولامكان رواية هذه القصة يجب ان نوجز تاريخ تلك الفئة التى سميت « الخوارج » بسبب خروجها على على — كرم الله وجهه — ومحاربته .

لما قتل ثالث الخلفاء الراشدين — عثمان ابن عفان — رضى الله عنه — وبويع على . بعده بالخلافة . فى المدينة . وصارت له العراق . والجزيرة . واليمن . وجعل مقامه فى الكوفة .

وكان معاوية بن ابى سفيان — آنذاك — واليا على الشام من قبل عثمان .

نصب أهل الشام قميص عثمان الذى قتل فيه . وألبسوه المنبر . والزم معاوية واهل الشام عليا بدمه . واخذوا يبكونه ويقولون انه هو الذى قتله وآوى قتلته . وانهم . أى اهل الشام . لا بد لهم من قتاله .

وكانت الشام — كما يقول المرحوم الاستاذ العقاد — بمعنى من المعانى : ارضا اموية فى عهد الجاهلية . فلجأ اليها امية جد الامويين حين غلبه هاشم على الزعامة . وقصد اليها ابناؤه متجرين او مهاجرين . الى ما بعد قيام الدعوة الاسلامية . ثم قامت الدعوة الاسلامية فكان من نصيب يزيد بن ابى سفيان ان يتولى الامارة والقيادة على الشام من قبل الخليفة ابى بكر الصديق ، وخلفه اخوه معاوية من قبل الخليفة عمر ، فلم يزل مقيما على امارتها بضع عشرة سنة الى مبايعة على بالخلافة — بعد مقتل عثمان — فاتسع له من فسحة الوقت . وفسحة الرخاء مجال ممهد لتأسيس السلطان الاموى الذى لا ينازعه منازع من حوله » .

ومع ذلك فان عليا رأى أن يدعو معاوية الى مبايعته بالخلافة فأبى معاوية . فكان لا بد من الاحتكام الى السيف . لكى تستقر الامور لاحدهما . فخرج الجمعان يقتتلان عند المكان المعروف باسم « صفين » — موقع بقرب الرقة الى جانب شريعة على الفرات (والشريعة فى اللغة مورد الشارب) — وسميت الموقعة التى دارت هناك موقعة « صفين » .

وكانت الشريعة المذكورة لمعاوية وجيوشه فى بدء المعركة ، فمنعوا عليا وجيوشه عن ورودها . ولكنه اجلاهم عنها . ثم سمح لهم — مع ذلك — ان يردوها . فلم يفعل ما فعله معاوية من قبل .

وتوقف القتال فترة بعث على . فى خلالها الى معاوية « يدعوه الى الطاعة والجماعة . فقال معاوية : ونطل دم عثمان ... ؟! لا والله ليس بينى وبينكم الا السيف » .

وعاد الفريقان للقتال ورأى عمرو بن العاص أن الهزيمة على وشك ان تحيق بجيوش معاوية ، وان الدائرة توشك ان تدور عليها . فأشار على معاوية برفع المصاحف على الرماح والمناداة بطلب الاحتكام اليها فى المنازعة بين الطرفين . وكانت خدعة قصد بها عمرو اشاعة الفرقة فى صفوف على . فلسوف يقبل بعض من رجاله التحكيم . ويرفضه البعض الآخر . فيدب بين الفريقين شقاق .

وفطن على الى تلك الخدعة . ولم يفته الغرض منها . فرفض ان يلبى النداء . ولكن « الخوارج » كما سموا بذلك ـ فيما بعد ـ لخروجهم على على ومحاربته . وكانوا يمثلون قوة يعتد بها فى جيشه . عند ذاك الزموه قبول التحكيم . ووقع اختيارهم على « ابى موسى الاشعرى » ليكون محكما من قبله . ورفض على اختياره لهذه المهمة . فاجبره الخوارج على اختياره .

واختار معاوية عمرو بن العاص .

واجتمع المحكمان .

واقنع عمرو أبا موسى الاشعرى بضرورة خلع كل من على ومعاوية . وترك أمر الخلافة للمسلمين يختارون لها من يشاءون .

واذا أرادا اعلان ما اتفق عليه بينهما ، طلب عمرو من ابى موسى ان يعتلى المنبر . ويعلن هذا الاتفاق . لانه هو الاكبر سنا وارفع منزلة . فنادى أبو موسى بخلع على ومعاوية معا . وترك أمر الخلافة للاختيار . فقال عمرو « ان هذا قد قال ما سمعتم وخلع صاحبه . وانا اخلع صاحبه كما خلعه . واثبت صاحبى . فانه ولى عثمان والطالب بدمه واحق الناس بمقامه » . فقال ابو موسى « مالك لا وفقك الله ، غدرت وفجرت » .

ثم ركب راحلته ولحق بمكة حياء من الناس .

واقبل اهل الشام على معاوية مبايعين .

وكانت هذه خدعة اخرى !.

واراد الخوارج ان يحملوا عليا على أن ينكث بعهده . وينقض وعده فى امر التحكيم فرفض ان يخلف ما وعد واصر على رفضه .

فلما رأى الخوارج ان التحكيم ادى الى خروج الخلافة من يده الى يد معاوية بن ابى سفيان اتخذوا من رفضه الخلف بوعده حجة لهم . فنقموا عليه . ونقضوا بيعته . ونبذوا طاعته .

ولا يفوتنا ان نسوق . فى هذا التلخيص . حقيقة واضحة . هى ان الخوارج . بزعامة الاشعث بن قيس . من سادة كنده . لم يكونوا خالصى النية فى مناصرة على . منذ اول امرهم معه . ورغم انضمامهم اليه فى محاربة معاوية . بل لعلهم كانوا يدبرون امرا ويتحينون الفرصة لتحقيقه . يدل على ذلك اجبارهم عليا على قبول التحكيم . رغم اعتراضاته . ورفضه . ثم اجبارهم اياه على اختيار ابى موسى الاشعرى محكما عنه . رغم معارضته فى هذا الاختيار . وترشيحه ابن العباس او الاشتر . ليكون محكما نيابة عنه لما فيهما من الكفاية لمثل هذه المهمة .

على ان هؤلاء الخوارج قد كشفوا ـ فى النهاية ـ عن مرادهم ومطامعهم فى الخلافة فبايعوا رجلا منهم اسمه عبد الله بن وهب ، ثم اعتزلوا عليا . فنصح لهم بالطاعة والمسالمة فأبوا معاندين . واصروا على عنادهم وموقفهم منه . فلم يكن بد من حربهم . فهزمهم فى واقعة النهروان ـ وراء دجلة بالقرب من بغداد ـ وافناهم عن آخرهم فلم تقم لهم بعد قائمة .

ورأى عبد الرحمن بن ملجم . ورأى معه زميلاه : عمرو بن بكر بن تميم . والبرك بن عبد الله التميمى الصريمى . ان اصل الفتنة بين المسلمين . ثلاثة يتنازعون على الخلافة . وهم : على . ومعاوية . وعمرو بن العاص . فأبناء المسلمين يقتتلون فى نصرتهم فيقتلون فلقد اخذ معاوية بعد مبايعته من اهل الشام

يبعث سراياه الى بلاد الامام علي يبغي فتحها ليستأثر بالخلافة . فانفذ جندا الى مكة، وآخر الى اليمن . وثالثا الى الجزيرة وظلوا يحاربون ويناوئون . ولكنهم لم يبلغوا اربا حتى دخلت سنة ٤٠ هجرية فتأهب الامام على للخروج الى قتال معاوية فى جيش قوامه اربعون الفا من انصاره بايعوه على الفوز او الموت . فاذا قتل هؤلاء الثلاثة رقدت الفتنة . ويضاف الى هذا السبب ، فى نظر هؤلاء الخوارج . ان عليا قتل الخوارج لرفضهم التحكيم (على زعمهم) ، فيجب ان يقتل فيهم . فتعاهد ابن الملجم وزميلاه على قتل الثلاثة فى يوم واحد . ووقت واحد . وحددوا لذلك ليلة ١٧رمضان سنة ٤٠ هجرية . فيكون احدهم فى الكوفة لعلى (عبد الرحمن بن ملجم) . والثانى فى الشام لمعاوية (البرك بن عبد الله التميمى) والثالث فى مصر لعمرو بن العاص (عمر بن بكر) .

واذا اراد الله شيئا فهو لا بد كائن .

فقد صنع ابن ملجم سيفا مسموما أعده لعلى . واستعان باثنين آخرين من شيعته على انفاذ فعلته . وكانت لديه دوافع اخرى على قتل امير المؤمنين . غير تلك الدوافع التى تقدم ذكرها . فقد قيل انه هام حبا بقطام من قبيلة الرباب . وكانت مقيمة بالكوفة . وقد قتل أبوها واخوها . فى موقعة النهروان . فما زالت تنقم على أمير المؤمنين تريد الاقتصاص منه . شفاء لغلها . وما كان مستوليا عليها من كمد وغيظ . فاغرت عبد الرحمن بن ملجم بقتله . وجعلت ذلك من مهرها. وكان طلبها سببا مضافا الى الاسباب الاخرى التى دفعته الى الاقدام على ما اقدم عليه من منكر .

اما معاوية فقد اصابته الضربة فى غير مقتل .

واما عمرو بن العاص فقد نجا لانه لم يخرج الى المسجد فى تلك الليلة . لسبب او لآخر . وخرج بدلا منه صاحب شرطته . خارجة . فقتل . وقال عمرو للقاتل «لقد اردت عمرا وأراد الله خارجة » فذهب هذا القول مثلا يضرب فى مواضعه .

* * *

٢ - براءة على من دم عثمان :

كما يقول المرحوم العقاد « لقد مضت السنون الاولى من خلافة عثمان على خير ما كان يرجى لها ان تمضى فى عهد خليفة.ثم تغيرت الاحوال فجأة من جانب الراعى ، وجانب الرعية » وحصر العقاد اسباب هذا التغير فى سببين رئيسيين ، تندرج تحتهما الاسباب العديدة التفصيلية . وهذان السببان هما : امعان عثمان فى الشيخوخة ، واستمراء الاعوان لما نعموا به من لين الخليفة ولين الرغد . والمتاع .

وهذا حق ، فان الامعان فى الشيخوخة يصحبه عادة عدم القدرة على مباشرة الحكم، كما يجب ان يكون الامر فيه . مع الاعتماد على الاتباع ، والمقربين .

وما من شك فى ان الاتباع - او بعضهم على لاقل - غالبا ما يميل بهم ضعف الحاكم وقعوده عن النهوض بمهام الحكم بنفسه . الى انتهاز الفرصة لاغتنام المصالح . وتحقيق المطامع . وهذا ما حدث فى خلافة عثمان بعد ان ضعف عن الحكم واستكان لمن حوله من الاعوان .

والواقع ان حب المال . والنهم اليه ، وشهوة الغنى . والميل الى السلطة والسلطان، امور فى طبيعة الانسان . وانما يعف عن التزيد من هذا وذاك بغير حق من عصم الله من فضله ورضاه .

ولقد حدث ان بعض عملاء عمر بن الخطاب - رضى الله عنه - اثروا ثراء ليس له مبرر من عملهم . فكان - رضى الله عنه - يصادر ثروتهم كلها او بعضها . ولم يكن يقبل منهم الادعاء بأن التجارة كانت هى مصدر هذا الثراء . اذ كان يقول « انما بعثناكم ولاة، ولم نبعثكم تجارا » .

ولم يكن لهؤلاء الولاة اسوه فى عمر نفسه وهو الذى لم يكن يستحل لنفسه شيئا الا بالقدر الذى يكفى الضرورة . ومن هؤلاء العمال عمرو بن العاص . واليه على مصر . الذى أثرى . وكثرت امواله . ولم يكن له مثل هذا الثراء من قبل فمن أين كان له هذا المال ؟ ولم يقنع عمر بادعاءات عمرو فقاسمه ماله . واعطى ما اخذه منه الى بيت مال المسلمين . وكذلك فعل مع ابى هريرة . بل لقد ضربه بسبب ذلك بالدرة (السوط).

وكان معاوية بن ابى سفيان واليا على الشام - كما قدمنا - وحدث انه زود اباه بمال كثير . اخفاه عن عمر . ولكن عمر أخذه منه بحيلة ظريفة ودفعه الى بيت مال المسلمين .

أما عثمان بن عفان فكان على العكس من عمر بن الخطاب . اذ ابتنى القصور . وكما ذكر المسعودى فانه اقتنى المال والضياع بوادى القرى . وحنين . وغيرهما .

وكان يتخذ الولاة من اقاربه والمقربين اليه من بنى امية ويتركهم ينهلون من ولايتهم ما يشاءون .

وكان يغدق على الاعوان من بيت مال المسلمين فقد اغدق على الحارث بن الحكم . زوج ابنته . وسفيان بن حرب . وغيرهما كثير .

وبهذا فهو قد اغدق على الكثيرين . وحرم الكثيرين . فكثر المترفون المنعمون . وكثر المتربون المحرومون . فشاع بين الطرفين تباغض وتحاسد . ورمى كل جانب منهما الآخر بما شاء أن يرميه به .

ومن اجل هذه الاسباب التى تتضمن تولية الأقارب واغداق الاموال على الاعوان . وترك عامة المسلمين يرون وينظرون . دون ان يعود عليهم شىء . به يقنعون او يقتنعون . فقد اخذ الناس ينفرون . ثم بدأت الفتنة واستفحل الخطر .

وكما يروى ابن الاثير فى الكامل « فى مبدأ الفتنة ان عثمان بن عفان - رضى الله عنه - صلى بالناس الجمعة ثم قام على المنبر فحصبه القوم حتى صرع عن المنبر مغشيا عليه فادخل داره . واستقتل نفر من أهل المدينة مع عثمان . منهم سعد بن ابى وقاص والحسين بن على . ويزيد بن ثابت . وأبوهريرة فارسل اليهم عثمان يعزم عليهم بالانصراف فانصرفوا » .

ثم تمادى الناس عندما ادلهمت الامور فحصروا عثمان فى داره . ومنعوه الماء . وارادوا قتله . فبلغ ذلك عليا . فبعث اليه بالماء وبابنيه الحسن والحسين . وبعث طلحة ابنه . وبعث الزبير ابنه . وبعث غيرهم من الصحابة ابناءهم ليذودوا عنه ويمنعوا الناس منه .

وطلب الثائرون من عثمان أحد امرين : اما ابعاد مروان بن الحكم . وكان هو القابض على زمام السلطة آنذاك . او اعتزال الخلافة . فان لم يفعل كان عليهم هم ان يعزلوه .

وجاءه على فحذره من أن الناس قاتلوه . وطلب منه الاذن له بمقابلتهم . فأبى عثمان ذلك عليه .

وتطور الحصار . فدخل البعض الدار . واعتدوا عليه . ثم قتلوه .

وجاء على غاضبا على ولديه : الحسن والحسين . متسائلا كيف يقتل عثمان وهما وغيرهما من اولاد الصحابة . متأهبون على بابه للذود عنه .

والسؤال الآن : هل كان على على وزر فى هذا الحادث ؟

وهل كان فى مقدوره انقاذ عثمان من هذا المصير ؟

سبق ان قلنا ان عليا حذر عثمان ان القوم قاتلوه . وطلب منه ان يأذن له فى قتالهم . فأبى ان يجيبه الى ما طلب لانه يكره ان يراق فى سبيله دم . فلم يكن لعلى بد من ان لا يقاتل دون الخليفة . ولم يكن امامه - سوى ان يأخذ الثوار بالحيلة . ويؤخر ما هم بصدده عازمون . فجعل من نفسه وسيطا بين

مواقيت الصلاة

الأيام	جمادى الأولى ١٣٨٦	أغسطس ١٩٦٦	فجر		شروق		ظهر		عصر		مغرب		عشاء	
			ق	س	ق	س	ق	س	ق	س	ق	س	ق	س
الأربعاء	١	١٧	٥٠	٤	٢٣	٦	٥٩	١٢	٣٥	٤	٣٥	٧	٥٨	٨
الخميس	٢	١٨	٥١		٢٣		٥٩		٣٥		٣٤		٥٧	
الجمعة	٣	١٩	٥١		٢٤		٥٩		٣٥		٣٣		٥٥	
السبت	٤	٢٠	٥٢		٢٥		٥٩		٣٤		٣٢		٥٤	
الأحد	٥	٢١	٥٢		٢٥		٥٨		٣٤		٣١		٥٣	
الاثنين	٦	٢٢	٥٣		٢٦		٥٨		٣٤		٣٠		٥٢	
الثلاثاء	٧	٢٣	٥٤		٢٦		٥٨		٣٣		٢٩		٥١	
الأربعاء	٨	٢٤	٥٥		٢٧		٥٨		٣٣		٢٧		٤٩	
الخميس	٩	٢٥	٥٥		٢٧		٥٧		٣٢		٢٦		٤٨	
الجمعة	١٠	٢٦	٥٦		٢٨		٥٧		٣٢		٢٥		٤٦	
السبت	١١	٢٧	٥٧		٢٩		٥٧		٣١		٢٤		٤٥	
الأحد	١٢	٢٨	٥٨		٢٩		٥٦		٣١		٢٣		٤٤	
الاثنين	١٣	٢٩	٥٩		٣٠		٥٦		٣٠		٢٢		٤٢	
الثلاثاء	١٤	٣٠	٥٩		٣٠		٥٦		٣٠		٢١		٤١	
الأربعاء	١٥	٣١	--	٥	٣١		٥٦		٣٠		٢٠		٤٠	
الخميس	١٦	سبتمبر	١		٣١		٥٥		٢٩		١٩		٣٨	
الجمعة	١٧	٢	٢		٣٢		٥٥		٢٩		١٧		٣٦	
السبت	١٨	٣	٢		٣٢		٥٤		٢٨		١٦		٣٥	
الأحد	١٩	٤	٣		٣٣		٥٤		٢٧		١٥		٣٤	
الاثنين	٢٠	٥	٤		٣٣		٥٤		٢٧		١٤		٣٣	
الثلاثاء	٢١	٦	٥		٣٤		٥٤		٢٦		١٢		٣١	
الأربعاء	٢٢	٧	٥		٣٤		٥٣		٢٥		١١		٣٠	
الخميس	٢٣	٨	٦		٣٥		٥٣		٢٥		١٠		٢٩	
الجمعة	٢٤	٩	٧		٣٦		٥٣		٢٤		٩		٢٨	
السبت	٢٥	١٠	٨		٣٦		٥٢		٢٤		٨		٢٧	
الأحد	٢٦	١١	٨		٣٧		٥٢		٢٣		٦		٢٥	
الاثنين	٢٧	١٢	٨		٣٧		٥١		٢٢		٥		٢٤	
الثلاثاء	٢٨	١٣	٩		٣٨		٥١		٢٢		٤		٢٢	
الأربعاء	٢٩	١٤	١٠		٣٨		٥١		٢١		٣		٢١	
الخميس	٣٠	١٥	١١		٣٩		٥١		٢١		١		١٩	

دفاع عن القرآن

الدكتور عبد الغني الراجحي

ألفاظه توقيفية متواترة وذاته مصونة لاتمس

فى شأن من يعرض عن آيات ربه ، وينسلخ منها . متبعا لسبيل الشيطان . مخلدا الى الأرض . لا يرتفع الى مستوى السماويات . عبدا لهواه . ممثلا دور الكلب الذليل ان تحمل عليه يلهث ، أو تتركه يلهث . يقول الله فى محكم كتابه « واتل عليهم نبأ الذى آتيناه آياتنا فانسلخ منها ، فأتبعه الشيطان فكان من الغاوين ولو شئنا لرفعناه بها ولكنه اخلد الى الارض واتبع هواه فمثله كمثل الكلب : ان تحمل عليه يلهث ، أو تتركه يلهث . ذلك مثل القوم الذين كذبوا بآياتنا فاقصص القصص لعلهم يتفكرون . ساء مثلا القوم الذين كذبوا بآياتنا وانفسهم كانوا يظلمون . من يهد الله فهو المهتد .. ومن يضلل فاولئك هم الخاسرون » .

من يوم أن كان اسلام . ونزل قرآن . والتكذيب بآيات الله لاينقطع . والتجبيه للحق والقرآن لا تفتر له حدة . كلما تلألأ للحق والقرآن نور وضياء . ازداد الباطل على نوره وضيائه عمى وسفاهة . كلما أحدث القرآن هدى وشفاء . وحجة وبرهانا . احدث الكافرون له قحة وسفاهة وتكذيبا . « ما يأتيهم من ذكر من ربهم محدث الا استمعوه وهم يلعبون . لاهية قلوبهم وأسروا النجوى الذين ظلموا هل هذا الا بشر مثلكم . أفتأتون السحر وأنتم تبصرون » .

الطاقات المبدعة الخلاقة . ذات الاصالة والجدارة . لابد ان تكون لها فاعلية . وان تشق طريقها غير عابئة بما تقتضيه فاعليتها من أشواك تزرع فى طريقها ، واحقاد تثار حولها . وحواجز تحاول الوقوف فى وجهها . فتكتسحها . ثم لاتزداد على هذه الممانعة الاقوة وفاعلية .

ثم قال كفرة مكة . ويهود يثرب . وأعداء القرآن ابان نزوله . كم قالوا وتقولوا عليه

ولم يكن لهؤلاء الولاة اسوه فى عمر نفسه وهو الذى لم يكن يستحل لنفسه شيئا الا بالقدر الذى يكفى الضرورة . ومن هؤلاء العمال عمرو بن العاص . واليه على مصر . الذى أثرى . وكثرت اموالة . ولم يكن له مثل هذا الثراء من قبل فمن أين كان له هذا المال ؟ ولم يقنع عمر بادعاءات عمرو فقاسمه ماله . واعطى ما اخذه منه الى بيت مال المسلمين . وكذلك فعل مع ابى هريرة . بل لقد ضربه بسبب ذلك بالدرة (السوط) .

وكان معاوية بن ابى سفيان واليا على الشام _ كما قدمنا _ وحدث انه زود اباه بمال كثير . اخفاه عن عمر . ولكن عمر أخذه منه بحيلة ظريفة ودفعه الى بيت مال المسلمين .

أما عثمان بن عفان فكان على العكس من عمر بن الخطاب . اذ ابتنى القصور . وكما ذكر المسعودى فانه اقتنى المال والضياع بوادى القرى . وحنين . وغيرهما .

وكان يتخذ الولاة من اقاربه والمقربين اليه من بنى امية ويتركهم ينهلون من ولايتهم ما يشاءون .

وكان يغدق على الاعوان من بيت مال المسلمين فقد اغدق على الحارث بن الحكم . زوج ابنته . وسفيان بن حرب . وغيرهما كثير .

وبهذا فهو قد اغدق على الكثيرين . وحرم الكثيرين . فكثر المترفون المنعمون . وكثر المتربون المحرومون . فشاع بين الطرفين تباغض وتحاسد . ورمى كل جانب منهما الآخر بما شاء أن يرميه به .

ومن اجل هذه الاسباب التى تتضمن تولية الأقارب واغداق الاموال على الاعوان . وترك عامة المسلمين يرون وينظرون . دون ان يعود عليهم شىء . به يقنعون او يقتنعون . فقد اخذ الناس ينفرون . ثم بدأت الفتنة واستفحل الخطر .

وكما يروى ابن الاثير فى الكامل « فى مبدأ الفتنة ان عثمان بن عفان _ رضى الله عنه _ صلى بالناس الجمعة ثم قام على المنبر فحصبه القوم حتى صرع عن المنبر مغشيا عليه فادخل داره . واستقتل نفر من أهل المدينة مع عثمان . منهم سعد بن ابى وقاص والحسين بن على . ويزيد بن ثابت . وأبوهريرة فارسل اليهم عثمان يعزم عليهم بالانصراف فانصرفوا » .

ثم تمادى الناس عندما ادلهمت الامور فحصروا عثمان فى داره . ومنعوه الماء . وارادوا قتله . فبلغ ذلك عليا . فبعث اليه بالماء وبابنيه الحسن والحسين . وبعث طلحة ابنه . وبعث الزبير ابنه . وبعث غيرهم من الصحابة ابناءهم ليذودوا عنه ويمنعوا الناس منه .

وطلب الثائرون من عثمان أحد امرين : اما ابعاد مروان بن الحكم . وكان هو القابض على زمام السلطة آنذاك . او اعتزال الخلافة . فان لم يفعل كان عليهم هم ان يعزلوه .

وجاءه على فحذره من أن الناس قاتلوه . وطلب منه الاذن له بمقابلتهم . فأبى عثمان ذلك عليه .

وتطور الحصار . فدخل البعض الدار . واعتدوا عليه . ثم قتلوه .

وجاء على غاضبا على ولديه : الحسن والحسين . متسائلا كيف يقتل عثمان وهما وغيرهما من اولاد الصحابة . متأهبون على بابه للذود عنه .

والسؤال الآن : هل كان على على وزر فى هذا الحادث ؟

وهل كان فى مقدوره انقاذ عثمان من هذا المصير ؟

سبق ان قلنا ان عليا حذر عثمان ان القوم قاتلوه . وطلب منه ان يأذن له فى قتالهم . فأبى ان يجيبه الى ما طلب لانه يكره أن يراق فى سبيله دم . فلم يكن لعلى بد من ان لا يقاتل دون الخليفة . ولم يكن امامه _ سوى ان يأخذ الثوار بالحيلة . ويؤخر ما هم بصدده عازمون . فجعل من نفسه وسيطا بين

الجانبين . واستمهل الثوار اياما . يرد الخليفة فيها المظالم . ويعزل الولاة المكروهين وعقدالخليفة مؤتمرا من ناصحيه ومستشاريه وهم : معاوية . وعمرو بن العاص . وسعيد ابن العاص . وعبد الله بن عامر . وعبد الله ابن ابى سرج . فأشار كل منهم برأى ولم يكن رأى واحد من آرائهم يتفق مع رغبات الثوار . او من شأنه التخفيف من حدتهم . او التطمين من شدتهم . بل لقد كانت كل الآراء تكاد تكون متفقة على الاحتفاظ بالاوضاع كما كانت عليه . فلا تغيير ولا تبديل من شأنه الاشعار بأن الخليفة قد بر الناس ما وعدهم . وانقضت المهلة ورأى الناس ان الأمور تجرى على ما كانت تجرى عليه من قبل . وانه لم يعد لديهم من شيء يصلون به الى غاياتهم سوى عزل الخليفة عن خلافته . ولكن الثورة اذا ما احتدمت . واشتدت . لم يكن للعقل فيها نصيب يعتد به . ولا يمكن ان توزن الامور فى أثنائها بميزان الاعتدال . أو يميل القائمون بها الى الاتزان. وعدم الاندفاع والا فما كانت لتوصف بأنها ثورة ـ من اجل ذلك اقدم الثوار على ما اقدموا عليه . ولم يكن فى وسع على ان يكبح جماحهم أو يصد جموعهم . وهو غير مأذون له بقتالهم . وقتالهم كان هو السبيل الوحيد للخلاص من الورطة . والافلات من الخطوب المرتقبة .

ولم يكن على واحدا من اهل الشورى لدى عثمان . بل كان مكروها من خلصائه ومستشاريه . ومن الامويين بصفة عامة .

ورغم ذلك فقد بعث الحسن والحسين وأمرهما أن يدفعا عن الخليفة غائلة الثوار . ويصدا عنه . واقتدى به بعض الصحابة فارسلوا ابناءهم عسى ان يفهم الثوار ان هؤلاء الصحابة لم يكونوا ليرضوا عن ضرر ينزل بالخليفة او اذى يصيبه .

ثم ... أفلم يكن معاوية اولى بأن يبذل جهده فى القضاء على الثورة وحماية الخليفة وقد كان حاضرا المؤتمر الاستشارى . كما قدمنا ـ وكان ذا جند وسلاح . وحول وطول . ومال وفير ؟!

ثم ... أفلم يكن فى وسعه ان ينقل الخليفة الى الشام . او الى مكة . حيث تتوفر له الحماية اكثر مما تتوفر له فى المدينة ؟.

وألم يكن الامويون الناصحون اقدر على تدبير حيلة ينجون بها الخليفة من هذا المصير ؟!.

فلماذا لم يفعلوا ؟.

وانظر ...!!!

لقد تبين أن عليا زجر الثوار عندما جاءوه عارضين عليه الخلافة . فلم يترك لديهم شكا فى انه لايقرهم على ثورتهم ولا يرضيه ان يصدر منهم على الخليفة اعتداء .

كما تبين . بما لا يدع مجالا للشك . ان بعض مستشارى عثمان كانوا يتوقعون له هذه النهاية بل ويعملون على تحقيقها . فقد قال عمرو بن العاص « انا قتلته وانا فى وادى السباع» وذلك يعنى انه كان يسعى فى الخفاء . فى قتله . وهو بعيد عنه !!

ولسنا نعجب من أن عمرا يفعل هذا لأن عثمان كان قد عزله من ولايته على مصر فأحفظه ذلك عليه . فلا اقل من ان يدبر له أمرا انتقاما منه . ونقمة عليه !!

واما معاوية فلم يكن خالص النية . سليم الطوية . بل كان يطمع فى ان يتبوأ الخلافة محل الرجل المريض . والا فلماذا لم يسع . بعد مقتل عثمان . فى تولية الخلافة ولدا من اولاده بدلا من ان يحاولها لنفسه ؟.

٣ ـ صفات على :

كانت للامام على صفات بالغة من السمو ما بلغت . واصلة من النبل ما وصلت . ولا خلاف عليها بين صحابته واعدائه على سواء . فهؤلاء وهؤلاء يقرون اتصافه بتلك الصفات . وان انسانا لا يرى كيف يفضل واحدة منها على الاخرى ... فهو شجاع . باسل . بر . كريم . عالم . زاهد . تقى . نقى . نبيل . متواضع غاية التواضع . فلا اثر عنده لزهو أوغرور بقوة .أوعلم.أوجاه .

مع انه ينتسب الى أكرم مخلوقات الله عليه، واقربهم . على الاطلاق . اليه . وقد تربى فى بيت النبى . فنهل من فضائله . وتغذى من شمائله . فكان له منها نصيب مشكور . وقدر موفور . وقد قال فيه الرسول « على منى . وانا منه .. » .

يؤيد هـذا شهادة النبى الاكرم لعلى . عندما قال للزبير « انه » .. يعنى عليا « ليس به زهو .. ولتقاتلنه وانت ظالم » .

* * *

(ا) واما شجاعته وقوته الجسدية فأمر لا خفاء فيه على احد . ولقد بلغ من أمر تلك الشجاعة والقوة انه وهو بعد صبى اجترأ على عمرو بن ود فارس الجزيرة العربية . وكان فى جيش الكفار فى وقعة الخندق . ويقوم عندهم بألف رجل . واذ نادى عمرو بأن يخرج اليه رجل من المسلمين ليبارزه نهض على ليخرج اليه فأمسكه النبى قائلا : انه عمرو .. ثم سمح له آخر الامر . فاقتتلا . وكان عمرو يستهزىء به اذ رآه ما زال ناشئا لا كفاءة فيه لمناجزته . ولكن عليا جندله بعد مبارزة عنيفة !.

وكان على يمسك الفارس بيده فيرفعه ثم يجلد به الارض دون جهد عليه فى ذلك .

وما من رجل خرج له فى حرب او مبارزة الا فاز عليه .

ولعل ابنه ـ محمد ابن الحنفية ـ قد أخذ عنه هذه القوة الجسدية لانه هو الآخر قد اشتهر بقوة خارقة . عز نظيرها . وقل مثيلها .

* * *

(ب) واما نبله فالامثلة عليه عديدة نجتزىء منها بالقليل :

فلقد اوصى ـ رحمه الله ـ ان يقتل قاتله فيه ولا يمثل به . قال :

« يا بنى عبد المطلب لا الفينكم تخوضون دماء المسلمين خوضا تقولون قتل امير المؤمنين . لا تقتلن بى الا قاتلى . انظروا اذا انا مت من ضربته هذه فاضربوه ضربة بضربة ولا تمثلوا بالرجل فانى سمعت رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ يقول : « اياكم والمثلة ولو بالكلب العقور » .

وبعد اذ اقتتل جيش طلحة والزبيروجيش على . وقتل طلحة حزن عليه . ووقف على جثته باكيا احر بكاء وجعل يمسح التراب عن وجهه ويقول : « عزيز على ان أراك أبا محمد مجندلا تحت نجوم السماء » ـ فكيف به يرثى عدوه بمثل هذا الرثاء الا ان يكون انسانا فيه نبل ووفاء .

كذلك لقد سمح لجيوش معاوية ان تستقى من الشريعة بعد اذ استولى عليها وكان فى مقدوره ان يمنعهم منها فيموتون عطشا وظمأ .

(ج) واما سخاؤه وزهده فى الدنيا وما فيها من متاع فيكفيك ان تعلم انه « لما قبض » ـ كما يقول ابن الحديد فى شرح نهج البلاغة ـ « اتى محمد ابنه اخويه حسنا والحسين فقال لهما أعطيانى ميراثى فى ابى فقالا له قد علمت ان اباك لم يترك صفراء ولا بيضاء . قال : قد علمت ذلك وليس ميراث المال اطلب انما اطلب ميراث العلم » . وقالت العثمانية ان عليا ـ عليه السلام ـ خلف عقارا كثيرا يعنون نخلا . ولكن قد علم كل واحد ان عليا استخرج عيونا بكد يده بالمدينة وينبع وسويعة . واحيا بها مواتا كثيرا ثم اخرجها عن ملكه . وتصدق بها على المسلمين ولم يمت وشىء منها فى ملكه »

ولما ان ذهب الى النبى الكريم ليخطب ابنته فاطمة الزهراء . ذهب على استحياء لانه يعلم انه لا يملك شيئا يقدمه مهرا لها . فدخل النبى الى فاطمة يسألها رأيها فقالت : « كأنك يا أبت قد ادخرتنى لفقير قريش » .

وسأله النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ ان كان عنده ما يقدمه مهرا . فقال انه لا شىء عنده . فسأله ان كان عنده درعه فقال : نعم . فأخذه منه فبعث به الى السوق فبيع بدراهم معدودات .

ورغم فقره فان الرسول فضله على أى خاطب آخر تقدم اليه . اذ كان « الصديق »

قد تقدم لخطبتها . من قبل . وجاءه «عمر» فى الامر نفسه فكان النبى يقول لكل منهما « انتظر بها القضاء » . وتفضل على عليهما . وهما من هما من رجالات المسلمين . فيه معنى تأكيد ما تحلى به على من مكارم الاخلاق . ومحاسن الصفات . وقربه من محبة النبى الاكرم .

ولقد كان على . وهو امير المؤمنين . يرفض سكنى القصور . فلم يسكن قصر الامارة فى الكوفة وانما سكن مساكن من من امثال ما يسكنه الناس .

وقال عمر بن عبد العزيز « ان ازهد الناس فى الدنيا على بن ابى طالب » .

(د) واما علمه فاشهر من ان يذكر فانه كان « استاذ علماء الكلام والتوحيد . كما اتصلت الحلقات بينه وبين علماء الفقه والشريعة . وعلماء الادب والبلاغة » .

وله فى الحكمة والبلاغة اقوال يتداولها الناس على مدى الاجيال المتعاقبة فى لفظها روعة . وفى معناها آية من ايات قوة العقيدة . ومتانة الخلق . والعلم بطبائع الانسان . وطبيعة الحياة .

من ذلك على سبيل المثال قوله :
« اعمل لدنياك كأنك تعيش أبدا .. واعمل لآخرتك كأنك تموت غدا » .

و . **« لو كان الفقر رجلا لقتلته »**

و **« انها » .. يعنى الدنيا « اذا ادبرت من انسان سلبته محاسن نفسه . واذا اقبلت عليه اعارته محاسن غيره »** .

و **« علامة الايمان ان تؤثر الصدق حيث يضرك على الكذب حيث ينفعك . والا يكون فى حديثك فضل على علمك . وان تتقى الله فى حديث غيرك »** .

و **« ما اكثر العبر . واقل الاعتبار »** .

والمشهور عنه انه كان اقضى أهل زمانه واعلمهم بالفقة والشريعة وكان واسع القدرة على استنباط الاحكام من آيات القرآن . ومن الاحاديث . والعرف . بل لقد كان فى حقيقة الامر - مشرعا يشرع لكل مناسبة حكمها :

فمن ذلك :

١ - انه قد جاءته امرأة . قالت ان اخاها مات وترك ٦٠٠ دينار . لها هى فيها دينار واحد . وشكت اليه من ذلك . قال : لعله ترك زوجة . وابنتين . واما . واثنى عشر اخا . . وانت (أخته) . قالت هذا واقع .

وحل هذه المسألة ان نصيب الزوجة الثمن (٧٥ دينارا) ونصيب البنتين الثلثان (٤٠٠ دينار) . والام السدس (١٠٠دينار) فيكون الباقى بعد ذلك خمسة وعشرون دينارا . لكل اخ ديناران . ولها - اى الاخت الشاكية - نصف نصيب كل اخ من اخوتها اى دينار واحد .

ومنه :

٢ - ان عمر بن الخطاب - رضى الله عنه - اتى بامرأة ولدت لستة اشهر فهم برجمها . فقال له ان حاصمتك بكتاب الله خصمتك . ان الله تعالى يقول « وحمله وفصاله ثلاثون شهرا » . ويقول « والوالدات يرضعن اولادهن حولين كاملين لمن اراد ان يتم الرضاعة » فاذا تممت المرأة الرضاعة سنتين وكان حمله وفصاله ثلاثين شهرا كان الحمل ستة أشهر .

فخلى عمر سبيل المرأة .

ومنه :

٣ - ان عمر بن الخطاب رأى امراة تزنى واراد ان يرجمها . ولكنه اراد ان يستفتى فى امرها قبل ن ينزل بها تلك العقوبة . فقال على ما معناه : هل عندك أربعة شهود عدول يشهدون بما تقول . قال : لا . فقال على ما معناه انه يجب عليك - اذن - ان تمتنع عن رجمها . والا فقد وجب عليك حد القذف .

فسكت عمر . ولم يفعل شيئا .

الى هنا وللحديث عن على - كرم الله وجهه - بقية فى العدد القادم ان شاء الله .

من وحى :
الدين والثورة

عمال الدولة قادة وقدوة

الأستاذ أحمد دانى

الاستعمار الأجنبى ، والملكية الفاسدة ، وما يدور معهما من اقطاع ، ورجعية ورؤوس أموال مستغلة ، كانت هذه كلها قوى شريرة متحالفة ضد حقوق الشعب وحرياته ، استطاعت على مدى أزمان طويلة أن تمتص دماءه ، وتفرى لحمه وعظامه ، وقد اشتد الطغيان ، فاشتد الغليان ٠٠ وانفجر البركان وانطلقت ثورة ٢٣ يوليو ، انطلاق المارد من القمقم ، وفى وثبتها الأولى الخالدة ، قضت على هذه القوى المتحالفة ، وحطمت حصونها المنيعة ، وفتحت بذلك طريقها المسدود ، الى أهدافها التحريرية الكبرى ٠٠

وكان ذلك عملا بطوليا مذهلا ، فما كان الشعب ، على فرط ما يعانى من الشقاء ، وعلى ما كان يراود خياله ، مصبحا وممسيا ، من أمانى الخلاص والفكاك ٠٠ ما كان ليقع فى خاطره مع هذا أن يفتح عينه ذات صباح ، فيرى ذلك الأخطبوط المخيف ذا آلاف الرؤوس والأرجل والأذناب، منهارا ومسحوقا تحت أقدام هؤلاء الفتية « القلائل » من أبنائه !٠٠

وفى نشوة الاعجاب ، ودهشة المفاجأة ، التقط الشعب أنفاسه المبهورة، واسترد نفسه الضائعة ، وانطلق ثائرا مع « أبنائه » « الثوار » ؟!٠٠

وأكثر الناس ممن استهولهم الأمر واقعا هكذا ، بضربة معجلة وقاصمة ، راحوا يتساءلون فى عجب : فيم – ادن – كان مقامهم على الضيم ، وصبرهم على البلاء ؟! وكأنما كانوا يتلاومون لاستسلامهم ، دهورا ، الى مخاوف متوهمة أقعدتهم مقاعد الجبناء المتخلفين ، وكان فى وسعهم – كما قد تبينوا – أن يكسروا القيود ، ويتخطوا السدود ، ويقطعوا رؤوس الأفاعى وأذنابها ؟! ولعلهم فى تلاومهم كانوا يتذاكرون مقالة الجن حينما رأوا سليمان يخر ميتا بين أيديهم ، وكانوا يحسبونه « مسلطا » عليهم أبدا لا يموت « لو كانوا يعلمون الغيب ما لبثوا فى العذاب المهين » ٠٠

ولم يكن الأمر – فى الحقيقة – غيبا يجهله المصريون ، جهالة جن سليمان ، ولا كان منهم عن انخذال واستخذاء ، ولا نكولا عن تضحية وفداء ، فتاريخ الكفاح الوطنى فى مصرقديم ، طويل ، حافل بالعظائم والبطولات ٠٠ ولكن الأمر قبل انبعاث الثورة كان أمر شعب برحت به الآلام ، وفشت فيه سموم الاقطاع فانصدعت وحدته ، وتفرقت كلمته ، وافتقد القيادة الوثابة ، والزعامة المقدامة ، على كثرة من كانوا يرتدون مسوح القادة والزعماء ٠

فثورتنا ثورة شعب طال مساره على طريق النضال الذاهب الى بعيد فى أغوار الزمن ولم يكن قادتها الأبطال الا أبناء هذا الشعب المخلص ، تجرى فى عروقهم دماؤه الصريحة ، وبين جوانحهم تشتعل آلامه، وتتوهج آماله٠

والحديث فى هذا طويل ، وهو فى اجماله وتفصيله حلقات ذهبية ، فى سلسلة مفاخر يزدهى بها وجه تاريخنا البطولى الى آخر الدهر ، ولسنا هنا فى مقام العد والاحصاء ، فما لنا بذلك طاقة فى مثل هذا المقام ..

على أننا فى هذه الأيام النضرات التى نعيشها فى ذكرى مرور أربعة عشرة عاما من مولد الثورة ، نؤثر أن نتناول من حديثها - ها هنا - جانبا هاما نعتقد أنه أوثق جوانبها صلة بالجماهير ، وأشدها تأثيرا فى حياة المواطنين .. ذلك هو : جانب « عمال الدولة » ؟ ومدى انفعالهم بمبادىء الاشتراكية ، وأخلاقياتها ، وما ينبغى أن يأخذوا به أنفسهم ، انطباعا على هذه المبادىء والأخلاق ؟!

فهذه الانتصارات الثورية الروائع التى حققت المعجزات ، قد انتقلت « أمانتها » من ايدى قادة الثورة تخطيطا ، وترسيما هادفا ، ومشروعات عمرانية مدروسة متكاملة ، الى أيدى « عمال الدولة » ليقوموا عليها تطبيقا وتنفيذا ..

والمواطن - أى مواطن - لايرى وجه الثورة ، فى وضوح الرؤية الكاملة ، الا من خلال ما يراه ويلمسه من تصرفات هؤلاء العمال ، فهم سفراؤها اليه ، ومرآتها أمام عينيه ..

ومن هنا خطورة شأنهم ؟

ومن هنا كذلك أصبحت مسئولياتهم فى العهد الثورى ، أوسع وأضخم منها فيما سبقه من عهود ..

وقد أدركت الثورة أهمية دورهم فى هذه النهضة البناءة الشاملة فأضاءت لهم طريق العمل ، وجاء الميثاق ليدلهم على أصح مناهجه فيقول لهم ، انه « العمل الانسانى الخلاق » لأنه « الوسيلة الوحيدة أمام المجتمع لكى يحقق أهدافه » ، ولم تعد مناصب الدولة ووظائفها ، كما كانت من قبل ، مجرد « غاية » مطلوبه للتظاهر والاستعلاء وتحقيق الارب والشهوات ، وانما هى الان - كنص الميثاق - « لتنظيم الخدمة العامة وضمان وصولها على نحو سليم الى الجماهير » .

وكانت الثورة وهى تعلن الميثاق فى منتصف سنة ١٩٦٢ قد قطعت فى طريقها الحاشد بالمضانك والمشقات ، عشر سنوات استظهرت خلالها فى المحيط الوظيفى نزعات انطوائية مشوبة بعقم الاوتوقراطية وجهامتها وتعقيداتها .. فلم تشأ أن تأخذ الأمر بما تمليه ظواهره من صرامة وقسوة ، لا عن لين فى موضع شدة أو اغتماض عين على قذى ، ولكن عن تقدير واع ، ومنصف لطبيعة الأوضاع المخضرمة التى تلاقت فيها رجعية مزمنة باشتراكية حديثة ، فاختارت للقضاء عليها سبيل التقويم والترشيد وسد ذرائع الفساد فى أجهزة العمل جميعا ، ومن ثم كانت لها فى هذا تدابير اصلاحية متسمة بالحكمة والسداد .

من ذلك - كما جاء بالميثاق - « أن يكون الفرد المناسب فى العمل المناسب لخبرته وقدرته » وألا يكون هناك سوى « عمل واحد للرجل الواحد » تركيزا للمسئوليات واجتنابا لاختفائها بين الأيدى الكثيرة المشتركة فيها أو فى ركام السلطات العديدة المتنازعة عليها ؟

والنص على هذا بالذات ، يعالج عيبا كان قد فشا ، ناجما من حشد الوظائف فيما مضى الى حد التخمة بالأتباع والأنصار ، دون النظر الى حاجة العمل ولا الى ما ينبغى أن يتوافر له من كفاءات معينة ، حتى لقد كان بعض الوزراء يصدر قرارات التعيين أولا ثم يقرر انشاء الوظائف واعتمادها بالميزانية بعد ذلك ، وكثيرا ما كان المعينون بهذه الطريقة يظلون بلا عمل وقتا طويلا ، يقبضون فيه أجورهم على بنود واعتمادات غير مختصة ، فاذا وكلت اليهم الوظائف بعد انشائها لم يحسنوا النهوض بواجباتها لانتفاء صلاحيتهم لها أصلا ، ولشعورهم - أكثر من ذلك - بأنهم جاءوا اليها لتكفل لهم رزقا رغدا ، ولا عليهم الا أيؤدوا عملا ، ولهم من المحسوبيات الكبيرة ، معاذ ومستعصم ؟!

وقد اقتضت كثرتهم ، حينذاك ، أن يشترك فى العمل الوحد أكثر من واحد ،

فأولهم يحتج بثانيهم ، وثالثهم يحيل الى رابعهم ، وهكذا دواليك .. والضحية دائما ، مصلحة الجماهير ؟

وتخلصا من هذه العلل والعقابيل ، وتقريبا للخدمات العامة من المواطنين وضمانا « لوصولها اليهم على وجه سليم » أقامت الثورة - لأول مرة - نظام الحكم المحلى ، بديلا من المركزية التى كانت أوكارا لتفريخ المظالم والمعوقات ، وخلق المتاعب والمضايقات .. واختراع الأسباب والتعللات لاهدار المصالح والحقوق ..

فصارت مراكز الخدمة على قرب قريب من المواطنين ، بل وفى متناول أيديهم فى القرية وفى المدينة ، وفى عاصمة الاقليم ، على أبعاد جد متقاربة ، وشهد الريف شيئا جديدا ومبتكرا لا عهد له به ، وأفعمت حياته المقفرة حركة ونشاطا وازدهارا ، فبين يديه خطوط مواصلات عريضة مرصوفة ، ووسائل الانتقال والنقل ميسرة عليها غدوا ورواحا ، وعلى قيد خطوات من داره وحقله تقوم معاهد التربية والتعليم ووحدات الخدمات الصحية والزراعية والاجتماعية ، ومقار الجمعيات التعاونية وفروع بنك التسليف ومراكز الشرطة ، وأنابيب المياه المرشحة وشبكات النور الكهربائى ، الى غير ذلك من المرافق العامة التى كانت قد استأثرت بها القاهرة وعواصم المدن ، واحتكرها لأنفسهم سادة الريف .. وأصحاب القصور ؟..

وفى ضوء هذه الظواهر الحضارية العذراء ، التقى الريف بالثورة ، وجها الى وجه . وايقن أهله أنهم قد استقاموا حقا على طريقها وأووا الى ظلالها ، وزادهم يقينا ، ان الثورة أقامت منهم على هذه المرافق الهامة حراسا ورقباء ، ينتخبونهم انتخابا حرا ، للتنظيمات الشعبية التى يمثلها الاتحاد الاشتراكى العربى ومجالس المدن والقرى ..

واهتمامات الثورة بالريف على هذا الوجه « الديمقراطى المتسق » ، انما تنبع من ايمانها بأن الريف هو مجتمع التسعة والتسعين ونصف فى المائة - كتعبير السيد رئيس الجمهورية فى احدى خطبه الجماهيرية الرائعة ذلك المجتمع الذى ألح عليه الحرمان والظلم أمدا طويلا ، وأهله المتناثرون فى أربعة آلاف قرية وفى أكثر من عشرين ألف نجع ودسكرة ، هم مصدر الانتاج والخير والحياة للأمة فى مجموعها ، وقد كان هذا ملحوظا ، ونابضا فى صميم مبادىء الثورة الستة التى قامت من أجلها ، فما كان القضاء على الاستعمار والاقطاع والاحتكار ، واقامة العدالة الاجتماعية ، والجيش الوطنى ، والحياة الديمقراطية السليمة ، ما كانت هذه المبادىء والشعارات الا لحساب هذه الملايين المحرومة الكادحة ومن أجلها ، وفى سبيل تحريرها وحمايتها ؟!

وهذه هى الأمانة الكبرى التى استرعت عليها الثورة « عمال الدولة » ..

وها نحن الان فى نهاية العام الرابع عشر من قيام الثورة ، والعام الرابع من اعلان الميثاق ، وما يزال قادة الثورة - صانعوا المعجزات - يبحثون عن أقوم الوسائل للقضاء على العيوب المندسسة فى الأجهزة الوظيفية ، وقد أولى السيد رئيس الوزراء هذا الأمر اهتماما خاصا . فاجتمع بالسادة الوزراء ومحافظى الأقاليم فى مؤتمر كبير استغرق جلسات ذات عدد ، ونوقشت الآراء بصراحة وحرية ، وانعقد الاجماع على ضرورة التمكين للشعب من حقوقه فى الخدمات العامة بأيسر الوسائل ، وأقصرها طريقا وأوفرها كفاية وعدلا ..

والسبيل الى تحقيق ذلك ، هو - باجماع الآراء - تطوير أجهزة العمل الادارى وافراغها فى قوالب اشتراكية خالصة من الشوائب .

وليست هذه الأجهزة مجرد دواوين وقماطر وأضابير ودفاتر ، ولافتات وعناوين ، وانما هى - قبل ذلك - وبعد ذلك « عمال » من البشر ، يفكرون بعقولهم ، ويعملون بأيديهم ويتحركون ويحركون ، ويتأثرون ويؤثرون .

وقد يكون من بينهم اناس وشجت بينهم وبين العهود السابقة وشائج قريبة أو بعيدة ، ربما نالت من ولائهم الوظيفى فى العهد الحاضر ، وربما أثارت عليهم غبارا من الظنون

وريحا من الخوف والقلق ، والثورة لا يغرب عنها هذا ، ولكنها ـ كما قلنا ـ أكبر قلبا من أن تضيق بهم ، وأبغض ما تبغضه أن يضار انسان بجريرة غيره ٠٠ وقد ذهب عهد المساوىء وباد ولن يعود ، وهم قد عاشوا مع الثورة أربعة عشرة عاما ، انحسرت فيها الأقنعة ٠٠ وتكشف الدخائل ، وتميز المحسن من المسىء ، والصالح من الطالح ، ووضع كل فى موضعه ؟٠٠

فالثورة ، فى قوتها ، تنظر الى الجهاز الوظيفى نظرة واسعة وتعده وحدة متماسكة وتمنحه القدرات الدافعة للحركة والانتاج٠٠ وقد رفعت مستوى العمال الانسانى والاجتماعى وقررت لهم جميعا ، وبلا تفرقة ، أجورا ومكافآت وكفالات ونظما تأمينية تحصنهم ضد الحاجة والمرض والشيخوخه الخ ٠

وهذا الجهاز يعمل الآن متعاونا مع الهيئات الشعبية المنتخبة التى أشرنا اليها ، ومن هنا اكتملت عناصر الادارة المحلية ، فى مستوياتها المترابطة ، وما يؤخذ عليها من عيوب انما مرده الى مركبات نفسية معقدة تختلط فيها عدة عوامل ، منها : جدة النظام ، واختلاف درجات فهمه ، واهتزاز الثقة بين المشركين فى تطبيقه ، وافتقاد القدرة على استظهار حدوده ومعالمه ، والى ما يصاحب ذلك من غريزة الاستطالة والقفز طموحا الى مظهر، أو تحقيقا لمغنم ، ومن ثم كانت الشكوى وكان « الضرر والضرار » ، وكانت الاجتماعات والمباحثات التى دعا اليها السيد رئيس الوزراء ٠

والأمر بعد لا يحتاج شيئا ، أكثر مما يحتاج الى « تفجير ثورى » آخر ، نبه اليه السيد رئيس الوزراء فى كلمة قصيرة ، انطوت على العلاج الصحيح ، فقد طلب سيادته من السادة المحافظين أن يباشروا الرقابة على الجهاز الادارى فوق الطبيعة ، وبطريق الزيارات التفتيشية المفاجئة ، وأن يتصلوا شخصيا بالمواطنين فى حقولهم ومصانعهم وأن يستمعوا الى مطالبهم وآرائهم وشكاواهم ٠

فذلك هو حل المشكل ، وعلاج العلة ، ولا يوزن به أو يغنى غناءه ، مزيد من قرارات ونشرات يتراكم بعضها فوق بعض وتضيق أذهان المسئولين دون استيعابها ، وقد يفهمها أحدهم ولكنه يتصرف على خلافها كما لو كان غيره هو المسئول عنها أو المأخوذ بها انغمارا فى مضطرب « الروتين » المتعدد الشعاب ٠٠ المغلق النوافذ والأبواب ؟!

والرقابة المباشرة من المستوى الأعلى ٠٠ وبأسلوب التفتيش التنكرى من السنن الاسلامى المأثور الذى صلحت به أمور الدين والدنيا معا فى صدر الدولة الاسلامية وعلى عهد خلفائها الراشدين ٠

وقد كان أمير المؤمنين عمر بن الخطاب ـ رضى الله عنه ـ أول من ساس الدولة بهذا الأسلوب فى أول عهدها بالاستقرار ، فكان يقيم الولاة والعمال على أمور الناس فى مختلف أقطار الدولة ، ويوصيهم ويحذرهم ، ثم يرصدهم من قريب بعيون تراهم ولا يرونها ، فاذا انحرف أحدهم عن الجادة حاسبه واشتد فى الحساب ، واذا فشت له فاشية من مال تجاوز حده المقدور ، صادرها وأضافها الى بيت مال المسلمين ، ثم لا يكتفى بعيونه المرصودة حول عماله ، فهو ينهض للرقابة بنفسه مختلطا بهم سرا وعلانية ، وأكثر ما يكون ذلك تعسسا فى سكون الليل وغفلة الناس وله فى ذلك أمثلة روائع ، منها :

ـ كان يمر بالمدينة ذات ليلة ، فرابه من أحد بيوتها صوت رجل وامرأة يعيشان ، فتسور الحائط عليهما ، ورآهما يتساقيان خمرا ، فقال للرجل مغضبا : « يا عدو الله ، أكنت ترى أن الله يسترك وأنت على معصية؟ » ٠٠ وتاب الرجل ولم يعد لمعصية ؟

ـ ورأى امرأة فى زى لا تؤمن معه الفتنة ، فضربها ضربات موجعة استنكارا وعقابا ٠

ـ ورأى رجلا يمشى متبخترا فأمره أن يترك هذه المشية، فزعم أنه آلفها ولا يطيق الانسلاخ منها ، فجلده وألزمه أن يمشى مستقيما متأدبا بقول الله تعالى : « **ولا تمش فى الأرض مرحا** » ٠٠

ـ وطال مطافه فى احدى الليالى فاستند الى ركن بيت فسمع جدالا بين امرأة وابنتها:

المرأة تدعو ابنتها الى خلط اللبن بالماء ليزداد كيلا أو وزنا حين تبيعانه فى الصباح ، فتأبى ابنتها قائلة : « ان أمير المؤمنين قد أطلق مناديا فنادى ألا يخلط أحد لبنا بماء ، فهذا اثم يعاقب عليه » .. فتقول الأم : « اننا لفى موضع لا يرانا فيه عمر ، ولا أحد غير عمر ! » فتقول ابنتها : « والله ما كنت لأطيعه فى الملا ، وأعصيه فى الخلا ، وان كان عمر لا يرى فرب عمر يرى ! » ..

وأعجب أمير المؤمنين بصدق ايمان الفتاة ، فما أشرق الصبح حتى بادر الى خطبتها زوجة لأعز أبنائه عنده ؟!

وكان عمر – رضى الله عنه – يستحث الناس على مراقبة عماله ، ويقول لهم فى خطبه من فوق المنبر : « انى والله ما أرسل اليكم عمالا ليضربوا أبشاركم ولا ليأخذوا أعشاركم ، ولكن أرسلهم ليعلموكم دينكم وسنتكم ، فمن فعل به شىء سوى ذلك ، فليرفعه الى فوالذى نفس عمر بيده لأقصنه منه » .

الى غير ذلك من أمثلة الحكم الصالح فى العهد العمرى وفى عهود من جاءوا بعده من خلفاء راشدين صلحاء ، وقد علا شأن المسلمين بهذا ومكن الله لهم به فى أقطار الأرض الشتى حتى امتد سلطانهم الى أقصى المشارق والمغارب ، وما انتكست رايتهم وهيضت قواهم الا حينما ركبت الأهواء حاكمهم وولاة الأمر فيهم فغلبتهم فتون الدنيا ومالت عن سواء السبيل !..

وصلاح الأمر عندنا تنهض له – على ما قد رأينا – قيادة صالحة أوضح ما تكون اتصالا بالسنن الاسلامى والمبادىء العمرية ، ولقد واجه عمر بداوة جافية ، وتقاليد غلاظا وطباعا نشأت فى غمار الجاهلية ، وكان الاسلام بعد لما يزل وليدا فى مجتمع جديد يموج بمتناقضات الأجناس والألوان واللغات ، والأفكار والعادات ، فروض جماحه ، وطوع نشازه ، وأقامه متماسكا قويا على قواعد الاخاء والعدل والتراحم .

وكذلك واجهت ثورتنا مجتمعا طافحا بالمساوىء والآثام ، محكوما بالبغى والطغيان مضطربا فى متاهة من التفكك والانحلال فسارت به على نهج الدين اصلاحا وتقويما وتعميرا ، وبلغت فى ذلك شأوا بعيدا .

وهذه المرحلة – حقا – أهم المراحل على طريق النهضة العارمة (ومقادتها اليوم الى السادة محافظى الأقاليم ، فكل منهم فى اقليمه عمر بن الخطاب ، أو يجب أن يكونه ..

وبهذا وبما هو منه بسبيل يتحقق اصلاح الجهاز الادارى وتقويمه وتسديده الى خدمة الشعب خدمة مبرأة من العيوب والشكوك ويصبح عمال الدولة بحق قادة وقدوة كما ينبغى أن يكونوا ، فمن الحقائق التى لا جدال فيها ان الجماهير تتأثر الى حد بعيد بحاكميها ان خيرا فخير وان شرا فشر ولهذا جعلهم الله قوامين على الناس وجعل المصالح العامة « أمانة » فى أعناقهم ، وفى ذلك يقول الله – سبحانه وتعالى – : « **ان الله يأمركم أن تؤدوا الأمانات الى أهلها واذا حكمتم بين الناس أن تحكموا بالعدل** » .

ويقول – عز من قائل – :

« يأيها الذين آمنوا كونوا قوامين بالقسط شهداء لله ولو على أنفسكم أو الوالدين والأقربين ، ان يكن غنيا أو فقيرا ، فالله أولى بهما ، فلا تتبعوا الهوى أن تعدلوا وان تلووا أو تعرضوا فان الله كان بما تعملون خبيرا » .

ويقول – تبارك وتعالى – :

« ولا يجرمنكم شنآن قوم على ألا تعدلوا ، اعدلوا هو أقرب للتقوى » .

ويقول رسول الله – صلى الله عليه وسلم – :

« أشد الناس عذابا يوم القيامة من أشركه الله فى سلطانه فجار فى حكمه » .

ويقول – عليه السلام – :

((كلكم راع ، ومسئول عن رعيته)) .

« وما من أحد يكون على شىء من أمور هذه الأمة فلم يعدل فيه الاكبه الله فى النار))

فتلك أحكام الدين وتوجيهاته ونذره ، متلاقية مع مبادىء ثورتنا المؤمنة ، والاسلام دين الدولة الرسمى ، وهو ينبوع نهضتنا الاشتراكية الجليلة ، فما أحرانا أن نقتبس من نوره ، ونهتدى بهديه .

الصبر في القرآن الكريم ....

الدكتور
مصطفى زيد

١ ـ تناولنا فى مقالنا السابق مادة الشكر فى القرآن الكريم ، ونحن نعلم يقينا أن للشكر قسيما هو الصبر ، وان كليهما ضرورى فى هذه الحياة ، بطبيعة أنها لا تخلو فى جميع أحوالها من السراء والضراء ، وأن السراء تقضى الشكر ، كما تستوجب الضراء الصبر ٠٠ ما دامت السراء والضراء كلتاهما من عند الله عز وجل ، وكل ما قدره الله على الانسان أولا فواجب عليه قبوله والرضا به ، نعمة كانت او نقمة ، وخيرا كان ـ فى نظره ـ أو شرا ٠٠

٢ ـ وكان فى ذهنى وأنا أكتب المقال السابق قول رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ فيما روى عنه صهيب ـ رضى الله عنه ـ وأخرجه الامام مسلم :

« عجبا لأمر المؤمن ، ان أمره كله خير ، وليس ذاك لأحد الا للمؤمنين ، ان أصابته سراء شكر فكان خيرا له ، وان أصابته ضراء صبر فكان خيرا له » ٠

فان هذا الحديث النبوى الكريم يصور حياة المؤمن الحق ، اذ يجعلها خالصة للعبادة تصيبه النعم فيشكرها لله ، لأنه يعلم أنه هو المنعم ، وشكره عبادة ٠٠ وتنزل به المصائب والنقم فيصبر عليها ، لأنها ابتلاء واختبار من الله ـ عز وجل ـ يجب أن يجتازه بنجاح ٠٠ وصبره أيضا عبادة ٠ وهل الحياة الا نعم ونقم ، فهى اذن شكر وصبر ، وكلهما اذن عبادة ٠٠

٣ ـ كذلك كان فى ذهنى وأنا أكتب مقالى عن الشكر ـ ذلك الأثر الذى يقول فيه الصحابى الجليل عبد الله بن مسعود ـ رضى الله عنه ـ :

« الايمان نصفان ، نصف شكر ، ونصف صبر » ٠٠

فالحقيقة أن الايمان يصل المؤمن بربه ، فيحمله على الشكر له اذا أنعم عليه ، وينجيه من البطر والغرور ، ثم يحتم عليه أن يصبر اذا ابتلاه بما يسوءه فى بدنه أو ولده أو ماله وينجيه من الجزع والهلع !٠٠ ومن ثم كان الشكر نصف الايمان والصبر نصفه الآخر ، لأن الحياة هى أيضا نصفان : نعم ونقم ، او ما يسر وما يسوء !٠٠

٤ ـ ولقد تحدثنا فى مقالنا السابق عن مادة الشكر فى القرآن الكريم ، وبقى أن نتحدث عن مادة الصبر ٠٠ فكيف تناول القرآن الكريم هذه المادة ؟

نحب أولا أن نقرر أن مادة الصبر قد وردت فى القرآن الكريم أكثر من مائة مرة ٠

ونحب ثانيا أن نؤكد أن الآيات التى قد أمرت بالصبر تسع وعشرون آية ، من بينها عشرون آية وجه فيها الأمر الى رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ ومع الأمر بالصبر فى بعضها أمر باتباع ما يوحى اليه من ربه ، وفى بعضها تقرير أن العاقبة للمتقين ، وان الله لا يضيع أجر المحسنين ، ومع الأمر فى بعضها كذلك نهى عن الحزن على الضالين من قومه ، وعن أن يستخفه الذين لا يوقنون ، وعن أن يطيع منهم آثما أو كفورا ، وعن أن يكون كصاحب الحوت اذ نادى ربه وهو مكظوم ٠

وفى بعض الآيات التى أمرت النبى خاصة بالصبر ، أمر بالتسبيح بحمد ربه ، أو أمر بذكر عبد الله ونبيه داود ـ عليه السلام ـ أو أمر له بأن يستغفر لذنبه ، وفى بعضها

أمر بالتشبه فى الصبر بأولى العزم من الرسل ، وأمر بهجر أعدائه هجرا جميلا ، وتقرير أن الصبر على ما أصابه من عزم الأمور ، وتعليل للأمر بالصبر بأن وعد الله حق ،وبأن الصبر انما هو لحكم ربه « **فانك بأعيننا** » ، وبيان للغاية من الصبر - أو لمداه - بأنها ، حتى يحكم الله بينه وبين مكذبيـــه من قومه ٠٠ وأخيرا نجد هذين الأمرين الموجهين للرسول أيضا :

« **فأعبده واصطبر لعبـــادته** » ، « **وأمر أهلك بالصلاة واصطبر عليها ، لا نســـألك رزقا ، نحن نرزقك والعاقبة للتقوى** » ٠

٥ - ولو أننا تتبعنا السور التى وردت فيها هذه الأوامر ، لوجدناها كلها مكية ٠٠ ومن هذه الحقيقة يطالعنـــا السر فى تكرار الأمر بالصبر لرسول الله - صلى الله عليـــه وسلم - فقد كانت المرحلة المكيـــة هى فترة التكذيب والايذاء لرسول الله - صلى الله عليه وسلم - وكان سلاح المؤمنين فيها هو الصبر، لا سلاح لهم سواه ٠٠ فلما هاجروا الى المدينة بعد ثلاث عشرة سنة من البعثة ، وكان عليهم أن يقاتلوا فى سبيل حرية الدعوة ، ومن أجل تأمين الدعاة - وجـــه الأمر بالصبر الى المؤمنين كلهم ، كما فى الآية الأخيرة من سورة آل عمران :

« **يأيها الذين آمنوا اصبروا وصـــابروا ورابطوا ، واتقوا الله لعلكم تفلحون** » ٠٠

وكما فى قوله تعالى فى سورة الأنفـــال :
« **ولا تنازعـــوا فتفشلوا وتذهب ريحـــكم واصبروا ان الله مع الصابرين** » ٠

٦ - ونودع الآيات الآمرة بالصبر لننظر فى سائر آيات الصبر ، فماذا نجد ؟٠٠

اننا نجد أولا آية تبين أنواع الصبر ، هى قوله - تعـــالى - فى وصف المؤمنيـــــن :
« **والصابرين فى البأساء والضراء وحين البأس** » ذلك أن البأساء هى الفقر والحاجة ، والضراء هى المرض وما أشبهه من فقد الأهل والأحبة ، والبأس : الشدة ، والمراد ب « حين البأس » الموقف الذى يقتضى الشدة ، وهو القتال ٠٠ ومن ثم قال الراغب الأصفهانى : « استعرضت هذه الجملة أنواع الضر ، لأنه اما أن يحتاج الى الصبر فى شئ يعوز الانسان ، أو يريده فلا يناله وهو البأساء ٠٠ أو فيما نال جسمه من ألم وهو الضراء ، أو فى مدافعة مؤذيه ، وهو البأس » ٠٠

والعلماء يقولون ان الصـــبر ثلاثة انواع : صبر عن ، وصبر على ، وصبر فى ٠٠ فالأول الصبر عما تحتاج اليه النفس فلا تجده ٠٠ والثانى الصبر على ما تعانيـــه من ألم المرض أو الفراق فلا تستطيع له دفعا ٠ والثـــالث الصبر فى القتال ، بمعنى التحمل مهما كانت قاسية حتى ينـــال النصر ، أو يكتب له الاستشهاد ٠

٧ - ونجد ثانيـــا آيات كثيرة تصـــف المؤمنين والمؤمنات بالصبر ، لتثنى عليهم وعليهن ، ومن ثم عطفت على الصبر عمـــل الصالحات ، أو اقام الصلاة ، أو التوكل على الله ٠٠ أو عطفت الصبر نفسه على التقوى ، أو قالت فى الصابرين :

« **وما يلقاها الا الذين صبروا ، وما يلقاها الا ذو حظ عظيم** » ٠

أو وصفت بعض الأنبياء فى معرض الثناء عليهم بأنهم من الصابرين :

« **واسماعيل وادريس وذا الكفل كل من الصابرين** » ، أو وعد الصـــابرين بنصر الله وتأييده : « **كم من فئة قليلة ٠٠ غلبت فئة كثيرة باذن الله ، والله مع الصابرين** » ٠٠ « **واصبروا ان الله مع الصابرين** » ٠

ومن أجل أن للصبر هذه المكانة ، أمر الله - عز وجل - المؤمنين بأن يستعينوا بالصبر والصلاة ، فى موضعين من كتـابه الكريم ، فقـــال :

« **واستعينوا بالصبر والصلاة وانها لكبيرة الا على الخاشعين** » ، « **يأيها الذين آمنـــوا**

استعينوا بالصبر والصـــلاة ، ان الله مع الصابرين » .

فى الموضع الأول جعل فاصلة الآية « وانها لكبيرة الا على الخاشعين » أى الصـــلاة ، وكبرها على غير الخاشعين يعنى ثقلها . وفى الموضع الثانى جعل الفاصلة : « ان الله مع الصابرين » ، فأكد فيها معية الله للصابرين بنصره وتسديده .

٨ ـ وثالثا ـ نجـــد الآيات التى تبين ما أعد للصابرين من الجزاء ، وهى كثيرة من بينها :

« سلام عليكم بما صبرتم فنعم عقبى الدار» « ولنجزين الذين صبروا أجرهم بأحســن ما كانوا يعملون » ، « انى جزيتهم اليوم بما صبروا أنهم هم الفائزون ، « أولئك يجزون الغرفة بما صبروا ويلقون فيها تحية وسلاما » « أولئك يؤتون أجرهم مرتين بما صبروا »، « وجعلنا منهم أئمة يهدون بأمرنا لما صبروا » ـ ولو أن هـــذا الجزاء فى الدنيـــا ـ .. « وجزاهم بما صبروا جنة وحـــريرا » .. « وبشر الصابرين » ، « والله يحب الصابرين» « انما يوفى الصابرون أجرهـــم بغـــير حساب » ..

٩ ـ واذا كنا قد بدأنا هذا المقال ببيـــان الصلة بين الشكر والصبر فى السنة والآثار فلا يفوتنا هنا أن نقرر أن القرآن الكريم قد جمع بين الصبر والشكر فى أربـــع من آياته هى قوله ـ عز وجل ـ :

« وذكرهم بأيام الله ، ان فى ذلك لآيات لكل صبار شكور » ،

« ليريكم من آياته ، ان فى ذلك لآيات لكل صبار شكور » ،

« ومزقناهم كل ممزق ، ان فى ذلك لآيات لكل صبار شكور » ،

« فيظللن رواكد على ظهره ان فى ذلك لآيات لكل صبار شكور » ،

١٠ ـ وأخيرا ، فقد أحسن الغزالى حين بين شمول الصبر لكل الفضائل بقوله :

« ... ثم هو ان كان صبرا عن شهـــوة البطن والفرج سمى عفة ، وان كان احتمال مكروه اختلفت أساميه عند الناس باختلاف المكروه الذى غلب عليه الصبر : فان كان فى مصيبة اقتصر على اسم الصبر ، وتضاده حالة تسمى الجزع والهلع ـ وهو اطـــلاق داعى الهوى ليسترسل فى رفع الصـــوت وضرب الخدود وشق الجيوب وغيرها ـ وان كان فى احتمال الغنى سمى ضبط النفس ، وتضاده حالة تســـمى البطر .. وان كان فى حرب ومقاتلة سمى شجاعة ويضـــاده الجبن .. وان كان فى كظم الغيظ والغضب سمى حلما، ويضاده التذمر .. وان كان فى نائبـــة من نوائب الزمان مضجرة سمى سعة الصدر ، ويضاده الضجر والتبرم وضيق الصـــدر .. وان كان فى اخفاء كلام سمى كتمـــان السر ، وسمى صاحبه كتوما .. وان كان عن فضول العيش سمى زهدا ويضـــاده الحـــرص .. وان كان صبرا على قدر يسير من الحظوظ سمى قناعة ، ويضاده الشره .. فاكثر أخلاق الايمان داخل فى الصبر ، ولذلك لمـــا سئل ـ عليه الصلاة والسلام ـ مرة عن الايمـــان قال : « هو الصبر » ، لأنه أكثر أعمـــاله وأعزها ، كما قال : « الحج عرفة » ١.هـ .

ويطول بنا الكلام لو حاولنا أن نقول هنا كل ما ينبغى أن يقال عن الصبر ، فحسبنا هذا القدر الذى هو الى الاشارة أقـــرب .. وبالله التوفيق .

الاشتراكية العربية فى الميزان الاسلامى

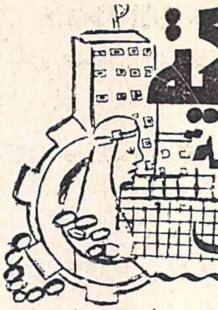

الدكتور أحمد شلبى

فى المقالات السابقة تتبعنا التطور الاقتصادى حتى وصلنا الى الاشتراكية . ثم تكلمنا عن أنواع الاشتراكية ، وتكلمنا عن الاشتراكية العربية وأسسها وخصائصها واهدافها . ونريد اليوم ان نضع الاشتراكية العربية فى الميزان الاسلامى لنرى مدى ارتباطها بالاسلام وتأثرها به .

ومن الواضح أن البلاد العربية رزحت فترة طويلة من الزمن تحت حكم الاستعمار ، وكان من اهم اهداف المستعمر ان يقتل المقاومة فى الشعب العربى . وكانت وسيلته لذلك افقار الشعب واجاعته باستبداده بالثروة ومنابعها ، وتوزيعها على الشركات الاجنبية والمغامرين الاجانب الذين نزحوا للبلاد العربية فى ظل الاستعمار ، ثم لأعوان الاستعمار من العرب الذين تعاونوا معه فخدموه وخدمهم ، وكدس فى ايديهم الثروات . وهذا المظهر كنت تراه واضحا فى كل البلاد العربية على السواء . فالثروات الضخمة فى الجزائر كانت فى أيدى المستعمر واعوانه ، وكذلك كان الحال فى تونس ومصر والمغرب والعراق والسودان ..

وتحررت البلاد العربية بعد نضال عنيف . وكانت الثورة المصرية فى ٢٣ يوليو سنة ١٩٥٢ مطلع حركات التحرر ، ولكن القادة العرب الذين آل لهم الامر بعد التحرر وجدوا البلاد مكبلة بقيود اقتصادية عنيفة ، كان جديرا بها ان تجعل الحرية السياسية طبلا اجوف وستارا هزيلا يحمى للاستعمار مصالحه الرئيسية فى الاقتصاد ومنابع الثروة ، فهبت فى بعض البلاد العربية حركات اشتراكية من أهمها القوانين الاشتراكية التى صدرت فى الجمهورية العربية المتحدة فى يوليو سنة ١٩٦١ ونريد هنا - كما قلنا فى صدر هذا الكلام - أن نضع فى الميزان الاسلامى هذه القوانين لنرى مدى صلتها بالفكر الاسلامى فى الاقتصاد .

ومثل هذه الدراسة يحتاج الى تأن وهدوء وعمق ، ثم يحتاج الى وثائق تعرض بدقة . وأرجو أن أكون قد أعددت نفسى لهذا أو لاكثره ، وليس اهتمامنا هنا بقوانين يوليو سنة ١٩٦١ الا باعتبارها نموذجا للحركات الاشتراكية العربية ودوافعها ، فلنأخذ فى الامر :

وهناك مقدمات توجز لنا اتجاهات الفكر الاسلامى وتقارنها بواقعنا قبل يوليو سنة ١٩٦١ لنرى منها الى أى مدى كان لا بد من التغيير :

اولا - كانت مصادر الثروة فى مصر مكدسة فى أيد قليلة سواء فى ذلك الثروة الصناعية أو الأرض الزراعية أو المتاجر الكبيرة . وكثير من هذه الثروات كان فى أيد أجنبية ، وذلك وضع لايرتضيه الاسلام ولا يقبله الفكر السليم . انه تحكم طبقة قليلة فى مصير الجماهير . ولم يكن لهذه الطبقة من هم الا جمع المال على حساب العامل الكادح والمستهلك المسكين ، والقرآن الكريم يذم هذا الاتجاه . قال تعالى :

« كى لا يكون دولة بين الاغنياء منكم »

أى لئلا يكون المال محصورا فى الاغنياء منكم متداولا بينهم وحدهم .

وقال :

« والذين يكنزون الذهب والفضة ولا ينفقونها فى سبيل الله فبشرهم بعذاب أليم . يوم يحمى عليها فى نار جهنم فتكوى بها جباههم وجنوبهم وظهورهم هذا ما كنزتم لانفسكم فذوقوا ما كنتم تكنزون » .

ثانيا - ترتب على الوضع السابق ان وجدت فى مصر طبقتان بعيد ما بينهما هما طبقة الاغنياء وطبقة الفقراء . بل طبقة المتخمين وطبقة الجائعين . والاسلام - لايقر هذا الوضع ويأخذ من الغنى ما يحتاجه الفقير من مطعم وملبس ومسكن . ولنتذكر قول الرسول فى هذا الشأن :

« من كان له فضل زاد فليعد به على من لا زاد له » .

وقوله :

« ما آمن بى رجل بات شبعان وجاره جائع وهو يعلم » .

وتطبيقا لهذه القاعدة كان يمكن أن يؤخذ من الاغنياء اكثر مما اخذت قوانين يوليو ، وأن يستمر الأخذ حتى يحصل المحتاج على كفايته ، فلا اقرار لغنى مع وجود حاجة .

ثالثا — لم يكتف الاغنياء بسلطاتهم الاقتصادية ، بل أرادوا حمايتها وكانت وسيلتهم لذلك أن سيطروا على الحكم . وقد جاء فى الميثاق وصف دقيق لهذه الحالة :

« كانت القوة الاقتصادية فى مصر قبل الثورة فى يد تحالف بين الاقطاع وبين رأس المال المستغل . وكان محتما أن تكون الأشكال السياسية بما فيها الاحزاب تعبيرا عن هذه القوة وواجهة ظاهرة لهذا التحالف .

« ومن الحقائق البديهية التى لاتقبل الجدل أن النظام السياسى فى بلد من البلدان ليس الا انعكاسامباشرا للأوضاع الاقتصادية، فاذا كان الاقطاع هو القوة الاقتصادية التى تسود بلدا من البلدان فمن المحقق ان الحرية السياسية فى هذا البلد لايمكن أن تكون غير حرية الاقطاع ، انه يتحكم فى المصالح الاقتصادية ويملى الشكل السياسى للدولة ويفرضه خدمة لمصالحه .

« وعلى هذا لم يكن الفلاح يملك الا ان يعطى صوته للاقطاعى ، وكان شراء الأصوات فى الريف والمدن يمكن رأس المال المستغل من أن يأتى بأعوانه أو بمن يضمن ولاءهم لمصالحه » .

وهكذا جاوزت الرأسمالية حدودها الاقتصادية واستعبدت الناس « كيف استعبدتم الناس وقد ولدتهم امهاتهم احرارا » .

وعلى هذا ينبغى أن نقرر بقوة ان اصلاح هذه الحال كان ينبغى ان يتم منذ أمد بعيد ، وان اصدار قوانين تقرب بين الطبقات كان يلزم أن يتم منذ عشرات السنين أو مئات السنين أى منذ كان هنا فقر مدقع وغنى متخم .

ولنخط الآن خطوة أخرى مفصلة فى وزن قوانين يوليو سنة ١٩٦١ ومعرفة مدى صلتها بالفكر الاسلامى فى الاقتصاد :

١ — الملكية الفردية :

ان اشتراكيتنا الحديثة التى عبرت عنها قوانين يوليو سنة ١٩٦١ ليست فقط تؤمن بالملكية الفردية التى هى مبدأ هام من مبادىء الاسلام كما سبق ، بل تعمل جاهدة لنقل المعدمين الى ملاك صغار . وقد قرر الميثاق هذا المبدأ حيث يقول :

« ان سيطرة الشعب على كل أدوات الانتاج لا تستلزم تأميم كل وسائل الانتاج ، ولا تلغى الملكية الخاصة . ولا تمس حق الارث المترتب عليهما ، وانما يمكن الوصول اليها بطريقين :

اولهما : خلق قطاع عام وقادر يقود التقدم فى جميع المجالات ، ويتحمل المسئولية الرئيسية فى خطة التنمية .

ثانيهما : وجود قطاع خاص يشارك فى التنمية فى اطار الخطة الشاملة لها من غير استغلال » .

وتطبيقا لهذا المبدأ نقل كثير من الفلاحين المعدمين الى ملاك صغار . يقول الميثاق « ان التطبيق العربى للاشتراكية فى مجال الزراعة لايؤمن بتأميم الأرض وتحويلها الى مجال الملكية العامة وانما يؤمن بالملكية الفردية للأرض فى حدود لاتسمح بالاقطاع »

وعن الملكية الفردية فى مجال التجارة والصناعة يقول الميثاق « ان للقطاع الخاص دوره الفعال فى خطة التنمية من أجل التقدم ولا بد له من الحماية التى تكفل له أداء دوره » .

وحتى فى شركات القطاع العام تقرر نصيب من الارباح للعمال فوق أجورهم ، فكأنهم اعتبروا ملاكا ، اذ لاينال الارباح الا الملاك .

وفى المقال القادم سنواصل كلامنا عن نقطتين هامتين فى هذا الموضوع : هما تحديد الملكية الزراعية وموضوع الاسهم والشركات وسنسوق وثائق دقيقة تبين مدى الارتباط بين الفكر الاسلامى والاشتراكية العربية فى هذين المجالين .

الإيمان قاعدة الإصلاح

فضيلة الشيخ أحمد البيسوني

الايمان قبسة من نور الله ، تضىء جوانب النفس وجوانب الحياة ، وهوواحة الاسترواح فى صحراء هذه الدنيا ، وهو المنار الهادى اذا تاهت المعالم ، والربوة العالية العاصمة من طوفان المبادىء الهدامة ، والأحقاد الطامعة وان الاصلاح لن يجرى فى حياتنا الا اذانبع من نفوسنا فاذا استنارت النفوس بنور الايمان ، وأشرقت بضياء الحب والنيات الطيبة ساد الخير ، وبسط السلام جناحيه على هذا الكون . أما اذا اقفرت النفوس من الايمان سادت الفتن وأظلم حاضر الناس ومستقبلهم وصدق الله العظيم حيث يقول : (ان الله لايغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم) والآية الكريمة تقرر فى منطق سليم واضح ان التغيير الذى يطرأ على الأمم ، تحكمه وتوجهه حركات تجىء من داخل النفس ،فلن تستطيع أمة ان تنهض من كبوة ، أو تقوى بعد ضعف ، أو ترقى الى المستوى الذى انحطت عنه الا بعد تربية أصيلة تغير نفوسها ، وتحدث ثورة فى تكوينها . من اجل ذلك كانت رسالات السماء تهدف أول ما تهدف الى اصلاح الانفس وتزكيتها ففى ذلك صلاح الأحوال واستقامة الأمور .. (ذلك بأن الله لم يك مغيرا نعمة أنعمها على قوم حتى يغيروا ما بأنفسهم) فان من المقرر المعروف ان حياة الناس صورة لما فى قلوبهم وأن سلوكهم يتلون باللون الذى يبعثه ما فى القلب من كفر او ايمان ،من رشد أوغى ، ولقد يكون الأمرواحدا وتختلف مواقف الناس منه تبعا لاختلاف درجة الايمان وانفعال الوجدان . فالليل الذى يسوق الناس الى النوم والراحة ، هو الذى يبعث الذئاب لتسعى الى فريستها ! والليل كذلك الذى يغرى القانتين بقيامه ، يغرى المتسللين تحت ظلامه ليقضوا مضاجع الآمنين ، ويبعثوا فى الأرض الفساد .

وقد تمر بالأمة أزمات اقتصادية ، تدعو الجشعين الى الاستغلال والاحتكار ، بينما تثير العطف والبذل فى نفوس المؤمنين الرحماء (ان سعيكم لشتى) (قل كل يعمل على شاكلته) من أجل ذلك كان كل اصلاح لا يعتمد على الايمان وتزكية النفس ، اصلاحا ناقصا مبتورا فلن يجدى البيت القديم طلاء واجهته بالألوان البراقة ، مادام داخله يترنح ليسقط ! ولكن تغيير النفوس من أشق الأمور وأعقدها ، فمن السهل أن تتحكم فى نهر كبير فتغير مجراه ، ومن اليسير أن تزحزح الجبل وتفتت الصخر ، ولكن ليس من السهل ان تغير نفس الانسان وتحول فكره .

ان بناء المدارس واقامة المصانع أمر مقدور عليه ، ولكن بناء الانسان عمل شاق . .. فى استطاعتنا أن نبنى سدا منيعا ، وقد بنيناه بالفعل ، فوقف شامخا فى عرض النيل يمد ذراعيه كالعملاق الجبار ، يفتح باب الرخاء لهذه الأمة بيد ، ويصدعنها باليد الأخرى غوائل الفاقة والحرمان ، ولكن من الصعوبة البالغة ، أن نبنى سدا يقى النفوس نوازع الأثرة والجشع !

كيف السبيل اذن الى تغيير النفوس ،ونحن نرى ذلك يوشك أن يدخل فى دائرة المستحيل؟ ان ذلك لايكون الا بالايمان .. والايمان وحده .. فهو العنصر الوحيد الذى يملك القدرة على تغيير النفوس . واحداث انقلاب شامل فيها يجعلها مهيأة لقبول الحق وتحمل تبعاته والأمر ما ظل النبى – صلوات الله وسلامه

عليه - بمكة ثلاث عشرة سنة فى مبدأ الدعوة لم يأمر الناس فيها بزكاة أو صيام ، ولم يبن لهم مسجدا أو يدعهم الى جمعة أو جماعة ، وليس فى الوحى الذى أنزل عليه فى تلك الفترة الطويلة ، اشارة الى جانب العبادات أو المعاملات فى الدين الاسلامى ، فقد كان صلى الله عليه وسلم بصدد ما هو أهم وأجدر بالسبق • كان يرسى قواعد الايمان ، ويشيد الضمير الانسانى ، ويبنى النفوس التى ستحمل أمانة الدعوة ، ويصنع الرجال الذين سينقلون البشرية الى آفاق رحبة عبر تاريخها الطويل ..

ومن عجيب أمر الايمان أن تغييره للنفوس يتم فى سرعة عجيبة ، فهو بين لحظة وأخرى يحولها تحويلا تاما فينشئها خلقا آخر • فلو عرفت شخصا واحدا فى عهدين ، عهد الكفر وعهد الايمان ، لرأيت الثانى غير الأول تماما يشبهه فى الاسم والشكل ، ويختلف عنه فى العقل والفكر والضمير ، فحين تخالط بشاشة الايمان قلبه ، تتبدل آراؤه ونظرته الى الأشياء ويتغير سلوكه تبعا للايمان الذى يخط له منهجه فى معاملة الله والناس • فهل اتاك حديث السحرة سحرة فرعون الذين جمعهم لميقات يوم معلوم ، وحشدهم ليقاوموا معجزة موسى عليه الصلاة والسلام (فلما جاء السحرة قالوا لفرعون :أئن لنا لأجرا ان كنا نحن الغالبين؟ قال : نعم وانكم اذا لمن المقربين) فشرعوا يلقون حبالهم وعصيهم وهم يقولون : (بعزة فرعون انا لنحن الغالبون ، فالقى موسى عصاه فاذا هى تلقف ما يأفكون ، فالقى السحرة ساجدين ، قالوا أمنا برب العالمين رب موسى وهارون ، قال : آمنتم له قبل أن آذن لكم ؟ انه لكبيركم الذى علمكم السحر فلسوف تعلمون لأقطعن أيديكم وأرجلكم من خلاف ولأصلبنكم اجمعين • قالوا : لأضير انا الى ربنا منقلبون انا نطمع أن يغفر لنا ربنا خطايانا ان كنا أول المؤمنين)

ياعجبا ! كيف تغيرت شخصياتهم ؟ وما الذى حولهم هذا التحول السريع العجيب ؟انه الايمان بالله وصل الى أعماق نفوسهم ، فأزال عنها ركام الضلال ، وظلام المادة ، وجعلها صافية مذعنة للحق • كل ذلك فى لحظات قصار • مما يؤكد أن لمسة واحدة من لمسات الايمان يهتز بها القلب فتبدله تبديلا سريعا وصدق رسول الله حيث يقول : - فيما رواه الشيخان - : « ما من قلب الا بين اصبعين من أصابع الرحمن ، ان شاء أقامه وان شاء أزاغه » وهكذا انقلب السحرة المأجورون مؤمنين من خيار المؤمنين ، كانوا قبل لحظات طلاب مال يقولون : (أئن لنا لأجرا ان كنا نحن الغالبين) ؟ فلما آمنوا جذبهم الحق اليه ، فهانت الدنيا فى اعينهم وذهب سلطان المال عن نفوسهم • كانوا فى الحضيض ، فسما بهم الايمان الى أفق رفيع ، فجعلوا ينظرون من عليائهم الى هذه الأرض ، نظرة استخفاف بعرضها التافه ، ومتاعها الزائل ولم يعد لهم طمع الا فى رضوان الله ومغفرته (انا نطمع ان يغفر لنا ربنا خطايانا أن كنا اول المؤمنين)

كانوا قبل الايمان جبناء أذلاء ، يستمدون العزة من فرعون وهو مخلوق ضعيف فيقولون: (بعزة فرعون انا لنحن الغالبون) فلما آمنوا بالخالق القوى ، اصبحوا أقوياء به لايخيفهم تهديد ولايرهبهم وعيد .. حكموا على ما يدور حولهم بمنطق الايمان الذى وقر فى قلوبهم، فاذا القوة الغاشمة التى تحيط بهم ضئيلة ضعيفة .. واذا الوعيد الذى يزمجر فى وجوههم ، كأنه طنين الذباب ! فصرخوا فى وجه فرعون (لن تؤثرك على ما جاءنا من البينات والذى فطرنا فاقض ما أنت قاض) !

ما الذى حدث لهؤلاء فى لحظات قصار ؟تغير فيهم كل شىء .. تغير اتجاههم ، ومنطقهم وتفكيرهم وما ذلك الا من صنع الايمان •

وفى صحيح مسلم قصة قصيرة ذات دلالة قوية على مقدار تحول النفوس بالايمان • فقد نزل رجل كافر ضيفا على رسول الله صلى الله عليه وسلم فأمر له بشاة فحلبت فشرب حلابها فلم يشبع ، فأمر له بثانية وثالثة ورابعة حتى شرب حلاب سبع شياه ثم بات ، فلما أصبح تفتحت نفسه للايمان فآمن • فقدم له لبن شاة فشربه ، ولما حلبت له الثانية لم يستتم شرب لبنها فقال رسول الله صلى الله عليه

وسلم : « ان المؤمن ليشرب فى معى واحد والكافر يشرب فى سبعة أمعاء »فما بين يوم وليلة استحال الرجل من انسان شره لاهم له الابطنه الى انسان قاصد عفيف . فما الذى تغير فيه ؟ تغير قلبه وعقيدته .. كان كافرا يسارع فى ارضاء شهواته ، فأصبح مؤمنا حسبه من الطعام ما يعينه على الحياة .

لقد حار المؤرخون الغربيون فى فهم السر العجيب الذى جعل من العرب رعاة الغنم ، أساتذة العالم وقادة الأمم . كانت الحرب الضروس تقوم بينهم من أجل ناقة أو تمرة أو كلمة عابرة ، فأصبحوا بالاسلام (أشداء على الكفار رحماء بينهم) كانوا يتزاحمون على موارد العيش . ويشنون فى سبيل ذلك غارات للنهب والسلب فأصبحوا بعد الاسلام (يؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة) ماالذى نقلهم من حال الى حال ؟ انه الايمان .. نعم انه الايمان الذى حول عمر بن الخطاب من رجل بلغ من انحراف العقل فى الجاهلية أن عبد الها من الحلوى ثم جاع يوما فأكله ! وقال عنه رجل أيس من اسلامه لن يسلم عمر حتى يسلم حمار الخطاب وبلغ من انحراف العاطفة أن وأد بنتا صغيرة له ، فلما أهال عليها التراب ، مدت يدها الصغيرة لتمسح الغبار عن لحية ابيها وهو يحفر لها مكانها فى التراب .

وبلغ من الضلال فى العقيدة أن خرج يوما متوشحا سيفه ليقتل رجلا يقول ربى الله خرج باحثا عن الرسول ليقتله فلما مست الآيات من سورة طه قلبه ، فتحت فيه نافذة دخل منها نور الايمان ، فقال : دلونى على محمد لأعلن أسلامى بين يديه !

عمر هذا يحوله الايمان الى رجل حر التفكير يقطع شجرة الرضوان التى بايع النبى اصحابه تحتها يوم الحديبية ، خشية أن يطول بالناس الزمن فيقدسوها . ويقول وهو يهم بتقبيل الحجر الاسود : والله انى أعلم أنك حجر لا تضر ولا تنفع ولولا أنى رأيت رسول الله يقبلك ما قبلتك !

عمر هذا الذى كان جبارا فى الجاهلية يحوله الايمان الى رجل عطوف رقيق القلب ، يسمع بكاء صبى فى جوف الليل فيسأل أمه عن سر بكائه فتقول : أعجلت فطامه ليأخذ عطاءه من بيت المال ، فيفرض عمر العطاء لكل مولود يولد .

والايمان صانع المعجزات ، وركيزة الدعوات الناجحة التى غيرت مجرى التاريخ . فلن تنجح دعوة الا اذا قامت على أساس من الايمان بها ، والاعتقاد الراسخ بضرورتها لصلاح حال الناس واستقامة أمرهم ، ان أصحابها المؤمنين بها يحملونها فى عزم يذيب الحديد وقوة تدك الجبال . وصبر يفسح لها الطريق حتى تغزو القلوب والعقول .

أما الدعوات التى تقوم على غير ايمان بها ، فلا تعدو أن تكون مجرد شعارات خادعة تزجى للدعاية ، فلا تكاد تتوهج حتى تخبو . تتعالى صيحاتها حينا من الدهر ، ثم تتلاشى فى غمرة الأحداث رويدا رويدا حتى تصبح أثرا بعد عين (فأما الزبد فيذهب جفاء وأما ما ينفع الناس فيمكث فى الأرض) وفى الدعوة الاسلامية صور رائعة للايمان القوى . الذى قهر الشرك ، وأدال للمسلمين من اقوى أمم الأرض حضارة وعتادا وقوة . فهل ينسى التاريخ اللحظة الخالدة التى وقف فيها الرسول الكريم امام عمه أبى طالب وهو يقول له : يا ابن أخى ان قومك قد كلمونى لتكف عن دعوتك ، فابق على نفسك وعلى ، ولا تحملنى من الأمر مالا أطيق فظن الرسول أن عمه قد بدا له أن يتخلى عنه وهنا تحرك الايمان الراسخ فى قلب محمد صلى الله عليه وسلم يعلنها كلمة حاسمة حازمة .. «ياعم والله لو وضعوا الشمس فى يمينى والقمر فى يسارى على أن أترك هذا الأمر ماتركته حتى يظهره الله أو اهلك دونه وهل ينسى التاريخ وقفة الرسول فى غزوة بدر ليستشير اصحابه وهم قلة ،هل يقذفون بأنفسهم فى غمار أعدائهم وهم كثرة ذات قوة وشكيمة ؟ فما ان قال « اشيروا على أيها الناس » حتى جاش الايمان فى صدورهم فجرى على السنتهم بهذه الكلمات الهادرة .. يارسول الله أمض لما أمرك الله . والذى بعثك بالحق لو استعرضت بنا هذا البحر فخضته ، لخضناه وراءك ما تخلف منا أحد .. (أولئك هم المؤمنون حقا لهم درجات عند ربهم ومغفرة ورزق كريم) .

الإيمان وأثره في سلوك الإنسان

للأستاذ
زكي الدين شعبان

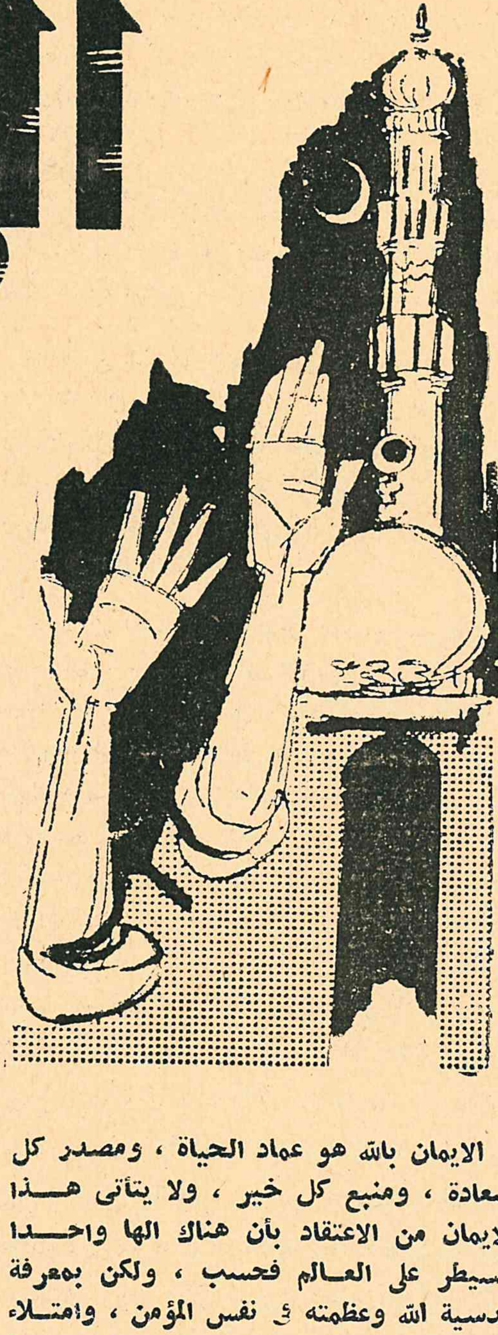

الايمان بالله هو عماد الحياة ، ومصدر كل سعادة ، ومنبع كل خير ، ولا يتأتى هذا الايمان من الاعتقاد بأن هناك الها واحدا يسيطر على العالم فحسب ، ولكن بمعرفة قدسية الله وعظمته في نفس المؤمن ، وامتلاء قلبه بخشيته ومحبته ، وظهور اثر هذا الايمان بالأعمال التى تصدر عنه .

فالايمان بالله يطلق النفس من قيودها المادية ، ويسمو بها الى الملأ الأعلى ، لتستكبر على الشهوات ، ولا تبالى بالمنافع والمضار الخاصة، ويكون سعى الانسان لنفسه ولأمته بل وللناس جميعا . فكل ما فى الانسان من خير ونبل وتضحية وايثار وانكار للذات ، مستمد من ايمانه بالله تعالى ، وهذه حقيقة ثابتة يشهد بثبوتها التجربة الانسانية العامة ..

ففى كل دولة وفى كل عصر أناس تفجرت مشاعرهم النبيلة من الايمان بالله - عز وجل - فوقفوا حياتهم لصالح الانسانية وسعادتها ، ومرد ذلك الى أن الايمان متى كمل فى الانسان دفع صاحبه الى خوض غمار الحياة ، وحفزه الى الاستبسال فى ميادين الجهاد ، وعبد له

السبل الشائكة والطرق الوعرة الملتـوية ، وحال بينه وبين التفانى فى المطالب الجسدية والتهالك عليها ، والتوغل فى لذائذ الحياة ومتعها ، وبذلك يصفو عيشه ، وتتم راحته، كما أن الايمان الكامل يجعل المـؤمن يطلب الدنيا لا لذاتها ولكن ليتـوصل بها الى سعادته الباقية ، فهى فى نظره لا تتعدى رتبة الوسائل التى تراد لغيرها ، ولا ترتفع الى درجة المقاصد التى تراد لذاتها وان كان لابد منها ، وكان من نتائج هذا النظر أن تمتـع المؤمنـون بقلوبهم وتمام حريتهـم ، اذ لم تستعبدهم الدنيا بمحبتها كمـا استعبدت أبناءها المتهالكين عليها ، ولم تأخذ من قلوبهم الا كما تأخذ الوسيلة من قلوب ذوى العقـول السليمة • ومن أجل ذلك قل فيهم الخصام ، وتم بينهم الوئام ، ولا تظن أننـا بذلك نرى أن المؤمن لا يتوسع فى الدنيا ولا يكون بعيـد النظر فيها ، فان المؤمن بايمانه وعلمه بحكمة دينه وتعليم الهه الذى جعل له العزة، وأوجب أن تكون أمته خير الأمم يفهم جيـدا أن الله جعله من أرفع الناس همة ، وعلى قدر همـة الرجل تكثر واجباته ، وتكبر مروءته فتعظم أثقاله ، ولكنه يعمل كل ما يعمله فى الدنيـا على سنن الاعتدال غير غافل عن مقصده الذى يريده فيتوسل بكل شىء الى فعـل الخير واكتساب الأجر •

الايمان القوى يجعل صاحبه يأتى بالأسباب المشروعة ولكن لا يذل لها ذل العاشق لمعشوقته ولا يخضع لها خضوع العابد لمعبـوده ، لأن قلبه مع مسبب الأسباب لا مع الأسباب ، فهو دائما يستمد من الله الرشد والمعونة فى كل ما يريده ويبغيه ، لعلمه بأن فى يده مقاليـد الأمور ، فان شاء أضله فى السير وأوجـد له من العقبات ما يحول بينه وبين مطلوبه ، وان شاء هداه السبيل ، ويسر له من الأسـباب ما يعلم وما لا يعلم ، وعند الله - تعالى - من الأسباب الخفية ما لا يصل اليه علم الانسان وتدبيره ، وان علمه فلا تصل اليه قدرته ، وليس لتصريف الله تعالى حد يقف عنـده ، أو قانون لا يخرج عنـه ، وكثيرا ما كانت المقتضيات موانع ، والمضار منافع •

الايمان الكامل يحول بين صاحبه واقتراف المعاصى والآثام ، لأن الانسان خاضع لسلطان عقيدته يسير بأمرها فيما يفعل ، ويصـدر عنها • فاذا كان كاملا أبى عليه أن يفعـل ما ينافيه ، أو يترك ما يقتضيه ، وهـذا ما يشير اليه النبى - صلى الله عليه وسلم - فى قوله :

« لا يزنى الزانى حين يزنى وهو مؤمن ، ولا يسرق السارق حين يسرق وهو مؤمن ، ولا يشرب الخمر حين يشربها وهو مؤمن » •

والمؤمن القوى الايمـان يأمر بالمعروف ، وان ناله فى سبيله ما ناله ، وينهى عن المنكر وان تحمل فى سبيله ما تحمـل ، ويخلص النصيحة للمسلمين فيعود عليهم نفعـه ، ويبصرهم بمواطن الزلل والعثار فيأمنوا من الكوارث والأخطار •

والمؤمن القـوى الايمان قد يعطيـه الله السلطان ، ويمكن له فى الأرض ، ويؤتيه الله من الجاه ما يؤتيه ، فيقول الكلمة ، أو يقضى بالأمر ، فيراجع فيه على ملأ من الناس ، وقد يكون من يراجعه من عامة الناس فلا يبالى أن يرجع الى الحق راضيا ، ويسـتمع الى الناصح مسرورا شاكرا • انظر الى ما يرويه المؤرخون فى سيرة الفاروق عمر بن الخطاب - رضى الله عنه - حينما أراد أن يمنـع الناس من المغالاة فى المهور، فأمرهم ألا يزيدوا على أربعمائة درهم ، ومن زاد على ذلك شيئا وضع الزيادة فى بيت المال • فعارضته فى ذلك امرأة عجوز ، وقالت : أيعطينا الله ، ويمنعنا عمر ؟ فقال لها عمر : وأين أعطـاكن الله ، فقالت : فى قوله - سبحانه - : « وان أردتم استبدال زوج مكان زوج وآتيتم احداهـن قنطارا فلا تأخذوا منه شيئا » فأذعن للحق ، ورجع الى الصواب ، غير حافل بمكانته من زعامة المسلمين ، ولا آبه بما يخيل لضعاف النفوس من أن ذلك ينال من هيبته ، ويضعف من نفوذه ، فقال قولته المشهورة : أخطأ

عمر وأصابت امرأة ، ثم رجع الى المنبر فقال: انى كنت نهيتكم أن تزيدوا فى صـــدقات النساء على أربعمائه درهم ، فمن شـــاء أن يعطى من ماله ما أحب .

ان الايمان بالله ينير للمؤمن ظلمات هـذه الحياة ، فلا يموت أسفا ، ولا ينتحر غيظـا اذا فاته شىء من الدنيا مهما كان ، لأن الدنيا ليست كل المقصود عنده ولاتمام السعادة فى نظره ، ولأنه يعلم أن الله على كل شىء قدير فان شاء أعطاه أضعاف ما ضاع منه ، وان لم يعلم له سببا ، ولم يعرف له طريقا ، فليست الأسباب منحصرة فيمـــا علم ، ولا الطرق مقصورة على ما عرف ، ولأنه كثيرا ما وجـد الخير فيما كان يظنه شرا ، وكثيرا ما وجد الشر فيما كان يظنه خيرا ، وربما استتبعت الأفراح الأتراح ، والشرور السرور ، فليس هناك ما يدعو الى اليأس والجزع ، فتطمئن النفس ، وتصغر أمامها الأهوال ، ويهـون عليها المصاب ، ويخف عليها الأمر .. ومن ثم نرى المؤمن الكامل دائمـــا فى فرح وسرور وابتهاج ، حتى انه فى أحرج ظروف البــلاء والعناء يكون فى غاية الصبر ، ونهاية الرضا لأنه يعتقد أنه ما يشاك بشوكة فما فوقهـا الا كان له بها أجر ، وقد نقـــل عن أويس القرنى « وهو من سادات التابعين ـ أنه كان يبكى سرورا اذا اشتد به المرض ، ويقول : ان هذه منزلة المقربين المحبـــوبين ، ولست منهم ، فبأى شىء نلت هذه المنزلة عند ربى؟ بل كان المؤمن يفرح بالموت فضلا عما دونه ثقة بما يلقاه بعده ، عالما بأن متاع الدنيـا قليل ، وأن الآخرة خير وأبقى ، وان كان أكثر الناس لا يعلمون .

فهذا بلال ـ رضى الله عنه ـ يبتسم عندما شارف الموت ، ولما سئل عن ذلك قال : غدا نلقى الأحبة محمدا وحزبه ، وكان على ـ رضى الله عنه ـ يقول : لا أبالى أسقط على الموت أم سقطت عليه ، وهـذا أبو بكر ـ رضى الله عنه ـ حينما بايعه المسلمون على الخلافة يرى من العرب من يرتد عن دين الله ، ومن يمنع الزكاة ، فلما هم بقتالهم أشفق الفاروق على المسلمين أن تتخطفهم العرب من حولهم ، وأن تجتاحهم الفتن اجتياحا فتردد فى أمر القتال، فقال له الصديق ـ رضى الله عنه ـ : ثكلتك أمك يا ابن الخطاب ، أجبار فى الجاهليـــة ، وخوار فى الاسلام ، والله لو منعونى عقـالا أو عناقا كانوا يؤدونه لرسول الله ـ صـلى الله عليه وسلم ـ لقاتلتهم عليه حتى يؤدوه الى .

وتأمل ـ رعاك الله ـ موقف طارق بن زياد فى فتح الأندلس حينما خطب جيشـــه تلك الخطبة الخالدة ، وكيف ذكره بأن البحر من ورائه والعدو من أمامه ... الخ ما جاء فى تلك الخطبة القوية الرصينة ، وكيف كسب بتلك القوة فى الايمان ، وذلك الاستبسال فى القتال اقليما من أعظم أقاليم العـالم خصوبة وغنى وثروة ، وكيف أفاء الله به على المسلمين ما أفاء من خير ونعمة وبركة .

فالانسان فى هذه الحياة وسط تيار جارف من الآلام والمصاعب فمن لم يؤمن بالله ويتخذه ملجأ يلجأ اليه ، وملاذا يلوذ به فى الشـدائد والمصائب كان أشقى الناس فى حيـاته ، أما المؤمن فانه يحيى بايمانه حياة طيبة ، كلهـا صفاء وبهجة ولذة لا تماثلها لذة أخرى ، كما صرح بذلك القرآن فى كثير من آياته :

« ومن يؤمن بالله يهد قلبه » ، « الله ولى الذين آمنوا يخرجهم من الظلمات الى النور » « من عمل صالحا من ذكر أو أنثى وهو مؤمن فلنحيينه حياة طيبة ، ولنجزينهـــم أجرهم بأحسن ما كانوا يعملون » .

ولقد قال ابراهيم بن أدهم : نحـن فى لذة لو علمها الملوك لقاتلونا عليها بالسيوف .

هذا ، وان خير ما يورثه الآباء للابنـــاء غرس الايمان بالله فى نفوسهم من أول نشأتهم وتعهدهم بما يحببهـــم فى التدين والعمــل الصالح الذى يرضاه رب العالمين .. فالايمان وما ينتج عنه من عمل صالح قرة العيـون ، وحياة القلوب ، ولذة الأرواح ، والشــفاء التام الذى به دواء كل عليل ، أسأل الله العلى القدير أن يهدينا سواء السبيل .

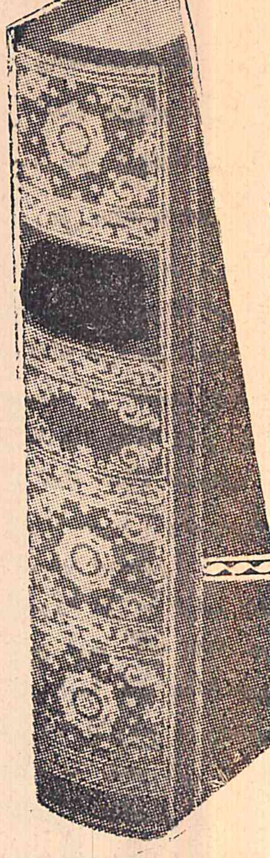

الاتجاهات الروحانية فى تفسير القرآن الكريم

الدكتور السيد فؤاد فهمى

بعض مفسرى القرآن الكريم ، ومنهم الامام الغزالى رضى الله عنه كانوا يرون أن للقرآن ظاهرا وباطنا فمن اقتصر منه على ظواهره فهؤلاء حشوية أو ظاهرية ومن اقتصر على الباطن فهؤلاء باطنية . وكل من الطائفتين نظر الى العالم بالعين العوراء ، ولم يعرفوا أن لكل ظاهر باطنا ، ولكل عالم جسمانى عالما مثاليا ، والانسان مركب منهما . فانه يبدو ببدنه الكثيف من العالم الجسمانى ، وبروحه اللطيف من العالم الروحانى ولما نزل القرآن الكريم ليكمل الانسان فى النشأتين لم يخل شيئا منهما من البيان . فالاقتصار على احدهما نقصان . وانما الكمال حمل الكلام عليهما معا ما أمكن والا فلا ينبغى أن يختل احد الجانبين على حساب الآخر .

وعلى هذا المنهج سار الامام فخر الدين الرازى فى القرن السادس الهجرى حينما كان يفسر القرآن الكريم فى أواخر حياته . فقد شغلته نزعة تصوف فى ذلك الوقت ظهر أثرها فى تفسيره الكبير الذى يسمى بمفاتيح الغيب .

ولا يخفى علينا مابين الاتجاه التصوفى والاتجاهات الروحانية من أواصر وروابط متينة . فالتصوف - فيما يبدو - قائم على أمرين : أولهما اهمال عالم الجسمانيات وعدم المبالاة به . وللصوفية فى ذلك طرائق كثيرة . منها لبس الصوف الذى يقال - فيما يقال - ان تسميتهم منسوبة اليه . وان شئت فقل لبس خشن الثياب زهدا فى عالم الجسمانيات ولم يقتصر الامر عند الملبس ، بل تعداه الى المأكل فالصوفية يلزمون أنفسهم الجوع وقلة الاكل وترك الشهوة .

والامر الثانى - وهو لامراء فيه - أن الصوفية كانوا يجعلون نصب أعينهم هدفا كريما سديدا ، وهو صفاء الروح وتنقيتها من أدران المادة وقاذورات عالم الجسمانيات . وهذا هو الذى حدا بالبعض أن ينسبوا لفظ الصوفية الى الصفاء . وقد عبر الشاعر أبوالفتح البستى عن هذا المعنى حين قال :

تنازع الناس فى الصوفى واختلفوا
قدما وظنوه مشتقا من الصوف
ولست أمنح هذا الاسم غير فتى
صافى فصوفى حتى لقب الصوفى

وقد كانوا يعتقدون أن صفاء الروح هذا الذى يسعون اليه يتناسب تناسبا طرديا مع اهمال عالم الجسمانيات وكان هدفهم الاسمى من ذلك هو الوصول الى معرفة الله تعالى ومحبته . كما كانوا لايحاولون استقاء العلم من الخلق ، وانما يستقونه من الله تعالى عن طريق مايسمونه بالاشراق الروحى والمكاشفات .

ومن ثم يتبين لنا الصلة الكبيرة بين الروحانيات وبين التصوف . وقد كان فخر الدين على علم كبير بهذه الدراسات الروحية . فهداه تفكيره بهذه الدراسات التى ألم بها الى أن الارواح البشرية انما دخلت هذا العالم الجسمانى على سبيل السفر . وهى متوجهة الى عالم القيامة . وبينها وبين البدن أشد المنافرة والمباعدة . فالجسد كثيف ظلمانى فاسد عفن والروح نورانى مشرق طاهر نظيف . ثم انه سبحانه جمع بينهما على سبيل القهر والقدرة . وجعل كل واحد منهما مستكملا بصاحبه منتفعا بالآخر . فالروح تصون البدن عن العفونة والفساد والتفرق . والبدن يصير أداة وآلة للروح فى تحصيل المعارف والسعادات

الابدية . فكمال الانسان - كما يرى - فى أن يعرف الحق لذاته والخير لاجل العمل به . وجوهر النفس فى أصل الخلقة جاهل جهلا مطبقا ، وعار عن هذين الكمالين ، كما قال تعالى : « والله اخرجكم من بطون أمهاتكم لاتعلمون شيئا وجعل لكم السمع والابصار والافئدة .. » ٧٨ النحل . ولا تستطيع النفس اكتساب هذه الكمالات الا بواسطة هذا البدن فصار تخليقه لهذه الحكمة . وقد عبر شاعر حكيم عما يقرب من هذا المعنى بقوله :

الروح عند اله العرش مبدؤه
وتربة الارض أصل الجسم والبدن
قد الف الملك الحنان بينهما
ليصلحا لقبول الامر والمحن
فالروح فى غربة والجسم فى وطن
فاعرف زمام الغريب النازح الوطن

والنفوس البشرية نوعان : نفوس بليدة جاهلة بعيدة عن عالم الغيب غارقة فى طلب اللذات الجسمانية والشهوات الجسدية . ونفوس شريفة مشرقة بالانوار الالهية . ولذلك قال صلى الله عليه وسلم : «الناس معادن كمعادن الذهب والفضة» وقال : « الارواح جنود مجندة فما تعارف منها ائتلف وما تناكر منها اختلف » فبعثه الانبياء والرسل فى حق القسم الاول انذار وتحذير . فانهم لما غرقوا فى نوم الغفلة ورقدة الجهالة احتاجوا الى موقظ يوقظهم والى منبه ينبههم . وأما فى حق القسم الثانى فتذكير وتنبيه . قال تعالى :

« .. فلا يكن فى صدرك حرج منه لتنذر به وذكرى للمؤمنين » ٢ الاعراف ، لان هذه النفوس بمقتضى جواهرها الاصلية مستعدة للانجذاب الى عالم القدس ، والاتصال بالحضرة الصمدية ، الا أنه ربما غشيها غواش من عالم الجسم فيعرض لها نوع ذهول وغفلة . فاذا سمعت دعوة الانبياء واتصل بها انوار ارواح رسل الله تذكرت مركزها وابصرت منشأها .

وهو يذكر أن النفس الانسانية شىء آخر غير الجسم . ودليله على ذلك أننا اذا تأملنا فى أحوال النفس رأينا أحوالها بالضد من احوال الجسم . ويبدو هذا واضحا فى أن كثرة العلم والمعرفة والتفكير توجب حياة النفس وشرفها وتوجب نقصان البدن وموته فلو كانت النفس هى البدن لكان الشىء الواحد سببا لكماله ونقصانه معا ولحياته وموته معا وهذا محال .

والنفس الانسانية تمرض كما تمرض الاجسام ومرضها انما هو الجهل والاخلاق الذميمة والغرق فى حب الجسمانيات وما يتصل بها من ملذات وشهوات قال تعالى : « فى قلوبهم مرض فزادهم الله مرضا » ١٠ البقرة . وأما صحتها وسلامتها فالعلم الهادف الى معرفة الله تعالى وطلب حبه ورضاه .

ومما ذكره عن هذه النفس الانسانية أنها لاتموت بموت البدن . واستدل على ذلك بقوله تعالى : « كل نفس ذائقة الموت » لان الله تعالى قد جعل النفس ذائقة الموت والذائق لابد وأن يكون باقيا موجودا حال حصول الذوق . والمعنى أن كل نفس ذائقة موت البدن . وهذا يدل على أن النفس غير البدن ، وعلى أن النفس باقية ، لاتموت بموت البدن .

وهو يرى أن عجائب عالم الارواح أكثر من عجائب عالم الاجسام وأن كثرة الاشخاص الروحانية فوق كثرة الاشخاص الجسمانية ، وان السموات مملوءة من الارواح الطاهرة كما قال صلى الله عليه وسلم : « اطت السماء وحق لها أن تئط ، ما فيها موضع قدم الا وفيه ملك قائم او قاعد » . وكذلك الاثير والهواء مملوء من الارواح . وبعضها طاهرة مشرقة خيرة وبعضها كدرة مؤذية شريرة .

وعنده أن السموات موضع بهجة الارواح وأماكن سعاداتها . ومنها تنزل الخيرات والبركات واليها تصعد الارواح حال فوزها بكمال السعادات . وذلك هو تأويل قوله تعالى : « ان الذين كذبوا بآياتنا واستكبروا عنها لاتفتح لهم أبواب السماء ، ولا يدخلون الجنة حتى يلج الجمل فى سم الخياط .. » ٤٠ الاعراف

والسعادة عنده تكاد تكون من مرادفات اللذة ، وكذلك العذاب يكاد يكون من مرادفات الالم . وسعادة الدنيا يذكر لها ثلاثة جوانب : بدنى وخارجى وروحانى . فالجانب البدنى يتمثل فى الصحة والجمال . والجانب الخارجى يتمثل فى المال بجميع أنواعه ، والجاه بما فيه من أولاد ورئاسة وسلطان . وهذان الجانبان يمتان بسبب كبير الى اللذات الجسمية التى يرى جماعة من المحققين أنها لامعنى لها الا دفع الالام . وهى تتميز بعد ذلك ببعض المنغصات والخسة التى تنقص مافيها من بهجة وسعادة وتكاد تزيلها . فهى لاتكون خالصة البتة ، بل ممزوجة بأنواع من المكاره . فلو لم يحصل فى لذة الاكل والوقاع الا اتعاب النفس فى مقدماتها وفى لواحقها لكفى . وهى ممتنعة البقاء ، لان لذة الاكل لاتبقى بحالها ، بل كما زال الم الجوع زال الالتذاذ بالاكل ، ولا يمكن استبقاء تلك اللذة . وكلما كان الالتذاذ بها أكثر كانت الحسرات الحاصلة من خوف فواتها أكثر وأشد . وهذه الفكرة عبر عنها المتنبى بقوله :

اشد الغم عندى فى سرور
تيقن عنه صاحبه انتقالا

وصور ابو العلاء المعرى مايصيبنا من حزن الفراق بقوله :

ان حزنا فى ساعة الموت أضعاف سرور فى ساعة الميلاد

ومداخل اللذات الجسمانية تكاد تقتصر على طريقين : لذة البطن ولذة الفرج ولكن الالام الجسمانية مداخلها كثيرة . فكل جزء من اجزاء بدن الانسان يمكن أن يطرأ عليه نوع من الآلام له خاصية ليست للنوع الآخر .

وسواء صح أن اللذات الجسمانية هى فى واقع الامر تخلص من الآلام أم لم يصح ، فالمشاهد بالتجربة صحة النقاط الاخرى التى ذكرها من خساسة اللذات الجسمانية ومافيها من منغصات كثيرة .

وأما الجانب الروحانى فى سعادة الدنيا ، فهو الذى يقودنا الى الجانب الروحانى فى سعادة الآخرة . وأركانه علم ومعرفة ومحبة قائمة على الصفاء الروحى لا على تبادل المنافع . فكمال السعادة واللذة عنده ليس الا فى معرفة الله تعالى ومعرفة صفاته ومعرفة أفعاله بحيث تصير روح الانسان كالمرآة المحاذية لعالم القدس . وهذه المعارف الالهية كمالات باقية أبد الآباد ومصونة عن الكون والفساد ثم أنها تحصل فى الدنيا ولا يحصل بها كمال الالتذاذ والابتهاج لان العلائق البدنية تعوق عن ظهور تلك السعادات واللذات . فاذا زال العائق حصلت السعادات العظيمة والغبطة الكبرى .

وفخر الدين يرى أنه ليس للجنة فى حقيقة الامر أهل الا العلماء الذين لايفترون عن ذكر الله وعن الركون اليه والتوكل عليه . ودليله على ذلك آيتان من القرآن الكريم . أولاهما فى آخر سورة البينة : « جزاؤهم عند ربهم جنات عدن تجرى من تحتها الانهار خالدين فيها أبدا ، رضى الله عنهم ورضوا عنه ، ذلك لمن خشى ربه » واما الآية الثانية فقوله تعالى : « انما

يخشى الله من عباده العلماء » ٢٨ فاطر فمجموع الايتين يدل على أنه ليس للجنة أهل الا العلماء ٠

وبالنسبة للحياة الآخرة نجد أن فخر الدين يقر كلا من السعادات والشقاوات الروحانية والسعادات والشقاوات الجسمانية ٠ فالبهجة والسعادة واللذة الجسمانية يوم القيامة تتمثل فى جنات عدن تجرى من تحتها الانهار قال تعالى : « وعد الله المؤمنين والمؤمنات جنات تجرى من تحتها الانهار ، خالدين فيها ، ومساكن طيبة فى جنات عدن ورضوان من الله أكبر ، ذلك هو الفوز العظيم » ٧٢ التوبة ٠ ولكن هذه الآية قد نصت على أن الفوز بالرضوان – وهو نعيم معنوى روحانى – أعلى وأعظم وأجل وأكبر ٠ وذلك دليل قاطع على أن السعادات الروحانية أكمل وأشرف من السعادات الجسمانية ٠ ومع ذلك فهو يرى أن المذهب الحق وجوب الاقرار بهما معا كما جمع الله بينهما فى هذه الآية ٠

وأما عذاب الآخرة وآلامها فنوعان أيضا : نوع جسمانى ملموس يتشخص فى هذه النار التى هى جسم محسوس مضىء محرق صاعد بالطبع ، وهو كالجنة الجسمانية حق والاقرار بهما واجب ٠ ونوع آخر وهو النار الروحانية العقلية « نار الله الموقدة التى تطلع على الافئدة » ٦ الهمزة ٠ يقول الشيخ محمد عبده عند تفسير هذه الآية : « ولا يمكننا الوقوف على حقيقة تلك النار ، وانما الذى نعرفه أن للعذاب بها ألما أشد من ألم الاحراق بنار الدنيا ٠ ولذلك وصفها بوصف ليس من أوصاف نيران الدنيا فقال : « التى تطلع على الافئدة » ولايخفى عليك أن الفؤاد انما يطلق على القلب اذا لوحظ أنه بمعنى الوجدان والشعور ٠ فكأنه ٠ قال : التى تعلو مشاعرهم ومداركهم ومواطن الوجدان من نفوسهم ٠ اى أن سلطان هذه النار على قوى الوجدان والشعور التى هى مواطن النيات والمقاصد ومساكن الفضائل والرذائل ٠٠ الخ »

ويحاول فخر الدين ان يلقى ضوءا على هذه الفكرة فيقول : ان من أحب شيئا حبا شديدا ثم ضاع منه ذلك الشىء بحيث لايمكنه الوصول اليه فانه يحترق قلبه وباطنه ٠ وكل عاقل يقول : ان فلانا محترق القلب محترق الباطن بسبب فراق ذلك المحبوب ٠ فالجاهل اذا فارق الدنيا حصل له الحزن الشديد بسبب مفارقة الدنيا المحبوبة ، والخوف الشديد بسبب تراكم الظلمات عليه فى عالم ليس له معرفة به ولا الف مع أهله ٠ والخوف والحزن كلاهما يوجبان الحرقة الروحانية والنار الروحانية ٠ وعنده ان ألم هذه النار اقوى بكثير من ألم النار المحسوسة ٠

وقد كان التفكير الروحانى عاملا كبيرا من العوامل التى ادت الى زهد فخر الدين الرازى فى الدنيا وتصوفه فى أواخر حياته ٠ ومن أجل هذا كانت له تأويلات روحانية لبعض آى الذكر الحكيم ضمنها تفسيره الكبير ٠ وهو فى هذه التأويلات الروحانية لاينكر التفسير بالظاهر بل يقول : ان الاحوال الظاهرة التى وردت بها الروايات حق وصدق لامرية فيها ٠ واحتمال بعض الآيات للمعانى الروحانية ظاهر أيضا ٠ والمنهج القويم والصراط المستقيم هو الاقرار بالكل ٠

فمن هذه التوجيهات الروحانية ماقاله عند تفسير قوله تعالى : « ان الذين آمنوا وعملوا الصالحات يهديهم ربهم بايمانهم ٠٠ » ٩ يونس فقد قال : ان أحوال العالم الروحانى بالضد من أحوال العالم الجسمانى ٠ وذلك أن الروح كاللوح ، والعلوم والمعارف كالنقوش المنقوشة فى ذلك اللوح ٠ واللوح الروحانى يفترق عن اللوح الجسمانى فى أن الاخير اذا رسمت فيه بعض النقوش فحصولها يمنع من حصول سائر النقوش فيه ٠ وأما لوح الروح فخاصيته على الضد من ذلك ٠ فان الروح اذا كانت خالية عن نقوش المعارف والعلوم فصاحبها يصعب عليه تحصيل المعارف والعلوم فاذا احتال وحصل شىء منها كان حصول ما حصل منها معينا على سهولة تحصيل الباقى ٠ وكلما كان الحاصل أكثر كان تحصيل البقية أسهل ٠ فالنقوش الجسمانية يكون بعضها مانعا من حصول الباقى والنقوش الروحانية يكون بعضها معينا على حصول البقية ٠ وذلك يدل على أن أحوال العالم الروحانى بالضد من أحوال العالم الجسمانى ٠

ومن الاعمال الدنيوية التى اتجه بها اتجاها روحانيا المشاورة وذلك عند تفسير قوله تعالى : « وشاورهم فى الامر » ١٥٩ آل عمران فهو يرى أن سبب هذه المشاورة ليس احتياج النبى – صلى الله عليه وسلم – اليهم ، ولكن لاجل أنه عليه الصلاة والسلام ، اذا شاورهم فى أمر من الامور اجتهد كل واحد منهم فى استخراج الوجه الاصلح فيه ، فتصير الارواح متطابقة متوافقة على تحصيل أصلح الوجوه فيه ٠ وتطابق الارواح الطاهرة على الشىء الواحد مما يعين على حصوله وهذا هو السر فى سنة الاجتماع فى الصلوات ، وهو السر فى أن صلاة الجماعة افضل من صلاة الفرد ٠

وعند تفسير قوله تعالى : « ان قرآن الفجر كان مشهودا » ٧٨ الاسراء ، يشير الى أن أبواب المكاشفات الالهية المقدسة تتفتح على العقل والروح بنور المعرفة فى ذلك الوقت ٠ وكل من له ذوق سليم وطبع مستقيم اذا قام من منامه ، وأدى صلاة الصبح فى أول الوقت ، واعتبر اختلاف احوال العالم من الظلمة الحاصلة الى النور ، ومن السكون الى الحركة ، فانه يجد فى قلبه روحا وراحة ومزيدا من نور المعرفة وقوة اليقين ٠

وعند تفسير قوله تعالى : « واتخذ الله ابراهيم خليلا » ١٢٥ النساء يذكر الوجه الظاهر من هذه الآية ، ثم يعقب عليه بالوجه الروحانى ، وهو أنجوهر الروح اذا كان مضيئا مشرقا علويا قليل التعلق باللذات الجسمانية ، ثم انضاف الى مثل هذا الجوهر أعمال تزيد صقالة من هذه الكدورات ، وأفكار تزيده استنارة بالمعارف القدسية والجلايا الالهية صار مثل هذا الانسان متوغلا فى عالم القدس والطهارة ، متبرئا من علائق الجسم والحس ٠ ثم لايزال يتزايد فى هذه الاحوال الشريفة الى ان يصير بحيث لايرى الا بالله ولا يسمع الا بالله ، ولا يتحرك الا بالله ولا يسكن الا بالله ولا يمشى الا بالله ٠ فكأن نور جلال الله سرى فى جميع قواه الجسمية وتخلل فيها وغاص فىجواهرها وتوغل فى ماهيتها ، فمثل هذا الانسان هو الموصوف حقا بأنه خليل لان محبة الله قد تخللت فى جميع قواه ٠

والاستدراج فى قوله تعالى : « فذرنى ومن يكذب بهذا الحديث ، سنستدرجهم من حيث لايعلمون » ٤٤ القلم ، يوضحه فخر الدين ويبين أن تكرار الافعال سبب لحصول الملكة الراسخة ٠ فاذا مال قلب العبد الى الدنيا ثم أعطاه الله مراده فحينئذ يصل الطالب الى المطلوب ٠ وذلك يوجب حصول اللذة ٠ وحصول اللذة يزيد فى الميل وحصول الميل يوجب مزيد السعى ٠ ولا يزال ينادى كل واحد منها الى الآخر ٠ ومعلوم ان الاشتغال بهذه اللذات العاجلة مانع من مقامات المكاشفات ودرجات المعارف ٠ فلا جرم يزداد بعده من الله درجة الى ان يتكامل فهذا هو الاستدراج ٠

وبالنسبة لما بعد الموت نجد أن هناك بعض المعتقدات يشرحها ويوضحها على هدى وضوء من النظريات

الروحانية التى يعتقدها • منها كتابة أعمال العباد والحساب ومعنى السرعة فيه ، ومجىء الناس فرادى ، والتقطع الذى يصيبهم وعذاب القبر ونعيمه .. الى آخر ذلك •

فانه يذكر فيما يذكر من آراء وتأويلات ان التكرير الكثير سبب حصول الملكة الراسخة • وكل واحد من الاعمال المتكررة له أثره فى حصول تلك الملكة وذلك الاثر وان كان غير محسوس الا انه حاصل فى الحقيقة وبناء على ذلك فانه يرى انه لايحصل للانسان لمحة ولا حركة ولا سكون الا ويحصل منه فى جوهر نفسه أثر من آثار السعادة أو آثار الشقاوة قل أو كثر •

وبالنسبة للحساب يوم القيامة نجده أيضا يذكر بين توجيهاته توجيها روحانيا عند تفسير قوله تعالى : « وكل انسان الزمناه طائره فى عنقه ونخرج له يوم القيامة كتابا يلقاه منشورا » ١٣ الاسراء • فهو يرى أنه اذا انقطع تعلق الروح عن تدبير بدن انسان ما فهناك تحصل قيامة هذا الشخص لقوله صلى الله عليه وسلم : « من مات فقد قامت قيامته » ومعنى كون هذه الحالة قيامة أن النفس الناطقة كانها كانت ساكنة مستقرة فى هذا الجسد السفلى • فاذا انقطع ذلك التعلق قامت وتوجهت نحو الصعود الى العالم العلوى • فهذا هو المراد من كون هذه الحالة قيامة • ثم عند حصول القيامة بهذا المعنى زال الغطاء ، وانكشف الوطاء وقيل له : « فكشفنا عنك غطاءك فبصرك اليوم حديد » ٢٢ق ويقال للنفس الخيرة التى عملت لاخراها وأعدت العدة للقاء ربها فآمنت وذكرت ربها كثيرا واطمأنت الى ذلك: « يأيتها النفس المطمئنة ، ارجعى الى ربك راضية مرضية فادخلى فى عبادى وادخلى جنتى » من ٢٧-٣٠ الفجر •

وقوله تعالى : « ونخرج له يوم القيامة كتابا يلقاه منشورا » معناه على هذا التأويل : ونخرج له عند حصول هذه القيامة من عمق البدن كتابا مشتملا على جميع تلك الآثار الحاصلة بسبب الاحوال الدنيوية • ويكون هذا الكتاب فى هذا الوقت منشورا لان الروح حين كانت فى البدن كانت هذه الاحوال فيه مخفية فكانت كالمطوية • اما بعد انقطاع التعلق الجسدانى فقد ظهرت هذه الاحوال وجلت وانكشفت فصارت كأنها مكشوفة منشورة بعد أن كانت مطوية • وعند ذلك تشاهد القوة العقلية جميع الآثار مكتوبة بالكتابة الذاتية فى جوهر الروح • فيقال له فى تلك الحالة « اقرأ كتابك » ثم يقال له « كفى بنفسك اليوم عليك حسيبا » فان تلك الآثار ان كانت من موجبات السعادة حصلت السعادة لامحالة وان كانت من موجبات الشقاوة حصلت الشقاوة لا محالة

والشيخ يعقب على تأويلاته هذه بقوله : واعلم أن الحق أن الاحوال الظاهرة التى وردت بها الروايات حق وصدق لا مرية فيها ، واحتمال الآية لهذه المعانى الروحانية ظاهر أيضا • والمنهج القويم والصراط المستقيم هو الاقرار بالكل •

هذا عن الحساب ، وأما سرعته فقد تحدث عنها عند تفسير قوله تعالى : « ثم ردوا الى الله مولاهم الحق الا له الحكم وهو أسرع الحاسبين » ١٧ الانعام • وتأويلها من الوجهة الروحانية كما يذكره فى تفسيره أن لكل ذرة من أعمال الخير والشر أثرا فى حصول هيئة من الهيئات فى جوهر النفس اما من الهيئات الزاكية الطاهرة واما من الهيئات المذمومة الخسيسة • ولا شك أن تلك الاعمال كانت مختلفة ، فلا جرم كان بعضها يتعارض بالبعض • وبعد حصول تلك المعارضات بقى فى النفس قدر مخصوص من الخلق الحميد وقدر آخر من الخلق الذميم ، فاذا مات الجسد ظهر مقدار ذلك الخلق الحميد ومقدار ذلك الخلق الذميم ، وذلك الظهور انما يحصل من الآن الذى فيه ينقطع تعلق النفس عن البدن • فعبر عن هذه الحالة بسرعة الحساب •

وتأويل قوله تعالى : « لقد تقطع بينكم .. » ٩٤ الانعام ، من هذه الوجهة أن الوصلة الحاصلة بين النفس والجسد قد تقطعت ولا سبيل الى تحصيلها مرة اخرى • وكذلك قوله تعالى : « ولقد جئتمونا فرادى كما خلقناكم اول مرة » ٩٤ الانعام ، فالمراد من الناحية الروحية أن النفس الانسانية انما تعلقت بهذا الجسد ليكون آلة لها فى اكتساب المعارف الحقة والاخلاق الفاضلة ، فاذا فارقت النفس الجسد ولم يحصل المرء هذين المطلوبين عظمت حسراته ، حيث وجد هذه الآلة الشريفة التى يمكن اكتساب السعادة الابدية بها ، ثم انه ضيعها وأبطلها ولم ينتفع بها •

وأما عن ثواب القبر وعذابه فقد تحدث عنه عند تفسير قوله تعالى : « ولا تقولوا لمن يقتل فى سبيل الله أموات بل أحياء ولكن لاتشعرون » ١٥٤ البقرة حيث بين أن اكثر المفسرين يرون أن العذاب والثواب يصل الى الناس فى قبورهم • فالبنية ليست شرطا فى الحياة ولا امتناع فى أن يعيد الله الحياة الى كل واحد من تلك الاجزاء والذرات الصغيرة من غير حاجة الى التركيب والتاليف • ولكنه يعود فيذكر الراى الآخر الذى فى الآية وهو أن ثواب القبر وعذابه للروح لا للقالب • وهذا القول بناء على معرفة الروح ، وعلى أن الانسان هو الروح ، والذين يقولون بهذا الرأى يرون أن ثواب القبر وعذابه لايكون للبنية أو لجزء من اجزائها ، ويعدون القول بذلك مكابرة ، هذا مما يطرق التهمة الى الدين ، لانا نجد هذه البينة متفرقة متمزقة • فكيف يمكن القول بوصول الثواب والعقاب اليها • فلم يبق الا أن يقال أن الله تعالى يحيى بعض تلك الاجزاء الصغيرة ويوصل الثواب والعقاب اليها • واذا جاز ذلك فلم لايجوز أن يقال : الانسان هو الروح ، فانه لايعرض له التفرقة والتمزق • فلا جرم يصل اليه الالم واللذة • ثم انه سبحانه وتعالى يرد الروح الى البدن يوم القيامة الكبرى حتى تنضم الاحوال الجسمانية الى الاحوال الروحانية •

وخلاصة الاتجاه الروحانى الذى يحاول الشيخ أن يؤكده فى أكثر من موضع من تفسيره أن للروح آلاما ولها سعادات وبهجة وافراح ، وان الفرح الكامل انما هو الفرح بالروحانيات والجواهر المقدسة وعالم الجلال ونور الكبرياء • وهذا هو تأويل قوله تعالى :« قل بفضل الله وبرحمته ، فبذلك فليفرحوا هو خير مما يجمعون » ٥٨ يونس • واذا حصلت هذه اللذات الروحانية فانه يجب على العاقل الا يفرح بها من حيث هى ، بل يجب أن يفرح بها من حيث أنها من الله تعالى وبفضله وبرحمته •

هذه آراء لمفسر كبير من اهل السنة والجماعة هو فخر الدين الرازى الذى عاش فى القرن السادس الهجرى وصاحب أكبر موسوعة تفسيرية للقرآن الكريم وهى مفاتيح الغيب • وقد اقتدى به فى ذلك بعض مفكرينا المعاصرين واذكر منهم مدرسة الشيخ محمد عبده ، والسيد رشيد رضا فى تفسيره المنار ، ثم اذكر أيضا الشيخ طنطاوى جوهرى فى تفسيره الجواهر • وانى اذكر هذه الآراء على انها لون من الوان التراث التفكيرى التاريخى الاسلامى ، ونوع من أنواع الدراسات الفلسفية التى تبعث على التامل والتفكير اللذين هما اول مراتب الهداية •

الدعوة روح الفكرة

السيد جمال الدين الأفغاني

الأستاذ عبد السميع البطل

اسد ضار اذا هيجته

وأب بر اذا ما قــدرا

يعرف الأبعد ان اثرى ولا

يعرف الأدنى اذا ما افتقــرا

وعدنا فى نهاية المقال الماضى ان نتحدث عن دعاة الاصلاح فى هذا العصر ، واذا كان الدعاة قد تقاسمتهم الأوطان فقد وحدتهم الأهداف كل يريد اصلاحا فى ناحية تخصص فيها ، فواحد فى الناحية الدينية كمحمد بن عبد الوهاب ،وواحد فى الناحية السياسية كمدحت باشا فى الترك والسيد احمد خان فى ناحية التثقيف ونشر العلم ، وعلى مبارك باشا فى اصلاح التعليم وتنظيم المدارس والسيـــد عبد الرحمن الكواكبى فى الاصلاح الاجتماعى ومعالجـة أمراض الأمة وهكذا تنوعت الطرق والهدف الاصلاح ، أى نوع منه

وحرى بنا ونحن بهذا الصدد ان نذكر على رأس الزعماء جميعا واحدا منهم انفرد بالاصلاح الاجتماعى والسياسى والدينى والادارى ، بل انفرد بايقاظ الشعوب الشرقية من نومهــا وانهاضها من عثراتها وكان صـوته أجهر الأصوات وأبعدها مدى وكان قلبه اجــرأ القلوب وأقساها على المتمردين من الأمــراء والسلاطين يهابونه ويدهنون له وينهون عنه وينأون عنه ذلك هو جمال الدين الأفغــانى الذى سنلم بترجمته المامة قصيرة نتبين منها مدى الأثر الذى أحدثه فى حياته وخلفه بعد مماته المامة كالمامة الشعراء القدامى فالوقوف على الأطلال يستنطقونها ويبكون الأحبة عندها **(انا نحن نحيى الموتى ونكتب ما قــدموا وآثارهم ،وكل شىء احصيناه فى امام مبين)**

جمال الدين الأفغانى

نشأ فى بيت عظيم من بلاد الأفغان ينتمى الى الامام الترمذى من رجال الحديث ويرتقى الى سيدنا الحسين رضى الله عنه وعشيرته وافرة العدد ولها منزلة عالية فى قلـــوب

الأفغانيين لشرف نسبها ولأنها كانت لها سيادة على بعض بلاد الأفغان تستقل بالحكم فيها

جلس لطلب العلم فى الثامنة من عمره وبرع فى جميعها من علوم عربية ودينية وتاريخية وتصوفية وفلسفية وسياسية وطبية على الطريقة المعروفة فى تلك البلاد ولم يبلغ الثامنة عشر من عمره حتى كان قد حذق الكثير ثم أقام بالهند سنة وبضعة أشهر ينظر فى بعض العلوم الرياضية على الطريقة الاوربية ثم سافر الى الحج ينتقل من قطر الى قطر يدرس كثيرا من العادات والأخلاق ويستفيد مما رأى ودرس ثم عاد الى بلاده ودخل فى سلك الحكومة ، ثم اضطرب حبل السياسة باندلاع نيران الثورة واستقر الأمر لمحمد اعظم خان ، وارتفعت منزلة السيد عنده فأحله محل الوزير الأول ووثق به فكان يلجأ اليه فى حل المشكلات .

ثم شبت الثورة من جديد ولم يأمن السيد الدسائس فاستأذن للحج فاذن له على شرط الا يمر ببلاد ايران فارتحل عن طريق الهند . فتلقته حكومتها بحفاوة واجلال غير انها لم تسمح له بطول الاقامة ولم تأذن للعلماء فى الاجتماع ، الا على عين من رجالها ثم سيرته على نفقتها الى السويس فأقام بمصر نحو اربعين يوما تردد فيها على الأزهر ، وخالطه كثير من السوريين ، ومالوا اليه كل الميل ، ثم صدف عن الرحلة الى الحجاز وتعجل السفر الى الاستانة

وفى الآستانة التقى بالصدر الأعظم عالى باشا ونزل فيه منزلة كريمة وعلا ذكره لدى الوزراء والتفوا حوله ثم اختير عضوا فى مجلس المعارف وكان له آراء فى اصلاح التعليم ، ومن تلك الطرق ما أحفظ عليه شيخ الاسلام لأنها كانت تمس شيئا من رزقه .

ثم رغب اليه مدير الفنون ان يلقى خطابا فى الحث على الصناعة فكتبت خطابا طويلا ، عرضه على المسئولين قبل القائه فاستحسنوه وأطنبوا فى مدحه وحضر الخطاب جم غفير من الوزراء والمسئولين وأهل العلم والأدب والصحافة ولكن شيخ الاسلام لموجدته على السيد ، أرسل أشعة نظره فى الخطاب ليصيب حجة للتمثيل به

كان الخطاب فى تشبيه المعيشة الانسانية ببدن حى وان كل صناعة بمنزلة عضو من ذلك البدن تؤدى من المنفعة فى المعيشة ما يؤديه العضو فى البدن فشبه الملك بالمخ الذى هو مركز التدبير والارادة والحدادة بالعضد . والزراعة بالكبد والملاحة بالرجلين ومضى فى سائر الصناعات والأعضاء ، حتى اتى على جميعها ثم قال : هذا ما يتألف منه جسم السعادة الانسانية ولا حياة لجسم الا بروح وروح هذا الجسم اما النبوة واما الحكمة ولكن يفرق بينهما بأن النبوة منحة الهية لا تنالها يد الكاسب يختص الله بها من يشاء من عباده والله أعلم حيث يجعل رسالته . أما الحكمة فمما يكتسب بالفكر والنظر فى المعلومات وبأن النبى معصوم من الخطأ والحكيم يجوز عليه الخطأ بل يقع فيه وان أحكام النبوات آتية من علم الله ، لا يأتيها الباطل من بين يديها ولا من خلفها ، فالأخذ بها من فروض الايمان ، أما آراء الحكماء فليس على الامم فرض اتباعها الا من باب ما هو الأولى والأفضل على شريطة الا تخالف الشرع الالهى .

وهذا كلام معقول لا غبار عليه ولكن شيخ الاسلام أقام من الحق باطلا ليصيب غرضه من الانتقام فأشاع ان الشيخ جمال الدين زعم ان النبوة صنعة بدليل انه ذكر النبوة فى خطاب يتعلق بالصناعة وأوعز الى الوعاظ فى المساجد أن يخوضوا فى السيد فانبرى السيد للدفاع عن نفسه ورأى ان ذلك لا يكون الا بمحاكمة شيخ الاسلام وألح فى ذلك لكن أشار على بعض محبيه أن يسكت والزمان كفيل باضمحلال الاشاعات ولكنه

كعادته فى الحدة انتصارا لنفسه ألح فى طلب المحاكمة ورؤى أن يجلو عن الآستانة ريثما تسكن الفتنة وله أن يعود بعد بضعة اشهر

وحبب اليه بعض من كانوا معه ان يتحول الى مصر فجاء اليها فى أول المحرم سنة ١٢٨٨

السيد فى مصر

هبط جمال الدين مصر ، يقصد الاستطلاع ولم تكن نيته أن يقيم بها ، ولكن رياض باشا سعى الى ابقائه ورتبت له الحكومة عشرة جنيهات شهريا ، اكراما لا فى سبيل عمل ، ونم عطره عليه فأمة كثير من طلبة العلم وقرأ لهم من العلوم العالية فى فنون الكلام الأعلى ، والحكمة طبيعية وعقلية وفى الهيئة الفلكية وعلم التصوف وأصول الفقة الاسلامى وكانت مدرسته بيته فى خان الخليلى ولم يكن يذهب الى الأزهر الا زائرا يوم الجمعة

انتشر صيت الرجل وأعجب به كل من سمعه وعشقه طلاب الحقائق ، وظهرت حركة فكرية جديدة فى الجو وحمل تلامذته على الكتابة فاشتغلوا على نظره ، وأخذت الكتابة طريقها الى الرقى فظهرت موضوعات بكر لم لم يقترعها أحد ، وتحررت الأساليب من عقلها كالسجع والجناس والتورية وظهر شباب الكتاب الذين صنعهم على عينه ولكن عقارب الفتن والذين مردوا على الجهل والجمود أشاعوا عنه وعن تلاميذه قولة السوء التى تواصى بها خلف السوء عن سلفهم وأيدهم بعض من كانوا يطرقون مجلسه ولكن لا يفهمون أراءه ، ولاتهضمها عقولهم ، وكل ذلك كان يشب من ناره ويقوى من تياره

واذا أتتك مذمتى من ناقص
فهى الشهادة لى بأنى كامل

السيد والخديو توفيق

عرف السيد الخديو توفيق حين كان ولى العهد ، فأعجب به وبمبادئه وآرائه ورسم له السيد منهجا للاصلاح طرب له ، وكان يقول له انت أيها السيد موضع الرجاء ، وسأنفذ لك كل مارسمت من طرق الاصلاح حينما يفضى الى الأمر فلما صار له الأمر تنكر له بسعى بعض المفسدين ومنهم قنصل انجلترا وتغير عليه قلبه فأصدر أمره باخراجه من مصر هو وتابعه أبو تراب فرصده بعض الشرطة وهو عائد من أحد مجالسه الليلية عند بزوغ الفجر وكان قد انصرف عنه اصحابه فاستاقوه الى دار الضابطة وذهبوا به عربة مقفلة الى محطة سكة الحديد ولم يمكن من اخذ ثيابه ، ومنها الى السويس ثم أنزل فى البحر ليسافر الى بمباى يقطع المسافة بقميص واحد على بدنه والوقت ضيف والحرارة شديدة حتى تقرح جسده ولم يكن معه أكثر من ثلاثة جنيهات عثمانية وبعض قروش أخذت منه ونزل البحر وليس معه شىء

ولما شعر بذلك قنصل ايران فى السويس عرض عليه مبلغا كبيرا من المال جمعه من بعض التجار الايرانيين على سبيل الهدية أو القرض الحسن فرده وقال لهم :

احفظوا المال فأنتم اليه أحوج ان الليث لايعدم فريسته حينما ذهب · كان ذلك سنة ١٢٩٦ وأقام بحيدر اباد وفيها كتب رسالته فى الرد على الدهريين

مذهب جمال الدين السياسى :

كان للسيد مقصدان من حياته تنبيه المسلمين الى الاصلاح الدينى والعلمى بالكتابة والخطابة سياسى اجتماعى وهو ترقية دولة اسلامية أية دولة كانت ، وحسبك أنه بدأ عمله بمصر ، وكانت تابعة لتركيا فقد كان يرمى الى تمدينها وتقويتها حتى تكون كأحسن البلاد الأوربية ثم تعلق أمله بالسودان ثم ايران ثم الدولة العالية أما شأنه فى مصر فقد أجمل الأستاذ الامام فى ترجمته للسيد فى أسباب الحوادث العرابية وهاك خلاصته

اضطراب الأحوال بمصر

وصف الشيخ محمد عبده أسباب الاضطراب المالى والسياسى أوخر عصر اسماعيل له وهو ابن بجدتها ، الخبير بهذه المسائل فقال مما خلاصته بتصرف كانت شئون البلاد الخاصة والعامة ، ملكا لحاكمهم الأعلى أو من يستنيبه عنه فى تدبير أمورهم ، وليس لأحد رأى فى

ادارة البلاد أو عمل يتقدم به يرى أن فيه اصلاحا للامة ، فهم محكومون مصرفون لارادة الحكومة وما تفرضه عليهم بعيدون عن معرفة ما عليه الأمم الأخرى مع كثرة البعوث التى أوفدتها الحكومة لتتعلم فى أوربة ، ومع ان اسماعيل انشأ مجلس الشورى الا انه لم يمرن الأهالى على أن لهم شأنا فى مصالح بلادهم ، أو يرجع اليهم فيه ليس لعضو من أعضاء المجلس أن يميل عن رأى افندينا أو يبدى اقتراحا يصطدم بآرائه ، وكل مسألة يؤخذ فيها رأى المجلس كان الجواب عنها ، مع التحول الى الناحية اليسارية ونحن عبيد افندينا والرأى مايراه . فقدكان الغرض من مجلس الشورى ايهام الأوربيين ان مصر من البلاد الراقية وان بها مجلس شورى يشارك الأمة الحكومة الرأى ولذا قال :اصبحت مصر قطعة من أوربه

مبدأ النهضة المعنوية

جرت سنة الله فى خلقه أن عظائم الأمور تتولد من صغارها كما أن ضخام الأشجار يتسق من بذورها جاء الى هذه الديار سنة ١٢٨٦ رجل غريب بصير فى الدين ، عارف بأحوال الأمم واسع الاطلاع ، جم المعارف جرىء القلب وهو المعروف باسم السيد جمال الدين الأفغانى وركن الى الافاق بمصر فتعرف عليه فى بادىء الأمر بعض طلبة العلم ، ثم اختلف اليه كثير من الموظفين والأعيان ثم انتشر عنه ما تخالفت أراء الناس فيه من أفكار وعقائد ، فكان ذلك داعيا لطلب الاجتماع به لتعرف ما عنده

طريقة جمال الدين فى التدريس

كان لجمال الدين مدرستان يعلم فى كل واحدة منهما دروسا تتفق ومزاج طلبتها واستعدادهم

المدرسة الأولى بيته فى خان الخليلى والثانية أحاديثه التى كان يلقيها بين زواره فى بيته ، أو بيوت العظماء حين يرد زيارتهم أو فى قهوة الشيشة بالقرب من العتبة الخضراء أو حينما اتفق له ولو فى الطريق

أما دروس البيت فكان يحضرها جماعة من طلبة الأزهر وبعض علمائه كالشيخ محمدعبده والشيخ عبد الكريم سلمان والشيخ سعد زغلول وغيرهم وكان أكثر الكتب التى يقرؤها فى المنطق والفلسفة والتصوف والهيئة .

وليست قيمة هذه الكتب فى ذاتها ، فقد كان الشيخ حسن الطويل الشهير بطول باعه فى العلوم الأزهرية وغيرها يقرأ هذه الكتب، ولكنه لا يبت فى رأى يقرؤه وكان الدرس احتمالات ومناقشات لاتوصل الى نتيجة يطمئن اليها العقل واما جمال الدين فكل فصل من فصولها وكل جملة من جملها يجعلها تكأة يستند اليها فى شرح افكاره وآرائه والتطبيق على الحياة الواقعة وهذا ما حبب فيه الشيخ محمد عبده فقال : انه بعد حضوره فى الأزهر سنين مل الدروس المعتادة ، وصارت نفسه تطلب شيئا جديدا ، وتميل الى العلوم العقلية

ماهذا الذى وجده عند جمال الدين ؟ وجد عنده أصولا كلية هو عماد الفلسفة ، وهى الحكمة فى صحة ما يصح وبطلان مايبطل ثم شخصية قوية تجزم فى الحكم ولا تتردد كتردد الشيخ حسن الطويل ثم ربط جزئيات الحياة العلمية والعملية برباط واحد يفتح النوافذ بعضها على بعض حتى تتألف منها وحدة ، تتقابل وتتناغم وتؤلف دورا موسيقيا واحدا وبهذا كان يرفع مستوى طلبته ، فلا تستعبدهم الألفاظ والجمل

أما مدرسته الثانية التى كان يحضرها كثير من الوجهاء وأهل الرأى فقد حول فيها مجرى الأدب من حال الى حال . كان الأدب خادما للأرستوقراطية يمدح الملوك والأمراء ، ويتغنى بأعمالهم مهما بلغ من ظلمهم النقص فى غيرهم كمال لهم والظلم اذا وقع من غيرهم فهو منهم عدل ، الفن والأدب والموسيقى لطربهم وبهلوان لتسليتهم فسخر جمال الدين الأدب لخدمة الشعب يطالب بحقوقه ، ويرفع عنه نيره يصف للناس بؤسهم ويدعوهم الى الخروج منه ، ويبصرهم بأسباب فقرهم يطالبهم بمحاربته يدافعون عن حقوقهم لايخشون حاكما ، ولا يرهبون ظالما

بهذا ظهر الأدب بصورة جديدة فبعد أن كان غزلا سخيفا ، أو مدحا كاذبا أو استعطافا أو اعتذارا وشكرا على هدية فى اسلوب من النظم أو النثر سخيف ، كون جمال الدين جماعة من الكهول والشبان ورسم لهم طريقة الكتابة وأوحى اليهم بمعان جديدة وشجعهم على الكتابة وانشاء الصحف ، وشجع اديب اسحاق وهو من الشبان المسيحيين السوريين الذين اتصلوا به على أن ينشىء جريدة اسمها (مصر) وكان جمال الدين يكتب فيها باسم مستعار هو (مظهر بن وضاح) ثم أوعز اليه بالانتقال الى الاسكندرية وانشأ بها صحيفة يومية اسمها التجارة وكان السيد يستكتب لهاتين الجريدتين أمثال الشيخ محمد عبده وابراهيم اللقانى غير ما يكتبه بنفسه ، وكان مما كتبه مقالان أحدهما فى الحكومات الشرقية وأنواعها والثانى سماه (روح البيان فى الانجليز والأفغان كان لهما صدى بعيد وراجت الصحيفتان ولفتت اليهما الأنظار بروحهما الجديدة ثم أغلقهما رياض باشا

السيد وتوفيق باشا للمرة الأخيرة

استدعاه توفيق وقال له : انى أحب كل خير للمصريين ، ويسرنى أن أرى بلادى وأبناءها فى أعلى درجات الرقى والفلاح ، ولكن مع الأسف أن أكثر الشعب خامل جاهل لا يصلح أن يلقى عليه ما تلقونه من الدروس والأقوال المهيجة فيلقون انفسهم والبلاد فى تهلكة فأجاب السيد : ليسمح لى سمو أمير البلاد أن أقول بحرية واخلاص : ان الشعب المصرى كسائر الشعوب لايخلو من وجود الخامل والجاهل بين أفراده ولكنه لايخلو من وجود العاقل فبالنظر الذى تنظرون به الى الشعب المصرى ينظر اليكم وان قبلتم نصح هذا المخلص وأسرعتم فى اشراك الأمة فى حكم البلاد عن طريق الشورى فتأمرون ، باجراء انتخابات نواب من الأمة تسن القوانين وتنفذها باسمكم وارادتكم يكون ذلك اثبت لعرشكم وأدوم لسلطانكم

ثم خرج من عنده يخطب فى هذا الموضوع ويستحث تلاميذه وأعوانه على الكتابة فيه فى حماسة وقوة

ومما كان يذيعه جمال الدين خلال سنة ١٨٧٨ حين انغمس فى السياسة وشعر بخطورة مركزه قوله للشعب :

انكم معاشر المصريين قد نشأتم فى الاستعباد وربيتم فى حجر الاستبداد وتوالت عليكم قرون منذ زمن الملوك الرعاة حتى اليوم ، وأنتم تحملون عبء نير الفاتحين وتعنون لوطأة الغزاة الظالمين تسومكم حكوماتكم الحيف والجور وتنزل بكم الخسف والذل وانتم صابرون بل راضون وتستنزف قوام حياتكم ، التى تجمعت بما يتجلب من عرق جباهكم — بالعصا والمقرعة والسوط وأنتم صامتون ، فلو كان فى عروقكم دم فيه كريات حيوية وفى رءوسكم أعصاب تتأثر فتثير النخوة والحمية لما رضيتم بهذا الذل وهذه المسكنة ، تناوبتكم أيدى الرعاة ثم اليونان والرومان والفرس ، ثم العرب والأكراد والمماليك الخ وكلهم يشق جلودكم بمبضع تهمة وأنتم كالصخرة الملقاة فى الفلاة لاحس لكم ولا صوت

انظروا اهرام مصر ، وهياكل منفيس وآثار طيبة ومشاهد سيوه وحصون دمياط ، فهى شاهدة بمنعة أبائكم وعزة اجدادكم

هبوا من غفلتكم اصحوا من سكرتكم عيشوا كباقى الأمم احرارا سعداء

ومن هذه التعاليم طارت شرارة الثورة العرابية وبهذا تحول السيد من معلم فى حجرة الى رائد صادق قوى . بل الى زعيم أمة يخاطب رجل الشارع كما يخاطب الخاصة والمتربح فى دست الوزارة

ومن هذه الروح يقول أديب اسحاق تحت عنوان (أوربة والشرق) قضى على الشرق أن يهبط بعد الارتفاع ويذل بعد الامتناع ، ويكون هدفا لسهام المطامع والمطالب ، تعبث به ايدى الأجانب من كل جانب .

ويقول الشيخ محمد عبده : ان الحاكم — وان وجبت طاعته هو من البشر الذين يخطئون وتغلبهم شهواتهم ولايرده عن خطئه ولا يقف طغيان شهوته الا نصح الأمة له بالقول والعمل .

من بلاغة القرآن

براءة

الأستاذ أحمد ماهر البقري

كثيرا ما يستوقف النظر فى القرآن الكريم ألفاظ بعينها فيتساءل المرء لماذا تلك اللفظة ولم تكن غيرها ، وفيما يلى أحاول أن استبين البلاغة فى مادة « ب . ر . ى » حين يستعملها القرآن .

أ ـ يقول الله « وما كان استغفار ابراهيم لأبيه الا عن موعدة وعدها اياه ، فلما تبين له أنه عدو لله تبرأ منه . ان ابراهيم لأواه حليم » التوبة ١١٤ فيفيد الفعل تبرأ أنه عدل بما لا يدع مجالا لشك عن استغفاره لعدو الله وكأنه تخلص من داء ألم به . وتتضح بلاغة النفى الضمنى فى الآية اذا قورنت باستعمال النفى الصريح كما اذا قيل « لم يستغفر له » بعد أن تبين أنه عدو لله ، فالفعل (تبرأ) بعمومه وزيادته عن مجرد الثلاثى يفيد ضمنا أنه لم يستغفر له فضلا عن أنه لم يتعاون معه على الشرك أصل الفساد ، وقد وردت آيتنا هذه بعد الآية الكريمة (ما كان للنبى والذين آمنوا أن يستغفروا للمشركين ولو كانوا أولى قربى من بعد ما تبين لهم أنهم أصحاب الجحيم) . التوبة ١١٣ فهى اذن لاتخاذ ابراهيم عليه السلام قدوة فى براءته من المشركين .

٢ ـ كذلك يوحى الفعل (تبـرأ) بالايجابية فى مواقفنا حيال الخصوم لا يوحيه (عدم الاستغفار) فحسب ، ولو قيل (لم يستغفروا) لتساءلنا : وماذا فعل بعد ؟ وما وسيلته فى مكافحة الشرك ؟ هل الحرب بالسيف ؟ لا ، لأنها لم تكن معركة بين قبيل وقبيل انما كانت بين نبى وأب ـ ان لم يكن ضالا ـ الا أنه عزيز على النبوة المهذبة أن تشرع السيف أمام رقبته ، أو الحرب بالكلمة وهى لم تغن مع العناد شيئا ؟ وسيلة واحدة أجدى من غيرها وهى اغفال شانه لانه على هامش الحياة أو لا حياة له .

٣ ـ ويدلنا الفعل (تبرأ) على شىء مما جبل عليه ابراهيم من هدوء النفس ، ورهافة الحس ، حيث تكثر منه (آه) حسرة على انحراف المنحرفين ومن رزانة العقل وحسن التأمل حيث وصفه الله بالحلم .

ب ـ ويقول الله (اذ تبرأ الذين اتبعوا من الذين اتبعوا ورأوا العذاب وتقطعت بهم الاسباب وقال الذين اتبعوا لو ان لنا كرة فنتبرأ منهم كما تبرأوا منا كذلك يريهم الله أعمالهم حسرات عليهم ، وما هم بخارجين من النار) . البقرة ١٦٦ ، ١٦٧ فمن وجوه البلاغة فى الآية أن الذى بدأ فى التبرؤ المتبوعون بعد أن أغروا التابعين اياهم فكانت تلك صدمة لهؤلاء لأنهم خيبوا فيهم الأمل وان قرب من الوهم ، فأرادوا أن يعاملوهم بالمثل فصدموا مرة أخرى لأن الوقت وقت الحساب على سالف أعمالهم .

وفى تكرار الفعل (نتبرأ) ما نحس معه مدى شعورهم بالندم والحسرة والذنب العميق مما جنته أيديهم ، فقد أحكم عليهم شتى أنواع الضيق ، الضيق من المعاملة ، والضيق من الزمن الذى لا يتحرك والضيق من المكان فما هم بخارجين من النار .

ج ـ ويقول الله (قال الذين حق عليهم القول ربنا هؤلاء الذين أغوينا أغويناهم كما غوينا تبرأنا اليك . ما كانوا ايانا يعبدون) القصص ٦٣ فلقد دلت كلمة (تبرأنا) فى الآية على أغوار نفوس هؤلاء القوم اذ أن المشاهد بين فريق الفساد أنهم يتعاونون ويشد بعضهم أزر بعض للاسباب الآتية :

١ ـ شعور كل منهم على حدة بالضعف اذا لم يتقو بأقرانه .

٢ ـ تميز كل منهم بعد الاستقلال فى الرأى أو الشخصية فينخرط فى سلك القطيع .

٣ - فى وجوده مع الغير تعزية له بانه ليس وحده الضعيف المنحل ، وهذا الشعور هو الذى دفعهم الى اغواء غيرهم .

أما فى يوم القيامة فيحسون جريمتهم مجسمة لأنها لم تصبح جريمة أنفسهم فحسب ، انما جريمة اغواء الغير أيضا ، فيريدون أن ينفضوا عن أنفسهم أثر الجريمة الثانية فهى سهلة الدفع بالقول انهم اتبعوا أهواءهم (ما كانوا ايانا يعبدون) كأنما عز عليهم كذلك ألا يعبدوهم من دون الله ، وهذا منتهى سفاهة الرأى والغرور .

وجدير بالملاحظة أن كلامهم هذا كان ردا على سؤال الله (أين شركائى الذين كنتم تزعمون ؟) القصص ٦٢ وهكذا حين لم يجدوا الشركاء طلبوا التبرؤ الى الله وان كانوا تخبطوا فى القول على ما رأينا .

ويقول الله (قل أى شىء أكبر شهادة قل الله شهيد بينى وبينكم وأوحى الى هذا القرآن لأنذركم به ، ومن بلغ أئنكم لتشهدون أن مع الله آلهة أخرى قل لا أشهد قل انما هو اله واحد ، واننى برىء مما تشركون) . الانعام ١٩ فنفى الشرك بالله جاء بأدوات صريحة وبتعبير لا لبس فيه ، وانما جاءت (برىء) فقوى المعنى وتأكد بصورة جميلة حقا حيث يقر أولا بوحدانية الله كأمر ملموس فى ظواهر الكون ، ولكن ليس معنى الاقرار الايمان به دائما ، فجاءت كلمة (برىء مما تشركون) لتحمل معنى الايمان بالوحدانية من جهة ، والانفصال عن المشركين تماما بحيث لا يرجو منهم رجاء ولو يسيرا من جهة أخرى .

وهذه العبارة ذات الشحنة القوية من الايمان والعزم قنبلة يفجرها الأنبياء والرسل فى وجوه الخائنين لأكبر نعم الله عليهم بعد الروية والتفكير ، فسيدنا ابراهيم لم يعجبه حال أبيه وقومه فى عبادتهم الأصنام فأعرب عما يختلج فى نفسه من فساد هذه المعبودة وأخذ يتأمل فى الليل حيث السكون الشامل والذهن الرائق فقال فى نفسه لعل ربى هو الكوكب ولكنه أفل ، وهو يحس أن الله حاضر فى نفسه كما هو حاضر فى سائر الكون فصرف عنه النظر الى القمر فأحس الاحساس نفسه فطلب الهداية من الله (فلما رأى الشمس بازغة قال هذا ربى ، هذا أكبر فلما أفلت قال يا قوم : انى برىء مما تشركون) الانعام ٧٨ .

نعم (انى برىء مما تشركون) بعد مراحل التفكير المختلفة لا يسع المؤمن الا أن يقول ذلك لأن الله يقول أيضا (وأذان من الله ورسوله الى الناس يوم الحج الأكبر أن الله برىء من المشركين ورسوله فان تبتم فهو خير لكم وان توليتم فاعلموا أنكم غير معجزى الله وبشر الذين كفروا بعذاب أليم (التوبة ٣ . فحين يقرأ القارىء أو يسمع السامع (وأذان من الله) لابد أن يستحضر ذهنه ويصيخ أذنه ليعرف فيأتى الخبر قويا (أن الله برىء من المشركين ورسوله) اى يدعهم هملا وكأن لا كيان لهم .

ومن الجميل ما نراه على لسان هود عليه السلام اذ أطلق تلك العبارة بكل تحرر وايمان كامل حين أراد القوم أن يبثوا فى نفسه الخوف من الآلهة فلم يتزعزع أو يتخذ موقفا سلبيا من الدعوة التى بدأها فاسمع (ان نقول الا اعتراك بعض آلهتنا بسوء قال انى أشهد الله واشهدوا أنى برىء مما تشركون) . هود ٥٤ فقد كانت براءته من الآلهة التى يزعمون أنها اصابته بضرر أمام الله والناس قوية كقوة دعوته ، فنفى بذلك أن يكون تأثر بشىء مما يقولون عن الآلهة .

مظاهر الإيمان

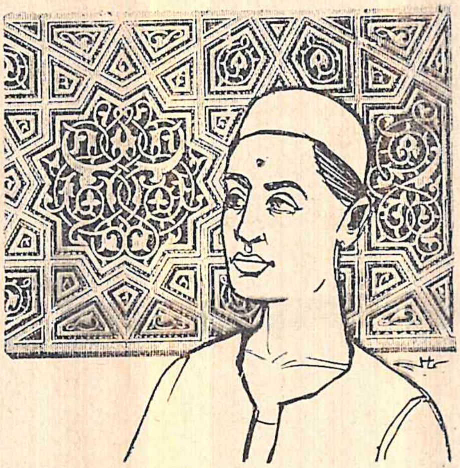

المقصود بمظاهر الايمان فى الاسلام هو الاسس الفكرية التى تتناول الدعوة الى الايمان بالله وبرسله وباليوم الآخر . ان الارتباط الفكرى فى الاسلام قائم بين وجود الله سبحانه وتعالى ووحدانيته وقدرته وشموله لكل معانى الوجود الكلى وبين الايمان بيوم البعث وما يترتب على ذلك من وجوب الثواب والعقاب ثم علاقة ذلك بالرسالات السماوية التى بلغتها الانبياء لتبصير الانسان بهذا المصير المحتوم .

لقد وقف الانسان بفكره أمام هذه الرسالات يسأل نفسه هل هو مخير بين طريقى الخير والشر بارادته وادراكه أم أن الله سبحانه وتعالى وهو القدير على كل شىء - كما تقول جميع الرسالات السماوية - هو الذى يملك فى يده طريق الهداية . ان الجواب على هذا التساؤل يحتاج الى أساس فكرى عام يربط بين جميع عناصر الايمان وهى أولا وحدانية الله وقدرته على كل شىء . وثانيا حتمية بعث الانسان من جديد ومحاسبته على ماقدمت يداه من خير أو شر وثالثا ارسال الرسل والانبياء لتبصير الانسان بهذا المصير المحتوم حتى لايكون لديه عذر ورابعا وجوب استمرار علاقة الانسان بربه كما جاء فى الرسالة المحمدية .

ان رسالة الاسلام كما نزل بها القرآن الكريم قد تناولت هذا الموضوع من جميع نواحيه وهى تضع أمام الانسان تراثا فكريا يرتفع فوق مستوى كل ماقيل وما قد يقال عن هذا الموضوع لان الايمان فى الاسلام يقوم على فكر موحد تتماسك جميع مظاهره بعناصر أساسية أولها أن الانسان المدرك مسئول عن جميع اعماله وانه سيحاسب على هذه الاعمال وهذا واضح من قوله تعالى « من اهتدى فانما يهتدى لنفسه ومن ضل فانما يضل عليها » .

اذن الهدى والضلال محسوبان على الانسان ولن يستطيع الانسان التنصل من مسئوليته عن اعماله امام الله سبحانه وتعالى الذى أرسل رسله الينا لتأكيد هذه

في الاسلام

الدكتور
لطفي علي

الحقيقة كما جاء فى قوله تعالى « وما كنا معذبين حتى نبعث رسولا » •

الى هنا يبدو الامر سهلا لان الموضوع يتبلور فى وجوب الايمان بوجود خالق قادر على كل شىء أرسل للانسان الرسل المتعددة لتوضيح طريق الخير من الشر حتى يهتدى الى الطريق المستقيم لانه سيحاسب على سلوكه ولكن الفكر الاسلامى لايقف عند هذا الحد لان قدرة الله سبحانه وتعالى على توجيه الانسان والتحكم فى مصيره يجب أن تكون فوق كل الشبهات ولذا فان الاسلام يدعو الى الاعتماد على الله ويبرز قدرة الخالق سبحانه وتعالى على التحكم فى مصير كل شىء تحكما مطلقا غيرمقيد بأى شىء على الاطلاق اذ جاءفى كتابه العزيز «قل اللهم مالك الملك تؤتى الملك من تشاء وتنزع الملك ممن تشاء وتعز من تشاء وتذل من تشاء بيدك الخير انك على كل شىء قدير » ثم جاء أيضا فى كتابه العزيز « ولا تقولن لشىء انى فاعل ذلك غدا الا أن يشاء الله » •

هذه الآيات الكريمة تؤكد السلطة العليا للخالق سبحانه وتعالى وتدعو الانسان الى الايمان به دون الربط بين هذا الايمان وبين أى حدث من الاحداث ليس هناك أى شك أن الفكر الاسلامى يضع الايمان بالله وقدرته فوق كل شىء وانه يجرد هذا الايمان من أية رابطة تخضع لتفسيرات أو تأويلات ويبتعد به عن دائرة الحسابات والمناقشات •

ان أول مظهر من مظاهر الايمان فى الاسلام اذن هو الدعوة الى الثقة بالله وقدرته وتحكمه فى مصير كل شىء ثم تجريد هذه الثقة من اى شىء لتكون خالصة لوجه الله لان كل مايصيب الانسان فى هذه الدنيا من خير أو شر يجب أن لايزعزع هذه الثقة أو يشكك فيها أويضعف من قوتها •

من العجيب أن يكون هذا المظهر الايجابى فى الايمان بالله وقدرته الذى يظهر عجز الانسان المطلق ازاء مشيئة الله سبحانه وتعالى هو الناحية التى يسىء البعض فهمها فيرمون الاسلام والمسلمين بالتواكل على الله والنزوع الى ناحية سلبية فى حياتهم اعتمادا على أن مشيئة الله قدر مقدر وانها نافذة المفعول مهما عمل الانسان ومهما حاول تغيير الامور •

ان الفكر الاسلامى لايغفل أبدا ابراز قدرة الخالق وعجز الانسان الذى لايملك لنفسه ضرا أو نفعا لان الايمان بالله لايستقيم الا على هذا الاساس لانه يجب أن يكون عن بصيرة وادراك لقدرة الخالق عز وجل كما يجب أن لاتتزعزع ثقة الانسان بخالقه لاى سبب من الاسباب لانه وحده صاحب التصريف وان هذا التصريف لايخضع للادراك الانسانى من حيث مطابقته او عدم مطابقته للقواعد التنظيمية التى يرسمها المجتمع الانسانى لنفسه •

هل يستقيم الايمان بالله الا بوجود هذا المظهر ! ان الفكر الاسلامى يتناول هنا أعمق ما يمس الادراك الانسانى لان الايمان بالله يجب أن ينبع عن عقيدة ثابتة غير خاضعة لاحداث معينة أى عقيدة مطلقة متحررة من كل شىء نابعة من علاقة الانسان بخالقه مؤسسة على الفهم الحقيقى لذات الوجود الانسانى الممتد فى أبدية وشمول ذات الله العلية • انه لايمكن للادراك الانسانى أن يتصور معنى الايمان بالله وقدرته الا على أساس تجريد هذا الايمان من أى مظهر من مظاهر الماديات أو الحسيات التى تتناول حياة الانسان نفسه • أن قدرة الخالق وخضوع الانسان لهذه القدرة هى أساس علاقة الانسان بربه لان الهدف الاول من الوجود الانسانى هو ادراك هذه العلاقة قبل كل شىء ثم نثبتها ونحفظها بعيدا عن الاحداث المادية أو الحسية التى تتناول الانسان عقليا أو عاطفيا •

ولكن هناك من جهة أخرى من يسأل لماذا يعذب الله الانسان الذى لايملك لنفسه ضرا ولا نفعا أمام قدرة الخالق سبحانه وتعالى •

ان الفكر الاسلامى قد أجاب على ذلك لانه يعتبر أن الايمان فى قدرة الخالق على كل شىء هو الاساس الاول الذى يجب أن يبنى عليه الايمان بالله سبحانه وتعالى الذى أوضح طريق الايمان فارسل الرسل الى الانسان لتهديه الى طريق الخير وتنذره بالعقاب الاليم اذا لم يستمع الى قوله سبحانه وتعالى وهذا لايتناقض أبدا مع قدرة الله عز وجل وخضوع الانسان لهذه القدرة لان هذا المظهر الثانى من الايمان متمم للمظهر الاول لان الثواب والعقاب لايصدران الا عن قادر ولذا فان الايمان بقدرته سبحانه وتعالى لاتتم الا بالايمان بالثواب والعقاب كما جاء فى الفكر الاسلامى كما أن الايمان بالثواب والعقاب لايقوم على أساس من الادراك السليم الا اذا بلغت رسالة الله سبحانه وتعالى التى تدل على قدرته المطلقة كما جاء فى كتابه العزيز « وما كنا معذبين حتى نبعث رسولا »

لذا فان المظهر الثانى من مظاهر الايمان المتمم للمظهر الاول هو الايمان بالله ورسله لانه ارسل هؤلاء الرسل ليهدينا الى طريق الخير حتى لاتقوم لنا حجة على معصيته •

لقد أوضح الفكر الاسلامى الطريق بين قدرة الله سبحانه وتعالى على كل شىء وبين رسالة الرسل الذين أرسلوا لتوضيح معالم الخير من الشر لان مهمة الرسل لاتتناول الا تبليغ الرسالة والدعوة لها اذ جاء فى كتابه العزيز « ان عليك الا البلاغ »

ان الفكر الاسلامى يضع أيضا حدا فاصلا بين مظهرى الايمان حتى يتجرد الايمان بقدرة الخالق من كل شىء حسى أو مادى يمكن أن يزعزع هذا الايمان ولذا فان

الفكر الاسلامى يتميز بانه انتزع من الادراك الانسانى كل لبث قد يساوره فى هذه القدرة لان الرســالة الاسلامية قد جردت الرسل من أى احتمال لمشاركة الله سبحانه وتعالى فى قدرته اذ جاء فى كتابه العزيز « انك لاتهدى من أحببت ولكن الله يهدى من يشاء »

ان الفكر الاسلامى هنا يصل الى أعمق ما يستطيع العقل البشرى أن يدركه أنه يضع قدرة الخالق فى الاعتبار الاول لانها مصدر الايمان نفسه ثم بين أن هذه القدرة قد أفصحت عن نفسها عن طريق الرســالات السماوية التى بلغها الرسل ودعوا اليها .

ان الفكر الاسلامى اذن يضع الانسان المدرك مباشرة امام مسئولياته تجاه خالقه لان رسالة الاسلام قد نزلت شاملة واضحة مبينة معالم الطريق لكل مظاهر الايمان بفكر متماسك متكامل لا يترك ثغرة واحدة يستطيع العقل الانسانى أن ينفذ منها لانه بعد أن أوضح قدرة الخالق على كل شيء ترك للانسان المدرك أن يتبصر أموره .

لم يبق أمام الانسان اذن الا أن يستجيب الى دعوة الله سبحانه وتعالى كما جاءت فى الرسالة المحمدية لان الله القادر قد أوضح للانسان كل شيء ثم ترك له تحمل مسئولية نفسه أمام الله اذ جاء فى كتابه العزيز « وقل الحق من ربكم فمن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر » وقد جاء فى القرآن الكريم أيضا « من اهتدى فانما يهتدى لنفسه ومن ضل فانما يضل عليها » .

ان الله سبحانه وتعالى قد ترك الانسان المدرك لمشيئته بعد أن أوضح له كل شيء فان شاء فليؤمن بما أرسل اليه وان شاء فليكفر به وهذا يوضح أن المظهر الثالث للايمان فى الاسلام قائم على مشيئة الانسان المدرك نفسه وهذا لايتعارض مع قدرة الله سبحانه وتعالى المطلقة لانه قد ترك الانسان لمشيئته فى ادراك مابلغ اليه وبذلك أصبح مسئولا وحده أمام الله عن نتــائج أعماله لانه سيحاسب عليها .

ان الايمان فى الفكر الاسلامى يستكمل حلقاته بهذه المظاهر الثلاث وهى :

اولا : الاعتقاد المطلق فى قدرة الخالق التى لاحد لها

ثانيا : الايمان بالرسل والرسالات السماوية .

ثالثا : الاعتقاد بمسئولية الانسان المدرك عن أعماله أمام الله وحده أى الايمــــان بيوم البعث وبالثواب والعقاب .

ان الفكر الاسلامى يتميز فوق ذلك بناحية خاصة وهى الربط بين قدرة الله سبحانه وتعــالى وبين مشيئة الانسان ومسئوليته لان الاسلام يعتبر أن استمرار علاقة الانسان بربه ـ رغم مشيئته ومسئوليته عن أعماله ـ هو المظهر الرابع من مظاهر الايمان . ان رسالة الاسـلام لاتنتهى بمجرد التبليغ لانها دعوة مستديمة الى التزام طريق الحق والهداية ولذا فقد نزلت متضمنة جميـــع الافكار التى تذكر الانسان دائما بعلاقته بربه وتجعل من استمرار هذه العلاقة مظهرا هاما من مظاهر الايمان .

ان الانسان ـ رغم مشيئته ومسئوليته عن أعماله يجب أن لايغفل عن ذكر ربه والاستعانة به والدعوة اليه حتى يلهمه طريق الصواب ويجنبه الذلل والوقوع فى المعاصى اذ جاء فى كتابه العزيز « واذا سالك عبادى عنى فانى قريب أجيب دعوة الداع اذا دعان فليستجيبوا لى وليؤمنوا بى لعلهم يرشدون » .

ان مشيئة الانسان ومسئوليته عن اعماله ترتبط فى الفكر الاسلامى مع وجوب ذكر الله وعبادته حتى تجد هذه المشيئة طريقها المستقيم لان رسالة الاسلام رسـالة أبدية ومن أولى واجباتها وضع الانســـان دائما أمام مسئولياته وتذكيره بها حتى لايضل الطريق . وليس هناك وسيلة انفع وأجدى للوصول الى هذه الغاية من ربط ذات الوجود الانسانى بالخالق القادر على كل شيء ربطا مستديما كما جاء فى كتابه العزيز : « واذكر ربك اذا نســيت وقل عسى أن يهدين ربى لاقرب من هذا رشدا » .

يتضح من هذا أن مشيئة الانســان ومسئوليته عن أعماله أمام الله سبحانه وتعالى قائمة على أساس أن هذه المشيئة مرتبطة بوجوب ذكر الله واللجوء اليه فى السراء والضراء ثم اتباع أوامره لان رسالة الاسلام تهدف الى تحصين المجتمع والانسانية من أى انحلال أو انحراف فكرى ولذا فان عمق الفكر الاسلامى ينبع من هذه الغاية لان هذا الفكر يضع الادراك الانسانى تحت الاختبار دائما ويوضح للانسان أن طريق الخير هو طريق الله سبحانه وتعالى وان طريق الشر هو طريق الانسان نفسه حتى يختار الانسان دائمـا جانب ربه ويلوذ به ويلجأ اليه فى السراء والضراء وقد نص القرآن الكريم على ذلك صراحة بقوله « وما بكم من نعمة فمن الله » « ما أصابك من حسنة فمن الله وما أصابك من سيئة فمن نفسك »

ان هذه الاية الكريمة تاكيد لمشيئة الانسان ومسئوليته يعنى أن الانسان يسير فى طريق الشر بدافع من نفسه أما قوله تعالى « وما بكم من نعمة فمن الله » فهو تجسيد للعلاقة القائمة بين الخالق والمخلوق أى أن طريق الخير هو الطريق الذى يدعونا الى الله واليه فان سلكنـاه فهذا من فضل الله علينا وان تجنبناه وسلكنا طريق الشر فاننا نتحمل مسئولية ذلك أمام الله سـبحانه وتعالى لاننا اخترنا هذا الطريق بدافع من انفسنا .

ان الرسالة الاسلامية اذن تبين طريق الخير وتدعو اليه وتحافظ على دوام الصلة بين الخـالق والمخلوق وتعتبر هذه الصلة مظهرا من مظاهر الايمان كما ان الفكر الاسلامى يؤكد مشيئة الانسان فى انتهاجه طريق الخير أو طريق الشر لانها أساس المسئولية أمام الله سبحانه وتعالى وان كان مابنا من خير من الله سبحانه وتعالى فلانه هو الذى أرسل لنا الرسالات السماوية والرسل ليدعونا الى هذا الطريق وسيجزينا الله على ذلك خير جزاء أما اذا سلكنا طريق الشر فان الانسان يتحمل وزر أعماله كما جاء فى قوله تعالى « ومن أظلم ممن ذكر بآيات ربه فاعرض عنها » ثم قوله تعالى « وما منع الناس أن يؤمنوا اذ جاءهم الهدى ويستغفروا ربهم الا ان تاتيهم سنة الاولين أو ياتيهم العذاب قبلا » .

ان الفكر الاسلامى اذن قد أوضح مظاهر الايمان كما ذكرنا وهى :

أولا : الايمان بقدرة الخالق على كل شيء .

ثانيا : الايمان بالرسالات الســماوية والانبياء المرسلين .

ثالثا : مشيئة الانسان المدرك ومسئوليته عن أعماله وتحمله وزرها .

رابعا : علاقة الانسان بربه ووجوب ذكر الله دائما .

وقد اجمل الفكر الاسلامى جميع هذه المظاهر فى سلوك انسانى دعا اليه المؤمنين جميعا كما جاء فى قوله تعالى :

« ولتكن منكم امة يدعون الى الخير ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر وأولئك هم المفلحون » .

الإيمان صانع المعجزات

الأستاذ محمود الحبسي

لما ضاقت بطحاء مكة برسول الله بعد فقد نصيريه : عمه أبى طالب ، وزوجه خديجة ، وخلا الجو لقريش فأخذت تمعن فى ايذائه ، وتسرف فى الكيد له ، وتترصد بكل سبيل ، وتأخذ عليه كل طريق ، وتلاحقه بكل ألوان العذاب مع صحبه من المؤمنين ، لم تضعف هذه النوازل من عزيمته ، ولم تفل من حدة ايمانه ، ولم ينهنه اليأس من قوة عقيدته ، فكان أن وسع دعوته ، وعمل على نقلها من رحاب مكة الى القبائل الضاربة على مشارفها ، أو النازلة على مقربة منها ، وكان يأسه من ايمان قومه بداية الطريق الى أمل مشرق بدأ يراوده فى أن تستجيب هذه القبائل الى ما كرهت قريش أن تستجيب اليه ، وأن يحقق فى مضاربها ما أخفق فى تحقيقه عند قومه ، ولم يغب عن تقديره – وهو يتخذ هذا القرار – أن قريشا لن تقف مكتوفة الايدى وهو ينقل المعركة الى القبائل المحيطة بها ، بل وضع فى حسابه انها ستقف له بالمرصاد : وانها ستحول بنفوذها بين دعوته وبين وصولها الى أفئدة القوم هناك ، وأنه سيلاقى فى هذه السبيل ما لاقاه من قبل فى شعاب مكة ورحابها . ومع ذلك لم يتردد ، ولم يتزعزع ايمانه فى تأييد الله له ، بل مضى قدما الى غايته ، يدفعه الايمان ، ويحدوه الامل !

وكان أول من اتجه اليهم هم بنو ثقيف بالطائف ، عله يبلغ من نفوسهم بدعوة الاسلام ما لم يبلغه من نفوس أهل مكة ، ويظفر عندهم بما لم يظفر به عند قريش ، خرج وحده الى بنى ثقيف ، مجردا من كل سلاح الا سلاح الايمان بدعوته ، لا تؤيده الا قوة يقينه ، خرج على أمل أن يلتمس النصرة منهم ، والمنعة بهم من قومه ، ولكن ما ان وقف على بنى ثقيف حتى ردوه أسوأ رد ، واغروا به سفهاءهم وعبيدهم يقذفونه بالاحجار ، ويرجمون بها عراقيبه حتى اختضب نعلاه بالدماء ، وكان اذا آلمته الحجارة قعد الى الأرض فيأخذون بعضديه فيقيمونه ، فاذا مشى رجموه وهم يتضاحكون ، وأخذ أشرافهم يسخرون منه وهو يعرض عليهم الدعوة التى جاءهم من أجلها ، فيقول له أحدهم وهو يحاوره : أما وجد الله أحدا يرسله غيرك ، ويقول له الآخر : ما هذا الذى تقول ؟ ؟ والله لا أكلمك أبدا ، لئن كنت رسولا من الله كما تقول لأنت أعظم خطرا من أن أرد عليك الكلام ، ولئن كنت تكذب على الله فما ينبغى لمثلى أن يكلمك . ولما اشتد تصايح الناس به ، وتألب سفهائهم عليه ، وسخرية اشرافهم منه ، عاد مجهدا مكدودا يلتمس الراحة الى جوار حائط بستان لولدى ربيعة ، ثم اتجه فى ضراعة الى السماء ، يبتهل الى الله أن يؤيده بنصره ، وأن يكشف عنه ما يلاقى من شدة ، وسالت الكلمات على لسانه وهى تحمل أسمى معانى التوجيه الى الله ، والضراعة اليه ، والاستعانة به على تلك الشدائد ، فيقول فيما يضرع : يا أرحم الراحمين ، أنت رب المستضعفين وأنت ربى .. الى من تكلنى ؟ الى بعيد يتجهمنى ، أم الى عدو ملكته أمرى ؟ ؟ ان لم يكن بك على غضب فلا ابالى ، ولكن عافيتك هى اوسع لى .

ونهض رسول الله قافلا من ثقيف ، لم يصب بها ما كان ينتظر ، وعاد يائسا من هدايتها بعد ان لاقى ما لاقى من صبيانها وسفهائها ، ومع ذلك هل ضعف يقينه فى تأييد الله له ؟ وهل استسلم لليأس بعد أن ردته تجربة ثقيف دون ان يشم منها بارقة امل ، او يلمح فيها قبسا من رجاء كلا ، لان من تحمل اعظم امانة فى

التاريخ قد سلحه الله بأكبر قسط من الايمان ، ولأن الرسالة الكبرى التى نهض بأعبائها تهون فى سبيلها كل التضحيات مهما عظمت .

وهكذا مضى رسول الله فى خطته الجديدة ، يعرض نفسه على القبائل المختلفة ، ويترقب مواسم الحج لينشر دعوته بين القادمين الى مكة ، والناس يتنكرون له تارة ، ويسمعون اليه تارة أخرى .

خرج يوما الى منى ووقف على منازل بعض القبائل الضاربة بها ، وهو يقول : يأيها الناس ، انى رسول الله اليكم ، يأمركم أن تعبدوا الله ولا تشركوا به شيئا ، وان تخلعوا ما تعبدون من دونه من هذه الأنداد ، وأن تؤمنوا بى وتصدقوا ، ويمنعونى حتى أبين عن الله ما بعثنى به ، وكان من ورائه عمه أبو لهب يرجمه بالحجارة وينادى بأعلى صوته ياقوم ، انما يدعوكم الى أن تسلخوا اللات والعزى من أعناقكم الى ما جاء به من البدعة والضلالة ، فلا تطيعوه ، ولا تسمعوا له ، فانصرف القوم عنه دون أن تبلغ دعوته قلوبهم .

وتابع رسول الله صلى الله عليه وسلم عرض نفسه على القبائل ، فأتى كندة فى منازلهم وعرض نفسه عليهم فسخروا منه ، وأتى كلبا فى ديارهم فلم يقبلوا منه ما عرضه عليهم ورده بنو حنيفة أقبح رد حين تعرض لهم ، وأتى بنى عامر بن صعصعة فدعاهم الى الله عز وجل ، وعرض عليهم نفسه ، ودعاهم الى الاسلام ، فقال له أحدهم ، أرأيت ان نحن بايعناك على أمرك ، ثم أظهرك الله على من خالفك أيكون لنا هذا الأمر من بعدك ؟ فقال رسول الله : الأمر لله يضعه حيث يشاء ، فردالرجل ، أفنهدف نحورنا للعرب دونك ، فاذا أظهرك الله كان الأمر لغيرنا ، لا حاجة لنا بأمرك ، ثم انصرفوا والرجل يقول : والله لو أنى أخذت هذا الفتى من قريش لأكلت به العرب ! !

ولكن هل دفعه انصراف القبائل عن دعوته وتنكرها له الى اليأس من التعرض لها فى طريقها الى مكة ؟ ؟ لقد ظل يحدوه الأمل فى أن يجد يوما من الأيام قلوبا متفتحة لدعوته ، ونفوسا مهياة لرسالته ، حتى كان ذلك اليوم .

كان ذلك اليوم الموعود حين خرج يوما الى العقبة ، فلقى رهطا من الخزرج يقصدون مكة ، فتعرض لهم وقال من القوم ؟ قالوا نفر من الخزرج ، فقال أ من موالى اليهود ؟ قالوا : نعم ، قال : أفلا تجلسون أكلمكم ، قالوا : بلى فجلسوا فدعاهم الى الاسلام ، وتلا عليهم القرآن ، فأجابوه الى ما دعا اليه وعرضه عليهم من الاسلام ، وكانوا يعرفون من مخالطيهم من اليهود أن نبيا توشك أن تظل الأرض رسالته ، وأن زمانه قد اقترب ، فرجوا أن يكونه . ثم قال قائلهم : انا قد تركنا وراءنا قومنا ولا قوم بينهم من العداوة والشر مثل ما بينهم ، فعسى الله أن يجمعهم بك ، ويوحد كلمتهم بدعوتك ، وستدعوهم الى ما دعوتنا اليه . ونعرض عليهم الذى أجبناك اليه ، فان يجمعهم الله عليه فلا رجل أعز منك ، ثم قفلوا راجعين الى بلادهم بعد ان آمنوا وصدقوا .

كان هذا اللقاء هو أول لقاء بدأت تتسرب فيه الدعوة خارج نطاق مكة ، وكان بداية الطريق الى ظهور الدعوة الاسلامية فى آفاق الجزيرة العربية ، وتخطيها حدود البلد الذى ضاق بصاحب الدعوة ذرعا ، وكان هذا اللقاء أول لقاء أيد الله به رسالته ، وأعلى كلمته ، ومهد به لنشر دينه فى أرجاء الأرض .

حديث السيف

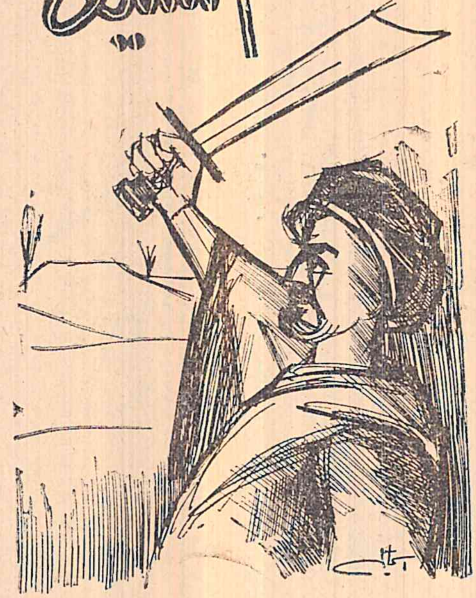

انتهينا فى مقالنا السابق الى ان الحرب قررت فى الاسلام ، والى أنه لم يكن من أهداف الحرب فى الاسلام نشر الدعوة بل حمايتها ، لأن نشر الدعوة بالقوة معناه الاكراه ، وقد نص القرآن صراحة « لا اكراه فى الدين » ، وذكرنا أن هدف الحرب فى الاسلام هو حماية العقيدة وتأمين حرية انتشارها بين الناس وصد الاعتداء الخارجى .. ومعنى هذا أن الحرب فى الاسلام كانت حربا دفاعية وليست هجومية، فالمسلمون لا يبدءون بالعدوان . ولا يقاتلون الا مكرهين، وهم فى قتالهم يعتبرون الحرب كفاح شرف ، لا يجوز أن يلجأ المحاربون فيه الى عمل أو اجراء يتنافى مع الشرف

ونضيف أن القرآن حين شرع القتال ، نأى به عن جوانب الطمع والاستئثار واذلال الضعفاء ، وتوخى به أن يكون طريقا الى السلام والاطمئنان واقامة الحياة على موازين العدل والانصاف والمساواة والخلق الكريم والسيرة الطيبة

ورغم كل المعانى النبيلة التى تميزت بها فكرة الحرب فى القرآن ، ورغم التهذيب الواضح لأسباب الحرب ودوافعها ، فان أعداء الاسلام الذين يتربصون به ويسعون الى مساس أصوله وجوهره ، ويبذلون الجهد لمحاربة تعاليمه والاساءة اليه ، اتخذوا من الاذن بالقتال وسيلة للهجوم على الاسلام ، وكرر كثير منهم وردد وراءهم من يشايعونهم ، ان الاسلام انتشر بالسيف وقام بالقوة ، وأنه لولا السيف ما وجد الاسلام فردا يؤمن به ، وانه لولا القوة ما دخل الاسلام انسان ما ونحن فى خلال هذه الدراسة نجد لزاما علينا ان نذكر

دراسات فى المدرسة العسكرية الإسلامية

للأستاذ محمد فرج

ما قاله هؤلاء وان نرد عليهم بالأدلة والحجج ، علهم يسمعون ويعون فيسكتون

ولكن قبل أن نخوض فى هذا الحديث نود انْ نستعرض الجبهات المختلفة التى حارب فيها المسلمون ... نعنى أن نستعرض الأعداء الذين واجهوا المسلمين من هم؟.. لماذا واجهوا المسلمين ؟.. كيف واجهوهم ؟.. كيف نجح المسلمون فى صدهم وهزيمتهم ؟.. وما هو أسلوب المسلمين فى صد عدوانهم ؟

اننا نستطيع أن نحدد أعداء المسلمين الذين خاضوا غمار المعارك ضدهم عند بدء الدعوة فهم دون أنْ يختلف فيهم اثنان

* قريش
* القبائل العربية فى الحجاز ونجد
* اليهود

قريش :

بدأت الدعوة الاسلامية فى مكة

بدأها الرسول الـكريم سرا ثم جاءه الأمر الالهى « وانذر عشيرتك الأقربين » فبدأ الرسول يعلن عن دعوته جهاراً ...

وكانت قريش هى القبيلة القوية صاحبة القـوة والسلطان فى مكة ... اشتغل أهلها بالتجارة فاشتهروا بأنهم تجار العرب ، وعن طريق التجارة أثرت بيوتات كثيرة من قريش .. وكانت تقتسم فيما بينها المناصب الكبرى فاختص بنو هاشم بالسقاية ، وبنو سـهم بجباية الأموال وبنو عدى بالسفارة ، وبنو مخـزوم بالقبة ، وبنو أمية بالعقاب ، وبنو تيم بالديات ، وبنو نوفل بالرفادة ، وبنو عبد الدار بالسدانة والحجابة والندوة واللواء ... وكانت قريش قوة لا يستهان بها اذ كان فى استطاعتها أن تعبىء خمسة آلاف مقـاتل مسلحين ، هذا فضلا عن وفرة المؤن ووسائل الانتقال.. وكانت قريش على علاقة طيبة ببقية القبائل العربية اذ ارتبطت بها بمعاهدات لتقوم هذه القبائل بتأمين طرق التجارة فلا تتعرض لقوافلها بالنهب والسلب .

قريش هذه اهتزت بعنف أمام الدعوة الجديدة التى بدأت فى مكة ، فقامت تقاومها وتناهضها ، وتعمل على تقويضها وتدبيرها ، وتثير أمامها الصعوبات ، وتحـارب المؤمنين فى قوة وقسوة وعنف ، واتخذت كل الطـرق لايذاء المسلمين الأوائل . والنيل منهم ، فصادرت أموال المهاجرين منهم ، وأثارت القبائل ضـدهم ، وآذت من دخل فى الاسلام ، وأنزلت بهم أشد ضروب العـذاب والنكال ، واستأجرت الشعراء لتثير القبـائل عـلى المسلمين ، وحاولت اغتيال الرسول

ولكن ... لماذا وقفت قريش هذا الموقف من الاسلام؟ ولماذا عادته بهذه الصورة العنيفة ؟

اننا نستخلص الاجابة من واقع التـاريخ الذى يحددها فى النقاط التالية :

** عاشت قريش فترة طويلة غارقة فى الشرك تعبد الأصنام والأوثان عاكفة على شرب الخمر ولعب الميسر تماما كما وصـفها موزورث سميث كان القرشـيون ماديين على مبدأ كل واشرب ، لم يكن لديهم ايمان أو شعور بالمسئولية ... تفشى الجهل بينهم حتى أن أعرق الناس شرفا كان يعد الجهل مفخرة ... وكانت الرذيلة متفشية والروابط الجنسية منحلة ، وما كان الزانى يلقى عقابا ، ولم يكن للمعنويات عندهم معيار ، ولم يكن البغاء بالأمر الذى يخدش الشرف الى حد أن رجالا من الأعلام البارزين لم يجدوا غضاضة فى ادارة المواخير.. وكانت النساء فى الدرك الأسفل من الحطة فلم يقم لهن وزن الا من ناحية أنهن متاع .. »

هذه هى الحياة التى كانت تحياها قريش ... ثم جاء الاسلام هاديا ومبشرا لهؤلاء الذين يعيشون هـذه الحياة الفاسدة ، وحمل الرسـول رسالته اليهم ليقودهم الى حياة جديدة نظيفة لا فسق فيها ولا فجور ولا اثم ولا شرور ، وليأخذ بأيديهم الى الطريق القويم الذى يحفظ لهم كرامتهم وكيانهم ، وليطهر حياتهم من العادات الذميمة وليرتقى بهم الى مسـتوى الحب والأخوة والسلام .

ولم يكن من السهل على دعوة الاسلام أن تجـد قبولا لدى قوم يعيشون فى مجتمع منحل لا ضابط فيه ولا رابط . ولا مكان فيه للضمير ولا وجود فيـه للقيم .

وكان لابد من أن يقع الصدام بين مبادئهم وعـاداتهم وبين المبادىء الجديدة التى حملها اليهم الاسلام .

** كانت قريش تعيش فى مجتمع يقوم أساسا على فئتين سادة وعبيد ، بمعنى أن الرق والعبودية انتشرت فى هذا المجتمع بصورة منفرة ، اذ كان العبيد يعيشـون فى ظل سادتهم لا ارادة لهم ولا رأى ولا كيان ولا وجود، وكان السيد يفعل بعبيـده ما يشاء دون رقيب أو حساب

أراد الله الخير لهذا المجتمع فبعث اليه برسالة الاسلام التى تنادى بالمساواة والغاء الطبقات وتحقيق العدالة فلا وجود لسيد أو عبد لأن الكل سواسية كأسنان المشط لا فرق بين هذا وذاك الا بالتقوى والعمل الصالح ، الكل يتساوى فى حقه كما يتساوى فيما عليه من واجب

وأذهلت هذه الدعوة قريشا ، وذهبت عقولهم وهم يسمعون الرسول الكريم وهو يقول « ان أكرمكم عند الله أتقاكم » ثم وهو يدعوهم الى أن يعيشوا جميعا أخوة فى صعيد واحد يتعاملون فى ود وأخوة ومحبة .. هالتهم هذه الدعوة فثاروا حرصا منهم على أن يبقى السيد منهم سيدا ، وأن يظل العبد عبدا ، وكانت هذه الثورة من أسباب الصدام المسلح .

** من المتفق عليه أن العرب كانوا ينتظرون نبيا جديدا يظهر بينهم وكانوا يعلمون أن اسمه هو محمد .. ولقد طمع سادة قريش فى أن يكون النبى منهم ، وأن تكون النبوة فيهم ، وتمنى كل واحد منهم أن يكون النبى المنتظر واحدا من قومه ، حتى أن كثيرين منهم أطلقوا اسم محمد على أبنائهم الذين رزقوا بهم على حد قول صاحب الروض الآنف « لا يعرف فى العرب من تسمى بهذا الاسم قبله صلى الله عليه وسلم الا ثلاثة طمع آباؤهم حين سمعوا بذكر محمد صلى الله عليه وسلم وبقرب زمانه وأنه يبعث من الحجاز أن يكون ولدا لهم وهم محمد بن سفيان بن مجاشع ومحمد بن الجلاح بن الحريش ومحمد بن ربيعة ... وكان آباء هؤلاء الثلاثة قد وفدوا على بعض الملوك وكان عنده من علم الكتاب الأول فأخبرهم بمبعث النبى وباسمه وكان كل واحد منهم قد خلف امرأته حاملا فنذر أن ولد له ذكر أن يسميه محمدا وفعلوا ذلك »

فلما نزل الوحى على محمد بن عبدالله صلوات الله عليه وهوكما هومعروف من سيرته يتيم الأب والأم فقيرا فى المال ثارت قريش فقد ملأ الحقد والغيرة والحسد قلوب رجالها فانكروا أن يكون محمدا هذا هو النبى المنتظر وأن ينزل عليه الوحى دون أن ينزل على سادة قريش وفيهم الوليد بن المغيرة الذى أفصح عن حقده الدفين فى قوله » أينزل على محمد واترك أنا كبير قريش وسيدها ويترك أبو مسعود بن عمرو الثقفىسيد ثقيف ونحن عظيما القريتين » ويثور أبو جهل حين يسمع برسالة محمد فيقول « والله لا نؤمن به أبدا ولا نصدقه » وهكذا أبت قريش أن تؤمن بمحمد كرسول لأنه خرج من فرع فقير ضعيف ولأنه كان بينهم يتيما لا حول له ولا قوة وكان هذا الموقف من جانبهم بمثابة الشرارة التى أشعلت نار الحرب

** جاء الاسلام ليقف فى وجه كل خلق سىء وليرتفع بالعرب الى مستوى الحياة النظيفة وليدعو الى يقظة الضمير وليحرم السلب والنهب وارتكاب الفحشاء وايتاء الموبقات ونبه الرسول الكريم قريشا الى أن هناك حسابا وعقابا فى الآخرة وأن الله تبارك وتعالى يمهل ولا يهمل وان تصرفات الناس هى الشفيع لهم حين يبعثون ... ومن هنا كان لابد لقريش من أن يتخلص رجالها من عادات الجاهلية ورذائلها وكانت فكرة الحساب والعقاب فكرة جديدة عليهم ففزعت قلوبهم وارتعدت فرائسهم خوفا من هذا اليوم وأبوا أن يصدقوا أن هناك حسابا وان عملهم فى الحياة محسوب عليهم بعد وفاتهم وهالتهم ذكرى النار التى أعدت للكافرين وعميت أعينهم عن الجنات التى أعدت للمتقين ... أبوا أن يصدقوا ما جاء به محمد رغبة منهم فى أن يعيشوا حياتهم كما يريدون فلا يعملون حسابا ليوم الحساب وكان هذا الاتجاه من جانب قريش دافعا للصدام المسلح

** وكانت قريش تعبد الأصنام وتعظمها حتى أن أبا أصيحة عندما مرض مرضه الأخير دخل عليه ابولهب فوجده يبكى فسأله « ما يبكيك ؟ أمن الموت تبكى ولابد منه فاجابه « لا ولكننى أخاف ألا تعبد العزى بعدى » فقال له ابو لهب « والله لا نترك عبادتها لموتك »

وجاء الاسلام ليهدم هذه العبادة وليزيل هذهالأصنام التى لا تضر ولا تنفع ولا تخلق ولا ترزق ، جاء داعيا الى عبادة الله الواحد القهار وترك عبادة الأوثان والأصنام التى استوردها عمرو بن لحى الخزاعى من مدينة البلقاء بالشام .. وكانت دعوة الاسلام تقوم على أنقاض العبادات القديمة التى آمنت بها قريش وآمن بها من قبل آباؤهم وأجدادهم ومن هنا كان لابد لرجالات قريش من أن يرفضوا الدعوة الجديدة وأن يتمسكوا بدين الآباء والأجداد ومن هنا اصطدمت الدعوة الجديدة بجاهلية قريش التى أبت أن تعترف بالله ربا وكان الصدام فى العقيدة من عوامل الصدام المسلح .

القبائل العربية الأخرى :

كانت هناك قبائل عربية أخرى تنتشر فى أرجاءالجزيرة العربية

وبلغ مسامع هذه القبائل نبأ الدعوة الجديدة التى بدأت فى مكة واخذت هذه القبائل تتابع انباء الدعوة الجديدة فى حذر لسببين أولهما أن ما يصل الى أسماعهم من تعالم الدين الجديد ومبادئه لم يكن واضحا بالصورة التى تجعلهم يؤمنون بهذا الدين وثانيهما أن هذه القبائل كانت تعمل حسابا لموقفقريش فهى تود أن تظل على ود معها فلا تسىء الى العلاقات القائمة بينهما ..

وكان الرسول يلتقى بقبائل العرب فى المواسمالمختلفة فيعرض نفسه عليهم ويدعوهم الى الحق ويخبرهم انه نبى مرسل ويسألهم أن يصدقوه الا أن رجالات قريش وعلى رأسهم أبو جهل وأبو سفيان وعبد العزى بن عبد المطلب المعروف بأبى لهب لم يكونوا يدعونه بل كانوا يتبعونه أينما ذهب ويحرضون الناس من القبائل الأخرى ألا يستمعوا اليه .

وخرج الرسول من مكة الى حيث تقوم القبائل فاتى كندة فى منازلها وأتى كلبا وبنى حنيفة وبنى عامر بن صعصعة فلم يسمع منهم أحد وردوه جميعا ردا غير جميل بل رده بنو حنيفة ردا قبيحا أما بنو عامر فقد أرادوا أن يقامروا فطمعوا فى أن يكون لهم الملك اذا هو انتصر بهم فلما قال لهم الرسول « ان الأمر الى الله يضعه حيث يشاء » لووا عنه وجوههم

وخرج الرسول الى ثقيف يلتمس عندهم النصرة والمنعة ويرجو اسلامهم فأغروا به سفهاءهم وردوه ردا قبيحا

ترى لماذا كان هذا الموقف من الدعوة الجديدة ؟ الحقيقة ان هذا الموقف يشبه الى حد كبير موقف قريش .. فان هذه القبائل كانت حريصة على حياتها التى تحياها وعلى اصنامها التى تعبدها وعلى صلاتها بقريش التى كانت ترتبط بها اقتصاديا وظل هذا هو موقف القبائل من الدعوة الجديدة حتى تمت هجرة

الرسول من مكة وهنا يتغير الموقف تغيرا كاملا كما سنوضحه فى الأسطر التالية ...

فعندما استقر الأمر للمسلمين فى المدينة اتخذت القبائل العربية المنتشرة فى الحجاز ونجد موقف الحياد الكامل فى النزاع القائم بين قريش والمسلمين الا أن هذه القبائل كانت بين وقت وآخر تمارس عاداتها الجاهلية فى شن الغارات على المسلمين فى المدينة وكانت هذه الغارات تصيب المسلمين بخسائر من ناحية وتشغلهم عن الاستعداد لمواجهة قريش من ناحية أخرى ولهذا رأى الرسول أن يحدد موقفه من هذه القبائل فاتخذ فى سبيل ذلك خطوتين هامتين ..

** كانت الأولى بالنسبة لعرب الحجاز فقد دعاهم الرسول الى المسالمة والمحالفة ونجح فى أن يعقد معهم حلفين دفاعيين فى السنة الثانية للهجرة فى أثناء غزوة الأبواء وغزوة العشيرة فقد حالف الرسول فى الاولى بنى ضمرة وفى الثانية بنى مدلج

وكانت هذه المحالفات مع قبائل الشمال ذات أهمية بالغة بالنسبة للمسلمين لأنهم أولا ضمنوا بقاء هذه القبائل على الحياد ولأنهم ثانيا ضمنوا استقرار الأمر لهم فى المدينة فأصبحوا قادرين على مواجهة أمور دينهم وتدبير وسائل مقاومة العدوان القرشى ولأنهم ثالثا أصبحوا مسيطرين على الطرق التجارية المتجهة شمالا الى الشام حيث كانت قوافل قريش تتجه فى رحلتها الصيفية كل عام ومن هنا أصبح وجودهم فى المدينة خطرا شديدا يهدد قوافل قريش ويسد عليها المنافذ ويحكم حصارها الاقتصادى

** وكانت الخطوة الثانية لعرب نجد وكانت قبائل هذه المنطقة تمتاز بخشونتها وجرأتها ولهذا رسم الرسول الكريم سياسة دفاعية تجاه غارات هذه القبائل فكان عليه الصلاة والسلام اذا بلغه نبأ تجمع قبيلة منها بقصد مهاجمة المسلمين أو النيل منهم .. كان يسرع بسراياه الى هذا التجمع فيفرقه قبل أن يشن غارته وكانت هذه السياسة تقوم على المبدأ الذى يقول « ان الهجوم هو خير وسائل الدفاع » ومن الأمثلة التى تؤكد صدق ما نذهب اليه ما حدث حين تجمع رجال بنى سليم بقصد غزو المدينة فقد سار اليهم الرسول فى ثلثمائة من أصحابه فهربوا وبقى الرسول فى منطقتهم ثلاثة أيام ثم عاد الى المدينة .. وحين خرج جمع من غطفان بقيادة دعثور فقد خرج اليهم الرسول فى أربعمائة وخمسين رجلا وعندما وصل الى قرقرة الكدر هربوا .. وحين خرج جمع من ثعلبة ومحارب يريد اصابة أطراف المدينة فخرج اليهم الرسول ولم يجدهم بل عثر على واحد من ثعلبة فسأله عن الجمع فقال له « انهم سمعوا بمسيرك فهربوا فى رءوس الجبال »

واتخاذ الرسول هذا النهج بالنسبة لقبائل نجد يؤكد ما نريد أن نقيم عليه الدليل من عبقرية الرسول العسكرية لان هذا النهج يقوم على ركيزتين هما مهاجمة القوة الضاربة وقت تجمعها وقبل اتمام استعدادها ثم مفاجاة هذه القوة والقضاء عليها .

وبذلك يكون الرسول قد أمن القبائل العربية فى الشمال والشرق باتباعه وسيلتين فى معاملة الاعداء ..

١ ـ سياسة سلمية تقوم على التعاقد والتحالف

٢ سياسة دفاعية وقائية تقوم على أساس الهجوم المفاجىء وشل قوى العدو فلا يستطيع أن يخوض غمار المعركة وانما يهرب طلبا للامان .

اليهود :

وهؤلاء كانوا يمثلون عدوا خطيرا على الدعوة الاسلامية ودارت بينهم وبين المسلمين معارك كثيرة انتهت بجلاء غالبية اليهود عن مواقعهم فى الجزيرة والتجائهم الى الشمال على حدود الدولة البيزنطية

كان اليهود يعيشون فى شمال الجزيرة فيما بين المدينة وتيماء وكانت قوتهم مثل قوة قريش ولكنهم كانوا أكثر غنى وثروة وأوفر سلاحا وكانت بلادهم محصنة وقوية وكانوا يسيطرون عليها تماما من جميع الوجوه وكان لهم فى المدينة شأن كبير ففيها كان يعيش بنو قينقاع (١٤٠٠) وبنو قريظة (١٥٠٠) وبنو النضير (١٥٠٠) وآخرون (٦٠٠) كما كان لهم شأن كبير وخطير فى منطقة خيبر اذ كان يهود هذه المنطقة أشد اليهود قوة وأوسعهم ثراء فكانوا يعيشون فى خيبر (٣٠٠٠) وفى وادى القرى (٥٠٠) وفى وادى مدك (٥٠٠)

وكان من الطبيعى الا يعيش اليهود فى سلام فى ظل الرسالة المحمدية وقد كانت لهم الزعامة الاقتصادية والسياسية

ولما تمت الهجرة ودخل الاوس والخرزج فى الاسلام تنبه اليهود الى الموقف الجديد الذى يواجهونه فقد كانوا قبل الهجرة يستغلون الخلاف بين الاوس والخزرج لصالحهم اما ولم يعد هناك خلاف بل أصبحت المدينة كلها يدا واحدة تلتف كلها حول راية الاسلام فلم يكن هناك بد من التفكير السريع لمواجهة هذا الموقف وتؤكد الروايات أن اليهود بادروا الى حسن استقبال الرسول والمهاجرين طمعا فى استمالتهم والاستعانة بهم ضد النصرانية .. وما أن رأى الرسول هذا الاستقبال الحسن حتى بادلهم ذات الشعور وسعى الى توثيق صلاته بهم على أساس أنهم أهل كتاب موحدون فكان عليه الصلاة والسلام يصوم يوم صومهم وكانت قبلته فى الصلاة بيت المقدس قبلة أنظارهم ومثابة بنى اسرائيل واستطاع الرسول أن يعقد معهم معاهدة صداقة وتحالف فأقرهم على دينهم وأموالهم واتفق الطرفان معا على تقرير حرية العقيدة وحرية الرأى وحرمة المدينة وحرمة الحياة وحرمة المال وتحريم الجريمة

ولقد أراد الرسول أن يعيش مع اليهود فى المدينة على أساس ما قررته المعاهدة التى عقدها معهم ... وأراد اليهود بهذه المعاهدة استمالة الرسول وقومه الى جانبهم للوصول الى غرض خاص كانوا يضمرونه فى أنفسهم

ترى هل بقى اليهود على ودهم للمسلمين ؟ وهل حافظوا على المعاهدة التى عقدوها معهم ؟ هذا ما سنتناوله فى حديثنا المقبل باذن الله

« للدراسة بقية »

التصوف في الإسلام

حب الله أو الحب الإلهي

الأستاذ طه سيف النصر

تحدثنا فى العدد الماضى بهذه المجلة الاسلامية الكبيرة عن تعريف ومنهج التصوف وعلاقته بعلم النفس وذكرت بأن هذا الطريق هو طريق أخلاق وتقوى وايمان وذوق وأضيف ايضا بأنه يصعب على النفوس لكونه غير محسوس ولايدركه العقل كما أنه تخلق بالأخلاق الالهية ولا يستطيع الانسان أن يصل الى الاخلاق الالهية بعلم أو رسم لقوله تعالى : واتقوا الله ويعلمكم الله)) وقوله تعالى ايضا)) ان أكرمكم عند الله اتقاكم)) أما عن أحوال الصوفية وما فيها من صور عديدة غريبة وعجيبة ومافيها من انفعالات نفسية وانفعالات وجدانية وعواطف مختلفة من حب وبغض ورجاء وغيبة وحضور ٠٠ الخ

فهذا موضوع حديثنا اليوم ويبدأ هذا الحديث بحب الله أو الحب الآلهى عند صوفية الاسلام ويرى علماء الغرب أن عاطفة الواجب والكرامة هى أسمى ما يتوج به الانسان سلوكه وتكوينه الخلقى ولكننا ـ نحن معشر المسلمين ـ نرى خلاف ذلك لأننا نرى هذا التاج فى تعاليم ديننا الأسلامى وتجعل من حبنا لديننا اسمى عاطفة انسانية تشغل قلوبنا وتبنى حياتنا الوجدانية على اساس متين وسليم من حب الله وحب رسوله

وانه لايمكن الوصول الى محبة الله الا عن طريق حبنا لرسوله واتباع سننته لقوله تعالى **((قل ان كنتم تحبون الله فاتبعونى يحببكم الله))** كما ان حياة الرسول صلوات الله وسلامه عليه هى منبع الحب الالهى ومورده ويجد فيها الانسان أروع صورة لهذا الحب سواء كان ذلك فى مناجاته لربه فى الجبال الشاسعة حين كان يرعى الغنم أو فى انسه وخلوته لربه الكريم فى غار حراء حيث نزل عليه الوحى ٠

وفى الصحراء كان يجد مجالا وفى نسمة الجو الطلق اثناء النهار وتلألؤ النجوم اذا جن الليل موضعا لتفكيره العميق وتأمله يسبح منه فى هذه العوالم ويبغى أن يرى ماوراءها ويلتمس من مختلف مظاهر الطبيعة تفسيرات لهذا الكون وخلقه ـ وهو يرى بعض هذا الكون غير منفصل عنه ـ اليس يتنفس الانسان هواءه اليس تحييه أشعة شمسه ويغمره ضياء قمره ويتصل وجوده بالافلاك والعوالم جميعا هذه الافلاك والعوالم التى يرى فى فسحة الكون أمامه متصلا بعضها ببعض وفى نظام محكم ـ لاالشمس ينبغى لها أن تدرك القمر ولا الليل سابق النهار ـ هذه هى الصورة الرائعة التى يتخيلها الصوفية أمامهم من حياة رسول الله وحبه للذات العلية وتلتقى أرواحهم وحياتهم الوجدانية فى هذا المجال الواسع من حب الله وذاته وصفاته وقد تعززت هذه الصورة من حياة الرسول بأجمل آيات المحبة والقرب والوجدان بلقاء الرسول بربه الكريم فى المعراج حيث شاهد مولاه مشاهدة العين عند « سدرة المنتهى »

فاذا ما وصل الانسان الى هذه المعانى والدرجات السامية فى حب الله حاول أن يقتفى فى حياته وجميع سلوكه وتصرفاته أثر الرسول الذى يحبه ليكون خير مثال لهذا الحب الكبير وغاية هذه العاطفة الشريفة ـ حب الله والفناء فيه ـ بحيث لايكون فى القلب شاغل غيره ويقول الكتاب الكريم **«ولكن الله حبب اليكم الايمان وزينه فى قلوبكم وكره اليكم الكفر والفسوق والعصيان»**

ويبدى الفلاسفة والصوفية الذين تشبعوا بحب الله منتهى السعادة فى هذه الحياة الروحية والوجدانية ويقول ذو النون المصرى فى هذا المعنى « فاذا وجدت ربى فقدت قلبى وأذا وجدت قلبى فقدت ربى والمقصود بالقلب التعلق بالدنيا وعواطفها »

ويقول الغزالى « النفس تبلغ سعادتها العظمى متى أحست بفنائها الى الله فالاشياء كلها واحدة يؤلف بينها الحب والصوفية الكاملة لله تسمو على الخوف من العذاب أو رجاء الثواب وتتجاوزها الى مقام تحب فيه النفس خالقها حبا روحانيا

وهذا المثال ينطبق على رابعة العدوية ـ عاشقة الحب الالهى ـ التى تحب الله حبا ، روحانيا لا طمعا فى جنته ولا خوفا من ناره وكانت رابعة العدوية ، اذا صلت العشاء ، قامت على سطح لها ، وشدت خمارها ، ثم قالت : «انارت النجوم ، ونامت العيون ، وغلقت الملوك أبوابها وخلا كل حبيب بحبيبه وهذا مقامى بين يديك ثم تقبل على صلاتها فاذا كان وقت السحر • وطلع الفجر قالت يا الهى هذا الليل قد ادبر وهذا النهار قد أسفر وليت شعرى اقبلت منى ليلتى فأهنأ أم رددتها على فأعزى ؟ فوعزتك هذا دأبى ما احببتنى واعنتنى لو طردتنى عن بابك ما برحت عنه لما وقع فى قلبى من محبتك ثم انشدت تقول :

ياسرورى ومنيتى وعمادى
وامنيتى وعدتى ومرادى

انت روح الفؤاد انت رجائى
انت لى مؤنس وشوقك زادى

انت لولاك ياحياتى وأنسى
ما نشدت فى فسيح البلاد

حبك الآن بغيتى ونعيمى
وجلاء العين قلبى الصادى

ونتبين من هنا ان الحبيب التى تتغنى رابعة فى حبه فى مناجاتها هو الله الذى تقبل عليه

وتخلو اليه وتدأب على حبها له فلاتبرح بابه ولا تدع رحابه هذا الحب الذى احبت فيه الله لاخوفا من ناره ولا طمعا فى جنته ولكنه ابتغاء لوجهه .

والحديث عن رابعة هو نفس الحديث عن ((عمر بن الفارض)) سلطان العاشقين كما يسمى عند الصوفيا والذى انشد يقول فى وصفه لهذا الحب الالهى :

وعن مذهبى فى الحب مالى مذهب
وان ملت يوما عنه فارقت ملتى

ولو خطرت لى فى سواك ارادة
على خاطرى سهوا قضيت بردتى

فكلاهما محب وقف قلبه وحبه على الله ولكليهما مع قلبه ومع محبوبه قصص تدل على أن حبا لأنسان لله حبا « حقيقيا » انما هو الحب الذى برأ فيه المحب من شوائب الهوى والغرض ومن نوازع الخوف والطمع وقد روى لابن الفارض قصص كثيرة فى الحب منها القصة التى رويت عند احتضاره فقد حكى احد الأولياء المعاصرين له وهو برهان الدين ابراهيم الجعيرى حكاية احتضار الشاعر الصوفى المصرى عمر بن الفارض وما وقع له فى هذا الاحتضار من تمثل الجنة له وما أثاره هذا فى نفسه فقال : رأيت الجنة قد تمثلت لابن الفارض فلما رآها صرخ صرخة عظيمة وبكى بكاء شديدا وتغير لونه وقال :

ان كان منزلتى فى الحب عندكم
ماقد رأيت فقد ضيعت ايامى

امنية ظفرت روحى بها
واليوم احسها أضغاث أحلام

فقلت له ياسيدى هذا مقام كريم فقال : يا ابراهيم هذا مقام لم ترض به امرأة فرابعة العدوية تقول : وعزتك ما عبدتك خوفا من نارك ولا طمعا فى جنتك بل كرامة لوجهك ومحبة فيك وليس هذا المقام الذى كنت أطلبه وقضيت عمرى فى السلوك اليه فسمعت قائلا يقول بين السماء والأرض اسمع صوته ولا أرى شخصه .

ياعمر فما تروم ؟ فقال :

أروم وقد طال المدى منك نظرة

ثم بعد ذلك تهلل وجهه وابتسم وقضى نحبه فرحا مسرورا فعلمت أنه قد اعطى مرماه ـ ومعنى هذا أن ابن الفارض كان مخلصا ومحبا لله على الحقيقة وانه لم يرد لسلوكه طريق الحب الالهى جزاء ولا شكورا انما هو قد سلك طريق الله وقطع عمره فى حب الله لا لأنه خائف من عذابه ولا طامع فى ثوابه بل لأنه يريد كما أرادت رابعة أن يظفر بنظرة الله يستمتع فيها بجماله الأزلى فذلك هو عنده الغاية القصوى والمهمة العظمى من حبه الالهى ونحن هنا نراه بعد تمثل الجنة له غير قانع لأنه لا يريد الجنة ولكنه يريد رب الجنة ويستطيع الباحث الصوفى أن يلتمس من ثنايا هذا الحب الالهى لهؤلاء المحبين التطور النفسى والتعليل الحقيقى للحياة الروحية التى يحياها أصحابها وما عسى أن تكون هذه الحياة قد خضعت له من ظروف وملابسات وختاما لحديثى أحب أن أشير الى ما ذهب اليه فريق كبير من المتعصبين على التصوف والصوفية تعصبا قوامه سوء النية أو العجز عن فهم الحقائق الدقيقة والمعانى الرقيقة والتشنيع على الصوفية والافتراء عليهم والتقليل من القيم الروحية والمعانى الخفية التى تنطوى على أحوالهم وذلك ما لا تفهمه عقول هؤلاء وأولئك الغارقين فى بحور المادية ، التائهين فى ظلمات الحياة الحسية المحجوبين عن الاسرار الالهية .

وهذا صراع كبير بين عالم الروح والمادة يدور رحاه فى المجتمع الحديث

الذين فى قلوبهم مرض

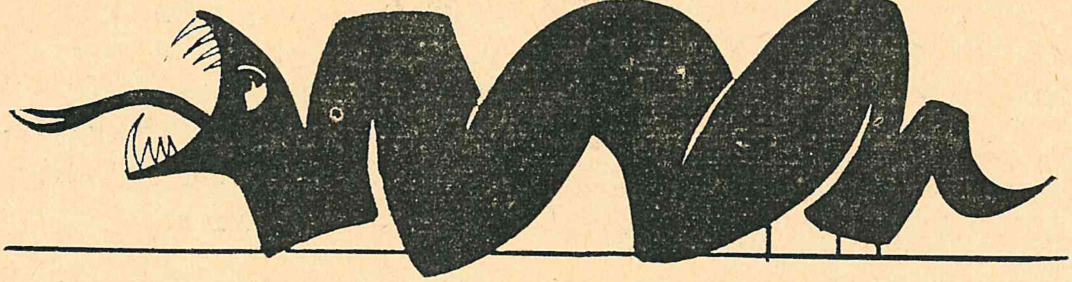

الدكتور سعد الدين الجيزاوى

قال الله تعالى : « يأيها الذين آمنوا : لا تتخذوا اليهود والنصارى أولياء ، بعضهم أولياء بعض . ومن يتولهم منكم فانه منهم . ان الله لا يهدى القوم الظالمين . فترى الذين فى قلوبهم مرض يسارعون فيهم ، يقولون : نخشى أن تصيبنا دائرة . فعسى الله ان يأتى بالفتح، أو أمر من عنده ، فيصبحوا على ما أسروا فى أنفسهم نادمين . ويقول الذين آمنوا : أهؤلاء الذين أقسموا بالله جهد أيمانهم انهم لمعكم حبطت أعمالهم ، فأصبحوا خاسرين » .

هذه توجيهات سامية من توجيهات القرآن السياسية ، فيها تذكرة وعبرة لمن كان له قلب ، أو ألقى السمع وهو شهيد .

وقد روى المفسرون فى سبب نزول هذه الآيات أن أحلافا واتفاقات كانت بين اليهود وبين بعض أهل المدينة من قبل هجرة النبى — صلى الله عليه وسلم — على المناصرة والدفاع .

وبعد أن هاجر النبى ، وادع اليهود على ألا يكون عدوان منهم على المسلمين ، غير ان اليهود لم يلبثوا الا قليلا ، ثم نكثوا عهودهم ، وراحوا يتآمرون على الاسلام والمسلمين سرا وعلانية ، غير مراعين ما بينهم وبين الرسول الكريم من اتفاق . وهنا اعتبرهم الرسول معتدين ، وكان لا بد من حربهم ، ومقابلة عدوانهم بمثله .

وعندما جاء دور « بنى قينقاع » فى الحرب، سارع حلفاؤهم من أهل المدينة ، بعد ان عمر الاسلام قلوبهم، وفى مقدمتهم عبادة بن الصامت، الى رسول الله — صلى الله عليه وسلم — يعلنون براءتهم مما كان بينهم وبين بنى قينقاع من عهود ومواثيق ، لأن المناصرة بينهم أصبحت مستحيلة . وتميز موقف المسلمين واضحا جليا الى جانب رسول الله ، وموقف اليهود ضد رسول الله ، وضد المسلمين جميعا :

« الأولون قد صفت نفوسهم ، وطهرت قلوبهم ، فأحبوا الله ورسوله ، وسلكوا سبيل المؤمنين الصادقين . والآخرون سخط الله عليهم ، فدارت عليهم الدائرة ، وكانوا هم الخاسرين » .

وكان بين أولئك وهؤلاء فريق المنافقين ، وفى مقدمتهم عبد الله بن أبى وقد كان ضمن المتحالفين مع بنى قينقاع ، فأبى أن ينقض حلفه معهم ، وراح يلتمس المعاذير ، ويبرر فعلته الشنعاء ، بأنه يخشى أن تدور الدائرة على المسلمين فيخسر الفريقين ، ويصيبه ما يصيبه من أضرار .

ولما كانت سياسة القرآن العليا دائما هي رسم المثل العليا لما ينبغي أن تكون عليه وحدة الصف ، والصراحة التامة ، والثقة الكاملة في مثل هذه المواقف العصيبة ، اقتضت حكمة الله نزول هذه الآيات لتضع حدودا فاصلة ، تميز بين رجال ورجال ، وبين مبادىء ومبادىء ، وهى صريحة فى ألا يعتمد المؤمن الحق الا على المؤمن الحق عندما يحتاج الأمر الى الاستعانة والمناصرة ، فالمؤمنون بعضهم أولياء بعض ، وينبغي أن يكونوا جميعا يدا واحدة ، وصفا واحدا فى اقامة صرح العدالة .

وآيات الكتاب الكريم التى تأمر المؤمنين هنا بعدم الموالاة أو طلب المناصرة من غير المؤمنين ، وتجعل أهل الكتاب بعضهم أولياء بعض .. تأمر المؤمنين دى مواضع أخرى بأن يتبرأوا من أقرب الناس اليهم اذا بدا منهم ما يخالف مبادىء الاسلام ، وذلك فى مثل قوله تعالى « **يأيها الذين آمنوا : لا تتخذوا آباءكم واخوانكم أولياء ان استحبوا الكفر على الايمان، ومن يتولهم منكم فأولئك هم الظالمون** » .

ذلك لأن القرآن قد جاء ليقرر مبادىء : رائدها الحق وحده ، والعدل ، وطمس معالم الظلم والطغيان أيا كان مصدرها ، لا فرق بين كبير وصغير أو قريب أو بعيد ..

وسياسة القرآن لا تعرف المحاباة ، أو المجاملة ، فأينما وجد عدوان ، ينبغي أن يقابل بمثله ، ولو كان المعتدون فريقا من المؤمنين :

« **وان طائفتان من المؤمنين اقتتلوا فأصلحوا بينهما ، فان بغت احداهما على الأخرى، فقاتلوا التى تبغى حتى تفىء الى أمر الله ، فان فاءت فأصلحوا بينهما بالعدل ، وأقسطوا ، ان الله يحب المقسطين** »

نعم : تلك هى تعاليم القرآن للمؤمنين :

فلا قرابة – وان كانت قريبة – ولا ملة – وان كانت الاسلام – بمانحة من ينتمى اليها امتيازا يبيح له العدوان دون محاسب أو رقيب . فالله تعالى هو خالق هذه النفوس جميعا ، وهو العليم بخفاياها ، الخبير بتقلباتها ، واذا كان الدين لا يردع بعض النفوس ، فان الدين نفسه يأمر بردع المعتدين .

ولنعد الى الآيات التى صدرنا بها المقال ، لنرى ما فيها من عبر ، ثم نستعرض ما بين أولئك الذين وصفتهم الآيات بمرضى القلوب ، وبين أشباههم ممن يستظلون براية الاسلام ، ويطلبون العون والعزة من أعداء المسلمين .. فالشبه جد قريب :

« يأيها الذين آمنوا » .

توجه الآيات مثل هذا النداء عندما يكون الأمر متضمنا توجيهات وأحكاما خاصة بالمؤمنين . ولكن عندما يكون أمرا عاما يقصد به المسلمون وغير المسلمين .. يكون النداء : « يأيها الناس » .

وفى آياتنا السابقة كان الموضوع يتضمن أمرا سياسيا خطيرا ، وقاعدة هامة فى رسم خطة صريحة لرد عدوان المعتدين على الأمة الاسلامية وهى فى مهدها ، لتكون فى ذلك عبرة وقدوة للمسلمين على مر الأيام وكر العصور . ومن ثم جاء النداء خاصا بالذين آمنوا .

ثم تلا ذلك أسلوب نهى صريح عن عدم الركون فى مهام الأمور لغير من يكون ثقة ، ووحدة الدين من أهم مبانى هذه الثقة .

ثم وصفت الآيات المترددين الشاكين بمرضى القلوب. ولا شك أن هذا المرض ليس جسمانيا وانما هو :

الحقد على من وفقهم الله وأفسح أمامهم طريق الصلاح ..

والأنانية التى تعمى النفوس فلا تعرف الا مصلحتها الشخصية ولو هلك الناس جميعا .

والشك الذى يجعل النفس قلقة مضطربة. وتلك صفات لا بد أن تظهر مهما حاول المنافقون اخفاءها .

« يسارعون فيهم » هذا التعبير يشعر بالفزع ، والهلع ، وعدم الاطمئنان . وفى ترديد عبارة الاعتذار « نخشى أن تصيبنا

دائرة » منتهى التهكم والسخرية ، فكأن هؤلاء الخائفين ينسبون القوة الى حلفائهم وحدهم ناسين أن القوة لله جميعا ، وأنه وحده بيده تهيئة أسباب النصر لأوليائه الذين لا ينظرون الى نتيجة معينة ، بل هى احدى الحسنيين : اما نصر وغلبة ، واما استشهاد وجنة ، ونفوسهم راضية مطمئنة على كل حال .

ثم عقبت الآيات تعقيبات متوالية نصوص أولئك المنافقين الذين ينتسبون الى الاسلام ، ويرون أن العزة فى موالاه أعداء الاسلام ! .

فهم سوف يندمون عندما يرون الدائرة عليهم وعلى أعوانهم ، وتملأ الحسرة قلوبهم ، ثم يتعرضون لتهكم المؤمنين وسخريتهم بهم عندما يتخلى عنهم حلفاؤهم وأعوانهم .

ثم تدرجت الآيات بعد ذلك فى التوبيخ لأولئك المنافقين ، والتهديد لكل من تحدثه نفسه بالتخلى عن صفوف المسلمين من المخدوعين :

« يأيها الذين آمنوا : من يرتد منكم عن دينه فسوف يأتى الله بقوم يحبهم ويحبونه ، اذلة على المؤمنين ، أعزة على الكافرين ، يجاهدون فى سبيل الله ، ولا يخافون لومة لائم » .

فالله غنى عن ايمان المنافقين المترددين ..

ثم عادت الآيات فحددت الطريق الواضح الذى ينبغى أن يسلكه المسلمون فى ولائهم :

« انما وليكم الله ، ورسوله ، والذين آمنوا ، الذين يقيمون الصلاة ، ويؤتون الزكاة وهم راكعون » .

ومعنى هذا أنه ينبغى أن يكون ولاء المسلم للمسلم واستنجاد المسلم بالمسلم ، لأن فى ذلك وحدة صف المسلمين ضد أعداء الاسلام . وفى ذلك ضمان انتصارهم على كل من يقف فى طريقهم :

« ومن يتول الله ، ورسوله ، والذين آمنوا ، فان حزب الله هم الغالبون » .

واليوم :

ما بالنا نسمع عن أناس من رؤساء الأمة الاسلامية يطلبون العزة من غير الطرق التى رسمها الاسلام ؟

ان الأمة الاسلامية تتمثل غالبيتها اليوم فى الشعوب العربية التى تعيش فى الوطن العربى الكبير . وهذا الوطن بحكم موقعه « وما فيه من خيرات فى باطن أرضه وعلى ظهرها ،قد أصبح مطمع الأمم الغربيه جميعا ، ومن ثم أصبح الأوربيون يسلكون كل سبيل لاستدامة سلطتهم على هذه المنطقة العربية ، لا حبا فى ترقية شعوبها كما كانوا يزعمون ، بل طمعا فى استنزاف خيراتها المتزايدة ، التى ما زال أكثر أهلها عنها غافلين .

ولنا أن نسأل فى صراحة :

هل يصدق عاقل أن أمريكا على استعداد لأن تقف مع ملك عربى مسلم ضد انجلترا ؟

أو أن انجلترا مستعدة لأن تقف مع ذلك الملك ضد أمريكا ؟

أو أن احدى هاتين الدولتين أو كلتيهما على استعداد لأن تسانده ضد اسرائيل ؟

وهل يصدق أحد أن تلك الشحنات من الأسلحة لبعض ملوك الشرق ، كانت سسمح بها انجلترا أو أمريكا اذا ما تأكدتا أنها ستوجه ضد اسرائيل ؟

واذن ففيم هذه الضجة الكبرى ؟؟

ومن المقصود بأنه يرعب الملك اذا ويجعله مضطرا الى طلب الحماية من أمريكا ومن غير أمريكا من دول الاستعمار ؟

انها من غير شك دولة ، أو دول عربية اسلامية .

بل على وجه التحديد . الجمهورية العربية المتحدة .

ولم كل ذلك ؟

أهو دفاع عن الاسلام ؟

ان الاسلام لا يقبل مناصرة من أعداء الاسلام والمسلمين ، وليست أمريكا ولا غيرها على

استعداد لحماية أحد ، وانما هي مصالحها – ومصالحها وحدها .

أهو لرد عدوان عن الأماكن المقدسة ؟

ان أحداً لم يفكر في هذا .

ويوم يكون هناك عدوان على الأماكن المقدسة فسوف يهب المسلمون جميعاً لحمايتها أياً كان ذلك المعتدى الأثيم .

فماذا اذا :

انه مرض القلب الذى أصاب النظراء بالأمس قد لحق بأشباههم اليوم .

انه الحقد ، والأنانية ، والكفران بالقيم الاسلامية .

واذا كان النظراء بالأمس قد استحقوا لعنة الله ، ثم دارت الدائرة عليهم ، واندثروا وهزم الحلفاء والمتحالفون ، وانتصر الذين صدقوا ما عاهدوا الله عليه ، بصبرهم ، وثباتهم في سبيل المبدأ والعقيدة ..

ألا فليعلم الأشباه : أن الآيات ما زالت تتلى اليوم كما كانت تتلى بالأمس ، تقرع أسماعهم، وان كانت لا تمس قلوبهم لما أصابها من مرض الترف والغرور ..

وان الدائرة سوف تدور على كل من يعتز بغير الله ، ويسلك غير سبيل المؤمنين ،مهما أحيط بهالات من العظمة . فقد كان حلفاء أسلافهم يظنون أن حصونهم مانعتهم من الله، فأتاهم الله من حيث لم يحتسبوا ، وقذف في قلوبهم الرعب . ولا يأمن مكر الله الا القوم الخاسرون .

وأن المصير المحتوم واحد عند النظراء والأشباه : هو الخزى ، والحسرة والندم لمن يستنصرون بمن تأكدت عداواتهم للشعوب العربية الاسلامية .

ثم هو النصر والعزة للمجاهدين الأحرار الذين عرفوا طريق ربهم ، وحرروا أوطانهم ، وأبوا أن يكونوا آلات مسخرة في أيدى أعدائهم .

« ولينصرن الله من ينصره . ان الله لقوى عزيز » .

القرآن بين الفلسفة والعلم

أوتهافت محصول الفلسفة والعلم بالنسبة لما ورد في القرآن من حقائق كونية

الأستاذ محمود أبو الفيض المنوفي

« وترى الجبال تحسبها جامدة وهى تمر مر السحاب صنع الله الذى اتقن كل شئ انه خبير بما تفعلون » – النمل ٨٨ –

بناء الكتلة المادية فى محيط الطاقة الذرية – كان القدماء منذ عهد ديموقريطس الى اواخر القرن التاسع عشر يعتقدون أن الكتلة المادية التى بنيت – منها مظاهر الكائنات هى الاصل الثابت فى الوجود فهى قديمة ازلية وباقية أبدية وهى الاصل لوجود كل شئ ، وليس هذا فحسب بل انها « فى عرفهم » اصل الحياة وأصل العقائد ولا يوجد فى ملك الله سواها لانها الاهم فى زعمهم وهى التى اوجدت القوانين الحاكمة عليها بنفسها وبقية النظم السائدة فيها حتى ولو كانت نظما ادراكية عقلية او حيوية ونفسية « من يضلل الله فلا هادى له ويذرهم فى طغيانهم يعمهون » الاعراف « ١٨٥ » وقد وصف الله معتقدهم فى كتابه حاكيا قولهم « ان هى الا حياتنا الدنيا نموت ونحيا ومانحن بمبعوثين » المؤمنون «٣٧» والدهر هو الكيان الزمانى المكانى او كل شئ تحل فيه المادة التى لا بداية لها عندهم ولا نهاية .

ومن غرائب الجهل المركب انهم يعزون اقوالهم هذه التى يسمونها فلسفة وعلما الى العلم ، العلم الطبيعى الكونى . وقد فات نظرياتهم شوطا بعيدا .

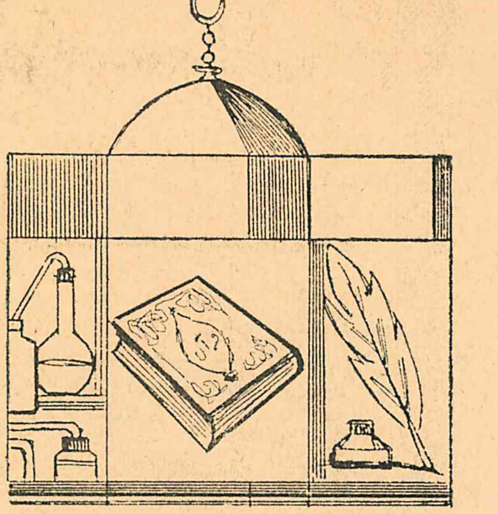

ويدافع العلم عن نفسه قائلا : ان كثيرا ممالايمكن ان ندركه بعلمنا المحدود من القوانين والنظم وما وراء القوانين والنظم لمما يجب على العالم التسليم به وان لم تقع عليه خبرته الحسية وذلك اتباعا لتسلسل قانون السببية لانه لولا هذا لتحلل هيكل النظام العلمى •

ويقول العلامة هيربرت سبنسر فى هذا المقام : ان الحواس فى الانسان وهى معتمدنا فى العلم ناقصة لا تؤدى الينا من المدركات الا ما يقوم مقام الفرض الصرف وفى كثير من الحالات نرانا أمام مسائل لا تقع عليها الخبرة الحسية ولكننامجبرون على الاعتقاد بصحتها فى حين أن علمنا يعجز عن اثبات وجودها بل عن معرفة حقائقها أو عللها الخفية •

وهيربرت سبنسر يقصد من هذه الامثلة علة الكهرباء وقانون الجذب والدفع تلك الامور التى يزعم العلماء توقف وجود المادة عليها •

هذا رأى العلم ويرى العلم أن الاعتقاد بهذا الفرض الزامى ضرورى قائلا : ان مثل هذه الامور فروض ضرورية والعقل مقصور على التسليم بها •

هذا وليعلم أشباه العلماء أولئك أن للعلم الصحيح حدا لا يتخطاه الا وهو البحث فى ظاهرات الوجود وخواصها ومنافعها بصرف النظر عن عللها الخفية وليس من حق العلم مع أسلوبه التجريبى الحسى التدخل فيما وراء الطبيعة كالاله أو النفس أو الروح أو العقل مثلا وما ذلك الا لان قانون العلم وتعريفه يجعله تجريبى موضوعى حسى وحسب ، فان خرج العلم عن حدوده هذه يكون علما ناقصا أو جهلا مضللا شبيها بالعلم ، ويكون مثله فى ذلك كمثل رجل أراد أن يتكلم بلغة لا يفهمها فتكون سائر محاولاته فى التخاطب بها سلسلة من الاخطاء والاكاذيب والادعاءات •

والنتيجة : أن العلم برغم أولئك الادعياء مقصور على التسليم بما يعجز العلماء عن اثبات حقيقته ، وأن الوجود فى واقعه وفى حقيقته لاوسع واخفى فى غرائبه من المجالات التى يسبح فيها الادراك الحسى وهذا باعتراف كبار العلماء أنفسهم •

ماهى المادة ••؟

المادة هى الكتلة أو الكم المتحيز الذى له طول وعرض وعمق وقياس ويوزن أو ينفاعل بأن يتحلل ويتركب ، وهى مكونة من اجزاء فجزئيات فذرات •

وقال القدماء : ان هذه الذرات لا تتجزأ ولا تنقسم لاصغر منها وانها ثابته الوجود ، هذا رأى القدماء •

وأما رأى العلم فى عصرنا الحاضر : العلم الذى باجهزته وخبراته قد أطاح بجرم المادة فقسمها وحللها الى الطاقة الذرية الحديثة تلك التى أطاحت بكيان المادة ، وحلل كتلها الى أطياف وأشعاعات •

واليك رأى العلامة طمسون احد علماء معهد كلفورنيا العلمى يقول فيه : ان الكون بأسره ليس مستقرا وان مادته تتلاشى وتتحول الى اشعاعات وان كان موقف العلوم الطبيعية فى أواخر القرن الماضى يصور لنا المادة جرما ثابتا وان الطاقة والحركة والمغناطيس والكهرباء كآثار حادثة عنها وقد تغير الرأى اليوم الى العكس تماما •

والرأى العلمى اليوم مجمع على ان الجسميات المادية ترجع الى ذرات صغيرة تتألف منها جميع المواد وتلك الذرات التى تشبه النظام الشمسى تماما تتألف من بريتونات والكترونات وان هى فى حقيقتها الا كهرباء خالصة بل ان خاصية القصور الذاتى التى هى من اهم خواص المادة أمكن تفسيرها كنتيجة للكهربائية ناشئة عنها • وبذلك انقلب الموقف وأصبحت المادة حالة تقوم بالكهرباء بدلا من أن تكون الكهرباء حالة تقوم بالمادة•

والاعجب من ذلك ان هذه الالكترونات والبروتينات قد وجد انها تتشتت اذا مرت فى ثقوب ضيقة كما يتشتت الضوء بما يتفق مع انها ذات خاصية موجية كما لو كانت مؤلفة من أمواج كأمواج الضوء •

ولم تكن تعرف هذه الظاهرة حتى سنة ١٩٢٦ حين تنبأ بها دى برولى العالم الفرنسى وحقق وجودها عمليا طومسون وجرمر وغيرهما •

فالمادة اذن قد فقدت جوهريتها وصارت فى نظرنا كالضوء عرضا لا يقوم بغيره لا جوهرا مستقلا بذاته •

زال اعتقادنا ببقاء المادة فقانون المادة معناه « فى زعمهم » ان الكتلة أو كمية المادة لاتخلق ولا تفنى ، فاذا احترقت شمعة مثلا كان مجموع كتل ونتاج الاحتراق مساويا تماما لوزن ما احترق مضافا اليه وزن الاكسوجين الذى اتحد به ، وكل جسم فى الكون له كتلة ثابتة لا تتغير الا اذا أضفنا الى مادته أو أنقصنا منها ، هذا ماكانوا يعلمون به •

ولكن هوفماف العالم الطبيعى الفذ عام ١٩٠١ وبوشيرير عام ١٩٠٩ وجد أن الجسميات الصغيرة المنبعثة عن الراديوم والتى هى الالكترونات تتغير كتلتها بحيث تزداد كلما ازدادت سرعتها ، وشأنها فى ذلك شأن البروتونات •

ولما كانت الاجسام مؤلفة من الكترونات وبروتونات فجميع الاجسام اذن تتغير كتلتها بتغير سرعتها •

واذا كان الامر كذلك فما معنى كتلة هذه المادة ، انها مؤلفة من ملايين الملايين من الجزئيات التى هى فى حركة مستمرة وسريعة فكيف نستطيع أن نقدر كل منها ؟ انه من المستحيل علينا ان لانتصور أنفسنا متحركين مع كل

جزئي بحركته الخاصة ولابد أن لا نتخذ موقفا محايدا .
ولكن تقريرنا للكتلة في هذه الحالة ويا للاسف يجب ان يكون خاطئا .

الا ترى انه من الكذب افتراضنا ان الكتلة المادية شيء مطلق الوجود لا يتوقف على الظروف المحيطة به ؟ فبقاء الكتلة المادية هي شيء نسبي اي شيء منسوب الى ظروف خاصة اهمها في هذه الحالة حركة الجسم بالنسبة الى من يقدر كتلته واذا كانت الكتلة شيئا نسبيا فما معنى قانون الكتلة ؟ ان قانون بقاء الكتلة لايمكن ان يكون قانونا صحيحا لانه لا معنى له ' ارأيت كيف ان الماديين كانوا يؤمنون باله وهمي اسمه المادة نسبوا له الازلية والدوام والفاعلية وهي مجرد بناء وهمي كونته ظروف وتحيله ظروف اخرى الى اشعاع كهربي وقد وصف الله عز وجل اولئك في كتابه القرآن بقوله « اولئك الذين اشتروا الضلالة بالهدى فما ربحت تجارتهم وماكانوا مهتدين » - البقرة ١٦ -

هذا ويقول العلامة فوتتيل بلسان العلم في دائرته - دائرة المعارف العلمية - أن اهمية العلوم الطبيعية لا تنحصرفقط في أشباع عقولنا او في مجرد زيادةمنافعنا وتدعيم صناعاتنا ولكن اهميتها الكبرى في رفع عقولنا الى عرفان خالق ذلك الكون العظيم وتحلية مشاعرنا بنور الاجلال والاعجاب الواجبين لذاته المقدسة .

ويريد أن يقول بأن العلم الصحيح رائد للايمان ودليل الى معرفة مبدع الكائنات .

واما اولئك التلاميذ في العلم الذين يثرثرون بمثل ما قدمنا من تأليه صنم وهمي اسمه المادة ثم يعزون انفسهم الى العلم الطبيعي على رغم انف العلم ويتخذونه ستارا يخفون وراءه ضلالهم والحادهم المذرى لاشك أن اولئكوامثالهم لم ينالوا من العلم الصحيح الا شعاعا حائدا عن مجراه الطبيعي وسبب ذلك أن نورالعلم قد صادف منهم نفوسا سقيمة وقلوبا اماتتها دواعي الشبهات والشهوات لاسيما وأن العلم الطبيعي اذا صادف فكرا قاصرا احدث فيه مرضا معنويا يستعصي شفاؤه على الهداة والمصلحين ويكون الامر كما قرره ابو علم الطبيعة الحديث العالم الفيلسوف فرنسيس بيكون : « ان العلوم الطبيعية اذا رشفت بأطراف الشفاه ابعدت عن الله ولكنها اذا شربت شربا كافيا اوصلت اليه » .

فياليت شعري اين حقيقة ماكان يدعي الماديون من دوام المادة وعدم فنائها في العصور السالفة وقد فتتت طبيعيات القرن العشرين بواسطة الطاقة الذرية كتلتها المادية الموهومة وصيرت المادة بأسرها اشعاعا نورانيا غير منظور مما يظهر للعالم والجاهل أن مادة الطبيعة التي تبدو لحواسنا تبدو لنا على غير حقيقتها ، وقد فوجيء الانسان المحب للعلم والذي يساير تطوراته بحقيقتين من أعظم الحقائق وهما : اولا : فناء المادة في الطاقة والطاقة وليدة القوة العامة فتعود المادة اليها كما نتجت عنها ويكون وجود المادة نتيجة لوجود القوة وليس كما كان يقال أن وجود القوة نتيجة لوجود المادة .

وثانيا : ازاحة النقب والحجب عن ذاتية الانسان بواسطة علم النفس وايضاح مايستتر وراءها من أسرار بواسطة العلوم النفسية والروحية .

هذا ويبني أعظم علماء الذرة والفلك اليوم وهو الاستاذ ارنجتون استاذ الطبيعة والفلك بجامعة كامبردج يبني عقيدته وايمانه بالله على دراسته للعلوم الطبيعية الذرية فاسمع اليه حيث يقول « من المعلوم ان المادة في أقصى تركيبها ليست سوى شحنات كهربائية خاصة يطلق عليها اسما البريتون والالكترون اشارة الى ماهو موجب وماهو سالب منها ومعلوم أيضا أن أي عنصر من العناصر يستطيع أن يشع نورا اشعاعيا بشرط ان يكون العنصر في حالة خصوصه من حيث الحركة والسرعة والبيئة الطبيعية التي تتفاعل معه وتدعوه الى الاشعاع ، ونحن نسم العنصر بعلامة خاصة بحيث اذا حدث منه اشعاع استطعنا ان نتأكد من حدوث هذه العلاقة واذا حدثت العلاقة بصلة تبادلية بينها وبين الاشعاع وتلك الصلة ان يسقط الى فلك اقرب فاقرب من النواة حتى يلتصق اخيرا بها وفي كل هذه السقطات والوثبات ينبعث من العنصر الجوهري اشعاع معين تتوقف مرتبته على مقدار الوثبة ومركزها عندما يندمج الالكترون فيالوثبة الاخيرة بالنواة ويكون العنصر قد استنفذ جميع الطاقة وتكون قد تحولت الى اشعاعية خالصة .

وبهذا الفعل التدريجي تزول المادة وتستحيل الى اشعاع لا يرى وهذا الاشعاع هو النبع الذي تولدت عنه أيضا .

ولكن .. ولكن متى يثب الالكترون والى اي مدى يثب ؟ الى هنا لم يحظ العلم بجواب فلا هو يعرف متى يشرع الالكترون في السقوط ولا الى اي مدى يصل .. ولكن العلم يعرف مع ذلك انه متى يشرع الالكترون في السقوط نحو النواة توجد عدة احتمالات ومع عدم امكاننا القطع بوجوب وقوع احد هذه الاحتمالات نعتقد أن احدها مرجح الوقوع ونستطيع بالضبط ان نحسب مقدار الاشعاع الذي ينطلق منه وان كان لا يمكننا ان نعين النتائج الطبيعية المترتبة على ذلك تعينا مضبوطا ونلحظ من هذا أن للعلم حدودا لايستطيع تخطيها في معرفته لاسرار هذا الكون ومتى ادركنا ذلك رأينا ان تلك الحدود قد تعوق العلم عن ادراك ماوراء الاشياء من حقائق .

والاشعاع هو الوسيلة الوحيدة التينعرف بها مايجري داخل الجوهر الذري ولكننا لانحكم بصفة قاطعةعلى مدى تصرفه ولو استطعنا لكان هذا هو المفتاح الوحيد الذي يؤدي الى فهم أسرار الكون .

ولكن يبقى معنا حقيقة ناصعة هي أن تصرف الكون في نهايته يتصرف بقوة خارجة عن تصرفه الخاص بهذا يتبين للعلماء المخلصين عجز العلم عن تفهم مكنونات الكون ومافيها من ابداع والابداع والتصميم والارادة كلها من خصائص ذلك المتصرف في شئون هذا الكون بأسره وهو الله والكون تستقر في كنهه وعلته مسحة خالصة من الحرية والابداع وهذا وصف للخالق المتصرف النهائي لشئون الكون توجد خاصة من أهم خصائص الاله وهي الارادة والنظام والخلق والحرية وكلها صفات اقترنت بمبدع الكون منذ بدء الكائنات الى أن تنتهي اليه فاذا كان الامر كذلك كان الاجدر بالعلم النزيه ان يقرر مايوجبه المنهج الديني ويوصي به العلماء وبأنه صبغة سائغة في سائر حوادث الكائنات وتؤدي نتائج العلوم الى ادراكه وتقديره تماما .

ويقول الله في القرآن : « ان الذين يخشون ربهم بالغيب لهم مغفرة واجر كبير ' وأسروا قولكم او اجهروا به انه عليم بذات الصدور ، الا يعلم من خلق وهو اللطيف الخبير » الملك - ١٢ ، ١٣ ، ١٤ -

أدب الوقت عند الصوفية

الدكتور
أبو الوفا التفتازاني

١ - اشترط الصوفية على السالك للطريق الصوفى ان يلتزم آدابا معينة هى القواعد العامة التى ينبغى أن يراعيها فى جميع مراحل سلوكه على اختلافهـا ، وبدونها لايتهيأ له الوصول .

يقول ابو حفص الحداد : « التصوف كله أدب ، لكل وقت ادب ، ولكل حال أدب ، ولكل مقام أدب ، فمن لزم آداب الاوقات بلغ مبلغ الرجال ، ومن ضيع الآداب فهو بعيد من حيث يظن القرب ، ومردود من حيث يظن القبول » .

ويقول ذو النون المصرى : « اذا خرج المريد عن حد الادب فانه يرجع من حيث جاء »

ويقول الجريرى : « التصوف مراقبة الاحوال ولزوم الادب » .

٢ - ومن اهم آداب السلوك عند الصوفية مراعاة حكم « الوقت » ، ووقت كل سالك هو ما عليه فى الحاضر . « يقولون (أى الصوفية) الصوفى ابن وقته ، يريدون بذلك انه مشتغل بما هو أولى به فى الحال ، قائم بما هو مطالب به فى الحين » .

والخضوع لحكم الوقت عند الصوفية لايعنى أن الانسان لا ارادة له كما يقول الجبرية ، وانما يعنى ان يتأدب الانسان مع خالقه تعالى ، فيرى عجز ارادته بالقياس الى ارادة الخالق ، فالله قادر ، وقدرته تحيط بكل شىء واذا قضى الله ان يقهر ارادة الانسان فلا راد لقضائه ولذلك ينبه القشيرى فى رسالته الى ذلك قائلا : « وقد يريدون - أى الصوفية - بالوقت ما يصـادفهم من تصريف الحق لهم دون ما يختارون لانفسهم ويقولون : « فلان بحكم الوقت » أى أنه مستسلم لما يبدو له من الغيب من غير اختيار له ، وهذا فيما ليس لله تعالى عليهم فيه امر او اقتضاء بحق شرع ، اذ التضييع لما امرت به ، واحالة الامر فيه على التقدير ، وترك المبالاة بما يحصل منك من التقصير خروج عن الدين » . وبهذا ينتفى عن الصوفى ترك المبـالاة فيمـا يتعلـق بمأمورات الشرع ، وتثبت له أرادة خاصة فى مجـال افعاله الاختيارية التى يشعر بالقدرة عليها .

٣ - ويشبه الصوفية الوقت بالسيف ، ويقولون : الوقت سيف قاطع وقد اعجب الشافعى رضى الله عنه بفكرة الصوفية فى الوقت ، وضرورة المبادرة الى الأعمال سواء أكانت اعمال عبادة ام عملا دنيويا ، ولنـدع السيوطى يوضح لنا ذلك قائلا ، فى كتابه « تأييد الحقيقة العلية » : عن الشافعى رضى الله عنه انه قال : صحبت الصوفية فلم استفد منهم سوى حرفين . وفى رواية : سوى ثلاث كلمات ، قولهم : الوقت سيف ان لم تقطعه قطعك ، وقولهم : نفسك ان لم تشغلها بالحق شغلتك بالباطل ، وقولهم : العدم عصمة .

« فقولهم : نفسك ان لم تشغلها بالحق هو فى معنى قوله عليه الصلاة والسلام : « الكيس من دان نفسه » ، لان من حاسب نفسه لا يترك لها سبيلا الى الاشتغال بالباطل ، اذ هو يشغلها بالمحاسبة عن الباطل . وقولهم: الوقت سيف يشبه آخر الحديث : « وعمل لما بعد الموت» اذ الذى يعمل للموت لايقطعه الوقت ، بل هو الذى يقطع الوقت » .

٤ - وقد عنى الشاذلية من الصوفية بالكلام فى الوقت عناية خاصة . يقول أبو الحسن الشاذلى : « الوقت ليل ، والشأن فى الليل الخمود والسكون حتى تطلع شمس المعرفة ، أو قمر التوحيـد ، أو نجوم العلم فيستضاء بها »

ولتلميذه أبى العباس المرسى تحليل لفكرة الوقت ، فقد حكى ابن عطاء الله السكندرى عنه قوله : « قال رضى الله عنه : أوقات العبد أربعة لا خامس لها : النعمة والبلية والطاعة والمعصية ، ولله عليك فى كل وقت منها سهم من العبودية يقتضيه الحق منك بحكم الربوبية :

« فمن كان وقته الطاعة فسبيله شهود المنة من الله عليه اذ هداه لها ووفقه للقيام بها ، ومن كان وقته المعصية فسبيله الاستغفار والتوبة ، ومن كان وقته النعمة فسبيله الشكر ، وهو فرح القلب بالله ، ومن كان وقته البلية فسبيله الرضا بالقضاء والصبر » .

فاذا كنا مع ابن عطاء الله السكندرى نجده يتعمق فى تحليل معنى الوقت ، ويعبر عنه بعبارات قوية فيها نفاذ وينصح السالك بأن يكون خاضعا على الدوام لحكمه ، ويحذره من أن يحدث بارادته فى وقته غير ما اراده الله له ، لان فى ذلك منازعة للربوبية . واستنادا الى ارادته هو ، وكلاهما دال على جهله كل الجهل فى السلوك ، وفى هذا يقول له : « ماترك من الجهل شيئا من أراد أن يحدث فى الوقت غير ما أظهره الله فيه » .

وفائدة الخضوع لحكم الوقت عند ابن عطاء الله السكندرى أن يوفى السالك كل وقت هو فيه حقه :

فاذا كان السالك فى وقت المعصية فحقه فيها الاستغفار ، واذا كان فى وقت الطاعة فحقه فيها شهودها منة من الله وفضلا . واذا كان وقته البلية فحقه فيها الصبر ، واذا كان وقته النعمة فحقه فيها الشكر لله .

وهكذا يكون لكل وقت من اوقات السالك حق من حقوق العبودية لله لابد ان يؤديه فى الحال دون نظر الى غيره .

ولا يصح للسالك أن يطلب من الله أن يخرجه من حالة الى حالة اخرى ، أو بعبارة اخرى من وقت الى وقت ، وانما أدبه أن يترك انتقاله الى ارادة الله ، وفى هذا المعنى يقول ابن عطاء الله للسالك : « لاتطلب منه ان يخرجك من حالة ليستعملك فيما سواها ، فلو أرادك لاستعملك من غير اخراج »

وينبغى على السالك ان يعرف أن حقوق الاوقت لاتقبل التسويف بحال من الاحوال ، وانه اذا فاته شيء منها لم يمكنه قضاؤه على الاطلاق . ولذا يميز ابن عطاء الله له بين نوعين من الحقوق :

حقوق فى الاوقات ، وحقوق الاوقات ، فالاولى هى وظائف العبادات الظاهرة من الصوم والصلاة وغيرهما ، والسالك اذا فاته شيء منها أمكنه قضاؤه فى وقت آخر ، أما الثانية فهى حقوق المعاملات الباطنة التى تقتضيها أحواله وارداته . واوقاته ماهو عليه فى كل منها ، ولكل وقت منها حق ينبغى له ان يؤديه فى الحال ، والا لم يصل ، وفى هذا المعنى يخاطب ابن عطاء الله السالك قائلا له : « حقوق فى الاوقات يمكن قضاؤها ، وحقوق الاوقات لايمكن قضاؤها ، اذ ما من وقت يرد الا ولله عليك فيه حق جديد وأمر أكيد ، فكيف تقضى فيه حق غيره وأنت لم تقض حق الله فيه ! »

٥ – ومن ثمة تتبين مع ابن عطاء الله السكندرى أن الخضوع لحكم الوقت من أهم آداب السلوك الى الله ، وهو عنده قائم على أساس اسقاط التدبير ، لان السالك اذا كان خاضعا لحكم وقته فمعنى هذا أنه لاتدبير له بوجه من الوجوه ، والتدبير فى فلسفة ابن عطاء الله الصوفية يعنى النظر فى المستقبل وما تؤول اليه الامور فيه بشكل يؤرق بال الانسان ويعذبه ، وهو يشعر بعدم الصدق فى العبودية لله فنحن نفرح ونألم ، نفرح حين تقبل علينا الدنيا باسبابها المختلفة ، وقد يحدث أن تزول عنا هذه الاسباب على الرغم منا فنألم لذلك أشد الالم ، وتصبح حياتنا بين تعاقب الفرح والالم عذابا نفسيا لا يطاق مبعثه الفكرة الملحة فى أمر المستقبل وكيفية الاحتفاظ بمظاهر الدنيا وأسبابها . ولو تمكن الانسان منا فلم يشتد فرحه بما يقبل عليه من أسباب الدنيا ، وخضع لحكم وقته كما يقول الصوفية ، لم يحزن قط لوجود زوالها عنه . ولما اتصف بالعبودية لما أفرحه بقاؤه وآلمه زواله وبذلك يستطيع الانسان ان يتقبل المصائب والشدائد ، ويتمكن من الوقوف على قدميه فى معترك الحياة ، ويكافح كفاح الشجاع الثابت الواثق بنفسه وبالله .

٦ – ان الصوفية يدعون الى العمل المثمر لا الى التواكل ، وهذا ابن عطاء الله يقول : « الرجاء ماقارنه عمل ، والا فهو أمنية » . أليست هذه الحكمة العطائية جديرة بأن يفيد منها الناس فى حياتهم اليومية .

ان الانسان منا كثيرا ما ينطوى على نفسه متمنيا لها الأمانى المختلفة ، فيضيع وقته فى التمنى ، ولا يصل الى هدف ما ، ولو قد أشغل وقت التمنى بالعمل المتواصل لوصل – أو ساهم على الاقل فى الوصول – الى هذا الذى يتمناه دون ما اضاعة وقت .

حقا ان الرجاء عند صوفينا السكندرى – وكما ينبغى أن يكون عند جميع الناس – لابد أن يقارنه العمل المتواصل الشاق فى سبيل ما يرجو الانسان ، وبهذا يكون الرجاء دافعا الى العمل الايجابى المنتج ، وليس دافعا الى الهروب والنكوص واضاعة الوقت فى التخيلات والاوهام الكاذبة .

ان التفكير فى الماضى مذموم لان الماضى قد انتهى ولا فائدة من التفكير فيه الا بمقدار العظة ، وادامة التفكير فى المستقبل بما يضيع وقت الانسان مذموم ايضا لان المستقبل لا علم لنا به ، فلم يبق الا أن نعيش فى « الوقت » وأن نشغله بالحق لا بالباطل ، والا نجعله قاطعا لنا . وبذا يكون الفرد ابن وقته بمعنى ان يشغل حاضره بالعمل المتقن المثمر . وهذا النوع من الفلسفة الصوفية « عملى » لا « نظرى » ، ويضفى على حياة الانسان معنى ساميا ، ويجعل حياته التعبدية خير معين له على حياة المجتمع فيها من ضروب الكفاح من اجل خير الافراد وخير المجموع

طارق بن زياد فاتح الأندلس

فضيلة الشيخ محمد سيد جاد الحق

يقول النسابون هو طارق بن زياد الليثى بالولاء أصله من البربر وأسلم على يد موسى ابن نصير فولاه اميرا على القيروان بعد ماكان واليا على طنجة وهو من مشاهير القواد وفرسان الحروب ، كان راسخ القدم فى النزال واسع الحيلة فى التدبير له صولة وجولة وجلالة وهيبة ومنزلة بين الناس وشهرة ، اذا جرد حسامه تطايرت رؤوس اعدائه وان تحرك عزمه خارت عزائم اشد الناس بأسا واصلبهم عودا . وقبل ان نستعرض فتوحاته ومغامراته فى تلك الحروب نرى لزاما علينا أن نمر بالظروف التى احاطت بالمسلمين والفتن التى قامت فيهم والعوامل التى أدت الى ذلك الفتح فنقول انه لما اشتغل الناس بالفتن واشتغل عبد الملك بن مروان بعبد الله ابن الزبير وبالازارقة وابن الاشعث وغيرهم اشتد أمر الروم والاكراد وبقايا فارس فارتجعو بلدانا كثيرة نفوا أهل الشام عنها فجاهد عبد الملك حتى أخرجهم من بعضها وبقى الاكثر فبعث الوليد بن عبد الملك البعوث فارتجع مدائن الروم ومدائن خراسان وضيق عليهم الخناق حتى لم يبق من سلطان الفرس الا الاكراد لامتناع حالهم .

أهمية الثغور :

وكان أهم ثغوره اليه ثغر افريقية وقد كان عقبة بن نافع الحارثى اختط قيروان افريقية وبنى حصنها وهو عامل لعبد الله بن سعد بن ابى سرح العامرى فى زمان عثمان رضى الله عنه ثم مضى فافتتح ما خلفها حتى بلغ تونس وبلغ سبرة ثم هاجت فتنة عثمان رحمه الله فانقطع المدد عن افريقية واشتد أمر البربر ثم انقطعت الفتنة فرجع المدد على يد معاوية رحمة الله فاستقامت افريقية حتى غزا عقبة بن نافع طنجة سنة ثلاث وستين وهو عامل الجزيرة فى زمن يزيد بن معاوية فلقيته قبيلة البربر فهزموا اصحابه واستشهد رحمه الله ثم هاجت فتنة ابن الزبير وغيرها الى ان تفرغ عبد الملك وولى الوليد . وثغر افريقية أهم الثغور لديه فدعا موسى بن نصير مولى بنى أمية وأصله من سبى خالد بن الوليد الذى سباه فى عين التمر فادعوا أنهم رهن وأنهم من

بكر بن وائل فصار نصير وصيفا لعبد العزيز ابن مروان فأعتقه وبعثه وعقد له فى سنة ثمان وسبعين على أفريقية وما خلفها وأخرجه الى ذلك الوجه فى نفر قليل مطوعين لم يخرج له جنده من الشام واكتفى له بجنود مصر وافريقية وبمن تطوع فسار حتى ورد مصر فأخرج معه من جندها بعثا ثم سار حتى أتى أفريقية واخرج معه من اهلها أهل القوة والجلد وعلى مقدمته طارق بن زياد فلم يزل يقاتل البربر ويفتتح مدائنهم وبلدانهم حتى بلغ طنجة وهى قصبة بلاد البربر وأم قراهم وافتتحها ولم تكن افتتحت قبل فأسلم أهلها واختطها قيروانا للمسلمين وجعلها لهم وطنا وكتب بذلك الى الوليد سنة تسع وثمانين . ثم سار موسى بن نصير يريد مدائن على شط البحر فيها عيال صاحب الاندلس قد غلبوا عليها وعلى ما حولها . وكان رأس تلك المدائن مدينة يقال لها سبتة وكان عليها وعلى ما حولها من المدائن ملك كافر يسمى يليان فقاتله موسى ابن نصير فالفى عنده عدة وقوة ونجدة فرجع عنهم الى طنجة وجعلت المراكب تختلف اليهم من الاندلس بالمؤن والذخائر وصار موسى بن نصير ينتقل من فتح الى فتح حتى كتب الى الوليد فى سنة تسعين يعلمه بما تم له من الفتوح ويستأذن فى فتح الاندلس فكتب اليه الوليد أن خضها بالسرايا حتى تختبر شأنها ولا تغرر بالمسلمين فى بحر شديد الاهوال . فراجعه أنه ليس ببحر وانما هو خليج يتبين للناظر ما وراءه . فكتب اليه وان كان فلا بد من اجتيازه بالسرايا . فبعث موسى عند ذلك رجلا من مواليه من البربر يدعى طريف بن ملوك المعافرى ويكنى أبا زرعة فى اربعمائة رجل فعبر بهم البحر ونزل فى الجزيرة المنسوبة اليه . ثم اغار على الجزيرة الخضراء ونواحيها فأصاب سبيا لم ير موسى فيما أصابه مثله حسنا وأصاب مالا جسيما وامتعة وذلك فى شهر رمضان . فلما رأى ذلك الناس أسرعوا الى الدخول فدعا موسى مولى له كان على مقدمة جيشه يسمى طارق ابن زياد . قيل هو فارسى وقيل من الصدف وقيل ليس بمولى وقيل هو بربرى من قفزه فعقد له وبعثه فى سبعة آلاف من البربر والموالى ليس فيهم عربى الا القليل فهيأ له يليان المراكب وحل بجبل طارق يوم سبت فى اثنى عشر الف مقاتل غير ستة عشر رجلا لم يكن فيهم من العرب الا القليل .

طارق والعجوز :

واصاب طارق عجوزا من اهل الجزيرة فقالت له كان لى زوج عليم بالحدثان وكان يحدث عن امير يدخل بلدنا هذا ويصفه بأنه ضخم الهامة وانت كذلك ومنها ان بكتفه الايسر شامة عليها شعر فان كانت بك هذه الشامة فأنت هو فكشف طارق ثوبه فاذا بالشامة على كتفه كما ذكرت العجوز فاستبشر بذلك هو ومن معه . وذكر عن طارق انه كان نائما فى المركب فرأى فى منامه النبى صلى الله عليه وسلم والخلفاء الاربعة يمشون على الماء حتى مروا به فبشره النبى صلى الله عليه وسلم بالفتح وامره بالرفق بالمسلمين والوفاء بالعهد فهب طارق من نومه مستبشرا وبشر أصحابه ولم يشك فى الظفر فنزل بالجبل وشن الغارات فى البسائط ولذريق يومئذ غائب فى غزاة له واتصل به الخبر فعظم عليه أمره وفهم الخبر الذى أتى من جهة يليان فاقبل مبادرا فى جموعه حتى احتل قرطبة أياما والجنود تتوافد عليه وكان على الميمنة ششبوب ابن الملك غيطشة واخاه على الميسرة وهما الولدان اللذان سلبهما ملك أبيهما فبعثا الى طارق يسألانه الامان اذا مالا اليه عند اللقاء بمن معهما وعلى أن يسلم اليهما ضياع والدهما غيطشة ان ظفر . فاجابهما طارق الى ذلك وعاهدهما عليه .

فلما التقى الجمعان انحاز هذان الغلامان الى طارق فكان ذلك سبب الفتح وكان الطاغية لذريق فى ستمائة الف فارس فلم يغن عنه

شيئا وافتتحت الاندلس فى أيام الوليد بن عبد الملك فكان فتحها من أعظم الفتوح التى لها شأن فى التاريخ وشأن فى نصرة الملة الحنيفية وكان عمر بن عبد العزيز معنيا بها مهتما بشأنها وهو الذى قطعها عن نظر والى افريقية وجرد لها عاملا من قبله. واول موضع نزله طارق هو الجزيرة الخضراء نزلها قبيل الفجر وصلى بها الصبح بموضع منها وعقد الرايات لاصحابه فبنى بعد ذلك هناك مسجدا وعرف بمسجد الرايات وهو باق الى وقتنا هذا ثم دخل طارق الاندلس وامعن فيها واستظهر على العدو بها .

وكتب الى موسى بن نصير موليه بخبر الفتح وغلبته على ما غلب عليه من بلاء الاندلس وما حصل له من غنائم فحسده موسى على الانفراد بذلك وكتب الى الوليد بن عبد الملك يعلمه بالفتح وينسبه الى نفسه وكتب الى طارق يتوعده اذ دخلها بغير اذنه ويأمره الا يتجاوز مكانه حتى يلحق به . وخرج متوجها الى الاندلس واستخلف على القيروان ابنه عبد الله وخرج معه حبيب بن عبدة الفهرى ومعه العرب والموالى فى عسكر ضخم ووصل من جهة المجاز الى الاندلس وقد استولى طارق على قرطبة دار المملكة وقتل لذريق الملك لعنه الله . فتلقى طارق موسى ابن نصير وترضاه ورام أن يستل ما فى نفسه من الحسد له وقال له انما انا مولاك ومن قبلك وهذا الفتح لك وبسببك . وحمل طارق اليه ما كان غنمه من الاموال فلذلك نسب الفتح الى موسى بن نصير لان طارقا من قبله ولانه أتم من الفتح ما كان بقى على موسى بن نصير واقام موسى بالاندلس مجاهدا وجامعا للاموال ومرتبا للامور بقية سنة ثلاث وتسعين واربع وتسعين وأشهرا من خمس وتسعين وقبض على طارق ثم استخلف على الاندلس ابنه عبد العزيز بن موسى وترك معه من العساكر ووجوه القبائل من يقوم بحماية البلاد وسد الثغور وجهاد العدو ورجع الى القيروان ثم سار منها بما حصل له من الغنائم واعده من الهدايا الى الوليد بن عبد الملك . وكان مما وجد بمدينة طليطلة حين فتحها مائدة سليمان ابن داود عليهما السلام فيقال انها طوق ذهب وطوق فضة مكللة باللؤلؤ والياقوت ومعه فيما يقال طارق ومات الوليد وقد وصل موسى الى طبرية فى سنة ست وتسعين وحمل ما كان معه الى سليمان بن عبد الملك ويقال انه رحل وادرك الوليد حيا .

ويقول بعض المؤرخين ان الوليد اعاد طارق الى القيادة بعد ما عزله موسى بن نصير واصلح ما بينه وبين موسى وعاد طارق الى غزواته فصعد من طليطلة شرقا الى منابع نهر التاجة واستعان بموسى على فتح سرقسطة فافتتحاها واحتلاطرطوشة واستدعاه الوليدالى الشام فقصدها مع موسى سنة ٩٦ وعزل عن القيادة واستمرمعزولا كما يقول بعض المؤرخين ونرى أن الذى دعا طارق الى فتح الاندلس ما سمعه عنها من البديع وغدق السقيا وكثرة المياه وطيب العمران وشرف الآنية وكثرة السلاح وصحة الهواء وصفاء الازهان وشهامة الطباع مما حرمه كثير من الاقطار سواها وفى سنة ١٠٢ اسلم طارق الروح الى بارئها فانتهت حياة اكبر فاتح يسر الله له الفتح واعانه عليه فألقى فى سمع الزمان نصرا تتغنى الاجيال بفضله ولولا الدسائس التى احاطت بطارق فاوغلت صدر موسى عليه لكان له شأن غير هذا وهكذا تنتهى حياة الفاتحين فاعمارهم كالزهور وايامهم كالنور وهم كالورود يحيط بها الشوك ، وكالعافية يلفها الالم .

الاسلام واستراتيجية الحرب والسلام

الدكتور جمال الدين الرمادي

اننا لو نظرنا الى لباب الاسلام لوجدناه يدعو الى السلام ، بل ان لفظة مشتق من مادة واحدة مع السلام وقد قال سبحانه وتعالى فى كتابه العزيز « يأيها الذين آمنوا ادخلو فى السلم كافة ، ولا تتبعوا خطـوات الشيطان ، انه لكم عدو مبين »

كما أن الاسلام لا يفرض الحرب الا للضرورة القصوى كتأمين الدعوة والدفاع عن النفس ، والذود عن الحمى أو نحو ذلك ، اما فيما عدا ذلك فالاسلام لا يقـر سياسة القتال ، وسـفك الدماء ، وازهاق الارواح ، واستعباد الشعوب الآمنة

وقد اختلفت آراء العلماء والمفكرين فى فكرة الحرب والسلام ، وهناك نظريتان مضادتان احداهما تنـادى بأن الحرب هى الحالة الطبيعية لعلاقة كل جماعة من الجماعات السياسية بجماعة أخرى ، وصاحب هذه النظرية هو الفيلسـوف الاغريقى افلاطون كما قال فيلسوف اغريقى قديم «أن الانسان ذئب همه الانقضاض على أخيه الانسان»

وأخذ فولتير المفكر الفرنسى الشهير بهذه النظـرية وقال « ان فكرة سلام دائم فكرة خيالية من نسـج الأوهام ، وهى أشبه بفكرة وضع لغة عالمية تسود شعوب العالم أجمع ، وانه لمن العسير كل العسر منع الناس من الاقتتال شأنهم فى ذلك شأن الذئاب والحملان اذ يتعذر منع الذئاب من الاعتداء على الحملان

وأما النظرية الأخرى فهى نظرية الحمل وبيئـة السلام ، وتقف هذه النظرية بجوار نظرية الذئب ، ومن يرجع الى الشاعر الاغريقى « هزيود » يجد أنه وصف عصرا ذهبيا ليس فيه حرب ولا قتال ، وليس فيه سفك دماء أو ازهاق أرواح .

ومع أن الاسلام يدعو الى السلام فانه لم يدع الى الضعف والاستخذاء انما دعا الى الدفاع عن العـرض والكرامة فقال سبحانه وتعالى فى كتابه العزيز « فمن اعتدى عليكم فاعتدوا عليه بمثل ما اعتدى عليكم » وقال تعالى « ولا تعتدوا ان الله لا يحب المعتدين »

وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا بعث بعثا قال : تألفوا الناس ، وتأنوا لهم ولا تغيروا عليهم حتى تدعوهم فما على الأرض من أهل بيت من مدر ولا وبر الا أن تأتونى بهم مسلمين ، أحب الى من أن تأتونى بأبنائهم ونسائهم وتقتلوا رجالهم »

فالاسلام يدعو الى عدم الاعتداء ، وفى نفس الوقت لا يترك المعتدين انما يقلم أظافرهم ويستأصل شأفتهم ولكنه ينهى عن الوحشية والغلظة والفظاظة

ولقد قامت دعوة بعض المستشرقين على ان الاسلام انتشر بحد السيف ولكن الواقع أن الاسلام لم يكن فى وقت من الاوقات يستخدم السيف للتحكم فى رقاب الضعفاء أو التسلط على أعنـاق الابرياء ، انما كان السيف وسيلة لتأمين الدعوة ، ومع ذلك أبان للمؤمنين عدم ضرورة القتال اذا لم تكن هناك ضرورة لذلك فقال تعالى فى كتابه العـزيز « فان اعتزلوكم فلم يقاتلوكم وألقوا اليكم السلم ، فما جعل الله لكم عليهم سبيلا »

وفى نفس الوقت كان النبى صلى الله عليه وسلم قائدا عسكريا من طراز فريد ، وكان يستخدم شتى الوسائل الحربيـة فيرسل السرايا للاستكشاف ويستخدم الحرب السيكولوجية فى الهجوم والدفاع

لقد قال جورج لويد عقب الحرب العالميـة الأولى : « لقد انتصرنا بقذائف من ورق » ويقصد بذلك وسائل الدعاية والاعلام التى قام بها الحلفاء أثناء الحـرب العالمية الأولى كما أشار ونستون تشرشل الى نفس هذه النقطة عقب انتهاء الحرب العالمية الثانية وشاد بفضل الدعاية البريطانية التى تفوقت على دعاية المحور فى ايقاظ الروح المعنوية فى الجيش

وقد كان الرسول الكريم يعمد الى الدعوة الحسنة ، فاذا الذى بينه وبينه عداوة كانه ولى حميم كما كان يتخذ حيال بصره قوله تعالى : « فذكر انما أنت مذكر، لست عليهم بمسيطر » ولكنه لم يتأخر فى استخدام وسائل تقوية الروح المعنوية فى الجيش وحثه على الاستبسال ببيانه المشرق المبين وكلماته الرصينة الشريفة ،

وقد قال له أصحابه يوما : ما رأينا الذى هو أفصح منك فقال : وما يمنعنى وانما أنزل القرآن بلسانى ، لسان عربى مبين

وفسر صلى الله عليه وسلم فصاحته بنشأته فى بنى سعد ، ومولده فى قريش ويريد بذلك انه جمع من قوة عارضة البادية وجزالتها ورونق الحاضرة وزخرف صناعتها وروعتها

وكان كلامه صلى الله عليه وسلم لا فضول فيه ولا تقصير وفى ذلك تقول السيدة عائشة رضى الله عنها « ما كان رسول الله يسرد كسردكم هذا ولكن كان يتكلم بكلام بين فصل يحفظه من جلس اليه وروى عنها أيضا أنه كان يحدث حديثا لوعده العاد لأحصاه

وفى غزوة أحد خرج رسول الله وقد لبس لأمته أى خوذته وظاهر بين درعين أى لبس درعا فوق درع وتقلد سيفه وألقى الترس فى ظهره فقالوا له : ما كان لنا أن نخالفك أو نستكرهك على الخروج ، فاصنع ما شئت فقال لهم عليه الصلاة والسلام قد دعوتكم الى القعود فابيتم ، وما ينبغى لنبى اذا لبس لأمته أن يضعها حتى يحكم الله بينه وبين أعدائه .

وفى غزوة الفتح أمر الرسول العباس بحبس أبى سفيان بمضيق الوادى حتى تمر جيوش المسلمين وقال العباس : ففعلت فمرت القبائل كلها ، وكلما مرت قبيلة كبرت ثلاثا عند محاذاته ، قال : يا عباس من هذه فأقول سليم فيقول ومالى وسليم ، ثم تمر القبيلة فيقول : ياعباس من هؤلاء ؟ فاقول مزينه فيقول مالى ولمزينة حتى نفذت القبائل كلها وحتى مر الرسول فى كتيبته الخضراء أى المجللة بالحديد وفيها المهاجرون والانصار لا يرى منهم الا الحدق والحديد ، وفيها ألف دارع وعمر بن الخطاب يقول : رويدا حتى يلحق أولكم بآخركم : قال سبحان الله يا عباس من هؤلاء فقلت : هذا رسول الله فى الأنصار ، فقال ما لاحد بهؤلاء قبل ولا طاقة ، فقال أبو سفيان : والله يا أبا الفضل لقد أصبح ملك ابن أخيك اليوم عظيما فقلت : يا أبا سفيان انها النبوة ! فقال – نعم اذن ، ثم قلت له التجىء الى قومك حتى اذا جاءهم صرخ بأعلى صوته : يا معشر قريش : هذا محمد قد جاءكم بما لا قبل لكم به ! فتفرق الناس وملأهم الذعر وخارت قواهم فلم تستطع قوات المشركين الصمود طويلا فى فتح مكة ، ونجحت خطة الرسول فى ايقاظ الروح المعنوية فى جيش المسلمين وتحطيم الروح المعنوية فى جيش المشركين .

لقد قسم كلاوزفتر الروح المعنوية فى الجيش الى الفضيلة العسكرية للجيش والشعور القومى وكفاية القائد .

والفضيلة العسكرية تاتى من المعارك العديدة الظافرة والقيادة الماهرة التى لا تزعزعها عواصف الهزيمة أو سوء الحظ

والشعور القومى هو الايمان الذى يخالط الجند وهو ما عبر عنه العلامة « فون درجولتز » بأن لا تقهر الخصم بتدمير وجوده فقط انما بابادة آماله على الانتصار أو بما عبر عنه القائد « بسمارك » حينما رأى بقعة من الدهن على غطاء المائدة فقال لأصحابه : كما تنتشر هذه البقعة فى النسيج شيئا فشيئا كذلك ينفذ الشعور باستحسان الموت فى سبيل الدفاع عن الوطن.

وقد أجمل القرآن الكريم كل هذه المعانى فى قوله تعالى « ولا تحسبن الذين قتلوا فى سبيل الله أمواتا بل أحياء عند ربهم يرزقون »

وقد كان هذا مبدأ المسلمين فى معاركهم فاذا بهم ينتصرون على أبراج الفرس ويقتحمون قلاع الرومان ويصل ملكهم الى جبال البرانس شمالا والهند والصين جنوبا

لقد هلل كتاب الاستراتيجية فى أوربا عندما كتبوا عن نابليون فى معركة « جسر لودى » حينما وجد النمساويين يحتلون البلد ويمشون فوق الجسر فرأى أن النصر لا يتم الا بعبور الجسر الضيق الشديد الخطر حتى أتهمه القواد بالتهور والمجازفة الى غير ذلك من الأقوال المثبطة للعزيمة ، وتناول نابليون بيرقا وصاح فى جنده : اتبعوا قائدكم وانطلق يعبر الجسر والرصاص يتناثر والقذائف تتساقط والدخان يملأ الجو

وقبله كان محمد الرسول الكريم المثل الأعلى للقائد الشجاع الذى لبس لأمته يوم أحد ولم يعبأ بالأخطار والأهوال ، انما اندفع الى الميدان حتى وقع لشقه فأصيبت رباعيته ، وشج فى وجهه ، وكلمت شفتاه ، ودخلت حلقتان من المغفر الذى يستتر به وجهه فى وجنته ، وكان رامى الحجر الذى أصابه عتبة بن أبى وقاص ، وقد أدركه أبى بن خلف وهو يقول : أين محمد لا نجوت ان نجا فطعنه الرسول بحربة الحارث بن الصمة طعنة جعلته يتقلب على فرسه ويعود أدراجه ليموت فى الطريق .

كما هلل كتاب الاستراتيجية ومنهم السير ادوارد شيفرد كريس فى كتابه عن المعارك الحاسمة الكبرى للبطولة التى أظهرها الجنود الفرنسيون فى معركة واترلو حيث روى أن أحد الجنود الفرنسيين عندما أصيبت يده وقطعت على اثر اصابته بقنبلة أمسك بيده المقطوعة ورماها فى الهواء وهو يهتف بحياة الامبراطور نابليون

وفى التاريخ الاسلامى بطولات رائعة تفوق هذه القصة التى دونها الماجور ماكريدى فى مذكراته ونقلها السير ادوارد كريس .

لقد كان الاسلام ولا يزال المعين الأول للبطولة والمنبع الأول للشجاعة فهو مصنع البطولة والأبطال ومعرض الشجاعة والشجعان .

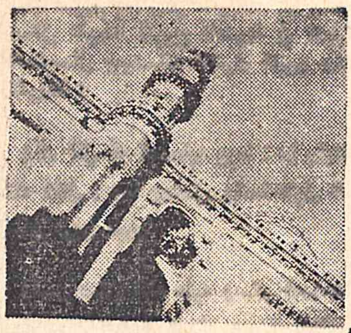

رحمة الله

الدكتور حسن عز الدين الجمل

بسم الله الرحمن الرحيم ، والحمد لله الذى أرسل رسوله محمدا بن عبدالله رحمة للعالمين، ونزل القرآن رحمة للمؤمنين • ومعنى الرحمة هو تخليص من رحمهم الله من الضر والضلال، والانعام عليهم بالهدى والمغفرة والايمان • والرحيم من أسماء الله الحسنى ، وهو صيغة تعظيم من الرحمة •

والرحمة تقتضى الاحسان الى المرحوم ، من أجل ذلك اتصل اسم الرحيم سبحانه ، بذكر المرحوم — قال الله تعالى : « هو الذى يصلى عليكم وملائكته ليخرجكم من الظلمات الى النور ، وكان بالمؤمنين رحيما »

٤٣ — الأحزاب

والله يقسم رحمته كيف يشاء ، يدخل فى رحمته من يشاء • والرحمة من الله انعام وافضال ، ونحن نكاد لانرى رحمة الله لكثرتها — ذلك بأن نعم الله لاتحصى • ولكننا نحس أن أمسك الله بعض رحمته ونشعر وكأنها تنزع نزعا • قال الله تعالى :

« ولئن أذقنا الانسان منا رحمة ثم نزعناها منه انه ليئوس كفور » •

٩ — هود

ولا يوجد شىء فى الوجود يعادل رحمة الله غير علمه عز وجل — « ••• ربنا وسعت كل شىء رحمة وعلما ••• »

٧ — غافر

وان الله يرحمنا فى هذه الحياة الدنيا التى لانلبث فيها الا قليلا • وينعم الله علينا بشتى صنوف الاحسان ، ويفضل بعضنا على بعض •• فكيف تكون رحمة ربى فى الدار الآخرة التى هى خير للذين يتقون ، والتى هى دار القرار ؟ والله جل ثناؤه يقول :

١ — « والذين هاجروا فى الله من بعد ما ظلموا لنبوئنهم فى الدنيا حسنة ، ولأجر الآخرة أكبر لو كانوا يعلمون »

٤١ — النحل

٢ — ولأجر الآخرة خير للذين آمنوا وكانوا يتقون » •

٥٧ يوسف

٣ — « انظر كيف فضلنا بعضهم على بعض وللآخرة أكبر درجات وأكبر تفضيلا » •

٢١ الاسراء

من أجل ذلك كتب الله على نفسه الرحمة وأرسل نبى الرحمة ، محمد بن عبد الله ، شاهدا ومبشرا ونذيرا . وجعل طاعة خاتم النبيين والصلاة والسلام عليه سببا فى تحصيل الرحمة التى هى سعادة الآخرة . وجعل ، سبحانه ، نصيب الاتقى منها أكبر ، قال تعالى :

« ورحمتى وسعت كل شيء ، فسأكتبها للذين يتقون .. » .

١٥٦ – الاعراف

فجعل سبحانه ، الرحمة بشرط التقوى والاحسان ، قال تعالى : **« ... ان رحمة الله قريب من المحسنين » .**

٥٦ – الاعراف

وهو الذى لايرد عذابه عن القاسية قلوبهم ، **قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « انما يرحم الله من عباده الرحماء » وقال الله تعالى : « ... فقل ربكم ذو رحمة واسعة ولا يرد بأسه عن القوم المجرمين » .**

١٤٧ – الانعام

والرحيم من صفات الرحمن ، ويجوز أن يفيض الله على عباده بنصيب من الرحمة فيكون رحيما باذن الله . وأكثر عباد الله نصيبا من هذه الرحمة هو سيدنا محمد بن عبد الله عليه الصلاة والسلام ، قال تعالى فى كتابه الكريم: **« لقد جاءكم رسول من أنفسكم عزيز عليه ماعنتم حريص عليكم بالمؤمنين رءوف رحيم »**

١٢٨ – التوبة

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : **« ان الله عز وجل خلق مائة رحمة ، فمنها رحمة يتراحم بها الخلق ، فبها تعطف الوحوش على أولادها – وأخر تسعة وتسعين الى يوم القيامة » .**

ورد هذا الحديث بهذا النص فى مسند ابن حنبل صفحة ٤٣٩ من الجزء الخامس كما ورد مع اختلاف فى النص فى صحيح مسلم وفى سنن ابن ماجه . وورد اللفظ مطولا فى تفسير الطبرى صفحة ٢٧٣ الجزء السابع : حدثنا محمد بن المثنى قال ، حدثنا داود ، عن أبى عثمان ، عن سلمان قال : **« ان الله تعالى ذكره ، لما خلق السموات والأرض ، خلق مائة رحمة ، كل رحمة ملء ما بين السماء الى الأرض . فعنده تسع وتسعون رحمة ، وقسم رحمة بين الخلائق فبها يتعاطفون ، وبها تشرب الوحش والطير الماء ، فاذا كان يوم القيامة ، قصرها الله على المتقين ، وزادهم تسعا وتسعين » .**

أما رحمة الله فهى رحمة واسعة ، ولا يمكن لمخلوق ان يحسبها أو ان يعقلها ولكن بفضل الله وواسع رحمته ، يمكن لقلب المؤمن أن يؤمن بها . وهذه الرحمة التى أودعها الله الرحماء من الخلق فى الدنيا يصح أن تقارن بالعلم الذى علمه الله تعالى عباده من الحكماء والعلماء أو أن توازى الرزق الذى رزقه الله عباده فى هذه الحياة الدنيا . وكل من عند الله : وببعض هذه الرحمة التى بين الخلائق ، تتتابع الطير فى جو السماء ، وتتتابع الحيتان فى البحر ، وتحن الأمهات على أبنائها ، والحب كل الحب الذى أوصى به سيدنا عيسى عليه الصلاة والسلام . وبمثل هذه الرحمة التى وهبها الله لعباده ، يؤلف الله تعالى بين قلوب من يشاء

و « .. لو أنفقت ما فى الأرض جميعا ما الفت بين قلوبهم ... » .

٦٣ الانفال

« ومن آياته أن خلق لكم من أنفسكم أزواجا لتسكنوا اليها وجعل بينكم مودة ورحمة ان فى ذلك لآيات لقوم يتفكرون » .

٢١ الروم

كل هذا قليل من الرحمة التى أفاض الرحمن بها على عباده الرحماء وهى كما ترى **لايمكن أن تعد ، أو أن تحصى .**

والرحمة التى وهبها الله عباده المتقين فى الآخرة ، خير وأبقى ، وهى مائة ضعف الرحمة السابقة .

وفى يوم القيامة ، ترى المؤمنين والمؤمنات ، فرحين بما آتاهم الله من فضله ويسرون سرورا عظيما ، ويحبرون من المودة والرحمة ، الأحباب منهم ، ويقصر الله هذه الرحمة على المتقين ، قال تعالى : « **الاخلاء يومئذ بعضهم لبعض عدو الا المتقين** »

٦٧ ـ الزخرف

وببضع هذه الرحمة يتبادل أصحاب النعيم العشق مع الأزواج المطهرة من « **الحور العين** » « **والحور** » : هن الجميلات ، شديدات سواد العيون فى شدة بياضها ـ « **العين** » : أى الحسان واسعات العيون ، « **كأمثال اللؤلؤ المكنون** » ، « **الكواعب** » : والكواعب جمع كاعب وهى الفتاة التى بدأ ثديها يستدير ، أو التى تكعب ثديها ، « **الاتراب** » : وهن الصواحب الأمثال الأكفاء . « **العرب** » بضم العين والراء ـ جمع عروب وهى صفة الزوجة المتحببة الى زوجها عشقا له ـ « **قاصرات الطرف** » **والقصر** : أى الحبس والطرف هنا معناه النظر . والمراد حابسات أعينهن على أزواجهن ، لاينظرن الى غيرهم لجمالهم فى نظرهن .

وبجزء من هذه الرحمة ينزع الله ما فى صدور المتقين من غل ، اذا ما حصل ما فى الصدور ، ويخرج ما فى قلوبهم من حقد للذين آمنوا ، ويألفون ويؤلفون ، ويصبحون اخوانا ، تجرى من تحتهم الأنهار ، على سرر متقابلين .

وبذلك تكاد تضئ حكمة أحكم الحاكمين ، جل ثناؤه الذى أوحى لعباده بهذا الدعاء . « ... **ربنا اغفر لنا ولاخواننا الذين سبقونا بالايمان ولا تجعل فى قلوبنا غلا للذين آمنوا ربنا انك رءوف رحيم** »

١٠ ـ الحشر

والله سميع الدعاء ، ثم يوفى المتقون نصيبهم من الرحمة يوم القيامة ، غير منقوص . وانا لنطمع ، أن يكون أجرنا من الرحمة فى الآخرة ، بغير حساب ، وخالصا لوجه الله الكريم .

ولما كان ما أوتينا من العلم هو « **كلمات** » ولا علم لنا برحمة الله ، الا أنها وسعت كل شىء ، والا أن تكون خزائن رحمة ربى مثل كلمات ربى ، و « **قل لو كان البحر مدادا لكلمات ربى لنفد البحر قبل أن تنفد كلمات ربى ولو جئنا بمثله مددا** » .

١٠٩ ـ الكهف

« **ولو أن ما فى الأرض من شجرة اقلام والبحر يمده من بعده سبعة أبحر ما نفدت كلمات الله ، ان الله عزيز حكيم** » .

٢٧ ـ لقمان

فانه ليس لأحد منا أن ينجيه عمله ... الا أن يتغمدنا الله برحمة منه وفضل ، ولا سبيل لنا الا ان نسأله تعالى ان يرحمنا . والله هو الغنى ذو الرحمة ، وهو خير الراحمين وهو أرحم الراحمين .

وهكذا نرى أن من عرف شيئا عن رحمه الله ، اشتاق الى الله ، ومن اشتاق الى الله رحمه الله .

الأمير الشاعر

فضيلة الشيخ محمود محمد شلكة

تحرك الركب يحدوه الأمل ، ويدفعه الشوق ، وجهته مكة ، وغايته زيارة بيت الله ولقاء محمد بن عبد الله صلوات الله وسلامه عليه صاحب الدين الجديد وفى العقبة التقى رسول الله بثلاثة وسبعين رجلا وامرأتين ، قد امتلأت نفوسهم ايمانا وحبا ، ورغبة صادقة فى نصرة دين الله وحماية رسوله ، بايع الرسول الأعظم هذه القلوب المؤمنة على أن يمنعوه مما يمنعون منه نساءهم وأبناءهم ثم طلب منهم أن يخرجوا من بينهم اثنى عشر نقيبا يكونون على قومهم بما فيهم كفلاء ، فاختار بنو الحارث بن الخزرج عبد الله ابن رواحة ، ومن هنا تظهر مكانة عبد الله ومنزلته بين قومه وأنه كان سيدا مطاعا فيهم محببا اليهم .

وكان يجيد الكتابة على الرغم من قلة من يكتبون فى ذلك الوقت ، وكان عبد الله مثال الأنصارى الذى يحب الله ورسوله ويتفانى فى طاعتهما ويرى فى ذلك سعادة لا تعدلها سعادة ، جاء يوما الى النبى وهو يخطب فسمعه يقول اجلسوا : فجلس مكانه خارج المسجد حتى فرغ من خطبته ، فبلغ ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : « زادك الله حرصا على طواعية الله ورسوله » .

وقال ابو الدرداء رضى الله عنه : ان كنا لنكون مع رسول الله فى السفر فى اليوم الحار وما فى القوم أحد صائم الا رسول الله وعبد الله بن رواحة وكان أبو الدرداء يقول :

أعوذ بالله من أن يأتى يوم لا أذكر فيه عبد الله بن رواحة كان اذا لقينى مقبلا ضرب بين ثديى واذا لقينى مدبرا ضرب بين كتفى ثم يقول : يا عويمر اجلس فلنؤمن ساعة فنجلس فنذكر الله ما شاء ثم يقول : يا عويمر هذه مجالس الايمان وقالت عنه زوجته : كان اذا أراد أن يخرج من بيته صلى ركعتين واذا دخل صلى ركعتين لا يدع ذلك أبدا ، وكان أول خارج للغزو وآخر قافل .

وعبد الله بن رواحة أحد شعراء ثلاثة دافعوا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وردوا عنه هجمات الكافرين والزموهم الحجة وانتصفوا له منهم وكان هجاء عبد الله قاسيا لاذعا فقد كان يعيرهم بالكفر وينسبهم اليه ، فلما أسلموا وفقهوا كان هجاؤه أشد عليهم من هجاء حسان بن ثابت وكعب بن مالك اذ انهما كانا يعارضان المشركين بمثل قولهم بالوقائع والمآثر .

ولما نزل قوله تعالى : (والشعراء يتبعهم الغاوون) خشى عبد الله أن يكون ممن تشملهم الآية فقال : أنا منهم ، فلما جاء الاستثناء فى قوله تعالى : (الا الذين آمنوا وعملوا الصالحات) هدأت نفسه واطمأن قلبه وعلم أنه على الحق وعندما دخل الرسول مكة فى عمرة القضاء أخذ عبد الله بزمام ناقته وهو يقول وأهل مكة ينظرون اليه :

خلوا بنى الكفار عن سبيله
خلوا فكل الخير مع رسوله

نحن ضربناكم على تأويله
كما ضربناكم على تنزيله

ضربا يزيل الهام عن مقيله
ويذهل الخليل عن خليله

فقال عمر : يابن رواحة فى حرم الله وبين يدى رسول الله تقول الشعر ؟ فقال النبى صلى الله عليه وسلم : خل يا عمر فوالذى نفسى بيده لكلامه أشد عليهم من وقع النبل .

ويقول عبد الله بن رواحة : مررت بمسجد رسول الله وهو فى نفر من أصحابه فصاح القوم ونادوا يا عبد

الله : فعرفت أن رسول الله دعانى فانطلقت اليهم مسرعا فسلمت فقال الرسول : ههنـــا ، فجلست بين يديه فقال : كأنه يتعجب من شعرى كيف تقول الشعر ؟ فقلت : أنظر فى ذلك ثم أقول ، قال : فعليك بالمشركين ولم أكن أعددت شيئا ، فانشدته فلما قلت :

فخبرونى أثمـــان العباء متى
كنتم بطـــاريق أو دانت لكم مضر

فكأنى عرفت فى وجه رسول الله كراهية ان جعلت قومه أثمان العباء فقلت :

نجالد النـاس عن عرض فنأسرهم
فينا النبى وفينا تنزل الســور

وقد علمتم بأنا ليس غالبنــــا
حى من الناس ان عزوا وان كثروا

يا هاشم الخير ان الله فضلكم
على البـرية فضـــلا ما له غير

انى تفرست فيـك الخير اعرفه
فراسة خالفتهم فى الـذى نظروا

ولو سألت أو استنصرت بعضهم
فى جل أمرك ما آووا وما نصروا

فثبت الله ما آتاك من حســـن
تثبيت موسى ونصرا كالذى نصروا

فاقبل مبتسما ثم قال : وإياك فثبت الله .

وأرسل رسول الله عبد الله بن رواحة عند منصرفه من عمرة القضاء خارصا على اهل خيبر فقـال لهـــم لما شكوا تقديره الثمار : يا معشر اليهود أنتم أبغض خلق الله الى قتلتم أنبياء الله عز وجل وكذبتم على الله ولن يحملنى بغضى اياكم على ان احيف عليكم قد خرصت لكم ألف وسق من تمر فان شئتم فلكم وان أبيتم فلى ، فقالوا : بهذا قامت الســموات والأرض قد أخذنا فاخرجوا عنــا .

أما جهاد عبد الله بنفسه فى سبيل الله فقد كان فيه مثال المؤمن الصادق الايمـان الذى وقف نفسه وحياته لاعلاء كلمـــة الله ورفعة دينه ، فقـد حضـر غزوة بدر والمشاهد كلها ما عدا فتح مكة وما بعـده ، وبعثه رسـول الله فى ثلاثين راكبا الى اسير بن رزام اليهـودى بخيبر فقتله ، وكان عبد الله احد الأمراء الثلاثة فى غزوة مؤتة التى كانت فى جمادى الأولى من السنة الثامنة للهجرة وقد أعد الرسول لهذه الغزوة ثلاثة آلاف من صفوة الرجال وأمر عليهم زيد بن حارثة ، وقـال ان أصيب فجعفر بن أبى طالب فان أصيب ـ فعبد الله بن رواحة ، ولما تهيأ الجيش للخــروج ودع المسلمون أمراء رسول الله ولما رأوا عبد الله بن رواحة يبكى سألوه عن سبب بكائه فقال أما والله ما بى حب الدنيا ولا صبابة اليها ولكن سمعت رسول الله يقرأ : (وان منكم الا واردها كان على ربك حتمـــا مقضيا) فلست أدرى كيف لى بالصـدر بعـد الورود فقال المسلمون : صحبكم الله ودفع عنكم وردكم الينا سالمين ، فقال ابن رواحة :

لكننى أسأل الرحمـن مغفــرة
وضربة ذات فرغ تقـذف الزبـدا

أو طعنة بيـدى حـران مجهـزة
بحربة تنفذ الأحشـاء والكبـدا

حتى يقولوا اذا مروا على جدثى
يا أرشد الله من غاز وقد رشدا

وكان زيد بن أرقم يتيما فى كفالة عبد الله فخرج معه الى (مؤتة) فسمعه فى الليل يقول :

اذا أدنيتنى وحملت رحـــلى
مسيرة أربع ـ بعـد الحســـاء

فشـأنك فانعمى وخـــلاك ذم
ولا أرجـــع الى أهلى ورائى

وجاء المؤمنــــون وخلفـونى
بأرض الشـام مشهور الثـواء

وردك كـل ذى نســـب قريب
الى الرحمن فتقطـــع الاخـــاء

هنالك لا أبــالى طلع بعـــل
ولا نخـل أســــافلها رواء

فلما سمعه زيد بكى فخفقه بالدرة وقال : ما عليك يالكع أن يرزقنى الله الشهادة ، وترجع بين شعبتى الرحـل .

وسار القوم حتى بلغوا (معان) من أرض الشام ، وكانت مفاجأة اذ رأوا (هرقل) قد تقـدم حتى نـزل بمآب من أرض البلقاء على رأس مائة ألف من الروم ومعه مثلهم من المستعربين

أقام المسلمون بمعان ليلتين يفكرون ماذا يصنعون فى هذا العدد الذى لا قبل لهم به فقال بعضـهم : نكتب الى رسول الله فنخبره فاما ان يمدنا بالرجـال واما ان يامرنا بأمره فنمضى له ، فما كان من عبد اللـه ابن رواحة الا ان انبرى لهم قائلا . يا قوم والله ان التى تكرهون للتى خرجتم تطلبون . الشهادة وما نقاتل الناس بعدد ولا قوة ولا كثرة ما نقاتلهم الا بهذا الدين الذى أكرمنا الله به فانطلقوا فانما هى احدى الحسـنيين : أما ظهور واما شهادة فقال الناس . قد صـــدق والله ابن رواحة وتقدم الجيش حتى وصل الى قرية يقـال لها : مشارف فلما دنا العدو انحاز المسلمون الى مؤتة حيث بدأت المعركة واستحر القتال وحمل زيد بن حارثة راية المسلمين وقاتل حتى قتل فتناول الراية جعفر بن أبى طالب فقاتل حتى قتل فتناول الراية عبد الله بن رواحة وتقدم بها على فرسه فجعل يستنزل نفســـه ويتردد بعض التردد ثم قال .

أقسمت يا نفسى لتنزلنـــــه
طائعـة أو لتكرهنـــــــه

فطالما قد كنت مطمئنـــــة
مالى أراك تكرهين الجنـــــة

ثم أخذ سيفه وما زال يقاتل بشجاعة واخلاص حتى سقط شهيدا مثلما حدث لصاحبيه من قبل .

ولقد تحدث الرسول صلوات الله عليه عن الأمراء الثلاثة فقال : لقد رفعوا الى فى الجنة فيما يرى النائم على سرر من ذهب فرأيت فى سرير عبد الله بن رواحة أزورارا عن سريرى صاحبيه فسأل . لم هذا فقيـــل له : مضيا وتردد عبد الله بعض التردد ثم مضى .

رحم الله ابن رواحة فلقد كان الاستشهاد فى سبيل الله أمنية يطلبها وغاية يسعى اليها وصدق الله العظيم حيث يقول : (ولا تحسبن الذين قتلوا فى سبيل الله أمواتا بل احياء عند ربهم يرزقون فرحين بما آتاهم الله من فضله ويستبشرون بالذين لم يلحقوا بهم من خلفهم ألا خوف عليهم ولا هم يحزنون) .

العروبة في نظر الإمام الشافعي

الأستاذ محمد الدسوقي

١ - للامام الشافعى آراء هامة قيمة فى العرب والعروبة ، أشاد فيها بالعرب واللغة العربية اشادة كريمة طيبة ، وهذه الآراء الجديرة بكل تقدير واهتمام لم تصدر عن نزعة عنصرية أو عصبية جنسية ، وانما قال بها الامام الشافعى ايمانا بعالمية الاسلام ، وانه آخر الأديان السماوية ، وان المسلمين خير أمة أخرجت للناس ، وأن اللغة العربية أفضل من غيرها من اللغات ، وأن على كل مسلم غير عربى أن يتعلم العربية ما استطاع الى ذلك سبيلا ، وأن المسلمين العرب يجب أن يكونوا قدوة لغيرهم ، وقادة لسواهم .

٢ - والامام الشافعى يقرر أولا ان العروبة تكتسب باللسان فحسب ، وان المرء باللغة وحدها يصير عربيا فهو يقول : وانما صار غيرهم - أى غير العرب - من غير أهله - أى اللسان العربى - بتركه فاذا صار اليه ، صار من أهله . فاللغة اذن هى رابطة النسب بين العرب ، والآصرة التى تجمع بينهم ، وتجعل الانسان منهم ، وان لم يكن من قريش أو غيرها من قبائل العرب المشهورة ، فمن أهل العربية من العرب أو انتقل الى لغة سواها ، ضاع نسبه بين العرب وان مت بصلة القربى الى عدنان أو قحطان .

٣ - ثم يقرر الشافعى ان اللغة العربية التى جعلها محور النسب بين العرب ، اكمل اللغات الفاظا ، وأوسعها مذهبا ، وأعذبها منطقا وأبينها دلالة ، وهى فضلا عن كل ذلك لغة الكتاب الكريم الذى ختم الله به الكتب ، وأنزله على خاتم الانبياء والمرسلين ليكون للناس جميعا - حتى يرث الله الارض ومن عليها - دستور هداية للتى هى أقوم ، فلا تزيغ عن طريق الحق، ولا تسعى بالفساد فى الارض ، فهو يقول : ولسان العرب أوسع الالسنة مذهبا وأكثرها ألفاظا » .

ويقول أيضا : وأولى الفضل فى اللسان من لسانه لسان النبى ، ولا يجوز - والله أعلم - أن يكون أهل لسانه أتباعا لأهل لسان غير لسانه فى حرف واحد ، بل كل لسان تبع للسانه ، وكل أهل دين قبلة فعليهم اتباع دينه .

والشافعى هنا يذهب الى أن العرب أحق الناس بالفضل لأن لغتهم لغة النبى الذى بعث رحمة للعالمين ، فلا يجوز أن يكونوا أتباعا للسان غير لسان رسولهم ، وهذا يعنى أن العرب - أهل هذه اللغة - أفضل الشعوب ، وأن هذه الأفضلية جاءت بسبب هذا الدين ، الذى كلفوا بحمل أمانته وتبليغ دعوته ونشر مبادئه ، وعليهم اذن أن يكونوا أهلا لهذه الرسالة الضخمة ، وتلك المهمة السامية ، عليهم ان يكونوا مثلا فاضلة وهداة الى حياة كريمة انسانية عادلة حياة قوامها الاخاء والمساواة،

والتكافل في السراء والضراء ، والأخذ على أيدي المفسدين والمنحرفين ، ليعيش الجميع حياة طيبة مطمئنة يرف عليها السلام والأمن والرخاء .

ومن أجل ذلك يرى الامام الشافعي أن على كل من ليس عربيا من المسلمين أن يتعلم اللغة العربية ما بلغه جهده وعبارته فى ذلك .

فعلى كل مسلم أن يتعلم من لسان العرب ما بلغه جهده ، حتى يشهد به أن لا اله الا الله ، وأن محمدا عبده ورسوله ، ويتلو به كتاب الله وينطق بالذكر فيما افترض عليه من التكبير ، وأمر به من التسبيح والتشهد وغير ذلك .

وما ازداد من العلم باللسان الذى جعله الله لسان من ختم به نبوته ، وأنزل به آخر كتبه – كان خيرا له، كما عليه يتعلم الصلاة والذكر فيها ، ويأتى البيت وما أمر باتيانه ، ويتوجه لما وجه له ، ويكون تبعا فيما افترض عليه وندب اليه ، متبوعا .

ويتضح من هذا مدى حرص الامام الشافعى على أن تكون اللغة العربية لغة جميع المسلمين ، لانها لغة كتابهم ، ولسان رسولهم ، ولذا يطلب من كل مسلم غير عربى أن يتعلم هذه اللغة وأن يتخذها أداة للعبادة ووسيلة للتخاطب ، وأن يبذل أقصى جهده وطاقته فى ذلك ، فكلما ازداد معرفة باللغة العربية كان خيرا له

٥ – واذا كان الشافعى قد قرر فضل العرب على غيرهم ، وبين أن لسانهم مقدم على كل لسان ، فهو لم يكن مدفوعا فى ذلك – كماسبق أن أشرت – باعتبارات جنسية ، أو عنصرية ، فهو بعيد كل البعد عن التعصب الجنسى أو العنصرى ، لانه يؤمن بأن منزلة الناس عند الله انما تقاس بالطاعة والعمل الصالح ، وأنه لا فضل لعربى على أعجمى الا بالتقوى ، وان الناس سواسية كأسنان المشط يتفاضلون بما يقدمون من خير وبر ومعروف ، ولكن الامام الشافعى كان مدفوعا باعتبارات دينية خالصة أساسها أن لغة القرآن الكريم يجب أن تسود بين المسلمين ، ويجب الا تنتصر عليها لغة أخرى لتكون هذه الأمة التى جعلها الله خير أمة أخرجت للناس والتى جعلها أمة وسطا ، تكون أمة واحدة ، دينها واحد ، وقبلتها واحدة ، ولغتها واحدة ، ومقومات شخصيتها واحدة .

وليس أدل على نفى التعصب العنصرى عن الامام الشافعى من ذهابه الى أن الكفاءة فى الزواج انما تكون بالدين لا بالحسب ، فهو يجعل الدين المعيار الوحيد الذى تقوم عليه الكفاءة بين الزوجين دون نظر الى حسب أو نسب ، أو أصل عربى أو غير عربى ، ولو كان الشافعى يجنح الى نزعة تعصبية لبدت فى آرائه الفقهية، لكنه امام يفقه دينه فقها سليما ، ولم يعرف عنه – مع حبه للعرب ولغتهم – ميل عن الحق ، أو انحراف مع الهوى .

٦ – وبعد فان تلك الاراء التى قررها الشافعى الامام المجدد ، والفقيه المحدث ، حرية بالنظر والاهتمام ، وبخاصة فى هذه الايام . ان الاسلام الذى ظهر فى جزيرة العرب ثم انتشر خارجها ، هو الذى حول الفينيقيين والبربرين والفراعنة الى عرب ، وهو الذى بدل لغتهم وغير عاداتهم ، وجعلهم أمة واحدة ، هذا الاسلام يجب أن يظل روح القومية العربية ، فبدونه تفقد هذه القومية أساسها الركين ودعامتها التى لاتعدلها دعامة أخرى وعلى العرب جميعا من الخليج الى المحيط أن يعلموا أن دينهم ، دين وحدة وان لغتهم تفرض عليهم أن يكونوا أمة واحدة ، حتى يستطيعوا أن يقوموا بأداء الرسالة المقدسة التى نيطت بهم نحو أنفسهم ونحو البشرية جمعاء ، فالحضارة الحديثة أمست خطرا مروعا يهدد الوجود البشرى بالدمار الشامل ، لأنها تعيش برئة واحدة أو على شطر واحد من شطرى الحضارة السلمية، انها تعيش على المادة ولا تعير الروح التفاتا ، لذلك فهى تحفر قبرها بيديها اذا لم تتداركها عناية الله

فالعرب عليهم أن يقدموا للبشرية العلاج مما تعانيه من أوصاب وأوجاع ، لان لديهم هداية السماء وقيم الحضارة الانسانية الفاضلة ، وكما حمى العرب قديما الحضارة من الضياع ، عليهم اليوم أن ينقذوها من الدمار والفناء ، وهم لن يستطيعوا ذلك الا اذا حققوا فى أنفسهم وفيما بينهم تعاليم دينهم ، فنبذوا الشقاق ، واعتصموا بحبل الله ، وكانوا مثلا تقتدى فى مجالات التعاون والتناصر على الخير والسلام

هذا من جهة ، ومن جهة أخرى نلمح فى آراء الشافعى دعوته الى حماية اللغة العربية ونشرها ، وكذلك نشر الاسلام وتبليغ رسالته الى كل مكان ، واذن لا يكفى أن نقدم للمسلمين غير العرب تعاليم الاسلام بلغاتهم ، ولكن بالاضافة الى هذا يجب أن نحرص على نشر اللغة العربية بين غير العرب من المسلمين لتزداد الروابط قوة وتكون السيادة للغة القرآن فى الوطن الاسلامى .

ان العروبة لدى الامام الشافعى لا تنفصل عن الاسلام والعرب لم يكن لهم فضل الا بهذا الدين ، فهم بناته وحماته ، ويجب أن يظلوا كذلك دائما ، وعلى الامم الاسلامية التى لا تتكلم العربية أن تعمل على التمكين للغة القرآن الكريم بين أبنائها ، لتكون هذه اللغة فى القريب ان شاء الله لغة التخاطب بين المسلمين جميعا .

لقد قضى الاسلام على القوميات الاقليمية ، ودعا الى وحدة لا تنفصم عراها بين أتباعه فى كل مكان ، وجعل العربية عنصرا أساسيا من عناصر هذه الوحدة ، فليحرص المسلمون على هذه اللغة فهى بعض دينهم ولغة كتابهم ولسان رسولهم وصدق الله العظيم « نزل به الروح الامين على قلبك لتكون من المنذرين بلسان عربى مبين »

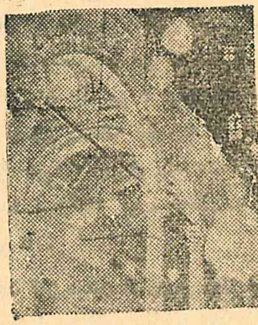

سر عظمة الإسلام

الأستاذ منصور نسيم

كانت حرارة العقيدة الاسلامية السليمة ، وقوة اليقين المكين ، والقدوة الصالحة الطيبة ، من رجال العرب الذين اعتنقوا الاسلام عن فهم ووعى وصحبوا الرسول صلى الله عليه وسلم ، واهتدوا بهديه ، واقتبسوا من نوره مثلا عليا نادرة فريدة فى تاريخ البشرية ، حتى صار كل واحد منهم يعدل أمة كاملة فى رجولته وانسانيته ورجاحة عقله ، ونفاذ بصيرته) وتمام فتوته وكيف لا يكون ذلك ، وقد وكل اليهم بعد وفاة نبيهم الكريم أن يحملوا رسالته الى العالمين ، فحملوها عن ثقة وانجاز الى مشارق الأرض ومغاربها ، وفتحوا البلدان بأخلاقهم وهديهم قبل ان يفتحوها بسيوفهم وغلبهم ، وكانوا فى حياتهم حكاما عادلين ، وقضاة منصفين ، وقادة محنكين ، وساسة دهاة قادرين ، وسفراء معتزين موفقين ، مع انهم ظلوا فى جزيرتهم قبل الفتح المبين لم يبرحوها ، ولم يقتبسوا من غيرهم نظمه ومدنيته ، ولم يعرفوا شيئا عن الأمارة والسفارة والقيادة ، ولكنه هدى الفطرة وتعاليم الاسلام الكريمة ، مكنت من هذه الأفئدة المؤمنة ، ففاضت على البشرية نورا وعدالة وسماحة ، وانقذوا العالم من البغى والضلال .

لقد كان صحابة رسول الله صلوات الله وسلامه عليه هم القوة الدافقة التى تمد المسلمين بالطاقات الجبارة والبصيرة النافذة ، وليس أدل على ذلك مما فعله خالد بن الوليد حين أمره أبو بكر رضى الله عنهما بالتوجه من العراق الى الشام لمعاونة جيوش المسلمين فى حربهم ضد الروم ، وحيث أراد الاستئثار بصحابة رسول الله وأخذهم معه ، ولكن المثنى ابن حارثة الذى خلف على جيوش المسلمين فى العراق غضب لهذا الاستئثار بصحابة الرسول وقال له : « والله لا أقيم الا على انفاذ أمر أبى بكر كله ، فى استصحاب نصف الصحابة ، أو بعض النصف ، ووالله ما أرجو من النصر الا بهم فكيف تعرينى منهم ؟ » والسر فى هذا أن الصحابة آمنوا عن عقيدة واخلاص ، وامتلأت قلوبهم بمحبة دينهم وهدى نبيهم ، فهم أحرى الناس بالاستبسال فى القتال وطلب الشهادة ، لأن حرارة الايمان تدفعهم ، وصحبة النبى وسيرته ترشدهم ، وليس كذلك سواهم ممن دخلوا فى الاسلام بعد الفتح ، أو ارتدوا ثم اسلموا .

وصحابة الرسول شهدوا معه غزواته فى سبيل الدفاع عن الدين ، وثبت بلاؤهم ، وتأييدهم لدينهم ، وعظمت تجربتهم ، وسمت أخلاقهم بصحبتهم للرسول الكريم ، فهم فى كل جيش القبس الذى يهديه ، والحجة التى يلجئون اليها ، والقدوة التى يحتذونها ..

ولقد أدب الله سبحانه وتعالى نبيه فأحسن تاديبه أدبنى ربى فأحسن تاديبى وأدب النبى عليه السلام صحابته فأحسن تأديبهم ، ولذا قال عليه السلام : « أصحابى كالنجوم فبأيهم اقتديتم اهتديتم » فكانوا أجزل الرجال وأتمهم عقلا ورجولة وبطولة ، ونماذج فذة

فى الأخلاق الكريمة بهرت الفرس فى عزة ملكهم ، وزلزلت عروشهم فدانت لهم ديارهم ، وفتنت المسيحيين فى ارض الروم عن دينهم فدخلوا فى دين الله افواجا ، وفى ذلك يقول السير توماس ارنولد : « واذا نظرنا الى التسامح الذى أمتد على هذا النحو الى رعايا المسلمين من المسيحيين فى صدر الحكم الاسلامى ، ظهر أن الفكرة التى شاعت بأن السيف كان العامل فى تحويل الناس الى الاسلام بعيدة التصديق » وهذا التسامح هو من أثر التعاليم الاسلامية التى وردت فى القرآن الكريم ، ومن أثر معاملة النبى صلى الله عليه وسلم لأعدائه وقدوته للصحابة ، ولقد أوصى بأهل الذمة خيرا ، وروى عنه عليه السلام قوله : « من ظلم معاهدا ، وكلفه فوق طاقته فانا حجيجه الى يوم الدين » .

لقد كان ديدن المسلمين منذ خرجوا للجهاد فى سبيل الله العمل بتعاليم القرآن الكريم ، وسنة نبيه العظيم ، رائدهم هداية البشر ، والنظر اليهم نظرتهم الى المريض العليل المحتاج الى الدواء ، أو الاسير المعنى الذى اضر به القيد ، واذل نفسه الغل فهو فى أمس الحاجة للحرية والمواساة ، هاك أبا بكر رضى الله عنه يخاطب أول بعث وجهه للغزو بعد وفاة رسول الله ، ويعطى له التعاليم التى ما حاد عنها المسلمون قط ، والتى كانت رحمة وبركة على العالم أجمع : « يايها الذين آمنوا قفوا أوصيكم بعشر ، فاحفظوها عنى ، لا تخونوا ، ولا تغلوا ، ولا تغدروا ، ولا تمثلوا ولا تقتلوا طفلا صغيرا ولا شيخا كبيرا ، ولا امرأة ، ولا تعقروا نخلا ولا تحرقوه ولا تقطعوا شجرة مثمرة ، ولا تذبحوا شاة ، ولا بقرة ، ولا بعيرا الا للأكله ، وسوف تمرون باقوام قد فرغوا انفسهم فى الصوامع فدعوهم ، وما فرغوا أنفسهم له ، وسوف تقدمون على قوم يأتونكم بآنية فيها ألوان من الطعام فاذا أكلتم منها شيئا فاذكروا اسم الله عليها » .

تميز المسلمون بالتسامح مع أهل الديانات الأخرى ، وفرضوا عليهم الجزية فى نظير حمايتهم اذا أبوا الدخول فى الاسلام ، فهى ليست عقابا لامتناعهم عن قبول الاسلام ، وانما اجرا لحمايتهم لأنهم ممنوعون من الانخراط فى سلك الجيش الاسلامى ما داموا لم يسلموا ، ولا أدل على ذلك من تلك الحادثة التى وقعت فى حكم عمر بن الخطاب ، ذلك حين حشد هرقل جيشا ضخما يصد قوات المسلمين المختلفة ، فكان لزاما على المسلمين حينئذ أن يركزوا كل نشاطهم وقوتهم فى المعركة التى احدقت بهم ، ولما علم أبو عبيدة قائد المسلمين بذلك كتب الى عمال المدن المفتوحة بالشام يأمرهم بان يردوا عليهم ماجبى من الجزية من هذه المدن ، وكتب الى الناس يقول : « انما رددنا عليكم أموالكم لانه بلغنا ما جمع لنا من جموع ، وانكم قد اشترطتم علينا أن نمنعكم وانا لا نقدر على ذلك ، وقد رددنا عليكم ما أخذنا منكم ، ونحن لكم على الشرط ، وما كتبنا بيننا وبينكم ان نصرنا الله عليهم » وبذلك ردت مبالغ طائلة من مال الدولة ، فدعا المسيحيون بالبركة لرؤساء المسلمين ، وقالوا : ردكم الله علينا ، ونصركم عليهم (أى على الروم) فلو كانوا هم لم يردوا علينا شيئا وأخذوا كل شىء بقى لنا » .

بمثل هذا الخلق الكريم ، والسماحة الحلوة ، والدين الرحيم انتصر المسلمون ، وغزوا القلوب قبل أن يغزوا البلاد ، وشتان بين فظائع المسيحيين وحسنات المسلمين ، حتى لقد آثر المسيحيون من أهالى الشام وفلسطين حكم المسلمين على حكم الصليبيين بعد أن أجلوهم عنها ، ولما فتحت بيت المقدس رحب أهلها المسيحيون بالسادة الجدد ، وأطمأنوا اليهم ورضوا بحكمهم لأنهم ذاقوا من فظاظة الصليبيين الأوربيين وعسفهم ما لايطاق

لم يلجأ المسلمون يوما الى اضطهاد المسيحيين ، واكراههم على الاسلام ، ثقة منهم بأن الاسلام دين العقل ، وأن كل من وهبه الله شيئا من العقل سيهتدى للدين من غير قهر أو ارهاب ، وسيكون اسلامه صحيحا خالصا لا نفاق فيه ، فيفيد الأمة ، ولا يكون دسيسة عليها ، وقد حار كثير من الباحثين الغربيين فى سر عظمة الاسلام فمنهم من رأى أن (الاسلام فى جوهره دين عقلى بأوسع معانى هذه الكلمة من الوجهتين الاشتقاقية والتاريخية ، فان تعريف الأسلوب بانه طريقة تقيم العقائد الدينية على أسس المبادىء المستمدة من العقل والمنطق ينطبق على الاسلام تمام الانطباق .. قد جهر القرآن الكريم دائما بمبدأ الوحدانية فى عظمة وجلال وصفاء لا يعتريه التحول ، ومن العسير أن نجد فى غير الاسلام ما يفوق تلك المزايا ، ثم هى تبعا لذلك فى متناول ادراك الشخص العادى ، ويرى بعضهم أن سر القوة الخارقة للعادة التى أظهرها الاسلام فى أزهر عصوره حين الفتح كامن فى ادراك هذا الدين وجود الله ، وليس قولنا ان الله واحد بأعظم من قولنا انه موجود بمعنى ان وجوده هو حقيقة الكون المطلقة ، وان ارادته هى العليا ، وأن قوته لا تحد ، وهذا هو الذى أمد جحافل المسلمين بوسائل الفتح التى لا تقهر ، تلك الوسائل التى بعثت فيهم روحا من الانقياد الحربى ، والنظام العسكرى ، كما بعثت فيهم ازدراء الموت ، على صورة لم تعرف قط من قبل فى أى نظام سابق وهذا هو الذى يعطينا فى كلمة ، حسب ما نجده متمثلا فى أى روح صادقة فعالة بين المسلمين - ذلك العمود الفقرى لأخلاقهم أعنى ذلك الثبات فى العزيمة ، والقوة فى الارادة ، وذلك الصبر الذى لا يعرف سبيلا الى الشكوى ، والاستسلام لأشد المصائب وأصعبها ، كل ذلك قد ميز خير انصار هذه العقيدة وحملهم .

السياسة الشرعية فى إصلاح الراعى والرعيّة

للفقيه تقى الدين بن تيمية

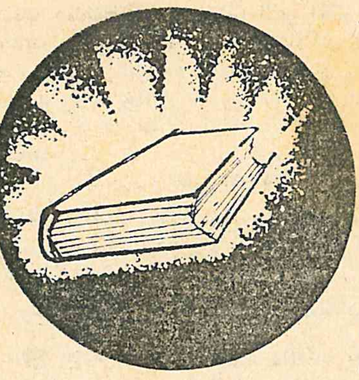

عرض وتلخيص

الأستاذ صلاح عزام

فى الوقت الذى شاع فيه الانحلال والفساد فى الامة الاسلامية على اثر الحروب الصليبية كانت الاواصر بين الدول العربية قد تفككت وظهرت عوامل التميع فى الدولة الاسلامية ممثلة فى تيارات مختلفة من الخارج والداخل على السواء .

وكانت المهمة الاولى لدعاة التفرقة بين جماهير المسلمين هو التشكيك فى القواعد التى تربطهم بالاسلام ودس بعض النظم وكثير من الاحكام

فى هذا الوقت ظهر أروع الكتب التى تبين ماللحاكم وما للشعب وما بينهما من علاقات وفواصل للفقيه ابن تيمية تحت عنوان السياسة الشرعية فى اصلاح الراعى والرعية وقسم الكتاب الى قسمين كبيرين . القسم الأول أداء الأمانات فى الولاية والأموال والقسم الثانى فى الحدود والحقوق .. حدود الله .. وحدود الشعب وحقوقه

وقد صدر ابن تيمية كتابه قائلا .

هذه رسالة مبنية على آية الأداء فى كتاب الله وهى قوله تعالى « ان الله يأمركم أن تؤدوا الأمانات الى أهلها واذا حكمتم بين الناس أن تحكموا بالعدل ان الله نعما يعظكم به أن الله كان سميعا بصيرا »« يا ايها الذين امنوا اطيعوا اللهواطيعوا الرسول واولى الأمر منكم فان تنازعتم فى شىء فردوه الى الله والرسول ان كنتم تؤمنون بالله واليوم الاخر ذلك خير واحسن تأويلا »

وبدأ الفقيه يشرح كيفية أداء الأمانات بالنسبة لشقها الأول وهى الولايات .

اختيار الأصلح

وأول شىء مفروض أن تنتهى مهمة الشعب التنظيمية لأدوات الحكم عند اختيار الوالى أو الخليفة أو الحاكم وهذا الرئيس هو الذى عليه تكييف النظام الادارى لتحقيق أمانى الناس بما فى ذلك الاستعانة بالولاة والنبى العظيم عندما فتح مكة حدد لصحابته الشروط الواجب توافرها فى كل من يولى امرا و ..) من ولى من أمر المسلمين شيئا فولى رجلا وهو يجد من هو اصلح منه فقد خان الله ورسوله) .

وخيانة الله ورسوله لا تكون عند وجود الأصلح والعدول عنه الى غيره فحسب بل اذا كانت التولية لمودة أو قرابة بينهما .. والخيانة عندئذ لا تكون مقصورة على الله ورسوله بل والمسلمين الذين وثقوا فى هذا الوالى وائتمنوه فخانهم ويجب أن ينظر الى الولاية على انها أمانة وانها يوم القيامة خزى وندامة الا من أخذها بحقها وأدى الذى عليه فيها .

اختيار الأفضل فالأمثل

واذا عرف الحاكم هذا فليس عليه أن يستعمل الا أصلح الموجود وقد لا يكون فى الموجودين من هو صالح لتلك الولاية فيختار الأمثل فالأمثل فى كل منصب يحسنه ولكل منصب داخل الدولة أناس يصلحون له ولا ينفعون فى غيره ولكن يجب أن يكونوا أقوياء فيه ومعيار القوة ذاتها يختلف باختلاف المنصب (فالقوة فى امارة الحرب ترجع الى شجاعة القلب والى الخبرة بالحروب) .

بينما القوة فى الحكم بين الناس ترجع الى العلم بالعدل الذى دل عليه الكتاب والسنة والى القدرة على تنفيذ الأحكام)

قلة اجتماع الأمانة والقوة

ثم يبحث ابن تيمية فيما اذا توافرت الأمانة والقوة فى شخص ولكن احداهما أقوى من الأخرى فأيهما يولى . القوى الأمين . أم الأمين القوى ؟

هنا فرق ابن تيمية بين الظروف التى يحتاج فيها وقوع الولاية التى يراد تولية الشخص عليها والحل هنا .

(الواجب فى كل ولاية ولاية الأصلح بحسبها فاذا تعين رجلان أحدهما أعظم أمانة والآخر أعظم قوة قدمنا أنفعهما لتلك الولاية وأقلهما ضررا فيها) .

وقد يصلح هذا بالنسبة للولاية الحكيمة القيادية أما القضاء فان القوة لا مجال لها وانما المجال للكفاية والعلم .

ويقدم فى ولاية القضاء الأعلم الأروع الأكفأ فان كان أحدهما أعلم والآخر أروع قدم فيما قد يظهر حكمه ويخاف فيه الهوى) .

معرفة الأصلح

ومعرفة الأصلح (انما يتم بمعرفة مقصود الولاية ومعرفة طريق المقصود فاذا عرفت المقاصد والوسائل تم الامر) والمعيار هنا فى الشخص هو حفظه لدينه وأوامر الله فى حياته فان من لا يخشى الله لا يخاف الناس ومن لا يعرف أن هناك حسابا سيفجر ويظلم حتما وبالتالى ستكون هناك بالضرورة معارك بين قوى

الشعب والطغاة حتى يستتب الأمر لحكم الله (وأنزلنا الحديد فيه بأس شديد ومنافع للناس وليعلم الله من ينصره ورسله بالغيب) ومن عدل عن كتاب الله قوم بالحديد) وانه جاء ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد أمرنا أن نضرب بهذا - السيف من عدل عن المصحف .

ثانى الامانات

وثانى الامانات الاموال كما يقول الله تعالى (فان امن بعضكم بعضا فليؤد الذى اؤتمن امانته وليتق الله ربه) .

وجعل ابن تيمية هذا القسم أربعة أقسام .

فالأموال هما المنقول والعقار بكافة أنواعهما من أموال مشاركة ومضاربة وديون وصدقات وأجور منافع ولا يعتبر بالأموال أى الأمانات ما قبض بغير حق وأداء مثل (النصب والسرقة والخيانة ونحو ذلك من المظالم) .

وهذه الأمانات على الأموال ليس المقصود منها الافراد دون الولاة بل (على كل منهما ان يؤدى للاخر ما يجب اداؤه اليه فعلى ذى السلطان ونوابه فى العطاء أن يؤتوا كل ذى حق حقه وعلى جباة الأموال أن يؤدوا الى ذى السلطان ما يجب ايتاؤه اليه وكذلك على الرعية الذين يجب عليهم الحقوق) .

(وليس لولاة الحقوق ان يقسموها بحسب اهوائهم كما يقسم المالك ملكه فانما هم امناء ونواب ووكلاء ليسوا ملاكا .. كما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ... انى والله لا اعطى ولا امنع احدا وانما قاسم حيث امرت » .

والاموال التى للدولة والتى سماها ابن تيمية الاموال السلطانية (التى اصلها فى الكتاب والسنة ثلاثة اصناف .. الغنيمة والصدقة والفيىء) .

والغنيمة هى المال المأخوذ من الكفار بالقتال ذكرها الله فى سورة الانفال وذلك لانها زيادة فى اموال المسلمين .. والواجب فى المغنم تخميسه وصرف الخمس الى من ذكرهم الله تعالى وقسمة الباقى بين الغانمين).

والذى له سلطة التوزيع على المشتركين فى القتال هو الوالى كما انه له نفس السلطة فيما تعلق بتوزيع الخمس .

ولكن هل كل أموال الأعداء غنيمة ؟ مهما كانت وسيلة الحصول عليها ؟

اجاب عن ذلك ابن تيمية فى الاموال التى يحصل عليها عن طريق الخيانة أو النهب فهما غير جائزين بل لمن يفعل ذلك حدا يوقع عليه . وأيضا (اذا كان المغنوم مالا قد كان للمسلمين قبل ذلك من عقار ومنقول وعرف صاحبه قبل القسمة فانه يرد اليه باجماع المسلمين .

اما الصدقات (فهى الاموال التى يدفعها بيت المال او الناس المسئولون وهى ثمانية اجزاء الفقراء والمساكين ، والعاملين عليها ، والمؤلفة قلوبهم ، وفى الرقاب ، والغارمين ، وفى سبيل الله ، وابن السبيل) .

والفىء هو كل ما أخذ من الأعداء بدون قتال ومنه يجتمع ويتكون (جمع الاموال السلطانية التى لبيت المسلمين) وأيضا (للاموال التى ليس لها مالك معين مثل من مات من المسلمين وليس له وارث معين وكالمغصوب والجوارى والودائع التى تعذر معرفة أصحابها .

وبعد ذلك فقد يؤدى كل انسان ما أؤتمن عليه ويوفى بالتزامه فتسير الأمور فى وضعها الطبيعى الا انه كثيرا ما يقع الظلم من الولاة والرعية هؤلاء يأخذون مالا يحل وهؤلاء يمنعون ما يجب والاصل فى ذلك ان كل من عليه مالا يجب اداؤه سواء كان حاكما او محكوما فالمواطنون كل تبعا لظروفه والشرع يوجب التعذير

فنظرة الى ميسرة ان كان معسرا .

اما ان كان غنيا فيعاقب الغنى المماطل بالحبس فان أصر عوقب بالضرب حتى يؤدى الواجب .

وأما الولاة مهما كانت المناصب التى يشغلونها فكل ما أخذوه من الاموال بغير حق فولى الامر العادل استخراجه منهم كالهدايا التى يأخذونها بسبب العمل .. وليس معنى هذا أن ما يؤخذ بغير حق يجب أن يكون مالا نقدا .. بل اعتبر من الهدايا (محاباة الولاة فى المعاملة من المبايعة والمؤاجرة والمضاربة والمساقاة والمزارعة والهدية لكل وال واى وال انما هى ربا يمتنع على المواطنين تقديمها الى الولاة لأنهم يؤجرون على وظائفهم .

ان من قبل الهدية منهم ((فقد أتى بابا)) عظيما من أبواب الربا)) كما يقول النبى صلى الله عليه وسلم .

بعد ذلك يأتى القسم الرابع وهو وجوه صرف هذه الأموال جميعها كيف يكون (فالواجب أن يبتدأ فى القسمة بالاهم فالمهم من مصالح المسلمين العامة كعطاء من يحصل للمسلمين منفعة عامة ((كالمقاتلة)) وعمر بن الخطاب رضى الله عنه قال ((ليس أحد أحق بهذا المال من أحد وانما هو الرجل ومسابقته والرجل وغناؤه والرجل وبلاؤه والرجل وحاجته)) فجعلهم عمر بن الخطاب أربعة أقسام .

الأول ذو السوابق الذين بسابقتهم حصل المال .
والثانى من يغنى عن المسلمين فى جميع المنافع لهم كولاة الامور والعلماء الذين يجلبون لهم صنائع الدين والدنيا .

والثالث من يبلى بلاء حسنا فى دفع الضرر عنهم كالمجاهدين فى سبيل الله من الاخبار والعيون من القصاة والناصحين وغيرهم

والرابع .. ذوى الحاجات ..

الحدود والحقوق

ويتكلم بعد ذلك ابن تيمية عن الحدود والحقوق التى لله وللناس .

فأما حدود الله وحقوقه كان يحكم الولاة بين الناس بالعدل بلا زيادة فى العقوبة التى نص عليها الشرع والتى وضع لها ميزانا عادلا فى أمور معينة كحدود السرقة والزنى كما انه لا يجوز ان يؤخذ مال فى نظير تعطيل هذه الحدود (كأن يؤخذ من الزانى أو السارق أو الشارب أو قاطع الطريق ونحوهم مال تعطل به الحدود لا لبيت المال ولا بغيره . وهذا المال المأخوذ لتعطيل الحد سحت خبيث واذا فعل ولى الامر ذلك فقد جمع فسادين عظيمين احدهما تعطيل الحد والثانى اكل السحت) .

واوضح ابن تيمية بالذات عقوبة القتلة الذين سماهم (المحاربين) وقطاع الطرق لأن انتشار الفساد فى الدولة الاسلامية آنذاك ودخول عنجهيات فيها كالتتر والترك جعلهم يجلدون الناس ويقتلون لا لشىء الا لانهم

يريدون استعلاء فى الأرض ومزيدا من الشراء الغير المشروع (فقطاع الطرق الذين يعترضون الناس بالسلاح فى الطرقات ونحوها ليغصبوهم المال جماهرة من الأعراب والتركمان والفلاحين وغيرهم قال الله تعالى فيهم « انما جزاء الذين يحاربون الله ورسوله ويسعون فى الأرض فسادا أن يقتلوا أو يصلبوا أو تقطع أيديهم وارجلهم من خلاف او ينفوا من الارض ذلك لهم خـــــزى فى الدنيا ولهم فى الآخرة عذاب عظيم » .

وان القصاص وتنفيذ العقوبات يجب أن يلحظ فيه كل اعتبار انسانى فلا مثلة ولا تعذيب ولا تباطـؤ فى التنفيذ حتى يزداد المذنب ألما والنبى صلى الله عليه وسلم يقول (ان الله كتب الاحسان على كل شىء فاذا قتلتم فاحسنوا القتلة واذا ذبحتم فاحسنوا الذبحة وليحد أحدكم شفرته وليرح ذبيحته) و .. (ان أعف الناس قتلة أهل الايمان) .

ثم ان القصاص يكون بقدر الاصابات لا زيـادة ولا نقصان (وان عاقبتم فعاقبـــوا بمثل ما عوقبتم به ولئن صبرتم لهو خير للصابرين . واصبر وما صبرك الا بالله) .

واذا طلب الوالى او احد نوابه قاتلا او قاطع طريـق هرب من تنفيذ العقوبة فان كافة طبقات الشعب تعتبر ان هؤلاء خارجون على نظامهم كلهم لان فى تصرفاتهـــم مساس بكل واحد فيهم .

وعلى جميع المسلمين قتال هؤلاء الخارجين والتمكن منهم اذ (المقصــود من قتالهم التمكن منهم لاقـامة الحدود ومنعهم من الفساد) .

و .. (من آوى محاربا او سارقا او قاتلا او نحوهم ممن وجب عليه حد أو حق لله تعالى أو لآدمى ومنعهم ممن يستوفوا منه الواجب بلا عدوان فهـــو شريكه فى جرمه وقد لعنه الله ورسوله) .

العقاب شخصى بحت لا يجب ان يتعدى الى الغيـــر كما جاء فى كتاب الله (ولا تزر وازرة وزر اخرى) . (ولا يجنى جان الا على نفسه) كما يعلمنا الرسـول العظيم .

وأفرد ابن تيمية بعد ذلك فصـــولا فى عقوبات لأمراض المجتمع المختلفة كالسرقة والزنى وشرب الخمر مبينا فى ذلك ما اتبعه الخلفاء الراشدون .

اما ما دون هذه الامور الواضحة واعتبرت معـاصى ولا يوجـد حـدا ثابتا او كفـارات مثل (تقبيـل المـرأة الأجنبية أو يباشر بالاجماع أو بأكل ما لا يحل له) فان العقوبة ترجع الى العرف والنظام الاجتماعى القـائم وما تفرضه الاداب العامة .

وفى جميع الأحوال فلابد من التقدير .

وكما أبان ابن تيمية كيفية القتل أوضح طريقـة الجلد وهو المعتدل بالسوط فان خيار الأمور أوساطها وقال على رضى الله عنه (ضرب بين ضربين وسوط بين سوطين) .

ومن حقوق الله ايضا الصلاة والزكاة والفروض جميعها التى جاء بهـــا الاسلام اذ متى اهتم الولاة باصلاح دين الناس صلح دينهم ودنياهم .

حقوق الناس

وبعد ذلك تحدث ابن تيمية عن الحدود والحقـوق التى لآدمى معين فمنها النفوس فقد قال الله تعـالى (قل .. تعالوا اتل ما حرم ربكم عليكم ألا تشركوا به شيئا وبالوالدين احســانا ولا تقتلوا أولادكم من املاق) .

وتحريم التقاتل هو اهم ما نادى بـه الاسـلام حتى تسود الطمأنينة والسلام الاجتماعى بين الناس فيعيشون فى بناء متطور للمجتمع لا يتناجزون ولا يتناحرون .

وتكلم بعد ذلك عن القصاص فى الجراح فمن أصيب كان له ان يقبض بمثل الاصابة او يعذر ان لم يمـكن المساواة وكائنا ما كان المعتدى مواطنا مثله .. او واليا يحكمه .

والقصاص فى الاعراض مشروع ايضـــا وهـــو ان الرجل اذا لعن رجلا او دعا عليه فله ان يفعل به كذلك والعفو أفضـل) .

و .. (الفرية ونحوها لا قصاص فيها وانما تقـام فيها الحدود الثابتة فى الكتاب والسنة والاجماع فقد قال الله تعالى (والذين يرمون المحصنات ثم لم يأتــوا بأربعة شهداء فاجلدوهم ثمانين جلدة ولا تقبلوا لهم شهادة ابدا واولئك هم الفاسقون الا الذين تابوا من بعد ذلك وأصلحوا فان الله غفور رحيم) .

و .. الايقاع .. (ومن الحقوق أيضـا الايقـاع فالواجب الحكم بين الزوجين بما أمر الله تعالى به من امساك بمعروف او تسريح باحسان فيجب على كل مـن الزوجين أن يؤدى حقوقه بطيب نفس وانشراح صـدر فان للمرأة حقا فى ماله وهو الصداق والنفقة بالمعروف وحقا فى بدنه وهو العشرة والمتعة .

وللرجل عليها (أن يتمتـــع بها متى شاء ما لـم يضربها أو يشغلها عن واجب فيجب عليها ان تمكنه .. كذلك ولا تخرج من منزله الا باذنه او باذن الشارع) .

و .. الأحوال .. (يجب أن يحكم فيها بالعـدل كما أمر الله ورسوله ومثاله المواريث والمعاملات بأنواعها كايجارة او وكالة وهذه المعاملات قد يشتبه فى بعضـــها أحلال أم حرام والكتاب والسنة واضحين فى تحديد هذا المعنى « فالأصل فى هذا انه لا يحرم على الناس من المعاملات التى يحتاجون اليها الا ما دل الكتـاب والسنة على تحريمه كما لا يشرع لهم من العبادات التى يتقربون بها الى الله الا ما دل الكتاب أو السـنة على شرعه » .

و .. المشاورة .. (وعلى كل حاكم أن يرجع الى الشعب عند الفصل فى أمر عام يتعلق بكيان المجموع أو مستقبل الدولة أو نظمها « فأبو هريرة يقول لم يكن أحد أكثر مشورة لاصحابه من رسول الله صلى الله عليه وسلم « والقرآن يأمر (وشاورهم فى الأمر) » .

و .. آخر ما للمواطنين من حقوق هو وجوب اتخاذ الامارة « فيجب أن يعرف أن ولاية أمر الناس من أعظم واجبات للدين بل لا قيام للدين الا بها فان بنى آدم لا تتم مصلحتهم الا بالاجتماع لحاجة بعضهم الى بعض ولابد لهم عند الاجتماع من رأس حتى قال النبى صلى الله عليه وسلم « اذا خـرج ثلاثة فى سفر فليؤمـــروا أحدهم » .

وكما لنا أن نولى علينا من يسوس أمرنا فان لنـا عليه حقوقا فالحديث الشريف يقول ان الله يرضى لـكم ثلاثا ان تعبدوه ولا تشركوا به شيئا وان تعتصـــموا بحبل الله جميعا ولا تفرقوا وان تناصحوا من ولاه الله أمركم) .

الحذار يا حامى الحرمين

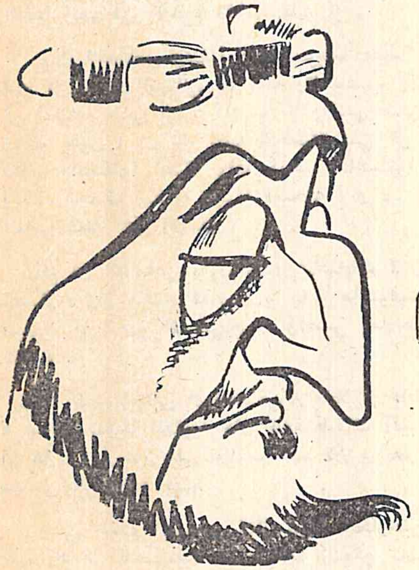

فضيلة الشيخ محمد خليفة

بين أصــوات الملبين الطائفين ببيت الله الحرام تفجرت هتافات الأحلام تنادى بحلف الاسلام، ورجعت أصداء الهتافات ارواح الملايين ممن يولون وجوههم شطر البيت يعبدون رب هذا البيت ، وأصاخ كل حذر ممن عركتهـم الأحداث الى ما وراء هذه الهتافات من همسات ونزعات ، وهو يتمنى أن تكون هذه الدعـوة منبثقة من قلوب المسلمين لخيـر الاســلام والمسلمين ، وأن تكون خالصة لله حتى يرعاها الله .

وعاد الحجيج الى أوطانهم يحمــلون هذا الأمل ، ويتطلعــون الى ما سيكون من خطى العمل ، فراعهم أن يطير الداعى الأول لهــذا الحلف الى معقل الصــهيونية فى أمريكا ليستعين بالمال الصهيونى والعون الصهيونى على اقامة هذا الحلف، ولترسم له أمريكا الطريق ثم تجره لتقف به بين (أشواك) الطريق ثم تعاهده على حمايته من وخزات الأشواك اذا اطبقت عليه فأى طريق ترسمه أمريكا معقل الصهيونية للحلف الاسلامى ؟

ولحساب من تتجمع حشود المسلمين لتسير وراء فيصل فى هذا الطريق ؟

وعلى حساب من يقوم هذا الحلف ؟

وأين صوت آل الشيخ حول سفر فيصل وما وراءه مما رددته الأنباء ؟

وأين أصوات المســلمين بعد أن وضحت الحقائق وتجلت الألاعيب ؟

أما طريق الحلف الذى ترسمه أمريكا فنسيج الكلام وزخرف الأقلام فى المؤتمرات والمجتمعات وبين الصحف والمجلات بحيث لا يحقق الكلام ولا الأقلام ابراز كيان اسلامى له قـوة تفـزع وتخيف الصهيونية وتزلزل سلطانها ، وفى سبيل ذلك يتدفق الذهب اليهودى ليشترى الألسنة والأقلام التى تعمل فى هذا التخطيط وتسير على الخط المرسوم .

ولن يكون طريق الحلف الاســلامى الذى ترسمه أمريكا انشاء منظمات اسلامية تدعـو للاسلام وتنشر دعوته بين الشعوب المتخلفـة وغير المتخلفة ، ولا انشاء منظمات اقتصادية

تشل اقتصاد الصهيونية ، ولا انشاء قوات حربيه تمدها أمريكا بالسلاح لمستقبل العداوات التى قد تجابه الحلف ، ولا انشاء مدارس ومعاهد تنقى من العقول أكدار الجهل ورواسب التخلف مما فرضته السياسة الاستعماريه على الشرق المسكين .

لن يكون شىء من ذلك طريق الحلف الاسلامى الذى ترسمه أمريكا وتحميه .

فاذا كان الحلف سيعيش حياته التى (تقدرها) له أمريكا فى كنف الأحلام والكلام فخليق بالمسلمين أن يكفنوه لا أن يتركوه على الوجود هيكلا لا حياة فيه يثير فى كل يوم آلام النفوس وحسراتها ، ويستنزف من القلوب دمها ومن العيون عبراتها .

واما لحساب من تتجمع حشود المسلمين فى هذا الطريق - فانتجمون بين سابق ومسوق، بين سابق يخشى على عرشه أو حياته من الثورات الواعيه التى تمتد انتفاضاتها - فى العالم العربى ، وبين مسوق لم يزل تخادعه الأضاليل ، وتغره الأكاذيب فتفتنه وتعميه عن الحقائق التى وراء هذا الحلف . حقائق (التهريج) المصطنع الذى لا ينطوى على غير الغش والافك وهؤلاء وأولئك جمعهم تدبير الصهيونية وكيدها ليعملوا لحسابها على حساب العرب وكيان العرب وجامعة العرب .

وهنا يجىء دور الرد على السؤال الثالث ، وقبل الرد ينبغى أن يعلم أن فكرة انشاء الجامعة العربية احتضنها الاستعمار حين أحس يقظة الوعى العربى وثورات شعوبه فأشرف على انشاء جامعة عربية تضم حكومات العرب وتعمل تحت عيونه وتكون بمثابة صمام الأمن من خطر هذه الشعوب خشية انفجارها وتدميرها كل سلطان يقف فى طريقها ، وأمسك الاستعمار بالملوك الذين كانوا كالدمى فى يده يحركهم كما يشاء لما يشاء، وألقت الشعوب العربية على الجامعة المسئولية الخطيرة ، ووقفت ترقب الأحداث فلما هالها موقف الدمى المسخرة من اقامة حكومة واقالة حكومة كلما تحرك وعى أو تيقظ لم تجد بدا من الانطلاق والثورات لتحقيق وجود الجامعة العربية واثبات كيانها وحققت الثورات وجود الكيان العربى، ونهضت فى ظله الجامعة الحرة تعمل وتدعم من تعمل ففزع الاستعمار والصهيونيه وزاد من فزعهما جلال قوات العرب الجويه والبرية والبحرية تلك القوات التى لم تعد تكترث بالغرب ولا بأسلحة الغرب ولا بمن يحتمون بالغرب .. فعمدت الصهيونية والاستعمار الى التفكير فى تفتيت تجمع العرب وسحق جامعتهم ومن ثم جاشت أصابع الفتنة والدس تعمل عملها بين الصفوف لتحدث الوقيعة والفرقة فكانت فكرة الحلف الاسلامى هى الوسيلة الفعالة فى التفريق والتمزيق لتفرق العرب بين متعصبين للحلف الاسلامى ومتعصبين للجامعة العربيه ووقفت الصهيونية عن كثب (تمول) الحلف بذهبها وتخدع المسلمين العرب بتحقيق ماهو أكبر من الجامعة واقوى حتى تموت الجامعة فتأمن اسرائيل على نفسها من غضبة العرب ونقمة العرب ثم تتخلى الصهيونية وأمريكا عن الحلف فيموت حين تريد له أمريكا الموت ، وبهذا يتبين على حساب من يقوم هذا الحلف .

وأما صوت آل الشيخ فهو الصوت الذى ينتظره الشعب السعودى قبل ان ينتظره المسلمون هو صوت أحفاد ابن عبد الوهاب الذين أقام أجدادهم وأشياعهم ملك آل سعود، وما زالوا يمنون عليهم بما بذلوا من جهد ومال فى سبيل اقامة هذا الملك ، ولآل الشيخ مواقف مع ملوك السعودية وأعوانهم حملة بعضها لهم الشعب السعودى .

وما زلت أذكر تحريمهم على الملك سعود الاحتفال بعيد جلوسه ..

وما زلت اذكر أمرهم بفصل وكيل معهد الرياض الدينى حين كتب مقالا يستقبل به (نهرو) عند زيارته للسعودية تحت عنوان (مرحبا برسول السلام) فكفروه وقالوا : السلام هو الله فكيف يكون نهرو رسول الله وحملوا العنوان من التأويل ما لا يطيق فطلبوا من الملك سعود فصله وهو موضع تقديره فاستجاب لهم ..

فما لآل الشيخ اليوم يصمتون وهم يعلمون ان فيصل زار أمريكا معقل الصهيونية ليدرس مع قادتها وساستها انشاء الحلف الاسلامي ؟ فلم لا يدرس فيصل مع آل الشيخ خطوط العمل لاقامة الحلف الاسلامي ، وتنظيم اعماله ومنظماته .. أو ليس موقف فيصل موقف من اتخذ من أعداء الله أولياء والله يقول : يأيها الذين آمنوا لاتتخذوا عدوى وعدوكم أولياء تلقون اليهم بالمودة وقد كفروا بما جاءكم من الحق .

ان العالم الاسلامي لينتظر من آل الشيخ موقفا يرد فيصل عن ارتمائه بين أحضان الصهيونية الأمريكية وبقيت الكلمه الأخيرة للمسلمين بعد ان وضحت المعالم ، وفضح حامي حمى الحرمين نفسه وتاريخه حين استعان بأمريكا الصهيونية لترسم الطريق للحلف الاسلامي وتبارك له جهده ، وبقيت كلمة المسلمين الذين بحت أصواتهم ، وتشققت حناجرهم ، وانتفضت قلوبهم وهم حول الكعبة ينادون بالحلف الاسلامي ، بقيت كلمتهم بعد أن راح فيصل الى أمريكا يتلقى منها الوحي الذى يعمل فى ظلاله ..

وبقيت كلمة المسلمين الواعين الذين يدركون ما وراء زيارة فيصل لأمريكا من التضليل والخداع .

فالحذار يا حامي الحرمين من الأيدى التى تجركم قبل أن تصل بكم الى المذبح فتقدمكم لجزارى الشعوب والحريات .

أيها المسلمون

واحذروا ثم احذروا ...

احذروا من يبيعونكم لقاء حماية عروشهم من غضبة شعوبهم ، واحذروا التائهين بين سراب الأحلام .

ثم احذروا الألسنة والأقلام التى تشتريها الصهيونية بعرض الدنيا

أما أنتم أيها العرب فاحذروا الفتنه التى تعبث لتفريق الصفوف .

واحذروا المعاول التى صنعتها الصهيونية وأهدتها للمفتونين من ملوك العرب ورؤسائهم ليقوضوا بها جامعة العرب على رءوس العرب .

وان الحلف الاسلامى الذى تقف وراءه الصهيونية حلف مصطنع .

فرية ترتدي غلائل حلف
يعلم الله أنه شر خلف
ان أفعى وراءه تنفث السم
زعافا فى كل لفظ وحرف
قنعوه الاسلام زورا ودفت
ثورة الحقد للوغى كل دف
انها فتنة تمزق صفا
شيدته الأجيال من بعد صف
يلهب المال والخداع لظاها
حيث يلقى دعاتها أى ضعف
ليتهم عبئوا الشعوب ازحف
لا لحقد مجابه كل زحف
ليت حلف الاسلام قد كان فتحا
للأمانى ولم يكن غول حتف
خلفه من ثعالب الغرب ألف
يشترون الضمير من كل الف
ان جود اليهود بالمال يبدى
كل كيد وراءه كان يخفى
لا تظنوا اليهود اخوان صدق
جل غدر اليهود عن كل وصف
ليس منا من مد كفا لعاد
ان كفا يمدها شر كف

عبد الناصر

صانع السلام

الأستاذ كامل عبد المجيد

> « لقد أثبتت التجربة وهى ما زالت تؤكد كل يوم..
> أن الثورة هى الطريق الوحيد الذى يستطيع النضال
> العربى أن يعبر عليه من الماضى الى المستقبل »
>
> (الميثاق)

لقد رسم لنا الميثاق بوضوح كامل طريق الثورة المستمرة وأوضح لنا حتميتها وضرورتها لأن الثورة « هى الوسيلة الوحيدة لمقابلة التخلف الذى أرغمت عليه الأمة العربية كنتيجة طبيعية للقهر والاستغلال ».

ولكى تستمر الثورة وتمضى فى طريقها بنجاح لابد لنا أن نضرب بشدة وعنف على أيدى أعدائها وأن نصمد فى وجه هؤلاء الأعداء لكى نضمن للثورة بقاءها واستمرارها وهذا يدعونا بالتالى الى معرفة وتحديد هؤلاء الأعداء أولا ، وثانيا تحديد الوسائل التى نواجه بها أعداء الثورة ونقضى عليهم قبل أن تمتد أيديهم الآثمة الى ثورتنا أو الى المساس بالمكاسب التى حققتها لنا ، تلك المكاسب التى تمثل لنا الوجه الآخر لهذه الثورة .

وقد حدد صانع السلام هؤلاء الأعداء الثلاثة فى خطابه الذى ألقاه فى دمنهور أمام شعب البحيرة مساء ١٥ يونيو الماضى ، وأوضح فيه حقيقة الترابط بين هؤلاء الأعداء الاساسيين لثورتنا وهم : الاقطاع والرجعية المحلية والرجعية العربية والاستعمار الأجنبى .

وقد أوضح جمال عبد الناصر فى هذا الخطاب أن ترابط هؤلاء الأعداء الثلاثة ليس ترابطا فى الهدف وحده ، ولكنه ترابط فى الاسلوب والوسيلة أيضا ، لأن كل عدو منهم على حدة يسلك حيال الثورة مسلكا واحدا لا يتغير .. وهو المهادنة والخداع اللذان عن طريقهما يتمكن العدو لينقض بعد ذلك ... أو بعبارة أخرى ـ كما يقول المثل السائر ـ « يتمسكن حتى يتمكن » .

ولكن واجبنا حيال هذا العدو هو أن لا نتيح له الفرصة ليتمكن بل علينا أن نبادر بكشفه وضربه ... كما أن أسلوبنا ووسيلتنا الى تحقيق ذلك يجب أن يكون بالمواجهة الصريحة .. وبالحركة السريعة الطليقة التى تستجيب للظروف المتغيرة » .

ولقد نص الميثاق على أن طريق الثورة ـ ببساطة ـ هو طريق الكفاية العدل « طريق العدل هو منع الاستغلال .. طريق الكفاية هو توسيع قاعدة الانتاج الذى هو فى النهاية دعامة للعدل ورصيد متجدد يزداد باستمرار الى امكانية تحقيق هذا العدل » . ومعنى هذا ببساطة أيضا هو القضاء على الرجعية والاقطاع واستغلال رأس المال واقامة علاقات اجتماعية جديدة مبنية على المساواة .

ان المجتمع الجديد الذى يكفل العدل والكفاية لنا جميعا ، فهذا المجتمع لا يمكن أن يتحقق باصدار القوانين فقط ، لأن القوانين المجردة لا تزيد عن كونها نصوصا جامدة ، يستطيع أعداء الثورة أن يتحايلوا عليها أو يتلاعبوا بها ، وقد لمسنا ذلك فعلا فى التلاعب بقوانين الاصلاح الزراعى .. حيث لم تستطع هذه القوانين أن تنهى الاقطاع الزراعى أو نضع حدا فاصلا له بصدورها ... بل اننا اكتشفنا فى المنيا والبحيرة والمنوفية وأماكن أخرى كثيرة ، كيف تسلط هذا الاقطاع على الفلاحين ؟ والى أى مدى استطاع ـ عن طريق الجريمة والارهاب ـ أن يحتفظ بسلطانه ونفوذه على أبناء الريف ، بل لقد استطاع تهريب الأرض مرة أخرى وقويت شوكته من جديد .

اذن فالقوانين وحدها لا تكفى للقضاء على الاقطاع ، وهذا يحقق قول صانع السلام « ان العمل والنضال المستمر فى كل قرية وفى كل عزبة وفى كل كفر وفى كل مكان هو الطريق للقضاء على الاقطاع » .

ان الشعب وحده هو الذى يستطيع تصفية الاقطاع وذلك عن طريق ممارسة العمل السياسى من خلال الاتحاد الاشتراكى .. العمل المستمر الواعى الذى لا يتيح للاقطاع أن يتسلل مرة أخرى أو أن يستعيد سلطانه ونفوذه .

ثم يؤكد عبد الناصر استمرار الثورة وحزمها ووعيها فيقول :

« ان الثورة لم تنته بقانون الاصلاح الزراعى فى سنة ١٩٥٢ ، ولم تنته بقانون الاصلاح الزراعى فى سنة ١٩٦١ ، لم تنته باعلان الميثاق ، بل ان الثورة مستمرة على أساس ان الثورة هدف ، فهى ليست مجرد اجراءات أو قوانين » ثم يوضح الحقائق ويبلورها فيقول : « ليست المسألة أن تتخذ اجراءات ثورية أو قوانين ثورية ، ولكن المسألة أن نكون مفتحين عيوننا وفى كل وقت نحسب الى فين وصلنا والى فين وصلت بينا هذه الاجراءات ؟ »

ان هدف الثورة فى الواقع هو تغيير جذور المجتمع وخلق علاقات اجتماعية جديدة لا تستند على الاستبداد والاستغلال وحب التحكم والسيطرة كما كان الحال فى الماضى ، بل ان هدفها هو خلق مجتمع جديد مبنى على أسس سليمة من العدل والكفاية ، ولا يقع تحت ضغوط معينة من أى لون ، ولذا فانه يتحتم علينا أن نوفر العدالة وأن نوسع قاعدة الانتاج لكى تتحقق الاشتراكية الفعلية التى يستطيع المواطن فى ظلالها أن يمارس حقوقه السياسية ويحصل على حقوقه الاجتماعية

« ان هذه الثورة تريد تغيير الظروف التى كان المجتمع المصرى يعيش تحت أحكامها وضغوطها ، ونريد أن ننتقل الى مجتمع الكفاية والعدل ... هذا المجتمع الذى صوره الميثاق بوضوح ووضع له الحدود والضوابط » .

وهكذا ـ وبنفس الطريقة ـ يمكننا أن نتتبع خطط الرجعية العربية ، التى تعتبر بمثابة العدو الثانى لاستمرار الثورة .. فالرجعية العربية تتبع خطة المهادنة والتسلل والخداع ... ثم الانقضاض .. وهذا هو دائما ديدنها .. فى كل مكان .. فى كل مجال .. لأن الرجعية العربية ـ مثلا ـ لم يكن يعنيها أبدا نجاح مؤتمرات القمة .. كما أنه لم يكن يهمها أن تساهم فى الدعوة الى هذه المؤتمرات .. واذا كانت قد اشتركت فيها فان ذلك لم يكن من أجل انجاح هذا العمل القومى الذى يهدف الى خدمة العمل العربى الموحد تجاه مشروعات اسرائيل العدوانية على حقوق العرب ، وانما كان من أجل أن تجد الفرصة التى تتستر فيها بستار القومية العربية .. وأن تهادن .. لكى تخدع شعوبها .. لتجمع قواها .. وتستعيد نفوذها وبعض هيبتها .. ثم بعد ذلك .. تنقض لكى تحطم كل شىء وتهدم كل بنيان . يشرح ذلك عبد الناصر فيقول « ظهر لنا أن كلامهم عن فلسطين هو كلام للخداع ، ولكن كان عملهم من أجل ضرب الشعب العربى ... وان قضية فلسطين لن يتم حلها الا بالعمل الثورى »

واذا قارنا أسلوب الاستعمار الاجنبى بأسلوب الرجعية العربية لوجدناه يطابقه فى مبناه وتفاصيله .. هذا ان لم يكن فى واقع الأمر ، ان المخطط هو شخص واحد وراسم التفاصيل هو ذات الشخص .. ولايفترق

البقية ص ١٢٣

أهداف النضال العربي

بين

الدين والأدب

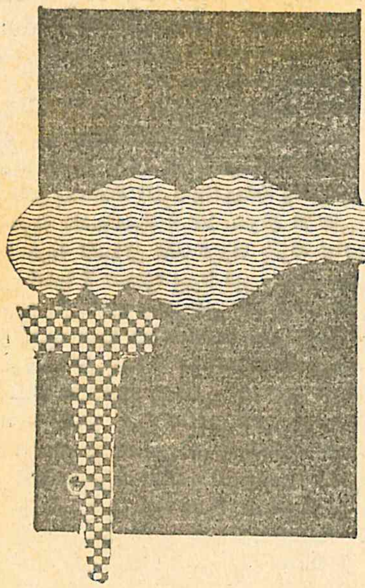

الأستاذ علي الجمبلاطي

اذا وقف كل منا ليرى ثمار غرسه ويسعد بحصاد ايمانه بالمبادىء والقائد وأخذ يصعد الى مستوى ونعيش فى آماله الكبار .. واذا رحنا نستشعر النصر عزة ونرفع رءوسنا عالية نبتهل الى رب النصر والعزة أن يزيدنا ايمانا به وبثورتنا وأن يمنحنا القوة العارمة والعزيمة الصارمة لكى نحقق آمالنا وأمل الوطن فينا .. وبين المباهج بثورتنا الرائدة وما حققته من أهداف على الصعيد المحلى وعلى الصعيد القومى وعلى الصعيد الانسانى ـ كان لزاما علينا أن نبحث عن دوافع النصر ومقومات النجاح لهذه الثورة حتى غدت عملا يقتدى به الأحرار الشرفاء وينتبه اليه التاريخ ولكن بحثنا لن يطول فلقد أجاب عن سؤالنا هذا الزعيم والقائدالرئيس المفدى جمال عبد الناصر فى خطابه التاريخى بجامعة الاسكندرية فى الثامن والعشرين من يوليو منذ عامين حيث قال « اننا نفخر بأننا تمسكنا بالدين من أول يوم من ثورتنا ليس قادة الثورة فحسب ولكن الشعب وهذا هو السر الكبير فى نجاح هذه الثورة ، التمسك بالدين والعودة الى الدين »

ومن هنا كان لابد لنا أن نؤكد الوشائج بين الثورة والدين بعد أن سمعنا صوت الرائد الملهم يعمق هذه الصلات ورأينا ضمير الثورة المؤمن يقدس الدين ويؤمن به كله ويأبى أن تكون الثورة حركة علمانية لا ترتبط بدين ولا ترتكز على عقيدة فجاء الميثاق الوطنى « يوجب للعقيدة الدينية قداستها فى حياتنا الجديدة الحرة » ويهيب فى قوة أن تجعل « واجب المفكرين الدينيين الاكبر هو الاحتفاظ للدين بجوهر رسالته »

واذا كانت هذه هى العلائق بين الثورة والدين حتى كان سر نجاحها فان الدور الضخم الذى قام به الأدب فى مساندة هذه الثورة والارهاص لها كان يوم وقف الشعر المعاصر وقفاته الرائعة فى غمار الهول ووقدة البأس يسقى المستعمر بأناشيده المجلجلة وحماسته المتدفقة كأس الخسران مترعا ويسوق الجموع الزاخرة من الشعب العربى الأبى الى ساحات البطولة وهكذا كان الشعر كما قال الشاعر :

كلما ند أو تباعد شمل
هتف الشعر فاستجاب اقترابه

قد تفل السيوف فى غمرة الروع
وتبقى سيوفه وحرابه

وهكذا كان الأدب من أهم أسلحة التعبئة للثورة فى ذلك يقول السيد الرئيس المفدى جمال عبد الناصر فى افتتاح مؤتمر أدباء العرب عام ١٩٥٧ « الأدب والفلسفة سلاحان أساسيان فى هذه الحرب فأنتم قادة الفكر عليكم واجب أساسى فى توضيح الامور وفى اقامة أدب عربى متحرر مستقل خال من السيطرة الاجنبية أو التوجيه الاجنبى وبهذا يمكن أن تساعدوا وأن تعملوا فى سبيل التضامن العربى وفى تدعيم القومية العربية وتحقيق أهدافها »

والى هنا وبعد تأصيل دور الأدب فى انجاح الثورةأيه. نعود لنقدم نموذجا تطبيقيا يوشج هذه الصلاة فنتحدث عن أهداف النضال العربى وهنا لا نرى مندوحة من عرض هذه الاهداف التى كانت نداءات مستمرة للنضال العربى كما بلورها ميثاقنا الوطنى « ان عهودا طويلة من العذاب والأمل بلورت فى نهاية المطاف أهداف النضال العربى ظاهرة واضحة صادقة فى تعبيرها عن الضمير الوطنى للامة وهى الحرية والاشتراكية والوحدة . بل ان طول المعاناة من أجل هذه الاهداف كان يفصل مضمونها ويرسم حدودها . لقد أصبحت الحرية الآن تعنى حرية الوطن وحرية المواطن وأصبحت الاشتراكية وسيلة وغاية هى الكفاية والعدل وأصبح طريق الوحدة هو الدعوة الجماهيرية لعودة الامر الطبيعى لأمة واحدة مزقهاأعداؤها ضد ارادتها وضد مصالحها والعمل السلمى من أجل تقريب يوم هذه الوحدة ثم الاجماع على قبولها تتويجا للدعوة والعمل معا » وسنحاول بحسب ما يتسع له هذا المقام أن نوضح ما كان لهذه الاهداف من اسناد فى تعاليم الدين القيم وفى الشعر العربى المصرى المعاصر وأول هذه الاهداف هو « الحرية » ولقد أجمع العلماء على أن للفرد فى الجماعة الاسلامية حقوقا وحريات لا يملك الحاكم أن يمسها أو ينال منها بغير حق بل ان الحرية ركيزة من ركائز العقيدة الاسلامية وأن الحفاظ على كرامةالفرد وحريته ـ أصل اسلامى لا يتصور اهداره بغير اهدار روح الاسلام نفسه فمكانة الفرد فى الجماعة الاسلامية هى المكانة الرفيعة التى وضعه فيها خالقه حيث يقول

جل شأنه « ولقد كرمنا بنى آدم » وقوله تعالى « واذ قال ربك للملائكة انى جاعل فى الارض خليفة » وأول القيم فى الدين الاسلامى « الحرية » اذ جاء الاسلام لتحرير الانسان من العبودية فالحرية الدينية والحرية السياسية والحرية الفكرية والحرية الشخصية كل أولئك قيم جليلة كفلها الاسلام وحاطها بسياج من التشريع بشرط واحد الا تنتهى هذه الحرية الى الفوضى التى تضر بمصلحة الفرد والجماعة والقرآن الكريم يقول فى الحرية الشخصية « فلا عدوان الا على الظالمين »

أما حرية المساكن فقد قررها بقوله تعالى « يأيها الذين آمنوا لا تدخلوا بيوتا غير بيوتكم حتى تستأنسوا وتسلموا على أهلها ذلكم خير لكم لعلكم تذكرون فان لم تجدوا فيها أحدا فلا تدخلوها حتى يؤذن لكم وان قيل لكم ارجعوا فارجعوا » أما الحرية الدينية فقررها بقوله جل شأنه «لا اكراه فى الدين قد تبين الرشد من الغى» وقوله « أفأنت تكره الناس حتى يكونوا مؤمنين » بل بالغ الاسلام فى تقديس حرية العقيدة الدينية فقرر لأهل الكتاب حرية كاملة فى أن يعبدوا الله على طريقتهم دون أن يكونوا فى ذلك هدفا للسخرية أو موضعا لأذى فقال عليه السلام « من آذى ذميا فقد آذانى » وقال صلى الله عليه وسلم « من ظلم معاهدا أو كلفه فوق طاقته فانا خصمه يوم القيامة » ولامير الشعراء قصيدة رائعة تعد من أجمل قصائد الثورة السورية فيها الألم المرير والدعوة الجادة الى اقتحام أبواب الحرية بعزم وتصميم يقول فيها :

وقفتم بين موت أو حياة
فان رمتم نعيم العيش فاشقوا
وللاوطان فى دم كل حر
يد سلفت ودين مستحق
ومن يسقى ويشرق بالمنايا
اذا الاحرار لم يسقوا ويشقوا
ولا يبنى الممالك كالضحايا
ولا يدنى الحقوق ولا يحق
ففى القتلى لأجيال حياة
وفى الأسرى فدى لهم وعتق
وللحرية الحمراء باب
بكل يد مضرجة يدق

وحين أخذ المستعمر فى مصر يحد من حرية رأى المواطنين بالحد من حرية الصحافة ويهدد الاحرار .. عبر شاعر القطرين عن نقمته بنفثة حرى وخاطب الطغاة بجرأة تنتظم مرارة السخرية بهم والهزء بأعوانهم فقال :

شردوا أخيارنا بحرا وبرا
واقتلوا أحرارنا حرا فحرا
كسروا الأقلام هل تكسيرها
يمنع الايدى ان تنقش صخرا
قطعوا الأيدى هل تقطيعها
يمنع الأعين أن تنظر شذرا
أطفئوا الأعين هل اطفاؤها
يمنع الأنفاس أن تصعد زفرا
أخمدوا الأنفاس هذا جهدكم
وبه منجاتنا منكم فشكرا

والهدف الثانى هو « الاشتراكية » وقد رسم الاسلام معالمها على أنها منع الفرد من استغلال رأس المال للاثراء على حساب الجماهير وبؤسهم وشقائهم وتحقيق التكافل الاجتماعى بين المواطنين بحيث تمحى مظاهر الفاقة والحرمان وتفاوت الثروات تفاوتا فاحشا يقترن فيه الجوع والفقر والمرض والمهانة بجانب الترف والرفاهة والانحلال الخلقى

والعدالة الاجتماعية فى الاسلام أشمل من مجرد العدالة الاقتصادية وهى تتحقق بالتضامن وبالتحرر والمساواة فالمساواة تقوم على أساس نشأة بنى الانسان عن أب واحد وأم واحدة قال تعالى « يأيها الناس انا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا ان أكرمكم عند الله أتقاكم » والملكية فى الاسلام ليست غاية فى ذاتها بل هى وسيلة لتبادل المنافع وقضاء الحاجات وكل ما فى البر والبحر من ثروات ملك لله قال تعالى « لله ملك السموات والارض » وقال جل شأنه « وانفقوا مما جعلكم مستخلفين فيه » ولا يجوز تكديس الثروات فى حوزة فئة قليلة قال تعالى «كيلا يكون دولة بين الأغنياء منكم » ولا يجوز الاحتكار للمواد الضرورية العامة قال الرسول عليه الصلاة والسلام « الناس شركاء فى ثلاث الماء والكلأ والنار » وفى رواية أخرى أضاف الملح وهذه الموارد التى ذكرها الحديث ليست للحصر بل كانت المقومات الاساسية للمجتمع آنذاك .

والتكافل الاجتماعى يقوم فى الاسلام على الأخوة قال تعالى « انما المؤمنون أخوة » وعلى فكرة البر قال جل شأنه « ليس البر أن تولوا وجوهكم قبل المشرق والمغرب .. » ويقول عليه السلام « ايما أهل عرصة أصبح فيهم جائعا فقد برئت منهم ذمة الله » وقال صلى الله عليه وسلم « من كان له فضل ظهر فليعد به على من لا ظهر له ومن كان له فضل زاد فليعد به على من لا زاد له » وقال عليه الصلاة والسلام « من كانت له أرض فليزرعها أو يمنحها أخاه ولا يؤجرها اياه ولا يكريها » وهكذا نرى الحديث عن الاسلام وسماحته وعدالته واشتراكيته لا ينضب معينه وكلها تساند اشتراكيتنا العربية حتى كانت شريعة الحق شريعة الله

وهذا أمير الشعراء .. شوقى . وهو رائد الشعراء فى هذا الدرب يتمدح الرسول صلى الله عليه وسلم الذى انتصرت على يديه بطولة الايمان والعقيدة الدينية وكان انتصاره تاريخا لايمان هذه الامة ووحدتها جميعا بعد فرقة ونشرها فى بقاع الارض تعلم الانسان الاخوة والمساواة وغير ذلك من التعاليم الخالدة فصفق الشعر لمبادئه السامية وذكر شوقى منها الاشتراكية الغراء فقال :

الاشتراكيون أنت امامهم
لولا دعاوى القوم والغلواء
داويت متئدا وداووا طفرة
وأخف من بعض الدواء الداء
أنصفت أهل الفقر من أهل الغنى
فالكل فى حق الحياة سواء
فلو أن انسانا تخير ملة
ما اختار الا دينك الفقراء

وسار معه على الدرب الشاعر أحمد الكاشف فراح يبشر بالاشتراكية فى أعقاب الحرب العالمية الاولى وبعد توقيع معاهدة الصلح فى فرساى عام ١٩١٩ وهى ضمن قصيدة عصماء تناول فيها شتى المعانى السياسية والوطنية فقال :

للاشتراكية العقبى اذا شملت
شتى الشعوب وجاراها المجارونا
فلا الكثيرون ملك للاقلينا
ولا الأقلون ملك للكثيرينا
ولا نرى واحدا ملأى خزائنه
بالمقتنيات وآلافا يجوعونا
ولا نرى درة فى رأس محتكم
تهفو اليها قلوب المستظلينا

والهدف الثالث والاخير هو « الوحدة » ولقد كان ظهور الدين الاسلامى فى الجزيرة العربية فى بادىء

الأمر أول دعوة واضحة للوحدة العربية وتبدو هذه الدعوة فى القرآن الكريم والحديث الشريف فقد كانت ثورته التحررية الكبرى ثورة على الأوضاع السائدة الفاسدة بين العرب وكان أساسها توحيد الكلمة وجمع الشمل تحت راية القرآن فقال تعالى « وان هذه أمتكم أمة واحدة وانا ربكم فاعبدون » وقوله جل شأنه « واعتصموا بحبل الله جميعا ولا تفرقوا واذكروا نعمة الله عليكم اذ كنتم أعداء فألف بين قلوبكم فأصبحتم بنعمته اخوانا » وقوله « وان يريدوا أن يخدعوك فان حسبك الله هو الذى أيدك بنصره وبالمؤمنين وألف بين قلوبهم لو انفقت ما فى الارض جميعا ما ألفت بين قلوبهم ولكن الله الف بينهم انه عزيز حكيم » قوله سبحانه « ان الذين فرقوا دينهم وكانوا شيعا لست منهم فى شىء انما امرهم الى الله ثم ينبئهم بما كانوا يفعلون »وقوله تعالى «وأطيعوا الله ورسوله ولا تنازعوا فتفشلوا وتذهب ريحكم واصبروا ان الله مع الصابرين » وقال عليه الصلاة والسلام « المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضا » وقال صلى الله عليه وسلم « ترى المؤمنين فى تراحمهم وتوادهم وتعاطفهم كمثل الجسد الواحد اذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى » وقال « يد الله مع الجماعة » وقال الرسول الامين « من أتاكم وأمركم جميع على رجل واحد يريد أن يشق عصاكم أو يفرق جماعتكم فاقتلوه » ولقد عزف الشعراء المعاصرون ألحان الوحدة بين شعوبهم وبشروا بها حتى فى أحلك الاوقات وهذا هو شاعر الاسلام أحمد محرم ينظم قصيدة عنوانها « الوحدة العربية » وفيها يخاطب الشعوب العربية فيقول :

أمم العروبة جاء يومك فاعملى
والى مكانك فانهضى وتقدمى
كونى جميعا فالتفرق لم يزل
مذ كان من نذر القضاء المبرم
أمم العروبة جد جدك فانظمى
من عقدك المنثور ما لم ينظم
ضمى القوى وتجمعى فى وحدة
عربية تحمى اللواء وتحتمى
لك أن تسودى تحت رايتك التى
خفقت لها الدنيا فسودى واحكمى

وهذا شاعر محدث من شعرائنا الذين عزفوا ملاحنهم تمجيدا للوحدة العربية ودعوة لها لتنشر العدل والاخاء وتستعيد أمجاد الاجداد وعزة الاسلاف وتعيد تاريخ العرب المجيد وأخلاده الباقية هو الشاعر كمال نشأت يقول :

وحدة العرب فكرة حققتها
عزمة العرب عنوة واقتدارا
فاذا العرب أمة تعبر التاريخ
صفا موحدا قهارا
تنشر العدل والاخاء فتسرى
دعوة الحق فى الدجى أنوارا
وتعيد الامجاد صرحا معلى
ومنارا اذا طلبنا المنارا
أبهذا التاريخ سجل خطانا
وتخشع فى أرضنا اكبارا
قد بذلنا دماءنا فارو عنا
قصة المجد وانشر الأخبارا

وحسبنا هذا العرض السريع لهذه الاهداف السامية وهى الحرية والاشتراكية والوحدة وكلها تستمد أمجادها من الدين الحنيف ويساندها رائد القومية العربية وراعيها ومجدد شبابها وحامل رايتها فى هذا الجيل رئيسنا الظافر جمال عبد الناصر فانما هى صدى لتعاليم ديننا القيم وألحان شعرنا القومى الصادق والله من وراء القصد

بقية مقال « عبد الناصر صانع السلام »

عنهما فى الاسلوب والوسيلة بالطبع .. الاقطاع والرجعية المحلية .. فالثلاثة عدوهم واحد ، وغايتهم واحدة .. فهم جميعا يحقدون على الثورة من الأعماق لأنها كشفت عنهم الغطاء ... وكلهم يبغون دحر هذه الثورة التى قضت عليهم .. ولكن هيهات أن يتحقق لهم ذلك لأن الثورة مستمرة . وكما يقول صانع السلام – « ان استمرار الثورة وطنيا هو سبيلنا واستمرار الثورة قوميا هو طريقنا » .

نعم ... ان ذلك حق ... ونحن نتضامن مع كل الشعوب من أجل الحرية ومن أجل الاستقلال ومن أجل التقدم ... وهذا هو الضمان الحقيقى لاستمرار الثورة ..

وأخيرا ... بعد أن أصبحت الحرية الآن تعنى حرية الوطن وحرية المواطن ، وأصبحت الاشتراكية وسيلة وغاية .. هى الكفاية والعدل .. فان ذلك يعنى شيئا واحدا .. هو استمرار الثورة .. والثورة المستمرة ... هى الاساس الأول لخلق المجتمع الجديد المجتمع الاشتراكى العادل .. وهذا هو طريق ثورتنا المستمرة التى سوف تظل – مستمرة – دائما وأبدا باذن الله .

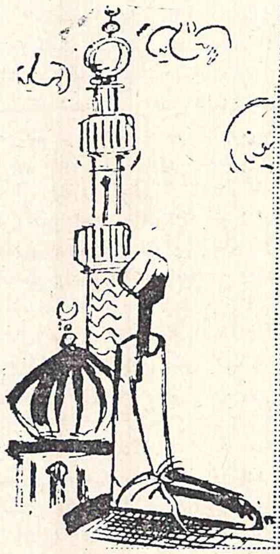

الإسلام رباط المسلمين

فضيلة الشيخ محمود أحمد جميلة

« ان الدين عند الله الاسلام » « ومن يبتـغ غير الاسلام دينا فلن يقبل منه » والمسلم القـوى خير من المسلم الضعيف .

والاسلام ملة واحدة وأمة واحدة وعقيدة واحـدة وشريعة واحدة وبناء واحد برغم معاول التفريق وعوامل الهدم والتخريب . فلا زال فى بناء الاسلام وتعاليمه « المسلم أخو المسلم لا يحقره ولا يظلمه ولا يسلمه » ولا زال فى تعاليمه المسلم للمسلم كالبنيان يشد بعضه بعضا ولا يزال المسلمون متكافئين يأخذ بذمتهم أدناهم. ولا يزال « من نفس عن مؤمن كربة من كرب الدنيا نفس الله عنه كربة من كرب يوم القيامة ، ولا زال الله فى عون العبد ما دام العبد فى عون أخيه » .

والاسلام هو صورة الكمال البشرى والفطـرة المستقيمة والاعتدال الانسانى نزه العقول من الوهن والضعف ورفعها عن التدنى والسـقوط فدعاها الى التجمع حول « لا اله الا الله » محمد رسول اللهالمقررة للتوحيد ، النابذة للشرك والشركاء والألوهية سيطرة وقوة وتدبير ، والرسالة اصطفاء وأمانة وفطنـة وتبليغ

وما سوى الله يقعده العجز وتعـوزه الحكمة ويشمله التقصير وأما الله فهو الكامل بلا نهاية والاول بلا بداية .

والاسلام جاءت دعوته على فترة من الرسل ، تلك الفترة عم فيها الفساد وشاع فيها الظلم وتغلب فيها الباطل وجار فيها الانسان على نفسه وعلى جنسـه فكسدت الفضائل ونشرت الرذائل وعـودى الحق ونصر الباطل حتى تعرضت البشرية الى هلاك مبيد لولا كلمة سبقت بالانذار للاعذار لقضى أمر الناس وقطع دابر المفسدين والراضين عن الفساد والحكمة الرحيمـة أرسـلت داعى الله وأنزلت كتـاب الله لاخـراج الناس من الظلمات الى النور وهدايتهم الى الصراط المستقيم ، وصاح رسول الاسلام بالناس جميعا يدعوهم لاصلاح الاوضاع الفاسدة واعتناق المبادىء الصحيحة وتقويم المعوج فى دنيا الناس وانطلاق الفطر المستقيمة نحو الكمال الانسانى ـ محولا وجه البشرية كلها الى خالقها ومدبر أمرها ، فلا ترى مسـيطرا سـواه ولا قاهرا غيره . والناس وراء ذلك سواء كأسنان المشط كلهم لآدم وآدم من تراب لا فرق بين عربى وعجمى ولا أسود وأبيض الا بالعمل الصـالح والنفع الدائم والاحسان العام .

والاسلام لم يدع خيرا تصلح به الدنيا وتستقيممعه الحياة الا دعا اليه ورغب فيه ولم يدع شرا يعكرالصفو ويفسد الحياة الا ونهى عنه وحبب فى اجتنابه فهو نور الله يهدى به عباده الى الرشد والكمال والعـدل والايمان والحب والصفاء

والاسلام جنوده وأتبـاعه أحرار طلقـاء فى حدود نظمه وقوانينه ويعرف مجتمعه مترابطا متساندا متطاولا مدفوعا نحو النمو والنضوج فأفراده الطلقـاء هم مجتمعه الحر الواعى المتميز بعلاقاته وقيمه الانسانية. وأفراد المسلمين هم جنود الأمة العاملون على كفايتها وحمايتها لها عليهم ما تسد به الثغور وتقيم به الصناعة والزراعة وتدفع به عاديات الزمان وظلم العدوان ولهم عليها توفير العدالة وسد الحاجة واقامة الحدود وتعبئة الجيوش ونشر الأمن وتسوية السبيل حتى لا يعثر بعير بين بصرى وصنعاء . ولا تتردى ناقلات العتاد والاعداء والفداء والكساء والاسلام وحده هو الرباط القوى والدعامة الفعالة فى ربط المسلمين وجمع صفوفهم وتوحيد كلمتهم منه وحده نبتت الأمة الواحدة التى كانت خير أمة أخرجت للناس تأمر بالمعروف وتنهى عن المنكر ومنه وحده ترابطت القلوب وتوحدت المشاعر وعطف المسلم على المسلم برغم نأى الدار وبعد المزار وفعل الاستعمار فى تقسيم الارض والابدان والتمييز بين الناس باختلاف الألسنة والألوان وتلك آية القدرة وأمارة الايمان وما كان الاسلام يحب المسلمين متفرقين متنازعين متخاصمين متخاذلين يتخذون الكافرين أولياء من دون المؤمنين يبتغون عندهم العزة والعـزة لله ولرسوله وللمؤمنين

وما كان الاسلام بجوهره ومبادئه ونظمه وقوانينه ليقبل تفرقة أهله شيعا متناحرة وأحزابا متدافعة وأمما متعادية وهو سياج قوتهم ووقاء جبهتهم وحبلهم المتين الجامع لشتاتهم والهادى لهم الى طريق الخير والايمان. والنجاة والاحسان .

وبلاد الاسلام هى بلاد المسلمين كلهم يعيشون فى كنفه أخوة متناصرة وأسرة متكاملة يأنس المسلم بأخيه المسلم ويطمئن لجواره ويأمن معه على عرضه وماله وعياله

فلما ضعف المسلمون وظهر الحاقدون وطمع الطامعون قسموا الوطن الواحد اوطانا ومزقوه أشلاء وقطعوه قطعا يسهل ازدرادها اذ تعاصت عليهم كتلتها ثم هم بعد ذلك يريدون ربط الاشلاء برباط يضعون طرفه فى أيدى الغاصبين ليجعلوا منه درعا يتقون به صورة الفقراء وقد سرقوا منه الغنى واغتصبوه . وصورة المرضى وقد سرقوا دواءهم واحتجزوه وصورة الجهل وقد أخذوا علومهم واستولوا على معارفهم وعوارفهم ثم حرموهم العلم والعرفان .

ان المسلمين يعلمون الاسلام عقدا وعهدا وميثاقا ووعدا ـ فما بال قوم يتسمون بأعتابه ويتعلقون بأهدابه وهم أميون لا يعلمون عنه الا أن أسماءهم فى سجله وأن قبورهم بين قبور أهله وأنهم بذلك حقت لهم الامارة ووجبت لهم الطاعة ودانت لهم الدنيا يتصرفون فى مقدرات النـاس بلا محاسب ولا رقيب .

وأى عهود تؤخذ وأى مبادىء توضع والاسلام وحده هو جماع أمر المسلمين وكتاب الله هو ملتقى أنظارهم ومحط آمالهم ومكان أمرهم ونهيهم منه يرتوون ومنه يصدرون فهو حبل الله المتين من تمسك به رشد ومن قال به صدق .

عهود الاسلام فيه ومواثيق الايمان منه فأى ميثاق يشهد وأى عهد يذكر والاسلام عقدة لن تحل وميثاق لن ينقضى وعهد المسلمين مع المسلمين أن يتواصوا بالحق وأن يتواصوا بالصبر .

واذا كان الاسلام جامعا بطبعه للمسلمين فما الغاية من مد حبل يحمل اسمه نحو عيدانهم ليربطها وما الغاية من هذا الرباط وجمع المسلمين لا يطلب وعدا ولا عهدا غير أن يكون القوم مسلمين

ما بال أعداء الاسلام وقواد حروبهم تفتر عداوتهم له بعد خصام طويل بين الحق والباطل ـ آآمنوا برسالته وصدقوا بدعوته ؟ أم عرفوا المسلمين حطاما باليا ورسوما باهتة واقوالا تصدرها الشفاة والالسن ولا تصدرها القلوب فاطمئنوا لجمعهم ليدفعوا بهم شر اعدائهم وما لهم فى الحرب غاية انما هم وقودها ورمم معاركها .

وما بال عمال المستعمرين يظهرون للناس تقاة نقاة متواضعين متخاشعين كأنهم مؤمنون يحملون لافتات تحمل شعارات براقة خداعة تذكر الاسلام والمسلمين ومنهم من فرض فطر رمضان وألغى الصيام ونادى بالسلام مع قاعدة الظم والعدوان ومنهم من اتخذ الصهيونيين وهم أعداء المسلمين أولياء يدنون اليهم بالمودة لاذلال العرب والمسلمين ومنهم من خاف السلب بعد العطاء ونسى ربه وتوجه الى أرباب القوة والمال يطلب حمايته من الأقدار ولو أنصف للاسلام والمسلمين لقال مثل ما قال الأولون « ان للبيت ربا يحميه » « ولينصرن الله من ينصره ان الله لقوى عزيز »

أيها المسلمون ان رباط الاسلام قائم بينكم لم تنطفىء شعلته ولم توار جذوته وآية ذلك تظهر للعيان فى اللقاءات الممنوحة والفرص المتاحة . وان قوانينه ومبادئه معلنة بين أهله ومعلومة لمعتنقيه وكل مسلم يعلم أن الحلال بين والحرام بين . وأن المسلم على المسلم حرام عرضه وماله ودمه وان المؤمنين لا يتخذون الكافرين أولياء وأن الله ولى الذين آمنوا وأن الكافرين لا مولى لهم وان المسلمين فيما عدا المعتمدين على الغاصبين امة واحدة ، مقهورة على وضعها الى حين . وقريبا ان شاء الله تكسر القيود وتلغى الحدود وتهدم القواعد ويجىء نصر الله والفتح .

من توجيهات الإسلام فى
كسب المال

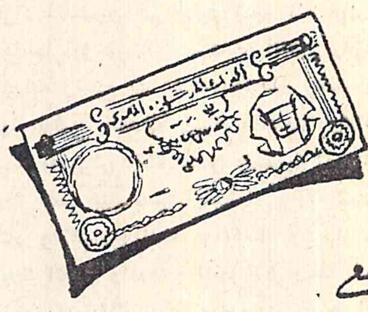

فضيلة الشيخ عبد الحميد بلبيع

حب المال طبيعة كل نفس ، ورغبة كل شخص ، والحصول عليه أمل كل انسان ، لأنه مفتاح مغاليق احتياجاته ، والسبيل لتحقيق رغباته ، فهو وسيلة الرزق ، وطريق الى القوة ، وسبيل الى نفوذ الكلمة ، وعون على اكتمال الشخصية هو عصب الحياة من أجل ذلك يتنافس فيه المتنافسون ، ويتبارى فى جمعه المتبارون ويفتخر بكثرته المتفاخرون

ولجمع المال وسائل شتى ولكسبه طرائق متنوعة وواضح أن الناس فى هذه الوسائل ليسوا سواء والشارع الحكيم يعلم مبلغ حب الناس للمال ومدى شغفهم بالاستكثار منه ومعلوم ان حب الشيء يعمى ويصم وان هذا الحب قد يدفع الناس الى جمع المال من طريق يحدث ضررا أو يهضم حقا أو يخدش عرضا لذا نظم الشارع الحكيم طريقة كسب المال بما يحفظ الحقوق ويصون العروض ويقيم الروابط بين الأفراد والهيئات وحدد للتعامل العام أشياء معينة كالبيع والشراء والأجارة والرهن وغير ذلك وأحاط كلا منها بشروط خاصة تبرزها فى صورة يطمئن اليها كل متعامل على نفسه وماله وعرضه وهذا هو الكسب الحلال وكل مال كسب من غير هذه الطرق فهو كسب حرام

ولكل من الكسبين آثاره ونتائجه ، فى حياة الفرد والمجتمع

فالكسب الحلال دعا الله اليه وحث عليه رسوله صلى الله عليه وسلم **قال تعالى ((يأيها الذين أمنوا كلوا من طيبات مارزقناكم واشكروا لله ان كنتم اياه تعبدون) وقال رسول الله** صلى الله عليه وسلم لسعد بن أبى وقاص حين سأله أن يدعو الله له أن يجعله مستجاب الدعوة فقال له (ياسعد أطب مطعمك تكن مستجاب الدعوة) والمراد من الطيب فى الأية والحديث هو الحلال الخالص من الشبهة لأن الشرع طيبة لآكله وان لم يستلذ طعمه فى تناوله وهذا يعنى ان لذيذ الطعم من غير الحلال حسرة ووبال على آكله فيكون طعاما ذا غصة وعذابا

ولا جرم أن اقبال الشخص على أكل الحلال وأن عزوفه عن أكل الحرام استجابة لأمر الله وآية اقباله هذا عنوان ايمانه وعلامة يقينه ، اخلاصه وثقة منه بان الله تعالى لم يأمر بأكل الحلال الا لما يترتب عليه من أثار حسان فى حياة الفرد وفى نظامه فى أسرته وفى سلوكه فى مجتمعه فهو ينير البصائر المظلمة ويلين القلوب القاسية ويطهر الصدور من الأضغان والأحقاد والأخلاق الفاسدة ولقد دلتنا التجارب على أن آكل الحلال لايضمر عداوة ولا ينطوى على بغضاء ولا يكون عنده نفاق ولا رياء ويكفى فى أثار اكل الحلال ونتائجه ماروى من سعد بن أبى وقاص انه قال (يا رسول الله ادع الله ان يجعلنى مستجاب الدعوة ، **فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم (ياسعد أطب مطعمك تكن مستجاب الدعوة والذى نفسى بيده ان العبد ليقذف اللقمة الحرام فى جوفه ما يتقبل منه أربعين يوما وايما عبد نبت لحمه من حرام ـ فالنار أولى** به) ويكفى أيضا ان أكل الحلال ينشر الهدوء

والطمأنينة فى حياة آكله كما ان له أثرا بالغا فى توجيه ذريته فى حياتهم وجهة طيبة صالحة تكفل لهم عيشة راضية وحياة طيبة وصلة بالله وبالناس حسنة قوية وماذا يبغى الانسان العاقل أكثر من هذه الجوانب العظيمة فى حياته ـ علاقة طيبة بالله وبالناس وسلامه صدر وطهارة نفس وهدوء بال وطمأنينة قلب وبعد عما يختلج النفس من وساوس الشيطان ونوازع الشر وتمتع بذرية صالحة موفقة فى سلوكها ونظام حياتها وكل هذا من أثار كسب الحلال وأكل الحلال وينحصر كسب الحلال فى التعامل الذى تطمئن اليه النفس المؤمنة وهو الذى لايهضم حقا ولا يظلم احدا ولقد نظم الله طرائق هذا التعامل فى آيات كثيرة من الكتاب الكريم

أما الكسب الحرام فقد نهى الله تعالى عنه وحذر رسوله صلى الله عليه وسلم منه قال تعالى **(ولا تأكلوا أموالكم بينكم بالباطل وتدلوا بها الى الحكام لتأكلوا فريقا من أموال الناس بالأثم وأنتم تعلمون) وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم (ايما عبد نبت لحمه من حرام فالنار أولى به)**

قال ابن كثير فى تفسير هذه الأية الكريمة (قال على بن أبى طلحة وعن ابن عباس هذا فى الرجل يكون عليه مال وليس عليه فيه بينة فيجحد المال ويخاصم الى الحكام وهو يعرف ان أن الحق عليه ـ ويعلم أنه آثم بأكل الحرام) ثم روى ابن كثير عن جماعة ذكر اسماءهم أنهم قالوا (لاتخاصم وانت تعلم أنك ظالم) وقد ورد فى الصحيحين عن أم سلمة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال (انما انا بشر وانما يأتينى الخصم فلعل بعضكم ان يكون الحن بحجته من بعض فأقضى له فمن قضيت له بحق مسلم فأنما هى قطعة من نار فليحملها أو ليذرها)

فدلت هذه الآية الكريمة وهذا الحديث على أن حكم الحاكم ـ لايغير الشىء فى نفس الأمر فلا يحل فى نفس الأمر حراما هو حرام ولا يحرم حلالا هو حلال وانما هو ملزم فى الظاهر فأن طابق مافى نفس الأمر فذاك وألا فللحاكم أجره وعلى المحتال وزره) ثم قال ابن كثير بعد ذلك قال قتادة (اعلم يابن آدم ان قضاء القاضى لايحل لك حراما ولايحق لك باطلا وانما يقضى القاضى بنحو ما يرى ومايشهد به الشهود والقاضى بشر يخطىء ويصيب ـ واعلموا أن من قضى له بباطل فأن خصومته لم تنقص حتى يجمع الله بينهما يوم القيامة ـ فيقضى على المبطل للمحق بأجود مما قضى به للمبطل على المحق فى الدنيا) اهـ كلام ابن كثير وهو يعنى أن أمر الحلال والحرام يرجع فى واقعه الى سلامة الفطرة واطمئنان النفس المؤمنة لا الى القاضى ولا الى فتوى المفتى بل متى استساغته الفطرة السليمة واطمأنت اليه النفس المنطبعة بانطباعات الايمان فهو الحلال والا فهو الحرام كل الحرام **يؤيد هذا المعنى ما رواه مسلم عن النبى صلى الله عليه وسلم قال (البر حسن الخلق والأثم ماحاك فى النفس وكرهت ان يطلع عليه الناس ، وفى رواية عن رابضة بن معبد رضى الله تعالى عنه قال اتيت رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم فقال جئت لتسأل عن البر قلت نعم قال (استفت قلبك البر ما اطمأنت عليه النفس واطمأن اليه القلب والأثم ماحاك فى النفس وتردد فى الصدر .**

هذا وقد جرت عادة الله عز وجل انه لا يأمر العبد الا بما يعود عليه بالخير ولاينهاه عن شىء الا لما يترتب عليه من ضرر وشر وقد وضح ذلك فيما ذكرته سابقا عن ما يترتب على الحلال من منافع الانسان أما مايترتب على الحرام من ضرر فكثير وكثير ويكفى ان اقول أنه ثبت بالتجربة أن المال الملوث بالحرام لاخير فيه ولا نفع منه وكل شىء يدخله الحرام فهو منزوع البركة حتى الذرية وحتى المال نفسه ولكم مثلت الحياة مع كاسب الحرام روايات كلها توجيه وتوعية ولكن حب المال والشغف بجمعه طبع على قلوب هؤلاء فهم لايفقهون واليك صورا من حياتهم تقدمها شاشة مسرح الحياة العامة عظة وذكرى لقوم يتفكرون ـ نرى شخصا شغف بجمع المال وسلك لذلك كل طريق من حل وحرمة غير مبال بذلك حتى جمع مالا وعدده وأصبح به من سراة القوم وأغنياء الأمة فتولاه الزهو وتملكه

الغرور وله اطمأنت نفسه وظن انه الى خلود ولكن ما لبث أن تبدد المال وتمزقت الثروة وأصبحت فى خبر كان وبات صاحبها صفر اليدين ولقد صدق رسول الله اذ يقول (أن الله ليملى للظالم حتى اذا اخذه لم يفلته ثم تلا قوله تعالى وكذلك أخذ ربك اذا أخذ القرى وهيَ ظالمة أن أخذه اليم شديد) وارجع أيها القارىء الكريم الى تاريخ سنة ١٩١٩ ترى أمثلة حية تحكى هذه الصورة فى وضوح وجلاء وعلى رأى المثل العامى الذى يقول فى المال الحرام (يفور ويغور) الاولى بالفاء والثانية بالغين ونرى شخصا آخر عنى بجمع المال وتلهى به عن كل مايعنيه من شئون حتى ذريته لم ينظر فى أمرهم ولم يفكر فى تربيتهم ولم يعمل على تثقيفهم لادينيا ولا اجتماعيا ولا علميا اعتمادا منه على نعرة المال وانه سيورثهم مالا يحتاجون معه الى أى عمل وتركهم للبيئة تفعل افاعيلها معهم فانحرفت بهم عن الجادة وسلكت بهم مسلكا افلت زمامهم من يد أبيهم حتى أصبحوا حربا عوانا عليه يناوءونه فى كل ما يريد ويرغمونه على فعل مالا يريد حيث لا توافق فى الاتجاه فهو حريص على المال كل الحرص والأولاد هم المبذرون المبددون واذا مات ابوهم كانت تركته شؤما عليهم فانها مثار الفتن وموضع النزاع دائما تفرق كلمتهم وتمزق وحدتهم وتجعلهم مضغة تلوكها الأفواه فى كل ناد وحوادث الزمن تؤيد هذا فكم غنيا ترك ثروة طائلة وترك وراءه ذرية ملكهم الطمع وفرق بينهم الجشع وزين لهم الشيطان كل ما يعملون ، هذا قليل من كثير من أضرار الحرام وكسب الحرام وأكل الحرام

أما طرق كسب الحرام فهى الآن كثيرة وكثيرة وهى متفشية وذائعة حتى عمت بها البلوى وفيما أرى انه كلما تراخى الزمن تفنن الناس فى احداث طرق غير مشروعة لكسب المال وجمعه والذى يصلى المستهلكون ناره الآن من هذه الطرق الأثيمة الجارية على أيد أثيمة ونفوس خبيثة — الاحتكار والتلاعب بالأسعار واظن انه لايختلف اثنان فى أن هذا اجرام اجتماعى فضلا عن أنه أثم ديني يعاقب عليه الله رب العالمين وليسمع المحتكرون ومهربو السلع قول رسول الله صلى الله عليه وسلم (من احتكر طعاما اربعين يوما فقد برىء من الله وبرىء الله منه وقوله (من دخل فى شىء من اسعار المسلمين ليغليه عليهم كان حقا على الله ان يقذفه فى جهنم رأسه اسفله) أو معناه هذا الى الغش والتطفيف فى الكيل والميزان والأيمان الكاذبة لترويج السلعة البائرة والربا بانواعه المختلفة واليانصيب والقمار بانواعه العديدة التى غزت النوادى والبارات والمقاهى الى غير مما لاتطمئن اليه النفس المؤمنة ولاتسكن اليه الفطرة السليمة والمؤسف أنها وأمثالها تقشف فى الأمة الاسلامية حتى أصبح التعامل العام لايتلاقى مع تعاليم الأسلام ولا يصدر فى شىء من دستور الاسلام الذى اليه ينتسبون وعلى الاسلام هم محسوبون وهم عنه بعيدون وها هى المثل قائمة وصور من حياة هؤلاء الجناة واضحة فبعض التجار يغش ويموه ويحلف اليمين الكاذبة ويضلل ليروج بضاعة بائرة أو يصرف سلعة تالفة ، وبعض الصناع يمكر ويخدع ويماطل ويخلف وعده ولايتقن صنعته ولو استطاع أن يأخذ من أصحاب العمل مالا بطريق غير مشروع يفعل ولو كان ضعف مايستحق .

وبعض الموظفين يهمل وظيفته اذا أغضى عنه رئيسه بعض الوقت أو يحابى ويجامل بعض أصحاب الأعمال عنده ويقف بالأخرين عند حد القانون — والمسلم يشهد الزور بل بعض المسلمين يتخذ هذا حرفة وطريق مرتزقه ويقف على باب المحكمة انتظارا لذلك ليضيع حقا أو ينصر ظالما أو يخرب بيت زوجين يتقاضيان والوكيل قد يخون موكله ويتفق مع خصومه عليه ألى غير ذلك من الصور التى لاتمت الى الاسلام ولا الى المسلمين بأدنى صلة ولم كل هذا طبعا لا لشىء الا للمادة والحرص الشديد على المادة ولحب المادة وللحرص على المادة فسدت المعاملات وانحلت الروابط وساءت العلائق واندثرت مكارم الأخلاق حتى نسى الصديق صديقه وأهمل الجار جاره وهجر الزوج زوجته وعق الولد والده وعادى الوالد ولده ذلك لأن المال عندهم هو كل شىء

البقية ص ١٣١

عبرة مهداة إلى أمريكا! شمس بريطانيا وهي تغرب

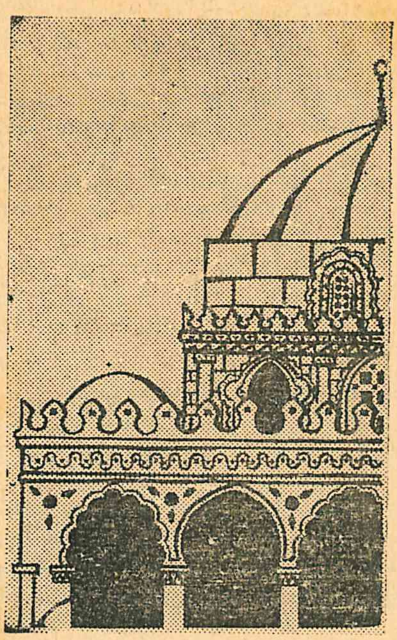

الأستاذ :
عبد العليم المهدي

اللهم لا شماتة .. ولكن هذا هو مصـــير الظالمين المتجبرين الطغاة الذين استعبدوا الناس وقد ولدتهـم أمهاتهم احرارا .

لقد بدأت صرخات الجوع همسا في بريطانيا .. فقد أعلن في أعياد الميلاد أن سبعة ملايين ونصف مليون رجل وامرأة وطفل يعيشون " في فقر مدقع " والقول بأننا – أي بريطانيا – دولة تعيش في رفاهيـــة مجرد سخرية !

قالوها لانفسهم قبل أن يقولها لهم أحد ، فسبحانك يارب وما أعظم حكمتك :

« وتلك الايام نداولها بين الناس »

ان بريطانيا التي كانت تفاخر الدنيا بأن الشمس لاتغيب عن ممتلكاتها ، وكان نشـيدها هو « احكمي يابريطانيا حتى امواج البحار » ..

لكن دورة الفلك يجب أن تتم ..

وفي الحكمة « وما طار طير وارتفع ، الا كما طار وقع » .

بريطانيا التي كانت تحكم أمواج البحار ، وكانت ممتلكاتها لاتغيب عنها الشمس .. أصبح ســبعة ملايين ونصف مليون من ابنائها يعيشون في فقر مدقع .. لماذا ؟

انه الجزاء العادل للحصرم الذي زرعه الآباء ، لابد أن يضرس به الابناء .

فطالما نهبت بريطانيا أقوات الشعوب . طالما استنزفت ثروات مستعمراتها فيما وراء البحار .. طالما جعلت من عرق الكادحين ماء لاستحمام خيول الصيد أو السباق .

طالما جعلت من دماء عبيدها في الممتلكات التي كانت لاتغيب عنها الشمس ، خمرا تسكر بها الارستقراطيـــة المعذبة الآن في سيدة البحار ..

ان للمخمور ساعة يفيق ..

فهل أفاقت بريطانيا لتسمع فيها أنات الجائعين ؟.

ولكننا نحن الشعوب التي طالما اجاعتها بريطانيا ، نسمع أصوات الجائعين فيها فلا تاخذنا الشماتة ، بل نجد فيها العبرة .

فنضع هذه الحقيقة أمام الدول التي ماتزال تطمع في بسط نفوذها واستغلال الشعوب المستضعفة .. ان لها يوما كيوم بريطانيا .. فان الاحتلال أقسى أنواع الظلم ، ودعوة المظلوم ليس بينها وبين الله حجاب ، ويجيب عليها ملك بلسان الخالق الاعظم « وعزتي وجلالي لانصرنك ولو بعد حين » !

وقد حان موعد نصرة المظلومين في الارض ..

ودائما كانت السماء في جانب المغلوب .. وكان انصار المجد الدامي يقولون دائما « الويل للمغلوب » .. والويل هو الكأس التي طالما قدمتها بريطانيـــا للانسان في شراق الارض وغربها شمالها وجنوبها .. كان الانسان – ولا يزال – في مستعمرات «الامبراطورية» سابقا يكفيه من الشرف أن يكون عبدا للتاج البريطاني .. وليس من حق العبد – كما في جنوب أفريقيا حتى الآن وكذلك في روديسيا وانجولا وموزمبيق – ليس من حق صاحب البلد أن يعيش كآدمي ، بل عليه أن يساعد الحيوان والآلة في انتاج الذهب لسادته البيض الذين خلقوا ليكونوا من طبقة الامراء واللوردات وغيرهم ممن يضعون « المونوكل » على عين واحدة ينظرون بها من فوق الى بقية عباد الله وكأنهم ينظرون الى حيوانات غريبة ..

ليس لهؤلاء الناس الذين تركبهم بريطانيا أن يأكلوا مما يأكل البريطان .. أو يلبسوا مما يلبسون .. أو يتعلموا كما يتعلمون .. او يدخلوا أى باب يدخلون .. ولا يمشوا حيث يمشون . او يتنفسوا الهواء الذى يتنفسون .. لماذا ؟.. لان السود والملونين مخلوقات من طين ، والانجليز مخلوقات من الشمع !

كيف تستطيع هذه المفاهيم أن تعيش فى رؤوس العقلاء فى عام ١٩٦٦ بعد الميلاد ؟

كيف نسى الذين يحلمون باستعباد العالم أن الله لاينازعه فى الربوبية احد .. وهو سبحانه قد خلق الناس جميعا من نفس واحدة .. كلهم لآدم .. وآدم من تراب !

ليس شك فى أن المخطط الاستعمارى البريطـانى لم يحسب يوما يتسلل فيه الجوع الى أبنـاء الجزيرة البريطانية .. فطالما شحنت الاساطيل البريطانية فى البحار السبعة بخيرات الشعوب التى كانت تحلبهـا بريطانيا كالبقر ، ثم لاتترك لاهليها مايسد الرمق اويستر العورة او يحفظ بقية لكرامة الانسان ، لكى يعيش أهل الجزيرة فى تخمة وبذخ ، واصـحاب هذه الثروات والخيرات جياع عراة يتخطفهم الموت فى كل يوم مرات .

ان امتحان السماء لاهل الارض لايمنع أن تشملهم رحمة الله ، وكل شيء عنده بمقدار .. وانه لايخلف الميعاد .

تجوع بريطانيا اليوم ، ثمنا للجوع الذى فرضته على سكان مستعمراتها مئات السنين .. ان سبعة ملايين ونصف مليون من أبناء بريطانيا يعانون الفقر ، رقم متواضع بالنسبة لمئات الملايين التى حكمتها بريطانيـا بالباطل ، وحرمت الانسان فيها من كرامته الآدمية التى حكم بها الله لكل انسان فى قضائه العادل : ولقـد كرمنا بنى آدم » .

تجوع بريطانيا اليوم ، وسوف تجد من يسد رمق الجائعين فيها أولا تجد ، ولكنها لن تجد أبدا ما تمسح به عار الاستعمار الذى اغرت به بريطانيا دولا غيرها ، فقام عهد استغلال الانسان للانسان ، وشمس هذا العهد تغرب الان مع شمس بريطانيا التى غربت عن ممتلكاتها .. « وتلك الايام نداولها بين الناس » .

قلت هذا لاولادى فى احدى أمسيات رمضان الجميلة المضيئة ، ونحن ننظر الى مآذن القاهرة المشرقة بالنور فى الليل ، وكأنها منائر تهدى الحيارى فى بحار الحيـاة الى شاطىء الحق والعدل والرحمة والمحبة والسلام .. وشرد بى الخيال ..

تمنيت لو ظلت هذه المنائر مضيئة طول العام ، لكى نرى فى ضيائها طريق الهدى الى أحكم وأسمى نظام انزلته السماء لسعادة البشر .. انه الاسلام .. ذلك الدين الذى شهد له اعداؤه بأنه الدين الوحيد القادر على صنع التقدم وحمايته وحفظ كرامة الانسـان فى كل زمان ومكان .

وخرج بى ابنى من تأملاتى فى أضواء مآذن القاهرة ليسألنى : ومع ذلك ماتزال بريطانيا تقتل اخواننا فى عدن وفى الجنوب اليمنى المحتل ، وتتآمر على استقلال شعب روديسيا ، وتحكم بالظلم وبالتجويع بعض المناطق فى أفريقيا ، وتساعد حكومة جنوب أفريقيا على ارساء قواعد التفرقة العنصرية ، وتسخير الملايين من اخواننا فى أنجولا وموزمبيق ؟ ..

فقلت : لقد بدأت النهاية يابنى فى بورسعيد ، وان بعض الايمان فى شعبنا قد استطاع ان يحرك أفريقيا ، ضد القوى الاجنبية التى تنزل على الشعوب كما ينزل الوباء .. وان أرواح الشهداء فى فلسطين ، وان سياط العذاب التى تكوى ظهور اللاجئين ، تقوم اليوم لترد الصاع صاعين ، فقد كانت ثورة ٢٣ يوليو ١٩٥٢ موعدا مع القدر ، ليس على أرض مصر فحسب ، ولكن فوق كل شبر من الارض يدب عليه انسان له حق الحيـاة ، وينازعه على هذا الحق أعداء الحياة ..

ان الله لم يخلق الناس ليقتل بعضهم بعضا ، او ليستغل بعضهم بعضا ، أو يورث بريطانيا وغيرها من الدول أرض العالم ، وليجعل للدول الكبرى حق السيادة ، وكل شعوب الارض عبيد !

فقال ابنى : لقد لمسنا فى مؤتمر تضامن القارات الثلاث فى كوبا مكان ثورة القاهرة فى المجتمع الانسانى

قلت : كيف ؟

قال : فى قرار المؤتمر انشاء مكتب دائم له مقره القاهرة .

قلت : وماذا أيضا ؟..

قال : قرار المؤتمر بدعوة جميع دول العالم الى سحب اعترافها باسرائيل .

قلت : وكلمة القاهرة التى ينتظرها المتحاربون فى فيتنام .. وفى اقرار السلام بين الهند والباكستان .

قال : وما رأيك فى قرار الرئيس الامريكى جونسون الخاص ببيع القمح للجمهورية العربية المتحدة ، ونص القرار على أن هذا العمل أمر جوهرى للمصالح الوطنية الامريكية .

قال : ألا يدل ذلك على نضوج السياسة الامريكيـة وبدء تحول لسياستها ؟ .

قلت : أبدا .. ان نضج السياسة الامريكية لايمكن أن يتم الا بعد أن تتحرر من سيطرة آل صهيون .. ان الحبـل الذى يربط بين أمريـكا واسرائيـل سيتحول يوما الى حية رقطاء تلتهم مستقبل الشـعب الامريكى ، لكى تجعل منه أدوات لتحقيق حلمها الكبير: « أرضك يا اسرائيل بين الفرات والنيل » .

قال : وهل ترى خلاص امريكا من بنوة اسرائيل امرا سهلا ؟ ..

قلت : ان نبى الله نوح عليه السلام قد ترك ابنه يغرق فى الطوفان .. بعد أن أقنعته السماء بان هذا الولد عمل غير صالح .

قال : حدثنى عن وجه الشبه .

قلت : ان أمريكا تدعى أنها زعيمة الحـرية فى العالم ، وأنها قوة انقاذ للبشرية ، ثم تضع فى سفينتها لقيطة اسمها اسرائيل ، وهى تخرق حيث تركب ، وليس من شك فى ان المصالح الوطنية الامريكية قد تأثرت وسوف تتأثر باحتضان اسرائيل ، ولن يكون بعيدا ذلك

اليوم الذى تفتح فيه أمريكا اعينها على هذه الخطيئة المسماة اسرائيل ، وهى تتحكم فى مقدرات الشعب الامريكى .. الشعب الذى انجب ابراهام لنكولن محرر العبيد ، مازال يعانى جروح التفرقة العنصرية ، وما زال يحسن الظن بصنيعته اسرائيل ، ولم يرض الآن طريق الخلاص من عبودية آل صهيون .. لانه يعيش فى دوامة الحرية والفراغ والوفرة التى تحجب الرؤية فى أمريكا فلا ترى اليوم الذى تتعرض له بريطانيا الان ،وقدغابت الشمس عن ممتلكاتها ، وبدأ سبعة ملايين ونصف مليون من ابنائها يعانون الفقر .. والجوع .. اننا نخشى على امريكا من هذا المصير .

قال : هل تتوقع لامريكا نفس المصير ؟..

قلت : اذا فحصت بريطانيا سجلاتها الاستعمارية اوجدت أصبع صهيون فى كل صفحة .. وامريكا تلميذة لبريطانيا فى السياسة .. والسجلات متشابهة .. والبلاء الصهيونى واحد .

قال : بدات افهم .

قلت : ان امريكا قد اعطيت من النعم ما يجب ان تستخدمه فى الخير ، وقوى الصهيونية تقف فى وجه كل خير تريده السياسة الامريكية ، او اية سياسة ايجابية فى العالم .

قال : ولكنها لم تستطع ان تقف امام قرار جونسون الاخير ببيع القمح ، رغم حملة العداء المستحكمة فى مجلس الشيوخ الامريكى ضد مصر لصالح اسرائيل .

قلت : ان ذلك لايدل على أن سياسة أمريكا غير راكعة أمام النفوذ الصهيونى . والبشرية كلها تتمنى أو استطاعت أمريكا أن تنظر الى مصير بريطانيا . وكيف تحولت الى دولة من الدرجة الثانية ، لانها اسلمت زمام أمورها الى اليهود ، فحرضوها على الاستعمار وعلى القرصنة وعلى الحرب ، وعلى امتصاص دماء البشر ، حتى أرهق بريطانيا السعى الى حتفها .. انتقلت الصهيونية الى امريكا ، حيث الدولة الجديدة الفرحة بما اعطتها الطبيعة من موارد تحسب أمريكا انها لن تنفد .. انتقلت الصهيونية الى هناك ، لتستعين بامريكا على اقامة اسرائيل وعلى حماية اسرائيل ، على حساب مائة مليون عربى ، ومائتى مليون أفريقى ، كلهم ينظرون الى امريكا اليوم والى اسرائيل فيظنون اسرائيل عزبة تملكها أمريكا فى قلب الوطن العربى . ولكن الحقيقة التى لامفر منها هى أن اسرائيل تحكم أمريكا بطريق غير مباشر .. تماما كما كانت تفعل فى بريطانيا ، وكما حاولت أن تفعل بالروسيا . ولكن بيريا دفع رأسه ثمنا لمحاولة السيطرة اليهودية على الاتحاد السوفيتى .

قال : وهل يوجد لليهود فى أمريكا زعيم مثل بيريا ايمكن الخلاص منه فتخمد بعده أنفاسهم .

قلت : انهم فى أمريكا كثير .. الاقتصاد فى أيديهم والاعلام صنعتهم ، ورؤوس أعدائهم هى التى تطير .. أما هم .. فهم موكلون بالفساد فى الارض .. وعلى أمريكا تنفيذ خططهم مهما كلفها الامر ، او يسحبون الذهب من البنوك ، فيخر سقف أمريكا كما سقط المعبد على رأس شمشون واعداء شمشون !

بقية مقال ((من توجيهات الاسلام لكسب المال))

بل فوق كل شىء نسى هؤلاء ان الدنيا لايمكن أن تقبل مع كسب الحرام ولايمكن ان تنتظم مع كسب الحرام وليستمعوا الى قول الرسول (من تكن الدنيا نيته جعل الله فقره بين عينيه وفارقها أرغب مايكون فيها ومن تكن الآخرة نيته جعل الله غناه فى قلبه وجمع عليه ضيعته وفارق الدنيا أزهد ما يكون فيه.

وانى من اجل هذا اهيب بالمسلمين أن يجعلوا تعاملهم العام وفق دين الله وان يقفوا فى اعمالهم عند حدود الله وان يصدروا فى شئونهم عن دستور الله وان يطلبوا رزقا حلالا يكسبونه من طريق مشروع خير من الارتماء فى احضان الكسب الخبيث وان يتدبروا قول الله (ومن يتق الله يجعل له مخرجا ويرزقه من حيث لايحتسب)) وقول رسول الله صلى الله عليه وسلم فى الحديث الشريف ((ان الله تعالى طيب لايقبل الا طيبا)) والله ولى التوفيق والهادى لاقوم طريق.

بيت الشاكرين

للأستاذ عبد السلام القوصي

أسرة تكونت من أب وام ومولود في بيت متواضع بني من قطع أحجار مختلفة وطين ومن غرفتين سقفهما من فروع الاشجار • لامال فيها ولا طعام ولا شراب ولا غطاء ولا كساء الا ما يكدح به الرجل في نهاره • وربما وجد طعام الغذاء ليومه • ولا يجد شيئا في اليوم التالي •

•• اذا سألته عن اسمه يبدو مفكرا فيه لضعفه ونحافة جسمه ذلك هو عامر من بني قرن احدى قرى اليمن •

•• رزقه الله بمولود كان مولده قبل هجرة الرسول صلى الله عليه وسلم من مكة الى المدينة بثلاثين عاما • نمى تائها • كلامه قليل • حركته بطيئه • بضى الجسم طويل القامة • لا ينظر في وجه من يداعبه أو يكلمه ولكن نظراته الى الارض • حتى قيل أن ببصره عيبا • ولكنه خلق هكذا وظل هكذا • ذلك هو •• أويس القـــرني ابن عامر •

فقد والده وهو في الرابعة عشرة من عمره وأصبح هو القائم على أمر أمه • والتي لا عائل لها سواه • يخرج في الصباح ليعمل وربما لايجد فيظل هو وأمه طاويين • لا على ألم وتبرم ولكن كمان قولهما « شكرا لله » • حتى ذاع أمرهما بين سخرية الناس واحتقارهم له ولامه • فسمى البيت المتواضع في أهله وبنيانه • « بيت الشاكرين » • وينظر أويس الى أمه نظرة الاكبار والاجلال فهو يقوم على خدمتها ولا ينام الا بتقبيل أقدامها بل ربما جلس الى جوارها مستيقظا الليل كله خوفا من ان تصحوا فتطلب أمرا فيحول الندم بينها وبينــه عن اجابتها وقضاء أمرها فيقع في المعصية • وكأنما عقد قلبه بقلبها • فهي أيضا كانت تراه وحيدها • ونور بصرها وبصيرتها • يشغلها هذا الحب أن تتذوق النوم في ليلها ونهارها • فهما ساهران كل لغرضه • هي للحب العميق الذي أحاط بجميع حواسها لولدها • وهو للحب العميق الذي سيطر على جميع حواسه ابتغاء مرضاة أمه عليه • وليس لهما من قوله الا « الشكر لله »

كبر أويس القرني واشتد ساعده ولا يزال الفقر ينمو معه • حتى كان طعامه مما يلتقطه من فتات الخبز وبواقي الاطعمة من الطرقات ثم ليت أهل القرية تركوه ليعيش على مايجد بل تسلطت عليه الاطفال في الطرقات يرجمونه بالاحجار فيجلس ضاما جسمه ليتقي به ما ينزل عليه من أذى الاولاد وعبثهم ليعود الى أمه جريح الرأس مصاب القدم والدماء قد غطت تلك الرقعة المهلهلة من القماش البالي الساترة لعورته • وبين يديه فتات الخبز الذي جمعه من الطرقات ليطعم به أمه • فتقابله لا بالاسى والالم • ولا بالحزن والغم • ولكن تقوم لتغسل عنــه الدماء ويجلسان ليأكلا مارزقا به ثم يقولان سويا « شكرا لله » •

•• لم ينس أويس أن هناك نبيا بعث للناس كافة وأنه يعلم الناس دينا جديدا • وأن هناك قرآنا يتلى ويحفظه الناس • فيه الهداية • وفيه الخير •• وليس في استطاعة أويس أن يسعى الى هذا النبي الكريم لضعفه أولا •• ثم لقيامه بخدمة أمه ثانيا • ثم لفقره ثالثا

•• فكر أويس أن يأخذ الخبر ممن يذهب من رجال اليمن الى هذا النبي صلى الله عليه وسلم • فيســـأل

القادمين ماذا رأيتم في هذا النبى فيقولون •• اسمه محمد • من أكرم القبائل • وأحسن العشيرة • فصيح اللسان • قوى البرهان • جميل الصفات • كريم الذات اذا نزلت به •

ينزل عليه الوحى بقرآن يتلى • فيسأل اويس وهل قرأتم •• فيقولون نعم •• ثم يأخذ أويس من أفواههم ما حفظوه •• ثم ينقله الى أمه ويبيتون الليل يرددونه حتى اذا ما طلع النهار سعى ليستقبل قافلة أخرى سائلا عما نزل به الوحى على محمد النبى الجديد •• فيجاب لطلبه ثم يضيفه الى ماسبق حتى حفظ القرآن كله كما نزل على رسول الله صلى الله عليه وسلم •

لقد وجد أويس فى تلاوة القرآن الكريم حلاوة • ووجدت أمه ذلك فاستغنيا به • وأصبح القرآن الكريم طعامهما وشرابهما وحجتهما وبغيتهما • حتى استغرقا فى حب هذا النبى الكريم • وفى حب رب العالمين الذى أرسله للناس رحمة ونورا وهداية •• أنساهم هـذا الحب الدنيا وما فيها فان وجدا الطعام أكلا وشربا • وان لم يجدا لايفكران فى شيء منه • وبعد ما أرقهما وشغلهما هذا الحب وملك عليهما وجدانهما • اتجها الى أمنية واحدة أن يريا سويا هذا النبى العظيم رؤية العين كما يفعل الاغنياء فى سفرهم بالابل يقطعون هذه المسافات الشاسعة ليحظوا بمقابلة هذا الرسول الكريم والاستماع اليه • ولكن لم يحظ أويس بشيء من ذلك بل لقد ماتت أمه بعد أن تم نزول القرآن الكريم كله •• وبقى أويس وحيدا فى كوخه الصغير الفقير بعد دفن أمه فيه • وبقى ساهرا على قبرها وكأنه يرعاها كما لو كانت على قيد الحياة •• ساهرا عند قبرها ولكنه لايناجيها كما كانت فى حياتها بل انشغل عنها بمخاطبة ربه جل شأنه بتلاوة القرآن الكريم •

•• الرسول الاعظم صلوات الله وسلامه عليه بمسجده بالمدينة يجلس فى وقت لم يعهده الناس أن يكون فيه الا اذا كان فى الامر شيء هام يريد عليه الصلاة والسلام أن يدلى به وليس بالمسجد الا نفر قليل فى أركانه مختلفة منه يرقبون ماذا سيقول الرسول الكريم ••• والرسول يشخص ببصره الى باب المسجد صامتا كأنه يرقب الداخل منه • أو كأنه على موعد مع قادم معروف واذ بالداخل على بن أبى طالب كرم الله وجهه •• فيناديه رسول الله صلى الله عليه وسلم •• ياعلى •• لبيك رسول الله •• اقبل •

ويهرول على الى اجابة رسـول الله • ثم يأمره بالجلوس امامه •

ومضى وقت غير قليل فى صمت •• حتى اذا مادخل من الباب عمر بن الخطاب رضى الله عنه •• فيناديه رسول الله صلى الله عليه وسلم •

ياعمر •• لبيك رسول الله •• أقبل •

ويهرول عمر الى اجابة رسول الله ثم يأمره بالجلوس معهما فيقول :

ياعلى وياعمر • ان لقيتما أويس القرنى اقرئاه منى السلام • واطلبا منه أن يستغفر لكما ، فانه مجاب الدعوة •

•• وينظر على الى عمر ويتابع عمر نظرات على وكلا منهما يريد أن يسأل أمرا فيسبق عمر عليا فى السؤال لرسول الله صلى الله عليه وسلم ويقول •• من هو أويس هذا يارسول الله •• فيقول عليه الصلاة والسلام •• هو شاب من اليمن • طويل القامة • آدم • أشهل ذا صهوبه • يضرب بذقنه الى صدره • يتلو القرآن دواما • واضعا بيمنه على شماله • بقدمه الايسر لمعـة بيضاء من أثر مرض برص أصيب به وشفى منه • عليه ضمران من صوف • يقال للناس يوم القيامـــة ادخلوا الجنة • ويقال لاويس هذا قف تشفع • فيشفع فى عدد ربيعه ومضر « كما روى فى الامانة »

ويشد الشوق عليا الى السؤال لرسول الله صلى الله عليه وسلم • فيقول : وأين نجده يارسول الله • فيقول عليه الصلاة والسلام •• مع حجيج اليمن •• وتمضى الايام سريعا •• ولحق رسول الله صلى الله عليه وسلم بالرفيق الاعلى وجاءت خلافة أبي بكر الصديق ولا يزال البحث جاريا عن أويس القرنى مع حجيج اليمن •• ولحق الصديق بالرفيق الاعلى • وجاءت خلافة عمر فشدد هو وعلى كرم الله في البحث عن أويس هذا حتى كثر سؤالهما • فاعترض يمانى عمرا وقال :

•• ياعمر • ابنا من ثار تريده حتى تفتش امرنا • وتكثر من سؤال اشخاصنا ويجيب عمر •• كلا بـل انا نسأل عن رجل طال البحث عنه من زمن رسول الله صلى الله عليه وسلم • ولامر نرجوه • وهو كمال قال الرسول الامين مع حجيج اليمن •

•• قال اليمانى ليس فى القافلة اليمانية الا رجل ابله يرعى ويحرس لنا الابل • طويل القامة • آدم • رأسه على صدره • يتمتم حيث لانعرف ماذا يقول • بعيد عن الناس • قليل الكلام معهم الا عن حاجة •

•• جرى عمر وجرى خلفه على الى حيث وجدا رجلا يجلس القرفصاء أمامه ابل •• فيرد عمر السلام • ويجيبه أويس وبصره الى الارض • ثم يسأله على ما اسمك ؟•• فيجيب عبد الله •• ويقول له مرة أخرى ما لهذا قصدناك نريد اسمك الذى سمتك به أمك • فيفع اويس ويواجههما •• فيطمئنه على ويقول •• هذا عمر بن الخطاب أمير المؤمنين •• وانا على بن أبى طالب فيجيب أويس •• وعليكما السلام ورحمة الله وبركاته ويسترسل فى الحديث فيقول : ياعمر •• الناس يوم القيامة يسألون عن أنفسهم • وأنت تسأل عن الناس جميعا •• ويصرخ عمر بأعلى صوته ويقول ليت أمك لم تلدك ياعمر •• ثم يتجه أويس الى على ويقول •• ياعلى ان لك فى رسول الله أسوة حسنة متعك الله بها •• ويدقق عمر النظر فى أويس ويقول ماقاله رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم أوصاه •• طويل القامة آدم • يضرب بذقنه الى صدره • يتلو القرآن دواما • عليه ضمرأن من صوف • ثم نظر عمر الى قدم أويس ورأى اللمعة البيضاء • ثم قال عمر • صدق رسول الله • وبكى عمر وبكى على لبكائه •• وكان فى وجه عمر خطان أسودان من كثرة البكاء وجريان الدموع •

قال على لاويس ما منعك أن تشهد رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال حبى لامى واقامتى على خدمتها وبصرها ضعيف وليس لها من يرعاها غيرى بعد الله •• وكيف حفظت القرآن •• قال من الذين سمعوه وحفظوه من رسول الله صلى الله عليه وسلم •• وهل

امنت به • نعم آمنت به قبل أن يرسل • فلما ارسل ازداد ايمانى وحبى له • فكان عندى هو كل شىء أنا وأمى • ثم قال أويس هل رأيتما رسول الله • قال عمر نعم •• فقال أويس صفه لى •• فقال عمـــر : ياعلى صف رسول الله له •• وبدأ على يصف رسول الله والدموع على خدى عمر حتى انتهى على •• فقال أويس •• انكما لم تريا رسول الله • فسأله عمر •• وهل تستطيع أن تصف رســـول الله • قـال أويس نعم ••

رسول الله صلى الله عليه وسلم • طويل القامة حتى ان رأسه الشريف تحت قبة العرش بعيد مابين المنكبين حتى أن قدماه فى الارض السابعة • طويل باعيه حتى أن ذراعيه يضمان المشرق والمغرب • نور مابين السماء والارض • « لقد جاءكم من الله نور وكتـــاب مبين »

•• قال عمر والدموع على خديه •• يا أويس •• أمرنا رسول الله أن نطلب منك أن تستغفر لنا •• قال أويس • انى أمرت أن استغفر لكافة المسلمين والمسلمات • اللهم اغفر لعمر •• اللهم اغفر لعلى بن ابى طالب •

•• ومد عمر يده الى جيبه وأخرج منه دراهم ليعطيها لاويس فأبى وقال •• أنت ترى أحرس هذه الابل وآخذ أجرها ثلاث دراهم • درهم لى • ودرهم أقتات به • ودرهم أحتجزه للزمن • وكنت قبل اليوم أعيش أنا وأمى شاكرا لله • حتى زادنا من فضله مصداقا لقوله لئن شكرتم لازيدنكم •

ثم خلع عمر رداءه وقدمه لاويس • فرده • وقال أنت ترى على ضمرين من صوف فمتى أبلوهما •

قال عمر • ياأويس • عظنى • قال أويس • أوصيك بوصية الله رب العالمين للاولين والآخرين قوله تعالى • « ولقد وصينا الذين أوتوا الكتاب من قبلكم واياكم أن اتقوا الله » • ياعمر • فر الى ربك قال عمر •• فمن أين المعاش •

فقال ان القلوب يخالطها الشـــك ، أتفر الى الله بدينك وتتهمه فى رزقك • ياعمر وصيتى اليك كتاب الله تعالى وسنة سيد المرسلين • وصالحوا المؤمنين وعليك بذكر الموت ولا يفارق قلبك ذكره طرفة عين وانصح الامة جميعا • واياك أن تفارق الجماعة فتفارق دينك وأنت لاتعلم فتدخل النار •

ثم ترك أويس عمرا وعليا وذهب الى جوار الابل وجلس • فذهب اليه على وقال يا أويس • جئناك لنأتنس بك وتركتنا • فقال •• ياعلى حفظك الله مادمت حيا • ورضاك من الدنيا باليسير • وجعلك لما أعطاه لك من الشاكرين •• ياعلى لاأراك بعد اليوم فانى أكره الشهرة والوحدة أحب الى • انى كثير الغم • مادمت مع الناس فى هذه الدنيا فلا تسألنى و لاتطلبنى بعد فراقك فانى لا أنساك وان لم أراك وترانى • انصرفا مشكورين فانى أشتاق لمخاطبة ربى جل شأنه بتلاوة كلامه • وانى لا أبالى حين أحببت ربى عز وجل على أى حال أصبحت وأمسيت

قال له هرم بن حيان ياأويس أوصينى • قال له توسد الموت اذا نمت وأجعله نصب عينيك اذا قمت • وكان يقول الدعاء بظهر الغيب أفضل من الزيارة واللقاء لانهما قد يعرض فيهما التزين والرياء •

قال أويس عن نفسه • انه اجتمع برسول الله صلى الله عليه وسلم مرات وحضر معه واقعة أحد • ثم قال • والله ماكسرت رباعيته صلى الله عليه وسلم حتى كسرت رباعيتى ولا شج وجهه الشريف حتى شج وجهى ولا وطىء ظهره حتى وطىء ظهرى هكذا « رواه الشعرانى » ولا حرج فى ذلك ، وان حدث هذا فهو صحابى • والا فهو تابعى •

وقال بشر الحافى فى أويس • انه جلس فى قوصرة من العرى فهذا هو الزهد الكامل وكان يقول رضى الله عنه • لاينال الناس هذا الامر حتى يكون الرجل كأنه قتل الناس جميعا • « وجاء فى الطبقات » عن اويس • كان قوته مما يلتقطه من السنوى وفتات الخبز • ورماه أهله بالبله والجنون •

وصفه الشعرانى فقال •• كان من أكابر الزهاد • رث البيت قليل المتاع • وكان اشهل ذا صهوبه • بعيد مابين المنكبين • معتدل القامة • آدم • شديد الادمة « أى السواد » ضاربا بذقنه الى صدره وكان يتزر بازار من صـــوف • خامل الذكر لايؤبه له وكان اذا أمسى يقول : اللهم انى أعتذر اليك اليوم من كل كبد جائع فانه ليس فى بيتى من الطعام الا مافى بطنى • وكان يقول أن الامر بالمعروف والنهى عن المنكر لم يدع للمؤمن من صديق فكلما أمرناهم بالمعروف شـــتموا أعراضنا ووجدوا على ذلك أعوانا من الفاسقين حتى والله لقد رمونى بالعظائم •• الى أن قال الشعرانى •• وكان أويس مشغولا بخدمة أمه ولذلك لم يجتمع برسول الله صلى الله عليه وسلم • وطلب رسول الله من عمر وعلى أن يجتمعا به مع حجيج اليمن ويقرآه السلام ويطلبا منه أن يستغفر لهما فانه مجاب الدعوة •

حـــارب أويس رضى الله عنـــه مع على ولزمـــه من عام ٣٧ هـ الى ٣٨ هـ فلما قتل عليا أبى أن يعود أويس الى بلده فهاجر الى مصر • ثم منهـــا الى بلدة الواسطى ونزل باحدى قراها وظل بها خمس سنين • ولما ذاع صيته وكثر الناس حوله يلتمسونه رحل منها الى بلدة المحاميد احدى بلاد مركز ادفو بمحافظة اسوان وظل على جبل هناك شمالى القرية زهاء عامين وطلبـــه الناس • ولم يجد بدا من أن يرحل من القطر المصرى نهائيا فرحل الى حلب وهناك ببلدة الرقة بحلب وعلى الجانب الغربى وافته منيته فدفن فى هذا المكان وقد قارب عمره السبعين – أما ماجاء بالقاموس الاسلامى بأنه قتل فى واقعة صفين عام ٣٧ هـ « ٦٥٧ م » فهو عمار أبا اليقظان • وليس أويس بن عامر ، كما ورد فى الطبرى وقد احتسب من الصحابة والصحيح أنه من التابعين لعدم مصاحبته رسول الله وتحتفل محافظـــة بنى سويف فى الشهر القادم وبلدة الواسطى على الاخص بذكرى أويس القرنى احتفالا يليق بمقامه • وله فى كل بيت فيها سميا أما باسم أويس أو باسم قرنى • كما أن له فيها مشهد عظيم • وفى المحاميد أيضا •

ياأويس •• صدق رسول الله حيث يقول مامعناه :

« رب أشعث أغبر لايؤبه له ذو ضمير من صــوف لو أقسم على الله لأبره » •

وهنيئا لك يا أويس • عند ربك • مع الشـــاكرين والحامدين والذاكرين والصابرين والزاهدين والمجاهدين وحسن أولئك رفيقا •

المساواة في الإسلام

الأستاذ محمد المتولى النظامى

كان العالم قبل الاسلام يعيش فى ظلام ، فالناس جميعا عبدة أصنام لاتضر ولا تنفع ، والسيف هو الحكم الفاصل صاحب الكلمة ، فنزل كتاب الله على رسول الله بمبادىء قيمة حولت الظلم الى عدالة ، والفرقة الى أخوة ، والعبودية الى حرية ، فكان محمد عليه الصلاة والسلام بحق أول واضع لحقوق الانسان حيث قرر أن الناس جميعا متساوون فى أمور ثلاث :

الأمر الأول : أصل الخلقة ومبدأ النشأة :

فالناس جميعا من أصل واحد هو التراب. والناس جميعا من أب واحد وأم واحدة هما آدم وحواء قال تعالى « يأيها الناس اتقوا ربكم الذى خلقكم من نفس واحدة وخلق منها زوجها وبث منهما رجالا كثيرا ونساء » وقال تعالى « يأيها الناس انا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا » أى لتتعارفوا فتتعاونوا وتتحدوا ، لا لتتقاتلوا وتتباغضوا وصدق النبى صلى الله عليه وسلم حيث قال « الانسان أخ الانسان أحب أم كره » .

الأمر الثانى : انه قرر أن نهاية الناس جميعا واحدة :

فالناس جميعا خلقوا من تراب والناس جميعا يحملون فى بطونهم التراب ، والناس جميعا يدفنون فى التراب قال تعالى : **« منها خلقناكم وفيها نعيدكم ومنها نخرجكم تارة أخرى » وقال تعالى « كل شىء هالك الا وجهه له الحكم واليه ترجعون »**

وما دام الناس جميعا من تراب وفى بطونهم يحملون التراب ، ونهايتهم الى التراب فلماذا

يستعبد الانسان الانسان ؟ أو يتكبر انسان على انسان ؟

ولماذا نرى أناسا يفرقون بين الأبيض والأسود فى المعاملة فيجعلون اللون الأسود مدعاة للاستعباد ؟ ولماذا يسفك الانسان دم أخيه الانسان ؟ ولماذا نرى أناسا قد سلحوا لصوصا بأنواع السلاح الحديث ثم وضعوا لهم خططا فذبحوا الأبرياء فى طبريا وحيفا واللد والرملة ودير ياسين ثم شردوا مليون فلسطينى برىء أريد بهم أن يموتوا جوعا وعريا ، ثم حولوا المساجد الى كنائس ؟

ألا فليعلم هؤلاء أن رسول الله يوم انتصر على أعدائه لم ينتقم بل قال للذين عذبوه وكذبوا أتباعه بعد فتح مكة : اذهبوا فأنتم الطلقاء .

ألا فليعلم هؤلاء أن رسول الله وخلفاءه لم يقتلوا انسانا يدين بدين سماوى لأنه لم يسلم ، ولم يعذبوا ، ولم يمنعوا من اقامة شعائر الدين ، ولم يهدموا كنيسة ولم ينقضوا عهدا . فديننا دين السلام ، وكلمة الاسلام مرادفة لكلمة السلام . ولذلك كانت تحيتنا عند اللقاء السلام ، ووداعنا عند الفراق السلام . وأقدس ليالينا ليلة القدر التى أنزل القرآن فيها تميزت بالسلام قال تعالى : **« سلام هى حتى مطلع الفجر »**

ألا فليعلم هؤلاء أن ديننا دين التسامح دين الاخاء يدعونا الى احترام جميع الأديان السماوية السابقة ويكفر من لايؤمن بواحد من الأنبياء السابقين مهما أحب محمدا عليه السلام قال تعالى « آمن الرسول بما أنزل اليه من ربه والمؤمنون كل آمن بالله وملائكته وكتبه ورسله لانفرق بين أحد من رسله » وأن رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول « من آذى ذميا فقد آذانى » .. وهذا سيدنا عمر ابن الخطاب يرى شيخا ذميا يتسول فيقدم اليه معتذرا ويقول « ما أنصفناك لو أخذنا منك الجزية شابا وأضعناك شيخا » ثم يأمر بأن يرتب له من بيت المال ما يكفيه .

وديننا دين التسامح ودين الاخاء يجعل معابد الأديان الأخرى متساوية فى الحرية والقدسية مع مساجدنا قال تعالى « ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض لهدمت صوامع وبيع **وصلوات ومساجد يذكر فيها اسم الله كثيرا »** وهذا سيدنا عمر بن الخطاب تحضره الصلاة وهو يزور كنيسة القيامة ببيت المقدس فيخرج ويصلى فى الفسحة الواقعة أمام مدخل الكنيسة .. ولما سئل لماذا لا يصلى فى مدخل الكنيسة قال ان الله يقول : « فأينما تولوا فثم وجه الله» وأجاب أنه كان باستطاعته أن يصلى داخلها ولكنه خشى أن فعل أن يأتى يوم يطالب فيه المسلمون بالمكان الذى صلى فيه عمر .

وديننا يحافظ على مال الذميين والمعاهدين، فيحرم الخمر والخنزير على المسلمين لكنه لايفرض هذه الحرمة وهذا المنع على غير المسلمين من رعايا الدولة . ويوجب على المسلمين حماية هذا المال بالنسبة للذميين . فلو أتلف أحد المسلمين خمرا أو خنزيرا لمسلم فلا عقاب عليه اسلاميا ولا تعويض ، لأنه مال لاقيمة له فى نظر الاسلام . أما اذا أتلف أحد المسلمين ذلك لذمى فان الاسلام يفرض عليه العقاب والتعويض ، لأنه فى دين أهل الكتاب مال له قيمته. ولن تجد كتابا يدافع عن الأطهار وعن عصمة مريم كما دافع القرآن ومن أراد التذكر فليراجع سورة مريم والقرآن يقول : **« هو الذى أرسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون »** انما يقصد الى تبيان أن الرسالات التى سبقت الاسلام كانت مناسبة لحاجات البشر فى العصور السابقة فلما تطورت البشرية جاء الاسلام أكثر شمولا لمطالب الانسانية التى جدت بعد الأنبياء السابقين . فالله قدم للناس الهداية على مراحل تتفق مع تطور غرائز الانسان وطبائعه ووعيه . فموسى تلقى رسالته من ربه « **اذهب الى فرعون انه طغى** » فكانت شريعة (العين بالعين والسن بالسن) فلما تمادى بنو اسرائيل فى الفتك وتمزيق بعضهم البعض أرسل الله اليهم عيسى حاملا شعار التسامح الذى يصلح من شأنهم (من

ضربك على خدك الأيمن فأدر له خدك الأيسر) وقال ما جئت لأنشىء انما جئت لأكمل .

ثم لما تطورت البشرية ونما وعيها جاءت الشريعة الاسلامية تدعو الى الاقناع والتسامح حين يكون الانسان قادرا قال تعالى : « ولا تستوى الحسنة ولا السيئة ادفع بالتى هى أحسن فاذا الذى بينك وبينه عداوة كأنه ولى حميم » ، وما يلقاها الا الذين صبروا وما يلقاها الا ذو حظ عظيم » وختم الله الرسالات فقال « اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتى ورضيت لكم الاسلام دينا » .

الأمر الثالث : الذى قرره الاسلام أنه سوى بين الناس جميعا فى العبادة وفى الحقوق العامة : فالاسلام لايعترف فى الحياة بشىء من التمايز بين الناس الا بالقدر الذى يقدمه الانسان لمجتمعه ووطنه ودينه فيقول صلى الله عليه وسلم « الخلق كلهم عيال الله وأحبهم اليه أنفعهم لعياله » فالاسلام أمرنا بالعمل فقال صلى الله عليه وسلم « اعمل لدنياك كأنك تعيش أبدا واعمل لآخرتك كأنك تموت غدا » وأوصى بالعامل وبين حقوقه فكان رسول الله عاملا فى مهنة أهله وكان يأكل مع خادمه ويطحن عنه . وبين حق العامل حين حكى أن ثلاثة من بنى اسرائيل أدركهم الليل فدخلوا مغارة فنزلت صخرة سدت باب المغارة فدعا الأول الله وكان بارا بوالديه ، ودعا الثانى ربه وكان حفيظا على الأعراض ولكن تزحزحت الصخرة بحيث لايستطيعون الخروج حتى قال الثالث اللهم اننى قد استأجرت أجيرا عمل معى ثم ترك أجره وانصرف فثمرته له ، فلما حضر قلت له كل ما ترى من الغنم فهو لك — فانفرجت الصخرة .

وقال صلى الله عليه وسلم من أمسى كالا من عمل يده أمسى مغفورا له .

أما المساواة فى الاسلام ، فالاسلام يطالب بالمساواة النسبية لا المثلية فان المساواة المثلية مستحيلة لأن الله لم يخلق الناس متساوين فى الطول والقصر والادراك .

فالاسلام ساوى بين الخادم والمخدوم والغنى والفقير والمالك والعامل فى الكرامة الانسانية والحقوق العامة قال تعالى « يأيها الذين آمنوا لايسخر قوم من قوم عسى أن يكونوا خيرا منهم ولا نساء من نساء عسى أن يكن خيرا منهن ولا تلمزوا أنفسكم ولا تنابذوا بالألقاب » وقال صلى الله عليه وسلم: « الناس سواسية كأسنان المشط ، وفى الحديث القدسى : « الجنة لمن أطاعنى ولو كان عبدا حبشيا والنار لمن عصانى ولو كان شريفا قرشيا » .

ويقول عمر بن الخطاب : « متى استعبدتم الناس وقد ولدتهم أمهاتهم أحرارا » وهذا جبلة بن الأيهم ملك غسانى يطوف بالكعبة ، ويدوس اعرابى طرف ردائه فيلطمه على وجهه فيشكوه الاعرابى الى سيدنا عمر بن الخطاب فيقول لجبلة لابد أن يلطمك الاعرابى كما لطمته فيقول : كيف ذلك وأنا ملك وهو سوقه فيقول له « الاسلام ساوى بينكما » .

وهذا سيدنا عمر يقيم حد الزنا على ولده أمام الناس فيقول له ولده ناشدتك الله ياأمير المؤمنين ألا قطعتنى اربا اربا ، ولا تفضحنى عند المسلمين . فيقول له الخليفة العادل الذى جعل عاطفة العدالة فوق عاطفة البنوة — وماذا أصنع فى قول الله « وليشهد عذابهما طائفة من المؤمنين) ثم نفذ عليه الحد أمام الجميع .

وهذا على بن أبى طالب سأله أخوه عقيل فى خلافته أن يزيد فى حصته من بيت المال حتى يقوم بحاجة أولاده الكثيرين ، فطلب منه أن يحضر له مساء . فلما حضر قال له خذ هذا . وأشار الى شىء فى الأرض ، وظنه عقيل جرة فيها مال فأمسك بها فاذا هى جمرة تكوى أنامله . فقال لعلى بئس ما جزيت به أخاك وبنى أخيك أسألك مالا فتعطينى جمرة ، فيقول له على اذا كنت قد فزعت من جرة أحماها صبى للكعبة فكيف تريد أن تقذفنى فى نار سعرها جبار لغضبه .

وباسم حرية الرأى فى الاسلام يقف عمر ابن الخطاب ليخطب فيقول : أيها الناس اسمعوا وأطيعوا فيقول عربى بدوى رث الثياب لا سمع ولا طاعة . فيسأله ولماذا أيها الأخ - فيتهمه بأنه وزع على كل محارب حبرة ، من الحبرات التى غنمها فى معركة اليمامة وأنه حاول ان يجعل له من حبرته ثوبا فلم تكف مع أنه متوسط الجسم ولكنه يرى الخليفة يتمتع بثوب من الحبرات مع أنه فارع الجسم فيطلب عمر من ولده عبد الله أن يجيبه ، فيذكر عبد الله فى المسجد للمسلمين جميعا أنه تنازل عن نصيبه فى الغنيمة لوالده، فعجل من الحبرتين معا ثوبا له فيقف الاعرابى بعد الاقتناع معلنا الآن سمعا وطاعة .

الأخوة الاسلامية : وان ديننا ليأمرنا بالوحدة ويؤكد الأخوة وينادى بالمساواة فيقول تعالى « وان هذه أمتكم أمة واحدة » « واعتصموا بحبل الله جميعا ولا تفرقوا » « انما المؤمنون أخوة » .

ولذلك يقول الرئيس جمال عبد الناصر فى كتابه فلسفة الثورة : حين أسرح بخيالى نحو ثمانين مليونا من المسلمين فى أندونيسيا وخمسين مليونا فى الصين وبضعة ملايين فى الملايو وسيام وبورما وما يقرب من مائة مليون فى باكستان وأكثر من مائة مليون فى الشرق الأوسط وأربعين مليونا داخل الاتحاد السوفيتى وملايين غيرهم فى أرجاء الأرض المتباعدة . حين أسرح بخيالى الى هذه المئات من الملايين الذين تجمعهم عقيدة واحدة ، أخرج باحساس كبير بالامكانيات الهائلة التى يمكن أن يحققها تعاون هؤلاء المسلمين جميعا ، تعاون لايخرج عن حدود ولائهم لأوطانهم الأصيلة بالطبع ، ولكن يكفل لهم ولاخوانهم فى العقيدة قوة غير محدودة .

ولقد كانت الوحدة قولا وعملا دائما شعار المسلمين والاسلام . فترى الصحابة يهتمون بأمر الخلافة ويجمعون الكلمة على أبى بكر قبل دفن صاحب الرسالة عليه السلام . ونجد أن الاسلام يحثنا على الوحدة قولا وعملا . فجعل لنا عقيدة واحدة وعبادة واحدة وآدابا واحدة .

ا - فالصلاة لدى المسلمين جميعا واحدة . والقبلة للمسلمين جميعا واحدة ولنا فى كل صلاة جماعة مؤتمر ووحدة .

٢ - والحج تكاليفه لنا واحدة وشعاره لنا واحدة نجتمع جميعا فى مكان واحد بملبس واحد حفاة عراة الا من ثياب الاحرام فوق عرفات . وهو مظهر يذكرنا بالبعث فى الحياة الآخرة فى أرض المحشر يوم العرض الأكبر أمام الله العلى الكبير . ونستلم جميعا الحجر الأسود ونقبله مع أنه حجر لايضر ولا ينفع تأكيدا للأخوة والوحدة وقوة الروابط . فالله قد طلب من المسلمين الحج للقادر عليه وطلب منهم أن يتعاهدوا على الخير والعمل لنصرة دينه قال تعالى « وأذن فى الناس بالحج » ولقد جرت عادة الناس فى العهود والمبايعات أن يسلم بعضهم على بعض دليلا على الاخلاص والنية الصادقة ، ولا شك أنه من المتعذر أن يسلم جميع الحجاج بعضهم على بعض فجعلت مصافحة الحجر الأسود بدلا من تلك المصافحات العامة ورمزا لقوة الروابط والود والاخاء والتعاون .

جـ - والزكاة مقاديرها علينا واحدة وأوجه الانفاق واحدة ، واذا ما اديت كما أمر الشرع عن البدن والزرع والمال وعروض التجارة الى جانب الصدقات والكفارات مع الامتناع عن الاسراف والكنز للأموال والربا وغير ذلك من المبادىء الاسلامية لتحققت بذلك سعادة اقتصادية للمجتمع . قال صلى الله عليه وسلم « من أدخل السرور على أهل بيته لم ير الله له جزاء دون الجنة » كما قال « لأن يمشى أحدكم فى حاجة أخيه خير له من أن يعتكف فى مسجدى هذا شهرا » وقال : « لايؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه » وقال :

« أتدرى ما حق الجار عليك ، فاذا استعانك أعنته واذا استقرضك أقرضته ، واذا افتقر عدت عليه ، واذا مرض عدته واذا أصابته سراء هنأته واذا أصابته مصيبة عزيته واذا مات اتبعت جنازته ، ولا تستطيل عليه بالبنيان فتحجب الريح عنه الا باذنه ولا تؤذه بريح قدرك الا أن تغرف له منها ، واذا اشتريت فاكهة فاهد له منها والا فأدخلها الى بيتك سرا ولا يخرج بها ولدك ليغيظ ولده » .

والله يفرض على المسلمين صيام شهر واحد معين وجعله معرضا سنويا للمساواة بين الناس جميعا معرضا لمكارم الأخلاق ومحاسن الصفات .

١ - فرمضان يشعر الغنى بأن الاسلام سوى بينه وبين الفقير فى كل شىء حتى فى الجوع فيمد يده اليه بمال الله الذى آتاه ، ويشعر الفقير بأن الغنى أخ له . والله قد ضاعف أجر الانفاق فى رمضان . وكان الصحابة يتبارون فى الانفاق فيه وكان رسول الله فى الجود كالريح المرسلة وكان أجود ما يكون فى رمضان . واذا ما انتهى رمضان وجبت زكاة الفطر فلا يقبل الصيام الا بأدائها حتى يتم حق رمضان .

٢ - ورمضان يوحد بين المسلمين جميعا فى مشارق الأرض ومغاربها فى وقت الطعام والشراب ، وفى وقت الامساك عن الطعام والشراب ، وفى أن تعصم ألسنتهم عن التجريح ، وفى أن تلهج ألسنتهم بالتسبيح ، وفى الاكثار من قراءة القرآن الذى نزل فى هذا الشهر ، ولذا كان رسول الله يكثر من قراءة القرآن فى رمضان . وقال الامام الزهوى من التابعين: اذا دخل رمضان فانما هو تلاوة قرآن واطعام طعام .

٣ - ورمضان يوحد بين المسلمين فى الاحتفال بذكرياتهم المجيدة فيه . فيحتفلون ويتذكرون غزوة بدر الكبرى أولى المعارك الاسلامية التى انتصرت فيها قلة مؤمنة على كثرة كافرة . ويتذكرون غزوة الفتح التى كانت ثمرة الصبر على الايذاء . والتى تحطمت بعدها الأصنام وعبدتها . ويتذكرون ليلة القدر التى فضلها الله وكما اصطفى من الخلق الأنبياء وكما اصطفى أماكن فجعلها مهبط الوحى والرسالات كذلك جعلها من أعظم مراسم رحمته . حيث أنزل فيها القرآن فكانت ليلة عيد بين أهل السماء وأهل الأرض أرسل الله فيها صفوة أهل السماء جبريل الى صفوة أهل الأرض محمد بقرآن فرق بين الحق والباطل قال تعالى « انا أنزلناه فى ليلة مباركة انا كنا منذرين فيها يفرق كل أمر حكيم » وقال تعالى « انا أنزلناه فى ليلة القدر وما أدراك ما ليلة القدر ليلة القدر خير من ألف شهر » وقال تعالى « شهر رمضان الذى أنزل فيه القرآن »

٤ - ومن المعروف أن الانسان عبارة عن عقل ونفس وعظم ولحم وأعصاب وشحم وشرايين وأوردة مغطاة كلها بكيس جلدى ، والصيام يعلى النفس ويزكيها ومتى سمت النفس استيقظ الضمير ، وقويت الأعصاب وهذه الأعصاب لها محطات خمس وهى الحواس الخمس فالسمع والبصر والشم والذوق واللمس وجميع هذه المحطات متصلة بالعقل بواسطة الأعصاب فقوتها تؤدى الى قوة العقل ، ومن المعروف أنه اذا امتلأت المعدة بالطعام والشراب يضغط ذلك على الأعصاب فتتعب وقد يطغى تعبها على المخ فتفسد القوى العقلية ويتبلد الاحساس فى جسم الانسان ويصبح أقرب الى الحيوانية اذ أن الطبقة الدهنية متى كثرت فى جسم الانسان فانها تجعله أقرب الى الحيوان ، وبما أن ضخام الأجسام عرضة للتخمة والتخمة تضغط على

الأعصاب وذلك يؤدى الى ضعف البصر والى طنين فى الأذن يؤدى الى الصمم ولا يصلح ذلك كله الا الصيام ٠

ولذلك يقول الله « لهم قلوب لايفقهون بها ولهم أعين لايبصرون بها ولهم آذان لايسمعون بها أولئك كالأنعام بل هم أضل » اذ أن الأنعام تفقد الاحســـاس لكثرة ما يدخل جوفها من طعام ٠

الصيام درجات : على أن الناس من حيث الصيام أنواع ٠ فصنف يمسك عن الطعـام والشراب والشهوة فحسب ، وهذا الصـوم لايعتبر شيئا مذكورا حيث أن رسول الله قال « كم من صائم ليس له من صومه الا الجوع والعطش » وصنف يمسك عن ذلك مع صيام الجوارح كلها عن ارتكاب المآثم فيمنع يده عن الايذاء ويمنع رجله عن السعى فيما يغضب الله ويمنع لسانه عن قول المنكر والكذب والزور والغبن والنميمة ، ويمنع أذنه عن الاستماع للمفتريات ، ويمنع عينه عن النظر للمحرمات ولذلك يقول صلى الله عليه وسلم « انما الصوم جنـة فاذا كان أحدكم صـائما فلا يرفث ولا يفسق وان امرؤ قاتله أو شاتمه فليقل انى صائم » ، وفى عهد رسول الله صلى الله عليـه وسـلم صامت امرأتان وأجهدهمـا الجوع والعطش فأرسلتا الى رسول الله تستأذنان فى الافطار فأرسل اليهما قدحا وقال قل لهما قيئا ما أكلتما فقاءتا دما ولحما حتى ملأتا القدح » فعجب الناس من ذلك فقال صلى الله عليه وسلم انهما صامتا عما أحل الله لهما وأفطرتا على ما حرم الله عليهمـا فعدت احداهما على الأخرى فجعلتا تغتابان النـاس فهذا ما أكلتاه من لحومهم » وهنالك صنف ثالث يزيد على ماتقدم صـيام القلب وتطهيره عن كل ما لايناسب الايمان فلا يفكر فى الفتن ولا يفكر فى الاثم ولا يتوجه برجاء الى غير الله ولا يحقد ولا يترك الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر ولا يتلاعب بالمصالح العامة ٠ وهذا أسمى درجات الصيام وقد روى جابر عن أنس رضى الله عنـــه أن رسول الله صلى الله عليـه وسلم قال « خمس يفطرن الصائم : « الكذب والغيبـــة والنميمة واليمين الكاذبة والنظرة بشهوة ٠

أسباب تأخر المسلمين : وما حل بنا أيها الأخوة اليـــوم لايرجع الى ديننا انما يرجع الينا ٠ فبهذا الدين انتصر المسلمون الأوائل وهم قلة على دولتى الفرس والروم ٠ وصدق الله حيث قال « كم من فئة قليلة غلبت فئـة كثيرة باذن الله)) ٠((وعد الله الذين آمنو منكم وعملوا الصالحات ليستخلفنهم فى الأرض كما استخلف الذين من قبلهم وليمكنن لهم دينهم الذى ارتضى لهم وليبدلنهم من بعـد خوفهم أمنا » ٠

وما حل بنا أيها الأخوة يرجع الى فسـاد الأخلاق حيث تمسكنا بالدين كتقاليد ٠ كما يرجع الى تقليدنا للأجانب فى كثير من العادات السيئة والى ما أثاره الاســـتعمار فينا من نعرات حزبية وطائفية والى ما لجأ اليـــه من دس رخيص بين المسلمين ٠ كما يرجع فيما يرجع الى أن الاستعمار تحكم فينا فترة طويلة فأفقرنا فى العلم والصناعة والاقتصاد والأخلاق مع أن المسلمين كانوا أساتذة العالم فيعتبر جابر بن عباس أستاذ الكيمياء فى العالم ، وابن سينا أستاذ الجولوجيا والرازى أستاذ طب الحميات وأبو القـاسم القرطبى أشهر جراح اخترع كثيرا من أدوات الجراحة ورسمها فى كتبه ، وترجمت كتب الطب لابن سـينا الى أكثر لغات العالم وظلت مرجعا لأساتذة العالم فى العصر الحديث ٠ ومن المعروف أن المسلمين نبغوا فى الكيمياء والميكانيكا والفلك فاخترعوا بارود المدافع ليسهل الانفجـار واستخدموا البوصلة فى الملاحة قبـل غيرهم ٠ كما أنهم مخترعوا الجبر والهندسة ٠

نسأل الله القائل « وان هــذه أمتكم أمة واحدة » أن يجمع على الوحدة أمتنا الاسلامية تحت ظل الحرية والاستقلال والتقدم والعلم ٠

أثر الاسلام

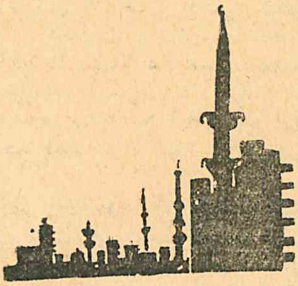

الأستاذ محمد عطية الابراشى

الدستور الاسلامى :

كان العرب يقيمون فى الصحارى العربية متنافرين متعادين خارجين على النظام . لم يخضع سكان تلك الصحارى قانون ، ولم يجمع كلمتهم أحد ، فوجد الاسلام بينهم ، وأنشأ لهم قانونا ، وشريعة هى الشريعة الاسلامية ، ودستورا هو القرآن الكريم والسنة ، ذلك الدستور الذى يكفل لهم كل سعادة وفلاح ، لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه .

أثر الاسلام :

جاء الاسلام فقضى على عبادة الأوثان والأصنام بين العرب ، وطهر قلوبهم من الأوهام الباطلة ، والأفكار الزائفة ، فأصبح المسلم حرا يخضع لله وحده لا شريك له ، ولا يخضع للكهنة والعرافين ، والأحجار والأشجار ، ولا لما يتوارث عن الآباء من العقائد السخيفة ، والآراء العقيمة . وقد أمر الرسول عليه الصلاة والسلام بجعل عبادته لله وحده : ((أن صلاتى ونسكى ومحياى ومماتى لله رب العالمين . لا شريك له ، وبذلك أمرت وأنا أول المسلمين)) .

وبالاسلام قد تحول البدوى من شخص غير مهذب الى انسان كريم الأخلاق ، مهذب النفس ، سامى العواطف ، رقيق الشعور ، يتألم للانسانية المعذبة التى كانت تئن تحت سيطرة الفرس والروم ، وتستغيث بالله ، كى ينقذها من العبودية والاستعباد ، ويخلصها من الظلم والاستبداد . وبعد أن أسلم ذلك البدوى حملته عواطفه الاسلامية على أن يضحى بنفسه وماله فى سبيل انقاذ الانسان المظلوم من الانسان الظالم . لقد أثر الاسلام فى نفسه تأثيرا سحريا ، حتى استحال بين عشية وضحاها من حال سىء الى أحسن حال ، فسبحان الحكيم القادر على كل شىء .

وقد ازال الاسلام ما كان بين العرب من أحن ورذائل ، وألف بين قلوبهم ، فأصبحوا بنعمته اخوانا متحابين متعاونين ، بعد أن كانوا أعداء متقاتلين . وقضى على تلك الرذيلة التى كانت منتشرة بين العرب ، وهى وأد البنات ، خشية من العار ، أو فرارا من النفقة . وصاروا من أهل الحق ((الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه)) ويميزون الخبيث من الطيب ، والغث من السمين ، فيقبلون الحسن ، ويتركون القبيح .

كان العرب فى فوضى دينية ، وفوضى سياسية ، فجمعهم الاسلام على دين واحد ، هو توحيد الله ، وجمعهم على رئيس واحد هو رسول الله ، وخلفاؤه من بعده . وقد حررهم الاسلام من محاكاة آبائهم الأولين فى آرائهم وعباداتهم ، وجعلهم مستقلين فى ارادتهم وعقيدتهم وأفكارهم . ولا كمال للانسان الا اذا كان حرا فى ارادته، مستقلا فى رأيه وفكره .

وقد نشر الاسلام العدالة والمساواة بين العامة والخاصة ، والمرءوسين والرؤساء ، وجعلهم سواسية فى الحق ، لا تفاوت بينهم الا بتفاوت أعمالهم الصالحة — فالناس سواسية كأسنان المشط ، لا فضل لعربى على عجمى الا بالتقوى .

الاخوة الاسلامية :

كان العرب قبل الاسلام يشنون الحروب ، ويسفكون الدماء لاتفه الاسباب ، ولكنهم بعد أن اسلموا تهذبت نفوسهم ، وقويت رابطة الأخوة بينهم ، وأصبح المسلم أخا للمسلم ، يحب له ما يحب لنفسه ، ويكره له مايكره لنفسه ، عملا بقوله صلى الله عليه وسلم : ((لا يؤمن أحد كم حتى يحب لاخيه ما يحب لنفسه)) .

وقد طلب الأنصار من المهاجرين أن يقتسموا معهم أموالهم ، حتى يكمل ايمانهم ، ويشاركوهم شعورهم . وانتشر بين المسلمين روح الأخوة والمحبة والوئام ، وزالت بواعث الثأر والانتقام ، وانتهت عبادة الأوثان والأصنام . واختفى من الأمة الاسلامية الربا ، وشرب الخمر ، ولعب القمار ، فقد حرمها الاسلام تحريما قاطعا ، فأغلق منافذ الشر ، والأبواب التى تؤدى الى ضياع المال وفساد العقل والخلق ، فجمع للانسان التفكير الحر ، والارادة المستقلة ، والعقل المفكر ، والطباع المستقيمة ، والسجايا الصالحة ، فعمت الفضيلة ، وذهبت الرذيلة ، وانتشرت العلوم والمعارف ، بعد الجهل والجاهلية ، فقد شجع الاسلام العلم والتعليم والبحث لفهم أسرار الكون ، ومعرفة الخالق جل شانه .

يقول الفيلسوف الانجليزى (توماس كارليل) يصف الأمة العربية بعد الاسلام :

((قوم يضربون فى الصحراء لا يعتنى بهم عدة قرون . فلما جاءهم النبى العربى ، صاروا قبلة الانظار فى العلوم والمعارف ، وكثروا بعد أن كانوا قليلين ، وعزوا بعد أن كانوا أذلاء . ولم يمض قرن بعد الاسلام حتى استضاءت أطراف الأرض بعقولهم وعلومهم)) .

جاء الاسلام فخلق الأمة الاسلامية خلقا جديدا ، وبث فيها مراعاة حقوق الجار والصدق فى القول ، وأداء الأمانة ، وصلة الرحم ، وبر الوالدين ، والعطف على اليتيم والفقير والمسكين وابن السبيل ، وضبط النفس ، والحلم وكظم الغيظ ، والعفو عن المسىء ، والعدالة فى الحكم ، واجتناب الظلم ، والأمر بالمعروف والنهى عن المنكر ، وحب الاحسان والايثار ، والتعاون على فعل الخير ، والتسابق فى عمل البر والخوف من الله فى السر والعلانية .

العرب فى الجاهلية والاسلام :

ومن اجابة جعفر بن أبى طالب للنجاشى امبراطور الحبشة ، وقد سأل المهاجرين عن وصف الاسلام - نرى الفرق بين العرب فى الجاهلية والاسلام .

قال جعفر : ((كنا قوما أهل جاهلية ، نعبد الأصنام ، ونأكل الميتة ، ونأتى الفواحش ، ونقطع الأرحام ، ونسىء الجوار ، ويأكل القوى منا الضعيف ، فكنا على ذلك حتى بعث الله الينا رسولا منا ، نعرف نسبه وصدقه ، وأمانته وعفافه ، فدعانا الى الله لنوحده ونعبده ، ونخلع ما كنا نعبد نحن وآباؤنا من دونه من الحجارة والأوثان وأمرنا بصدق الحديث ، وأداء الأمانة ، وصلة الرحم ، وحسن الجوار ، والكف عن المحارم والدماء ، ونهانا عن الفواحش ، وقول الزور ، وأكل مال اليتيم ، وقذف المحصنة ، وأمرنا أن نعبد الله وحده لا نشرك به شيئا . وأمرنا بالصلاة والزكاة والصيام فصدقناه وآمنا به .. فعدا علينا قومنا فعذبونا ، وفتنونا عن ديننا ، ليردونا الى عبادة الأوثان من عبادة الله تعالى ، وأن نستحل ماكنا نستحل من الخبائث ، فلما قهرونا وظلمونا وضيقوا علينا ، وحالوا بيننا وبين ديننا خرجنا الى بلادكم)) .

وفى هذه الاجابة وصف دقيق للعرب وأخلاقهم قبل الاسلام ، وأثر الاسلام فى العرب بعد أن أعتنقوه عن ايمان وعقيدة . وهو وصف موجز لفضائل الاسلام ومبادئه المثالية .

المساواة بين الأمة الاسلامية :

وبأنتشار الاسلام سادت المساواة بين الأمة الاسلامية وزالت التفرقة العنصرية ، فهو لم يميز طائفة على أخرى ، ولم يفكر فى اللون أو الجنس ، فالله قد خلق الناس جميعا ، وجعلهم شعوبا وقبائل ليتعارفوا ويتعاونوا ولم يختص جنسا من الأجناس أو شعبا من الشعوب بمزايا خاصة ، وفضائل معينة ، فلا تفاوت ولا تفاضل الا بالعمل الصالح ، والعقل المفكر ، والقلب الطاهر ، والعبادة الخالصة لوجه الله ، ولا فرق بين أسود وأبيض ، ولا تمييز بين عربى وغير عربى الا بالتقوى لقوله تعالى : ((يأيها الناس انا خلقناكم من ذكر وأنثى ، وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا ان أكرمكم عند الله أتقاكم)) . وقوله جل شأنه : ((انما المؤمنون اخوة)) . وقوله صلى الله عليه وسلم ((كلكم بنو آدم ، وآدم خلق من تراب ، ولينتهين قوم يفخرون بآبائهم ، أو ليكونن أهون على الله من الجعلان)) وقوله فى مناجاته لربه : ((وأنا شهيد أن العباد كلهم اخوة)) . وقوله : ((الخلق كلهم عيال الله . فأحبهم الى الله أنفعهم لعياله)) .

وبالاسلام زالت العصبية التى كانت منتشرة فى الجاهلية ، وتخلص المسلمون من الطائفية ، وأصبحوا كاسرة واحدة ، متعاونة متآلفة ، قال تعالى : ((وتعاونوا على البر والتقوى ، ولا تعاونوا على الاثم والعدوان)) وقال عليه الصلاة والسلام : ((ليس منا من دعا الى عصبية ، وليس منا من قاتل على عصبية ، وليس منا من مات على عصبية)) وقال : ((المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضا)) ثم شبك بين اصابعه .

واصبح كل مسلم مسئولا عن رعيته لقوله صلى الله عليه وسلم - وقد رواه عبد الله بن عمر رضى الله عنهما - : ((كلكم راع وكلكم مسئول عن رعيته ، الامام راع ومسئول عن رعيته ، والرجل راع فى أهله وهو مسئول عن رعيته ، والمرأة راعية فى بيت زوجها ومسئولة عن رعيتها ، والخادم راع فى مال سيده ومسئول عن رعيته . قال وحسبت أن قد قال : والرجل راع فى مال أبيه وهو مسئول عن رعيته ، وكلكم راع ومسئول عن رعيته)) .

ولما بثه الاسلام من العدالة وروح الديمقراطية كان المسلم يخاطب الخليفة كما يخاطب أى فرد من المسلمين ، فقد حدث أن قال رجل لعمر بن الخطاب : اتق الله يا أمير المؤمنين . فقال له رجل آخر : أتقول لأمير المؤمنين اتق الله ؟

فقال عمر : ((دعه ، فليقلها لى . نعم ما قال . لا خير فيكم اذا لم تقولوها لنا . ولا خير فينا اذا لم نقبلها منكم)) .

بعضكم من بعض

الأستاذ ناصر محمد عطية

يحرص الاسلام دائما ويعتز بأن يعلن ويؤكد انه دين المساواة والحرية والكرامة الانسانية ، والاخوة ، دين العدل ، دين الحق ، دين التعاون ، والتآلف والود والمحبة ذلك لانه ـ اى الاسلام ـ جاء فوجد المجتمع البشرى يموج بالوان شتى من الاستعلاء والتكبر ، والطبقية ، والظلم الاجتماعى ، والتعصب .

فعند الرومان كان الشعب ينقسم الى طبقتين طبقة الاشراف وطبقة العامة والاولى تتمتع بجميع المزايا ، اما الثانية فهى مستذلة ، لايستطيع فرد منها أن يسافر ولا ان يتزوج ولا ان يدين بشىء والا أن يبدى رايه الا باذن سيده والا فالجلد والعذاب الاليم والفرس لم يكن لهم قانون واحد يحكمهم بل كان الاكاسرة والامراء والوزراء يحكمون باهوائهم . ويعتقدون انهم آلهة حتى ذل الشعب وهان لطول الخضوع والسيطرة اما العرب فكانوا قبائل متفرقة ، يتمدحون بشن الغارات ، والعدوان ، والغلبة والقهر ، ينتشر بينهم التعصب ، والتفاخر بالحسب والنسب وهذا يبدو واضحا فيما خلفوه من تراث ادبى وتاريخى . وهذا هو شاعرهم يقول :

ترى الناس ان سرنا يسيرون حولنا
وان نحن أومانا الى الناس وقفوا

ونشرب ان وردنا الماء صفوا
ويشرب غيرنا كدرا وطينا

اذا بلغ الرضيع لنا فطاما
تخر له الجبابر ساجدينا

والخلاصة أن الاسلام قبل أن تبزغ شمسه ، ويشرق نوره كان العالم فى ظلام دامس ، وليل حالك يقاسى من العنصرية والطبقية ، والسيطرة ، والاحتكار والاقطاع والاستغلال ، ليس فيه مكان للتماسك الاجتماعى ، والتعاون والاخاء ، والمساواة ، والحرية .

فكان أهم مبدأ ، واسمى قانون اصر الاسلام على اعلانه ، وتبيانه ، وتوضيحه وتفصيله والالحاح عليه أنه لا طبقية ، ولا عنصرية ، ولا فروق ولا فضل لعربى على عجمى الا بالتقوى ، وان الناس جميعا سواسية ، وان من ابطأ به عمله لم يسرع به نسبه ، وان المجتمع الاسلامى مجتمع تتكافأ فيه الفرص ، وترفرف عليه راية العدل والامن والسلام والاخاء ، وانه يمقت التعصب والتكبر والاحتكار واكتناز الاموال واغتصابها اقرا معى :

« انما المؤمنون اخوة » . « يايها الناس انا خلقناكم من ذكر وانثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا ان اكرمكم عند الله أتقاكم » « أيها الناس كلكم لآدم وآدم من تراب .. » « لو سرقت فاطمة بنت محمد لقطعت يدها » « والذين يكنزون الذهب والفضة ولا ينفقونها فى سبيل الله فبشرهم بعذاب اليم » « يايها الذين آمنوا لا يسخر قوم من قوم عسى أن يكونوا خيرا منهم .. » وتعاونوا على البر والتقوى ولا تعاونوا على الاثم والعدوان « من كان عنده فضل ظهر فليعد به على من لاظهر له »

وبهذه المبادىء القويمة السليمة والاحكام السديدة الرشيدة استطاع الاسلام فى مدة قصيرة ان يكون دولة وأن يخلق أمة ، وان يوجد المجتمع الاسلامى الموحد الحى النابض الناهض ، وأن ينطلق من الجزيرة العربية شرقا وغربا حاملا مبادئه وناشرا احكامه التى رحبت بها الشعوب ووجدت فيها الدواء الناجع لامراضها والواحة الظليلة الوارفة التى تستروح فيها من العذاب والضنى والهوان .

وبهذا استطاع الاسلام أن يقضى على الوان التعصب والطبقية والاحتكار وان يرفع راية العدل وعلم الايمان رفافا خفاقا يضم فى احضانه كل المؤمنين على السواء الضعفاء والاقوياء ، والاغنياء والفقراء .

حتى استقامت دولة غراء شامخة البنساء
العدل فيها والتضامن والتعاون والاخاء
والامر شورى والضعيف مع القوى على السواء
والحكم فيها للعفيف وليس حق الاغنياء

لم ينتصر المسلمون بقوة عددهم ولا بكثرة عددهم ، فان غيرهم كان اكثر عددا وعده وانما انتصروا بهذه المبادىء التى تكرم الانسان ، وتؤمن بكل البشر ، وبكل

الاجناس وتبعد كل ما من شأنه أن يفتت المجتمع او يضعفه .. « لو أنفقت ما فى الارض جميعا ما الفت بين قلوبهم ولكن الله الف بينهم انه عزيز حكيم »

الاسلام يقف بكل قواه ، مع الشعوب والجماهير الكادحة العاملة ويقرر فى وضوح أن المسلم اخو المسلم لايظلمه ولا يحقره ، ولا يخذله .. كل المسلم على المسلم حرام دمه وماله وعرضه .

بل انه يحترم أهل الكتاب ويضمن لهم الحياة الكريمة فى أرضه ، وتحت سمائه « لاينهاكم الله عن الذين لم يقاتلوكم فى الدين ولم يخرجوكم من دياركم أن تبروهم وتقسطوا اليهم ان الله يحب المقسطين » وقصة عمر مع اليهودى الذى وضع عنه الجزية وقال : حرام أن نأكل شبيبته ونضيعه فى شيبته .

وقد حاول الاغنياء فى عهد النبى صلى الله عليه وسلم أن يحتفظوا بأماكنهم وأن يظلوا فوق القمم ، وأن يحتفظوا بامتيازاتهم ، فرفضوا المساواة وطلبوا من النبى عليه السلام أن يطرد الفقراء من مجلسه فكان هذا التوجيه الالهى الكريم « ولا تطرد الذين يدعون ربهم بالغداة والعشى يريدون وجهه ماعليك من حسابهم من شىء وما من حسابك عليهم من شىء فتطردهم فتكون من الظالمين .. »

بل ان الله تبارك وتعالى عاتب نبيه لانه أشتغل عن استقبال ابن أم مكتوم بأحد الاغنياء فقال تعالى « عبس وتولى أن جاءه الاعمى ، وما يدريك لعله يزكى أو يذكر فتنفعه الذكرى .

والرسول عليه السلام يقول لابى هريرة حين اراد أن يحمل عنه بعض متاعه « صاحب الشىء احق بحمله . ويقول لاصحابه فى سفر وقد ذبحوا شاة انا على جمع الحطب ولما قالوا له نكفيك العمل يارسول الله قال لهم : ان الله يكره أن يرى عبده متميزا بين أصحابه ويقول أبو بكر فى أول خطاب له « انى وليت عليكم ولست بخيركم . ويقول عمر لعمرو بن العاص : متى استعبدتم الناس وقد ولدتهم امهاتهم أحرارا .

وقد شكا رجل على ابن أبى طالب الى عمر فقال عمر : قم يا أبا الحسن فقف بجانب خصمك فتغير وجه على . ولما انصرف الرجل سأله عمر عن سبب تغيره . فقال لقد كنيتنى ياأمير المؤمنين وكان عليك أن تنادينى باسمى المجرد .

والاسلام لايعرف مجتمع النصف فى المائة ، لايعرف مجتمع الاقطاع والاستغلال والظلم الاجتماعى ، وتسخير الفلاح ، واغتصاب الاجير ، لايقر الاسلام أن تتمتع فئة قليلة بمال الشعب وأن تنهب ثروته ، وجهده ، وأن تحتكر لنفسها الخير والثروة والجاه والنفوذ والسلطان وتترك للشعب الجوع ، والضياع وسقط المتاع « ويل لكل همزة لمزة الذى جمع مالا وعدده ، يحسب أن ماله أخلده كلا لينبذن فى الحطمة » « أن الانسان ليطغى ان رآه استغنى .. « من اغتصب شبرا من ارض طوقه الله من سبع أرضين يوم القيامة » « من اقتطع مال امرىء مسلم بغير حق لقى الله عز وجل وهو عليه غضبان »

يقول الميثاق واصفا المجتمع قبل الثورة « كان الاقطاع يملك حقوله ويحتكر لنفسه خيراتها ، ولا يترك للملايين الفلاحين العاملين عليها غير الهشيم الجاف المتخلف بعد الحصاد ، وكان رأس المال يمارس الوانا من الاستغلال للثروة المصرية بعد ما استطاع السيطرة على الحكم وترويضه لخدمته »

هكذا كان المجتمع قبل الثورة فئة قليلة تنعم بالخير كله . وبالمال كله ، وتنفقه فى لياليها الحمراء ، وشعب بأسره يشرب كئوسا مترعة من الحرمان والهوان ، ويسقى الارض من دمه وعرقه ودموعه ، وغيره يجنى الثمار والازهار ، ويسخر من كل القيم ويدوس كل الفضائل وينتهك كل الحرمات دون ضمير يردعه أو دين يمنعه .

وحولنا الآن فى الشرق العربى صورة واضحة مكررة لمجتمع العربى فالمجتمع العربى ، والشعب فى السعودية مثلا يعيش حافيا عاريا ، مريضا جاهلا محروما مظلوما وحكامه الذين يزعمون أنهم حماة الاسلام يمتصون دمه ويسرقون ثروته ، ويدوسون كرامته ، ويبنون لانفسهم من جماجمه وعظامه القصور ، والعمارات ، والسيارات ويتركونه فوق التراب ومع الذباب والضباب .

انه لمن المضحك والمؤلم معا أن يزعم حكام السعودية انهم حماة الاسلام ، وخلفاء محمد عليه السلام وهم ابعد الناس عن الدين ، وأكثرهم جهلا بمبادئه وأحكامه ونظامه فالدين يكفل لكل المسلمين العزة والكرامة ويحرم الاغتصاب ، والاحتكار ، ونهب أموال الشعب واستغلاله وتركه يعانى من الآلام ، ويعيش فى الظلام ويركع تحت الاقدام وحكام السعودية بين الاضواء ، والجوارى والنساء ان الاسلام يقول : من كان عنده طعام اثنين فليذهب بثالث ، ومن كان عنده طعام أربعة فليذهب بخامس أو سادس . وقد صح أن النبى عليه السلام حمى أرضا يقال لها « البقيع » لترعى بها خيل المسلمين وحمى عمر أيضا أرضا بالربذة وجعلها مرعى لجميع المسلمين فجاء أهلها يقولون يا أمير المؤمنين انها بلادنا قاتلنا عليها فى الجاهلية ، وأسلمنا عليها فى الاسلام علام تحميها ؟ فاطرق عمر ثم قال : المال مال الله والعباد عباد الله والله لولا ما أحمل عليه فى سبيل الله ماحميت من الارض شبرا فى شبر »

ومن المقرر فى الفقه الاسلامى أن الاحتكار غير جائز « كان لسمرة بن جندب نخل فى بستان رجل من الانصار فكان يدخل عليه هو وأهله فيؤذيه فشكا ذلك الانصارى الى رسول الله صلى الله عليه وسلم مايلقاه من سمره فقال الرسول عليه السلام لسمرة بعه فأبى ، قال فاقطعه فأبى ، قال هبه ولك مثلها فى الجنة فأبى فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم أنت مضار وقال للانصارى اذهب فاقلع نخله « فهذا انتزاع الملك جبرا عن صاحبه حين أدت ملكيته الى ضرر جاره فكيف اذا أدت الى ضرر المجتمع .

وقد قاسم عمر ولاته نصف أموالهم وهم من كبار الصحابة كأبى هريرة وعمرو بن العاص وابن عباس وهذا انتزاع للمال حين اقتضته المصلحة .

وخص الرسول عليه السلام المهاجرين فى غزوة من الغزوات بالغنائم لفقرهم وفى ذلك يقول الله تعالى . « كيلا يكون دولة بين الاغنياء منكم » .

وقد كانت الثورة رحيمة بالاقطاعيين والمستغلين والانتهازيين والمحتكرين فتركت لهم مايكفل العيش الكريم والحياة العزيزة ، ولكنهم لم يقدروا للثورة رحمتها بهم فحاولوا مرة اخرى أن يقصدوا تيار الثورة وأن يعوقوا تقدمها ، وان يدمروا مكاسبها ، وانتصاراتها وأن يستخدموا مال الشعب فى تدبير المؤامرات فكان على الثورة أن تسترد منهم أموال الشعب التى نهبوها ، واغتصبوها وحاولوا بها أن يقضوا على انتصاراته ، ومكاسبه « وما ظلمناهم ولكن كانوا انفسهم يظلمون »

الجهاد الفكرى فى الإسلام

الأستاذ أحمد المصلحى المغازى

١ ـ للجهاد الفكرى فى تاريخ الاسلام ، صفحات حافلة بالمفاخر والأمجاد ، زاخرة بالأصالة والنبوغ ، قائمة على الاقناع ، واظهار الحق ، وبيان ما فى الدعوات الباطلة ، والتيارات المنحرفة ، من خداع وزيف ، فهو قرين الجهاد الحربى فى الاسلام ، هذا الذى يهدف الى حرية العقيدة ، بالقضاء على الطواغيت التى تسلب الحريات ، وتضطهد الأحرار ، وتشد الحصيف من الآراء والأفكار ، وتفتن المؤمنين عن عقيدتهم ، بالقهر والبغى ، كما يفهم من قوله تعالى ، بعد الاذن للمسلمين بالجهاد الحربى ، ((ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض ، لهدمت صوامع وبيع ، وصلوات ومساجد يذكر فيها اسم الله كثيرا)) . وكما يتضح من قوله تعالى : ((وقاتلوهم حتى لا تكون فتنة)) .

وكذلك كان هدف الجهاد الفكرى فى الاسلام ، ازالة اللبس ، وكشف الزيف ، وتبديد السحب الكثيفة ، التى يصطنعها المغرضون ، فتحجب أشعة الشمس عن العيون ، وتحول دون نفاذ الايمان الى القلوب ، وبدهى أن الاسلام ـ وهو دين العقل والفكر ، الذى يحارب التقليد بغير دليل أو برهان ـ لابد أن يكون فى تاريخه، للجهاد الفكرى صولات ، وللحجة والبرهان ، وافحام الخصوم كبير مجال ، لاسيما وأن هؤلاء المجاهدين ، يترسمون فى ذلك منهج القرآن الكريم ، فى دحض الشبهات ، بالحجة البالغة ، التى لا يتمارى فيها العقلاء ، ولا يحاول انكارها المنصفون ، وأمثلة ذلك فى القرآن الكريم كثيرة ، ذكر بعضها الامام أبو الحسن الأشعرى ، فى رسالته ((استحسان الخوض فى علم الكلام)) وهو يقيم الدليل على أن الجهاد الفكرى فى الاسلام ، مستمد من الكتاب والسنة ، يتهدى بمنهج الاسلام الحنيف ، فى الدعوة الى سبيل الله بالحكمة، تلك التى تقضى بازالة الشبهات ، وجلاء الحق ، ((ليهلك من هلك عن بينة ، ويحيا من حي عن بينة)) .

٢ ـ واذا كان الاسلام الحنيف يعلن فى صراحة ووضوح ((لا اكراه فى الدين قد تبين الرشد من الغى)) فذلك لأن تعاليم الاسلام ، جديرة بأن تنفذ الى القلب السليم ، والعقل النزيه ، المتحرر من أغلال الهوى والتعصب ، ومن ثم فرسالة علماء الاسلام ، أن يحفظوا لهذا النبع الاسلامى صفاءه ونقاءه ، بأزالة ما يكدره من كيد الحاقدين ، وافتراء الملحدين ، وهذا ما قام به علماء الاسلام ، وجعلوا حياتهم وقفا على النهوض بهذه الرسالة ، وقد كان ((علم الكلام)) فى تاريخ الفكر الاسلامى ، وليد هذه الحاجة ، وسجل هذا الجهاد ، فهو علم يتضمن الدفاع عن العقيدة الاسلامية، بالأدلة العقلية ، فقد تسربت الى المجتمع الاسلامى ، بعض الآراء التى تثير الشك ، وتهدف الى زلزلة العقيدة ، وفدت عن طريق دخول كثير من أبناء الملل الأخرى فى الاسلام ، ونجمت عن احتكاك المسلمين بأهل الكتاب ، فقام مفكرو الاسلام بالرد على الشبهات التى يفتريها خصومه ، وحاول هؤلاء المفكرون الاسلاميون أن يقدموا لخصومهم ، حججا عقلية ، وبراهين نظرية ، تبدد الشك ، وتظهر الحق .

على أن هذا الصراع قد بلغ أشده ، حينما حاول المجوس من أهل فارس ، مهاجمة العقيدة الاسلامية ، ونشر المانوية والزرادشتية والمزدكية ، فانبرى لهم من المسلمين من يرد على آرائهم ، ويدحض مفترياتهم ، ومن

المعروف أن المهدى الخليفة العباسى ، قد طلب من المتكلمين الرد على الملحدين ، وكون هيئة علمية لمناظرة الزنادقة ، وتأليف الكتب فى تفنيد أدلتهم ، ودحض مزاعمهم ، وقد كان ذلك حين استشرى خطرهم ، واستفحل أمرهم .

٣ – ويجب أن ننظر الى علم الكلام من هذه الناحية، فهو فى جملته دفاع عن الاسلام ، ودحض لمفتريات خصومه ، والتاريخ يؤكد أن هذا الدفاع المجيد عن الاسلام وعقائده ، قد آتى ثماره ، ودخل الاسلام على أثره كثير ممن كان قد خدعهم بريق مذاهب الالحاد فى ذلك الحين ، يقول الدكتور على سامى النشار فى كتابه القيم ((نشأة الفكر الاسلامى)) (فى خراسان كانت المذاهب الهندية والثنوية تهاجم الاسلام فى عنف وقوة من سمنية ومانوية ، فانبرى لها جهم بن صفوان يناقشها ويجادلها ، ويضع أصول الجدل معها ، ويعتنق الاسلام على يديه الكثيرون من أبناء تلك المذاهب ، ويسير على أثره مشيخة المعتزلة ، فيبعثون بدعاتهم الى تلك النواحى) .

وهذا الدفاع وما كان يحيط به من ظروف وملابسات، ويكتنفه من تجرد للدفاع ، وتفان فيه ، يعطينا الدليل، على صادق جهاد هؤلاء المفكرين ، فقد روى صاحب ((الانتصار)) عن ((النظام)) أنه قال حين حضرته الوفاة (اللهم ان كنت تعلم أنى لم أقصر فى نصرة توحيدك ، ولم أعتقد مذهبا من المذاهب اللطيفة الا لأشد به التوحيد ، فما كان منها يخالف التوحيد فانا منه برىء، اللهم فان كنت تعلم أنى كما وصفت ، فاغفرلى ذنوبى، وسهل على سكرة الموت) .

٤ – ومما لا شك فيه أن علماء الكلام ، فى غضون دفاعهم عن الاسلام ، توغلوا فى السير ، وتعمقوا فى البحث ، فزلت أقدام البعض ، ورأى غيرهم من مفكرى الاسلام أن فى هذا السلوك تنكبا عن الفكرة الاسلامية العامة ، التى لا تبيح البحث فى ذات الله عز وجل وصفاته ، والتى تنهى عن الخوض فى القدر ، وذلك لأنها أمور يعجز العقل البشرى عن بلوغ شأو فيها ، فليس لديه الأسباب التى تصل بالباحث فى هذه الأمور الى نتائج ، ولذلك كانت فى الاسلام حقائق توقيفية .

وهذا حق لا مراء فيه ، بيد أن هؤلاء المجاهدين ، لم يبحثوا فى هذه الأمور طوعا ، وانما دعاهم الى ذلك الأخطار الجسيمة ، التى كانت تهدد العقيدة الاسلامية، بما يبثه أعداؤها ، ويفتريه خصومها ، فكانوا يبحثون فى هذه الامور لافحام الخصم ، ودرء الشر ، وهم ازاء ذلك يرون الأمر ضرورة ، وللضرورات مكانتها فى تعاليم الاسلام ، يقول ((الخياط)) فى كتابه ((الانتصار)) عن ((أبى الهزيل العلاف)) ، وعن الأمور التى خاض فى بحثها ، وتعمق فيها : (ان أبا الهزيل قد تاب من الكلام فى هذا الباب ، عند ظن الناس به أنه يعتقده ، وأخبر أنه كان يناظر فيه على البور والنظر ، أخبر بذلك جماعة ثقات لا يتهمون فى أخبارهم ، فليس يحل لأحد قرنه به)) .

٥ – واذا كانت الضرورات تبيح المحظورات ، فان من المقرر فى أصول التشريع الاسلامى أن الضرورات تقدر بقدرها ، واذا كان الخوض فى علم الكلام ، دعت اليه ظروف وملابسات ، فقد كان من الواجب أن يقف الأمر عند هذا الحد ، فلا تعالج هذه البحوث لغير حاجة ، وأيضا لا ينظر اليها منفصلة عن اطارها وظروفها التاريخية ، ولكن اقتحام هذا الميدان ، دون نظر الى أن الاباحة التى تقتضيها الضرورة تنتهى بانتهائها ، أدى الى مناقشات وخلافات بين مفكرى الاسلام ، كان يجب أن يخلو منها علم الكلام ، على أننا نرى أئمة علم الكلام بعد ذلك يدركون هذا الأمر ، فينهون عن الخوض فى علم الكلام والتعرض له ، الا لاسباب تدعو الى ذلك ، كما نجد ذلك لدى الغزالى فى كتابه ((الجام العوام عن علم الكلام)) والشهرستانى فى مقدمة كتابه ((نهاية الاقدام فى علم الكلام)) وكما روى ذلك أيضا عن الفخر الرازى .

أما العقيدة الاسلامية فتدرس فى منابعها الأولى من الكتاب والسنة ، صافية لا تشوبها الآراء الذاتية ، أو الافكار التى أملتها ظروف خاصة ، فتلك أمور لا تصلح فى مجال العقيدة ، التى يجب أن تظل بمنأى عن الشك والاحتمال . ويكون سجل الجهاد الفكرى فى الاسلام – وأعنى به علم الكلام – للمتخصصين فى الدراسات الاسلامية ، ومن يريدون التعرف على جهاد السابقين فى الدفاع عن الاسلام وعقيدته السمحة ، فعلم الكلام لم يكن دراسة مفصلة للعقيدة الاسلامية ، بقدر ما كان دفاعا قويا مخلصا عن العقيدة الاسلامية .

رجل عرف الحق ببصيرته

الدكتور طه الزيني

لقد درج فى مدارج السالكين الى الحق ، حتى استقر أمره على الاسلام

كان مجوسيا ، ثم مسيحيا ، ثم مسلما من أكابر المسلمين ، وناصرا من أعاظم أنصار الاسلام ذلكم هو سلمان الفارسى رضى الله عنه ، الصحابى الجليل ، وصاحب فكرة حفر الخندق حول المدينة يوم غزوة الأحزاب ، وكان الخندق سببا فى هزيمة المشركين وفشل خطتهم فى غزو المدينة .

كان أبوه دهقان قريته « جى » من أعمال أصبهان ببلاد الفرس ، وكان هو أحب خلق الله الى أبيه ، وكان أبوه يتمنى أن يشب ابنه حفيا بالنار عاكفا عليها ، حتى يخلفه فى وظيفته ، فكان يحبسه فى بيت النار حتى لا يخرج ، وحتى يعتادها ويألف الجلوس بجوارها ومناجاتها ، ولكن طبيعة الفتى أنفت من عبادة النار ، وقال فى نفسه : لابد أن تكون هناك عبادة خير من هذه العبادة .

وفى يوم اضطر والده الى ارساله الى ضيعته لينوب عنه فى بعض شأنها ، فمر بكنيسة من كنائس النصارى ، فسمع أصواتهم ، وهم يصلون ، فدخل عليهم ينظر ما يصنعون ، فأعجبته صلاتهم ، وأحب عبادتهم وقال : هذا والله خير مما نحن عليه ، فلم يتركهم حتى غربت الشمس ، وأهمل ضيعة أبيه فلم يذهب اليها ، وقال لهم : أين أجد أصل هذا الدين ؟ فقالوا : بالشام .

فلما رجع الى أبيه سأله أين كان وكيف أهمل ما أرسله من أجله ؟ فقال له : يا أبت مررت بالناس يصلون فى كنيسة لهم فأعجبنى ما رأيت من دينهم ، فبقيت عندهم حتى غربت الشمس ، فقال له أبوه : يا بنى ليس فى ذلك خير ، دينك ودين آبائك خير منه .

فقال له سلمان : كلا ، والله انه لخير من ديننا ، فخاف عليه أبوه من المسيحية ، فجعل فى رجله قيدا وحبسه فى البيت .

فلما خرج والده ، أرسل سلمان الى النصارى الذين فى الكنيسة يرجوهم أن يخبروه اذا قدم عليهم وفد من الشام ، فقدم عليهم تجار من النصارى فأخبروه فأعد عدته للسفر وقال لهم : اذا أردتم العودة الى الشام فمروا على ببيت كذا . فمروا عليه وفكوا قيده ثم حملوه معهم الى الشام .

فلما وصل اليها سأل : من أعلم الناس بهذا الدين ؟ فقيل له : هو الاسقف بالكنيسة ، فجاءه وأخبره بأنه أحب المسيحية ، وأنه يريد أن يكون خادما له فى كنيسته ، ويتعلم من علمه ويصلى معه ، فأذن له بذلك .

ولكن هذا الأسقف كما يقول سلمان رضى الله عنه كان رجل سوء ، يأمر الناس بالصدقة ويحثهم عليها ، فاذا جمعوا اليه شيئا اكتنزه لنفسه ولم يعط منه المساكين ، حتى جمع سبع قلال من المال ، فكرهه سلمان كرها شديدا وأراد فراقه ، ولكن الله عجل له بالمنية ، فبعد وفاته دل سلمان الناس على كنزه وأخبرهم بحاله ، وجاء بعده أسقف فاضل زاهد فى الدنيا راغب فى الآخرة فأحبه سلمان وأنس به ، وظلت حال سلمان رحلة واغترابا بين بلاد المسيحية يأخذ عن أساقفتها ويعمل فى خدمتهم ويتعلم الدين منهم ، فانتقل فى ذلك الى الشام ثم الموصل ، ثم الى نصيبين ثم الى عمورية من أرض الروم ، وكان كلما أراد ترك بلد من هذه البلاد سأل عن أعلم الناس بأفضل الاديان فى شتى بقاع الارض ، يريد الوصول اليها مهما قاسى من المتاعب ، ومهما لاقى من الصعاب ، لأن الحق رائده ، والدين الأعلى غايته ، وفى عمورية لقى أسقفا صالحا عاش معه مغتبطا راضيا ، وعمل وكسب حتى صارت له بقرات وغنمات ، فلما حضرت الوفاة هذا الاسقف سأله سلمان عن رجل مثله فأخبره بأنه لا يعلم أحدا على مثل حاله ، ولكنه أظل زمان نبى مبعوث بدين ابراهيم يخرج بأرض العرب مهاجره الى أرض بين حرتين بينهما نخل به علامات لا تخفى ، يأكل الهبة ولا يأكل الصدقة ، فان استطعت أن تلحق بتلك البلاد فافعل ، فمكث سلمان بعمورية بعد موت صاحبه ما شاءالله أن يمكث ، ثم مر به نفر من التجار من قبيلة « كلب » فسألهم أن يحملوه معهم الى أرض العرب على أن يعطيهم بقراته وغنماته ، فقبلوا وحملوه ومعهم ، حتى اذا بلغوا وادى القرى باعوه الى رجل يهودى فبقى عنده حتى رأى النخل ، فأمل أن تكون هذه البلاد بلاد النبى المبعوث

ثم قدم على هذا اليهودى ابن عم له من بنى قريظة من المدينة ، فاشتراه منه ، وحمله معه اليها ، فلما رآها سلمان عرفها بالعلامات التى ذكرها له صاحبه أسقف عمورية وعلم سلمان بأن النبى سيكون فى المساء مع أصحابه بقباء ، وكان عند سلمان بعض الطعام فجمعه ، وذهب به الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال له سلمان : انه قد بلغنى أنك رجل صالح ومعك أصحاب لك غرباء ذوو حاجة وهذا شىء كان عندى للصدقة فرأيتكم أحق به من غيركم ، فقرب سلمان الطعام الى النبى فقال لاصحابه كلوا ، وأمسك هو فلم يأكل ، فقال سلمان فى نفسه هذه واحدة من العلامات التى ذكرها أسقف عمورية ، ثم عاد سلمان الى بيته وجمع طعاما آخر وأتى به النبى صلى الله عليه وسلم وقال له : رأيتك لا تأكل الصدقة ، وهذه هدية أكرمتك بها ، فأكل رسول الله وأمر أصحابه فأكلوا معه ، فقال سلمان فى نفسه وهذه علامة أخرى

ثم قابل سلمان رضى الله عنه بعد ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم ببقيع الغرقد - مقبرة المدينة - فقص عليه قصته فقال الرسول : كاتب يا سلمان فكاتب سيده على احياء ثلثماية نخلة بأرض الفقير وعلى أربعين أوقية .

ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لأصحابه : أعينوا أخاكم فأعانوه ، فكان الرجل يأتى بثلاثين والآخر بعشرين وبعضهم بخمس عشرة أو بعشر الى أن تم العدد المطلوب ، وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : اذهب يا سلمان ففقر لها ثم ائتنى فاضعها بيدى فذهب سلمان ففقر لها وأعانه أصحابه ، فلما فرغوا ، حضر سلمان وأخبر النبى ، فخرج رسول الله معه ، فجعل سلمان وأصحابه يقربون النخل من الرسول ، وهو يضعه بيده ، حتى فرغ منها ، وقد حيت جميعها ولم تمت منها واحدة ، وبقى المال على سلمان ، فأتاه رسول الله بمثل بيضة الدجاجة من ذهب فقال له : خذ هذه فأدها مما عليك فأوفى سلمان ما عليه لسيده وأصبح حرا مسلما ، وشهد مع رسول الله غزوة الاحزاب التى أشار فيها بحفر الخندق ، ولم يفته مشهد بعد ذلك من المشاهد الاسلامية

وفى هذه القصة عبر ينبغى ألا تفوتنا ملاحظتها

١ - ان الرغبة الصادقة فى الوصول الى المطلوب مع الصبر والجلد توصل اليه

٢ - ان الانسان لا ينبغى أن يقعد عن البحث فى دينه مستسلما لما عليه آباؤه وأجداده فقد يكونون على غير الحق

٣ - أن الذى يعشق الحق يهون عليه فى سبيله الأهل والمال والانس وجميع متع الحياة ، فقد ترك سلمان رضى الله عنه أهله ووطنه ، واشتغل أجيرا ، واغترب وسافر حتى صار عبدا يباع ويشترى ولكن الله كافأه بما قدم فى سبيله

٤ - الصورة الحية النابضة من تعاون المسلمين بأموالهم وأنفسهم بما فيهم الرسول صلى الله عليه وسلم .

٥ - شدة تواضعه صلى الله عليه وسلم والصبر العظيم الذى كان يمتاز به حيث وضع النخل بيده الكريمة وصبر حتى أتم ثلثماية نخلة وهو راض مغتبط

٦ - وضوح سماحة الاسلام وحبه فى الوئام والسلام ، حيث طلب الرسول من سلمان أن يكاتب سيده ، ولم يأمر أصحابه بخطفه ، أو يأمره باللجوء الى المسلمين ليحموه من سيده ولكنه أتبع طريق الرضا والمسالمة وشارك بماله وجهده فى استخلاص هذا العبد المؤمن من الشرك

٧ - أن الزعيم أو الرئيس أو الحاكم ينبغى له أن يأمر القادرين من أتباعه بمعاونة غيرهم فى حل مشكلاتهم فهذه سنة الاسلام

أسأل الله أن يوفق المسلمين للبحث دائما عن الحق وللتعاون المثمر فيما بينهم

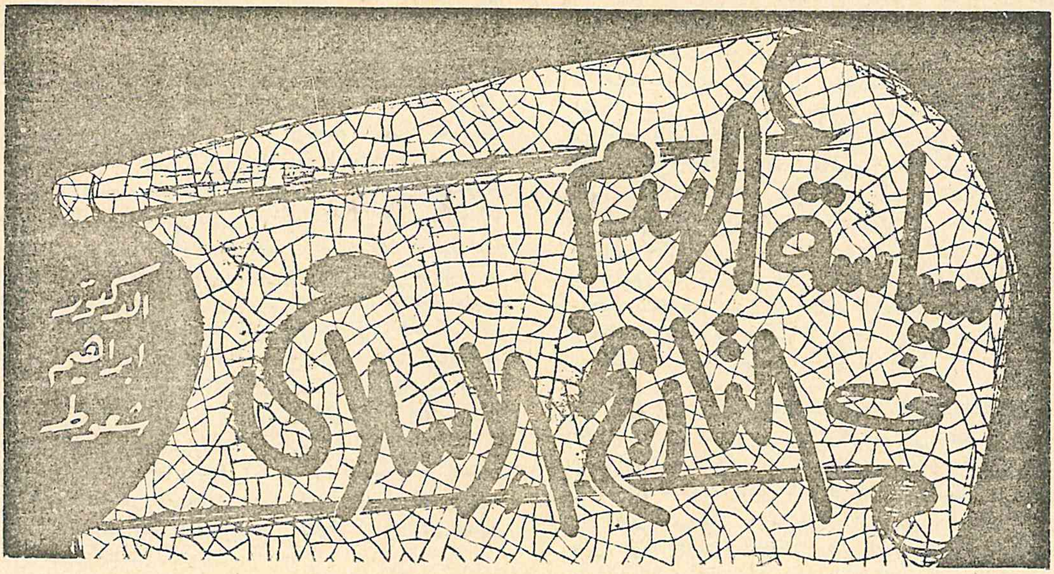

وجد خصوم الاسلام فى سعة خيالهم ، وشدة حقدهم ، مجالا فسيحا لتصيد الروايات التى تظهر صحابة رسول الله فى مظهر لا يليق فاذا لم يجدوا شفاء نفوسهم اخترعوا ما ظنوه يجوز على عقول القارئين ليصبح أساسا ثابتا تتناقله ، وتسجله كتب المؤلفين .

ألست معى ترى أن عمرا وخالدا شخصيتان يزهو بهما الاسلام وترتفع بهما رءوس العرب فى كل ميدان ؟! وأن المصادفة التى جعلت من كل منهما فذا فى تاريخه ، عملاقا فى كل تصرفاته ، قد جعلت منهما شبيهين فى الخلقة ، وفى الصوت بحيث كان ضعاف البصر يخلطون بينهما من قريب ، ولا يميزونهما بالرؤية ، ولا بسماع الصوت الخفيض وكذلك كانا نظيرين فى الشجاعة والحزم وقوة الارادة .

من شأن الشخصيات الفذة أن تكثر خصومها فى حياتها وبعد مماتها ، فاما فى حياتها فمن الذين أفقدتهم مواهبهم أن يدركوا شأو هؤلاء ويسيروا فى خطاهم ، فقتلتهم الحسرة ، وراحوا يشفون مرض نفوسهم بذكر ما يعيب وما يقلل احترامهم . وأما بعد مماتهم فان حقد الطوائف ، ودوافع الخصومة الدينية يجعل الأدنياء يخطون بأقلامهم وينقلون بالسنتهم مفتريات تشوه صفحات هؤلاء العمالقة حتى تهون منازلهم عند المعجبين بهم ، ويجدون فى مجال الجدل مساوىء يصنعون منها المادة الخام ليحرزوا نصرا فى معركة الكلام .

فماذا صنعوا فى تاريخ الرجلين عمر وخالد ؟ ؟

قالوا فى أسباب عزل عمر لخالد بن الوليد ما يأتى مما لا يقوم على أساس عند المناقشة .

أولا — ان سبب العزل حادثة وقعت فى صباهما وهما فى الجاهلية ، حيث قال ابن عساكر وبرهان الدين : ان عمروخالدا تصارعا وهماغلامان فكسر خالد ساق عمر يحمل له فى نفسه ضغينة وحقدا ، وبغضا وكرها حتى اذا أصبح خليفة على المسلمين ، رأى الفرصة سانحة للانتقام من خالد والثأر لنفسه فأمر بعزله عن امارة الجيوش ونحن نقول : ان هذه الرواية تحمل معها ما يبطلها من اساسها وتدل على أن الذى وضعها جاهل بالاسلام جهلا تاما ولا يعرف أثره فى المسلمين ولم يرد أن يعترف بأن تعاليم الاسلام بعد أن تفاعلت فى نفوس العرب ، وأخذت أوضاعها السليمة فى قلوبهم ، وجدنا أن الأعراب الذين وأدوا بناتهم واعتزوا بسفك الدماء صاروا ، الخشع الركع الذين يبتغون فضلا من الله ورضوانا . ووجدنا الأسرة التى كان الرجل يرث فيها زوجات أبيه صارت الأسرة المطهرة كما رأينا القبيلة التى كانت لا تعرف حقا الا لعصبيتها ، ولا ترعى ذمة الا لمن هو منها يوجد فيها من يرد الى نصارى نجران أموالهم لأنه عجز عن رعاية ذمتهم .

ولعل الاسلام فعل فى نفس عمر ما لم يفعله فى غيره فبعد أن كان من الجفاة القساة أصبح الخليفة الذى ترده امرأة فى مجمع من الخلق فيقول بملء فيه : (أصابت امرأة وأخطأ عمر) ولقد كان المسلم يلقى المسلم قاتل أبيه أو أخيه فى الجاهلية فلا يتأثر لذلك بل كان المسلم نفسه يقتل أباه بيده لأنه بقى على الكفر وخرج يقاتل المسلمين . فكيف تبقى حادثة تافهة بين طفلين فى طفولتهما لتحتفظ بها ذاكرة عمر بن الخطاب بعد أن يصبح هو وخالد ابن الوليد من أعلام الاسلام — فتكون لها الضغينة التى حملت عمر على عزل خالد ؟ اللهم اننا نبرأ اليك من الكذب والافتراء على من جعلتهم مثلا عليا للتأثر بروح الاسلام وتعاليمه .

ثانيا : قالوا : ان سبب غضب عمر على خالد أنه كان السبب الأول فى هزيمة المسلمين يوم أحد .. يوم شج رسول الله صلى الله عليه وسلم فى وجهه ، وكسرت رباعيته ، وكلمت شفته ، ودخلت حلقتان من المغفر الذى يستتر به وجهه فى وجنته عليه الصلاة والسلام الى آخر ما قيل .

وهذه الرواية تسقط أيضا من حساب الناقدين ، لأنها لا تقوى على نقد اذ أن هذه الرواية تصور لنا عمر يخالف رسول الله فى تقديره لخالد بسبب ماأصاب المسلمين ورسول الله فى أحد .

بينما تصف الأخبار الصحيحة مقدار سرور النبى عليه الصلاة والسلام باسلام خالد أكثر من سروره باسلام كثيرين غير خالد . بل ان رسول الله بالغ فى اكرام خالد يوم اسلامه مبالغة ملحوظة وصفها خالد نفسه فى ذكر اسلامه فقال : « انه لما وفد على رسول الله فى شهر صفر من السنة الثامنة للهجرة - قبيل فتح مكة - ثم قال : قدمنا المدينة فأنخنا بظاهر الحرة ركائبنا واخبرنا بأرسول الله صلى الله عليه وسلم فسر بنا فلبست من صالح ثيابى ثم عمدت الى رسول الله فلقينى أخى - الوليد - فقال : أسرع فان رسول الله صلى الله عليه وسلم أخبر بقدومك وهو ينتظركم فأسرعت المشى فطلعت فما زال يبتسم الى حتى وقفت عليه فسلمت عليه بالنبوة فرد على بوجه طلق : فقلت : انى أشهد أن لا اله الا الله وأنك رسول الله فقال : « والحمد لله الذى هداك . قد كنت أرى لك عقلا ورجوت أن لا يسلمك الا الى خير » الى أن قال : « وتقدم عمر وعثمان فبايعا رسول الله صلى الله عليه وسلم .. ثم قال (فوالله ما كان رسول الله - يوم أسلمت - يعدل بى أحدا من أصحابه فيما حزبه ثم سماه بعد ذلك « سيف الله » وأمره فى غزوة الفتح وفى حنين على جميع جند المسلمين .

فهل يعقل بعد أن أعلن رسول الله رضاه عن خالد وتفضيله له عن كل الصحابة - أن يظل عمر وحده - وعلى غير طريقة رسول الله - يحمل الحقد على خالد لأنه هزم المسلمين فى أحد ؟ ! مع أن فرحة رسول الله والمسلمين باسلام خالد كانت بواعثها انه غلب المسلمين فى أحد وأتعبهم فى الخندق والحديبية ، لأنه لو لم يكن كذلك لا يمكن ان يحدث اسلامه أثرا فى نفوس المسلمين وهو بماضيه هذا صار قوة عظيمة انتقلت بامكانياتها ومواهبها من صفوف الكفر الى صفوف الاسلام فأى ربح هذا الذى فرح به رسول الله والمسلمون معه باسلام خالد ؟ ! وأى حزن حاق بالمشركين حين خرج خالد من صفوفهم لينضم الى صفوف المسلمين ؟

ثالثا : أن الذى يقصد السوء ينتحل له دائما أبوابا توصله اليه ، ومن السهل فى منطق أهل السوء أن يعكسوا صورة الأعمال الجيدة فى مرآة مشوهة .

وهذا مثل ظهرت فيه المغالطة والمفارقة بين المقدمات والنتائج . هذا المثل هو أن خالدا حين عهد اليه أبو بكر بالمسير الى اليمامة بعد حرب أسد وغطفان توقفت الانصار وقال قائدهم « ثابت بن قيس بن شماس » : ما عهد الينا ذلك ، وما نحن بسائرين وليست بنا قوة ، وقد كل المسلمون وعجف كراعهم فقال لهم خالد : (أما أنا فلست بمستكره أحدا منكم فان شئتم فسيروا ، وان شئتم فاقيموا . وأنا الأمير ، وقد عهد الى ، ولو لم يأت كتاب بما رأيته فرصة وكنت أن أعلمته فاتتنى لم أعلمه وكذلك لو ابتلينا بأمر ليس فيه منه عهد الينا لم ندع أن نرى افضل ما يحضرنا ثم نعمل به الخ .

ويبدو أن هذه الرواية تستمد عناصرها من كلمة خالد وهذه من مواهب خالد ومن عبقرياته التى صنعت أمجاده فى التاريخ لأنه لم تشأ عبقريته أن يقف فى سياسة جنده وقيادة جيشه عند حرفية جامدة فيما يلقى اليه من الاوامر . لان القائد فى ميدانه يجب أن يكون بعيد النظر اذا سنحت له الرصة لم يدعها تفلت من يده ولو لم يكن فى ذلك من الخليفة كتاب أو عهد اذا انه لو وقف فى كل أموره ينتظر فيه القائد - وطرق المواصلات على ما كانت عليه من بطء - لو قيد القائد نفسه بهذا القيد واوقف كل عملياته حتى يستشير الخليفة وتأتيه أوامره لضاعت من يده فرص النصر كلها وبطل القول المأثور (ان الشاهد يرى مالا يراه الغائب » فمن تصرف خالد هذا نبت اعجاب أبى بكر به ، وقويت ثقته فيه . الا ان خصوم الرجلين قالوا - بناء على ما بلغهم من أسلوب خالد فى الاعتماد على نفسه فيما يجد أمامه من الأمور - كان فى خالد تقدم على رأى أبى بكر فلم يعجب ذلك عمر - وكان خالد لا يرفع حسابا لأبى بكر ويفعل ما يريد من أشياء لا يراها أبو بكر - وكان يغفر له ذلك - بينما كان عمر يغضب لذلك .

نقل ابن حجر فى الاصابة عن الامام مالك بن انس قال : (قال عمر لأبى بكر : اكتب الى خالد لا يعطى شيئا الا بأمرك فكتب اليه أبو بكر بذلك فأجابه خالد : (اما أن تدعنى وعملى ، والا فشأنك بعملك) فاشار عمر على أبى بكر بعزله فقال أبو بكر : « فمن يجزى عنى جزاء خالد ؟ ؟ » قال عمر « أنا » فقال أبو بكر « فأنت » وتجهز عمر حتى أنتج الظهر فى الدار فمشى أصحاب النبى الى أبى بكر وقالوا : « ما شأن عمر يخرج وأنت محتاج اليه ؟ ومالك عزلت خالدا وقد كفاك ؟ فقال : « فما أصنع ؟ » فقالوا : « تعزم على عمر فيقيم وتكتب الى خالد فيقيم على عمله » ففعل : أ هـ .

فهذه الرواية - فوق ما فيها من تجاهل حقيقة معاملة خالد لأبى بكر - فان أعراض الاختلاق بادية فى تركيبها وتأليفها لأنها تظهر أبا بكر فى صورة الرجل الذى لا رأى له فاذا قال له عمر : « اعزل خالدا » عزله واذا قال له آخرون : « أبق خالدا » أبقاه فى نفس الوقت ، ونسى واضعوا هذه الملفقات أن أبا بكر صاحب رأى حازم جعله يقف وحده فى الاصرار على حرب المرتدين رغم معارضة عمر ومن معه ، وما زال بهم حتى حملهم على رأيه - فماذا نقول لأمثال هؤلاء ؟؟

عزل خالد :

ان الصورة التى أعطاها التاريخ لخالد بن الوليد فى جاهليته واسلامه جعلت عزله حادثا ضخما فى التاريخ ، وراح الناس يبحثون عن أسباب تريح القلق فى نفوسهم ، وتحفظ على القائد العملاق مكانته التى اقترنت باسمه فى أذهان المسلمين ، ولقد عزل عمر بن الخطاب كثيرا من القواد العظام الذين كان لهم شأن فلم يشغل الناس بأمرهم ولم يستعظموا بعدهم عن أعمالهم التى كانوا يلونها .

فقد استغنى أمير المؤمنين عمر بن الخطاب عن خدمات ، سعد بن أبى وقاص وعمرو بن العاص ،والمغيرة ابن شعبة ، وزادة بن ابيه ، والمثنى بن حارثة ، والبراء ابن مالك عزل كل هؤلاء فلم يعقد التاريخ لهم قضية ، ولم تتبلبل الأفكار فى أمرهم مثل بلبلتها فى أمر خالد .

مقولات عمر فى خالد :

وقبل أن نناقش أسباب عزل خالد بن الوليد عن القيادة العليا للجيوش الاسلامية ، وابعاده نهائيا عن كل الأعمال العسكرية نحب أن يعلم القارئون منزلة خالد

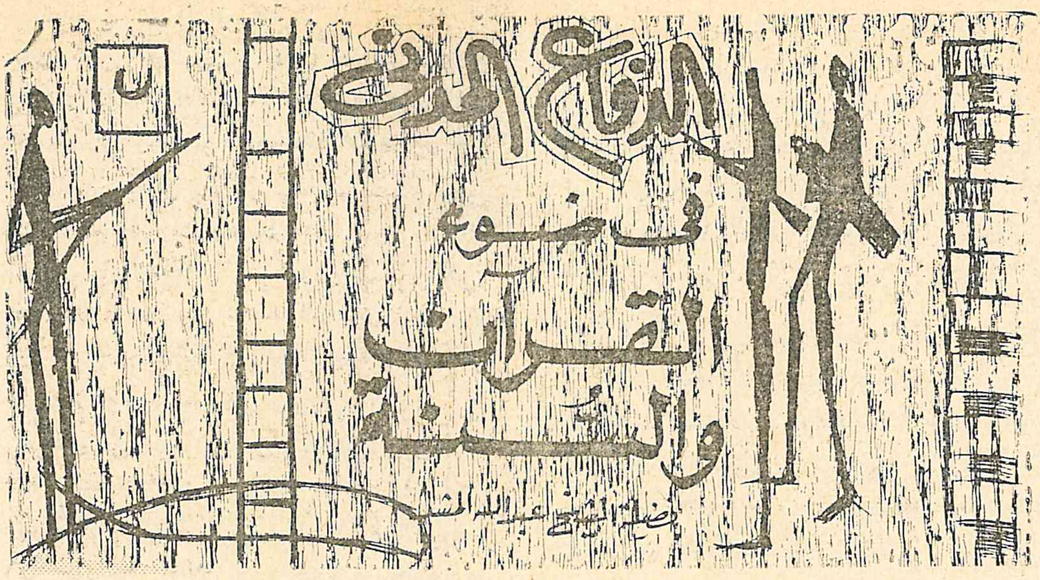

أمن الانسان فى حياته واطمئنانه على حقوقه، واستقرار الناس فى أوطانهم وتمتعهم بحرياتهم من أكبر النعم التى أنعم الله بها على عباده ، ومن أعظم الأسباب التى توفر للفرد سعادته وللامة رخاءها وعزها . فهو يعدل فى قيمته وأهميته الغذاء والكساء والمسكن والصحة والعافية ، وعندما تحدث الرسول صلى الله عليه وسلم على ضروريات الحياة لم يهمل شأن الأمن فعده أحد أعمدتها وواحدا من أصولها ، فقد ورد فى الحديث الصحيح « من أصبح آمنا فى سربه معافى فى بدنه عنده قوت يومه ، فكأنما حيزت له الدنيا بحذافيرها » .

غير أن الصراع فى الحياة والتنافس على السبق والغلب والجرى وراء الشهوات والاهواء الشخصية لايدع الناس ينعمون بنعمة الأمن والاستقرار ، فهناك الحروب والاصطدامات بين الشعوب والدول ، التى يصلى نارها الغالب والمغلوب على السواء ، ويعانى آلامها المذنب والبرىء ، وتتوارث ويلاتها البشرية جيلا بعد جيل . ومن هنا كان الدفاع عن النفس والوطن والحقوق والحرمات فرضا مقدسا تقتضيه طبيعة الاجتماع وتفرضه سنة الكون وتمليه غريزة حب البقاء . وهو حق أقرته العقول وأقرته جميع الأديان .

ان الدفاع لايقتصر على عمل معين وليس له مظهر واحد فقط ولا ميدان خاص من الميادين ، فأعماله كثيرة ومظاهره متعددة وميادينه واسعة ، واذا كانت هناك صفوف أمامية تحمل السلاح فى الميدان وتقف أمام العدو وجها لوجه ، فان هناك صفوفا خلفية تحمل عبئا كبيرا من الدفاع لايقل عن أعباء الواقفين فى ساحة القتال . ذلك أنه لابد من تأمين طرق المواصلات وتوفير الذخائر والامدادات وحراسة المرافق العامة ، ولا بد أيضا من حماية الآمنين من أخطار الغارات والمفرقعات ، والاستعداد لاطفاء الحرائق واسعاف الجرحى ورعاية العجزة والمرضى وانقاذ الغرقى ، لابد من هذا وأمثاله من الأعمال التى تصون حياة الناس وتحافظ على المرافق والمنشآت ، وتقلل الخسائر والأخطار بقدر الامكان .

وكل هذه الواجبات يقوم بها الدفاع المدنى، وهى جهاد فى سبيل الله أمر به الدين وحث عليه وفضل به المجاهدين على القاعدين أجرا عظيما . لقد أمرنا الاسلام أن نكون دائما مستعدين حتى لانؤخذ على غرة ، ولا نقع فى

الحيرة حين تقع الواقعة ، قال تعالى : **« يأيها الذين آمنوا خذوا حذركم » وقال « وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة ومن رباط الخيل ترهبون به عدو الله وعدوكم »** وأخذ الحذر يكون بكل وسيلة ممكنة تتفق وطبيعة الحياة وسنة التطور فى فنون القتال والدفاع ، والاعداد كما يكون بالسلاح يكون بغيره من الأساليب فقد أطلقته الآية ولم تقيده ، ووسعت مجاله ولم تضيقه ، فهو كل ما يستطاع من قوة بأى لون من الألوان وفى أى ميدان من الميادين ، ورباط الخيل فى الآية جاء على المعهود عند نزولها ، فكان ذلك هو أعظم استعداد عند العرب فى الأيام الأولى ، ونزولا على هذه الآية كان الصحابى يحبس ما استطاع من الخيل استعدادا للمعركة ، وكان لعروة البارقى سبعون فرسا محبوسة للجهاد يوليها كل عناية حتى تكون على أحسن أحوالها اذا جد الجد ، وذلك تطبيقا للآية واستجابة لترغيب الرسول صلى الله عليه وسلم فيه ، **فقد ورد فى الحديث الشريف « من خير معاش الناس لهم رجل ممسك بعنان فرسه فى سبيل الله ، يطير على متنه كلما سمع هيعة أو فزعة طار على متنه يبتغى القتل أو الموت مظانة »** ، **وورد أيضا « خير الناس رجل ممسك بعنان فرسه كلما سمع فزعة طار اليها »** . وهذا الاعداد لمواجهة الأخطار أخذ بالأسباب التى تقود الى النصر وتضمن السلامة من الأخطار ، أمر تعالى المجاهدين وهم فى الميدان اذا أرادوا الصلاة أن تكون معهم أسلحتهم حتى لايفاجئهم العدو وهم مجردون منها فقال **سبحانه « واذا كنت فيهم فأقمت لهم الصلاة فلتقم طائفة منهم معك وليأخذوا أسلحتهم ، فاذا سجدوا فليكونوا من ورائكم ولتأت طائفة أخرى لم يصلوا فليصلوا معك وليأخذوا حذرهم وأسلحتهم ود الذين كفروا لو تغفلون عن أسلحتكم وأمتعتكم فيميلون عليكم ميلة واحدة »**

ان النبى صلى الله عليه وسلم عندما أحس بالخطر يحدق بالمدينة من تجمع قريش والأحزاب لمهاجمة المسلمين ، أمر بحفر الخندق ليحصن به المدينة ويعرقل به هجوم المعتدين، وكان لهذا الاجراء الوقائى دخل كبير فى حماية المدينة وأهلها من الاعتداء الأثيم . كما كان يجمع النبى نساءه ومن يخاف عليهم من الضعاف فى أماكن محصنة لوقايتهم من عبث المجرمين .

ان التدرب على اعمال الدفاع المدنى والتمرن على طرق الوقاية من أخطار الحروب والمفاجآت أمر به الاسلام لاعداد المواطنين لخوض المعارك وحماية الأرواح والممتلكات والحرمات، يشير الى هذا اشراف النبى صلى الله عليه وسلم على ساحات التدريب التى كان يتمرن فيها المسلمون على الرمى بالنبال ، وكان يشترك معهم فى التدريب ويثير فيهم الحماس للاجادة والاتقان « ارموا بنى اسماعيل فان أباكم كان راميا » وحذر من الانقطاع عن التمرين واهمال الاستعداد والتهاون فيه فقال **« من علم الرمى ثم تركه فليس منا ، أو فقد عصى » وكان سيدنا عمر رضى الله عنه يقول « علموا أولادكم السباحة والرماية وركوب الخيل »**

ان المواطن الذى يتعلم فنون الحرب والدفاع استعدادا لساعة الخطر هو مرابط فى سبيل الله ، مثله تماما مثل الجندى الذى يرابط على الحدود يحرسها ويحميها ويرقب تحركات العدو وينتظر ساعة اللقاء ، **والحديث الشريف يقول « رباط يوم وليلة خير من صيام شهر وقيامه » ويقول « عينان لاتمسهما النار عين بكت خشية الله ، وعين باتت تحرس فى سبيل الله »** .

ان الاستعداد لمواجهة الخطر لايكون للدفاع عن النفس فقط ، ولكن يجب أن يكون للدفاع عن الجماعة كلها وعن المواطنين جميعا . وفى ساعة الجد لابد أن تظهر الروح الجماعية والمروءة والشهامة والنجدة والتضحية ، لقد كان المسلمون فى المدينة اذا سمعوا صيحة أو نذيرا بهجوم عليهم هبوا جميعا لتعرف الخبر وموجهة الخطر ، فيجدون رسول الله صلى الله

عليه وسلم قدسبقهم الى ذلك ثم يعود ليطمئنهم، روى البخارى ومسلم وغيرهما أن أهل المدينة فزعوا مرة فركب النبى فرســـا لأبى طلحة يستطلع به الخبر ثم أتى الناس وقد هبوا من الفزع فقال لهم ، لن تراعوا • أى اطمئنـــوا فليس هناك خطر •

ان قيام الأفراد جميعا بواجب الدفاع عن أنفسهم وحرماتهم ووطنهم فرض حتمى على كل مواطن ، بقدر مايستطيع وفى الميدان الذى يحسنه قال تعالى « انفروا خفافا وثقالا » ولا يفلت أحد من هذا الواجب حتى النســـاء ، وقد قامت المرأة بدور كبير فى المعارك الاســلامية الأولى خصوصا اذا هاجم العدو أرض الوطن، فكانت تسقى المـــاء وتداوى الجرحى وترعى الزمنى وتحرس الأمتعة وتعد الطعام ، وهى اذ كانت تشارك فى المعركة كانت مسلحة لتدافع عن نفسها • وقد ورد أن أم ســليم كانت تحمل خنجرا وهى فى غزوة حنين ، ولما سألها زوجها عن ذلك قالت لقد أعددته لأبقر به بطن من يدنـــو منى من المشركين ، وكان لرفيدة الأسلمية خيمة منصوبة فى مســجد المدينة عولج فيها سعد بن معاذ رضى الله عنه حين أصيب فى المعركة •

ان المواطنين حين يطلب أن تكـــون منهم جماعة مدربون على فنون الدفاع ، يطلب منهم أيضا أن يتعاونوا مع هذه الجمـــاعة ، وأن ينفذوا التعليمات الموجهة اليهم وليكن معلوما ان التقصير فى ذلك فيه خطورة جسيمة ، وهو بعد خيانة للوطن اذا استطاع العدو أن يكسب المعركة عن طريق هذا التقصير ، فلنقف جميعا صفا واحدا اذا جد الجد ، ويد الله مع الجماعة، والنصر للمتعاونين المخلصين •

بقية مقال « سياسة الهدم فى التاريخ الاسلامى »

عند أمير المؤمنين عمر بن الخطاب حتى لا تنحـرف أذهانهم فى الحكم على عمر فى قضية عزل خالد •

١ ـ فى حديث رواه الثورى أنه قيـــل لعمر استخلف فقال : لو أدركت خالد بن الوليد ثم وليته ثم قدمت على ربى فقـال ربى لى : « من استخلفت على أمة محمد ؟ لقلت : سـمعت عبـدك وخليلك يقول : خالد سيف من سيوف الله على المشركين » •

٢ ـ قال عمر « أمر خالد نفسه ، لقد كان أبو بكر أعلم منى بالرجال •

٣ ـ وقال أيضا : « هل قامت النساء عـلى مثـل خالد » •

٤ ـ وقال كذلك فى خالد « كان والله سدادا لنحور العدو ، ميمون النقيبة » •

٥ ـ ثم قال أيضا : « على مثل أبى سليمان ـ خالد تبكى البواكى » •

٦ ـ وتحدث اليه : « يا خالد والله انك عـلى لكريم ، وانك الى لحبيب ، ولن تعاتبنى بعد اليوم على شىء » •

٧ ـ وأخيرا قال : « لم أعزل خالدا عن سـخط ولا خيانة ، ولكن الناس فتنوا به فخفت أن يوكلوا ويبتلوا به فأحببت أن يعلموا أن الله هو الصانع وألا يكونوا بعرض فتنة » •

الأسباب المعقولة لعزل خالد :

طيب لنا الان ـ بعد ما عرفنـا منزلة خالـد عند أمير المؤمنين عمر بن الخطاب ـ أن نقول فى عـزل خالد ما يتفق مع منطق التقدير من عمر ومنطق التسليم من خالد ـ بعد أن نفسل من صدورنا وعيوننا ما كتبه خصوم الاسلام والبلهاء من المسلمين فى شأن خالد وعلاقته بعمر ، ونجرد الحقيقة التاريخية مما علق بها من حقد الحاقدين على رجلين عظيمين ارتفعت بهما قيم المسلمين واعتز بوجودهما الاسلام •

العزل على مرحلتين ـ للبحث بقية

في مواجهة صناع :

حلف لا إسلامي

الرجعية الضالة المضللة بين التخفي المريب والسفور العجيب

الأستاذ محمد الخضري عبد الحميد

قضى الأمر ، ومضت الرجعية تستشرى وتستفحل ، وتسفر - بعد طول تخف مريب - عن وجهها المعتم الكئيب ، وتزداد على مر الايام مكابرة ، وعنادا جهولا ، وركوب كل صعب خطر من وسائل الجنوح والمروق ..!

نبأ من الأنباء صغير بسيط ، يقول أن واحدا من ملوك العرب - يسانده « زملاء ! » آخرون . يستنجد ، وهم من ورائه يستنجدون ، بأعداء الأمة العربية : أن تحميهم مما بات يهدد العروش والخزائن والقصور ، من أفكار اشتراكية ، و «مذاهب عدل» ثورية !.. النبأ صغير ، و .. كما قال «طرفة بن العبد» الشاعر العربى القديم :

قد يبعث الأمر العظيم صغيره
حتى تظل له الدماء تصبب !

وان كنا لنود حقا او أن قال الشاعر - فى مناسبتنا هذه - تتمة للشطر الاول من بيته : « حتى تظل له - حمرة الخجل - ! - تصبب » ! .. ولكن ما الحيلة ورعونة الرجعية فى ضلالها وتضليلها : سوأة ، وعورة ، وسبة في جبين العروبة الناصع ، ويجب سترها عملا بحديث نبوى شريف يقول : « من رأى عورة لأخيه فسترها ، كان كمن أحيا موءودة » .

الا أن مثل تلك الصغائر ، وقد تكره من أجلها النصح والزجر دون نفع وبلا جدوى .. لا يحسن ان نستنفد الأكثر النفيس من وقتنا فى الأقوال مابين نصائح وتحذيرات .. وانما هو : « العمل » الواقعى ، و « الرد » الفعلى العملى ، هو الذى يجب أن يصدر الآن عنا . ان الاعتداد بالنفس بعد الاعتماد على الله قوة اى قوة .. وكلمة النصح الرفيق وايماءة التبصرة الهادئة ان لم تجد صداها فى قلوب أضلها الهوى وعيون أعشاها البهرج والبريق .. فالاجدر - اذن - والاوجب هو نفض الايدى من شئون هؤلاء .. فليسوا فى واقع الأمر « ظاهرة حديثة » لاسابقة لها ولا مثيل .. وانما هم « ظاهرة كل زمان ومكان » .. أولئك الفئة المنحرفة ، الضالة المضللة ، التى تنبت خفية فى كل روض مخضوضر شاسع ، لتنأى ، وتتلوى بصفرة الذبول وحدها ، وتتخذ لنفسها - وهى أهون « النبات » شأنا - خواصا عجيبة تنفرد بها ، فى طريقة «نموها» !

ومن كانت الخيانة صفة من صفاته ، فليس بمستكثر عليه حقا أن يركب الصعب الشائك من المطايا ليصل - المهم أن يصل ! - الى غاياته واغراضه .. وأولئك هم الذين حذرنا الله منهم ، فأوحى الى نبينا «محمد» عليه أفضل الصلاة وأزكى السلام ، بالكثير من أفاعيلهم ، فيقول سبحانه وتعالى فى سورة الأنفال - آية ٧١ - : « وان يريدوا خيانتك فقد خانوا الله من قبل ، فأمكن منهم ، والله عليم حكيم » .. ف .. أفترونه غريبا على مثل أولاء أن يخونوا بنى جلدتهم ، من شعبهم وشعوب منطقتهم ، وقد خانوا الله من قبل ، ورسوله ، وخانوا : اسلامهم وعروبتهم ؟؟؟!

ولا ينبغى اذن - والحالة هذه - أن تذهب بنا المرارة بعيدا ، أو يصرفنا الأسى العاطفى عن واقع الأمور ، ووجوب المعالجة والتبصر .. نحن ندرك أن الظلم اذ يأتينا ممن هم وايانا على طرفى نقيض : شىء طبيعى ، ومنطقى .. ولكن .. لكم هو أليم على النفس أن يأتى الظلم من « بيننا ! » ، ممن هم يحسبون - خطأ ! - علينا ، اذ هم يحتسبون أنفسهم - طموحا !- عربا (منا) ، فتجىء نتائج أباطيلهم وضلالاتهم أقسى وقعا من عقوق الأبناء ، أو أشد مضاضة من حد السيف كما وصف الشاعر العربى ، قائل البيت السابق :

وظلم ذوى القربى أشد مضاضة
على المرء من وقع الحسام المهند !

على أن هذا - على نحو ما أسلف القول - ليس أكثر من تفكير (عاطفى) خيالى ، وليس تفكيرا عمليا موضوعيا فى الحاصل الواقعى .. فان « من عمل صالحا فلنفسه ، ومن أساء فعليها » وأيضا « ومن يكسب اثما فانما يكسبه على نفسه » ، وصدق الله العظيم .

فواقع الحال - اذن - يطالبنا أن نعتصم باسلامنا الصحيح ، المنزه عن كل ضلالات المضللين ، الذى بينه الله تبارك وتعالى فى محكم التنزيل . أما وأن النصح لم يجد ، والتحذير لم يثمر ، والتهديد بأن عوج المسلك وسوء المنقلب من حفنة قليلة تزدهيها « التيجان » المفصلة ، وتعمى أبصارها الأموال المنهوبة المكنوزة : سيعود ضرره فى النهاية على « المجموع الكبير » من

شعوب المنطقة كلها .. أما وكل هذا لم يات بنتيجة ، فلا (هم) أفاقوا وأنابوا .. ولا (هم) وعوا وأدركوا وتراجعوا .. أما و « جلالاتهم ! » اختاروا الاعوجاج طريقا ، والمناوأة والخلف تصرفا و (أسلوب عمل) . فلا حول ولا قوة الا بالله ، ولا ناجع من العلاج بنصح أو ارشاد – اذ لافائدة ترجى ! – وليس الا التدبر العميق فى قول الله عز وجل : « وان جنحوا للسلم فاجنح لها وتوكل على الله انه هو السميع العليم ، وان يريدوا أن يخدعوك فان حسبك الله ، هو الذى أيدك بنصره وبالمؤمنين » .. ولنوطن النفس على أن الضلالة سوف تقع عليهم وحدهم ، على مرأى ومسمع من شعوبهم ، فهذا كلام الله العزيز الحكيم يتنزل على رسوله الكريم فى مثل هذا المقام ، بأرفع الاداب وأسمى وأبلغ العظات : « .. ولولا فضل الله عليك ورحمته لهمت طائفة منهم أن يضلوك وما يضلون الا أنفسهم ، وما يضرونك من شىء » .

ومن أمثلة هؤلاء مانعرف أنه كان (ينبت) فى أرض الدعوة الاسلامية ذاتها ، ويحاول – بغرور الاقزام – أن يعترض المجرى الهادر ، أو يوقف تدفق النور الساطع الباهر .. ان نبى الاسلام العظيم « محمد » صلى الله عليه وسلم ، وهو من هو : رقة ، ورحمة ، وتسامحا .. كان يجد نفسه فى مواقف مشابهة أمام الذين يختالون صلفا ويتيهون عتوا .. فيجابههم بشدة رهيبة ، ويباغتهم حسما عنيفا ، وبأسا اشد هولا مما يزعمون لأنفسهم من بأس .. فلسنا ننسى فى موكب الجديد الطارىء من الاحداث ، أن فى غزوة « أحد » ، والنبى جريح ، والمعركة دائرة على أشدها .. أناقتحم على القوم « ابى بن خلف » معسكرهم على صهوةفرسه وطلب أن يبارز « محمدا » نفسه ، وليس أحدا سواه !.. وكان ذلك الفرس الذى يمتطيه هو عينه الذى كان يلقى به (محمدا) فى مكة قديما ، فيقول له: (انى أعده لأقتلك من عليه) !.. فبم كان يجيبه (محمد) ؟ .. أيعطيه قولا لينا ، وليس اللين والرفق فى كل وقت ؟ .. لا .. بل كان يقول له النبى السمح وقت بذل السماحة ، الشجاع عند اقتضاء الشجاعة :

– « بل أقتلك أنا ، باذن الله » !

حتى اذا قال (أبى بن خلف) ما قال يوم أحد ، لم يدعه النبى صلوات الله وسلامه عيه : يتمادى فى غى الخيلاء والصلف ، ذلك عى الرغم مما به من جراحات ، بل نهض من فوره ليبارز العتل المفتون !..رفض (محمد) أن يأذن لعبيدة ، وعمر ، والزبير ، أن يبارز أى منهم ذلك الرجل .. فقام يغالب جراحه ، ووثب يكر عليه بكل ما فى قلبه الطاهر من ايمان حق ، فان هى الا ضربة واحدة ألقت بأبى بن خلف من على ظهر فرسه ، لمتقم له بعدها قائمة ! .

ويجرنا الحديث عن « أبى » بن خلف .. الى مثيل له ، الى (أبى) آخر ، هو (عبد الله بن أبى) ، ذلك الداهية الذى برع فى المناوأة وقت الأزمات .. ذلك الذى كان يظهر الولاء والامتثال أمام النبى وصحبه .. حتى اذا خلا بيهود (المدينة) راح يؤلبهم على محمد واتباع محمد ، ويهدهم – سرا – بنصائحه وحصيلة خبراته !.

ويسمع (محمد) الكريم المسماح .. ويعفو ..

وعندما اجتاح المدينة الوباء يفتك بالناس ، والنبى يطوف بالمرضى مواسيا معالجا ، يسفر ابن أبى عن وجهه الحقيقى ، فيواجه محمدا أثناء طوافه ، طالبا اليه فى لفظ خشن أن يلزم بيته ولا يأتى الناس فى دورهم بما يكرهون ! .. ويسكت (محمد) ويصبر ، ويمتنع عن زيارة الناس .. لولا أن أولئك (الناس) أنفسهم هم الذين سعوا اليه برجون أن تعود زياراته ، فليس أحب الى قلوبهم منها .. أما (ابن ابى) فقد انهالوا عليه – وقد استشعروا أنه السبب – باللوم القاسى والتقريع الشديد .

وعلى الرغم من كل ذلك السخاء فى مد حبال الحلم والصبر ، واعطاء الفرصة تلو الفرصة .. فان ابن أبى يعود الى ما جبل عليه من خبث طوية .. فلما كانت غزوة تالية أعطى فيها قيادة جزء حيوى من جيش النبى ، لم يلبث أن انتهز فرصة ضعف بعض نفوس من رجال الخزرج ، فراح يزين لهم النكوص على الأعقاب ، هاتفا برجاله فى تضليل عجيب : « والله ماندرى علام نقتل أنفسنا هاهنا أيها الناس » !.. وتقدم (محمد) الباسل رمز الشجاعة الاسمى ببقايا الجيش .. فما أن بلغوا (أحد) حتى أبصروا جند قريش يملأون الميدان الصحراوى الفسيح .. ويتلفت المجاهد العظيم حوله فاذا بالوسيلة المثلى ، المبتغاة فى مثل ذلكم الوقت بالذات ، وهى (الخيل) : قد اختفت .. فلقد انسحب عبد الله بن أبى بـ : (جل) ما فى جيش المسلمين من خيل .. ولكن (محمدا) يصمت ، صابرا ، ويجابه الواقع ، فيقاتل قتالالجبابرة الأبطال . وفى محنة (أحد) تتكشف أمامه – صلوات الله عليه – أماثيل مونسة لما كان صدر من عفو وغفران .. فما أكثر من رأى من قوم كان يوم (بدر) عفا عنهم وأطلق سراحهم ها هم أولاء يقفون فى (أحد) خطباء محرضين المحاربين بمحمد !.. وهاهو ذا عبد اللهبنأبى، مثال فريد صارخ وحده على النفاق والزلفى عندما يكون الجو صفوا والريح رخاء .. فاذا تعكر الافق وادلهم الخطب تسفر خبيئة نفسه عن حقيقة تكوينها منعناصر الانتهازية وسوء المحتوى !.. ولقد عفا الرسول عنه ، المرة بعد المرة ، لكن ماذا يكون الأمر (الان) بعد أن خان الامانة ، وداس الثقة ، وخذل المعسكر النبوى واختفى قبل الالتحام وبدء المعمعة بثلث الجيش ؟؟. ألا فليلق جزاء المنافقين .

ويكون عقاب (محمد) العظيم : عنيفا وحكيما لايصدر الا عن أفق واسع وخلق سام ونظر بعيد صائب .. أو يمد له فى حبال الصبر كثيرا ؟ .. أو لم يمنحه الفرصة بعد الفرصة ؟.. ولا فائدة ؟.. اذن وجب الانتقام .. ف .. كيف تراه يكون ذلك الانتقام ، وعلى أية صورة ؟!.. عندما عاد جند المسلمين يحوطهم الوجوم ويحلق فوق رءوسهم الاسى ، على مالقوا – وهم جند الحق من مرارات لضعف وخور بعض النفوس .. ترك النبى لـ « الغير » أن يعبروا بأنفسهم عن رأيهم فى (نفسية) عبد الله بن أبى .. فما أن رأوه أمامهم وكانت كل سوءاته وقبائحه قد تكشفت وفاحت .. حتى انهالوا عليه ، يوسعونه بصقا وركلا وأخذا بالتلابيب !!.. والعجيب .. أنه كان يصرخ مستنكرا فعلهم ويعود فـ (يؤكد !!) لهم – فى تبجح الجبناء – أنه لايزال يدعو الى حب محمد ، والى طاعة محمد ..!! ، وهمس (عمر) فى أذن النبى : (لو أمرتنى فاقتله) ؟! .. ولكن محمدا المصطفى ينظر الى عمر فى استنكار صامت !!

أجل .. اذ : ما القتل ؟!.. أى (قتل) بعد ذاك؟!. أو ليس ذاك الحكم الجماعى الرهيب على (رجلما !)

هو (القتل) المعنوى ، وانه لانكى وأقسى .. حتى وان ظل (القتيل) بعدها يدب على القدمين يتنفس ويحيا..؟؟!

أمثال هؤلاء كثير .. فى كل زمان ـ كما قلنا ـ وكل مكان .. هم (ظاهرة) ، كظاهرة وجود الدود والأفاعى والهوام .. جنبا الى جنب قوام رقى الحياة وارتقاء بنيها من نسائم البشر ، وأسراب الطير ، وجحافل الأنعام ..!

ونعود الى التذكير بأن الله العلى العظيم ، جلت حكمته ، كثيرا ماحذر الرسول من مثل هؤلاء .. بل انه ـ سبحانه وتعالى ـ كان يوحى اليه بما (سوف يكون من أضاليل أقوالهم وأفعالهم) ، سلفا ، فينصحه بالقول المناسب ردا على ما يتشدقون به من مزاعم .. ففى تخلف بعض المنافقين عن اللحاق بالمعسكر النبوى المظفر ، قال تعالى مخاطبا (محمد) صلى الله عليه وسلم : « يعتذرون اليكم اذا رجعتم اليهم ، قل لاتعتذروا ، لن نؤمن لكم ، قد نبأنا الله من أخباركم، وسيرى الله عملكم ورسوله ، ثم تردون الى عالم الغيب والشهادة فينبئكم بما كنتم تعلمون » .

« حكمة بالغة .. فما تغنى النذر » ..

ولقد أصاب زعيمنا ورئيس جمهوريتنا الفتية ، فى خطابه المدوى بمحافظة البحيرة (١٩٦٦/٦/١٥) . أصاب كبد الحقيقة .. فند المزاعم ، وكشف أضاليل الرجعية العربية المعاصرة وأباطيلها ، وسلط ـ كعادته فى خطبه التاريخية ـ الأضواء على ما يفعل هؤلاء وما قالوا ويقولون ، والى أين ـ معصوبى الأعين ـ يسيرون ..!

ومن الخطاب التاريخى المومأ اليه نقتطف عبارات ما أحراها أن توضع ، وعلى الفور ، موضع التنفيذ العاجل ، والتدبر (العملى) .. (الواقعى) .. السريع : « .. الرجعية لايمكن بأى حال من الاحوال أن تسير مع القوى التقدمية العربية ولو كانت المسيرة نحو فلسطين .. لأن الرجعية تنظر الى القوى التقدمية العربية على أنها أخطر عليها من اسرائيل » !.. الى ذلك المنحى المخيف من التفكير وصل بالرجعية المعاصرة الضلال وسوء التبصر بمجريات التاريخ !.. وأيضا : « الشعب العربى فى كل مكان يعرف ويعلم علم اليقين أن اللى بيدعو للمؤتمرات الاسلامية ، وبيقولوا ان العملية اسلامية .. هم أبعد الناس عن الاسلام ، وهم أبعد الناس عن الدين .. وأن العملية سياسية الغرض منها أن نوضع داخل مناطق النفوذ الاستعمارية » !

ما عاد يجدى تستر الرجعية وراء « حلف » موصوف بأنه « اسلامى » .. ولا ولن يفيد الضالين المضللين ما كشفوا عنه فى سفور خطر يبعث على الدهشة والعجب !. لكن ، ها هو ذا الخطاب الثورى الاخير يقول وصفا وتحليلا لما كان عند التخفى وما سيكون بعد السفور : « احنا اجتمعنا معهم من أجل وحدة العمل ضد اسرائيل ، وهم قالوا لنا أيوه ، ولكن اللى كان فى خاطرهم واللى فى نيتهم أن تتحد الرجعية والاستعمار ضدنا احنا ، ضد الثورة المصرية أولا ، وضد الثورة العربية ثانيا .. حينما اعتقدوا أنهم تمكنوا أعلنوا نيتهم بصراحة .. وهى أنهم بسبيل عمل حلف اسلامى ، ده مش حلف اسلامى ، ده طبعا أخذوا الاسلام زى ما قلت قبل كده : حجة ووسيلة ، وليخدعوا به البسطاء من الناس ، وليس الحلف الاسلامى الا استكمال لحلف بغداد . وأخيرا هاهو ذاكم الحل والرأى الجديرين بسرعة التنفيذ الشامل : « .. احنا خدعنا سنة ٦٤ ، وخدعنا سنة ٦٥ ، ولكن لن نخدع أبدا سنة ٦٦ . وسبيلنا الوحيد حتى تتحقق كل أهدافنا : أن تستمر الثورة .. استمرار الثورة وطنيا لنقضى فى الداخل على الاستغلال وعلى الاقطاع وعلى التحكم بكل أنواعه .. ونقيم مجتمع الكفاية والعدل.. واستمرار الثورة قوميا بالنسبة للعمل العربى الثورى ، لنقضى على الاستعمار ، ولنقضى على مناطق النفوذ ، ولنجابه الرجعية بكل قوانا .. وبهذا يمكن فعلا أن نحرر الوطن العربى ونثبت استقلال الوطن العربى ، ونتصدى فعلا لاسرائيل .. ولمن هم وراء اسرائيل » .

ما أحرى تلك الكلمات الصريحة المخلصة ، متناهية القوة والبساطة معا ، فهى الخالية من كل زخرف قول ومحسنات لفظ .. ان هى الا الحقائق المجردة .. الا اللباب تساق على الملأ وبلا زيف وبدون انشائيات .. ما أحراها هذه (النقاط) المضيئة أن تكون أمامنا جميعا ، نحن أمة العرب والاسلام ، فى موضع (خطة الدرس) و (أسلوب العمل) و.. (سلاح الوعى) الامضى ..

وفى (الميثاق) ـ دليل العمل الثورى ـ : « .. ان أى وسيلة خارجية لأى وطن من الاوطان لاتكون انعكاسا أمينا وصادقا لعمله الوطنى ، تصبح ادعاء يكشف نفسه بنفسه ، ويصبح نفاقا ، واتجارا بالشعارات » .

الا فلننعكف على واقعنا نستلهمه الحلول ، ونفجر منه مسوغات التطور والارتقاء ، فليس بنا من حاجة ـ اذن ! ـ الى أن نفرغ ، بمناسبة وبلا مناسبة ـ الى « كعبة ! » أخرى غير كعبتنا ، نستعديها ، ونستجديها ونؤلبها ضد أخطار (وهمية) لا وجود لها الا فى مخيلات المفزوعين ، الذين تمكن منهم الروع وعصف بهم الخوف .. اشفاقا على (بقاء) كل مال الشعب بين أيديهم .. وعلى (ثبات) قوائم العروش دون ما اهتزاز من تحت أبدانهم !!.. فلا ارتقاء مزدهر ، ولا سلام يستقر الا بعكوف أصحاب الشأن فى حكومات العرب على تدبر الامور .. بغير (أولياء أمور) !!

ومن الميثاق أيضا : « ان السلام لايمكن أن يستقر فى عالم تتفاوت فيه مستويات الشعوب تفاوتا مخيفا . ان السلام لايمكن أن يستقر على حافة الهوة السحيقة التى تفصل بين الامم المتقدمة والامم التى فرض عليها التخلف » . وأخيرا يا أبتها الفئة القليلة الباغية .. ذاكم هو ردنا ، ومن واقع ميثاقنا : (ان شعبنا قد عقد العزم على أن يعيد صنع الحياة على أرضه .. بالحرية والحق ، بالكفاية والعدل .. بالمحبة .. والسلام) .

فهل من تائب منيب ؟؟.. ان لم يكن .. فامضوا ، لكم طريقكم الذى اخترتم .. ونحن على طريقنا ، يهدينا الاسلام الحق الذى تنكبتم خالد دستوره وباهر نوره وساطع هديه .. و .. ولن يضيرنا ـ نحن شعوب العرب وأمة الاسلام ـ ما سوف ينتهى اليه مآلكم ، أنتم و « آلكم » الجدد ، مقصد كل مشورة ، و«كعبة» كل رحلة !..

لن يضيرنا بشىء ما سيحيق بذوق الأفق الضيق ، والمكر السىء .. فانا نتمثل بقول أصدق القائلين وأحكم الحاكمين : « يا أيها الذين آمنوا عليكم أنفسكم .. لايضركم من ضل اذا اهتديتم » .

سعد بن أبي وقاص

(أول من رمى بسهم في سبيل الله)

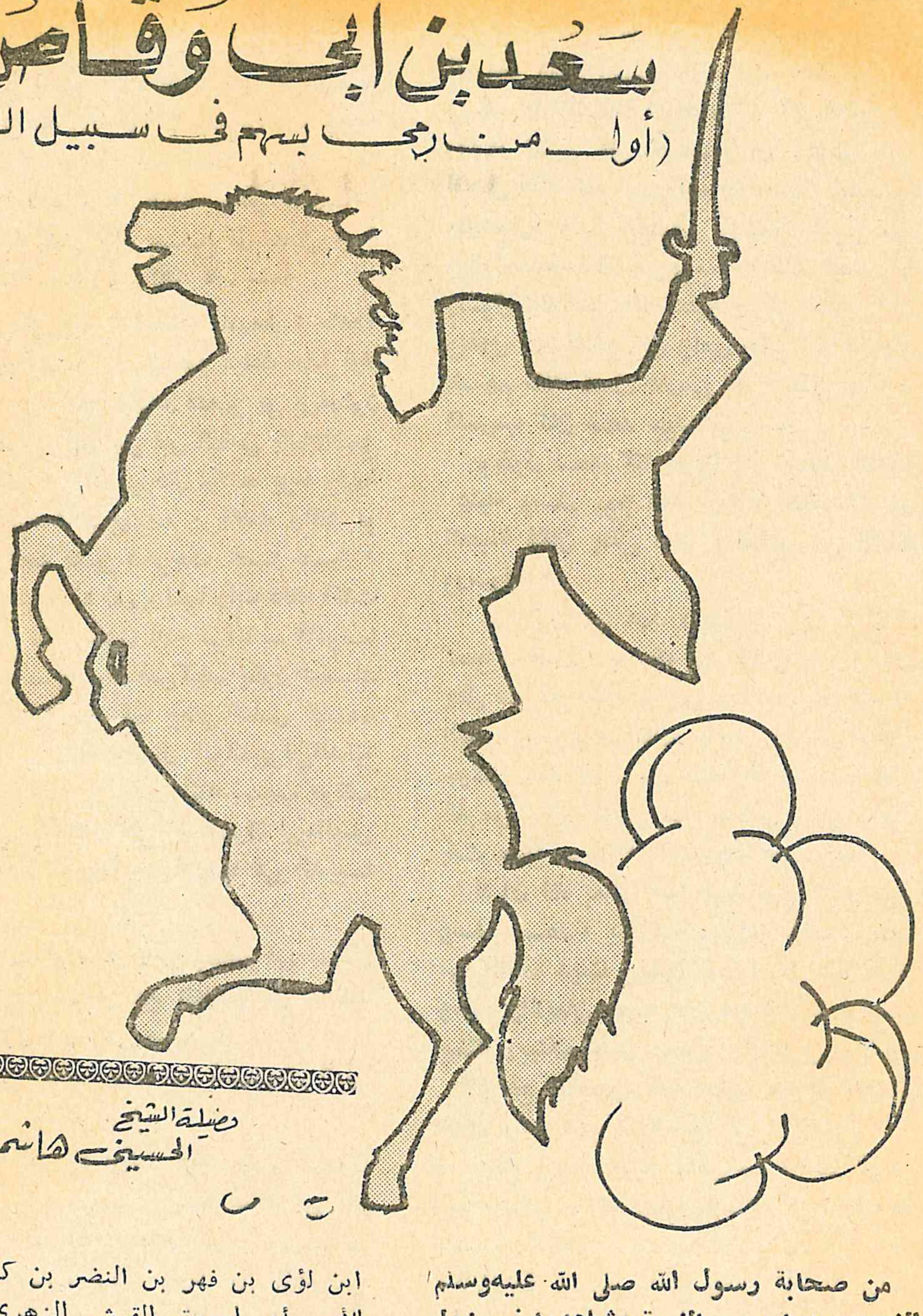

فضيلة الشيخ
الحسيني هاشم

من صحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم الذين سعدوا بعبير النبوة وشاهدوا نزول الوحى ، وكفى الصحابة شرفا قول رسول الله صلى الله عليه وسلم ((اصحابى كالنجوم بأيهم اقتديتم اهتديتم))

من هذه النجوم المشرقة الوضاءة سعد بن أبى وقاص وهو سعد بن مالك بن وهب بن عبد مناف بن زهرة بن كلاب بن مرة بن كعب ابن لؤى بن فهر بن النضر بن كنانة فهو الأمير أبو اسحق القرشى الزهرى المكى ابن عم أم نبينا صلى الله عليه وسلم آمنة بنت وهب أحد العشرة المبشرين بالجنة وأحد السابقين الأولين واحد الستة أهل الشورى

من رواة حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم له فى الصحيحين خمسة عشر حديثا حدث عنه ابن عمر وابن عباس وعائشة والسائب بن

يزيد وبنوه عامر وعمر ومصعب وابراهيم وعائشة بنته وغيرهم

بزغ نور الدعوة الاسلامية وعمره سبعة عشر عاما فهداه الله الى الاسلام وأسلم وجهه لله وذاق حلاوة الايمان وخالطت بشاشته قلبه واذا وصل الاسلام الى القلب بحق فهيهات ان يرتضى به بديلا وان يستمع الى مضل مهما كانت مكانته عنده وكذلك كان سعد

لما أسلم أتى أمه : فقالت ياسعد : ماهذا الدين الذى أحدثت ؟ لتدعن دينك هذا أولا آكل ولا أشرب حتى أموت فتعير بى ويقولون قتل أمه فقال وكان من أبر الناس بأمه لاتفعلى يا أمة فأنى لا أدع دينى قال مكثت يوما وليلة لاتأكل فأصبحت وجهدت . فقلت والله لو كانت لك الف نفس فخرجت نفسا نفسا . ما تركت دينى هذا لشىء فلما رأت ذلك أكلت وشربت وفى ذلك أنزل الله قرآنا – قانونا سماويا عاما – يعلم الناس كيف يكون التمسك بالدين والاعتزاز به كما يعلم الناس كيف يكون الاحسان والمعروف الى الوالدين فى الدنيا ولو كانا من الكافرين انزل الله بسبب موقف سعد **« وان جاهداك على ان تشرك بى ماليس لك به علم فلا تطعهما وصاحبهما فى الدنيا معروفا »**

وكان سعد اول من رمى بسهم فى سبيل الله . روى المسعودى عن القاسم بن عبد الرحمن « أول من رمى بسهم فى سبيل الله : سعد بن أبى وقاص وانه من أخوال النبى صلى الله عليه وسلم » .

ففى بدء الدعوة والصحابة يستخفون بالصلاة من كفار قريش وبينما سعد فى نفر من أصحاب النبى فاذا بالمشركين يسبونهم ويقاتلونهم فضرب سعد رجلا من المشركين بعظمة جمل فشجه وسجل التاريخ له تلك البطولة وانه صاحب أول دم أريق فى الاسلام وتتجلى شجاعة سعد فى غزوة احد فى لحظات حاسمه عندما كان المسلمون فى أحرج الاوقات

روى مسلم أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أفرد يوم أحد فى سبعة من الأنصار ورجلين من قريش فلما ارهقه المشركون قال من يرد عنى وله الجنة ؟ فتقدم رجل من الأنصار فقاتل حتى قتل ثم أرهقوه فقال من يدرهم عنى وله الجنة فلم يزل كذلك حتى قتل السبعة فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما أنصفنا اصحابنا ، أى الفارين – وأشار النبى على الصحابة أن يحتلوا قمة الجبل قائلا لهم ليس لهم أن يعلونا فحصبوهم بالحجارة حتى اجلوهم ويختار النبى سعد ويقول سعد انه رمى يوم احد قال فلقد رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم يناولنى النبل ويقول ارم فداك أبى وامى حتى انه ليناولنى السهم ماله نصل فارمى به . قال عنه ابن المسيب كان سعد جيد الرمى .

ويقول سعد كنا نغزوا مع رسول الله صلى عليه وسلم يوم احد ومالنا طعام الا ورق الحبلة فكان بطل أحد والمدافع عن الاسلام ورسوله .

كما كان فى عهد الرسول رمزا للبطولة شجاعا صابرا صادقا ظل كذلك بعده فهو بطل معركة القادسية فى عهد عمر بن الخطاب التقى برستم فى القادسية باب العراق وكان جيش سعد يقرب من سبعة آلاف بينما جيش الفرس يبلغ ثلاثين الف مقاتل وقبل المعركة بعث سعد برسالة الى رستم يقول فيها

« ان الله بعث الينا نبيه صلى الله عليه وسلم فسعدنا بأجابته واتباعه وأمرنا بجهاد من خالف ديننا ونحن ندعوك الى عبادة الله وحده والايمان بنبيه فأن فعلت والا فالسيف بيننا وبينكم فقال رستم والشمس والقمر لايرتفع الضحى غدا حتى نقتلكم أجمعين فقال سعد لاحول ولا قوة الا بالله »

وبحول الله وقوته خاض سعد المعركة وهزم رستم وفر بجنده وسرى الاسلام فى بابل وبشر عمر بن الخطاب بالفتح فكتب اليه عمر : قف مكانك ولا تتبعهم واقنع بهذا واتخذ للمسلمين دار هجرة ومدينة يسكنونها ولا تجعل بينى وبينهم بحرا »

ونزل سعد بجنده فى الكوفة فى المحرم سنة ١٧ هـ وحاصر العراق وفتحها فكان كسبا عظيما للاسلام والمسلمين .

وفى عهد عثمان كانت الثقة فى سعد ايضا فولاه الخليفة على الكوفة اعترافا بفضله وتقديرا

البقية ص ١٦٥

قطوف

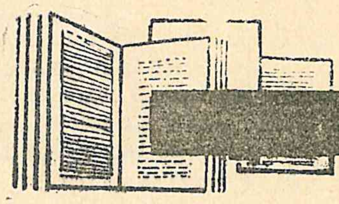

للأستاذ علي الجندي

(٣)

تواضع الرسول وشفقته ! !

لما كان فتح مكة أتى أبو بكر – رضى الله تعالى عنه – بأبيه أبى قحافة الى النبى – صلى الله عليه وسلم – يقوده اليه لكبر سنه ! !

فقال – عليه الصلاة والسلام : « لم لا تركت الشيخ حتى نأتيه ؟ »

قال هذا رحمة بالاب واجلالا للابن !

خاتمة عمرو بن العاص ! !

لما حضرت عمرو بن العاص الوفاة أخذ فى البكاء !! فقال له ابنه : أتبكى جزعا من الموت ؟ ! !

فقال : لا والله ! !

ثم جعل ابنه يذكره بصحبته رسول الله – صلى الله عليه وسلم – وفتوحه الشام وغيرها ، فقال عمرو : تركت أفضل من ذلك : شهادة أن لا اله الا الله ! ! .

ثم قال : انى كنت على ثلاث أطباق ليس منها طبقة الا عرفت نفسى فيها :

كنت أول شىء كافرا ! ! وكنت أشد الناس على رسول لله – صلى الله عليه وسلم – فلو مت حينئذ لوجبت على النار ! ! فلما بايعت رسول الله – صلى الله عليه وسلم – كنت أشد الناس منه حياء ماملأت عينى منه ! ! فلو مت حينئذ لقال الناس : هنيئا لعمرو ! ! أسلم على خير ، ومات على خير أحواله ! !

ثم تلبست بعد ذلك بأشياء فلا أدرى أعلى أم لى ؟ فاذا أنا مت فلا يبكى على ، ولا تتبعونى نارا ، وشدوا على ازارى فانى مخاصم – بفتح الصاد – فاذا دفنتمونى فاقعدوا عندى قدر نحر جزور وتقطيعها استأنس بكم ، حتى أعلم ما أراجع به رسل ربى ! !

وفى رواية : أنه حين حضرته الوفاة حول وجهه الى الجدار وهو يقول :

اللهم ، أمرتنا فعصينا ، ونهيتنا فما انتهينا ولا يسعنا الا عفوك !

وفى رواية : أنه وضع يده على موضع الغل من عنقه ، ورفع رأسه الى السماء وقال : اللهم ، لاقوى فانتصر ولا برىء فاعتذر ، ولا مستكبر بل مستغفر ، لا اله الا أنت !!

فلم يزل يرددها حتى مات ! !

وعن عبد الله ابنه : أن أباه قال : اللهم ، أمرت بأمور ونهيت عن أمور ، فتركنا كثيرا مما أمرت ، ووقعنا فى كثير مما نهيت ! ! اللهم لا اله الا أنت ! !

ثم أخذ بابهامه فلم يزل يهلل حتى توفى ! !

ويقول المزنى سمعت الشافعى يقول : دخل ابن عباس على عمرو بن العاص – وهو مريض – فقال له : كيف أصبحت ؟

قال : أصبحت وقد أصلحت من دنياى قليلا ! ! وأفسدت من دينى كثيرا ! فلو كان ما أصلحت هو ما أفسدت لفزت ، ولو كان ينفعنى أن أطلب لطلبت ، ولو كان ينجينى أن أهرب لهربت ! ! فعظنى بموعظة انتفع بها يا بن أخى ! !

فقال ابن عباس : هيهات يا أبا عبد الله ! !

فقال عمرو : اللهم ، ان ابن عباس يقنطنى من رحمتك ! !

فخذ منى حتى ترضى ! !

وكانت وفاته ليلة عيد الفطر فصلى عليه ابنه ودفنه ، ثم صلى بالناس صلاة العيد . وكان عمره نحو مائة سنة وقيل تسع وتسعون ! !

كرامة لعمر بن عبد العزيز ! !

لما حج بالناس عمر بن عبد العزيز – رضى الله عنه – وكان أمير المدينة وصل جماعة من قريش ، وساق معه بدنا وأحرم من « ذى الحليفة » .

فلما كان « بالتنعيم » أخبر أن مكة قليلة الماء ، وانهم يخافون على الحجاج العطش ! !

فقال عمر : تعالوا ندع الله تعالى ! !

فدعا ودعا الناس معه ! ! فما وصلوا الى البيت الا مع المطر ! !

وسال الوادى حتى خاف أهل مكة من شدته . ومطرت عرفة ومكة وكثر الخصب ! !

قبيح وجميلة ! !

كان عمران بن حطان السدوسى الخارجى فصيحا شاعرا وكان قبيح الشكل ! !

وكانت زوجته بديعة الجمال ! !

فدخل اليها يوما ـ وهى بزينتها ـ فأعجبته وعلمت منه ذلك ! ! فقالت له : أبشر فانى واياك فى الجنة ! !!

فقال ومن أين علمت ؟

قالت لأنك أعطيت مثلى فشكرت ! ! وأنا ابتليت بمثلك فصبرت ! !

والشاكر والصابر فى الجنة ! !

سفح المقطم مبارك ! !

عن الامام الليث بن سعد : أن المقوقس سأل عمرو بن العاص أن يبيعه سفح المقطم بسبعين ألف درهم ! !

فعجب عمرو من ذلك وقال : أكتب الى أمير المؤمنين !!

فكتب بذلك الى عمر ، فكتب اليه : سله : لم أعطاك ما أعطاك وهى لاتزرع ولا يستنبط بهـا ماء ولا ينتفع بها ؟ ! !

فسأله ، فقال : انا لنجد صفتها فى الكتب ، ان فيها غراس الجنة ! !

فكتب بذلك الى عمر ، فكتب اليه : انا لا نعلم غراس الجنة الا للمؤمنين ، فاقبر فيهـا من مات لديك من المسلمين ولا تبعها بشىء ! !

فكان أول من قبر فيها رجل من « المعافر » ـ بوزن معارج ـ يقال له : عامر .

فقيل : عمرت ! !

والقرافة : سميت بطائفة من المعافر يقـال لهم : « القرافة » نزلوا هناك .

لم سميت البحيرة ؟

كانت محافظة البحيرة كرما لزوجة المقوقس ، وكانت تأخذ خراجها الخمر بفريضة عليهم ! ! فلما كثر الخمر عليها قالت : لا حاجة لى بالخمر ، أعطونى دنانير .

فلما لم تجدها معهم أرسلت على الكرم الماء فغرقتها ، فصارت بحيرة يصاد منها السمك ! !

حتى جاء بنو العباس فسدوا جسورها وزرعوها ، فنمت واستمرت فى الزيادة الى يومنا هذا ، وبقى ذلك اسما عليها لا تعرف الا بالبحيرة .

العبادلة :

العبادلة أربعة ، وهم عبد الله بن عمر بن الخطاب ، وعبد الله بن عباس . وعبد الله بن الزبير ، وعبد الله ابن عمرو بن العاص رضى الله عنهم أجمعين ! ! وكلهم قرشيون . وليس من العبادلة عبد الله بن مسعود .

ضرب الدنانير والدراهم :

فى سنة خمس وسبعين هجرية ضرب عبـد الملك بن مروان على الدينار والدرهم اسم الله ـ تعالى .

وسبب ذلك أنه وجد دنانير ودراهم تاريخها قبـل الاسلا بثلثمائة سنة أو بأربعمائة سنة ، مكتوبا عليها : باسم الأب والابن وروح القدس .

قراءة القرآن بالألحان :

أول من قرأ القرآن بالألحان ، عبيد الله بن أبى بكرة الثقفى ، وكنيته أبو حاتم من الطبقة الثالثة من التابعين من أهل البصرة وقد ولى قضاءها .

من بركات الرسول ! !

قال بشر بن عقربة الجهنى : لقينى رسـول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ وأنا أبكى ـ وكان أبوه عقربة قتل يوم أحد ـ فقال : « يا حبيب ، ما يبكيك » ؟

فقلت : قتل أبى ! !

فقال : « أما ترضى أن أكون أباك وعائشة أمك » ؟ ومسح على رأسى بيده !

فكان أثر يده من رأسى أسود ، وسائره أبيض ! !

حسن الصوت :

قال بعض المفسرين فى قوله ـ تعالى ـ : « يزيد فى الخلق ما يشاء » أنه الصوت الحسن !

وعن قتادة : ما بعث الله نبيا الا حسن الوجه ، حسن الصوت ! !

وقد كان نبيكم ـ صلى الله عليه وسلم ـ حسـن الوجه ، حسن الصوت ! !

وأمر الصوت عجيب ـ كما يقول الحكماء ـ وتصرفه فى الوجوه أعجب ! !

فمن ذلك : أن منه ما يقتل كصوت الصـاعقة ، ومنه ما يسر النفوس حتى يفرط عليها السرور فتقلق حتى ترقص ! ! وحتى ربما رمى الرجل بنفسه من حـالق ! !

ومن ذلك ما يكمد ! ! ومن ذلك ما يزيل العقل حتى يغشى على صاحبه ، كنحـو هـذه الاصوات الشـجية ، والقراءات الملحنة ، وليس يعتريهم ذلك من قبل المعانى ، لأنهم فى كثير من ذلك لا يفهمون معانى كلامهم ! !

وقد بكى « ماسرجوية » من قراءة « أبى الخوخ » فقيل له : كيف بكيت من كتاب الله ولا تصدق به ! !

قال : انما أبكانى الشجا ! !

اسلام ملك الهند :

قال ابن عساكر : كتب ملك الهند الى الخليفـة الخامس : عمر بن عبد العزيز ـ رضى الله عنه ـ : من ملك الهند والسند ، ملك الأملاك الذى هو ابن ألف ملك ، وتحته ابنة ألف ملك ، والذى فى مملكته نهران ينبتان العود والكافور والاكرة التى يوجد ريحها من اثنى عشر فرسخا ، والذى فى مربطه ألف فيل ، وتحت يده ألف ملك ، الى ملك العرب . أما بعد ، فان الله قد هدانى الى الاسلام ، فابعث الى رجلا يعلمنى الاسلام والقرآن وشرائع الاسلام ، وقد أهديت لك هدية من المسك والعنبر والند والكافور ، فاقبلها فانما أنا أخوك فى الاسلام ، والسلام ! !

أكـول ! !

كان سليمان بن عبد الملك بن مروان أكـولا وحكاياته فى كثرة الأكل مشهورة ! !

ومن ذلك : أنه حج مرة فنزل بالطائف فأكل سبعين رمانة ! !

ثم جاءوه بخروف مشوى وست دجاجات كأنهـا النعام فأكلها ! !

ثم جاءوه بزبيب فأكل منه شيئا كثيرا ! !

ثم نعس وانتبه ، فأتاه الطباخ فأخبره باسـتواء الطعام ، فقال : اعرضه على قدرا قدرا ! ! فصـار يأكل من كل قدر اللقمة واللقمتين ، واللحمة واللحمتين ـ وكانت ثمانين قدرا ـ ! !

ثم مد السماط فأكل على عادته ، كأنه ما أكـل شيئا ! !

من « الجنديات » :

هـذه الدنيـا التى نحيا بها
روضـة تزهو بمنضـور الورود
كل ما يبهج دان مطلبـــــــه
غير نزر ـ ان ترمه ـ أو فقيـد
غير أن المـرء يشقى نفســه
ويعالج النوح : أشقتنى الجدود
وهو لو فـكر فيمــــن دونـه
قطع الأيـام فى عيش رغيـد
لا تضق بالدهـر ذرعا كل ما
قرت العـين به فهـو حميد

الجدود : الحظوظ .

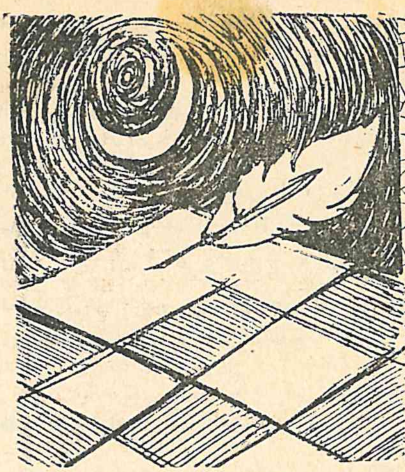

حول سيرة الامام البخاري

الأستاذ مبشر الطرازي الحسيني

هو القدوة المقدام ، الامام الهمام ، جامع الاحاديث النبوية ، وحافظ السنة المحمدية ، أبو عبد الله محمد بن اسماعيل بن ابراهيم بن المغيرة بن بردزبه الجعفي . وكان بردزبه فارسيا على دين قومه ثم اسلم ولده المغيرة على يد اليمان الجعفي والي بخارى ، ونسبوه اليه ، على مذهب من يرى أن من أسلم على يد شخص كان ولاؤه له ، ومن هنا قيل للامام البخاري الجعفي

اما والده

اما والده ، اسماعيل بن ابراهيم فقد كان من العلماء الاتقياء ومن رواة الاحاديث النبوية ، فقد روى عن حماد ابن زيد ومالك بن أنس ، وصحب ابن المبارك وروى عنه العراقيون .

قال الذهبي في تاريخ الاسلام : كان ابو البخاري من العلماء الورعين ، وحدث عن ابي معاوية وجماعته ، وروى عنه احمد بن جعفر ، ونصر بن الحسين ، قال احمد بن حفص دخلت على ابي الحسن اسماعيل بن ابراهيم عند موته ، فقال : « لااعلم في جميع مالي درهما واحدا من شبهة » فتصاغرت الى نفسي منذ ذلك رحمة الله عليه .

ولادته

ولد الامام محمد البخاري « على ماقاله ابن كثير » ليلة الجمعة الثالث عشر من شوال سنة ١٩٤ مئة واربع وتسعين ، في بخارى ، وهي أعظم المدن واعرقها في ما وراء النهر ، ولقبها « قبة الاسلام » كما هو المعروف في تاريخ تلك البلاد الشرقية .

وقد ذكر هذا اللقب شيخي في الحديث المغفور له الشيخ محمد سعيد العسلي الشامي في قصيدة انشأها بعد انقلاب بخارى ، حيث يقول :

اما بخارى فقد كانت ببهجتها
تزهو ، ويعلم هذا سائر الناس
فعضها الدهر فهي الان كاسفة
تشكو اليم جراح مالها اسى

الى ان قال :

ياهل أرى قبة الاسلام عامرة
ام حال دون المنى سور من الياس ؟

في حجر والدته

وتوفي والد الامام البخاري وهو صغير ، حيث عاش عيشة اليتيم ، ولكن في حجر والدته ، التي بذلت جهودها في تعليمه وتربيته وكانت من النساء الصالحات في عهدها ، ويدل على هذا ما ذكره غنجار في تاريخ بخارى واللالكائي في شرح السنن في باب كرامات الاولياء ان محمد البخاري قد ذهبت عيناه في صغره ، فأصبحت امه متألمة له وكانت تتضرع الى الله سبحانه بالدعاء كثيرا ، الى أن رأت في المنام ، ابراهيم الخليل عليه الصلاة والسلام ، فقال لها : قد رد الله على ابنك بصره بكثرة دعائك ، فأصبح البخاري وقد رد الله عليه بصره .

نشأته

لقد نشأ محمد البخاري منذ طفولته نشأة دينية وعاش حياة شريفة باخلاق سنية باذلا جهوده لمعرفة احكام دينه ساعيا في سبيل مايؤدي به الى قوة ايمانه ويقينه ، حريصا على التعلم من اساتذة زمانه ، والاستفادة من مشايخ أوانه ، مولعا بالرواية ، وتواقا الى الدراية ، مغتنما أوقات عمره وايام شبابه ، منطلقا نحو غايته المنشودة من جمع الاحاديث واخراج كتابه الى ان بلغ ما بلغه من علو المقام ، فاصبح امام ائمة الاسلام ، رحمة الله عليه وعليهم اجمعين .

فقد روى العلامة احمد بن محمد القسطلاني « ٨٥١ـ ٩٢٣ هـ » في كتابه « ارشاد الساري ، الى صحيح البخاري » عن أبي جعفر محمد بن أبي حاتم الوراق البخاري انه قال : قلت لمحمد البخاري كيف كان بدء أمرك ؟

فقال : الهمت الحديث في المكتب ـ وهو المدرسة الابتدائية في عرف ما وراء النهر ـ ولى عشر سنوات ، او اقل ، ثم خرجت من المكتب بعد العشر ، فجعلت اختلف الى الداخلي « من أهل الحديث في عهده » فقال الداخلي يوما فيما كان يقرأ للناس « عن سفيان عن ابى الزبير عن ابراهيم »

فقلت له « ان ابا الزبير لم يرو عن ابراهيم » فانتهرنى ، فقلت له ارجع الى الاصل ان كان عندك ، فدخل فنظر فيه ثم خرج فقال لى « كيف هو ياغلام ؟ » فقلت « هو الزبير بن عدى عن ابراهيم ، فاخذ القلم منى واصلح كتابه به وقال صدقت ».

وقد سأله بعض اصحابه : ابن كم كنت اذ ذاك ؟ فقال « ابن احدى عشرة سنة »

ثم مشى محمد البخارى وهو يقول : فلما طعنت في ست عشرة سنة حفظت كتب ابن المبارك ووكيع ، وعرفت كلام هؤلاء « يعني اصحاب الرأى في الحديث » ثم خرجت مع أخى احمد وأمى الى مكة ، فلما حججت رجع أخى الى بخارى فمات بها « وبهذا افاد محمد البخارى انه بقى في مكة لطلب العلم في صحبة احمد . ثم قال « ولما طعنت في ثمانى عشرة سنة صنفت كتاب قضايا الصحابة والتابعين وأقاويلهم ، وصنفت التاريخ الكبير اذ ذاك عند قبر النبى صلى الله عليه وسلم في الليالى القمرة وقل اسم في التاريخ الا وله عندى قصة ، ولكننى كرهت تطويل الكتاب »

قال ابو بكر بن عتاب الاعين : كتبنا ـ رواية الحديث ـ عن محمد بن اسماعيل على باب يوسف الفريابى وهو امرد ، وما في وجهه شعرة ، وكان موت الفريابى سنة اثنتى عشرة ومئتين ، فيكون لمحمد البخارى اذ ذاك ثمانى عشرة سنة أو دونها .

اقول : وهذا وما سبق عليه مما قالوا من عند أنفسهم او على لسان الامام البخارى ، يدل دلالة واضحة أن محمد ابن اسماعيل البخارى كان من صغره ملهما بالحديث النبوى . سباقا الى علمه وروايته وحفظه من مشايخ عهده ، وقد تفوق في هذا الميدان وهو شاب ، فاعتمد عليه اهل العلم في هذا الباب .

كما يدل على انه قد نشأ نشأة علمية تبشر عن مستقبله الزاهر ، وتنبىء عن اقباله الباهر ، وذلك فيما يصبو اليه من جمع الاحاديث الصحيحة بالسند الصحيح عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، تلك الاحاديث النبوية ، والسنن المحمدية ، التى اصبح جامعها ـ الجامع الصحيح ـ فيما بعد من مدة أصح الكتب بعد كتاب الله ، مرجعا لكافة الامة ، على اختلاف مذاهبها ، في جميع أدوارها الى يوم القيامة ، « ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء والله ذو الفضل العظيم »

رحلاته المباركة

اما رحلاته المباركة المتوالية في سبيل الوصول الى هذا الغرض الاسمى والمقصد الاسنى ، فقد اتفقت أقوال العلماء والمؤرخين ، في أن الامام البخارى ارتحل الى سائر مشايخ الحديث في البلدان التى امكنته الرحلة اليها ، وكان ذلك بعد ان رجع من مكة ، وقد سمع بها من ابى عبد الرحمن المقرى ، والحميدى ، وأحمد بن محمد الازرق وجماعة ، كما سمع بالمدينة من عبد العزيز الاويسى ، ومطرف بن عبد الله ، وأبى ثابت بن محمد ابن عبد الله وطائفة .

وقال الذهبى وغيره : كان أول سماعه سنة خمس ومائتين ، ورحل سنة عشر ومائتين بعد ان سمع الكثير ببلدة بخارى من سادة وقته محمد بن سلام البيكندى ، وعبد الله بن محمد المسندى ، ومحمد بن عرعرة وهارون ابن الاشعث وطائفة .

وفي رحلاته الى بلخ ، ومرو ونيسابور ، والرى ، وبغداد ، والبصرة ، والكوفة وواسط ودمشق وحمص ، وقيسارية ، سمع عن كثير من مشايخ الحديث الموثوق بهم لدى الامة .

كما سمع في مصر من سعيد بن ابى مريم ، وعبدالله ابن صالح الكاتب ، وسعيد بن تليد ، وعمرو بن الربيع ابن طارق ، ومن أمثالهم من طبقتهم من أهل الحديث هذا .

وقد نقل القسطلانى في شرحه لصحيح البخارى ، عن ابى جعفر الوراق البخارى ايضا « وهو من أقرب الشخصيات الى الامام البخارى ، وأكثرهم صحبة لديه » قال ، قال محمد البخارى : كتبت عن الف وثمانين نفسا ليس فيهم الا صاحب حديث » وقد حصرهم الحافظ ابن حجر العسقلانى في خمس طبقات يطول الكلام بذكرها .

وروى عن الامام البخارى انه قال : لايكون المحدث كاملا حتى يكتب عمن هو فوقه ، وعمن هو مثله ، وعمن هو دونه ، أقول : وبهذا يشير الامام البخارى الى المثل القائل « أنظر الى ماقال ، ولا تنظر الى من قال »

ذكاؤه ، وسعة حفظه

اما ذكاء الامام البخارى وسعة حفظه وسيلان ذهنه، فقد ذكر القسطلانى في شرحه : قيل انه كان يحفظ وهو صبى سبعين ألف حديث سردا . وروى انه كان ينظر في الكتاب مرة واحدة فيحفظ مافيه .

وقال أبو جعفر محمد الوراق : سمعت حاشد بن اسماعيل وآخر يقولان : كان البخارى يختلف ـ أى يذهب ـ معنا الى السماع وهو غلام فلا يكتب حتى يأتى على ذلك أيام ، فكنا نقول له ذلك . فقال انكما قد أكثرتما على فاعرضا على ماكتبتما ، فاخرجنا اليه ماكان عندنا فزاد ذلك على خمسة عشر الف حديث فقرأها كلها عن ظهر قلبه ، حتى جعلنا نحكم كتبنا من حفظه ثم قال : أترون انى أختلف هدرا وأضيع أيامى ؟ فعرفنا انه لا يتقدمه احد ثم قالا : فكان اهل المعرفة يعدون خلفه في طلب الحديث وهو شاب ، حتى يغلبوه على نفسه ويجلسونه في بعض الطريق فيجتمع عليه الوف اكثرهم ممن يكتب عنه .

وقال محمد الوراق ايضا : كنت عند محمد بن سلام البيكندى ـ وهو من شيوخ البخارى في بلدة بخارى ـ فقال لى لو جئت قبل ، لرأيت صبيا يحفظ سبعين ألف حديث ، قال فخرجت في طلبه فلقيته فقلت أنت الذى تقول ، انا أحفظ سبعين ألف حديث ؟ قال نعم وأكثر ولا أجيبك بحديث من الصحابة والتابعين ، الا ممن عرفت مولد أكثرهم ووفاتهم ومساكنهم ، ثم قال : ولست أروى حديثا من حديث الصحابة والتابعين الا ولى في ذلك أصل ، أحفظه حفظا من كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم .

وقال احمد بن عدى الحافظ ، حدثنى محمد بن احمد القوسى : سمعت محمد بن حمرويه يقول سمعت محمد بن اسماعيل البخارى يقول « احفظ مائة الف حديث صحيح واحفظ مائتى الف حديث غير صحيح » هذا .

واقول : ان هذا وما سبقه من امثاله ليس ببعيد عن مثله ، حينما يريد الله سبحانه ان يحمل أمانة سنة رسوله صلى الله عليه وسلم ، على عاتق عبده محمد بن اسماعيل البخارى ، فان الامر يتطلب ذلك ، بل يستوجب أكثر من هذا وذلك . والله على مايشاء قدير . والمثل العربى يقول « اذا اراد الله شيئا هيأ أسبابه »

اطلاعه على علل الحديث

قال القسطلانى : واما اطلاعه على علل الحديث فقد روينا عن مسلم بن حجاج القشيرى « صاحب الصحيح » انه قال لمحمد البخارى يوما « دعنى اقبل رجليك يا استاذ الاستاذين ، وسيد المحدثين ، وطبيب الحديث فى علله »

وقد صح ان مسلم بن حجاج القشيرى كان ممن يستفيد من البخارى ويعترف بانه ليس له نظير فى علم الحديث وقد صرح به الامام النووى فى شرحه لصحيح مسلم . ومما اعترف به مسلم للبخارى قوله « لايبغضك الا حاسد واشهد ان ليس فى الدنيا مثلك » رواه القسطلانى عن الحافظ ابى حامد الاعمش .

وقال الامام الترمذى صاحب الصحيح : لم ار احدا بالعراق ولا بخراسان فى معرفة العلل والتاريخ ومعرفة الاسانيد ، أعلم من محمد بن أسماعيل البخارى »

ونقل القسطلانى عن محمد بن حاتم الوراق انه قال سمعت سليم بن مجاهد يقول سمعت ابا الازهر يقول :

« وكان بسمرقند اربعمائة ممن يطلبون الحديث ، فاجتمعوا سبعة أيام واحبوا مغالطة محمد بن اسماعيل البخارى ، فادخلوا اسناد الشام فى اسناد العراق وبالعكس واسناد الحرم فى اسناد اليمن ، فما استطاعوا مع ذلك ان يتعلقوا عليه بسقطة لا فى الاسناد ولا فى المتن » .

كان البخارى امام الحديث فى زمانه . والمقتدى به احمد بن عدى الحافظ وقد سمعها عن عدة من المشايخ وكان ذلك ببغداد فى اجتماع تعمدى لاصحاب الحديث ، على اوسع نطاق من المحاولة فى هذا الباب يطول ذكرها ولكنهم فشلوا فاقروا للبخارى بالحفظ واذعنوا بالفضل ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء والله ذو الفضل العظيم .

ثم قال القسطلانى « وما برح رحمه الله تعالى يداب ويجتهد حتى صار انظر اهل زمانه ، وفارس ميدانه ، والمقدم على أقرانه ، امتدت اليه الاعين ، وانتشر صيته فى البلدان ، ورحل اليه الناس من كل مكان »

شخصية الامام البخارى

قال الشيخ تاج الدين السبكى فى طبقاته : كان البخارى امام المسلمين وقدوة المؤمنين ، وشيخ الموحدين والمعول عليه فى احاديث سيد المرسلين » وقال الحافظ عماد الدين بن كثير فى تاريخه البداية والنهاية :

كان البخارى امام الحديث فى زمانه . والمقتدى به فى اوانه ، والمقدم على اضرابه واقرانه »

وقال قتيبة بن سعيد : جالست الفقهاء والعباد والزهاد فما رأيت منذ عقلت مثل محمد بن اسماعيل البخارى وهو فى زمانه كعمر فى الصحابة ، ثم قال « لو كان البخارى فى الصحابة لكان اية »

وقال الامام احمد بن حنبل فيما رواه الخطيب بسند صحيح « ما اخرجت خراسان مثل محمد بن أسماعيل البخارى »

اقول : ومما ثبت ان الامام البخارى دخل بغداد اثناء رحلاته ثمانى مرات ، وفى كل مرة منها اجتمع بالامام احمد بن حنبل ، فكان يحثه بالاقامة فى بغداد ، ولكن البخارى يؤثر الاقامة فى بلده بخارى .

ونقل القسطلانى عن اسحاق بن راهويه انه قال « يامعشر أصحاب الحديث انظروا الى هذا الشاب واكتبوا عنه ، فانه لو كان فى زمن الحسن البصرى لاحتاج الناس اليه لمعرفته بالحديث وفقهه »

ثم قال القسطلانى « وقد فضله بعضهم فى الفقه والحديث على الامام احمد بن حنبل ، واسحاق بن راهويه» وقال رجاء بن مرجى « وفضل محمد بن اسماعيل « يعنى فى زمانه » على العلماء كفضل الرجال على النساء ، وهو اية من آيات الله يمشى على الارض » وقال ابوسهل محمود بن النضر الفقيه : سمعت أكثر من ثلاثين عالما من علماء مصر يقولون حاجتنا فى الدنيا النظر الى محمد بن اسماعيل البخارى ـ للاستفادة وكسب العلم ـ وقال أيضا كنت استملى له ببغداد فبلغ من حضر المجلس عشرين الفا » وقال امام الائمة أبو بكر محمد بن اسحاق ابن خزيمة رضى الله عنه :

« ما تحت اديم السماء ، اعلم بالحديث من محمد بن اسماعيل البخارى » وقال عبد الله بن حماد الاملى : « لوددت ان كنت شعرة فى جسد محمد بن اسماعيل البخارى »

وقال محمد بن عبد الرحمن الدغولى : كتب اهل بغداد الى محمد بن اسماعيل البخارى كتابا جاء فيه :

المسلمون بخير ما بقيت لهم
وليس بعدك خير حين تفتقد

اقول : هذا من كمال حب اهل بغداد ومن حسن عقيدتهم بشخصية الامام البخارى ، مع مايرمى اليه من الفرق فى الفضل بين ذلك القرن الثالث الذى عاش فيه الامام البخارى ، وبين مابعده من القرون .

فقد روى البخارى ومسلم فى صحيحيهما عن عمران بن حصين رضى الله عنه انه قال : « قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « خير الناس قرنى ، ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم » قال عمران « فلا أدرى اذكر بعد قرنه قرنين او ثلاثة ؟ »

ولكن المسلمين مازالوا ـ ولا يزالون ـ بخير ماداموا متمسكين بخيره الباقى الخالد الى يوم القيامة الا وهو صحيحه الجامع للاحاديث الصحيحة . فقد روى الامام مالك رضى الله عنه فى الموطا مرسلا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال « تركت فيكم امرين لن تضلوا ما تمسكتم بهما ، كتاب الله وسنة رسوله »

اللهم اجعلنا من الذين تمسكوا بكتابك وسنة رسولك وماتوا على ذلك . امين .

للبحث صلة

مطالعات

الأستاذ حسن الشيخة

من المتفق عليه ان المعتزلة من كبار العلماء ، ومن صفوتهم ، ومنهم من وصل الى درجة الامامة حتى أطلق عليه من الألقاب العلمية ما لم يصل اليه غيره .

فى عالم الكتب القيمة كتاب اسمه (تنزيه القرآن عن المطاعن) لمؤلفه قاضى القضاة : عبد الجبار بن احمد من كبار علماء المعتزلة ، هذا الكتاب هو ما يدور عليه حديثى هذا اليوم ، واذن لا غنى لى فى ابتداء قولى ان اذكر بالايجاز كلمة عن هذا العالم الجليل القدر لتكون الكلمة مستوفاة كل آفاق المعرفة بما يتحمل المقال من سعة .

هو قاضى القضاة أبو الحسن عبد الجبار بن أحمد ، ابن عبد الجبار ، وهو الذى تلقبه المعتزلة قاضى القضاة ، ولا يطلقون هذا اللقب على سواه ، قرأ على علماء كثيرين ، ثم رحل الى بغداد فى طلب المعرفة ، ومكث بها مدة فاق فيها الاقران ، وصار فريد عصره ، وقد وصفه بعض علماء أيامه بقوله (ليس تحضرنى عبارة تحيط بقدر محله فى العلم والفضل ، فانه الذى فتق علم الكلام ، ونشر بروده ، ووضع فيه الكتب الجليلة ، التى بلغت المشرق والمغرب ، وضمنها من دقيق الكلام وجليله ما لم يتفق لاحد قبله ، وطال عمره مواظبا على التدريس والاملاء ، حتى طبق الأرض بكتبه وبعد صيته ، وعظم قدره ، وانتهت اليه الرياسة فى المعتزلة حتى صار شيخها وعالمها غير مدافع) .

استدعاه الصاحب بن عباد الى الرى ، فبقى بها ملازما التدريس الى أن توفى سنة ستة عشر وربعمائة ، وكان الصاحب يقول فيه (هو أعلم أهل الارض) ، وهو من الطبقة الحادية عشرة من المعتزلة .

وضع الرجل لكتابه مقدمة طويلة تدل على اغراضه من وضع الكتاب ، ولا اثبتها على طولها ، وانما اقتطف منها بعضها متفرقا . قال (.. وقد روى عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال لعلى بن أبى طالب عليه السلام ، وقد حذره من اختلاف الأمة ـ عليكم بكتاب الله ، فان فيه نبأ من قبلكم ، وخبر من بعدكم ، وحكم ما بينكم .. وهو حبل الله المتين .. ومعلوم أنه لا ينتفع به الا بعد الوقوف على معانى ما فيه ، وبعد التفصيل بين محكمه ومتشابهه ، فكثير من الناس قد ضل ، بان تمسك بالمتشابه ، حتى قالوا ان قوله تعالى : سبح لله ما فى السموات وما فى الأرض : حقيقة فى الحجر والمدر ، والطير والنعم ، وربما رأوا فى ذلك تسبيح كل شىء من هذا ، ومن أعتقد ذلك لم ينتفع بما يقرأ .. وقد املينا فى ذلك كتابا يفصل بين المحكم والمتشابه ، عرضنا فيه سور القرآن على ترتيبها ، وبينا معانى ما تشابه من آياتها ، مع بيان وجه خطأ فريق من الناس فى تأويلها) ..

والآن أسوق أمثلة من هذا الكتاب القيم ، لا اقول انها مختارة منه ، فالكتاب كله متخير ، على مستوى واحد فى التناول ، وابدأ بسورة من اقصر سور القرآن هى سورة العصر ، فان الشيخ يقول فيها :

« وربما قيل فى قوله تعالى (ان الانسان لفى خسر) كيف يصح ذلك والله تعالى خلقه لينفع ، وجوابنا أن المراد هو المكلف دون غيره ، فبين انه لفى خسر الا الذين آمنوا ، ثم بين صفتهم فقال تعالى (الا الذين آمنوا وعملوا الصالحات) ، ولم يقتصر على ذلك حتى وصفهم بالنظر فى أمر غيرهم فقال (وتواصوا بالحق) ، كالدعاء الى الدين والتوحيد ، والعدل والانصاف فى المعاملات ، والأمر بالمعروف والنهى عن المنكر ، واصلاح ذات البين ، ويدخل فى قوله (وتواصوا بالصبر) الصبر على الطاعات ، والصبر على ما يلحق الانسان من المحن والشدائد والمصائب من جهة العباد الظلمة ، بالا يجزع ولا يهلع ، ولا ينتصف من ظالمه بأكثر من حقه ، ولا يحمله الغضب والجزع على ان يتعدى فيه الى ذم الناس ، فان من الناس من اذا لحقته محنة من ظالم يريد ان يلحق سائر الناس مثل ما لحقه ولو تمكن منه ومن التشفى به لفعل .

وكقوله فى سورة يونس وهى من السور الطوال (فما اختلفوا حتى جاءهم العلم) .

كيف يصح فى العلم أن يكون سببا للاختلاف والقول الباطل ، وجوابنا ان المراد بذلك انهم اختلفوا وقد اقام الحجة ، وأوضح الطريق لهم على جهة الندم ، ولذلك قال بعد (ان ربك يقضى بينهم يوم القيامة فيما كانوا فيه يختلفون) .

ويقول فى السورة نفسها (فاليوم ننجيك ببدنك) والتنجية لا تكون الا بالبدن ، وجوابنا ان المراد انا لننجيك خاصة دون غيرك .

ويقول فى سورة هود (ولا ينفعكم نصحى ان اردت ان انصح لكم ، ان كان الله يريد أن يغويكم) ، ان ذلك يدل على انه تعالى يريد الضلال ، وجوابنا ان مراد نوح عليه السلام عند مخاطبة قومه بذلك انه تعالى يريد حرمانهم من الفوز بالثواب وانزال العقاب فنصحه لا ينفع ، وذلك احالة على المعلوم من حالهم ، اورده على وجه الزجر لهم .

ولا استرسل فى الاقتباس من هذا الكتاب القيم الذى تناول بطريقته المثلى القرآن كله من سورة الفاتحة الى سورة الناس ، وعدد صفحاته من القطع المتوسط اثنان وتسعون وثلثمائة ، وانما اردت بالاقتباس القليل الذى اقتبسته منه هو التعريف بطريقة هذا المؤلف الكبير فى تاليف كتابه .

انما الجدير بالذكر هو ان طابع الكتاب سنة تسع وعشرين وثلثمائة والف قد ذيله بكتاب قيم آخر ، هو كتاب مقدمة التفسير للعلامة الكبير أبى القاسم الراغب الاصفهانى ، وسبب تحدثى عن هذا الكتاب بالايجاز على حين انه غير كتاب (تنزيه القرآن عن المطاعن) لعبد الجبار ابن أحمد الذى هو أصل موضوع كلمتى — سبب ذلك ان كلمتى هذه بعنوان (مطالعات) وقد طالعت الكتابين ، واستفدت من المؤلفين ، وقد قلت كلمة فى الأول ، فلأقل كلمة فى الثانى ، لأن المعرفة لا حدود لها فى كتابين متحدين فى الموضوع القرآنى ، وانما لكل شيخ منهما طريقة .

كتاب الراغب الاصفهانى تناول موضوعات شتى هى كلها نواح فى المعرفة لمن أراد فى رأيه تفسير القرآن ، وقد رأيت بالنسبة لها ان أذكر فهرس موضوعات الكتاب ، فمن راقته فعليه ان يرجع اليها فى الكتاب ، وهى .

ما وقع من الاشتباه فى الكلام المفرد والمركب — فى أوصاف اللفظ المشترك — الاشتراك فى اللفظ يقع بأحد وجوه — فى الآفات المانعة المخاطب (بفتح الطاء) من فهم مراد المخاطب (بكسر الطاء) — فى عامة ما يوقع الاختلاف ويكثر الشبهة — أقسام ما ينطوى عليه القرآن من أنواع الكلام — كيفية بيان القرآن — فى الفرق بين التفسير والتاويل — فى الوجوه التى يعبر بها عن المعنى ويبين بها — الحقيقة والمجاز — فى العموم والخصوص من جهة المعنى — فى بيان الالفاظ التى تجىء متنافية فى الظاهر — فى بيان انطواء كلام الله على الحكم كلها علميها وعمليها — فى انطواء القرآن على البراهين والأدلة — فى الأحكام التى عليها مدار الأديان — فيما يحتاج اليه فى التفسير من الفرق بين النسخ والتخصيص — هل فى القرآن ما لا تعلم الأمة تاويله — فى بيان حكمة الله تعالى فى جعله بعض الآيات متشابها — فى شرف علم التفسير — فى بيان الدلالات التى يحتاج اليها المفسر — فى جواز ارادة المعنيين المختلفين بعبارة واحدة — فى اعجاز القرآن .

ومن هذا الفهرس تعرف عظم الموضوعات التى درسها الاصفهانى فى كتابه وجعلها مقدمة التفسير .

بقية مقال « سعد بن أبى وقاص »

لكياسته وسياسته وشجاعته فكان نعم الراعى فى سياسة الرعية

ولقد قال عمرو بن معد يكرب عن سعد بن أبى وقاص : انه متواضع فى خبائه عربى فى بردته يعدل فى القضية ويقسم بالسوية ويعطف علينا عطف الأم البرة

وقال النبى صلى الله عليه وسلم اللهم استجب لسعد اذا دعاك فكان مجاب الدعوة يدعو فيستجيب الله له وتظل روح الجهاد متغلغلة فى دماء سعد حتى عند الموت فعندما حضرته الوفاة طلب احضار جبة له من صوف كان يعتز بها وقال كفنونى فيها فانى كنت لقيت المشركين فيها يوم بدر وهى على وانما كنت اخبئها لهذا وكانت وفاته رضى الله عنه سنة خمس وخمسين هجرية وعمره اثنتان وسبعون سنة وحق لرسول الله صلى الله عليه وسلم

ان يقول فيه كما روى جابر كنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم اذ اقبل سعد فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم هذا خالى فليرنى امرؤ خاله • رضى الله عنه وأرضاه

بين الاديان والتقاليد

فضيلة الشيخ
ابو الوفا المراغى

ليس من شك فى أن غاية الاديان تحقيق السعادة كلها أو اكبر قسط منها للبشر ، والدين الحق الموصل الى هذه الغاية هو الذى يرسم الطريق اليها فى نطاق العقول والغرائز ، والعواطف والوجدانات . والدين الذى يغفل هذه الامور فى اعتباره يفشل فى هذه المهمة ولا محالة ، وهاتان الفضيلتان آمنت بهما الكثرة الغالبة من الجماعات البشرية وسارت على هداهما فتوافر لهم اطمئنان النفس وراحة الضمير ، واطمئنان النفس وراحة الضمير لب السعادة وصميمها .

ولكن شواذ من الناس يدفعهم غرورهم بعقولهم أو علومهم ، او تدفعهم جهالتهم الى أن يتهموا الاديان بالقصور ويزعمون ان من مسئولياتهم ان يتلافوا ما فرطت فيه الاديان فيكملوا ما نقص منها ويبنوا على أساسها ليبلغوا الغايات التى تستهدفها . وقد تطغى ثورة الغرور بالعقول او العلوم فتدفع بعض الناس ، او بعض الامم الى انكار الأديان جملة ويأخذون انفسهم بقيادات العالم واصلاح البشر ، وهنا مكمن الداء ومبعث الشقاء . والخبط فى عمياء والسبيل الذى لا ضوء له ولا معالم . اذ لا حدود ولا قيود للعقول والشهوات ولا حواجز ولا عواصم من شرودها وطغيانها ، والسير فى هذا الطريق سير الى غاية مجهولة بل الى شقاء محتوم .

وهذا هو المصير الذى انتهت اليه البشرية حين مكنت لبعض الناس ان يتولوا مهمة الاديان ويقودوا القافلة البشرية فى مسالك الحياة ، فمنذ ان تنكب بعض الجماعات معالم الاديان وركنوا الى عقول العلماء وافكار المفكرين والى تقاليد الناس يستمدون منها ويعتمدون عليها انغمسوا فى لجج من الشقاء تتقاذفهم امواجها وتسلمهم موجة الى اخرى لتلقى بهم فى اغوار البلاء والشقاء ، وهذا ما نحس به فى عصر العلم والعقل وعصر الذرة والفضاء .

وفى كل أمة وكل ملة مثل لما يذوقه الناس من الشقاء حين خالفوا اوامر الدين وخضعوا لنوازع الغرائز وموروث التقاليد والمسلمون أمة من الامم التى خالفت فى بعض شئونها عن أومر دينها فجنت ثمار ذلك علقما وصابا .

ومما خالف فيه المسلمون والعرب منهم بخاصة عن أوامر الدين الى موروث التقاليد عادة الاسراف فى القصاص والثأر من القاتل فالدين يقر القصاص – وهو قتل النفس بالنفس ، عقوبة للقاتل على القتل وزجرا لغيره عن الاقدام على مثل جرمه توفيرا للامن والسلام فى الجماعة الاسلامية وتطهيرا لها من عوامل الفساد ، وصيانة للدماء التى عصمها الدين واحترمها وحرص عليها بل بالغ فى الضن بها والحرص عليها حيث قال تعالى :

« وكتبنا عليهم فيها أن النفس بالنفس والعين بالعين . والانف بالانف . والاذن بالأذن والسن بالسن والجروح قصاص » .

فقتل القاتل وحده عقوبة على جريمته هو المبدأ الذى اقره الاسلام . وهو المبدأ الذى يلائم الفطرة والعقول . ولكن طوائف من المسلمين وفى اقاليم خاصة خالفت هذا المبدأ وفسقت عن أمر ربها لم تكتف بأن تأخذ القاتل وحده بجرمه وجريرته تطبيقا لمبدأ العقوبة على قدر الجريمة . وعملا بقوله تعالى :

« ولا تكسب كل نفس الا عليهـا ولا تزر وازرة وزر أخرى » .

وبقوله تعالى :

« كل امرىء بما كسب رهين » .

فأسرفت فى القتل وتعدت حـدود الله فأخذت بالقتل غير القاتل ، واكثر من القاتل وخبطت فى عمياء فأخذت بالقتيل ابن القاتل واخاه وعمـه وابن عمـه وكل ذى حسب وجاه فى جماعته وأخـذت بالواحـد اثنين وثلاثة واكثر حسب الوسع وقـوة العصبية امعانا فى النكاية واغراقا فى الانتقـام حتى استحالت الحيـاة فى تلك الجمـاعات الى سلسلة من الملاحم لا تدرك الاجيال الحاضرة أوائلها وقد لا تدرك الاجيال المقبلة اواخرها كما استحالت الحياة بين تلك الجماعات لما يغمرها من الخوف والقلق والتربص .

ولسنا فى حاجة الى بيان ما خلفته هـذه العادة فى المناطق التى اعتادتهـا من بؤس وشقاء وألم وعذاب فطالما جنت على زوجات فأيمتهن فى معيـة الصبا وشرخ الشباب وعلى اطفال فحرمتهم من حنان الآباء وعطفهم وعلى آباء وأمهات فانتزعت أفـلاذ اكبادهم ومناط آمالهم واطفئت فى عيونهم أضـواء الحياة وعاشوا أعمارهم فى ظلام لا فجر له تعصر قلوبهم آلام الذكريات . وطالما افضت بالابرياء الى غياهب السجون وحرمت جماعة المسلمين من نشاطهم وانتاجهم وثمرات عقولهم وافكارهم هذا الى ما تبذله الدولة من جهود الشرطة والقضاء فى ضبط الوقائع والتحرى عن الحقائق والفصل فيها امام المحاكم ونحو ذلك من الاعمال التى يتولد بعضها من بعض ويتشابك بعضها ببعض حتى تكاد لا تنتهى .

ومن الامور التى انحرفت فيهـا بعض جماعات المسلمين فى بعض الاقاليم عن امور الدين الى نظم التقاليد حـرمان المـرأة من حقوقها فى المواريث واستحقاق المـرأة فى الميراث على الوجـه الذى قرره الشرع نظاما الهيا روعيت فيـه جوانب المصـلحة لكلا الجنسين . فكما ان الرجـل تربطه بمورثه روابط الدم والقـرابة والنسـب وروابط العطف والحنان والمحبة فكذلك المرأة . وكما أن على الرجل اعباء بقـدر مسئوليـاته . فكذلك على المرأة اعباء بقدر مسئولياتهـا . وكما ان الرجل يحرص على انه يحتـاط لمستقبله ويؤمن حياته وحياة أبنـائه فكذلك المرأة . وكما ان الرجل عرضة للمحن والنوائب فكذلك المرأة .

نعم ان المرأة فى ظلال الزوجية قد تخف أعباؤها وتقل مسئولياتها لكنها عرضـة لان تنحسر عنها ظلال الزوجية فيموت زوجها او يطلقها او يعتريها مرض يستطيل زمانه فيثقل على الزوج ان يقوم بما يجب من شئون العلاج فلا مناص لها حينئذ من ان تعتمد على نفسها وتنفق من خالص مالها فان لم يكن لهـا مال هانت وذلت وقد تدعوها الحاجة الى ما يثلم كرامتها ويمس شرفها ، لهـذا كلـه فرض الشارع للمرأة نصيبا فى الميراث على قدر ما يتوقع لها من احتياجات فى مستقبلهـا ، ولكن جماعات من المسلمين شاع بينهـم ان يغتصبوا حقوق النسـاء فى الميراث ولا يأتمروا بما امر الله به وينكروا بأفعالهـم ما يقولونه بألسنتهم ويبرروا جريمتهم هذه بأن القدر الذى تصيبه المرأة من الميراث تنقله من ملك أسرة مورثها الى ملك اسرة اخرى والى أبناء رجال آخرين غرباء عنهـم تطبيقا لمبدأ الشاعر الاحمق الذى قال :

بنـونا بنـو آبائنـا وبناتنـا
بنوهن ابنـاء الرجال الاباعد

وغفل اولئك عن ان البنات سلالة الرجل من صلبـه كالابنـاء وان ابناءهن اصبحوا بحكم القـرابة منهـم . فالذكـور خـؤولة لابناء البنات وهم بهـذه الرابطة منهـم . والمصاهرة قرابة بحكم الدين وبحكم الفطـرة وقد اعتد الله المصاهرة نعمة على عباده فقال جل شأنه :

« وهو الذى خلق من الماء بشرا فجعلـه نسبا وصهرا » .

غفل هؤلاء عن هذه المعانى التى اعتبرهـا الدين وانسلخوا منها وخضعوا لحكم التقاليد

بباعث الطمع ولجوا فى الظلم ومنعوا الاناث من حقوقهن فأثمرت تلك العادة البغيضة ثمارها السيئة فى الاسر واشتعلت بينهم نيران العداوة ونشبت بينهم معارك سفكت فيها الدماء وسلك كل سبيله فى الدفاع عن غايته .

ولكن مما لوحظ من آثار تلك العادة ان الذى بعثه الطمع من الرجال الى اغتيال حقوق النساء وبغى عليهم كانت عواقبه على الضد مما ابتغى ، فأكل الحرام الذى اغتصبه من حقوق النساء الحلال من حقه ومحق الله الجميع فباء بخيبة الحرمان فى الدنيا ولعذاب الآخرة اكبر .

ولا شك أن هذه العادة عادة موروثة انحدرت الينا فى غابر الازمان من أسلافنا العرب حين كان أساس توزيع الثروات والمغانم بينهم على قدر ما يقوم به العضو فى الاسرة والقبيلة من جهود فى حمايتها والذود عن حريمها وكان قسط المرأة فى ذلك ضئيلا لا ينبغى أن تزاحم به الرجل فى المجالات القيادية والثروات المالية .

وشىء آخر مما انحرف به جماعة من المسلمين عن مبادىء الدين الى قواعد التقاليد ـ وهو استبداد الرجال بالرأى فى تزويج النساء دون مبالاة برأى المرأة اشباعا لشهوة السيطرة وجريا وراء المصلحة الخاصة احيانا فى هذا التزويج حتى غدا من العار فى عرف تلك الجماعة ان تستأمر المرأة فى شأن زواجها او ان يشاع انه كان لها رأى فى ذلك الشأن . ويعللون ذلك الاستبداد بقصر نظر المرأة وسذاجة تفكيرها وعجزها عن التعمق فى أسرار الامور واستجلاء وجوه الصواب . ونحن وان كنا نسلم بأن ولاة امور النساء احرص على مصالحهن وابعد نظرا واشد خبرا فى امور الحياة منهن وخصوصا الشابات الغرائر اللاتى لم يعالجن المشاكل ولم يتمرسن بالتجارب الا انا نرى انه من الانصاف ان تستأمر المرأة فى شأن زواجها لانه اخطر الاحداث فى حياتها. وعلى أساس الرضى فيه تستقر سعادتها ويتحقق هناؤها . ونقول فى ذلك ما قاله الدين فيه وهو ان تستأمر المرأة أى تستشار وتتفاوض ويعرف رأيها ليكون الحكم الذى يقرر فيه شركة بينها وبين ولى أمرها يحمل كل منهما قدرا من مسئوليته ولا نسرف كما يسرف غيرنا فى هذا الامر فندعو الى ترك الرأى فى ذلك استقلالا للمرأة فان احتمال الخطر فى ذلك على مستقبلها كبير . ففى احيان كثيرة تبنى المرأة رأيها على اساس عاطفى وعلى تعرف سطحى للرجل وتنخدع بمظهره ولا تستقصى ما يستقصيه ولى أمرها ولا تتعرف ما يتعرفه منه . فسرعان ما تخمد العواطف وتستكشف الدخائل وتستبين سبيل الرجل وحقيقته . وأنه تافه الشخصية سىء النية خبيث المقصد متاجر بعواطفه . مستغل بمصاهرته فتنهار الاسرة وينقض بنيانها . والقدر الذى ندعو اليه هو ما اعطته الشريعة للمرأة فى استئمارها اى مفاوضتها فى شأن زواجها فقد ورد فى السنة الصحيحة عن عائشة رضى الله عنها انها قالت : ان فتاة قالت للنبى صلى الله عليه وسلم : ان ابى زوجنى من ابن أخيه يرفع بى خسيسته وانا كارهة . فارسل النبى صلى الله عليه وسلم الى ابيها فجعل الامر اليها فقالت : يا رسول الله انى قد اجزت ما صنع أبى ولكنى اردت ان أعلم النساء ان ليس للاباء من الامر شىء ، تعنى انه ليس لهم اكراههن على التزوج بمن لا يرضين .

تلك هى بعض التقاليد التى خالفت بها جماعات اسلامية قواعد الدين فأنتجت آثارها السيئة فيها . وقد الح علماء الدين والاجتماع فى التنبيه الى اخطارها وجاهدوا فى القضاء عليها ولكن ما زال يستعصى عليهم علاجها لتمكن جذورها فى نفوس تلك الجماعات غير انا نأمل ان يكون التطور وعامل الزمن وتكافل الجهود وانتشار الثقافة كفيل بالانتصار عليها وتطهير الجماعات من آثارها .

الشاه البهلوى الصهيونى

الدكتور على حسنى الخربوطلى

ان التاريخ يعيد نفسه .. وما أشبه الليلة بالبارحة .. واليوم نشـــهد سياسة ذلك الامبراطور .. أو الدكتاتور .. محمد رضا بهلوى .. سليل الأسرة البهلوية الرجعيـة الخائنة .. فنتذكر من فورنا سياسة أكاسرة الأسرة الساسانية البائدة .. لقد تغير الاسم والمظهر ، ولم تتغير الحقيقة أو الجوهر .. وكلما استعرضت سياسة ذلك الشاه ـ شـاه وجهه ـ تصورته كأحد أكاسرة الفـــرس الساسانيين الأقدمين ..

ooooo

لقد كان هؤلاء الأكاسرة الساسانيين ـ مثل هـــؤلاء الأباطرة البهلويين ـ أعداء دائمين للعروبة والاسلام .. فقد حاول الأكاسرة قبل ظهور الاسلام أن يمدوا نفوذهم الى الجـزيرة العربية ، ولكنهم أخفقوا دائما . بل أخـذت القبائل العربية المجاورة للأراضى الفارسـية تغير على المدن الفارسية وتنـزل بهـا أفدح الخسائر ، مما أجبر الأكاسرة على انشاء امارة عربية على حدود الدولة الفارسية ، وهى امارة الحيرة . وتمتعت امارة الحيرة فترة طويلة بالاستقلال واحتفظت بشخصيتها العربية ، فكان أمير الحيرة العربى يقف فى بلاط كسرى الفرس مرفوع الرأس ، يفخر بعروبته ، ويجهر بأن العرب أكثر شجاعة وخطابة وشهامة من الفرس . وعز على الفرس أن يستمر استقلال هذه الامارة العربية ، فاتبعوا سياسة (فرق تسد) ، فأخذوا يوقعون بين الأسر العربية الكبرى فى الحيرة ، ونجحوا فى التخلص من الأسرة الحاكمة واستبدلوها بأسرة أخـرى موالية لهم . ولكن أمراء الحـيرة استمروا يكافحون تدخل أكاسرة الفرس ونفوذهم الاستعمارى ، حتى كان الفتح العربى الاسلامى . كما عمل أكاسرة الفرس على تفرقة كلمة العرب فكانوا يرغمون امارة الحيرة العربية على أن تشاركهم حروبهم ضد امارة الغساسنة العربية التى قامت على حدود الدولة الرومانية .

ألم نقل أن التاريخ يعيـد نفسـه ؟ .. فاليوم نشهد ذلك الكسرى الجديد محمد رضا بهلوى يتبع سياسة (فرق تسد) مرة أخرى .. فيعمل على تفرقة كلمة الدول العربية التى تربطها روابط القومية العربية وتجعلها أسرة دولية واحدة .. فهو يحاول عبثـا أن يغرى بعض الدول العربية على الانضمام الى (الحلف الاسلامى) .. ليفرق كلمتها .. ويهدم وحدتها .. ويشتت جهودها ..

ooooo

وفى بلاد اليمن ، حاول أكاسرة الفـرس الساسانيين ، أن يبسطوا نفوذهم دون جدوى .. ثم انتهزوا فرصة وقوع هذه البلاد تحت وطأة الاستعمار الحبشى الرومانى ليصلوا الى أغراضهم الاستعمارية ، فخدعوا الأمير العربى

سيف بن ذى يزن الحميرى ، فوعدوه بأنهم سيساعدونه على التخلص من الأحباش وأمدوه بجيش فارسى . ولكن .. بعد جلاء الأحباش .. بدأ الاستعمار الفارسى لبلاد اليمن ، وكان أسوأ استعمار شهدته بلاد اليمن ..

وما أشبه الليلة بالبارحة حقا .. فها هو كسرى القرن العشرين رضـــا بهلوى يؤازر القوى الرجعية فى بلاد اليمن ، ويناهض القوى الجمهورية الوطنية التقـدمية .. واذا كان الأكاسرة الفرس قد خدعوا بالأمس ذلك الأمير العربى المجاهد سيف بن ذى يزن بالوعــود البراقة والكلام المعسول ، فان زعماء العرب الوطنيين لن ينخدعوا اليــوم بتلك الهالة الخادعة التى يحاول ذلك الشاه البهلوى أن يضعها حول (الحلف الاسلامى) .. وهم يدركون تماما خداعه وكذبه .. ولكن ، وان كان كسرى الأمس رأس الاستعمار ، فان كسرى اليوم هو ذنب الاستعمار .. !

.....

اعتمد أكاسرة الفـرس فى بلاد اليمن على اليهود ليكونوا عملاء سياسيين لهم ، يمهدون لنفوذهم ، ويعملون على تثبيت أقدام استعمارهم لليمن .. وأدرك العرب فى كل أرجاء الجزيرة العربية أن هؤلاء اليهود هم أذناب الاسـتعمار الفارسى .. ولذا لم يقبل العرب قبل ظهور الاسلام على اعتناق اليهودية ، فقد كانت هذه الديانة تذكرهم بالاستعمار الفارسى البغيض .

أما الشاه البهلوى ، فقد أصبح اليوم ذنبا للصهيونية اليهودية ، بعد أن كان اليهـود بالأمس أذنابا للأكاسرة الفرس .. ولذا يصم العرب اليوم آذانهم عن الاستماع الى مايتشدق به الشاه من أقـوال مخـادعة عن (الحلف الاسلامى) .. ويدركون أن صوته هو (صوت سيده) .. وأسياده بطبيعة الحال هم الدول الاستعمارية واسرائيل ..

....

وأشرق نور الاسلام فى الجزيرة العربية .. وبعث الرسول صلى الله عليه وسلم كتبه الى ملوك وأمراء الدول يدعوهم الى الاسلام ، دين الحق والهدى والسلام . وجاء فى رسالة النبى الى كسرى فارس :

« من محمد رسول الله الى كسرى عظيـم فارس . سلام على من اتبع الهدى وآمن بالله ورسوله ، وادعوك بدعاية اللهعزوجل ، فانى رسول الله الى النـاس كافة ، ولأنذر من كان حيا ويحق القول على الكافرين ، وأسلم تسلم ، فان توليت فان اثم المجوس عليك » .

غضب كسرى فارسي اد كتب الرسول صلى الله عليه وسلم اسمه قبـل كسرى ، وقال : « يكتب الى هذا وهو عبــدى » . وأمسك بالخطاب وقطعــه اربا اربا ، وكتب الى باذان حاكمه الفـارسى باليمن يأمـره بأن يبعث برجلين ليقبضا على الرسول . وحينمـا علم الرسول بتمزيق كسرى لكتابه قال (مزق الله ملكه) واستجاب الله عز وجل لدعاء رسوله الكريم ، فقد نزلت الهزائم المتلاحقة بكسرى ، وما لبث أن مزق الله ملكه ، وخلفـه ابنه شيرويه . وسخر باذان حاكم اليمن الفارسى من دعوة ذلك الكسرى المجنون ، وأعلن اعتناقه للاسلام ، وأصبحت بلاد اليمن جزءا من الدولة العربية الاسلامية ، وانتهى الاستعمار الفارسى الى الأبد .

وكما رفض كسرى الأمس دعـوة الاسلام والاخاء والحرية والمساواة ، فان كسرى اليوم رضا بهلوى يرفض مثل هذه الدعـوة .. مع فارق كبير .. فان كسرى الأمس قد أعلن عداءه للاسلام جهرا .. بينما يتخذ كسرى اليوم البهلوى الاسلام ستارا ليخفى وراءه عداءه لهذا الدين والعروبة ، وليعمل على تمزيق وحدة المسلمين ، وعلى تفريق صفوف العرب ، ولكننا نكرر دعاء رسولنا الكريم فنقـول (مزق الله ملكه) .. كما مزق الله ملك سلفه كسرى ..

.....

عمل أكاسرة الفرس على التمكين للنظـام الملكى فى فارس ، وجعله عقيـدة تملك على الشعب الايرانى لبه وقلبه ، فادعوا أنهم يحكمون

بتفويض من اله النور ، وأنهم كائنات الهيــة اصطفاهم الله للحكم بين الناس ، وخصهم بالسيادة وأيدهم بروح من عنده ، فهم ظل الله فى أرضه ، وليس للناس قبلهم حقوق ، وللملوك على الناس السمع والطاعه . ورأى الأكاسرة فى الديانه الزرادشتيه المجوسيه ما يدعم سلطتهم واستبدادهم ، فنــاصروها وجعلوها الديانة القومية للأمة الفارســية ، وأنشأوا بيوت النار ، وأرغمــوا الفرس على عبادتها ، وارتفع شأن رجال الدين على سائر رجال الدولة، واستبد كبار الملاك من الاقطاعيين بأبناء الشعب الفارسى مما آثار ســخطهم وجعلهم يرحبون بالفتح العربى الاسلامى .

وما زال هذا الامبراطور البهلوى يعتنــق نظرية الحق الالهى .. فهو يتبع ســياسة أسلافه الأكاسرة الاستبدادية الدكتاتورية .. ويخمد أصوات شعبه التى تنادى بالاشتراكية والحرية والديموقراطية .. كما يساند هــذا الامبراطور طبقة الاقطاعيين والرأســماليين والرجعيين .. وهو يصادق الدول الراسماليه والاستعمارية .. ويخاصم الدول الاشتراكية والتقدمية .. ويتخذ من (الحلف الاسلامى) وسيلة لمناهضة (الاشتراكية العربية) ..! ويعمل على تكوين حلف أو عصبة من الحاكمين المستبدين الرجعيين .. والطيور على أشكالها تقع .. !

.....

لم يكد ينتصف القرن السابع الميلادى حتى كانت الأسرة الساسانية قد سقطت ، واستولى العرب المسلمون على دولتهم ، وتنفس الفرس الصعداء ، وأقبلوا يرحبون بالعرب ، فقد أزال العرب نظامى الطبقــات والدين اللذين كانا مسيطرين فى ايران قبل الفتح الاسلامى ، ولكن كانت هناك فى فارس طبقة من كبار المــلاك الاقطاعيين ، الذين ساءهم ضياع نفوذهم بعد سقوط أســيادهم الأكاسرة الســاسانيين ، فاتخذوا مسلكا شــعوبيا ، وعملوا على الكيد للعروبة والاسلام ، وتكاتفوا على اسقاط الدولة الأموية العربية ، وظنــوا أن الدولة العباسية ستكون دولتهم ، ولكن خاب أملهم ، فان الخلفاء العباسيين اعتزوا بعروبتهم وباســلامهم ، ووقفوا من هؤلاء الشعوبيين الزنادقة موقفــا حازما حاسما ، فتتبعوهم بالقتل والتنكيل ، حتى قضوا على الروح الشعوبية المجوسية التى هددت الاسلام والعروبة .

وكما سقطت الأسرة الساسانية ، ستسقط وشيكا الأسرة البهلوية .. فالظلم لا يدوم .. والظلام لا بد أن ينقشع .. وحينئذ يتنفس الشعب الايرانى الصعداء .. اذ سيتخلص من الاستبداد البهلوى والنفوذ الصهيونى ، ومن الاقطاع والرأسمالية الغاشمه .. وستختفى تلك الروح الشعوبية الرجعيــة التى يثيرها اليوم ذلك الامبراطور البهلوى الصهيونى ..!

....

قرأت منذ سنوات كتابا باللغة الانجليزية، ألفه الشاه وروى فيه قصه توليه العرش ، وفيه أنزل بأبيه الشاه السابق اللعنات ، وانهال عليه باللوم لأنه لم يستمع الى أوامر أسياده الاستعماريين مما اضطره الى التنازل عن العرش .. ويفخر الشاه الحالى بأنه خادم مطيع لهؤلاء السادة وأنه يعمل على تنفيذ أوامرهم حرفيا..! وليس بعجيب اذا رأينا ذلك الشاه الذى تنكر لأبيه يتنكر اليوم لشعبه وللمسلمين جميعا ..!

وقد أثبت الشاه دائما أنه صديق الاستعمار ، ونصير الرجعية .. فقد ظهر يوما ما فى ايران صوت حق ، وبارقة أمل ، وهو المجــاهد الايرانى والوطنى الكبير الدكتور مصــدق ، الذى أعلن تأميم صناعة البترول فى ايران فى ١٥ مارس ١٩٥١ « رغبة فى تحقيق ســعادة الأمة الايرانية ورفاهيتها وتأمين الســلم العالمى » .. وثارت ثائرة الدول الاستعمارية، وثار عميلهم الامبراطور البهلــوى ، ووقف الشعب الايرانى خلف زعيمه الوطنى مصدق .. وشعر الامبراطور أنه أصبح وحيــدا طريدا ، فسارع الفرار الى ايطاليا ..وتدفقت

أموال الدول الاستعمارية على ايران تحـاول شراء الذمم ، ونجح الرجعيون فى تحقيق انقلاب بقيادة الخائن الجنرال زاهدى ، الذى قبض على مصدق ، وعاد الشاه مرة أخرى بعد أن تعهـد أسياده الاستعماريون بحمايته من شعبه ، وبدأ الشاه فى هدم سـيـاسة مصـدق الوطنية التقدمية .

ooooo

ولم يكتف الشاه بأن يكون عميلا للمستعمرين ونصيرا للرجعيين ، بل أراد أن يكون عميلا للصهيونية العالمية وربيبتها اسرائيل .. فهو يوثق دائما صلاته السياسية والدبلوماسـية بهذه الدولة الصهيونية ، فى وقت تمتنع فيه كثير من الدول غير الاسـلامية عن انشـاء علاقات دبلوماسية معها .. وسـمح الشـاه للاسرائيليين بالسيطرة على النشاط الاقتصادى فى ايران ، فأصبحوا يسيطرون على الاقتصاد القومى الايرانى ، وعلى وسائل الاعلام ، وعلى محطة التليفزيون الايرانى .. ويشيد الشـاه دائما بصداقته مع اسرائيل .. عدوة العرب اللدودة .. فهل ينتظر الشاه البهلوى أن يمد العرب أيديهم بالصداقة والتعـاون الى حليف عدوتهم ؟!

ooooo

أما ذلك (الحلف الاسلامى) الذى يدعو للاسلام والعروبة .. وهى دعوة شعوبية تهدم الوحدة الاسلامية والقومية العربية ، وتربط الدول الاسلامية والعربية بعجلة الاسـتعمار والرجعية والصهيونية .. وكان أجدر بالشاه أن يسميه (الحلف الشعوبى الاسـتعمارى الرجعى الصهيونى) .. فالاسلام برىء مما يدعون اليه .. والاسلام يدعونا الى أن نتحد ونتكتل لنرد عنه كيد ذلك الشاه وأتبـاعه الخونة ... (ولا يحيق المـكر السىء الا بأهله) .

الى الزعماء

كان العرب فى الجاهلية يعيشون فى ظلام دامس وعنصرية حمقاء لا تربطهم رسالة ولا يظلهم دين الا دين الوثنية والنعرة الجاهلية لا يعرفون الا اللهو والعبث والمجون وكانت حياة القوة هى المسيطرة بين القبـائل الى أن بعث الله رسولا أخرجهم من ظلمات الجهل الى نور الهدى واليقين ولنا فى رسول الله أسوة حسنة فقد رسم لنا طريق الحرية والكرامة والعزة والشرف والمؤاخاة والتآلف .

ونحن أولى الناس أن نقتدى به وان نسير على نهجه وأن نسلك طريقـه طريق الجهاد والكفاح والنضـال متبعين بذلك تعاليم الاسلام .

« ومن يبتغ غير الاسلام دينا فلن يقبل منه وهو فى الآخرة من الخاسرين » .

ونحن الآن وفى هذه الآونة بالذات نجد أن زعيمنا وقائد ثورتنا الرئيس جمال عبد الناصر الذى قاد بلـده من نصر الى نصر وحقق لها الامال الكثيرة التى نشاهدها نجد أنه لم يقتصر كفاحه على حرية بلده بل نظر الى حرية الوطن العربى ووضع فى يد حكامها سواء منهم من كان بلده مستقلا أو شبه مستقل ليرفع عنهم عباء الظلم القابع على صدورهم وليبعد عنهم شر الاستعمار الذى يسفك دماءهم ويستولى على خيراتهم نظر الى الوطن العربى على أنه بلد واحد آلامه وآماله واحدة دعا الزعماء الى مؤتمرات وأماط أمامهم غدر الاستعمار ووحشية الصهاينة البـغاة وموقف العرب من هؤلاء وهؤلاء ، وضع النقط على الحروف وهيأ لهم كل سبيل الى التقدم بل وضع نفسه فى خدمة القومية العربية والشعوب العربية لا يبغى من ذلك الا حرية العـرب وكرامتهم واسـتقلالهم وعزتهم ولقد نهج على قول الرسول صلى الله عليه وسلم .

« المسلم للمسلم كالبنيان يشد بعضه بعضا » .

الاستعمار

الأستاذ عبد العال شعيب

عقدت المؤتمرات وانتهت والكل ثناء وتبجيل على قائد العروبة « جمال عبد الناصر » .

أين الاستعمار ؟ أين الرجعية ؟ أين الصهيونية ؟ من هذه الاتفاقات هؤلاء لم يتركوا العرب يرفعون أعلامهم خفاقة حتى كانت كالشيطان الرجيم يأتى للانسان الضعيف فيوسوس اليه فيسمع منه وكله آذان صاغية

« الذين يتخذون الكافرين أولياء من دون المؤمنين أيبتغون عندهم العزة ان العزة لله جميعا » .

« يأيها الذين آمنوا لا تتخذوا بطانة من دونكم لا يألونكم خبالا ودوا ما عنتم قد بدت البغضاء من أفواههم وما تخفى صدورهم أكبر » .

« ومن يتولهم منكم فانه منهم » .

قرآن كريم

ذهب بورقيبة بعد تكريمه لينكر الجميل الذى قدمه اليه عبد الناصر وليخرج عن الاطار العربى الى اطار الصهاينة وليقل بكل ما أوتى من جهل يجب الصلح بين العرب و « اسرائيل » .

تبا لك يا عميل الصهاينة فى هذا الزمان احسبت نفسك وصيا على العرب حتى تتكلم بهذا لقد أسأت الى العرب والى شعبك والى الاسلام البرىء منك الى يوم الدين .

وتمر الأيام وكان من يسكن الأرض الطاهرة على موعد مع زميله وشريكه فى خدمة الاستعمار نجد من يسمى نفسه « حامى الحرمين » يلوثها ويسىء الى سمعتها والى الاسلام والمسلمين فيسفك دماء اخوانه الأبرياء المسالمين من جيرانه اليمنيين الذى يكافحون ضد الخونة الرجعيين فأين أنت يا فيصل من قول الرسول صلى الله عليه وسلم « ما زال جبريل يوصينى بالجار حتى ظننت أنه سيورثه » .

هل اعتقال من يشيدون صرح بلادكم من المصريين والفلسطينيين والزج بهم فى غياهب السجون وتعذيبهم وتشريد أولادهم وسلب أموالهم من الاسلام ؟

هل من الاسلام أن تشارك أعداء الاسلام وتمدهم بالمال والسلاح للغدر بمن وضعوا أيديهم فى يدك للعمل من أجل السلام ؟

هل من الاسلام أن تعيش فى قصور مشيدة وشعبك جائع ؟

هل من الاسلام أن تصادق أعداء الاسلام أمثال بورقيبة وشاه ايران باسم الاسلام ؟

هل من الاسلام ان تذهب الى الولايات المتحدة طلبا لحماية عرشك مما يدبره لك شعبك ولما قابلوك بالسخرية والاستهزاء واصلت رحلتك تحت علم الذلة والهوان ؟

لقد نقضت العهد وخرجت مع قرنائك عن ركب التحرر العربى ولا نقول الآن الا .

مهلا لكم أيها الرجعيون فالحلف الاسلامى الذى تتباهون به اليوم والذى رسمه الاستعمار لكم سيموت فى مهده كما مات حلف بغداد وتنتهون الى نهاية قاتمة كما انتهت حياة من أشرفوا على حلف بغداد وستتحدث بها الأيام وتتناقلها شعوبكم المتطلعة الى الحرية والكرامة والعزة لأجيالهم .

عجبا لكم يا من تسمون أنفسكم حماة الاسلام يا من خرجتم عن الصف العربى .

عجبا لكم أن تنظروا الى القاهرة عملاق الوطن العربى وباعثة القومية العربية نظرة عداء .. لماذا ؟

الأن قائدها أطاح بالاستعمار وأذنابه وأنتم تريدون أن تظلوا عبيدا للاستعمار .

أم لأنه شيد معجزة القرن العشرين ببناء السد العالى وأقام المصانع وذوب الفوارق بين الطبقات .

أم لانه بنى جيشه حتى اصبح اقوى الجيوش فى الشرق الأوسط .

أم لأنه يدعو الى الحياد والسلام لا الاستسلام .

أم لأنه يريد لشعوبكم الحرية والكرامة .

أفيقوا أيها القادة من غفلتكم وثوبوا الى رشدكم واعلموا أن طريق الحق واضح وطريق الباطل ظاهر أفى قلوبكم مرض أم تخافون أن يحيف الله عليكم ورسوله بل أنتم الظالمون لأنفسكم ولأبناء شعوبكم المظلومين بسبب قيادتكم .

نحن العرب نريد الهداية لكم من غيكم حتى تسيروا مع الركب العربى وسيعرف الذين ظلموا أى منقلب ينقلبون .

والله أكبر والعزة للعرب المناضلين فى سبيل حرية وطنهم العربى وليس للمرتزقة الذين يذهبون الى الاستعمار ليحميهم من بطش أبناء شعوبهم أو يذهبون الى الاستعمار وأعوانه ليمد لهم يد العون والمساعدة المادية يحاربون بها شعوبهم المتطلعة الى الحرية ليس من الاستعمار فحسب ولكنهم يريدون الحرية منهم ومن أذنابهم من الرجعيين .

وها نحن أولا نجد طيارين أو مخابرات يطلقون لحاهم ليكونوا فى خدمة الذين يرفعون أصواتهم بانهم حماة الاسلام . وهم عنه فى معزل « أولئك لهم اللعنة ولهم سوء الدار » .

وما من احد يستند على حراب غيره الا وسيأتى اليوم الذى تزول فيه هذه الحراب عنهم وتاذن شمسهم بالمغيب وسوف لا يجد هؤلاء من شعوبهم الا التعلق الكامل بالقومية العربية التى ارسى قواعدها ورفعلواءها السيد الرئيس البطل جمال عبد الناصر والهتاف له قائلين

بعزمك يعلو الحق والحق أغلب
وينصر دين الله ايمان تضرب

من القصص المفترى

قصة الغرانيق

الدكتور محمد صلاح الدين مجاور

ما أكثر ما افترى وما أكثر ما قيل عن الاسلام ورسوله . وما أكثر ما زيف من كلم وأحاديث ، ووقائع وأحداث لاتتفق فى جوهرها مع جوهر هذا الدين ولا تتلاءم وما عرف عن شخصية الرسول من ذكاء وألمعية وما عهد فيه من عصمة موفورة وصلة بالله لاتشوبها شائبة .

ولعل حديث الغرانيق وقصتها تمثل من بين المفتريات أقواها تماديا فى الطعن على هذا النبى الكريم وعلى رسالته . وافتراء القصص على الرسول وافتراء الكثير من الأحاديث عليه فيما يتعلق بسلوكه أحيانا وبأنماط من التشاريع أحيانا أخرى أمر مألوف معروف من بعض المستشرقين ومن بعض من لم يسعفهم الفهم الصحيح لأمور الدين من المسلمين .. وفى قصة زينب بنت جحش وزواج النبى منها وافتراء الأقاصيص حول هذا الزواج ما يشير الى مثل هذه النزعات الشريرة التى تتجه الى النيل من نبى الاسلام . فليس فى حديث بعض المستشرقين وبعض الزنادقة عن هذا الزواج الا الرغبة الملحة من جانبهم فى تبيان نمط من سلوك النبى صلى الله عليه وسلم يتناقض ومقتضيات النبوة ومن ثم يأتى الشك فى صدق نبوته ورسالته وهو ما يهدفون اليه آخر الأمر . وسأتناول هذه القصة فى حديث قادم ان شاء الله .

افتراء مثل هذه الأقاصيص المتعلقة بالسلوك أمر معروف ولكن اذا ما تجاوز الافتراء على الرسول الكريم أمر السلوك الى جانب العقيدة فهنا تبدو الأهداف الخبيثة والاتجاهات السيئة التى يهدفون اليها . وقصة الغرانيق فرية تتعلق بالعقيدة وليس من المعقول أن تصدر عن نبى كانت دعوته أبرز الدعوات وأنقاها فيما يتعلق بمفهوم التوحيد لله .

وحديث بعض المستشرقين عن هذه القصة أمر لاغرابة فيه ولكن العجب العجاب أن كثيرا من كتاب السيرة وابن سعد فى طبقاته الكبرى والطبرى فى كتابه « تاريخ الملوك والرسل » بل وكثير من المفسرين وعلى رأسهم الزمخشرى صاحب الكشاف رددوا هذه القصة . وان كان ترديدهم لها بحسن نية وهم فى هذا يختلفون عن بعض المستشرقين .

والقصة بايجاز كما أوردها واصطنعها واضعوها تقول « أن النبى صلى الله عليه وسلم تألم من مجافاة قريش له . وآلمه هذا أشد الألم فدعا الله ألا ينزل عليه شيئا ينفرهم . وبدأ فى التقرب من قريش وبدأت قريش فى التقرب منه وبينما هو فى بعض مجالسهم اذ تلا عليهم سورة النجم حتى اذا وصل الى

قوله تعالى « أفرأيتم اللات والعزى ، ومناة الثالثة الأخرى ، واسترسل بعد هذا ، تلك الغرانيق العلا وان شفاعتهن لترتجى » وهو بهذا أدخل على القرآن شيئا من عنده وليس من عند الله ليرضى بذلك قريشا فهو يعنى بالغرانيق آلهتهم من اللات والعزى ومناة وهو يعنى بقوله وان شفاعتهن لترتجى الاعتراف بقولهم ما نعبدهم الا ليقربونا الى الله زلفى .

ثم جاءه جبريل فعرض عليه الرسول سورة النجم وفيها هاتين الكلمتين فقال له جبريل « أو جئتك بهاتين الكلمتين ؟ » فقال محمد قلت على الله» ما لم يقل ثم أوحى الله اليه « وان كادوا ليفتنونك عن الذى أوحينا اليك لتفترى علينا غيره ... الى قوله تعالى « ثم لا تجد لك علينا نصيرا » - سورة الاسراء . الآيات من ٧٣ الى ٧٥ - .

فمخترعو القصة ومرددوها يؤيدون دعواهم بهذه الآيات . وبآيتى سورة الحج ٥٢ ، ٥٣ التى يقول الله فيها « وما أرسلنا من قبلك من رسول ولا نبى الا اذا تمنى ألقى الشيطان فى أمنيته .. الى قوله تعالى وان الظالمين لفى شقاق بعيد » .

فأى نبى هذا الذى يكذب فى دعوته ويتوقع من الناس اتباعه والايمان به ؟ وأى رسول هذا الذى يفترى على الله الكذب ليجامل أقواما حاربوه وآذوه ؟ وأى انسان هذا الذى عاش قبل رسالته ينأى فى محرابه مفكرا متأملا بعيدا عن الايمان بهذه الأوثان ثم يعترف بعد أن بعثه الله رسولا لهذه الأوثان بما لم يعترف لها به من قبل ؟ أى قائد لدعوة هذا الذى يراه أصحابه ينافق أعداءه ويراه أعداؤه يدعو بغير ما لم يدع به أصحابه ؟ ان كان ثمة انسان بهذا السلوك فليس ذلك الانسان محمدا صلى الله عليه وسلم . فليس هناك دعوة تناظر دعوته فى فكرة التوحيد التى تدعو اليها صفاء ونقاء . وليس هناك من رسالة حطمت كل ما يشتم منه رائحة شرك بالله كرسالته صلى الله عليه وسلم . فكيف اذن يعقل أن يحطم محمد عقيدة التوحيد وهى أساس دعوته ؟ وكيف يعقل أن يكفر محمد بالأوثان واسطة وزلفى ثم يعود ويؤمن بها شفيعة وعند الله ترتجى ؟

هذا وأين العصمة للأنبياء أيها القوم وأين قول الله تعالى « وما ينطق عن الهوى ان هو الا وحى يوحى » ؟

ثم أين ذكاء محمد الانسان المفكر العبقرى وما أظنكم تجحدون هذا ؟ أو تظنون أنه غفل عن محمد العظيم أن مثل هذا الهراء من القول يؤثر فى دعوته وفى شخصيته وفى مكانته ومن ثم لا تنتشر دعوته ؟

ثم من هو محمد صلى الله عليه وسلم ؟ انه الرجل الذى حين جاءهم بدعوته قالوا له ما جربنا عليك كذبا قط . وهو الرجل الذى لقب فيما بينهم قبل بعثته بالأمين فهل بعد هذا يفترى على الله ما لم يقله ؟ انه لم يفتر على البشر فكيف يعقل أن يفترى على الله بعد الرسالة ؟

ثم كيف يقول الرسول هذا لهم مجاملا والله يقول فى هذه الآيات « أفرأيتم اللات والعزى ومناة الثالثة الأخرى .. ألكم الذكر وله الأنثى تلك اذن قسمة ضيزى . ان هى الا أسماء سميتموها أنتم وآباؤكم ما أنزل الله بها من سلطان .. » فهو يقول ليست هذه الالهة الا اسماء سميتموها أنتم وآباؤكم ولم ينزلها الله . أفليس فى هذا تناقض بين قول الله فى سياق الآية وقول محمد المفترى عليه ؟ كيف ينعى الله عليهم هذه الأديان فى حين أن محمدا يمدحها ويعترف بشفاعتها ؟ ان هذا لمنكر من القول وزور . وصدق ابن اسحاق حين قال ان هذه القصة من وضع الزنادقة »

ولعل من أعجب المصادفات أن زمن هذه القصة كان وقت اسلام عمر بن الخطاب رضى الله عنه فآلم اسلامه قريشا أشد الألم وبدأت تفكر فى مواجهة الرسول بفكر جديد ومنهج مختلف عن سابقه لأن عمر قوة تحتم التفكير والتروى وبدا أن فى الجو شبه مهادنة بين

قريش والنبى وقيل أن سبب هذه المهادنة ما كان من قول النبى عن الغرانيق بعد اشتداد الايذاء عليه وعلى أنصاره وهنا نسأل لماذا علقت صحيفة المقاطعة لبنى هاشم على الكعبة بعد ذلك بقليل اذا كان محمد قد أرضى قريشا ؟ ولماذا اشتد ايذاء قريش لأصحابه من العبيد وغيرهم حتى أن المهاجرين الى الحبشة حين عادوا ـ وقد كانت عودتهم من بين الأسباب التى يؤكد بها المفترون قصة الغرانيق ـ لم يتمكنوا من دخول مكة ومنهم من قفل راجعا ومنهم من لاذ بمعاذ ؟

ثم لماذا اذن أسلم من أسلم اذا كان محمد قد رجع عن فكرة التوحيد عنده وعاد الى قريش وأصنامها ؟

ولماذا اضطر الى الهجرة بعد سنوات فرارا الى الله بدينه الحنيف من أرض الأوثان الى أرض الايمان ؟

ولماذا حين جاء نصر الله والفتح حطم بيده الشريفة هذه الأصنام بما فيها من اللات والعزى ومناة الثالثة الأخرى ؟ اذا كانت هى الغرانيق العلا وان شفاعتهن لترتجى فلماذا حطمها يوم الفتح تحطيما ؟ وأزال من الوجود كيانها ؟

أما الآية الكريمة وان كادوا ليفتنونك عن الذى أوحينا اليك لتفترى علينا غيره واذا لاتخذوك خليلا ، ولولا أن ثبتناك لقد كدت تركن اليهم شيئا قليلا • اذا لأذقناك ضعف الحياة وضعف الممات ثم لاتجد لك علينا نصيرا » •

فالآية هنا كما تقول كتب التفسير واسباب النزول لا علاقة لها بقصة الغرانيق وانما بما أرادته قبيلة ثقيف بالطائف من النبى صلى الله عليه وسلم أو بما يدور فى ذهن قريش ومجادلتها ثم حفظ الله له وعصمته وتثبيته • ومع الفرض بأن لها علاقة بما يسمى بقصة الغرانيق فليس فى الآية ما يشير الى حدوث شىء من النبى أو تلفظه أو قوله عن الغرانيق بل ان الآية تؤكد تثبيت الله له وواضعو القصة يصورونها على أن النبى قال عن الله ما لم يقله وافترى عليه الكذب وصدر منه ما يرفع من شأن الأوثان مع أن الآية ليس فيها ما يشير الى هذا من قريب أو من بعيد •

وكذلك آيتا الحج فى قوله تعالى « وما أرسلنا من قبلك من رسول ولا نبى الا اذا تمنى ألقى الشيطان فى أمنيته فينسخ الله ما يلقى الشيطان ثم يحكم الله آياته والله عليم حكيم ليجعل ما يلقى الشيطان فتنة للذين فى قلوبهم مرض والقاسية قلوبهم وان الظالمين لفى شقاق بعيد »

فى أغلب كتب التفسير وأسباب النزول لاعلاقة لها بقصة الغرانيق المخترعة وان كان الزمخشرى ـ مع الأسف ـ فى تفسيره الكشاف قد ذكر القصة وجعلها سببا لنزول الآيتين • ولا أدرى كيف غفل الزمخشرى فى فهمه وادراكه عن تمحيص هذه القصة ودراستها •

والواقع أن الآيتين هنا تتحدثان عن خواطر النفس وما يجول بها أحيانا من أمنيات فالنبى والرسول بشر قد يتمنى لنفسه وقد يتمنى لأمته والتمنى من أحاديث النفس والشيطان له مداخله فى هذه الأحاديث فبالنسبة للرسل والأنبياء يبعد الله هواجس الشيطان ويثبت رسله وأنبياءه ويجعل هواجس الشيطان فتنة لغيرهم من ذوى النفوس المريضة والقلوب التى تعبد الله على حرف •

هذا تقرير لواقع يحدث للانبياء وهذا هو موقف الله سبحانه معهم يحميهم دائما ويدفع عنهم كيد الشيطان وفى هذا تأكيد للعصمة التى اختص بها الرسل الكرام • وعلى فرض أن الآيتين نزلتا بشأن قصة الغرانيق فأين فيهما مايشير الى أن شيئا من قول قد صدر عن الرسول الكريم كما يدعى مخترعو القصة ومنشئوها ؟

ان عصمة الأنبياء نوع من الاعداد الفكرى والثقافى والجسمى والروحى يجعل الانسان نمطا فريدا فى سلوكه أمام الآخرين فهو صادق فى كل حالاته أمين فى كل حالاته شريف فى

« البقية ص ١٧٨ »

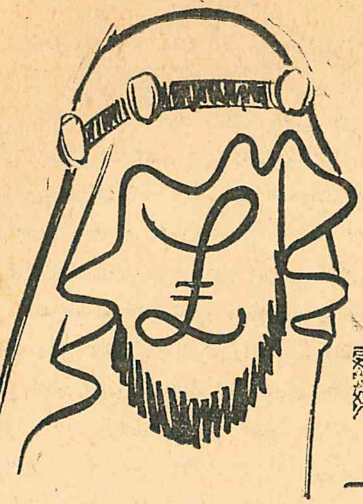

الحلف الإسلامي المزعوم

الأستاذ زكريا عبد الحافظ عامر

ان الاستعباد السياسى فى كثير من الاحيـان متولـد من الاستعباد الدينى وان لم يكن هناك توليد فلا شك انهما أخوان أو صنوان قويان بينهما رابطة الحاجة على التعاون لتذلل الانسان والمشاكلة بينهما ظاهـرة من أن أحدهما حاكم فى عالم القلوب والآخر متحكم فى مملكة الأجسام وفى الوقت الذى قامت الشعوب ، الاسلامية تطارد الاستبداد والاستعباد والاستعمار والصهيونية بشتى ألوانها فى الوقت الذى تيقظت هذه الشعوب تنادى بالاستقلال والحرية مناداة عملية فى ميدان البذل والتضحية والاستشهاد ، فى هذا الوقت نفسه قامت حفنة من أعداء الحرية وأعوان الاستبداد والاستعباد قامت واتخذت الدين قناعا ومشت تعمل ومن ورائها ما شاء لها العمل من عبودية وسحق حقوق الشعوب واخذت تضلل وتفسر الآية الشريفة « يايها الذين آمنوا أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولى الأمر منكم » وهم عن حقيقة معناها غافلون وعن تفسيرها بعيدون وهم يقولون ما لا يعلمون ويفعلون ما لا يؤمرون فان الدين عزة وصدق الله « ولله العزة ولرسوله وللمؤمنين » هذه العصابة التى أخذت الدين ستارا لتنفيذ أغراضها الاستعمارية اتخذت الدين وسيلة لتفريق الكلمة وتقسيم الامة وخيل لها شيطانها ان الدين يصلح أن يكون آلة لتحقيق أهوائهم .

اننا نقول للامانة العلمية والحقيقة الدينية أن دعائم هذا الحلف تنادى بسقوطه من تلقاء نفسها لأن النظام العام فى الأمة الاسلامية يرفض الاستبداد والاستعباد والنظام العام كما هو معروف هو الأفكار الأساسية التى عليها نظام المجتمع فى الأمة .

والأمة الاسلامية معيار النظام العام فيها هو الاسلام ومصدر الالتزام هو ماحدده الشرع ان الله تبارك وتعالى لم يخلق الناس عبثا ولم يتركهم سدى بل كلفهم وشرع لكل فعل من أفعالهم حكما يختص به من ايجاب أو تحريم او كراهة أو صحة أو فساد الى غير ذلك من الأحكام الشرعية وجعل لهذه الاحكام أدلة تؤخذ منها ، والأدلة الشرعية هى الكتاب والسنة والاجماع والقياس وفى رأى آخر يضاف على هذه المصادر الاستحسان والمصالح المرسلة والاستصحاب والعرف وشرع من قبلنا ومذهب الصحابة . فهل فكرت هذه العقول الاستعمارية وأمعنت فوجدت أن تجمع الشعوب الاسلامية تحت راية شعارات زائفة فى تسميتها اسلاما وفى جوهرها لا اسلام وجد عليه نص فى الكتاب والله تبارك وتعالى يقول « وجاهدوا فى الله حق جهاده » وهل وجدوا فى السنة ان اخراج الباطل فى صورة الحق بالتمويه والخداع والرسول الكريم يقول « من غش أمتى فليس منى » وهل اعتقدوا أن الاجماع هو السير فى طريق الدول المستغلة ونسوا أن الأمة لا تجتمع الا على الحق وصدق رسول الله صلى الله عليه وسلم حيث يقول : « لا تجتمع أمتى على ضلالة » وهل الاستعمار صورة غير واضحة المعالم على الضلال المبين وأى قياس يجده هؤلاء المضللون فى شعب مسلم وأمة اسلامية تقاتل أعداء الله باذن من الله ورسوله « كتب عليكم القتال » فالذين يقاتلون فى سبيل الله لنصرة الحق وازهاق الباطل اى قياس للظلم يلقى عليهم أو تقبله نفوسهم .

أما المصادر الاخرى فاحب أن أقول لفيصل وشاه ايران وأبورقيبة هل تعتبرون السير فى ركب اذلال الشعوب واستغلالها استحسانا أم الاستكانة للضيم ونحن خلف الأمجاد وابناء المغاوير والصناديد من المصالح المرسلة أو تجدون أن حريتنا فى شرفنا وشرفنا فى حريتنا فنؤيد أعداءها هذا فى نظركم من الاستصحاب وهل تجدون أن فى تأييد الدعاوى الملفقة المشحونة بالنفاق الخداع والاكاذيب تعتبرونها من العرف وهل فى نظركم شرع من قبلنا يبيح لكم أن تقبلوا بيع ضمائركم واستباحة أموال شعبكم لاهوائكم وأن تلعبوا بمقدسات

الشعب من الحرية والكرامة ارضاء لدول الاستعمار وهل يا ترى أن المشى فى ركب الاشرار أهل الاستبداد والاستعمار الذين أبوهم الظلم وأمهم الاساءة وأخوهم الغدر وأختهم المسكنة وعمهم الضر وخالهم الذل وابنتهم الفقر وبيتهم البطالة وعشيرتهم الجهـــالة ووطنهم الخراب فى ديدنكم ومذهبكم هو مذهب الصحابى .

انكم قد أخطأتم النظر كما أخطأكم حظ الوجود ان حدود الدلالة لها ثلاثة أمور تتميز بها وتميز بها فى نفس الوقت وهى اللفظ والشىء والصورة الذهنية فكلمة اسلام لفظة تكون من عدة أصوات فى حالة النطق بها وتعرف دارس الاصوات كيف تصدر من الفم وصـــفات كل صوت منها وما تحدثه من الاستهزازات وذبذبات حين النطق بها والشىء بالنسبة لكلمة الاسلام هو ذلك الدين الذى بنى على قواعد خمس معــروفة وراسخة فى نفس وقلب وعقل كل مسلم أما الصورة الذهنية فهى ما يتصوره كل مسلم يســــمع تلك الكلمة والربط الحقيقى لا يكون الا بين الشىء وصورته الذهنية أى أن اللفظ شىء اجنبى عنهما اتخذ دليلا عليهما أو رمزا لهما ولكنه اكتسب مع الزمن صفة سمت به فوق كل اعتبار ونحن فى تجاربنا العادية نتعرف على الاسلام من آثــار أحكامه آدابا مع الله آدابا مع الناس آدابا مع الانسان بينه وبين نفسه وانا لنقول لكم ان الدلالة فى نموها وتطورها تتأثر بمؤثرات أوضحها أنها تختلف لدى كل منا اختلاف التجارب التى يمر بها والظروف التى تحيط بهذه التجــارب وانــا لنقول لــكم ان تاريخكم المؤسف وحاضركم المخزى لهو دليل مادى ودليل واقعى على ان مفهوم التعاون الاستعمارى لا يسمى اسلاما ولا حلفــا اسلاميا .

لذلك أغضبتم الله عز وجل بأعمال ظاهرها صواب وباطنها عذاب ولكن جماعة المسلمين لن ينخدعوا فان ما قمتهم به من استعمال للالفاظ الاسلامية للوصــول الى اهداف استعمارية هو ما يعرف لدى الذوق السليم بالغش نحو الاسلام وهو استعمال تدبير ارادى لوسائل مشروعة فى ذاتها للوصول بها الى أغراض تخــالف أوامر الشرع ونواهيـــه وانتم بذلك حرمتم الحماسة الدينية فانتم الاموات الاحياء لقد سمعت لو ناديت حيا ولكن لا حياة لمن تنادى ولكن ارادة الشعب المسلم هى الركيزة الأولى فى تحرير الامة الاسلامية من الاستعمار ومنكم يا أعوانه . ماذا قدمتم من شبه دليل ولو شبه ظنى من اعمال ولو على ســبيل المجاملة خدمتم بهــا الاسلام والمسلمين ولكننا بذلك نشكركم لانكم رفعتم النقاب عن حقيقة نياتكم وخبيث نواياكم وانا فى المعركة لدائمون وبالله منتصرون والامة الاسلامية ستسحقكم وسيعلم الذين ظلموا أى منقلب ينقلبون وان ما ينفع الناس هو الحق والخير والصدق « فاما الزبد فيذهب جفاء واما ما ينفع الناس فيمكث فى الارض » .

بقية مقال ((قصة الفرانيق))

كلُ تصرفاته له من القيم التى يعمل بها ومن أجلها ما لا يرقى اليه غيره وهكذا كان محمد صلى الله عليه وسلم فى حياته صادقا صدوقا لا يعرف فى الله لومة لائم عاداه قومه فما لان ولا استكان وآذوه فما وهن ولا ضعف وتحمل منهم الأذى فى أبشع صوره فما انحرف عن دعوته وقال لهم بملء فيه حين ذهبوا الى عمه أبى طالب يطلبون اليه أن يرجع ابن أخيه عن دعوته « والله يا عم لو وضعوا الشمس فى يمينى والقمر فى يسارى على أن أترك هذا الأمر ما تركته أو أقتل دونه » فهل يعقل بعد هذا أن ينزل محمد اليهم ساعيا مجاملا على حساب دين ربه ؟ هل يعقل أن محمدا وهو الذى سفه أحلامهم وحقر أصنامهم ونعى عليهم عبــادة الأوثان أن يعود فيثبت ما قد نفاه من قبل .

ان قصة الغرانيق أكذوبة مفتعلة وقصــة مخترعة لا أصل لها ولا كيــان وانما هى من أباطيل أعداء الاســلام ورسوله ممن أعيتهم الحيل فى النيل من هذه الدعوة التى رسمت للانسان طريق الحياتين فى وضوح ويسر وفهم وعمق بصورة لم تتوفر فيما سبقها من دعوات

كتب الله للاسلام السلامة من كيد أعدائه انه سميع مجيب

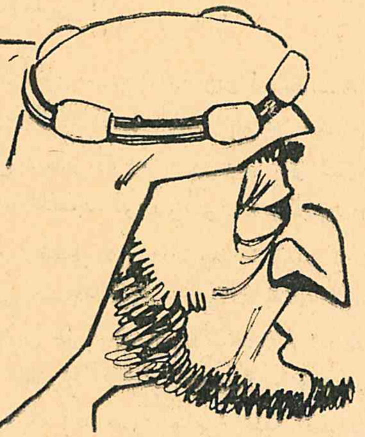

الحلف المزعوم

الملك فيصل وبورقيبة وشاه ايران خرجوا عن الدين والوطن العربي

فضيلة الشيخ محمد علي الطعمي

« والذين اتخذوا مسجدا ضرارا وكفرا وتفريقا بين المؤمنين ، وارصادا لمن حارب الله ورسوله من قبل ، وليحلفن ان أردنا الا الحسنى ، والله يشهد انهم لكاذبون ، لا تقم فيه ابدا ، لمسجد أسس على التقوى من أول يوم احق أن تقوم فيه ، فيه رجال يحبون أن يتطهروا ، والله يحب المطهرين »

(صدق الله العظيم)

يتحدث القرآن الكريم ، فى قوة وانطلاق عن المنافقين الذين يستطيعون أن يصبغوا وجوههم بكل لون ، ويثرثرون فى كل ناد وحفل ، بأسلوب مختلف ومتعدد تماما ، ليموهوا على الجماهير الثائرة ، ويعيشوا فى أبراجهم العاجية بعيدا عن القلاقل والمتاعب ، والهتافات الوطنية الصامدة .. وعندما يهاجم القرآن هؤلاء المنحرفين عن الجادة ، والمعطلين لكلمة الله ، والمعوقين لسنة رسوله ، ويغلظ عليهم فى الهجوم ، ويذيقهم خزى الدنيا وسعار الآخرة « يأيها النبى جاهد الكفار والمنافقين واغلظ عليهم ، ومأواهم جهنم وبئس المصير » وهؤلاء المذبذبون أبدا ، لم تقف جهودهم على تكذيب السماء وتحديها ، بل راحوا يعيشون

فى الأرض فسادا ، ويطلقون عبارات التعالى والتفاخر ، وبأنهم أسياد وشرفاء ، وغيرهم عبيد وسوقة ، وشراذم لا يحسب لها حساب .

لقد تمادوا فى خرافاتهم المصنوعة ، وأباطيلهم الواهية ، وعندما تكشفت لهم الحقائق واضحة ، سدوا آذانهم حتى لا يسمعوا ما أنزل الله ، وكرهوا أن يتساوى الناس ، ويصبحوا فى اطار من العدالة والايمان ..

وفى القرآن الكريم سور كثيرة تحـذر المسلمين من التعاون والتعامل والتساور ، مع هؤلاء الذين مردوا على النفاق ، وأعانوا الكافر على المسلم ، والأعجمى على العربى ، والبعيد على القريب ، ليحافظوا على تاجهم المهزوز ، وترفهم الماجن ، وتحليلهم لما حرم الله « يأيها الذين آمنوا لا تتخذوا اليهود والنصارى أولياء ، بعضهم أولياء بعض ، ومن يتولهم منكم ، فانه منهم ، ان الله لا يهدى القوم الظالمين » ..

وفى تفسير القرطبى جاء أن سـعيد بن المسيب قال نزلت هذه الآيات « والذين اتخذوا مسجدا ضرارا » الى آخر الآيات المذكورة فى أبى عامر الراهب ، وكان يتعبد فى الجاهلية ويلبس المسوح طمعا فى النبوة ، فلما جاءت لمحمد عليه السلام ، حقد عليه ، وكفـر به وتحداه ، وذهب اليه بالمدينة ، وقال يخاطبه :

- ما هذا الذى جئت به يا محمد
- جئت بالحنيفية السمحاء ، دين ابراهيم
- انى عليها يا محمد
- لست عليهـا ، لأنك أدخلت فيها ما ليس منها
- يموت الكاذب منا طريدا شريدا
- يموت الكاذب منا كذلك يا أبا عامر
- سوف أقاتلك وأعين من يقاتلك
- الله معى ، وسينصرنى على القـوم الظالمين ..

وخرج أبو عامر مذعورا ، من عند الرسول يحرض عليه القبائل .

وفى غزوة حنين كان مع الكافرين ، فلما انهزموا ، أسر الى أصحابه المنافقين ، أنه ذاهب الى قيصر الروم ، ليستعين به على اخراج محمد من المدينة ، وأمرهم أن يستعدوا بالمـال والسلاح ، ويبنوا مسجدا لتمويه الرسـول وتضليل المؤمنين .

وبنى المنافقون مسجد الضرار استعـدادا لقدوم أبى عامر الراهب ، اذا رجع من الشام ، ومعه جيش قيصر الروم ، وذهب بنو غنـم أصحاب هذا المسجد الى الرسول ، وطلبوا منه أن يزورهم ويصلى فى المسجد ، ويباركه - كما فعل فى مسجد قباء فنزلت هذه الآيات .. فقال النبى عليه السلام لأصحابه « انطلقوا الى مسجد الضرار الظالم أهلـه ، فاهدموه وحرقوه » فنفذ الصحابة أوامره عليه السلام .

وقد وصف القرآن الكريم أصحاب مسجد الضرار ، بأنهم أرادوا ببنائه المسجد الدنيوى والضرر البالغ ، والكفر الصراح ، وتفريق كلمة المسلمين ، ولكى يكون مبناه مخبأ لأبى عامر اذا رجع من الشام فى المستقبل القريب ..

واليوم عندنا ثلاثة - صورة طبق الأصل من أبى عامر الراهب ، وهم الملك فيصـل ، وبورقيبة ، وشاه ايران .. وهؤلاء المتاعيس استغلوا مناصبهم وأخذوا يعملون على قيـام (الحلف الممسوخ المزعوم) ، تنفيذا لمخطط استعمارى قديم فاشل ، والله يشهد انهم متآمرون ، ويشهد أنهم غششة ومنافقون لأن الاسلام لا توجد فى نصوصه كلمة (حلف أو أحلاف) وانما توجد فيه الوحدة العربيـة الشاملة .

« واعتصموا بحبل الله جميعا ولا تفرقوا »

واننى لأرجو من السادة الكتاب والصحفيين أن لا يقولوا (الحلف الاسلامى المزعوم) بل

يقولوا (الحلف المزعوم) فقط لأنه لا يليق أن نصف هذا الحلف السخيف باسم الاسلام النظيف الكريم .

وأستطيع أن أقول أن هؤلاء الثلاثة ، فيصل وبورقيبة وشاه ايران ، تمردوا على المسلمين ، وشقوا عصا الجماعة ، وتعاونوا مع أعداء الاسلام ، وعلى هذا أصبح خلعهم واجبا ، وقتالهم جهادا دينيا ، وأستطيع أن أقول ، ان صلاتهم باطلة ، ان كانوا يصلون ، وصيامهم فاسد ان كانوا يصومون ، ولا يقبل الله منهم زكاة ولا حجا ولا عملا صالحا ...

والسبب :

(أ) تعاونهم مع اسرائيل التى استباحت أرض الاسلام ، ورضاهم بوجودها ، وعدم الاستعداد بالجهاد ضدها .

(ب) ارتماؤهم فى أحضان الاستعمار ، والاستعانة به على احتلال أرض العرب والمسلمين ، ليضيقوا عليهم الخناق بكل الوسائل والامكانيات .

(ج) غرقلتهم للمجاهدين الأحرار أبناء الجنوب اليمنى المحتل ، ومساعدتهم للانجليز الناهبين ديارهم وأموالهم ، ثم تعاونهم مع المتسللين من عصابات أسرة حميد الدين البائدة ، على أرض اليمن ، والتى عوقت هذه البلاد السعيدة ، قرونا كثيرة من الزمان .

واليكم الأدلة الشرعية - قال الله تعالى :

١ - والذين اتخذوا مسجدا ضرارا وكفرا وتفريقا بين المؤمنين)) .. الخ الآية

٢ - يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا عدوى وعدوكم أولياء تلقون اليهم بالمودة ، وقد كفروا بما جاءكم من الحق .

قال عليه الصلاة والسلام :

٣ - ستكون هنات وهنات ، فمن أراد أن يفرق أمر هذه الأمة ، فاضربوه بالسيف كائنا من كان ..

٤ ، ليس منا من فرق بيننا .

٥ - من ضار ، ضر الله به ، ومن شاق شاق الله عليه .

قال فقهاء المسلمين :

٦ - يخلع ويقتل من شق عصا الجماعة وتحالف مع القوم الكافرين .

٧ - موقف الشيخ حسن العدوى وزملائه العلماء ، الذين افتوا بعزل الخديوى توفيق عندما استعان بالانجليز على المصريين ، وعندما اخفقت الثورة العرابية ، قدموه مع من قدموهم من العلماء الى المحاكمة ، فلما استدعى من السجن الى المحكمة ، سألوه هل أفتيت بعزل الخديوى توفيق ؟ قال لم أفت ، ومع هذا لو جئتمونى الآن بفتوى ، فانى أقول بعزله ، لأنه خرج عن الدين والوطن ..

٨ - صدور فتوى من شيخ الأزهر عبد الله الشرقاوى ، وكبار العلماء أمثال الشيخ الكبارى ، والشيخ الأمير ، وعمر مكرم بقتال الأمراء عندما ظلموا الشعب المصرى وتعرضوا لصغار الفلاحين ، وفعلا خرج الشيخ الشرقاوى للقتال، وأمر باغلاق أبواب الأزهر ، واغلاق الحوانيت والأسواق فخاف الأمراء سوء العاقبة وأعادوا الحقوق لأصحابها .

دعاة الاسلام ومجددوه

الأستاذ أنور الجندي

مازال الاسلام منذ أرسله الله دينا عـاما للانسانيه يلقى فى كل عصر دعاة يجـددونه ويصححون مفاهيمه التى يكون قد ران عليهـا الجمود ، أو انحرف بها السبيل ليعـودوا بالاسلام الى منابعه الأصيلة . القـادرة على اعطاء الحياة البشرية والشخصية الانسـانية تلك القوة الدافعة الى الحركة واليقظة .

وما زال حديث النبى محمد صلى الله عليه وسلم ، يصدق هذا الناموس ويؤكد هـذه الظاهرة ((ان الله يبعث لهذه الامة على رأس كل مائة سنة من يجدد لها دينها)) وما يزال الاسلام وسيظل قادرا على أن يقدم لهذه الانسانيـة أدواء قضاياها ، وحلول مشاكلها ، مفسحـا الطريق أمامها لايقيده عـلى نظام معين فى السياسة أو الاقتصاد أو الاجتماع ، مـادام يستهدف القيم الاساسية التى رسمها والتى يتلخص فى ان يظل الانسان سيد هذا الكون تحت حكم الله ، وان تظل شخصيته قادرة على العمل والانتاج والحياة والحركة ، مرتقية عن الشوائب ، قادرة على مقاومة الاخـطار ، سليمة من العطب الذى يأتيها من السرف فى الحياة دون أن يحرمها من كل متاع الحياة فى حدود الاعتدال والحق والكرامة ((قل من حرم زينة الله التى أخرج لعباده والطيبات من الرزق)) فليس ما يرسم الاسلام من تحفظات حول الرغبات المنطلقة نوع من القيد ولكنه لون من التنظيم وليس الاطلاق على اطلاقه حرية ولكنه محاولة للافلات من قيد للوقوع فى قيود أخرى أشد قسوةهى قيود الانفاق حتى السرف

من المال أو القوة الذاتية مما يوقع فى هـوة التدمير .

ولقد واجه الاسلام خلال حياته الطويلة محاولات عدة للخروج به عن مفاهيمه والانحراف به عن قيمه الاساسية ، شأن المجرى الطويل من النهر حين يترك مندفعا لاتحوطه وسائل الحماية من شواطىء عالية أو جسور تحول بينه وبين ان يفقد مجراه الاصلى ومن هنا كان ظهور هؤلاء الدعاة الاعلام عصرا بعد عصر ، مجددين للفكر الاسلامى ، مذكرين بقيمة الاساسية ، حائلين بينه وبين التوقف ، أو ترك مجراه الاصلى ، فى انفتاح بصيرة ويقظة فكر ، وقدره بارعة على الفهم والتلقى ، وعلى العرض والابلاغ .

ولم تكن رسالة هؤلاء الدعاة هى حياطة الاسلام بمفاهيمه الاساسية فحسب وانما كانت فى ايقاظ القلوب حوله ، وفتح الطريق أمامه ليغزو ميادين جديدة ، ويتصل باقطار أخرى ، فهى رسالة تجديد ودعوة ، فيها ذلك الفهم العميق لتطلبات الناس والكشف عن جوهر الاسلام فى اتاحة الفرصة لهم ليعيشوا حياة العصر ، وفيها ازاحة ذلك الرماد المتجمع خلال العصور حول النصوص ليدفع بها الى الجمود ، وفيها العودة بالآراء والنظرات التى اندفعت لتصد الاسلام عن بساطته ويسره ، أو تعطيه طابعا غير طابعه السمح البسيط ، فاذا بهذه الاصوات المجددة الداعية تزيل ذلك كله وتزيحه من الطريق ، وترفع الصوت بحقيقة مفاهيم الاسلام البعيدة عن مغالاة هذه الطائفة أو تلك ، وقد يبرز مصلح عظيم ومجدد عبقرى فاذا به يسحب صراع هذه الدعوات المتناقضة فيأخذ احسنها ويرد متطرفها ويسكب من هذا على ذاك فاذا به مزاج جديد قريب من روح الاسلام نفسه بعيد عما وصل به التطرف خارجا عن دائرة الاسلام السمحة ، كذلك فعلَ الأشعرى ، وكذلك فعل الغزالى . ولقد يأتى مصلح أو مجدد ليواجه حركة تحاول ان تخرج بالاسلام عن مفهومه السمح اليسر ، كما فعل ابن تيمية ، حين خشى ان تصل العبادة والاعتزال بالاديرة والصوامع بالمسلمين الى مجافاة الحياة ، والانصراف عنها ، فحمل حملته الضخمة القاسية على هذا اللون من الفكر ، وكذلك كان الأمر ، كلما حدث مثل هذا الانحراف ، جاء من يرد المسلمين عنه ويكشف لهم عن جوهر دينهم وفكرهم الاصيل القادر على الحياة والتطور والتقدم والذى لايتوقف ابدا عن ممارسة الحياة والقدرة على امتصاص عصارة الحضارات والثقافات الانسانية دون ان يفقد قيمة الاساسية أو يفقد مقوما من مقوماتها .

وكذلك كانت حملة « الجاحظ » على الشعوبية التى انبعثت من اعماق العالم الاسلامى تريد ان تزيف المفاهيم ، وتدمر القيم ، وتستهدف القضاء على جوهر الفكر العربى الاسلامى فى حملة ضارية ، وكذلك كانت حملات الغزالى على الباطنية وغيرها من الدعوات .

وماتزال نظرات هؤلاء الفحول : ابن تيمة والغزالى وابن حزم تحمل حتى اليوم طابع الحياة والقوة ، وتهدى الى طريق وسط يرسم الفكر العربى الاسلامى لاينحرف نحو النصوص الجامدة ولا الزهادة المنعزلة عن الحياة وانما هى مزيج رائع من القلب والعقل ، والدين والحياة ، والدنيا والاخرة . لاتنحرف الى روحية مغرقة ، ولاتنحرف الى مادية مغرقة ، ولا تجعل الدنيا أكبر همها ، ولاتجعل الدنيا اقل همها . وانما هى مقبلة على الحياة ، بالعمل والقوة ، والصمود ، مع ايمان خالص بالله ، فى ايجابية قادرة ، تأخذ حقها من متاع الحياة وزينتها ، دون ان تنحرف أو تندفع نحو

السرف أو الزهادة « ولا تجعل يدك مغلولة الى عنقك ولاتبسطها كل البسط »

ولقد استطاعت هذه الرؤوس من الدعاة والمصلحين أن تمنح الفكر العربى الاسلامى فرصة الصقل والتجدد ،والحيوية فىمواجهة ما مر بالعالم الاسلامى والأمة العربية منخطوب كان اكبرها خطرا : حركة التتار والحملات الصليبية .

ولقد استطاعت قوة الفكر العربى الاسلامى الحية الصافية ، البعيدة عن قيد التقليد والجمود ، ان تمنح المسلمين تلك القوة القادرة على المقاومة خلال السنوات المتوالية ، دون أن يفقدوا حماسهم للحرية وحقهم فيها ، ومقاومة الدخيل ، عسكريا وفكريا ، حتى انجابت هاتين الحملتين .

غير أن العالم الاسلامى لم يلبث انسقط فى دائرة الضعف فى القرون الاخيرة حتىعاد مرة أخرى الى البعث من مصادرة الاصيلة وتجددت قوته فى الدعوة الى فهم الاسلام فهما سمحا مجددا فكا ذلك علامة اليقظة قبلان تصل الحملة الفرنسية الى العالم العربى باكثر من خمسين عاما ثم ظهرت صفوة من دعاة الاسلام ومجدديه كان أبرزهم جمال الدين الافغانىومحمدعبده،وأن سبقهماابنعبدالوهاب وولى الدين الدهلوى والشوكانى اليمنى ،غير ان هذين المجددين قد عنى بهم التاريخ المعاصر عناية كبيرة وأولاهما قدرا فائقا من التقدير ، جمال الدين على المستوى العريض الواسع ،فى اليقظة السياسية ومحمد عبده على المستوى الافقى العميق فى تجديد قيم الاسلام وتصحيح مفاهيمه فى مواجهة الحملة عليه ، وما تزال أثار هذه الدعوة التى انتهت حياة صاحبها عام ١٩٠٥ حية فى الفكر العربى الاسلامى المعاصر ، بعد ستين عاما ، ترسم صورة التجديد والاصلاح والكشف عن جوهر الاسلام .

فاذا اضفنا الى هذا تلك الدعوة الى اندفعت لتنشر الاسلام فى افريقيا وفى جنوب شرق آسيا والتى كسبت له عددا ضخما لايقل عن ثلاثمائة مليون مسلم عجبنا لقدرة الاسلام على التمدد من ناحية بالكسب العددى واختراق الآفاق والتوسع الأرضى ، بالاضافة الىتجديد مفاهيمه وتحريرها من قيود التقليد منناحية اخرى . وتلك حركتان متوازيتان يمكن ان يقال انهما ممتزجتان قد واجهت الحملةالثالثة على الاسلام بعد حملتى التتار والصليبين ، وهى حملة الاستعمار الغربى الحديث ،عسكريا وفكريا واقتصاديا بقوة وصمود .

وفى السنوات التالية لمنتصف القرن العشرين بدأت حلقة جديدة من حركة تجدد الاسلام واتساع افاقه وتعمق مفاهيمه ،حينما تحررت مصر قلب العالم الاسلامى وتجددت روحها وثقافتها وانبعثت من اعماقها قوة جديدة ذات جذور اسلامية عربية اصيلة ، تستمد من مقومات الفكر العربى الاسلامى وتقوم على قاعدته وتجعل ركائزها قيمه ومفاهيمه . هذه الحلقة تمثل اليوم فى كفاح المجلس الاعلى للشئون الاسلامية بقوته الواعية ودعاته لنشر الاسلام عن طريق الرسائل والثقافة مبعوثة الى اطراف العالم الاسلامى واعماقه ، وعن طريق استقبال عشرات الالوف من ابناء العالم الاسلامى مبعوثين الى الازهر والمعاهد والجامعات فى مصر . ذكرت كل هذا وانا فى صدد دراسة جديدة عن دعاةالاسلام ومجدديه وذكرت رجلا نابها ودع عالمنا كتب فى هذا الموضوع دراسة ضخمة هو المرحوم الشيخ عبد المتعال الصعيدى الباحث المتفتح الذى أغنى المكتبة الاسلامية فى ابحاث التجديد والاجتهاد

دراسات فى التاريخ الإسلامى

الفتوح الكبرى فى عهد الفاروق عمر بن الخطاب

• فتح العراق

• معركة القادسية

الدكتور أحمد ابراهيم الشريف

بلغ الاهتمام بهذه المعركة غايته عند كل من المعسكرين المتحاربين • وقدر كل لها نتائجها العظيمة ، وارادوا لها أن تكون معركة فاصلة فى ذلك الصراع الذى نشب بين امبراطورية كسرى العريقة ودولة العرب الناشئة • فيزدجرد ملك الفرس يتابع حركاتها بما وضع من رجال يتتالون من ميدان القتال الى مجلسه يذيعون أنباء تحركات الجيوش ، فيجعلونه كأنه يراها بنفسه • وامير المؤمنين فى المدينة يوالى كتبه الى قائده بتعليماته ونصائحه • والقائدان فى الميدان يستخدمان كل ماأوتيا من عبقرية فى توجيه كتائبهما ، فرستم يستعمل كل ما وصلت اليه خبرته فى توزيع القوات وتحريكها ، ويستخدم مالديه من اسلحة استخداما رائعا ، وهو يملك من عدة الحرب البشرية والحيوانية والمادية مايكفل له التفوق الساحق على عدوه • وسعد بن ابى وقاص يخالف ما عرفه العرب من قبل ويتخذ لنفسه موقعا فوق حصن قديس القديم يشرف منه على المعركة اشرافا تاما ، وهو فى سبيل غايته يستهين بما يرميه به بعض رجاله من نكوص عن المشاركة بشخصه فى الهجوم والدفاع • والجند فى كل من المعسكرين يتحرقون على اللقاء وقد وطن كل رجل نفسه على تحقيق النصر او الموت دونه •

عبر رستم العتيق ، وصف جيشه ، وعبأ الفيلة فى مقدمة الصفوف ، فجعل فى القلب ثمانية عشر فيلا عليها الصناديق والرجال ، وجعل فى المجنبتين ثمانية وسبعة • واتخذ موقفه فى القلب ، بينما وكل الجالينوس بالميمنة ، والفيرزان بالميسرة •

اما سعد فقد جعل مركز قيادته فوق الحصن ، واستخلف خالد ابن عرفطة على الناس • ومن موقفه اخذ يراقب توزيع قواته ، ويلقى بأوامره الى خالد فى رقاع مكتوبة لكن بعض المسلمين من رجال القبائل البدوية انكروا عليه عدم اشتراكه بشخصه فى القتال ، وأخذوا يتغامزون عليه ويتندرون به ، اختلفوا على ابن عرفطة وشغبوا عليه فاستشاط سعد غضبا ، واشرف على الجند واستدعى زعماء المعارضة ، يقول لهم فى ثورة غضبه ، « اما والله لولا ان عدوكم بحضرتكم ، لجعلتكم نكالا لغيركم • والله لايعود احد بعدها يحبس المسلمين عن عدوهم ، ويشاغلهم وهم بازائهم ، الا سننت به سنة يؤخذ بها بعدى » • وماتت الفتنة فى مهدها • وراح سعد يخطب الجند من قصره •

« ان الله هو الحق لا شريك له فى الملك ، وليس لقوله خلف • قال الله جل ثناؤه « ولقد كتبنا فى الزبور من بعد الذكر ان الارض يرثها عبادى الصالحون» ان هذا ميراثكم ، وموعود ربكم ، وقد اباحها لكم منذ ثلاث حجج ، فأنتم تطعمون منها ، وتقتلون اهلها ،

وتجبونهم وتسبونهم الى هذا اليوم ، بما نال اصحاب الايام منكم • وقد جاءكم هذا الجمع ، وانتم وجوه العرب وخيار كل قبيلة ، وعز من ورائكم ، فان تزهدوا فى الدنيا ، وترغبوا فى الآخرة ، جمع الله لكم الدنيا والآخرة ، ولا يقرب ذلك أحدا من أجله . وان تهنوا وتفشلوا وتضعفوا ، تذهب ريحكم ، وتوبقوا آخرتكم »

وأخذ الحماسة احد قواد سعد « عاصم بن عمر التميمى » وثارت حميته فقام يخطب القوم • « هذه بلاد قد احل الله لكم اهلها ، وانتم تنالون منهم منذ ثلاث سنين مالا ينالون منكم ، وانتم الاعلون ، والله معكم ان صبرتم ، وصدقتموهم الطعن والضرب ، فلكم اموالهم ونساؤهم وابناؤهم وبلادهم • وان خرتم وفشلتم - والله لكم من ذلك جار وحافظ - لم يبق هذا الجمع منكم باقية ، مخافة ان تعودوا عليهم بعائدة هلاك • الله • الله ! اذكروا الايام وما منحكم الله فيها • الا ترون ان الارض وراءكم بسابس قفار ، ليس فيها خمر ولا وزر يعقل اليه ولا يمتنع به • اجعلوا همكم الآخرة • »

ودعا سعد اليه جماعة من انتهى اليهم رأى الناس ، وانتهت اليهم رياستهم ، وعظم فيهم شرفهم ، من ذوى الراى والنجدة والشعر • فوافاه من اولى الراى : المغيرة ابن شعبة ، وعاصم بن عمرو • ومن أولى النجدة : طلحة ابن خويلد ، وعمرو بن معد يكرب ، وغالب بن عبدالله ومن الشعراء : الشماخ ، والحطيئة ، وعبدة بن الطبيب ومن سائر الطوائف أمثالهم •

وحين اكتمل جمعهم ، خطبهم سعد « انطلقوا فقوموا للناس بما يحق عليكم ، ويحق عليهم ، عند مواطن البأس ، فانكم من العرب بالمكان الذى أنتم به : انتم شعراء العرب ، وخطباؤهم ، وذوو رايهم ونجدتهم ، وسادتهم ، فسيروا فى الناس ، فذكروهم وحرضوهم على القتال » • فخرجوا من عنده تهزهم الحماسة هزا ، وانطلقوا يخطبون ويقولون الشعر ، ويعدون الناس النصر فى عبارات تهز المشاعر والقلوب . حتى امتلات نفوس الناس حمية ، وقويت قلوبهم ، واهتزت للجهادعواطفهم

ورأى رستم تجهز العرب واستعدادهم ، فثارت فى نفسه الحمية لوطنه ، وأنسته طيرته ، واعادته الجندى المثل الذى عرفته فارس بطلها وفارسها • لذلك لم يلبث حين اصطف جنده للقتال ، ان تجهز للنزال ، ولبس عدة الحرب ، وعزم على خوض المعركة بكل ماأوتى من قوة وعبقرية • ولم يكن اهتمام جنود فارس بأقل من اهتمام قائدهم •• بل ان فارس كلها كانت مهتمة اشد الاهتمام بهذه المعركة التى ألقت اليها بخلاصة جندها ، واعظم قوادها • وكان يزدجرد اشد الناس اهتماما ، وما كان ليطيق الصبر حتى تصله الانباء ، بل شاء ان تصله اولا بأول كأنما هو فى ساحة القتال ، فوضع رجلا على باب ابوانه ، ووضع آخر خارج الدار ، ووضع الثالث على بعد من الثانى بحيث يسمع مايهتف به ، ووضع رابعا وخامسا وسادسا وهكذا حتى بلغ الرجال ميدان المعركة . فلما نزل رستم ، صاح من فى الميدان : نزل رستم • فصاح من يليه : نزل رستم • وهكذا ينتقل الخبر من رجل الى رجل حتى بلغ مسامع الملك • وراح من فى الميدان يصف مايحدث امامه ، والرجاليتصايحون بما يصف • راح يقول :

رستم يلبس درعين ومغفرا ويأخذ سلاحه • انه يأمر بفرسه • قد اتى بالفرس • رستم يقفز فاذا هو على الفرس لم يمسسه ، ولم يضع رجله فى الركاب • رستم يلتفت الى من حوله ، ويقول « سندقهم دقا » ، رستم يتحرك الى ميدان المعركة ، رستم يعبىء كتائبه . فى القلب ثمانية عشر فيلا ، فى الميمنة ثمانية وفى الميسرة سبعة • الجالينوس على الميمنة • الفيرزان على الميسرة • القنطرة بين خيلين من خيولنا وخيول المسلمين الاعداء يأخذون مصافهم للقتال •

وهكذا وقف الجيشان ينتظران امر الصدام ، وقد اخذت الحماسة منهما كل مأخذ : المسلمون بما يسمعون عن جنة الخلد ونعيم الدنيا • والفرس بما يسمعون عن الوطن وعن ملك كسرى وعظمته •

وصاح سعد ابن ابى وقاص من موقفه فوق القصر يقول لرجاله : « الزموا مواقفكم ، ولا تحركوا شيئا حتى تصلوا الظهر • فاذا صليتم الظهر فانى مكبر ، فكبروا واستعدوا • واعلموا أن التكبير لم يعطه احد غيركم وقد اعطيتموه تأييدا لكم • ثم اذا سمعتم التكبيرة الثانية فكبروا ولتتهيئوا • ثم اذا كبرت الثالثة فكبروا ولينشط فرسانكم للنزال والطراد • فاذا كبرت الرابعة فشدوا النواجز على الاضراس ، واحملوا جميعا حتى تخالطوهم ، وقولوا لاحول ولا قوة الا بالله العلى العظيم • والله معكم »

ثم امر من يقرأ سورة الجهاد ، فقرئت فى كل كتيبة ، فهشت قلوب الناس واطمأنوا • فلما فرغ القراء ، وقضيت الصلاة • هتف سعد : « الله اكبر » فكبر الناس من خلفه ، فارتج المكان ، وأسرع الناس الى صفوفهم • ومرت مدة ، ثم هتف بالتكبير ثانية ، فدوى المكان بتكبير الجند من بعده ، وتهيأ الرجال واستتموا عدتهم ، ووقف الابطال ينتظرون التكبيرة الثالثة ، ولم يمض كبير وقت حتى صاح سعد : الله اكبر • فدوى المكان بتكبير المسلمين ، وانشب اهل النجدات القتال وخرجوا يبارزون اهل فارس وأقبل اهل فارس عليهم بمثل حماستهم يلبون نداء من يريد النزال •

خرج غالب بن عبد الله الاسدى يطلب النزال وهو يرتجز :

قد علمت واردة المسائح
ذات اللبان والبنان الواضح
انى سمام البطل المشايح
وفارج الامر المهم الفادح

فخرج اليه هرمز ، وكان من ملوك الباب ، وكان متوجا • فتصاول الرجلان مدة • حس هرمز بعدها بقوة خصمه فاضطر الى الاستسلام قبل ان يموت ، فأسره غالب ، وقاده الى الحصن بين تكبير المسلمين حتى سلمه الى سعد ، وعاد الى المطاردة •

وخرج عاصم بن عمرو التميمى ، وهو يقول :

وقد علمت بيضاء صفراء اللبب
مثل اللجين اذ تغشاه الذهب
انى امرؤ لا من يعيبه السبب
مثل على مثلك يغريه العتب

وخرج له رجل من اهل فارس ، وما كادا يتبادلان الضربات حتى فر الفارس ، فطارده عاصم ، فاختفى فى صفوف الاعداء . ولج عاصم فارسا معه بغلة ، فهال عليه فلما رأى الفارس الموت يطل من سيف عاصم ، فر تاركا البغلة وما عليها ، فاستلبها عاصم وقادها الى سعد ولما فحص ما تحمل وجد اطعمة فاخرة . واذا الرجل خباز الملك ، والرحل طعام رستم ، فأمر سعد بتوزيعه على النــاس .

وبينما الجند فى انتظار التكبيرة الرابعة ، ليشدوا النواجز على الاضراس ، ويخالطوا عدوهم . كان ابطال المسلمين يحرضونهم على القتال ، ويحثونهم على الصبر والجهاد . وقد علم هؤلاء الابطال ما رمتهم به فارس من عدد وعدة ، فنزع ذلك من قلوبهم كل رحمة .. كان عمرو بن معد يكرب يحرض الناس بين الصفين ، اذ خرج رجل من الاعاجم يسدد سهامه للمسلمين فلا تنزل نشابة منها الارض ، وارتطم سهم من سهامه بدرع عمـرو فالتفت اليه ، وحمل عليه فاعتنقه ، ثم اخذ بمنطقته فاحتمله بين يديه ، وسار به الى صفوف المسلمين ، ثم وضعه على فخذه وكسر عنقه ، ووضع سيفه فى حلقـه فذبحه ، ثم القاه ، والتفت الى قومه وقال « هكذا فاصنعوا بهم » .

ورأى الفرس بنى بجيلة يصولون ويجولون ، وعليهم جرير بن عبد الله يحرضهم ، فوجهوا اليهم ثلاثة عشر فيلا عليها التوابيت ، وكان على كل فيل عشرون واكبيا معهم الرماح والنبل ، وارتفع صوت سـعد بالتكبيرة الرابعة ، وكبر المسلمون خلفه واندفعوا يقاتلون فى سبيل الله صفا كانهم بنيان مرصوص ، وابلى ابطالهم بلاء منقطع النظير ، وكيف لا ، وهم يقدرون ما دهتهم به فارس من عدة ورجال .

حملت الفيلة على بجيلة ، ففرت خيلهم نفارا ، وبقى الرجال وتكاد الفيلة تبيدهم ، وهى تفرق كتائبهم وتشيع الفوضى بين صفوفهم . وتململ سعد ، وهو يرى بجيلة تكاد أن تؤكل فارسل الى بنى اسد يقول لهم « ذبوا عن بجيلة ومن لافها » . فخـرج طليحة بن خويلد وجماعة من قبيلته ، كل واحد فى كتيبة ، وطليحـة يصيح :

« ياعشيرتاه ! والله لو علم سعد ان احدا احق باغاثة هؤلاء منكم استغاثهم . ابتداوهم الشدة واقدموا عليهم اقدام الليوث الحربة ، فانما سميتم اسدا لتفعلوا فعله .. شدوا ولا تصدوا وكروا ولا تفروا لله دربيعة اى فرى يفرون ، واى قرن يغنون ، وهل يوصل الى مواقفهم ! فاغنوا عن مواقفكم اعانكم الله . شدوا عليهم باسم الله »

فشدوا عليهم ، وانطلقوا يهاجمون الفيلة ومن عليها ومازالوا يطعنونهم ، حتى حبسوا الفيلة عن بجيلة . لكن الفيلة عادت فحملت عليهم ، وراحت تمزق صفوفهم تمزيقا . ورأى الاشعث بن قيس ماتفعله الفيلة ببجيلة واسد ، فصاح فى قومه :

« يامعشر كندة ! لله در بنى اسد . اى فرى يفرون واى هذى يهذون عن مواقفهم . اشد ما احسنتم اسوة قومكم العرب ، وانهم ليقتلون ويقاتلون ، وانتم جثاةعلى الركب تنظرون » . فصاح قومه محنقين : « انك لتؤيسنا جاهدا ، ونحن احسن الناس موقفا ، فمن اين خذلنـا قومنا العرب ، واسأنا أسوتهم . وها نحن معك » فانطلق وانطلقوامعه يهاجمون الفيلة . ورأى الفرس ماتلقى الفيلة من المسلمين من هذه الناحية ، فانضم ذو الحاجب والجالينوس . ودارت رحى معركة رهيبة لاشفقة فيها ولا لين ، وراحت سيوف المسلمين تبرق فى الفضاء وتنزل على رؤوس الفرس فتطيح بها ، وقد عزموا على اعلاء كلمة الله العلى القدير . واخذ الفرس يسلطون فيلتهم فتطيح بالمسلمين،وهم مستيئسون يدافعون عن الوطن الحبيب ويذبون عن الانفس والديار . واستمرت المعركة رهيبة قاسية ، واستمرت الفيلة تعمل عملها الرهيب ، وسعد فى موقفه ينظر الى القتال الدائر من تحته ويدرك مقدار الخطر الذى يتعرض له رجاله ، وقد اخذه الضيق وكانت سلمى بنت خصفة زوج المثنى بن حارثة ثم زوج سعد من بعده بجانبه ترى مايرى ، فلما رأت فعل الفيلة وفرار الخيل منها ، وتضعضع كتائب المسلمين وانثناء صفوفهم أمام ضرباتها ، تذكرت ماكان لزوجها الاول من مواقف فى مثل هذه الايام الكبر . فصاحت « وامثنياه ! و لامثنى للخيل اليوم » قالت ذلك عند رجل ضجر مما يرى فى اصحابه ، فضاق سعد ذرعا ، واثاره كلامهـا فلم يشعر الا وهو يلطمها على وجهها ، ويقول « أين المثنى من هذه الكتيبة التى تدور عليها الرحى ! » ولم تطاطىء اللطمة رأس البدوية الانوف ، بل حدقت به وقالت « اغيرة وجبنا ! » وتركته وانصرفت ، فـراح سعد يحدق فى القتال الدائر تحته ، فرأى الفيلة تكاد تبيد رجاله ، فراح يدور بعينيه فى الميدان باحثا عمن يرسله اليها ، ليريحه منها ومن اهوالها ، فلم ير غير بنى تميم كفوا لها ، فأرسل الى عاصـم بن عمرو : « يامعشر تميم ! الستم اصحاب الابل والخيل . اما عندكم لهذه الفيلة من حيلة ؟ » فصاح عاصم : « بلى والله » ونادى رجالا من قومه ، وقال لهم « استدبروا الفيلة واقطعوا وضنها « احزمة توابتها » » . ونادى قوما من الرماة : وقال لهم « ذبوا ركبان الفيلة عنهم بالنبل » فشد الرماة قيسمهم ، واخذت السهام تتطاير فى الجو لتثبت فى صدور ركاب الفيلة ، وتسلل الرجال الذين انتدبهم عاصم ، وراحوا يزحفون بحـذر حتى اقتربوا من الفيلة ، فأخذوا بأذنابها وذباذب توابيتهـا وقطعوا احزمتها ، فانقلبت التوابيت وسقط من فيها . واخذ رجال بنى تميم يضربون الفيلة بالنبل ويطعنونها بالرماح ، فارتفع عواؤها ، والقت بركبانها ، وراحت تدوسهم ، فتقتلهم وفرت مدبرة . وشاع الاضطراب فى صفوف الفرس ، ونفس عن أسد وبجيله جميعا بعد ان قتل من أسد وحدها اكثر من خمسمائة . وراح الرجال يعتورون القتال ، ويتبادلون الطعان ، ويصولون ويجولون وخف الضيق عن سعد ، وراح من قصره يدعو الله ان ينصر جنده ، ويعز دينه .

ومالت الشمس نحو الافق ، والمعركة على اشدها لم يظهر فريق على فريق ، واخذت الشمس فى المغيب حتى توارت والقتال لايزال حاميا وطيسه ، ثم اخذ يخف بانتشار الظلام شيئا فشيئا ، فلما ذهبت هدأة من الليل رجع الجيشان كل الى مواقفه ، وكل يحسـب للغـد حسابه ، والمسلمو نأشدهم لهذا الغد حسابا بعد مانزل بهم فى اليوم الاول من محن ، ولكنهم بنصر الله جد واثقون .

وانتهى هذا اليوم الذى اطلقوا عليه « يوم ارمات » وهو اول ايام المعركة وفى مقالنا اللاحـق سنتحدث عن يومها التاليين واللذين سميا « يوم اغـواث ، ويـوم عمواس »

ولن نترك الميدان حتى ترفرف عليه اعلام النصر للمسلمين .

تاريخ التشريع الإسلامي في مصر

- ٦ -

تابع المدرسة الرابعة

٢ - عبد الله بن وهب

إمام المحدثين في مصر

الدكتور
حامد حفني داود

أوضحنا - في المقال السابق - ان النصف الثانى من القرن الثانى كان يعتبر عصر المذاهب الفقهية فى العالم الاسلامى . وكان هذ العصر فى مصر يمثل التنافس بين مذهب « الليث » الذى انتشر فى البيئة المصرية ومذهب « مالك » الذى جاء الى مصر وافدا من المدينة .

ولكن التنافس بين المذهبين الليثى والمالكى لم يدم أكثر من نصف قرن حيث انتهى بوفاة الليث . وقد ساعد على قطع هذا التنافس ان تلاميذ الليث لم يحاولوا نشر هذا التراث الفقهى الذى تركه أستاذهم : ومن ثم كان لا بد لهذا المذهب من ان يموت بموت صاحبه وان يصبح فى عداد المذاهب الفقهية الدائرة حكمه فى ذلك حكم مذهب الاوزاعى فى الشام . ومذهب سفيان الثورى فى الكوفة . وحماد بن سلمة فى البصرة . ومعمر فى اليمن . وابن المبارك فى خراسان .

عند ذلك انفسح المجال أمام المذهب المالكى فى مصر . ويجد تلاميذ مالك فى مصر الفرصة سانحة لنشر مذهبهم . وقد كان عثمان بن الحكم الجذامى وعبد الله بن وهب من أوائل الداعين للمذهب المالكى فى الفسطاط . اما عثمان بن الحكم فقد اشرنا - فى المقال السابق - أنه اول من ادخل مذهب مالك فى مصر . واما عبد الله بن وهب فقد كان له فى تاريخ التشريع الاسلامى والعلوم الدينية فى مصر شأن خطير . وهو بحق يعتبر عميد المذهب المالكي فيها وأول دعامة الفحول . ولنأخذ فى الحديث عن هذا المحدث الحافظ الجليل حتى نتبين جوانب شخصيته .

هو عبد الله بن وهب بن مسلم المصرى الفهرى . وكنيته ابو محمد . ينسب بالولاء الى فهر . وهو من حيث الولاء فى قبائل العرب يشبه معاصره الليث بن سعد الا أن ولاء الليث كان فى فهم ولاء ابن وهب فى فهر .

ولد عبد الله بن وهب فى ذى القعدة سنة ١٢٥ هـ وروى عن استاذه مالك بن انس كما روى عن سفيان الثورى وسفيان بن عيينة . وعلى الرغم من انه اخذ الكثير عن الليث بن سعد صاحب المذهب السابق وعاش فى مدرسته المصرية الخالصة الا انه آثر مذهب مالك واشتهر به دون غيره . وربما كان ذلك

راجعا الى طول ملابسته للامام مالك . فقد رحل اليه فى المدينة وصحبه حتى مات سنة ١٧٩ هـ ثم عاد الى مصر بعد وفاة مالك ونشر فقه مالك بها وتبعه علماء كثيرون على هذا المذهب . نذكر منهم : عبد الرحمن بن القاسم واشهب بن عبد العزيز . والى هذين الفقيهين انتهت رياسة الفقه على مذهب مالك فى مصر .

وهذا التاريخ الآنف الذكر يدل دلالة واضحة على أن المدرسة المالكية فى مصر ترجع فى تأسيسها وتوطيد دعائمها الى جهود عبد الله بن وهب . كما تدين فى انتشارها وذيوعها الى هذين الفقيهين الجليلين اللذين أخذا عن ابن وهب . ومن هذا الامام الجليل وتلميذيه تكونت النواة الاولى للمذهب المالكى فى مصر الذى سرعان ما نما وترعرع واصبح على استعداد تام لمنافسة المذاهب الفقهية الجديدة النازحة الى مصر . ولا سيما المذهب الشافعى الذى وفد الى مصر بدخول الامام الشافعى بعد عام واحد من وفاة ابن وهب .

كتاب الجامع فى الحديث

وشخصية عبد الله بن وهب فى مصر لا تنحصر فى كونه فقيها ضليعا فى مذهب مالك . وانما تتجلى اكثر ماتتجلى فى كونه واضع أول كتاب فى حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم فى مصر . وكتابه الجامع فى الحديث يعتبر بلا منازع أول كتاب الف فى الحديث فى البيئة المصرية . واذا استثنينا صحيفة عبد الله بن عمرو التى كانت تسمى «الصادقة» فعبد الله بن وهب أول المحدثين المصريين الجامعين للحديث واول الحفاظ المشهود لهم بالضبط والحفظ . وكتابه المذكور اول الكتب الجامعة فى الحديث . ونحن نعتبر هذا الكتاب نواة للكتب الستة المشهورة التى ظهرت فى القرن الثالث بعد وفاة ابن وهب بنحو جيلين من الزمن .

وظل كتاب الجامع فى الحديث امدا طويلا فى زوايا النسيان مطمورا لا تراه أعين الباحثين . ولم يعرف العلماء من خبره الا اسمه فى كتب التاريخ والسير . ومن حسن الحظ أنه عثر حديثا على معظم هذا الكتاب فى مدينة «ادفو» . وهو بهذا القدر يعتبر من اقدم المخطوطات العربية فى جميع مكاتب العالم ومتاحفه . ان لم يكن اقدمها جميعا .

وهذه النسخة المخطوطة مكتوبة على ورق البردى الذى عرفت به مصر فى تاريخها القديم . ويرجع تاريخ كتابة هذه النسخة الى أواخر القرن الثالث الهجرى . وبعض هذه النسخة كان بخط المؤلف نفسه فهو يرجع فى كتابته الى النصف الثانى من القرن الثانى الهجرى .

ويعتبر عبد الله بن وهب فى الرعيل الأول من علماء الاسلام الذين قاموا بتدوين السنة وأخذوا على عاتقهم جمعها من أفواه التابعين ورواة الحديث . وقد كان له اتراب ومعاصرون يماثلونه فى الشهرة وفيما بذلوه من جهود محمودة فى تدوين السنة . وقد كان العلماء فيما قبل ذلك العصر يتكلمون فيما حفظوه وقد يدونون ما سمعوه فى صحف متفرقة . ولم تكن لهم كتابات مرتبة . ثم جاء بعض الائمة المجتهدين فدونوا السنة . كل حسب اجتهاده . فصنف ابن جريج بمكة . وصنف مالك كتاب الموطأ فى المدينة . وصنف ابن اسحق كتاب المغازى . وصنف أبو حنيفة الفقه والرأى فى العراق ... وهكذا فعل سائر المعاصرين لابن وهب .

ومن المؤسف حقا ان يظل عبد الله بن وهب على الرغم من فضله وعلمه الغزير ومعرفته

بالسنة غير معروف عند الكثيرين من المؤرخين والكتاب . واظن ان ذلك راجع الى ان كتاب الجامع فى الحديث كان مفقودا أول الأمر . وقد يكون هذا الكتاب هو الأثر الوحيد الذى يدلنا على فضل هذا المحدث . ولعل رأى العلماء والمؤرخين فى هذا المحدث سوف يتغير تماما بعد ان كشف البحث العلمى عن جزء من كتابه الجامع .

وتدل القرائن التاريخية ان تدوين هذا الكتاب يرجع الى سنة ٢٧٦ هـ . اذ يتضح من صفحة ٤٠ وصفحة ٨٥ من هذه النسخة الخطية السالفة الذكر ان الكتاب قرىء على شهود فى هذه السنة وكتبت اسماؤهم .

اخذ ابن وهب اكثر مادة كتابه من مصدرين هامين :

الاول : الامام مالك بن انس . فقد اشرنا الى ان ابن وهب لازم مالك ولا سيما فى السنوات الاخيرة من حياته الى ان توفى سنة ١٧٩ هـ . وأن علة هذا الاخذ كانت ترجع الى سببين رئيسيين هما : اقتناع ابن وهب بمذهب مالك من ناحية . وطول ملابسته ومجالسته له من ناحية اخرى . لذلك كان لا بد لابن وهب من ان يفيد من نفس المعين الذى أفاد منه مالك . فكان ابن وهب من اشد اصحاب مالك شبها به يؤثر المنقول على المعقول . ويقدم الرواية على الدراية .

الثانى : ابو عبد الرحمن بن لهيعة الحضرمى الغافقى المصرى . وهو عربى ممن استوطنت قبائلهم مصر منذ الفتح العربى وكان والده لهيعة من مشاهير التابعين الذين رووا الحديث بمصر . ونشأ ابنه عبد الله بن لهيعة محبا للحديث جامعا له فكان يرحل فى طلبه .

وكان ابن لهيعة يكنى « أبا خريطة » . كنى بذلك لانه كانت له خريطة يدون فيها ما سمع من الحديث ولا تكاد هذه الخريطة تفارقه فى حله او سفره . وكان ابن لهيعة شديد التدقيق فى اخذه الاحاديث . وقد اخذ الحديث عن أستاذه يزيد بن أبى حبيب الذى أفضنا فى الحديث عنه فى المدرسة الثالثة . كما اخذ عن غيره من علماء الموالى . وهم العلماء الذين بلغوا القمة فى الحفظ والاجتهاد وكثرة الروايات فى ذلك الوقت .

هذان هما المصدران الرئيسيان اللذان استمد منهما ابن وهب مادة كتابه . وقد عاب عليه نقاد الحديث أخذه من المصدر الثانى وهو ((ابن لهيعة)) وادعوا على ابن لهيعة انه لم يكن موثوقا به تماما . وحجتهم فى ذلك انه كان يتخلف عن استاذه كما كان غير حذر فى قبول الروايات التى كانت تصل اليه .

ويقول ابن خلكان فى هذا الصدد : ان ابن لهيعة كان مكثرا من الاحاديث والاخبار والرواية وكان يقرأ عليه ماليس من حديثه فيسكت . فسئل . فقال : ما ذنبى . انما يجيئونى بكتاب يقرءونه على ويقومون . ولو سألوا لاخبرتهم انه ليس من حديثى . واظن هذا هو السبب الذى جعل ابن سعد فى كتابه « الطبقات الكبير » يقول عنه : انه كان ضعيفا . ومن يدرى فلعل هذا الرجل كان سببا فى الاخبار الكثيرة التى استقاها مؤرخو مصر ورووها فى كتبهم أمثال ابن عبد الحكم والكندى . والتى عنها نقل غيرهم من المؤرخين . اذ انه اكثر ما ورد من اخبار مصر مروى عن ابن لهيعة واستاذه يزيد بن ابى حبيب (*)

اما منهج هذا الكتاب فاننا نلاحظ عليه انه من اسبق الكتب الجامعة اطلاقا فى طريقة التصنيف. فهو مقسم الى فصول وموضوعات. وهذا التقسيم نفسه شبيه جدا بالتقسيم الموجود فى كتب الحديث التى الفت بعد عصر ابن وهب . فهل نتبين من ذلك ان اصحاب السنن اخذوا طريقة ابن وهب فى التأليف وطبقوها فيما صنفوه من كتب جامعة ؟!

ولو صح هذا الزعم فاننا نكون قد سلمنا بلا جدال بمدى ما بلغته الشخصية المصرية من نضج فى تاريخ التشريع الاسلامى عامة وفى فن الحديث بصفة خاصة . والذى يلوح لى ان العلامة الحافظ ابن وهب هو الذى بدأ هذه الطريقة المعروفة فى الكتب الجامعة . وانه هو اول من طبعها فى كتابه المذكور . فقد كان كما اشرنا من اوائل المحدثين الحفاظ الذين دونوا الحديث فى العالم الاسلامى فى هذه الصورة الجامعة المنظمة . فلا بد من أن يكون بالظن المرجح قد اخذ عنه من جاء بعده من جامعى الاحاديث النبوية .

من هذا نستخلص ان ابن وهب اول علماء الحديث وحفاظه فى مصر . وقد وضع بنفسه الخطوط الاولى لمن جاء بعده من المحدثين .

وقد شهد له نقاد الحديث وائمة المذاهب بما بلغه من قدرة على جمع الحديث وحفظه وتدوينه . كما شهدوا له بالتضلع فى الفقه. قال ابن عدى : كان من اجلة العلماء وثقاتهم لا اعلمه حديثا منكرا .

وقال ابن يونس : جمع بين الفقه والرواية والعبادة وله تصانيف كثيرة . وكانوا ارادوه على القضاء فتغيب .

وقال ابن فرحون : قالوا لم يكتب مالك لاحد قط بالفقيه الا الى ابن وهب .

وقال ابن صالح : مارأيت أكثر حديثا منه ، حدث بمائة الف حديث .

ويخيل الي أن ابن وهب بلغ منزلة في علم الحديث عامة وعلم الفقه على مذهب مالك بحيث صار محط انظار الائمة . يقول ابن خلكان : ان مالكا كان يكتب الى عبد الله بن وهب فيقول : « الى عبد الله بن وهب المفتى » ولم يكن يفعل هذا مع غيره . فهذا يدل على ان مالكا كان يعترف بفضل تلميذه ابن وهب وبمنزلته العلمية في الافتاء .

ويروى خلكان قصة تدل على ورعه وهروبه من « القضاء » فيحدثنا ان الخليفة أبا جعفر المنصور كتب الى عبد الله بن وهب فى قضاء مصر فخبأ نفسه ولازم بيته فاطلع عليه أسد بن سعد وهو يتوضأ فى صحن داره فقال له ألا تخرج الى الناس فتقضي بينهم بكتاب الله وسنة رسوله . فرفع اليه رأسه وقال : الى هنا انتهى عقلك !اما علمت أن ان العلماء يحشرون مع الانبياء والقضاة يحشرون مع السلاطين ؟» فهذه الرواية ان دلت على شيء فانها تدل على ورع ابن وهب وايمانه الراسخ .

وقد بلغ هذا الورع وذلك الايمان بابن وهب مبلغا عظيما فقد قيل أن سبب موته هو انه انه قرىء عليه (كتاب الاهوال) — وهو فصله من كتابه الجامع فى الحديث — فأخذه شيء كالغشي . فحمل الى داره . ولم يزل كذلك الى أن قضى نحبه فى شعبان سنة ١٩٧ هـ .

هذه اولى آثار المذهب المالكي فى مصر . فماذا بعد هذه الآثار من اتجاهات جديدة فى تاريخ التشريع ؟.

« يتبع »

أضواء على التاريخ الإسلامي

مكانة الأزهر في العالم الإسلامي

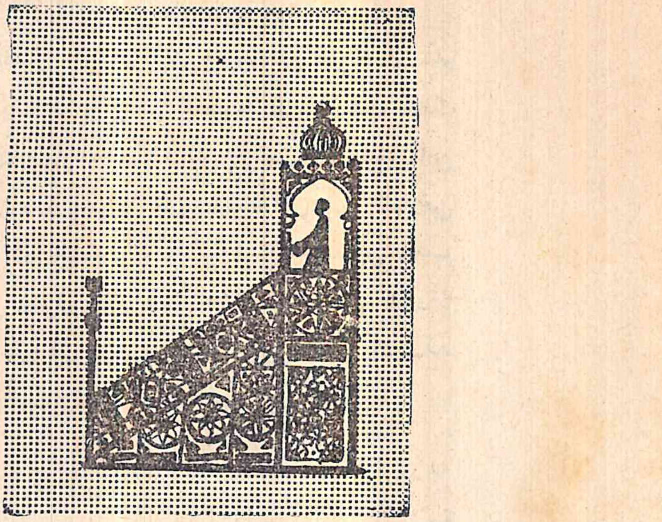

للأستاذ محيي الدين الألوائي

- ٣ -

رأينا في المقال السابق دور الازهر خلال عشرة قرون مضت كمبعث حضارة روحية ومادية للعالم الاسلامي كله ومكانته في نفوس المسلمين في مشارق الارض ومغاربها كقلعة حصينة للعروبة والاسلام ، ومقصد طلاب العلوم العربية والثقافة الاسلامية ، ورأينا أيضا مدى الاهتمام البالغ الذي أبدته الثورة المصرية المجيدة ورئيسها المظفر السيد جمال عبد الناصر نحو هذا الحصن الحصين للاسلام وتراثه المجيد . وبعد هذا الاستعراض السريع نعود الى الحديث عن الرعاية الشاملة التي يلقاها الازهر في عهد الثورة لاقداره على القيام بخدمة العلم والدين والاسلام والمسلمين ، بل والانسانية جمعاء . ولا اشك في ان هذه الرعاية التي قدمتها الثورة هي أكبر تطور في تاريخ الازهر القيادي الطويل ، واسمى نهضة

اصلاحية وتوسعية ، فهي اذن جديرة بالتقدير من المجتمع الاسلامي ، وخليقة بالتسجيل باسم الاسلام والازهر .

ان الازهر هو الهيئة الاسلامية العامة الكبرى في العالم ، تقوم على حفظ التراث الاسلامي ودراسته ونشره او تحمل أمانة الرسالة الاسلامية الى مختلف الامم والشعوب في وجه الارض ، وتعمل على بعث الحضارة العربية وتقدم الآداب والعلوم والفنون المختلفة وكذلك تزود العالم بعلماء الشريعة الاسلامية واللغة العربية الذين يعملون في سبيل نشر القيم الروحية والاهداف الانسانية القويمة في الجنس البشري .

وقد اخذت الثورة المصرية التي قامت في ٢٣ يوليو سنة ١٩٥٢ تعمل جاهدة من اول يوم لتقدم للازهر هديتها الكبرى اعترافا بفضله وجهوده في سبيل العلم والدين والوطن ، ووفاء بحقه على الثورة التي اندلعت في حظيرته . وباركها بآماله فيها ، فانطلقت الثورة المجيدة نحوه بقانون اصلاح الازهر التاريخي المعروف بالقانون رقم ١٠٣ لسنة ١٩٦١ بحيث يمكنه القيام بدور عظيم في تاريخ الاسلام وفي تاريخ العلم وفي تاريخ الجهاد ضد الاستعباد والاستغلال والاستعمار . وقد أصبح الازهر بفضل هذا القانون الثوري مشعل نور الاسلام في بلاد كثيرة من أفريقيا ومن آسيا ومن اوربا ومن أمريكا ، وقد انفسح مداه واتسع نطاقه .

ويبدو مدى الاصلاح الجذري الشامل الذي ناله الازهر بفضل هذا القانون الثوري الاصلاحي من المبادىء التي يقوم عليها هذا القانون ، وهذه هي المبادىء الرئيسية :

١ - أن يبقى الازهر وان يدعم ، ليظل أكبر جامعة اسلامية ، وأقدم جامعة في الشرق والغرب .

٢ - أن يظل كما كان منذ أكثر من الف سنة حصنا للدين والعروبة يرتقي به الاسلام ويتجدد ويتجلى في جوهره الاصيل ويتسع نطاق العلم به في كل مستوى وفي كل بيئة ويذاد عنه كل مايشوبه وكل مايرمى به .

٣ - أن يخرج علماء قد حصلوا كل مايمكن تحصيله من علوم الدين وتهيئوا بكل مايمكن من اسباب العلم والخبرة للعمل والانتاج في كل مجال من مجالات العمل والانتاج .

٤ - ان تتحطم الحواجز والسدود بينه وبين الجامعات ومعاهد التعليم الاخرى وتزول الفوارق بين خريجيه وسائر الخريجين في كل مستوى وتتكافأ فرصهم جميعا في مجالات العلم ومجالات العمل .

٥ - ان يتحقق قدر مشترك من المعرفة والخبرة بين المتعلمين في جامعة الازهر والمعاهد الازهرية وبين سائر المتعلمين في الجامعات والمدارس الاخرى - مع الحرص على الدراسات الدينية والعربية التي يمتاز بها الازهر منذ كان - لتتحقق لخريجي الازهر الحديث وحدة فكرية ونفسية بين ابناء العالم العربي والاسلامي ويتحقق بهم نوع من الخريجين مؤهل للقيادة في كل مجال من المجالات الروحية والعلمية .

وعلى اساس هذه المبادىء احتفظ قانون التطوير الجديد لهذا المعهد العظيم بكيانه وصفته وخصائصه العلمية • وقد قام الازهر بدور عظيم قرونا طويلة فى مكافحة كل المحاولات الاستعمارية لتدوين افكار المسلمين وعقائدهم ووضع موازين جديدة وقيما جديدة فى نفوسهم يمكن أن تباعد بينهم وبين الاسلام • ولكن طبيعة المقاومة فى نفوس المسلمين والتزام الازهر الوقوف فى وجه كل محاولات العدوان قد رد كيد الكائدين ، وحفظ التراث الاسلامى والعربى ، وشع من الازهر ثورة فى بلاد كثيرة ، وقد اكتسب المنتسبون اليه احتراما ، واتجهت قلوب المسلمين فى مشارق الارض ومغاربها الى هذه الجامعة الاسلامية الكبرى للتزود من اسباب المعرفة •

ولم يكن دور الازهر مقصورا على العلوم الدينية واللغوية كما يظن البعض ، فان الاسلام لايفرق بين المعارف والعلوم ، بل هو يجمع بين الدنيا والدين ، وبين الارض والسماء ، بين المطالب المادية والسبحات الروحية ويقرر ان طلب العلم على اطلاقه فريضة على كل مسلم ومسلمة • ولهذا كان علماء المسلمين فى عصر ازدهار الاسلام يدرسون جميع انواع العلوم والفنون ، فكان منهم الفقيه والطبيب والفلكى والمهندس والعالم الطبيعى والكيميائى والجغرافى والمؤرخ والرحالة والرياضى ، وكان هذا يتجلى فى علماء الازهر على نطاق يختلف قلة أو كثرة بحسب اختلاف العصور ، وكانوا يسمون علم الفلك « بعلم الهيئة » ويسمون علوم الاحياء « بعلم المواليد » والكيمياء « بعلم التركيب » وظل علماء الازهر يحرصون على دراسة هذه العلوم حتى فى أشد عهود التدهور والجمود •

ولا يخفى على من يتتبع تاريخ الازهر ان علماءه قد اسهموا فى جميع المعارف والعلوم بالدرس والبحث والتاليف سواء فى العلوم الدينية واللغوية وكذلك فى المنطق والحساب والهندسة والجبر والفلك ، ولما بدات النهضة العلمية فى مستهل العصر الحديث لم تجد لها منبعا الا فى رحاب الازهر ، فقد كان معظم المبعوثين من مصر - مثلا - الى أوروبا من رجال الازهر ، وقد عادوا بعد ان تخصصوا فى مختلف العلوم والفنون فوضعوا اسس النهضة العلمية والفنية والثقافية فى هذه البلاد • وكان البارزون من ابناء الازهر هم الذين وضعوا اساس النهضة الحديثة فى مصر واساتذة جامعة القاهرة وبقية الجامعات ومدرسة الالسن ومدرسة القضاء الشرعى وكلية دار العلوم وغيرها من مراكز الثقافات ودور العلم التى تفرعت من دوحة الازهر الشريف •

وان الاستعمار - باساليبه العديدة ووسائله المختلفة - قد نجح الى حد كبير - فى ان يعوق حركة الازهر المطردة واستطاع ان يحدث فجوة بين العلوم الدينية واللغوية وبين العلوم الاخرى وكاد الانعزال يتم بين علماء الازهر وعلماء الجامعات الاخرى فنادى زعماء الاصلاح فى العصر الحديث بعلاج هذه الحال • والغرب يعرف ، كما يعرف أبناؤه أن العلوم الحديثة العصرية اسلامية فى نشاتها وتقدمها ، وأن الغرب استعارها من المسلمين ، وتقدم كثير من المصلحين فى هذا الميدان وتوالت الصيحات فى كل مكان ، ولكنها صادفت فى طريقها العقبات الى ان قامت الثورة المجيدة فازالت من طريقها جميع العقبات ومهدت امامها جميع السبل واعادت الى حظيرتها جميع الامكانيات فاصدرت القانون الثورى العظيم المناسب لمكانة هذا المعهد الاسلامى الكبير •

وقد تكررت محاولات لتجديد الازهر وتطويره بحيث يتفق ومكانته واثره فى العالم العربى والاسلامى مع الاحتفاظ بطابعه وخصائصه وصفته التى استحق بها أن يبقى مسيطرا على تاريخ العرب والمسلمين اكثر من الف سنة ، ولكن هذه المحاولات المبذولة منذ اكثر من نصف قرن لم تنفذ الى صميم المشكلة ولم تحاول علاجها جذريا ، واما الثورة فقد وضعت مشروعها الخاص باصلاح الازهر على اساس تقرير المبادىء اللازمة لكل اصلاح جذرى شامل ، وبناء على هذا القانون ظهرت الهيئات الخمسة الازهرية للنور وهى :

١ - المجلس الاعلى للازهر •
٢ - مجمع البحوث الاسلامية
٣ - جامعة الازهر •
٤ - ادارة الثقافة والبعوث الاسلامية •
٥ - المعاهد الازهرية •

وجدير بنا أن نورد بعض المعلومات عن كل من هذه الهيئات الازهرية المتفرعة من الجامع الازهر الشريف الذى له يد طولى فى خدمة الاسلام والمسلمين ،واحتضان العلوم الاسلامية واللغة العربية منذ اكثر من الف سنة • واما المجلس الاعلى للازهر فهو الهيئة التى تقوم بتخطيط سياسة شئون الازهر فى هيئاته المختلفة ويشترك فى عضويتها الى جانب شيخ الازهر ، كبار العلماء المتخصصين فى التعليم وفى الادارة ، وان مجمع البحوث الاسلامية هو الهيئة العليا للبحوث الاسلامية ، وتقوم بالدراسة فى كل مايتصل بهذه البحوث ، ويعمل على تجديد الثقافة الاسلامية ، وبيان الرأى فيما يجد من مشكلات فقهية كما يقوم المجمع بنشر التراث الاسلامى وايفاد المبعوثين الى مختلف انحاء العالم للمحاولة فى توجيه الدراسات الاسلامية والعربية فيها واما ادارة الثقافة والبعوث الاسلامية فهى تحمل مسئوليات البعوث الاسلامية الوافدة من الخارج ، كما تقوم بتهيئة اسباب البحث والدراسة فى الموضوعات التى تتصل باختصاصات مجمع البحوث الاسلامية ، ثم تضع نتائج هذه البحوث والدراسات موضع الانتفاع العام •

واما المعاهد الازهرية فهى المعاهد الابتدائية والثانوية التى تسير على نظام دراسات ازهرية يتهيأ فيها الطلاب الى جانب دراساتهم الدينية والعربية للحصول على الشهادات الاعدادية والثانوية بانواعها المختلفة ، وهذه المعاهد منتشرة فى جميع محافظات الجمهورية العربية المتحدة ، كما تجرى الان الاجراءات اللازمة لفتح مثيلاتها فى انحاء العالم العربى والاسلامى ، لكى يعد لكليات جامعة الازهر - على اختلافها - طلاب مزودون بحظ من الثقافة الاسلامية والعربية الى جانب المعارف والخبرات التى تتيح لهم الاستمرار فى الدراسات الجامعية ومن هنا نستطيع أن نقول أن نظام المعاهد الازهرية ، أو مايعادلها هو نواة لجامعة الازهر الكبرى

وابرز هيئات ازهرية ظهر الى حيز الوجود بفضل هذا القانون « جامعة الازهر » الحديثة مع كلياتها

البقية ص ١٩٦

حياة العبقرى الشامى
(ابن فضل الله العمرى)
مؤلف أكبر موسوعة عربية إسلامية فى الجغرافيا والتاريخ والأدب

الأستاذ محمد عبد الجواد الأصمعى

– ٢٧ –

« الآثار المشهورة فى الأرض »

سد مأرب :

ومن ذلك « سد مأرب » ، وهو ببلاد سـبـا من اليمن (٢٣٢)

استدراك : هذا السد هو أعظم سدود بلاد العرب باليمن وأشهرها . وقد كثر ذكره فى أخبار العرب وأشعارهم على سبيل العبرة ، لما أصاب مأرب بانفجاره. وفى هذا السد يقول الأعشى :

كفى ذلك للمؤتسى أسوة
ومأرب قفى عليها العرم

رخام بناه له حمير
اذا جاء ماؤهمو لم يرم

فأروى الحروث وأعنابهم
على ساعة ماؤهم ينقسم

فعاشوا بذلك فى غبطة
فجار بهم جارف منهزم

فطار القيول وقيالها
ببيهماء فيها سراب يطم

وعلى ذكر هذا السد نذكر بعض ما كان فى بلاد العرب من السدود فنقول :

السدود : جدران ضخمة كانوا يقيمونها فى عرض الأودية لحجز السيول ودفع المياه لرى الاراضى المرتفعة، كما يفعل أهل التمدن الحديث فى هذا العصر فى بناء الخزانات (كخزان أسوان ، وخزان أسيوط ، وأضخمها وأعظمها وأعلاها خزان « السد العالى ») .

هذا السد العظيم الذى نذكره فى هذا المقام مع الفخر والاعتزاز والعمل الجبار ، والصورة الرائعة لحجم العمل فيه ونتائجه وآثاره البعيدة المدى . وأصبح يعد فى التاريخ الناصع الصفحات فى عهد السيد الرئيس « جمال عبد الناصر » أهراما رابعا على مر العصور ، وكر الدهور .

***

وذكر الهمدانى (بفتح الهاء وسكون الميم وبعدهما دال مهملة غير منقوطة) قال :

فى « يحصب الحلو » من مخاليف اليمن وحده ثمانين سدا ، والى ذلك أشاد شاعرهم بقوله :

وبالبقعة الخضراء من أرض «يحصب»
ثمانون سدا تقذف الماء سائلا

وكانوا يسمون كل سد باسم خاص به ، أو بالاضافة الى بلده ، فمن كبار هذه السدود : قصعان ، وربوان (وهو سد قتاب) ، وسحران ، وطمحان ، وسد عباد ، وسد لحج (وهو سد عرايس) ، وسد سحر ، وسد ذى شهال ، وسد ذى رعين ، وسد نقاطة قند قرية ذى ربيع ، وسد نضار وهران ، وسد الشعبابى ، وسد المليكى ، وسد النواسى ، وسد المهباد . وغير ذلك مما لا يكاد يحصى .

***

ولقد كان باليمن غير (سد مأرب) الشهير الذى اشار اليه القرآن الكريم سدود شهيرة ، منها : سد الخانق بصعدة ، بناه ابن عتيك مولى سيف بن ذى يزن، وقد أخربه ابن موسى العلوى بعد أن هدم صعدة ، وسد ريعان لابن ذى مأذن ، وسد سيان . وأسداد بلاد عنس، منها : سد خيرة ، وسد بيت كلاب فى ظاهر همدان ، وسد شبام ، وغير ذلك .

***

مدينة « مأرب » :

أما مدينة « مأرب » فهى أشهر مدائن اليمن . وذكر المؤرخون الثقات أنها كانت حسنة التربة لا تحدث بها عاهة ، ولا يكون فيها هامة ، حتى ان الغريب اذا دخلها وفى ثيابه قمل أو براغيث ماتت . ولذلك نطق القرآن فى شأنها . انها بلدة طيبة . وقيل المراد بطيبها صحة هوائها وعذوبة مائها ، ووفور نزهتها ، وأنه ليس فيها حر يؤذى فى الصيف ، ولا برد يؤذى فى الشتاء .

ولا يزال فى أرض مأرب بقايا من آثارهم ، وكتابات كثيرة منقوشة بالخط الحميرى ، قد اهتدى الى معرفتها بعض السياحين من الافرنج الذين طافوا قديما أكثر أنحاء هذه البلاد بواسطة مقابلتهم ما نقش منه على الآثار التى اكتشفوها بالخط الحبشى والكوفى والفينيقى والعبرانى. وعرف بذلك ما كان للعرب من الحضارة والمدنية والمعارف

الكلية التى انكرها كثير من أهل هذا العصر. ويؤخذ مما وقفوا عليه من أنقاضها أنها كانت مستديرة الشكل، قطرها نحو كيلو متر، يحدق بهاسور له بابان أحدهما شرقى، والآخر غربى، وفى وسطها آثار هيكل يسميه أهل تلك الناحية منذ زمن: « هيكل سليمان »

وقد قال الطمحان القينى يذكر مأرب:

أما ترى مأربا ما كان أحصنه
وما حواليه من سور وبنيان

يشير بذلك الى سورها المنيع، لاسيما ما كان فيها من الأبنية العظيمة الضخمة من الرخام، كقصر سلحين، وقصر الهجر، وقصر القشيب، قال ذو جدن الحميرى:

ومنا الذى دانت له الارض كلها
بمأرب يبنى بالرخام ديارا

وقد أفاض الشعراء قديما فى وصف مدينة مأرب وآثارها، قال الحميرى:

وقصر سلحين قد عفاه
ريب الزمان الذى يريب
تعوى الثعاليب فى قراها
ما فى مساكينها غريب

وقال تبع:

ومأرب قد نطقت بالرخام
وفى سقفها الذهب الاحمر

وقال أيضا فى وصف عرش بلقيس:

عرشها رافع ثمانين باعا
كللته بجوهر وفريد
وبدر قد قيدته وياقو
ت بالتبر أيما تقييد

ولا غرو فى ذلك! فارض اليمن كثيرة الغنى بالمعادن الثمينة، والأحجار الكريمة، والأطياب النفيسة ونحوها

فقد ذكر صاحب كتاب « نشر المحاسن اليمانية » ان فى اليمن كثيرا من المعادن، منها: معدن عشم، ومعدن ضنكان، وهما معدنان من ذهب جليلان، ومعدن القفاعة من أرض حكم، وهو دونهما. ومعدن فى أرض بنى محيد وهو دونه.

وأما معادن الفضة فان فيها معدن الرصاص، وهو موضع بين فهم: بطن من همدان، وبين خولان العالية وبين مراد. وهو معدن جليل، كان اعتماد أهل اليمن عليه، فلما ضعفت السلطنة تقالت العرب عليه وخرجت قرية الرصاص، وكان أهلها من الغربيين فانتقلوا الى صنعاء.

وأما معادن الجزع والبقران والعقيق فهى جميعا بأرض مقرى من مخاليف اليمن الشرقية.

وأما حجارة الحديد فان فى اليمن جبالا كثيرة يصلح منها الحديد، بعضها بعدن أبين، وبعضها بأرض وادعة، بين صعدة والحجاز. وفى نجران أيضا جبل من حديد، ومنها بيجان، ضرب من حديده سيوف كثيرة كانت مع ولد سبأ بمأرب، لم يكن لها فى السيوف قياس ولا مثيل اهـ

ومما يؤيد ما ذكره مؤلف كتاب « نشر المحاسن اليمانية » ما هو محفوظ الآن فى المتحف البريطانى بانجلترا باسم بلقيس ملكة سبأ من الكتابة الحميرية منقولة من الواح نحاسية وجدت فى جهة اليمن وحضر موت.

مؤسس « مدينة مأرب »

والذى بنى « مدينة مأرب » وأسسها هو «عبد شمس» من أشهر بنى يعرب، الملقب بسبأ، وهو أبو جميع قبائل اليمن. وأبوه يشجب بن يعرب. كان عالى الهمة، شديد الوطأة، وبذلك أقام بدولة اليمن عزا منيعا، ومجدا عظيما لا يماثله فيهما ملك من ملوك العرب وقتئذ. وأكثر الغزو وفاز بالغنائم والسبايا الوافرة وحملها الى بلاده، ولذا لقب بسبأ. وقيل لأنه أول من سن السبى وفيه يقول الشاعر العربى:

لقد ملك الآفاق من حيث شرقها
الى الغرب منها «عبد شمس بن يشجب»
سعى بالجياد الأعوجية والقنا
الى بابل فى مقنب بعد مقنب

***

يعرب بن قحطان:

هو جد « عبد شمس » مؤسس « مدينة مأرب ». وأول من نطق العربية من « بنى قحطان » الذين كانوا يتكلمون « باللسان الكلدانى »، وهو لسان أهل العراق الأصليين. وفى ذلك يقول حسان بن ثابت رضى الله تعالى عنه يفخر على العدنانيين:

تعلمتمو من منطق الشيخ «يعرب»
أبينا فصرتم معربين ذوى نفر
وكنتم جميعا ما لكم غير عجمة
كلام وكنتم كالبهائم فى القفر

***

ويعرب هذا تولى الملك بعد أبيه على بلاد اليمن. وكان شجاعا مغرما بالغزوات، فغزا فى أول سنة من ملكه « بلاد الحجاز » وأسر ملوكها، وضرب الجزية عليها. وولى أخاه « جرهما » عليها. وكان مقر المملكة فى عهده « مدينة صنعاء ». ولعدله وهمته كان محبوبا فى رعيته. وكان حكيما فصيحا، فلما حضرته الوفاة جمع بنيه وأوصاهم بقوله:

« أى بنى، تعلموا العلم وأعملوا به. واتركوا الحسد فانه داعية القطيعة بينكم. وتجنبوا الشر وأهله، فان الشر لا يجلب عليكم الا الشر. وانصفوا الناس من أنفسكم، فانهم ينصفونكم من أنفسهم. واجتنبوا الكبرياء فانها تبعد قلوب الرجال عنكم. وعليكم بالتواضع فانه يقربكم من الناس، ويحببكم اليهم. واذا استشاركم مستشير فاشيروا عليه بما تشيرون به على أنفسكم فى مثل ما استشاركم فيه، فانها أمانة قد القاها على اعناقكم. ثم أنشأ يقول:

أوصيكم بما وصى أباكم
أبوه عن أبيه عن الجدود
أذيعوا العلم ثم تعلموه
فما ذو العلم كالغر البليد
ولا تصغوا الى حسد فتغووا
غواية كل مختبل حسود
وذودوا الشر عنكم ما استطعتم
فليس الشر من خلق الرشيد
وكونوا منصفين لكل دان
لينصفكم من القاضى البعيد
وباب الكبر عنكم فاتركوه
فان الكبر من شيم العبيد

عليكم بالتواضع لا تزيدوا
على فضل التواضع من مزيد
وان الصفح أفضل ما ابتغيتم
به شرفا من الملك العتيد
وحق الجار لا تنسوه فيكم
تنالوا كل مكرمة وجود » اهـ

***

ولقد كان السبئيون فى نضارة من العيش ، وسعة من الرزق ، فعصوا ربهم ، وبطروا النعمة ، وتكبروا وتجبروا ، فأرسل الله عليهم سيلا جارفا فبدد شملهم ، ومزق جموعهم كل ممزق ، وتفرقوا فى البلاد حتى ضرب بتفرقهم المثل ، اذ يقال : (تفرق القوم أيدى سبأ) . وفى ذلك يقول الله تعالى :

« لقد كان لسبأ فى مسكنهم آية جنتان عن يمين وشمال كلوا من رزق ربكم واشكروا له بلدة طيبة ورب غفور فاعرضوا فأرسلنا عليهم سيل العرم وبدلناهم بجنتيهم جنتين ذواتى أكل خمط وأثل وشىء من سدر قليل ذلك جزيناهم بما كفروا وهل نجازى الا الكفور . وجعلنا بينهم وبين القرى التى باركنا فيها قرى ظاهرة ... الى آخر الآية الكريمة » .

(الخمط : المر . الاثل : شجر يشبه الطرفاء . السدر : شجر النبق) .

***

اختلف المؤرخون الثقات فى وقت حدوث ذلك السيل ، فقال حمزة : انه حدث قبل الاسلام بأربعمائة سنة ، أى فى القرن الثالث للميلاد . وذكر ياقوت الحموى فى معجمه انه وقع فى ملك حبشان ، ولعله يريد الأحباش لأنهم لما فتحوا اليمن فى القرن السادس الميلاد أخربوا كثيرا من قصورها الباذخة وأبنيتها الشامخة . أو لعله أراد حسان بتصحيف اللفظ ، كما أراد ابن خلدون المؤرخ الجليل ، فقد ذكر أن السد تهدم فى أيام حسان بن تبان أسعد (فى القرن الخامس الميلادى) . وقال آخرون غير ذلك مما يطول بنا ايراده .

قال الهمدانى بعد أن ذكر هذه الآية الكريمة : « وهى (أى سبأ) كثيرة العجائب . والجنتان عن يمين السد ويساره . وهما غامرتان . والغامر : العافى ، وانما عفتا لما اندحق السد فارتفع عن أيدى السيول . ووجدت فى أحدهما غريق أراك وفى أصله جذع نخلة أسود قد كبست باقيه السوافى ، فقال بعض من كان معى : لا أظنه الا من بقايا نخل الجنتين ، وما أظنه من العصر القديم . أما مقاسم الماء من مداخر السد فيما بين الضياع فقائمة كان صانعها فرغ من عملها بامس . ورأيت بناء احد الصدفين وهو الذى يخرج منه الماء قائما بحاله على أوثق ما يكون ولا يتغير الا أن شاء الله . وانما وقع الكسر فى العرم ، وقد بقى من العرم شىء مما يصالى الجنة اليسرى ، يكون عرض أسفله خمسة عشر ذراعا . قال الله تعالى : (فأعرضوا فأرسلنا عليهم .. الآية) وبها من الأراك ما ليس ببلد . ومن الحمام المطوق فى الأراك ما يجل عن الوصف . وكان السيل يجمع فى أماكن كثيرة ، ومواضع جمة باليمن : (من عروش وجوانب ردمان وشرعة وذمار وجهران وكومان وكثير من مخاليف خولان) والوادى اسمه (أذنه) » اهـ .

***

وعن ابن عباس ومجاهد وابن أبى نجيح ـ رضى الله عنهم ـ أن العرم اسم للمطر الشديد من العرامة ، وهى الشدة ، وحينئذ فيكون الذى هدم هذا السد هو ذلك السيل الشديد المسمى بالعرم . وهذا ما أذهب اليه ، وهو معنى صحيح مقبول ، لا الجرذ الذى هو الفأر ، كما قال بعض المؤرخين وكثير من المفسرين .

***

قال ابن فضل الله العمرى :

وبه (قصر القشيب) كان لبلقيس (٢٣٢) ..

أما الكلام على (قصر غمدان) وهو من أشهر الآثار باليمن ، وأظهر المعالم فسنذكره فى المقال الآتى ان شاء الله تعالى (وما توفيقى الا بالله) .

« للترجمة بقية »

بقية (مكانة الازهر فى العالم الاسلامى)

الجديدة ومعاهدها العديدة ومبانيها وتجهيزاتها الضخمة فقد وضع مشروع جامعة الازهر على أساس تحقيق المبادىء الاتية :

١ ـ الاهتمام ببعث التراث العلمى والفكرى والروحى للشعوب الاسلامية والعربية .

٢ ـ العمل على تزويد العالم بالعلماء الذين يجمعون الى التفقه فى الشريعة الاسلامية ولغة القرآن . كفاية علمية وعملية ومهنية تؤهلهم للمشاركة فى كل انواع النشاط والانتاج والريادة والدعوة الى سبيل الله .

٣ ـ الاعتناء بتوثيق الروابط الثقافية والعلمية مع الجامعات والهيئات العلمية والاسلامية والعربية والاجنبية .

وبغية تحقيق هذه الغايات المنشودة قد نص قانون تطوير الازهر على ضرورة انشاء الكليات التالية فورا ، على جواز انشاء كليات اخرى كلما دعت الحاجة ، وقد فتحت فعلا ـ الى جانب الكليات الازهرية القديمة ، كلية اصول الدين ، كلية اللغة العربية ، كلية الشريعة ـ كليات الطب والزراعة والهندسة والتجارة وكلية البنات الاسلامية .

وجدير بالذكر ان كليات جامعة الازهر تمتاز عن مثيلاتها فى الجامعات الاخرى بميزات عديدة لاتتحقق الا فيها ، لان كليات الجامعة الازهرية تحقق للطالب الى جانب الثقافة المهنية والدراسة الفنية التى يحصلها نظراؤه فى الكليات المماثلة فى الجامعات الاخرى ، ثقافة دينية عميقة والماما بمواد الدراسات الاسلامية واللغة العربية ، فاذن تحقق للطالب الازهرى مع الصفة الجامعية العامة صفة خاصة بجامعة الازهر . وليس هذا النظام مستحدثا فى تاريخ الازهر والجامعات الاسلامية فان أعظم علماء الطب والكيمياء والرياضة فى الماضى كانوا علماء فى الدين ومنهم ابن سيناء والفارابى وابن الهيثم ، وآخرون . ونظرا لمكانة جامعة الازهر كجامعة المسلمين جميعا ورعاية للميزة الخاصة التى تمتاز بها عن الجامعات الاخرى فى العالم اصبحت تابعة لرياسة الجمهورية مباشرة ، مستقلة عن الجامعات الاخرى ولنا عودة الى الحديث عن جامعة الازهر وشأنها وخدماتها .

بناء الرجال أصعب من بناء المصانع

فضيلة
الشيخ محمد حافظ سليمان

« **فأقم وجهك للدين حنيفا فطرة الله التى فطر الناس عليها لاتبديل لخلق الله ذلك الدين القيم ولكن أكثر الناس لايعلمون** »

لاريب أن دين الله غنى عن الأحلاف والانحراف ولا يقبل الملق والقلق والاحتراف .

والمسلمون فى مشارق الأرض ومغاربها أمة واحدة وهم أمة خير وبر . أمة تآزر وتآلف . أمة تكافؤ وتكافل . أمة بناء وبقاء أمة تعمير وانشاء .. أمة أمن وسلام « **كنتم خير أمة أخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر وتؤمنون بالله** » .

وأمة المسلمين وجدت لتعمير الأرض ولتنشر السلام فى بلاد العالم ، ولتحقق العدالة الاجتماعية والكرامة الانسانية للآدميين . أمة تدعم المساواة وتدعم الحق وتثبت العدل وتدعو الناس الى التكامل الانسانى (**ولتكن منكم أمة يدعون الى الخير ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر وأولئك هم المفلحون**) وهى لاتقبل التصدع والتمزق والاختلاف . والتفرق . ولكن تحافظ على التعاون والائتلاف وترشد الضال وتهدى الحائر وتنير الطريق للحق وتصلح الفاسد وتأخذ بيد الضعيف وتنصف المظلوم من الظالم وتبسط رداء الحرية والسلام على بلاد العالمين . « **والمؤمنون والمؤمنات بعضهم أولياء بعض يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر ويقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة ويطيعون الله ورسوله أولئك سيرحمهم الله ان الله عزيز حكيم** » .

وهذه صورة مرسومة على صفحات القرآن الكريم - رسمها رب العالمين - للأمة المحمدية لتظل ثابتة ناطقة لاتبلى ولا تفنى لكن ستبقى لتتلى فى كتاب الله الخالد الذى لاتبديل لكلماته ولا تغيير لآياته « **محمد رسول الله والذين معه أشداء على الكفار رحماء بينهم تراهم ركعا سجدا يبتغون فضلا من الله ورضوانا سيماهم فى وجوههم من أثر السجود ذلك مثلهم فى التوراة ومثلهم فى الانجيل كزرع أخرج شطأه فآزره فاستغلظ فاستوى على سوقه يعجب الزراع ليغيظ بهم**

الكفار وعد الله الذين آمنوا وعملوا الصالحات منهم مغفرة وأجرا عظيما » .

وما الحياة الدنيا الا فرصة للعمل الجماعى والجد الوحدوى ليتحقق الأمل وليست الحياة مهيأة للخمول ولا ممهدة للكسل .

((افحسبتم انما خلقناكم عبثا وانكم الينا لاترجعون))

ان الله الذى جعل الأرض ذلولا ليأكل الناس من طيباتها وخيراتها من غير تقتير ولا تبذير قد وعد المؤمنين الذين يعملون الصالحات بأنه سيستخلفهم فى الأرض وأنه سيبدل خوفهم أمنا ليطمئنوا فيضاعفوا انتاجهم ويؤدوا رسالة دينهم ودنياهم معا .

(وعد الله الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات ليستخلفنهم فى الأرض كما استخلف الذين من قبلهم وليمكنن لهم دينهم الذى ارتضى لهم وليبدلنهم من بعد خوفهم أمنا .. »

والايمان بالله وبرسالاته يهدينا للتى هى أقوم ويعلمنا بناء المجدويرشدنا الى أن المؤمن القوى خير وأحب الى الله من المؤمن الضعيف والذى يتبصر فى القرآن يرى أن الله قد رفع المتقين فى سماء المجد مكانا عاليا لما صبروا وصابروا واجتهدوا وثابروا فى نصرة الحق الذى يمحو الباطل ويمحقه « **بل نقذف بالحق على الباطل فيدمغه فاذا هو زاهق** » ويأبى الله الا أن يأخذ بيد من ينصر دينه ويرفع شأن من يعمل للصالح العام ويسعى للخير ويتحمل الأذى من كل أنانى مستكبر جبار .

« **ونريد أن نمن على الذين استضعفوا فى الأرض ونجعلهم أئمة ونجعلهم الوارثين ونمكن لهم فى الأرض ونرى فرعون وهامان وجنودهما منهم ما كانوا يحذرون » .**

وهكذا جعل الله للمصلحين فى الدنيا مقاما كريما وفى الآخرة أجرا عظيما و « **من كان يريد العزة فلله العزة جميعا اليه يصعد الكلم الطيب والعمل الصالح يرفعه » .**

« واعملوا صالحا انى بما تعملون بصير »

« ومن يعمل من الصالحات وهو مؤمن فلا يخاف ظلما ولا هضما » . « والسابقون السابقون أولئك المقربون فى جنات النعيم .

وهذه فطرة مؤمن وأريحية مسلم وعاطفة انسانية ونزعة دينية أظهرتها همة صحابى وقاه الله شح نفسه . وانها لتبدو واضحة فى القضية الآتية .

لما نزلت الآية الكريمة (**من ذا الذى يقرض الله قرضا حسنا فيضاعفه له ..** » قال أبو الدحداح ، فداك أبى وأمى يارسول الله « ان الله يستقرضنا وهو غنى عن القرض ؟ قال نعم . يريد ان يدخلكم الجنة به .

قال ان أقرضت ربى قرضا حسنا يضمن لى ولصبيتى الجنة ؟ قال نعم . قال . ناولنى يدك . فناوله رسول الله صلى الله عليه وسلم يده . قال ان لى حديقتين احداهما بالسافلة والأخرى بالعالية — والله لا أملك غيرهما — قد جعلتهما لله تعالى . قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (اجعل احداهما لله والأخرى دعها معيشة لك ولعيالك) قال فاشهد يا رسول الله أنى قد جعلت خيرهما لله وهو حائط فيه ستمائة نخلة قال اذا يجزيك الله به الجنة .

فانطلق أبو الدحداح حتى جاء أم الدحداح وهى مع صبيانها تدور تحت النخل فأنشأ يقول :

هداك ربى سبيل الرشاد
الى سبيل الخير والسداد
بينى عن الحائط بالوداد
فقد مضى قرضا الى التناد
أقرضته الله على اعتماد
بالطوع لا من ولا ارتداد
الا رجاء الضعف فى المعاد
فارتحلى بالنفس والأولاد
والبر لاشك فخير زاد
قدمه المرء الى المعاد

قالت أم الدحداح ربح بيعك بارك الله فيما اشتريت وأجابته قائلة :

بشرك الله بخيـــــر وفرح
مثلك أدى ما لديه ونصـــح

قد منع الله عيـــالى ومنح
بالعجوة السوداء والزهو البلح

والمرء يسعى وله ما قد كدح
طول الليالى وعليه ما اجترح

ثم اقبلت أم الدحداح على صبيانها تخرج ما فى أفواههـم وتنفض ما فى أكمامهم حتى أفضت الى الحائط ، فقال النبى صلى الله عليه وسلم « كم من عذق رداح ودار فيـاح لأبى الدحداح » •

وهذه القصة نهديها للذين حرموا الشعوب حقهم فى الحرية والعـدالة الاجتماعية وقد أسلموا فلسطين للعصـابات الصهيونية • وأضـحوا يبحثون عن تكوين الأحـلاف والاختلاف •• نهديها الى الذين يرتمـون فى أحضان الامريكان يبتغون عندهم العزة للاسلام جاهلين ـ أن العزة لله جميعا ـ وهى مهداة أيضا الى الذين يتباكون على الاسلام فى هذه الأيام • الى شاه ايران والى الحبيب بورقيبة الذى أمر المسلمين بأن يفطروا فى رمضـان لمضاعفة الانتاج وكأنهم لايعلمون أن الاستعمار لايحمى الاسلام ولا يمنح الحرية للاوطان •

« يأيها الذين آمنـوا هل أدلكم على تجارة تنجيكم من عذاب أليم تؤمنون بالله ورسـوله وتجاهدون فى سـبيل الله بأموالكم وأنفسكم ذلكم خير لكم ان كنتم تعلمون يغفر لكم ذنوبكم ويدخلكم جنات تجرى من تحتها الأنهار ومساكن طيبة فى جنات عدن ذلك الفوز العظيم •وأخرى تحبونهـا نصر من الله وفتـح قريب وبشر المؤمنين •• »

ان هذا الاسلام أرفع شأنا وأجل مقاما من أن يهبط الى ارضاء نزوات الجلادين المخلوعين فى اليمن ضد الثـوار الأحرار الذين تجرعوا غصص الحرمان أحقابا طوالا •

وهو لايرضى للأقلية المتحكمـة أن تعبث بالحرية وتعوق تحقيق الحياة الديموقراطية والعـدالة الاجتماعية والنهضـة الثقافية والعلمية •

ذلك لأن هـذا الدين يكـره المستغلين والمسـتغلين معا وهو يأبى الاسـتجداء من الأعداء الذين يسعون لهـدم الوحدة التحررية فى الخفاء •

والشـعب العربى الأبى لاير ضى أن تكبل ارادته وتسجن طاقته داخل اطار استبدادى ونظام انتهازى يمكن منه السيطرة المعتدية من الخارج والاسـتغلال الشره من الداخل • والشعوب العربية الأبيـة لن تنسى أن رأس المال المستغل قد أفسد الحياة السياسية فوق الأرض الطيبة العربية •

من أجل ذلك كلـه قامت ثورات حققت الحريات ومنحت الكرامة للانسان ببناء العدالة الاجتماعية بالكفاية والعـدل وتكافؤ الفرص وازالة الفوارق بين الطبقات •

« ان الله لايغير ما بقـوم حتى يغيـروا ما بأنفسهم » •

وارادة التغير معناها الثورة على الأوضـاع الفاسـدة وبهذه الارادة الصـادقة زال حكم الطبقيـة فى مصر وانزاحت الحزبيـة وطرد الاحتلال واممت القناة وتحققت الآمال وبنى السد العالى فاعترف بفضل بانيه القـاصى والدانى • وارتفعت الرءوس وأبيضت الوجوه وفى أفريقيا وآسيا اسـتقلت أكثر من خمس وثلاثين دولة وأخذ الاستعمار عصـاه ورحل وبنيت المصـانع ورصفت الطـرق وتحققت الحضارة الانسانية على الأرض المصرية فارتبط الماضى بالحاضر • وفتحت أبواب الجامعـات والمعاهد بلا امتيازات ولا وساطات •

وأضحى الأزهر فى عهد الثورة قبلة العـالم المسلم • وأضحت جامعته الكبرى تؤدى رسالة الدين والدنيا معا ومهمته اليوم أن يعلن للدنيا أن الرسالات الالهية الدينية انما جاءت لاقامة قواعد الحق والقسط والعدل بين الناس :

« لقد أرسلنا وسلنا بالبينات وأنزلنا معهم الكتاب والميزان ليقوم الناس بالقسط وأنزلنا الحديد فيه بأس شـديد ومنافع للنـاس »
والله يهدى المسـلمين ويرشـدهم فيقول :
« فاما يأتينكم منى هدى فمن تبـع هداى فلا خوف عليهم ولاهم يحزنون » •

حلف الأصنام

الأستاذ محمد محمد السباعى :

قلت لصاحبى وأنا أحاوره :

يبدو أن الداعين الى الحلف المزعوم أو الحلف المشئوم قد وضعوا أصابعهم فى آذانهم وغلفوا قلوبهم وضربوا أستارا غلاظا على عقولهم حتى لاتصل اليها صيحات الحق والآيات والنذر التى تنتظر مصيرهم المحتوم ان لم يثوبوا الى رشدهم ويرجعوا عن غيهم ويعودوا الى شعوبهم .

فرد على صاحبى صائحا مهتاجا

وماذا تغنى الصيحات والآيات والنذر عن قوم لايعقلون .. ؟ انهم ساء ما يحكمون .

ثم استرسل فى حديثه :

ليت الداعين الى هذا الحلف . وأنا أسميه حلف الأصنام - يفهمون حقيقة أنفسهم كما يفهمهم الناس . اذن لاستراحوا وأراحوا .

لقد عميت أبصارهم وبصائرهم وتبلدت عقولهم وأذهانهم واستحوذت عليهم وتملكتهم شهوات متعددة الألوان والأشكال وخيل اليهم أنهم بالغون - لا محالة - ما مناهم به سادتهم وأولياءأمورهم . لقد منوهم ووعدوهم وما وعدوهم فى الحقيقة الا خسارا . مناهم الشيطان ووعدهم وما يعدهم الشيطان الا غرورا » .

قد يجوز لنا أن نعذر الغرب فى محاولته الفاشلة هدم القومية العربية والقضاء على الشعوب المتحررة المتطورة التى تشكل شوكة فى حلقه وسلسلة من الفولاذ حول عنقه . فهو ان سكت عليها كانت نهايته قريبة . لذلك هو حريص على تنفيذ سياسته المرسومة وخطته المدروسة وهى تقوم على خلق الفتن وايجاد الثغرات ثم السيطرة والاستعلاء على الأمم ومص دماء الشعوب .

ولن يتأتى ذلك أبدا والقومية العربية يقظة والشعوب الاسلامية متحررة واعية - ولن يكون ذلك أبدا وفينا وبين ظهرانينا زعيم وفى مناضل . وبطل جرىء ملهم . وقائد حازم محنك . ورائد عربى عظيم . هو ناصر الحق وقاهر الاستعمار الرئيس جمال عبد الناصر .

نعم ان جاز لنا أن نعذر الغرب فى هذه المحاولة الفاشلة التى يعيش على أمل نجاحها ذلك الأمل الذى راوده ابان الحروب الصليبية المسعورة والذى عاوده أيام معركة السويس حيث باءت حملاته كلها بالفشل الذريع -

فجاء يصطنع الأحلاف حلفا بعد حلف كلما فشل حلف خلفه آخر علّه يصل الى بغيته وهو يعلم أن الوصول اليها لن يكون أبدا حتى يلج الجمل فى سم الخياط .

ومرة أخرى أقول ان جاز لنا أن نعذر الغرب فى مثل هذه المحاولات اليائسة أو الميئوس منها فما هو وجه العذر لهؤلاء السادة الأماجد الذين ينخدعون بهذا الزيف الذى يسوقه الغرب لهم وبهذا السراب البراق الذى يحسبه الظمآن ماء .

أيظن هؤلاء أن الغرب قد آمن بالله الواحد الأحد الذى لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوا أحد ؟ أو تحول عن مسيحيته ويئس من دينه كما يئس الكفار من أصحاب القبور ؟ أيظنون أنه هدى الى رشده فراح يفتش عن عقيدة سماوية جديدة فاهتدى الى أن الاسلام هو دين الحق وأن من ابتغى غيره دينا فلن يقبل منه وهو فى الآخرة من الخاسرين - فهو من أجل ذلك يعد العدة لاعتناق هذا الدين الذى يحرر الشعوب ويطهر النفوس - ؟ والا لماذا نراه يجند اذاعاته وصحفه وجميع وسائل الاعلام لترويج الحلف الاسلامى بين العالمين ونشر محامده وفضائله بين الامم ؟

ان كان ظنكم كذلك يا سادتى الأماجد فأنتم أجهل الجهلاء وأغبى الأغبياء . لأن الغرب أذكى منكم . ولكنه عرف موطن الداء وعرف نقطة الضعف فيكم فراح يشترى ضمائركم بأبخس الأثمان - فيالها من صفقة خاسرة وبائرة ... ! وياله من ظن أرداكم وأثار عليكم ثائرة شعوبكم وكل الشعوب المحبة للخير والسلام .

ان الغرب لن ينسى أبدا تلك المعارك المريرة التى خاضها ضد العروبة وضد الاسلام وخرج منها فاشلا مذءورا مدحورا .

لن ينسى أبدا معركة حطين ومعركة المنصورة ومعركة كفر الدوار ومعركة رشيد ومعركة بورسعيد وغيرها وغيرها . ذكريات هذه المعارك تقض مضجع الغرب وتؤلم صدره وصدور الذين يدورون فى فلكه وتنكد عليهم عيشهم مدى الحياة .

أيظن سادتنا الأماجد أن اسرائيل تعطف على الاسلام وعلى المسلمين وتغار عليهما أكثر من المسلمين أنفسهم ؟ وهى هى اسرائيل نفسها التى سعت جهدها لتحريف وتزييف القرآن الكريم الدستور السماوى الدائم للمسلمين . وهدفها النيل من العرب ومن أصحاب الديار المغصوبة ترضية لسادتها الذين أسكنوها هذه الأرض المقدسة على حساب أصحابها اللاجئين .

أم يظنون أنها هى الأخرى قد ثابت الى رشدها وأنه قد آن لها الأوان لتكفر عن سيئاتها باعتناقها للاسلام بدليل انها تصفق وتدق الطبول وتقيم الولائم والأفراح لظهور هذا المولود الجديد (الحلف الاسلامى) استغفر الله بل الحلف المشئوم وأعنى به حلف الأصنام ... ؟

أيها المتورطون مع الغرب والضالعون مع اسرائيل والمتحالفون مع الشيطان من أجل حطام الدنيا - تنبهوا فان ما عندكم يفنى وما عند الله باق .

تنبهوا فان القومية العربية أبقى لكم من سواها .

تنبهوا فان شعوبكم المتحررة أبقى على الدهر من عروشكم العفنة المهزوزة وكراسيكم التى دب فى قوائمها السوس والفساد .

كنا نود وأنتم دعاة هذا الحلف وسدنته أن تكونوا قبل كل شىء قدوة حسنة للمسلمين ومثلا عليا تحتذى للمؤمنين وبذلك يصدقكم الناس فيما تزعمون وفيما له تدعون .

فهل أنتم كذلك حقا يا دعاة الحلف الجديد ويا مخالب القطط لقوم يتربصون بنا وبكم وبشعوبكم . ؟

ان ماضيكم يقول صراحة أنكم أسوأ مثل للحكام المسلمين - وهذا مؤسف للغاية .

وحاضركم يفند ما توهمون به النـــــاس •
ومستقبلكم ومصيركم فى أيدى شعوبكم الذين ائتمنكم الله عليهم والذين درســـوا أحوالكم وعرفوا نياتكم ـ فلا تخونوا الله والرسول ولا تخونوا أماناتكم ان كنتم مؤمنين حقا بعروبتكم وحريصين حقا على اسلامكم وعاملين حقا على رفاهية شعوبكم •

ارجو يا دعاة الحلف المزعوم أن تنظروا فى كتاب الله الذى أنزله ربكم على نبيكم محمد صلى الله عليه وسلم • وأن تقرأوا قوله تعالى (وفى أنفسكم أفلا تبصرون) فستجدون نفوسـكم عارية من الاسلام وقلوبكم مليئة بالحقد على المسلمين وبحب أعداء الاسلام وستجـــدون تصرفاتكم صدى وتبعا لهوى المستعمرين الذين يتربصون بالاسلام ولا يتركون أية فرصة تمر دون ان ينتهزوها لضرب القومية العربية التى تشكل خطرا على مصــــالحهم فى الشرق وفى الغرب على السواء •

يا دعاة الحلف الاسلامى ••• اسمعوا •• وعوا ••

ان الاسلام يدعو الى التعاون والاعتصام بحبل الله •

فهل تعاونتم الا مع الغرب وهل اعتصمتم الا بالغرب ؟

والاسلام يدعو الى الشورى فى كل أموره وأحواله •

فهل استشرتم شـعوبكم فيمـــا أنتم له داعون ؟

والاسلام يقيم العدل بالقسط والميزان ••

فهل أقمتم العدل والقسط والميزان ••

والاسلام يدعو الى الحرية باوسع معانيها والى التكافل الاجتماعى فى شتى مظاهره •

فهل للحرية مظهر واحد فى بلادكم وهل للتكافل الاجتماعى كيان بين شعوبكم •

والاسلام يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر ويحرم القتل والاغتصاب

فهل امتثلتم أوامر الاسلام ونواهيه ؟ وهل سرتم على شرعته ومنهاجه •

هل أحللتـــم ما أحله ؟ وهل حرمتــم ما حرمه ؟

الاسلام يحرم تكديس المال وتخزينه ويدعو الى انفاقه فى أوجه الخير والبر كيـلا يكون دولة بين الأغنياء منكم •

فهل فعلتم ما وصـــــاكم به ربكم أم أنتم ضــالعون مع الغرب تأتمرون بأمره ولو كان على حســـــاب الكـــرامة والشرف والذمة والضمير ؟ ـ ولو كان على حساب فقر شعوبكم واذلالها •• ؟

والاسلام يربط بين قلب الراعى وقلـوب الرعيـــة برباط وثيـق من المحبة والثقـــة والتعاون ••

فهل انتم كذلك يادعاة حلف الاسلام ويا أركان حلف الأصنام ؟

ستقولون دائمـــــا نعم على كل سؤال • وستقولونها بفجر ومكابرة وعنجهية • ولكن شعوبكم ستقول حتما : لا لا لا وهى أصدق منكم لسانا واقوم قيلا •

ولكن التاريخ أيضا سيقول بفمه المفتوح : لا لا لا وهو الصادق الأمين •

يادعاة الحلف المشئوم ••

أليس فيكم من استباح اذلال شعبه ؟

فهل هذا من الاسلام ؟

أليس فيكم من أراق دم الأبرياء ؟

فهل هذا من الاسلام ؟

أليس فيكم من منع صوم رمضان بحجة انه يضعف الأبدان ؟

فهل هذا من الاسلام ؟

أليس فيكم من قتل صالح بن يوسف ؟

فهل هذا من الاسلام ؟

أليس فيكم ومنكم من دفع رشوة أوعربونا لقتل زعيم العروبة جمال عبد الناصر ••

فهل هذا من الاسلام ؟

أليس فيكم من لايزال يحرض على قتل وابادة شعب بأسره هو شعب اليمن الحر الأبى ؟

فهل هذا من الاسلام ؟

اليس فيكم من وضع يده فى يد الغرب جهارا نهارا وعلانيــة لا سرا لوأد الحركات التحررية والنزعات الوطنية فى البلاد العربية؟

فهل هذا من الاسلام ؟

ألم تقرأوا قول الله تعـالى : ومن يتولهم منكم فانه منهم •

عودوا أيها الحكام الى أنفسكم بل عودوا الى شعوبكم وعودوا الى كتاب الله تعالى وتدبروا قوله جل شأنه :

« يا أيها الذين آمنــوا لاتتخذوا عدوى وعدوكم أولياء تلقون اليهم بالمودة وقد كفروا بما جاءكم من الحق » •

هل بقى لديكم شك فى عداوتهم للمؤمنين وقد بدت البغضــاء من أفواههم وما تخفى صدورهم أكبر ؟

وأنتم يا أبناء القومية العربية ويا شعوب العـالم الحر « لا تهنـوا ولا تحزنوا وأنتم الأعلون » واستعينوا بالله « هو مولاكم فنعم المولى ونعم النصـير » واقرأوا قـول رب العزة سبحانه :

« ألم تر الى الذين تولوا قوما غضب الله عليهم ما هم منكم ولا منهم ويحلفـون على الكذب وهم يعلمـون • أعد الله لهم عذابا شديدا انهم ساء ما كانوا يعملـون • اتخذوا أيمانكم جنة فصدوا عن سبيل الله فلهم عذاب مهين • لن تغنى عنهم أموالهم ولا أولادهم من الله شيئا أولئك أصحاب النـار هم فيها خالدون • يوم يبعثهم الله جميعا فيحلفـون له كما يحلفون لكم ويحسبون أنهم على شىء ألا انهم هم الكاذبون استحوذ عليهم الشيطان **فأنساهم ذكر الله أولئك حزب الشيطان ألا ان حزب الشيطان هم الخاسرون » •**

وأخيرا ـ والخطـاب لكم يا دعاة حلف الأصنام ـ يا من بعتم أنفسكم صفقة خاسرة للشيطان وللأنجلو ـ أمريكان ـ لقـد بلونا أخباركم وكشفنا أستـاركم وعرفنا أهدافكم وأغراضكم ويوم ترجف الراجفـة لن ينفعكم الفرار ان فررتم ولن يجيركم الاستعمار ان سقطتم • فأولى لكم ثم أولى لكم •

واسمعوا بعد هذا كله قول رسول الاسلام محمد صلى الله عليه وسلم :

« من لم يهتم بأمر المسلمين فليس منهم»

وحيث انكم تتآمرون على الاسلام وتسعون الى هدم بنيانه وتقويض أركانه وتفتيت وحدته وتمزيق صفوفه متعاونين فى ذلـك مـع الد أعدائه من صهاينة ومستعمرين فأنتـم اذن لستم منا ولســنا منكم مهما تكابرون ومهما تدعون ومهمـا تتسترون وراء شـعارات براقة زائفة يفهم منها البسطاء والسذج بأنكم مسلمون •

والحقيقة أنكم ماديون منتفعون ولا أعدو الحقيقة اذا قلت : خائنون • وربما تسألنى يا صاحبى قائلا : ولماذا تصر على تسمية هذا الحلف حلف الأصـنام وكان فى وسعك أن تسميه حلف الأغنام ؟

والجواب على ذلك أن هؤلاء السادة الداعين الى هذا الحلف لايضرون ولا ينفعون شأنهم شأن لأصنام ـ وأما الأغنام فاننا معشر البشر نأكل لحومها وشـحومها وننتفع بجلودها وأصوافها ونستفيد من قرونها وأظلافها فهى اذن أنفع وأرفع ممن لايرى ولا يسمع •

وما أن انتهى صـاحبى من الكلام حتى تقدمت اليه لمصافحته وشكره على صراحته ـ وكم كانت دهشتى عظيمة حين لم أجد أحدا معى وانما وجدت القلم وحده فى يدى •
لك الله يا قلم •••• !

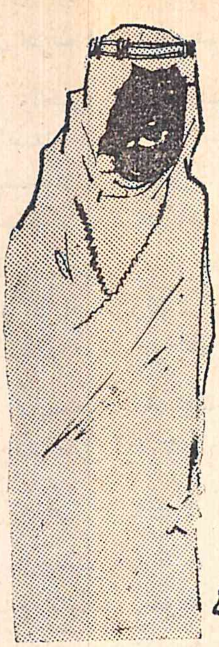

الحلف الإسلامى تستر باسم الدين

$. £ . $. £ . $. £

فضيلة الشيخ أحمد فريد عبد الفتاح

ان دعوة الاسلام الى الوحدة دعوة صريحة واضحة جاء بها القرآن الكريم فى محكم آياته قال تعالى : « واعتصموا بحبل الله جميعا ولا تفرقوا » وجاءت بها السنة المطهرة قولا وفعلا فقد آخى الرسول صلوات الله وسلامه عليه بين المهاجرين والانصار فكانت أخوة صادقة خالصة لله . وايدها بقوله صلى الله عليه وسلم « المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضا » .

سار المسلمون الأولون على هذه المبادىء السليمة وهذه الطريقة القويمة فقوى جانبهم وايدهم الله بنصره وأعزهم بعزته « ولله العزة ولرسوله وللمؤمنين » . فرفعوا لواء الاسلام ونشروا السلام فى ربوع الارض وآمنوا وآمن الناس .

وقد تطورت الاحداث وتفاعلت مع الزمن . واجتازت الشعوب العربيه والامة الاسلامية عقبات وعقبات . وبعد ان تحالف عليها الاستعمار تيقظت من غفلتها وتنبهت من غفوتها على هذا الضوء اللامع والنور الساطع واخذت تطارد كابوس الاستعمار فى كل قطر من الاقطار .

وكان من آثار الاستعمار البغيضة . بل من آثاره الكريهة على العرب بخاصة والمسلمين بعامة بل على الانسانية جمعاء . هذا النتن الصهيونى الذى تكونت جراثيمه فى فلسطين العربية الصميمة باسم اسرائيل . ومن هنا أخذ ينفث سمومه فى جسم الامة العربية . وكان لزاما على الزعماء والملوك والقادة ان يجمعوا ويوحدوا صفوفهم ليطهروا البلاد من من أدران الاستعمار . ويعيدوا فلسطين الى اهلها أو يعيدوا اهلها اليها بعد ان يطهروها ممن لوثوها .

ولكن الذى استطاع ان يكون من شراذم اليهود ومشرديهم دولة مزعومة .. لها جيش مسلح بأحدث الأسلحة .. ذى استطاع أن يفعل ذلك يستطيع أن يشترى من الأمم ولو عربية اسلامية أفرادا يستظلون بظله .. ويسيرون فى ركابه .. ويعملون فى دائرته .. فلا عجب اذا رأينا منحرفين محترفين ولو كانوا ملوكا متوجين أو رؤساء حاكمين . ولكن العجب هو ان ينخدع البعض بقولهم . وهم ما زالوا موالين للمستعمرين يطيرون اليهم يطلبون حمايتهم كلما اهتزت عروشهم أو احسوا بالخطر يحدق بهم .

والآن ينفضون آخر سهم من جعبتهم ويصوبونه فى صدر الأمة العربية باسم الحلف الاسلامى .. ظنا منهم ان مثل هذا ينطلى على البسطاء غافلين عن تنبه الوعى القومى لدى الشعوب الاسلامية . وان المؤمن لا يلدغ من جحر مرتين .. فقد كان هناك حلف سابق باسم حلف بغداد قضت عليه ثورة بغداد فى ١٤ يوليه سنة ١٩٥٨ . فما هو هذا الحلف الاسلامى الذى يجوبون البلاد طولا وعرضا ومشرقا ومغربا يدعون اليه وما اهدافه .

اننا اذا سلطنا الاضواء على حقيقة هذا الحلف وأهدافه لانكشف المستور ولو ضحت الأمور .

وان لم نكن فى حاجة الى ايضاح . فيكفى ان نعلم ان الدعاة الى هذا الحلف هم :

١ ـ شاه ايران : هذا الذى هادن الاستعمار وسلمه بترول بلاده . ومصدر ثروتها . ومكن له من استغلال كل منابع الثروة . والذى خرج على اجماع المسلمين . واعترف باسرائيل . وربط بينه وبينها بروابط سياسية واقتصادية غافلا او متغافلا عن قوله تعالى :

« لا تجد قوما يؤمنون بالله واليوم الآخر يوادون من حاد الله ورسوله ولو كانوا آباءهم أو أبناءهم أو اخوانهم أو عشيرتهم »

وعن قوله تعالى :

« يأيها الذين آمنوا لا تتخذوا عدوى وعدوكم أولياء تلقون اليهم بالمودة وقد كفروا بما جاءكم من الحق » .

٢ ـ الحبيب بورقيبة رئيس جمهورية تونس : هذا الرجل الذى تنكر لدينه واجترأ على ربه واباح الفطر فى رمضان . وهدم ركنا من أركان الاسلام . والذى تنكر للبلد الذى آواه فى محنته . فلم يلبث بعد مغادرته له والحفاوة به وتكريمه ان قلب له ظهر المجن . ولما يجف مداد البيان المشترك والذى تنكر للعروبة فنادى بالاعتراف باسرائيل مرتضيا لاهل فلسطين الهوان والمذلة .

فهل مثل هذا يكون داعية لحلف اسلامى ومبشرا به بين الشعوب العربية والامم الاسلامية مع هذا الماضى الحافل بالترهات والنزعات الالحادية .

٣ ـ العاهل السعودى : ذلك الذى يسير فى ركاب الدول الاستعمارية ويرتمى فى احضان امريكا تارة . وبريطانيا تارة اخرى . يطلب حماية بلاده وبعبارة أخرى حماية عرشه .

فهل مثل هذا يكون داعية لحلف اسلامى .!

لا ثم لا ثم لا . لن يكون هؤلاء واشباههم دعاة لحلف اسلامى . وقد غفلوا عن قوله تعالى :

« يأيها الذين آمنوا لاتتخذوا عدوى وعدوكم أولياء تلقون اليهم بالمودة »

وهل هناك مودة بعد السكوت على اسرائيل.! بل بعد الاعتراف باسرائيل دولة لها كيانها .! والرضاء بما آل اليه امر اهل فلسطين من تشريد وتشتيت .

وهل هناك مودة بعد الارتماء فى احضان الدول الاستعمارية التى كونت اسرائيل وآزرتها ومكنت لها فى البلاد العربية .

لقد تنبه الوعى القومى واصبح يحس احساسا دقيقا ويشعر شعورا صادقا بأن الحلف الاسلامى كلمة اريد بها باطل . او دعوة استعمارية يغذيها الاستعمار ويهلل لها ويرحب بها لتفتيت وحدة المسلمين . وتشتيت شملهم . حتى يظل رابضا فى ديارهم جاثما على صدورهم باسطا نفوذه بينهم لحماية هذه التيجان الهاوية . والعروش المتداعية . والتمكين لاسرائيل الباغية .

ولكن هيهات هيهات . فالله من ورائهم محيط .

وسيعلم الذين ظلموا اى منقلب ينقلبون .

والله نسأل ان يوفق المسلمين فى مشارق الارض ومغاربها شعوبا وحكومات وافرادا وجماعات الى الاعتصام بحبل الله المتين .. والتمسك بدينه القويم .. والعمل على ان تكون كلمة الله هى العليا ..

« يأيها الذين آمنوا ان تنصروا الله ينصركم ويثبت أقدامكم » .

دعوة الميثاق الوطنى من دعوة الإسلام

الاستاذ حسنى عبد المجيد

لعل الثورة الادارية التى عرفت طريقها سبيلا للاصلاح الادارى . ولعل هذه النظرة الجديدة الصارمة لجهاز الادارة الذى ورثناه من عهود لن تفلت من حســاب الله جزاء ما اقترفت ضــد حقوق الملايين من المسلمين . ولعل هذه الثورة الادارية وهى تواكب شهر يوليو شهر النضال العربى الحقيقى المعاصر . لعل هذه الثورة ستطرح على جماهير شعبنا مثلا جديدا لثورة عنيدة .. تلك التى قررت أن تغير حياة هذا المجتمع تغييرا أساسيا وعميقا فى اتجاه آماله الانسانية الواسعة . والواقع أن طاقة الشعب العربى فى مصر والتى فجرتها ثورة ٢٣ يوليو والتى داست على كل الرواسب المتخلفة من بقايا الظلم والأنانية لمجتمع ما قبل ٢٣ يوليو . ما زال جزء منها حبيسا مقيدا فى صورة تحد من ارادة هذا الشعب العظيم فى اعادة تشكيل حياته من جديد . ولن يكون هذا التشكيل الا بارساء قواعد جديدة تحدد وضع الفرد . وموقعه من الجماعة . وعلاقته بمهامه ومسئولياته . هذه المهام والمسئوليات التى أرساها مجتمعنا الاشتراكى . فى أذهان الملايين . ولم يبق من الملايين الا أن يخلعوا عليها روح النظام الاشتراكى وأخلاقياته . فمسئوليات ملايين المسلمين فى ظل نظامنا الاشتراكى . وبروح الميثاق انما تنبع من أخلاقيات وقيم وفضائل معينة هى التى ينبغى على كل مسلم مسئول أن يتقى الله فيها . وأن يراه من خلال انعكاس آثارها على جماهير شعبنا فكان المعاملات والعلاقات بين أفراد المجتمع المسلم الاشتراكى - وفى اطار الميثاق انما تنبع أصلا من الدين الاسلامى الحنيف.. هذا الدين العظيم الذى أورد فى تعاليمه وفى تفسيرات نصوص القرآن الكريم والأحاديث الشريفة ما يمثل ارفع القيم الانسانية التى أنارت فجر الحياة منذ أربعة عشر قرنا . لن يتسنى لقوة بشرية أن تضيف لهــذه القيم جديدا بعد أن أسس لنا الاسلام وللعالم كله القواعد الأخلاقية والاجتماعية والسياسية والاقتصادية والثقافية والروحية .. وعلينا فقط أن نعقل ونعى ما نقدم عليه . ثم نتوكل على الله حازمين عازمين على الخير والصلاح والتنمية ..

والثورة الادارية التى نحن بصددها انما هى فرجة ضخمة أمام ملايين العاملين . فرجة تفتح أمامهم باب التنظيم . والتقويم لما أوكل لهم من مهام . فرجة تنطلق منها خلق (العامل الادارى) أو ما نصطلح عليه بالموظف ... وليس الخلق المطلوب فى كل فرد منا أن يعرف فقط أن الصدق فضيلة أو أن الكذب رذيلة . وان الله قد حرم كذا وكذا .. ولكن الخلق ... والخلق الاشتراكى هو أن تنفعل النفس وتتأثر بكل ما من شأنه أن يعود على الجماهير بالرضا والاقتناع وبكل ماينبغى أن يكون . فيفعل . وبما لاينبغى أن يكون .

فيترك • ومن هنا جاءت عناية الاسلام بالخلق الكريم • ولقد وصلت هذه العناية عند الرسول العظيم الى قوله « انما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق » •

والى هنا وقفة • ومن هذه الوقفة لابد لنا أن نفسر العلاقة الوثيقة بين الخلق ومكارمه وبين المعاملات الاجتماعية والادارية التى يجب أن تسود بين المواطنين المسلمين•

ان مجتمعا اشتراكيا انسانيا • كمجتمعنا آمن بالله تبارك وتعالى ايمانا لايتزعزع وآمن برسله • ورسالاته القومية التى بعثها بالحق والهدى الى الانسان فى كل زمان ومكان وان مجتمعنا منذ ٢٣ يولية آمن بأن ارادة التغيير الثورى هى أن تتجه الى خدمة المصالح صاحبة الحق الطبيعى والشرعى ، وهى مصالح الجماهير فكأن مكارم الأخلاق التى أعلنها الاسلام وثبت أركانها • انما ينبغى أن تترجم من كل مواطن مسلم ترجمة ادارية تطبيقه فى كل خلجة من خلجات عمله • لتنير له طريق الهداية والتقوى ولن يكون هذا الطريق الا بالعمل • والعمل الواعى المدرك الذى يوقن منه • بأن نجاحنا وتخلصنا من أدران الماضى وفى كافة الاتجاهات • انما يصنع فى الواقع - بمقاييس الثورات العالمية - تجربة رائدة جديدة ليس فى مجتمعنا المسلم وانما للأمة الاسلامية كلها •

ولقد أورد الميثاق فى بابه السابع (كذلك فان سيادة القانون تتطلب منا الآن تطويرا واعيا لمواده ونصوصه بحيث تعبر عن **القيم الجديدة** فى مجتمعنا • أن كثيرا من المواد التى مازالت تحكم علاقاتنا الاجتماعية قد جرت صياغتها فى جو اجتماعى مختلف • وأن أول ما يعزز سلطان القانون هو أن يستمد حدوده **من أوضاع المجتمع المتطورة** • أن القانون فى حد ذاته صورة من **صور الحرية** لابد أن يسايرها فى اندفاعها الى التقدم ولا يجب أن تكون مواده قيودا تصد القيم الجديدة فى حياتنا) •

وهكذا نلمس من هذه الفقرة ركائز ثلاثة **قيما جديدة** • تمهد لجو **اجتماعى جديد** فى اطار **الحرية الحقيقية للمواطنين** ••

ولعله يجدر بنا الآن بحث العلاقة بين الثورة الادارية التى نحن عاكفون عليها وبين الحرية الحقيقية للمواطنين •• ان الحرية عند الميثاق • أخلاقيات قبل كل شىء •• فالديموقراطية هى توكيد لسيادة الشعب • ووضع السلطة كلها فى يده وتكريسها لتحقيق أهدافه • والحرية الاجتماعية هى توكيد لسيادة الشعب الاقتصادية • فى اقامة مجتمع العمل ومجتمع الانتاج ومجتمع الخدمات • ويكفينا فخرا أن الميثاق لم يرض أو يرتض بوجه واحد للحرية حقا لكل مواطن بل اشترط أن تتكامل الحرية السياسية والاجتماعية وبدون أى منهما • فالحرية ناقصة • والمواطن يقف دون حقوقه الاجتماعية • وهكذا أوضح الميثاق الحرية بمعناها الاجتماعى وبذلك يضفى على المجتمع الجديد الصورة المضيئة التى ينبغى أن تسود من خلال القواعد الاخلاقية والقواعد السلوكية • وبالتالى ننتقل من مرحلة الى مرحلة • تترسب فى كل منها قيم جديدة أو ضرورات اجتماعية تملى علينا حتمية تنظيم المعاملات والعلاقات الاجتماعية على أسس ارتضيناها لأنفسنا وعلى سبيل المثال • مضاعفة الدخل القومى كل عشر سنوات واصرار شعبنا المسلم على هذا الخلق والمنهج الاقتصادى الجليل • انما يهدف فى واقعه الى تنمية الاقتصاد العربى فى مصر بنسبة تتقدم على زيادة السكان وتسمح بفرصة حقيقية لرفع مستوى المعيشة برغم هذه المشكلة المعقدة •

ومقدرة شعبنا يجب فى ضوء هذا الهدف الانسانى أن توضع موضع الاختبار الذى لايمكن تنفيذه بنجاح تام الا بالتخطيط الاقتصادى والاجتماعى وبوحى من العمل الادارى المنظم الأمين فى اطار الأهداف الانتاجية للخطة • ثم بوحى أيضا من الفكر الاجتماعى الذى يرسم للمجتمع المسلم طريقه الى صنع الحياة الجديدة • وبهذا وبكل هذه المعانى تتضح قيم جديدة ومعان انسانية لكل الحياة المسلمة الصاعدة •

فالحرية الاجتماعية اذن تمنح كل مواطن حقوقا فى الانتاج وحقوقا فى الخدمات فى ضوء

تخطيط علمى أمين وبقدر اتساع قاعدة الانتاج فان العمل الوطنى مع كل يوم يفتح لنفسه أبوابا واسعة فى أمل كل مواطن ومستقبله وغده • فحق المواطن فى الرعاية الصحية وحقه فى العلم والعمل والتأمينات • هى كلها حقوق أو حريات أو قيم قررها الميثاق ويكفلها لنا مجتمعنا الاشتراكى وهى كلها أيضا تحتاج الى جهاز ادارى يعيش بروح المسئولية لترجمة كل هذا العمل الوطنى الى تطبيقات تغزو القلوب والعقول • تحت شعار أن الانتاج كله للمجتمع • فى خدمته ولتحقيق سعادته ولتأمين الرفاهية وتوفيرها لكل فرد فيه • والثورة الادارية هى التى ستكفل تغطية مجتمعنا المسلم بشبكة من الاداريين العاملين فى مواطنهم ومواضعهم الصحيحة • ولن يمضى وقت طويل الا ويصبح هذا الجهاز بمثابة الشرارة التى تمنح جماهير شعبنا الطاقات الاقتصادية والاجتماعية وهكذا ارتبطت الثورة الادارية • بالحرية الاجتماعية والسياسية فى اطار الاخلاقيات التى أوردها الميثاق •• وهكذا ومن خلال هذه القيم يمكننا أن نفتخر ونتفاخر بأن الصلة بين الانتاج والخدمات وسرعتها وسهولة جريانها من خلال جهازنا الادارى قد صنع لملايين المسلمين دورة دموية صحية لحياة الشعب كله • منفذين بهذا كله تعاليم الاسلام الحنيف •• من حيث الجوهر الذى لايتصادم مع حقائق الحياة ورسالتها •• ونكون جديرين بقوله تعالى (كنتم خير أمة أخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر وتؤمنون بالله ••) ونحن لن نكون خير أمة أخرجت للناس الا اذا آمنا بأن الأرض وما عليها أرض الله والمال مال الله وكل حق من حقوق المسلمين الذى قرره الميثاق انما هو ضرورة حتمية لسعادة المجتمع المسلم (ولا تأكلوا أموالكم بينكم بالباطل وتدلوا بها الى الحكام لتأكلوا فريقا من أموال الناس بالاثم وأنتم تعلمون) •

ويقول تعالى (ولا تؤتوا السفهاء أموالكم التى جعل الله لكم قياما) •• وذلك كله تحقيقا لانتفاع الملايين بها ولنشر الرفاهية لكل قوى الشعب العامل • ويقول تعالى (ولا يحسبن الذين يبخلون بما آتاهم الله من فضله هو خيرا لهم بل هو شرلهم • سيطوقون مابخلوا به يوم القيامة ولله ميراث السموات والأرض)

ولم يأل القرآن الكريم جهدا فى الارشاد الى أن الضن بالأموال عن أداء الواجبات واقامة المصالح هو القاء بالنفس فى التهلكة (وأنفقوا فى سبيل الله ولا تلقوا بأيديكم الى التهلكة وأحسنوا ان الله يحب المحسنين) • ويقول الرسول العظيم (اياكم والشح فانما هلك من كان قبلكم بالشح وأمرهم بالقطيعة فقطعوا وأمرهم بالبخل فبخلوا وأمرهم بالفجور ففجروا) •

وليس هناك أقوى من هذا القول العظيم فى تصوير الخطر الاجتماعى الذى ينبعث من الشح والبخل • وهكذا نلمس الحرب التى لاهوادة فيها من الاسلام على البخل والشح والامساك •

من كل هذه الأوامر والنواهى والقيم والأخلاقيات التى أرساها القرآن الكريم والرسول العظيم بتزويدنا بصورة الحقيقة للمجتمع المسلم الذى لابد أن يستقر فى ادراكنا • أنه لاحرية للفرد بغير تحريره أولا من براثن الاستغلال ••• واذا كان الاقطاع قد حاول يائسا بكل ضراوته ـ معتمدا على بعض العناصر الادارية التى لم تدرك مهامها ومسئولياتها ـ بعد ـ أن يعود الى القرية لكى يمارس هوايته القديمة ويطحن ملايين الفلاحين فان القيادة الثورية التى آمنت بحق كل مواطن فى الحياة والعمل والعلم ••• كجزء لايتجزأ من منهج تكوين المسلم القوى انما كانت بالمرصاد لهذه المحاولات الشريرة •• بعد أن اكتشف الشعب العربى نفسه وبعد أن أدرك محاولات الرجعية التى استغلت الدين مئات السنين ـ ضد طبيعته وروحه ـ لعرقلة التقدم والانتاج والتنمية • وذلك بافتعال تفسيرات تتصادم مع حكمة الخالق السامية وبعد أن أيقن كل مواطن مسلم أن كل حركة أو خلجة من خلجات مجتمعنا الاشتراكى انما تنبع من الاسلام الذى أكد حق الانسان فى الحياة والحرية والعزة والكرامة ••

سيموت الاستعمار

الشاعر عبد الله شمس الدين

وقف الرأى العربى الحر كله مع الشيخ العربى الحر صقر القاسمى حاكم إمارة الشارقة الشرعى الذى رفض أن يخضع للاستعمار الانجليزى

عزلوهُ ... لكن هل تُرى عزلوهُ   والشعب ينبض باسمه ويَفُوهُ ؟!
هُوَ فى قلوب بنيه رمز مبادىءٍ   سيعيشها رغم الطغاةِ بَنُوهُ
هُوَ ثورةُ الحُرِّ الأَبىِّ على العِدا   أبدًا سيزحف كلَّما ذكروهُ
سيظلُّ يُرْجِفُ كلَّ عاتٍ غاصبٍ   ولَو انَّهم عن شعبه أَقْصوهُ
هُوَ فى دَم الثُّوَّارِ لحْنٌ ثائِرٌ   سيظلُّ مشتعلا ولوْ سفكُوهُ
يا للحمى العربىِّ : ينأَى حُرُّهُ   عنه . ويبقى المارقُ المكروهُ
وإلامَ الاستعمارُ يحكم باسمه   ويعيث فيه ماكرٌ وسفيهُ
يمتصُّ خيرات الحمى وكأَن أَرض   العُرْبِ إرثٌ قد جناه أَبوه
أَبدًا يدسُّ سمومه حتَّى يرى   العربىَّ . حطَّم ساعديْه أَخُوهُ
يا ويْلَ مفسودى الضمائر إنهم   بالإثم فوق رؤُوسهم وضعوهُ
هذى قواعده شعار مذلَّةٍ   للعُرْبِ . يا ويْلَ الذينَ رضوهُ
وَهِمُوا إذا حسبوا الحياة على المدى   ستظَلُّ رهْنَ تآمُرٍ صنعوهُ
حاشا فقد عرف الكفاح طريقَهُ   وتبدَّلَ الأَمْرُ الذى وَهِمُوهُ
ما ظَلَّ (ناصِرُ) رافعاً علَمَ الفدا   سيموتُ الاستعمارُ وهو كريهُ
سيعود (صقرٌ) رغم كلِّ عداته   وتطيب (شارقةٌ) به وتتيهُ

قل لا أسألكم عليه أجراً

الشاعر محمود جبر

نـأى عن الحى مُذ قالوا له رَحَلوا   وجاد بالدمع تحنانًا لمن بَخِلُوا
وتاق للعَذْلِ ... والعُذّالِ صَاحِبهم   وصار أَحلى الأَمانى عنده العَذَلُ
غَفَى مع الليل لا سُهْدٌ يُؤرقـــــه   وصاحب الشمس لاشُغْلٌ ولاشَغَلُ
وقلت وارحمةً أَخفَ مَواجِعَـــــهُ   وللهوى فيه جُرحٌ ليس يَندمِلُ
وقلتُ يا صاحبى أحبابكم رَجَعوا ..   فقال فى لَهفةٍ ... يا هل تُرى سأَلوا ! !
رأَيْت فى الصبر حتى لا يُلاحقهم   كيدُ العواذلِ ما أَملوا وما نَقَلوا
حتى إذا استيأَسوا مِنّىَ وصَحَّ لهم   زَعْمُ السُلُو ... بدا لى فى الرضا أَمَلُ
حسبى لديهم إذن أَنى وَفيتُ لهم   لو يعلمون بعُذًّا لى وما فعلوا ؟

* * *

يا ابن البتول يُرى فى حيّكم رَجَلٌ   عِىٌّ لدينا وإذ يلقاكَ يَرتجل
جاثٍ هنا مُطرقٌ أَنَّى نَمُرُ بهِ   فإن ذُكرت صحا واستأْنس الرجل
يقول فيك أَغاريدًا مُنمقَّةً   القلبُ يرنو لها والسمعُ والمُقَل
مِن السماواتِ لامِن أَرضنا وُسِمَتْ   بِطابع الطُهر وَشتّ نظمها حُلَلُ
الحبُّ أَوتارُها والحبُّ معبدُها   والحبُّ أَحلى أَحاديث الأُولى وَصلوا
قد جاءَ فى الذكر «لا أَسأَلكمو أَجرًا   إلّا المودة فى القُربى ! . فهل عَقَلوا ؟ »

يا مَن تَعيبون لمس الستْر .. هل طَهُرَت | منكم أكفٌّ بها من زيغكم وَحَلُ
رُحْنَا نُقبِّلُ أعتابًا مُطهَّرَةً | وكان منكم لمن لايستحى القُبَلُ
وقد جعلنا سبيلَ الآلِ مَسلكنا | وأنتمو فى الهَوى ضَلَّت بكم سُبُلُ
ولَسْتُ أدرى وقد بتْنَا بزعمكمو | أشدَّ كُفرا لماذا يَكْثُر الجَدَلُ ؟؟
فى الأَرض مُخْتَلف الأَجناس تَغمرُها | تَعددت بينها الأَديان والنِحَلُ
ويُرجفُ الأَرضَ ذُو بطْشٍ بسطوته | ويَستبدُّ ويَطغى الآثم الجَهِلُ
وسامر الرقص لَا يَحْظَى بثورتكم | ورافع الكأس نَخْب الصخبُ مُعتَدلُ ..
وكُلُّ ما حولكم من مُنكرٍ تَفَهٌ | وَزَوْرَةُ الآل ... هذا حادث جَلَلُ؟!

* * *

لو أَنهم قَبَسُوا مِمَّا أَضأت لهم | ما ضَلَّ فى الغَىِّ لَاه عَنكَ مُنشَغِلُ
أو أَنهم صَفَّفوا الأَقدامَ فى غَسَقٍ | من الليالى لما اجتاحتْهُمْ العِلَلُ
تلك الأَباطيلُ أَضحَتْ فى عبادتنا | خُفًّا لَه بين خَلْقِ الله مُنْتَعِلُ
رَوَّوا نفوسَهمو بالمُهْل ليتهمو | عند السقاية ما عَلوًّا وما نَهلوا
يا ما لىَ الكأَس ... خَلِّ الكأَس فارغةً | فقد يَحِلُ بها مِن دمعك الهَطِلُ؟؟
قالوا يُطوفون ان صِدقًا وانِ كَذِبًا | حول المَزار وهذا عندهم خَطَلُ
ماذا أَضرَّ بهذا الدين من هُرِعوا | بِحافِزِ الشوقِ لامَيْنٌ ولا خَتَلُ
وهؤلاءِ على الحانَات قد وقفوا | وآخرون بأثوابِ الريا رَفلوا
ومُسْتَبِدٌّ من الأَوشاب كَالَ لَنَا | من السخائم ما يَعْيَا بِهِ الجبَلُ
أَنحنُ أم هم إِذن ناجُون فى غدنا ؟ | أمْرُ النجاةِ لهم ماليس يُحتملُ ؟؟

* * *

يا سيدى سامِحْ الشكوى فما لِفَتى | مثلى أَحبّ على الأَبعاد مُحْتَمَلُ
هُم صوروا الحبَّ طيفًا قد أَلمَّ بهم | والطيفُ يُسعد من تَغفو لهم مُقَلُ
وَمُسْهدُ الجَفنِ يرنو فى ضراعته | والقلبُ مُسْتَعِرٌ والوَجْدُ مُتَّصِلُ
لو بادلونى بُدنياهم وزُخرفها | حَلاوةَ الشوقِ لم أَقْبَلْ وإن قَبلوا ؟
وكيف يَبلغ قَومٌ ما بلغتُ وَلى | لدى « الحسين » الشهيد العفِّ ما جهلوا
لقد دعانى وقد لَبَّيْتُ دَعوته | وكُلُّ مَنْ سَارَ فى أَنواره يَصِلُ

من مآسى الاستعمار

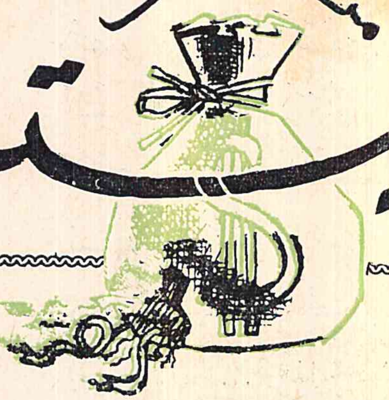

الشاعرة روحية القليني

إليك تحيتى يا نعمَ ثائر ... إليك سلامنا بالحب عاطر
قلوب العرْب حولَك اغنياتٌ ... ملحنةٌ على وترِ المفاخر
أَبيْت الحكمَ فى قيدٍ مذل ... وعفتَ الجاهَ فى ظل التآمر
وجئت بثورة الأحرار تسعى ... لثوار على الماضى مغاور
فمدوا قبل أَيديهم قلوبا ... بعطر الود تُبديه المشاعر
أَخانا فى العروبة نحن حصن ... لكل الثائرين على الجبابر
أَخانا فى العروبة نحن ظل ... لأَحرار القبائل والعشائر
أَخانا فى العروبة نحن وردٌ ... لكل فتى أَبى النفس ثائر
عركنا هذه الدنيا زمانا ... وعشنا حقبة بلظى الهواجر
بالاستعمار أذى كل حر ... بالاستبداد أَسكت شدو طائر
بحكم كان ظلما بل ظَلاماً ... فَبدده بنور الحق ناصر
فأَهلا يا حبيبَ العرْب أَهلًا ... فأَين ذهبت ترعاك المقادر
مكانُك فى الذرى يا صقرْ دوْما ... وسوف تعودُ الأَوطان ظافر
سهرت على بلادك فى جهاد ... وعين الله ترعى كل ساهر
وعشتَ بمبدأ الأَحرار تأْبى ... حياةَ الذل شِرعة كل غادر
وجئت لناصرٍ فى الحق تسعى ... فضمكَ ضمةَ البطل المناصر
وبين الأَهل عشتَ أَخا كريما ... فشارقةٌ كمصر فى الضمائر
بلاد كلها للعرْب حِصن ... يضمهمو على أنقى السرائر

قلب فنان

قصة بقلم الأستاذ حسين الطوخي

* لبست بغداد ثوبها القشيب ، وأخذت زخرفها وازينت حتى بدت كالعروس المجلوة فى ليلة الزفاف ، فاليوم هو آخر ايام شهر الصوم ، وغدا يستقبل الناس بعضهم بعضا مهنئين بيوم جديد ، هو عيد الفطر السعيد ..

ولما ان ذابت ظلمة الغروب الرمادية فى غلائل الليل الزاحف حثيثا على الكون والكائنات انفتحت ابواب الدور والخانات والقصور ، وخرج منها الناس زرافات ووحدانا يستطلعون قسمات المدينة العظيمة .. عروس الشرق ومنارة العرفان وحاضرة الخلافة العباسية التى شبت واستطال عودها وظلتها حتى غدت كعبة القصاد من آفاق البلاد .

لكن رجلا واحدا فى بغداد لم يكن سعيدا فى تلك الأمسية العذبة رغم ما يحيط به من رغد العيش واسباب الحياة الهانئة .

نعم . كان الرشيد خليفة المسلمين وصاحب السلطان العريض على امبراطورية واسعة تمتد شرقا حتى تتاخم حدود الصين وتنفسح غربا حتى تلامس شطآن اسبانيا ، كان الرشيد قلقا يجثم الهم على قلبه فى تلك الليلة من العام الثالث والثمانين بعد المائة الأولى للهجرة .

فى صدر النهار من ذلك اليوم ، تحدث الرشيد الى زوجته زبيدة برغبته فى توليته ولده « المأمون » لولاية عهده بعد اخيه « الامين » وغضبت زوجة الخليفة من هذه الرغبة ، فالأمين ولدها تنحدر أصلابه الى بيت بنى هاشم العريق ومن ثم ينبغى أن تكون الخلافة من بعده لابنائه وأحفاده ، اما المأمون فأمه جارية سوداء شاء القدر العابث فى لحظة مجون ان تلد له ولدا يكتب تاريخه بحروف من نار ونور .

لكم توجست زبيدة شرا منذ ولد المأمون ، ثم تأكدت فى اعماقها هذه الهواجس يوم ان رأت الغلام يشب عن الطوق وينبثق له ذكاء فطرى يدفعه لاكتشاف كل مجهول حوله الأمر الذى حدا بأبيه لأن يدفعه الى من يقوم على تنشئته وتأديبه واحسان رعايته تهذيبه ، بينما راح الأمين يلهو ويعبث ولا يصيب من العلم والتثقيف الا قليلا .

قامت زبيدة ساعتها وانزوت فى جناحها بالقصر المنيف ولما أن أذن لصلاة المغرب وأحب الخليفة ان تشاركه طعام الافطار فى يوم الصوم الأخير ، دعاها الى جناحه لكنها لم تستجب وادعت ان وعكة طارئة نزلت بها وطلبت الى خادم الرشيد ان يبلغه أسفها الشديد .

وجثم الهم على قلب الرشيد ، وأخذ يقلب الأمور على كل الوجوه ويعجب من غضب زوجته ومن يناصرها لابعاد « المأمون » عن

حظيرة الخلافة لا لشيء الا لأن أمه جـارية سوداء وليس لمثلها ان تغدو أما لخليفـة المسلمين .

وساءل الرشيد نفسه : متى كانت الانساب وحدها سببا لان يسود أمير على خفير وغنى على فقير ؟ ومتى كان اللون أو الجنس معيـارا لأن يتولى هذا النفر جلائل الأعمال ويسـاق ذلك النفر الى زرى الفعال ؟ واين اذا صالح الأعمال التى يفضل بها انسان على انسان ،وان لافرق بين عربى وعجمى الا بالتقوى ؟

وافاق من شروده على قدوم خادمه مسرور يعلن اليه انه لم يعثر على أثر «لابراهيم الموصلى» فى كل أحياء بغداد ، حتى أهل بيته وأبنـائه لايدرون أن كان سيبيت ليلة العيد فى عاصمة الخلافة أو قد غادرها الى بلد آخر .

وازداد الخليفة ضيقا وملالة ، فقد كان يرجو فى صحبة نديمه فى تلك الليلة مايذهب عنه احزانه ويخفف ما يزدحم بهصدره من الخواطر الثقيلة .

حقا لم يكن الموصلى فى بغداد ليلتئـذ ، وكانت السفينة التى ركبها من الموصل فى صباح ذلك اليوم قد اوشكت ان ترسو عـلى شاطىء جدة بعد طول مسير . ولما ان لامست قدماه أرض الميناء الكبير ، اتجه من فوره الى موضع القافلة المسافرة فى صبيحة الغد الى مكة

ولو كان الموصلى قد طلب الى الخليفة ان يأذن له بالذهاب الى مكة لما أذن له . فقد كان الرشيد لايطيق أن يغيب عنه نديمه ومغنيه ومؤدب غلمانه وجواريه . ولقد كان الموصلى فى شوق حقا الى الذهاب الى مكة ثم السفر منها الى المدينة المنورة ، بعد ان بلغته الأنباء بـأن هناك الحانا جديدة ابدعها المغنون فى البلدين الكريمين ، فأحب أن يقف على هذه الألحان وان يستمتع اليها فهو النديم الأريب والمغنى المصيب ، وهو بعد جليس لخليفة وسمير له وينبغى له ان يحيط بكل جديد ،وأن يلم بكل طريف .

ولم يشأ ان يعلم الناس بقدومه ساعة ان دخل مكة ، فقد طاب له ان يجوس فى ارجاء البلد الامين ، وان يرتاد أحياءه ونواديه وان مسراته ومغانيه ، دون أن يفطن اليه احد .

وقضى « الموصلى » ايام عيد الفطر فى مكة وطابت فيها أيامه واقامته ، وتمنى لو يقضى فيها بقية عمره يعبد الله بقلب سليم ،ويسأله العفو عن سيئاته ، وان يغفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر .

رأى الناس فى مكة يحب بعضهم بعضا ، ويحنو البعض على البعض ، واى امرىء يبسط يده بالخير والاحسان لاخيه الانسان ، ورأهم يعيشون فى أمان ورغد ، ويتعاونون على البر والتقوى ، ولايتعاونون على الاثم والعدوان .

لم يكن هناك حق يضيع على صاحبه ، او ظلم ينزل بأحد ، أو انسان يقطع الطريق على انسان أخر ليغتصب رزقه أو عمله أو لقمـة العيش ، انما كانت هناك مودة ومرحمة بين الناس ، وكانوا جميعا سواسية أمام شريعـة الاسلام والحق ، وكل شىء يجرى بالعـدل والقسط ، واذا ما نزل القصاص فانما يجـرى على الكبير والصغير ، ويقع بالغنى مثلما يقع بالفقير .

ولما انقضت أيام « الموصلى » فى مكة ، وآن له ان يغادرها الى المدينة ، خرج فى اخر يوم له يتجول فى سككها ويجوس فى طرقهاريثما يحين موعد قيام القافلة ، واذا به امام جارية سوداء تقف بباب دارهـا تنشج بالبكاء تارة ، وتسرح طرفها بعيدا تارة اخرى ، فأنكـر حالها ، وأخذ يدقق النظر اليها ، ثم اجهشت بالبكاء وأخذت تقول :

أعمرو عـلام تجنبتنى
اخذت فؤادى وعـذبتنى

فلو كنت يا عمرو خبرتنى
اخذت حذارى فما نلتنى

اقترب منها الموصلى يسألها : ياهذه ، من عمرو بالله ؟قالت : زوجى سألها : وماشأنه ؟ قالت : اخبرنى انه يهوانى ومازال يطلبنى حتى تزوجته ، فلبث معى قليلا ثم مضى الى «جدة» وتركنى .

كان « الموصلى « يحمل بين جنبيه قلب فنان كبير ، ويضم بين ضلوعه روحا شفيفة

تأنس لزقزقة العصفور فوق الفنن ، وتهيج شجنا لحزن انسان ولوعة ولهان ..

استهواه نواح المرأة الولهى ، فوقف يتمعن فى حزنها ، ويجوس بعينيه فى هيئتها ،فرآها ممشوقة القد فى قامة فارعة ، وتضج أعطاف الشباب فى جسدها البض الذى ابدع خالقه تكوينه وتصويره ، وكساه سوادا كظلمة الليل الحالك ، فاستقامت كعود من الأبنوس الصقيل .

لشد ما عجب الموصلى ساعتها من رجل يرضى بهجر مثل تلك الجارية الفاتنة ، مع ما ملكت من ريق الشباب ، واشتهاء وحسن خطاب .

واعتزم العدول عن الذهاب الى المدينة ، وشغل بأمر الجارية ، وأخذ يسألها :هل تصفية لى ياأمة الله ؟ قالت فى زهو مستور :ستجده أحسن من تراهم سمرة وأحلاهم حلاوة وقدا.

وعاد الموصلى الى داره ، فركب رواحله ومعه خدمه وغلمانه عائدا الى «جدة» ولما ان بلغها ، ذهب من فوره الى موضع فى الميناء الكبيرة يتبصر النازلين من السفن والصاعدين اليها ، وتاهت عيناه فى وجوه الناس وهيآتهم المتباينة وفى النهاية طلب الى احد غلمانه ان ينادى بأعلى صوته : ياعمرو .. ياعمرو ، فلم يلبث ان رأى شابا فاره العود يتقدم من غلامه ويسأله من يريدنى ؟ فأشار اليه الموصلى ان يقترب منه ثم قال :

أعمرو علام تجنبتنى
اخذت فؤادى فعذبتنى

قال الشاب على الفور : هيه ! أرأيتها وسمعت منها هناك فى مكة ؟ قال الموصلى فى حبور بعد ان عثر على ضالته : نعم رأيتها وسمعت منها وفارقتها باكية القلب والعين .

اطرق الفتى برهة يبكى ثم اندفع فغنى أبيات زوجته املح غناء بأعذب صوت حتى طرب الموصلى ، فطلب ان يعيد عليه الغناء حتى حفظ منه اللحن واستوعبه وفى النهاية قال يسأل الفتى المحزون : الا ترجع اليها لتنعما بهناء القلب ومسرة الروح ؟ اجاب الفتى :طلب المعاش يمنعنى ياسيدى ، وقد ضاق بى الرزق فى مكة .

كان رد الفتى رصينا وصادقا ، فرزق المرء مقسوم له وموفور فى بلد عن بلد آخر ، والناس من قبل ومن بعد ما تنفك فى رحيل عن أوطانها لتصيب حظا من الحياة أوفر ومصدرا للعيش أيسر .

وقال الموصلى يسأل الفتى :كم يكفيك فى كل عام للعيش معها ؟ قال الشاب : ثلاثمائة درهم تحفظ لنا حياة ماهى بالخشنة ولا هى بالناعمة . فابتسم الموصلى فى اشفاق وهو يذكر ان ماقدره الفتى المعوز لنفقته طوال عام كامل ومعه زوجته ، انما ينفقه احد غلمانه فى يوم وليلة ..

وأشار نديم الخليفة الى غلام له فاقترب منه وأسر فى اذنه كلاما لم يسمعه غيرهما ،فغاب لحظة ثم عاد يحمل كيسا به ثلاثة الاف درهم ناولها للفتى بينما الموصلى يخاطبه : فى هذا الكيس نفقة لعشر سنين على ان تقيم معها ، فلا تطلب المعاش الا حيث هى مقيمة معك فيكون ذلك فضلا يؤجرك الله عليه .

واحب الموصلى أن يضمن عودة الفتى الى زوجته ، فطلب اليه ان يرافقه الى مكة وطلب الى غلمانه ان ينتظروا أوبته منها ليركبوا البحر بعدئذ عائدين الى بغداد .

لما أن وصل الموصلى الى عاصمة الخلافة ، وأراد ان يلج خفية الى داخلها من احد ابوابها الكثيرة ، أحاطت به شرطة الخليفة حيث حملوه من ساعته الى قصر الخلافة وكان الرشيد قد أمر بان يحمل اليه نديمه ساعة ان يظهر فى المدينة .

ساعتها ايقن انه استهدف لغضب أمير المؤمنين ، وما درى أن ابتعاده عنه تلك الأيام القليلة ، انما كان الرشيد يراها طويلة وثقيلة أخذ يدبر فى ذهنه شتى المعاذير التى يرجو من ورائها صفحا عن سفرته دون اذن الخليفة من قبل

ووقف بين يدى الرشيد ، ورآه متجهما منقبض الاسارير وامارات الغضب تنصح من

زوايا وجهه العابس . وجاءه صوت الخليفــة يخاطب خادمه مسرور : خذوه الى الحبس ولا يطلق الا باذنى .

قال الموصلى مخاطبا الرشيد وعلى فمه بسمة رضاء : سأقبل والله حبسك راضى القلب ، ولكن حقيق بأمير المؤمنين أعز الله ملكه وأسعد بالغبطة أيامه أن يسمع دفاعى عن هفوتى لعله يصفح عن زلتى .

وظل الموصلى يحدق فى وجه الرشيد حتى لانت أساريره ، فأشار بفك قيــوده وتهيئة مجلسه ، وان يقدم الى نديمه ما يسد رمقه . واستمع الى نديمه يروى له ماجرى له فى مكة وفى جدة مع الجارية السوداء وزوجها المعسر الفقير ، وعاد بذاكرته الى حديثه مع زوجتـه زبيدة التى غضبت لأن يولى «المأمون» خلافة المسلمين من بعد اخيه « الأمين » لا لشىء الا لأن أمه جارية سوداء .

واندفع الموصلى يغنى ابيات الجارية العاشقة وأخذ الرشيد يستعيد الغناء مرة بعد مرة حتى أوشك الفجر على الطلوع

وأمر الرشيد للفتى «عمرو» ولزوجته بعطاء يقبضه فى كل عام ، فاعتدلت بهما الحياة وطاب العيش لهما هناك فى البلد الأمين ويوم ان بلغهما موت « الموصلى » بكياه بالدمع الهتون .

باب الرياضة

إعداد: ناصيف سليم

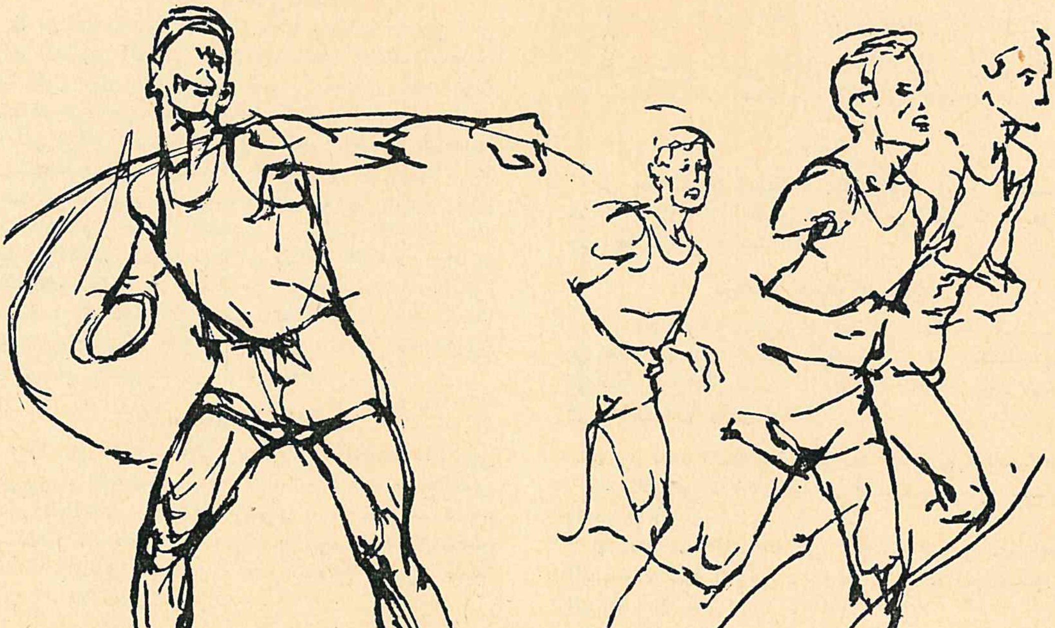

• بين هوس التشجيع وظلم الاتحاد الدولي لإفريقيا

لم يعد الاهتمام برياضة كرة القدم مقصورا على بلد دون الآخر ، أو شعب دون شعب ، فهذه مباريات كأس العالم التي ينظمها الاتحاد الدولي لكرة القدم في لندن قد أحدثت دويا هائلا في مختلف أرجاء الارض ، لا فرق بين مشترك فيها وغير مشترك ، حتى لم يعد غريبا أن ترى ابنك أو ابنتك ، أو الخادم ، قد فتح كل منهم عينيه صباح كل يوم على نتائج هذه المباريات ، وغرائب تلك المنافسات .

وهذا الاهتمام نبع أولا من اهتمام كل الشعوب أولا بمسابقاتها المحلية ، حتى شرب أبناء هذا الجيل حب هذه اللعبة ، وأصبحوا يهتمون بها . الى درجة جعلت التلميذ الصغير يشغل نفسه بها أثناء فترة الامتحانات ، وتقرير مستقبله .

ولا ننكر أن تشجيع كرة القدم - أخيرا - قد بلغ حد الهوس في بعض البلاد ، مما أخرج الرياضة عن هدفها الأصيل ، واذا ما عرفنا الهدف من العمل على نشر الرياضة على أوسع نطاق . استطعنا أن نحدد موقف هؤلاء المهتمين بمباريات كأس العالم ، والسعي نحو ملاعب الكرة في مختلف المناسبات ، وتتبع نتائجها في كل مكان ، ما يعنينا منها ، وما لا يهمنا بأي حال .

المستوى الصحي العام

● ان أهم ما تهدف اليه لرياضة بمعناها الأصيل ، أن ترفع المستوى الصحي العام في مختلف طبقات الشعب ، وأن تكون ممارستها ترفيها يشعر بسعادة ومتعة ، وأن تستنفد جزءا من طاقة الشباب ، فلا تغلبه أهواؤه وتدفع به الى مزالق الشهوات . وأن تكون بالنسبة لمشجعيها لا تساعده قدراته البدنية أو الفنية على ممارستها ، قتلا لوقت فراغه في نشاط مفيد ، وجو رياضي ممتع ، وتنقل من مكان الى آخر ، والتشجيع في حد ذاته اذا سلك الطريق السليم أصبح نوعا من الثقافة العامة .. اذ لم يعد يخلو مجلس من حديث عن الرياضة عامة ، والكرة خاصة ، ولا عجب اذا أصبح الطفل الذي يتجنب هذا اللون من النشاط انطوائيا ، يشعر بوحشة اذا بدا بين زملائه فقير المعلومات عن هذه الناحية .

التشجيع في هذه الحدود

واذا كان تشجيع الكرة يحقق هذا الهدف الترفيهي التربوي ، فانه لا ضير فيه .. انه نشاط مريح للنفس مدعم للعلاقات ، ومهذب للنفوس ، أما اذا خرج التشجيع عن هذا الحد ، وأصبح هوسا قاتلا لاصحابه ، وملحقا بالضرر لخصومه ، فانه تشجيع لا يقره مبدأ تربوي ، ولا قانون سليم ..

ومن قبيل هذا التشجيع ما نقلته وكالات الانباء خلال مباريات كأس العالم عن بحار ايطالي ، ظل يرقص ويهتف لبلده وهي تتبارى مع شيلي في مسابقة الكأس ، فاذا ما سجلت ايطاليا هدفها وخرجت فائزة .. مات من الفرح :

ومن مثل ذلك ما وقع بين البرازيليين والبرتغاليين في ساو باولو ، وهم يستمعون الى وصف مباراة البلدين في كأس العالم ، فما كادت المباراة تنتهي بفوز البرتغال على البرازيل حتى قامت معركة كان لها ضحايا من بين هؤلاء المتعصبين ... ومن مثل اعتداء لاعب أرجنتيني على الحكم ، لانه هم بطرده نتيجة تعمده الخشونة !

هذه الامثلة وغيرها كثير هي الصورة المظلمة السيئة لرياضة كرة القدم ، واذا صح أن تقع في المسابقات المحلية في مختلف البلدان ، فما كان يجب أن تقع في مباريات كأس العالم وهي في نظر الجميع مباريات القمة تمثل أرفع المستويات الفنية والاخلاقية !

.. وهذه الصورة هي التي يجب أن ندير لها ظهورنا .. ولا ندع لها مجالا في ملاعبنا ، عندئذ نستطيع كشعب رياضي ، وكقادة رياضيين ، وكلاعبين أن نستفيد من مباريات كأس العالم ، وهي ستظل ماثلة أمامنا مرة كل أربع سنوات ، حيث أصبح لدى التليفزيون العربي منها رصيد سيعرضه علينا في مختلف المناسبات

وعندما نحاول أن نستفيد من هذا التنافس بين فرق دور الستة عشر ، فسنجد الكثير مما ينفعنا في الحاضر والمستقبل :

● سنجد أحدث خطط الهجوم والدفاع في اللعب

● سنرى أخطر لاعبي هذه الفرق ، وربما دعوناهم في السنوات القادمة مع فرق بلدهم أو أنديتهم لمنازلة فريقنا العربي أو فرق أنديتنا ، وعندئذ سوف نستعيد شريط مبارياتهم ونعرف طرق لعبهم ، وما يتمتعون به من مهارات أساسية في كرة القدم .

● سنرى كيف يراقب المدافع المهاجم الخطير ..

● سنتابع سير الحكم في المباريات ، وعلى حكامنا أن يستفيدوا من مواقفهم ، ويتجنبوا أخطاءهم .

***

كل هذه صور جميلة تفيدنا رياضيا ، ولا يمنع الاسلام بحال من الاحوال أن نأخذ من الغير ما يفيدنا، ولا يتعارض مع مبادئنا وبيئتنا .

موقفنا من هذه المسابقة

بقي أن نعرف موقف الجمهورية العربية المتحدة من هذه المسابقة كتنظيم ، بعد أن عرفنا موقفنا منها كرياضة تابعناها باهتمام ، وقامت صحفنا بدور كبير في الاعلان عنها ونقل أنبائها :

● ان هذه المسابقة بدأت عام ١٩٣٠ على كأس جول ريميه الفرنسي ، وكان رئيس الاتحاد الفرنسي لكرة القدم في ذلك .

● تقام هذه المسابقة كل أربع سنوات بين دول العالم المنضمة للاتحاد الدولي .. وقد اشتركت الجمهورية العربية فيها عام ١٩٣٤ .

● تقسم الدول وفقا لموقعها الجغرافي الى مناطق وتتم تصفيتها في مباريات تمهيدية ، حتى يبقى منها ١٦ دولة فقط تجتمع فرقها في مدينة واحدة لتقسم بطريقة القرعة الى ٤ مجموعات وتتبارى كل مجموعة مع بعضها ، والفائز الاول والثاني من كل مجموعة يصلان الى دور الثمانية التي تجرى مبارياتها بين ٨ فرق بطريقة خروج المغلوب لتبقى ٤ فرق ، ثم تصفى الى فريقين ، يتباريان في المباراة النهائية ليكون الفائز منهما بطل العالم ، والمهزوم الثاني في العالم ، ثم يلعب الفريقان الباقيان مباراة لتحديد المركزين الثالث والرابع .

عندما تصل الرياضة الى هذا الحد من التهور واستعمال العنف تكون قد حادت عن هدفها الاصيل .. وهذا مثل لبعض ما حدث فى كأس العالم بين فريقين

● كان يمكن أن تشترك الجمهورية العربية المتحدة فى هذه المسابقة فى المرة الاخيرة ، باعتبارها أقوى دول أفريقيا وأحسنها استعدادا ، ولكن الاتحاد الدولى سار بمبدأ استعمارى استغلالى فكان متحيزا عندما جعل آسيا وافريقيا منطقة واحدة ، يخرج منها فريق واحد بعد تصفية كل فرقها ليصل الى دور الستة عشر الذى أقميت مبارياته بلندن .

.. ولكن الدول الافريقيـــة أجمعت كلهـا على رأى واحد : هو الاحتجاج على هذا التصرف.. ثم الانسحاب

الانسحاب لم يكن خطأ

● وبالرغم من أن الانسحاب من البطولات خطأ رياضى فاحش قد ينم عن عدم الالتزام بالمبادىء الرياضية الا أن انسحاب الدول الافريقية مجتمعة فى هذه المرة ، كان دفاعا عن كرامتها وحريتها . اذ ليس من المعقول أن تلعب دول آسيا كلها ودول أفريقيا كلها فى تصفية واحدة ، ليخرج منها فريق واحد يصل الى دور الستة عشر ، ان هذا يعنى أن تظل فرقها تذهب وتجىء الى بعضها فى مباريات للتصفية تكلف الفريق الواحد أكثر من ٢٠ ألف جنيه فى انتقالات ومصاريف ، ومن أجل ماذا ! من أجل أن يصل الى دور الستة عشر ويلعب فى لندن .. فهل هذا معقول ، وهل هذا عدل ..!!

لقد كان تحيزا واضحا وسافرا يكشف نوع نظـرة الدول الاستعمارية المسيطرة على الاتحادات الدولية الى دول آسيا وافريقيا ... وقد بلغ من استبداد الاتحاد الدولى ـ وهو المخطىء ـ أن وقع عقوبات مادية على كل اتحادات الكرة فى أفريقيا لانها احتجت وانسحبت.

ولكن يبدو أن تكتل الدول الافريقية ، وتوحيدكلمتها فى المؤتمرات التى عقدها الاتحاد الافريقى فى لندن أثناء مباريات كأس العالم ، قد أجبرت الاتحاد الدولى على التراجع .. واعادة تنظيم وتنسيق مباريات التصفية لدول افريقيا ، حتى تصبح ممثلة بأقوى فرقها فى دور الستة عشر لمسابقة كأس العالم عام ١٩٧٠ .

وبعد ...

فقد أردت من هذا العرض لموقفنا من مسابقة كأس العالم أن نثبت ونؤكد أن الاستعمار لا ينظر الى دول أفريقيا نظرته الى دول أوروبا .. أو حتى لاسرائيل ، وأن وحدة هذه الدول هى السلاح الماضى الذى ستدخل به المعارك الرياضية الدوليـة ان صح أن تسـمى معارك .

العوالم الأخرى

الدكتور محمد جمال الدين الفندي

قابلت واحدا ممن يدعون العلم والمعرفة ، ويتخذون المروق على الدين وتعاليمه دليلا على مبلغ علمهم ، أو فى معنى أصح جهلهم ، فقلت له بعد مناقشة طويلة :

اننا معشر المؤمنين انما نقيم ايماننا على البصيرة ، أما أنتم فالعمى المطاق سبيلكم ، والا فما دليلكم على عدم وجود الله تعالى كما تدعون ؟!

قال : ليس لنا من دليل سوى أننا لا نراه ، وقد حاول بعض رواد الفضاء رؤيته فى السماء فما استطاعوا ، فهـل أنتم ترون الله أيها المؤمنون ؟!

قلت : أحمد الله تعالى اذ تجابهنى بسؤالكم الفريد المعهود بينما أنت عن اجابة سؤالى تحيد .. فهـل تتوقع وجود الخالق فى مكان معين من هذا الوجود دون سواه ؟ وهل مجرد المسافات التى قطعها رواد الفضاء ، أو التى سيقطعونها بلغت من الكبر عبر المكان والزمان، تبرر امكان رؤيتهم للذات العلية ؟؟ وهل هذا هو مبلغ علمكم ؟؟ وهل أنت تستطيع أن ترى كل شىء أو كل ما تريد داخل حدود الكون المرئى الذى يزيد قطره على آلاف ملايين السنين الضوئية ، علما بأن السنة الضوئية هى المسافة التى يقطعها الضوء فى سنة كاملـة بسرعة قدرهـا ٣٠٠ ألف كيلو متر فى الثـانية الواحدة ؟! ثم هل أنت ترى كل ما حولك هنا وحيثما تغدو وتروح ؟

اعلم ان أبصارنا لا يمكن أن تدرك الخالق الذى ليس كمثله شىء ، ولكن الله تعالى يعرف بعظيم قدرته ، وما خلـق من شىء فى هذا الكون المترامى الأطراف ، وما أودعه من نظم وقواعد وقوانين لا مبدل لها عبـر الزمان والمكان . ولهذا نقيم نحن المؤمنين دليلنا على البصيرة ، أى على ما بين أيدينا من أشياء هى من آثار صنع الخالق وسيطرته على كل ركن من أركان هذا الوجود . فعندما سـئل نبى الهدى عن رؤيته الله تعالى فى المعراج قال :

« نور على نور وأنى أراه »

قال الرجل وهو يحـــاول تغيير دفة الحديث : وأى كتب اسماء ينادى بذلك ؟

قلت : القرآن الكريم ، الذى أعجز الناس فى كل العصور منذ نزوله ، والذى بهر العقول فى عصر الفضاء ،ولم يعد أحد يجهل تلك الحقيقة ، فكيف تغيب عنك أنت ؟! فقاطعنى الرجل محاولا من جديد تغيير مجرى الحديث، ليظهر أنه على شىء من العلم ، وقال : وكيف ظهر اعجاز القرآن العلمى فى عصر الفضاء ؟!

ولم يكن من الصعب على أن استعرض تلك المشكلة العلمية الكبرى التى تعترض سبيل علماء الأرض عند دراسة معالم أعوالم الأخرى، وموضوع امكان وجود أحياء مفكرة على بعض الكواكب النائية التى تتبع النجوم والشموس الضاربة فى أعماق الفضاء .

قلت : اننا لسنا وحدنا ، وليس من العقل ولا من الدين أن نحد ملكوت الله تعالى بما هو قائم على الأرض وحدها ، ونحن نردد من حين الى آخر قوله تعالى :

« الحمد لله رب العالمين » .

ثم رحت أسرد جانبـــا من الآيات الكريمة التى تشير الى وجود كائنات تدب على كثير من الكواكب الأخرى ، وهى التى يسبق بها القرآن ركب العلم .. .كل ذلك من غير أى تعليق علمى ، لوضوح أغلب المعانى بشكل معجـز أخاذ ، ولأن مجرد التعليق على بعضها يحتاج الى العديد من المجلدات التى تستلزم المزيد من البحث والدراسة فى مختلف فروع العلم مثل الفلك ، وعلوم الحياة ، والكيمياء ، والطبيعة الأرضية ، والرياضة ، والأرصـــاد ، ... وغيرها من أجل استيعاب المراد منها على الوجه الأكمل .

ومن الآيات التى ذكرتها قوله تعالى :

١ ـ ان الله لا يخفى عليه شىء فى الأرض ولا فى السماء (آل عمران) .

٢ ـ قال ربى يعلم القول فى السماء والأرض
(الأنبياء)

٣ ـ وما من غائبة فى السماء والأرض الا فى كتاب مبين . (النمل)

٤ ـ وهو الذى فى السماء اله وفى الأرض اله . (الزخرف)

٥ ـ أأمنتم من فى السماء ان يخسف بكم الأرض فاذا هى تمور أم أمنتم من فى السماء أن يرسل عليكم حاصبا .

(الملك)

٦ ـ قال ألم أقل لكم انى اعلـــم غيب السموات والأرض . (البقرة)

٧ ـ أفغير دين الله يبغون وله أسلم من فى السموات والأرض .

(آل عمران)

٨ ـ ولله ما فى السـموات وما فى الأرض والى الله ترجع الأمور .

(آل عمران)

٩ ـ ولله ملك السموات والأرض وما بينهما يخلق ما يشاء . (المائدة)

١٠ ـ ولله ملك السـموات والأرض وما بينهما واليه المصير . (المائدة)

١١ ـ لله ملك السموات والأرض وما فيهن وهو على كل شىء قدير .

(المائدة)

١٢ ـ قل لمن ما فى السـموات والأرض قل لله . (الأنعام)

١٣ ـ ان الله له ملك السـموات والأرض يحيى ويميت . (التوبة)

١٤ ـ ألا ان لله من فى السـموات ومن فى الأرض . (يونس)

١٥ ـ ولله غيب السموات والأرض واليه يرجع الأمر كله . (هود)

١٦ ـ ولله يسجد من فى السموات والأرض طوعا وكرها . (الرعد)

١٧ ـ ولله يسجد ما فى السموات وما فى الأرض من دابة . (النحل)

١٨ ـ تسبح له السموات السبع والأرض ومن فيهن . (الاسراء)

١٩ ـ وربــك أعلم بمن فى الســموات والأرض . (الاسراء)

٢٠ ـ ان كل من فى الســموات والأرض الا آتى الرحمن عبدا . (مريم)

٢١ ـ وله من فى السموات والأرض .

(الأنبياء)

٢٢ ـ ألم تر ان الله يســجد له من فى السموات ومن فى الأرض .

(الحج)

٢٣ ـ ولو اتبع الحق أهواءهم لفســدت السموات والأرض ومن فيهن .

(المؤمنون)

٢٤ ـ قل أنزله الذى يعلم السر فى السموات والأرض . (الفرقان)

٢٥ ـ ألا يسجدوا لله الذى يخرج الخبء فى السموات والأرض .

(النمل)

٢٦ ـ قل لا يعلم من فى السموات والأرض الغيب الا الله .

(النمل)

٢٧ ـ ويوم ينفخ فى الصور ففزع من فى السموات ومن فى الأرض .

(النمل)

٢٨ ـ وله الحمد فى السموات والأرض .

(الروم)

٢٩ ـ وله من فى السموات والأرض كل له قانتون . (الروم)

٣٠ ـ ولله المثل الأعلى فى السموات والأرض وهو العزيز الحكيم .

(الروم)

٣١ ـ ان الله عالم غيب السموات والأرض

(فاطر)

٣٢ ـ وما كان الله ليعجزه من شىء فى السموات ولا فى الأرض .

(فاطر)

٣٣ ـ ونفخ فى الصور فصــعق من فى السموات ومن فى الأرض .

(الزمر)

٣٤ ـ ومن آياته خلق السموات والأرض وما بث فيهما من دابة .

(الشورى)

٣٥ ـ لله ملك السموات والأرض يخـلق ما يشاء . (الشورى)

٣٦ ـ رب السموات ورب الأرض رب العالمين

(الجاثية)

٣٧ ـ ولله جنود السموات والأرض .

(الفتح)

٣٨ ـ يسأله من فى السموات والأرض كل يوم هو فى شأن .

(الرحمن)

٣٩ ـ ولله خزائن السموات والأرض .

(المنافقون)

هذا جانب من الاعجاز العلمى للقرآن الكريم سبق به ركب العلم ، ونحن نعرضه على الناس فى عصر العلم على صفحات منبر الاســلام ليعلموا أنه الحق من عند الخالق ، ونضيف على من يقول أن سنن الله ونظمه الطبيعية هى من صنع الصدفة ، بل ونؤكد له ان الصدفة لن أوجدت قانونا واحدا لا يمكن أن تحافظ عليه عبر الزمان والمكان ، وان ثبوت كل القوانين هو فى حد ذاته برهان علمى شاف ووافٍ على وجود الخالق المدبر لكل شىء . والله أعلم .

مختارات من شعر ابن عربى فى التصوف

الأستاذ عبد العزيز سيد الأهل

من قافية الفاء

أصول الاحكام

قال ابن عربى فى الاصول التى تستمد منها أحكام شريعتنا الغراء

وأما أصول الحكم فهى ثلاثة
كتاب واجماع وسنة مصطفى
ورابعها منا قياس محقق
وفيه خلاف بينهم مر وانتفى

هذه الاربعة : الكتاب والسنة والاجماع والقياس هى مصادر الأحكام فى شريعتنا . وكان من حق السنة أن تتقدم فى الذكر على الاجماع فى البيت الأول ولكن النظم هو الذى أخرها لوزن الكلام ، و لاضير فأمر هذه الأصول معروف الترتيب .

ولم يفصل ابن عربى الا فى البيت الثانى حيث القياس فاشترط فيه ان يكون محققا اى مستندا الى أصول صحيحة من الكتاب والسنة وأن يقع من ذوى الحفظ والفهم والتقوى من المستنبطين .

القياس رضيه أهل السنة ولم ترضه فرق من الشيعة ولم يكن ذلك معها تعنتا ولكنها مخافة التورط فى استنباط أحكام تخالف ماجاء به القرآن ، ولكن الشروط التى وضعها الفقهاء للقياس والأصول التى وضعوها للفقه ـ ولا سيما الشافعية ـ جعلت أمر هذا الخلاف هينا بل قضت عليه فانطفأت ومضت مدته .

وباب الاجتهاد الذى لم توصده الشيعة لابد ان يؤدى بأواخرهم الى القياس الذى منع منه أوائلهم . ولايخفى من هذا الكلام أن ابن عربى يستمسك بآراء أهل السنة وأصول الشريعة التى اعتمدوها ولا يزيد على هذه الأصول او ينقص ، فما اتهموه به لا يرجع اليه ولا يلتصق به .

فعل الخير

وقال فى الحث على فعل الخير وان لم يجد الفاعل له جزاء من الناس :

لا تندمن على خير تجود به
وان أغاظك من تعطيه واقترفا
فالله يرزق من يعطيه نعمته
سواء أنكرها كفرا أو اعترفا

يحث ابن عربى من يفعل الخير على أن يرتجله كالسحاب ارتجالا ويمطره حيث لاح له أن يمطره بلا حساب . ويوصى فاعل الخير أن لايندم على فعله حتى لو قوبل بالاغاظة واقتراف الذنب تجاهه ممن أخذه .

والمعروف أن طبع الله سبحانه فى العطاء الجود بلا حساب ، فليتخلق العبد بخلقه ان استطاع . وهو سبحانه يفيض النعم على خلقه ثم هو لايقطعها ولايمنعها عن الذين يكفرونها أو يكفرونها فانه يعطيهم جميعا .

وهذا هو الرزق الذى ضمنه الله لعباده عصوا أم أطاعوا وكفروا أم آمنوا حتى يستوفى كل مخلوق أجله ورزقه . ولما كان العطاء الذى يجود به العبد انما هو رزق امتدت به يد الله ، لم يكن العبد الا سببا وواسطة فلا يمنعن أحد خيرا تحركت به نفسه وامتدت به يده .

وقال فى خرقة الصوفية ـ وطالما قال فيها ـ وكان ما رآه هذه المرة واقعة حسية نظم معانيها فى النوم ومنها :

سألت شرف نلبسها
خرقة القوم على شرط الوفا
حين تابت عندنا من كل ما
كان منها قبل هذا سلفا
فأجبناها الى ما سألت
باعتقاد ووداد وصفا
وأمرناها بأن نلبسها
كل من كان بخير عرفا
وهى لما لبستها سبحت
حسبى الله تعالى وكفى

حين طرحت النفس معاصيها عنها ولجأت الى التوبة كان من حقها أن تسمى ((شرفا)) وهى حين ذلك تليق لان تدخل فى سلك المتصوفة الذين يعرفون بعلاماتهم على شرط ان تستمسك دائما بالتوبة وتنزل على الطاعة .

وانها لتستحق ذلك بعد التوبة والاشهاد عليها أمام الأتقياء واستمرارها على الطهارة والتوكل والرواح الى الله وحده بقلب منيب .

ومثل هذه النفس يحق لها أن تطلع على أسرار القلوب فتعرف منها الخير والذى لاخير فيه فتتولى الأول وتعزف عن الثانى .

وانقطاعها الى الله وحده والتسبيح بحمده دون الأغيار يكفيها فى درجة المعرفة وييسر لها طريق الوصول

هذا ، وقد سبق فى هذه المختارات كلام كثير متشابه لابن عربى عن خرقة الصوفية وهو مع كثرته متشابه ، ولكنه يعنى فيه بالخرقة الباطنة لا الخرقة الظاهرة فيعنى بالاخلاق والاداب دون المظاهر والثياب .

فصول السنة

وقال فى فصول السنة وجريان الحياة والعيش فيها بالماء :

أتاك الشتاء عقيب الخريف
وجاء الربيع يليه المصيف
ودار الزمان بأبنائه
فمن دوره كان دور الرغيف
سرى فى الجسوم بأحكامه
تغذى اللطيف به والكثيف
عجبت لهم جهلوا ربهم
ويسعى القوى له والضعيف
فأصبح كالماء فى قدره
لديهم وفى الماء سر لطيف

لاتدور رحى الزمان ولاتترتب أقسامها وتتجزأ فصولها الا لحكمة ، والذى ظهر من حكمة هذا الدوران انه لمنفعة الناس ونمو أرزاقهم ليعيشوا ، ولو وقفت الرحى عن دورانها لوقف الرزق وجمدت الحياة .

وفى الحركة سر الحياة فيما لطف منها وكثف وفيما رق وغلظ ، وللافكار والعقول والارواح حركات وللافلاك والجبال والمياه كذلك وبالحركة يحيا كل ذلك من ملموس وغير محسوس ـ وكان ابن عربى فى هذا يكاد يدرك أصل الكون وكله من ذرة تتحرك ، ولكن ادراكه هذا لم يكن الا كشفا حتى جاء العلم فحققه اليوم ..

والعجب لمن لايرى سر هذه الحركة ظاهرا واضحا فيدله على الواحد الذى يسعى الى طاعته وعبادته كل شىء طوعا وكرها ، وهو سر معلن مشهور كالماء الذى ضمن سر الحياة وهو خفيف لطيف .

وسر الماء اللطيف أنبأ الله عنه بقوله ((وجعلنا من الماء كل شىء حى)) وبقوله ((وكان عرشه على الماء)) ـ وقد تقدمت الاشارة فى بعض هذه المختارات الى أن المراد بالعرش هو الحياة . هذا ولابن عربى فى ادارة كرة الماء من جهة سطح الارض آراء قديمة كانت مكتسبة من آراء أهل زمانه وقبل زمانه فى الفلك ، وقد صارت الىلاشىء بجانب ماعرف عن الفلك اليوم وقد وفاها ابن عربى فى كتابه ((انشاء الدوائر)) .

غير أنها محاولة بشرية لمعرفة الكون يشكر عليها القدامى الذين فتحوا الباب لعلماء اليوم ولا يستطاع أن يقال ان علماء اليوم قد علموا ، انما هم لم يزالوا على الجرة التى كان عليها من لم يعرفوا الالوان والطيوف والمناظير .

وصية حكيمة

وقال ابن عربى فى ذات الله وأفعاله :

انما الله اله واحد
ما له حكمان فانهض لاتقف
وله حكمان فاعمل بهما
عن شهود لهما لاتنصرف
ليس للاقوام رأى فى الذى
شربوا منه قليلا فاغترف
انما الأمر مذاق كله
فاذا ما ذقته لا تنحرف

يؤكد ابن عربى لتلاميذه من الصوفية وغيرهم أن الله واحد وهذه الوحدانية أمر لاجدال فيه الا أن من حق العبد أن يظل طول حياته طالبا أدلتها لأن فى كل شىء آية تدل على أنه الواحد .

أما الحكمان اللذان يشير اليهما فى البيت الثانى فالغالب على الظن ـ والله أعلم ـ أنهما نفى الشبه مع

اثبات الصفات ـ لأنه محور أصيل تدور عليه أقوال الصوفية فى الذات ـ ويعتمدون فى ذلك قوله سبحانه « ليس كمثله شىء » وفيه النفى ثم قوله سبحانه بعدها « وهو السميع البصير » وفيه اثبات صفات .

ويوصى ابن عربى أن يكثر الصوفية من الورود على بحار الشريعة ولا يكتفوا بالقليل الذى علموه فان وراء هذا العلم مذاقا لايصل اليه الا من أداموا الورود ولم يكن السبب فى عجز المقلين عن الحكم ـ وهم كثيرون ـ الا أنهم اعتمدوا على العقل فى ادراك الأسرار ، وليس الحكم الا لأهل الباطن الذين بلغوا القرار فذاقوا حلاوة الأسرار .

واذا ماذاق الصوفى ماء المعرفة وأدرك حلاوته وجب أن يكون على خوف لازم حذر من خطر داهم ، أقل انحراف فى مقام المعرفة يهلك ويردى .. « فلا يأمن مكر الله الا القوم الخاسرون » .
قافية القاف :

شوق الى الكعبة

وابن عربى يتلهف على الكعبة ويزداد شوقا اليها وهو يطوف حولها فيقول :

انى الى الكعبة الغراء مشتاق
فيها لعاشقها فى السر أعلاق

اذا تذكرت أسرارى ومشهدها
فيها تحركنى للبين أشواق

الله يعلم أنى لست أذكرها
الا وعندى لذاك الذكر احراق

فالروح تائهة والنفس والهة
والقلب محترق والدمع مهراق

ويدنو ابن عربى من الكعبة عند الطواف ويلصق كبده بها فلا يكون شىء أدنى اليها منه ولكنه مع هذا الدنو والالتصاق يحس فى نفسه شوقا لاهبا لانه وهو دان بجسمه وعنصر ترابه لم تزل روحه نائية بعيدة لم تحظ بما كانت تأمله ويشتد حنينها الى أن تدرك من معانى الروحانية فوق ما أدركه ذلك القرب البدنى ، وروحه لم تعلق الا بالباقيات اما جسده فهو يعلق بالفانيات . وكأنه الشاعر الغزل الذى يقول :

أعانقها والنفس بعد مشوقة
اليها وهل بعد العناق تدانى

وشوق ابن عربى وأمثاله يتجدد أبدا كلما تذكر الأسرار الروحانية التى جاءت ببيانها الاثار من مرور ألوف عديدة من الملائكة المسبحين المهللين بالبيت المعمور المغشى بالنور والمقابل لهذا البيت كل يوم ثم لايعود اليه من يمر منهم أبدا لأن أعدادهم بلا نهاية وسبحان من خلق العدد وخلق الأبد .

وانما يستعر الشوق ويعلو أواره عند مشاهدة الكعبة لأن الروح تريد أن تدرك ولكنها لاتكاد لانحباسها فى سجن البدن وكثافة اللحم والعظام فهى تتحرك ثائرة معربدة تريد القرب من هذا البعد والوصول من هذا البين .

وقد ظهر واتضح أن هذا الشوق لم يكن الى التراب والصخور ولكنه الى مشهد النور ، والله يعلم انه حنين العالم لاشوق الجاهل وفرق فى الطواف بين من يدين برب البيت ومن لا يدين به .

والامر كما قال ابن عمر قديما ـ وقد سبق ان اشرنا اليه منذ زمن ـ حين رأى اعرابيا مهلجا يطوف بالبيت متخبطا وهو لايدرى مما يراه أو يفعله شيئا فقال

ابن عمر حين رآه : يطوف بالبيت من يدين به . وقد أخذها ابن عربى فصنع فيها شعرا سبق أن عرضناه فى هذه المختارات .

وشوق ابن عربى له فى كيانه كله أفاعيل : اذ هو يلحق الروح والنفس والقلب والبدن أما الروح فهو يصنع بها الحيرة وأما النفس والقلب فيصيبهما بالوله والحرقة وأما البدن فهو يثير دمع عينيه وهما من أشرف أعضائه وأجل حواسه .

ومثل الذى يصيبه هذا وهو فى الطواف انما يقربه بفكره وحسه فلا يتحجب عن مشاهدة المعانى ولا يحرم من التلذذ بالمغانى .

الاكل الحلال

وقال فى سر الطعام الحلال وحال الانسان لو كف بطنه الا عما يمسك على الانسان رمق الحياة :

فى شهوة البطن سر ليس يعلمه
الا الذى شاهد الرزاق رزاقا

لولا الغذاء ولولا سر حكمته
مالاح فرع ولا عاينت أعراقا

فكل حلالا اذا كان المحلل هو
جودا بقلبك وهابا وخلاقا

يحث ابن عربى الناس على أن يروحوا وراء السر الذى خلق من أجله الأكل والشرب . وهذا السر يتجلى فى النمو والتكاثر الذى استتر فى شهوة البطن وجوع الخلايا ، وحيث كان الغرض منه يتادى بمجرد الشبع والرى فلا ضرورة للنهم والبشم ثم الانتقال من الحال المستباح الى الحرام وغير المباح .

ولن يقف عند هذا الحد من أدب الأكل والشرب الا من شاهد الرزق وتقسيمه بالادراك الصحيح الذى يشترك فيه العقل والشرع ، والا من جعل قلبه مسيطرا على بطنه ناظرا الى المصلحة اذ فى القلب تقيم رهبة الاله وخوفه وتتجلى معرفته .

وهكذا النظر فى الرزق يستوجب علما كثيرا : انه يستوجب العلم بخالق الرزق والعلم بقاسمه وواهبه وهو نفسه الخالق الرزاق الذى أحكم المواءمة بين الخلق والتقسيم . وهو يستوجب العلم بالقدر الذى يكفى القانع من الرزق الموهوب لان الرزاق شرع فيما رزقه حلالا وحراما . كما يستوجب تحكيم القلب فى البطن حتى يكمل العلم وتتم الحكمة والعرفان .

أسوار قاهرة المعز وأبوابها

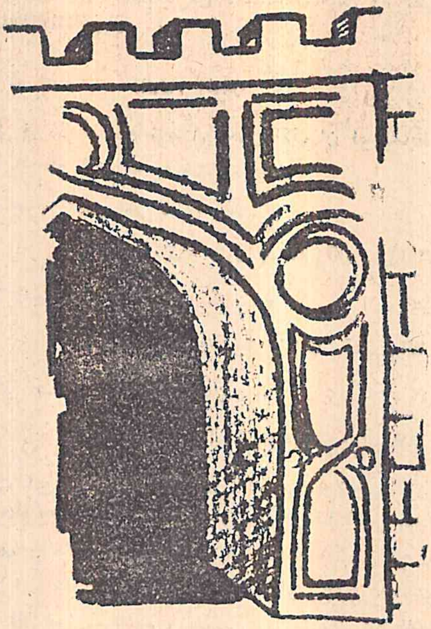

الأستاذ محمود وصفي

بنى جوهر الصقلي قائد الخليفة المعز لدين الله مصر ، وأحاطها بسور ضخم وجعل له أبوابا تفتح وتغلق حسب الحاجة ، ويمكن تتبع مكان السور الذى بناه جوهر على وجه التقريب بفضل المعلومات التى أمدنا بها المؤرخ المقريزى الا فى الجزء الواقع بين باب النصر فى الشمال وباب البرقية فى الشرق الذى ليس لدينا تفصيلات عنه .

وتضم هذه الأسوار مساحة مربعة تقريبا تتجه الى الجهات الأصلية الأربعة ، يواجه الضلع الجنوبى الفسطاط ، ويسير الضلع الغربى مع القناة ، وهى التى كانت تعرف باسم خليج أمير المؤمنين وتمتد من الخليج حتى خليج السويس ، وقد ردمت فى أوائل القرن العشرين وسمى الشارع الذى حل محلها باسم شارع الخليج ويعرف الان باسم شارع بورسعيد . ويواجه الضلع الشرقى جبل المقطم ، أما الضلع الشمالى فانه يواجه صحراء العباسية حاليا . وقد جاء بناء السور غير منتظم وذلك كما يقول جمهور المؤرخين لان البناء بدأ فى الليل وتم بسرعة عظيمة .

وكان للمدينة سبعة أبواب ، فى الضلع الجنوبى باب زويلة ذو القوسين ، وفى الجانب الغربى بابى الفرج وسعادة، وفى الشمال بابى الفتوح والنصر وفى الشرق بابى البرقية والخراطين ، الذى سمى فيما بعد باب المحروق

وبعد سنتين من بناء القاهرة أضاف جوهر بابا آخر هو باب القنطرة الذى أخذ اسمه من القنطرة التى بناها جوهر عبر القناة الكبرى سالفة الذكر ليسهل الاتصال بين المدينة وميناتها ميدان المحطة الان ، وبذلك يستطيع أن يوقف زحف القرامطة فى شوال سنة ٣٦٠ هـ - يولية - أغسطس سنة ٩٧١ م. وظلت هذه القنطرة مستعملة حتى ردمت فى أواخر القرن التاسع عشر .

ولما تهدم سور جوهر وأبوابه أعيد بناء السور من جديد فى عهد الخليفة المستنصر بعد مضى ثمانين عاما ، والذى لاتزال أبوابه الثلاثة الباقية وهى باب النصر وبا الفتوح فى الجهة الشمالية ، وباب زويلة فى الجنوب تشهد بعظمة وروعة العمارة الاسلامية فى مصر فى القرن الحادى عشر الميلادى .

وتعتبر هذه الابواب من أحسن الأمثلة للهندسة الحربية الاسلامية . فالأبواب ليس لها مثيل، والأسوار والأبراج لايفوقها الا أسوار مدينة دياربكر فى أعالى نهر الفرات ، هذا وكيفية البناء فائقة الكمال بدرجة لم توجد فى مصر مرة أخرى ، فقد أثارت هذه الأبواب اعجاب الرحالة الذين أتوا مصر فى القرن الثامن عشر واعجبوا من بناء باب كباب الفتوح بدون استخدام الأعمدة . كذلك كانت هذه الأبواب موضع الاعجاب فى الشرق فى العصور الوسطى ، فقد أخبرنا المقريزى بأن مسافرا قال له : انه لم ير أعظم من باب زويلة ولا شبيها لبرجيه اللذين يحفان به .

والله در سيف الدين بن جبارة اذ يقول :

لله أى عجيبة وغريبة
فى صنعة الابواب للالباب
اخفت عن الاسماع قصة أهلها
عن الابداع كل نقاب
فكأنما هى كالخيام مقامة
من غير ما عمد ولا أطناب

وهذه الأبواب الثلاثة والأسوار التابعة لها من أهم آثار بدر الجمالى ، فانه عندما ضاقت المدينة القديمة بمبانيها أمر بتوسيعها من الشمال والشرق والجنوب.

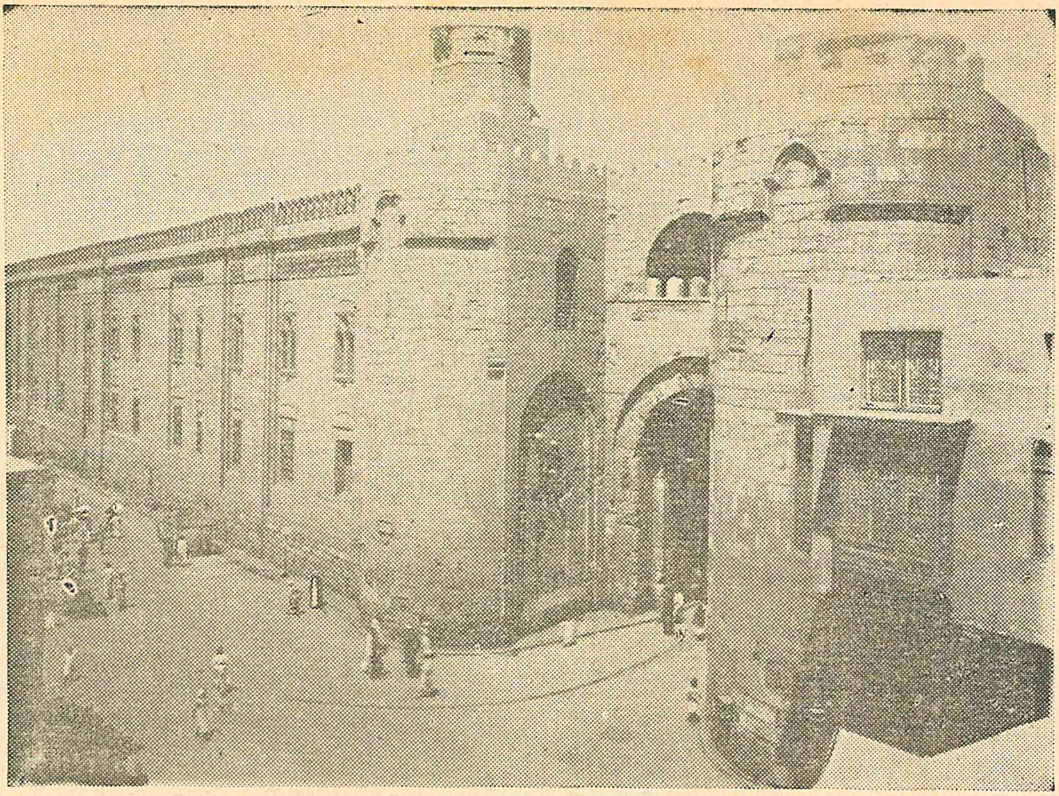

منظر عام لبا بزويلة

ويقول المقريزى فى هذا الشأن : يقال ان ثلاثة مهندسين اخوة أتوا من أدسا (الرها) الى القاهرة فبنى كل منهم بابا من هذه الابواب العظيمة . وأبوصالح الذى ألف كتاب كنائس وأديرة مصر فى أوائل القرن الثالث عشر الميلادى يقول عند وصفه كنيسة القديس جون بالقرب من هذه الكنيسة يقع قبر جون الراهب الذى وضع تصميم أسوار القاهرة وأبوابها العظيمة فى خلافة المستنصر ووزارة أمير الجيوش بدر الجمالى .

أما بتلر فيقول فى كتابه فتح مصر : ان هذه المعلومات مهمة وتدلنا على أن الاقباط ظلوا مهندسى القاهرة كما قلت دائما وليس المسلمون . ومن الواضح أن اعتبار هذا الراهب مصرى الجنسية ، فيه شىء من المبالغة . وقد وصل لين بول فى كتابه (مصر فى العصور الوسطى) الى نفس النتيجة ولكنه اهتم بما قاله المقريزى الذى أخبرنا أن الذين بنوا الأبواب هم المسيحيون الثلاثة الذين أتوا من مدينة الرها ، وليس من المستبعد أن يكون جون واحدا منهم لان الرهبان ليسوا وقفا على مصر . والواقع أنه لايوجد تناقض بين القولين .

وعلى كل حال فان كلام المقريزى يتفق مع الأدلة الهندسية لأننا سنرى أن هذه الأبواب تدل على أصلها السورى الشمالى فى كل ميزة فيها تقريبا .

ومن المحتمل أن هؤلاء المهندسين الثلاثة تركوا مدينة الرها وأتوا الى القاهرة عندما استولى الملك شاه السلجوقى على مدينة الرها فى السنة السابقة ، وقد عرف عنه اضطهاده للمسيحيين ، فهاجر كثير منهم الى الفاطميين الذن عرفوا بالتسامح مع أهل الذمة جميعا.

وقد أمدنا على مبارك باشا أيضا بما يفيد تجديد سور القاهرة وأبوابها بقوله : فلما ولى أمير الجيوش بدر الجمالى الوزارة سنة ٤٦٥ أعاد بناء السور والابواب بالحجر قريبا من مواضعها أولا ، وكانت مبنية باللبن ، فنقل باب النصر الذى بناه جوهر الى المكان الذى يوجد به الان كما بنى باب الفتوح حيث يبدأ شارع المعز لدين الله الفاطمى بجوار جامع الحاكم ، ونقل باب زويلة الى حيث موضعه الان ، وهو المعروف عند العامة ببوابة المتولى نسبة الى متولى الحسبة فى مدينة القاهرة ، وقد أطلق عليه هذا الاسم فى العهد العثمانى اذ كان متولى الحسبة فى مدينة القاهرة يجلس على مقربة من هذا الباب .

ويتكون باب النصر من برجين مربعين ، يتكون كل منهما من ثلاث أدوار الأول والثانى مصمتان . هذان البرجان يحفان بباب جميل يعلوه قوس ويتأخر عن وجه البرجين . هذا الباب يؤدى الى مساحة عظيمة مربعة يغطيها قبو وتكون طريقا بين البرجين .

هذا وخلف البرج الشرقى برج عظيم مستطيل به سلم لولبى جميل ربما كان أجمل سلم بنى لأغراض حربية . هذا السلم يؤدى الى السطح .

وواجهة الباب بنيت من صفوف من الأحجار ، ويمتاز الصف الثامن منها بسلسلة من الدوائر الحجرية ،هذه الدوائر عبارة عن نهايات أعمدة وضعت فى البناء لتربط بين أجزائه ونجد هنا أقدم نموذج لهذا النظام ، ولم يظهر هذا النظام فى العمارة فى سوريا قبل الاسلام . ولكن المقدسى يقول ان جده استعمله عندما عمل فى عكا لحساب ابن طولون .

هذا وقد حليت واجهة باب النصر بزخرفة عجيبة وهى عبارة عن ثلاثة دروع على وجه كل برج من البرجين ، وواحد على كل من الجانبين المجاورين

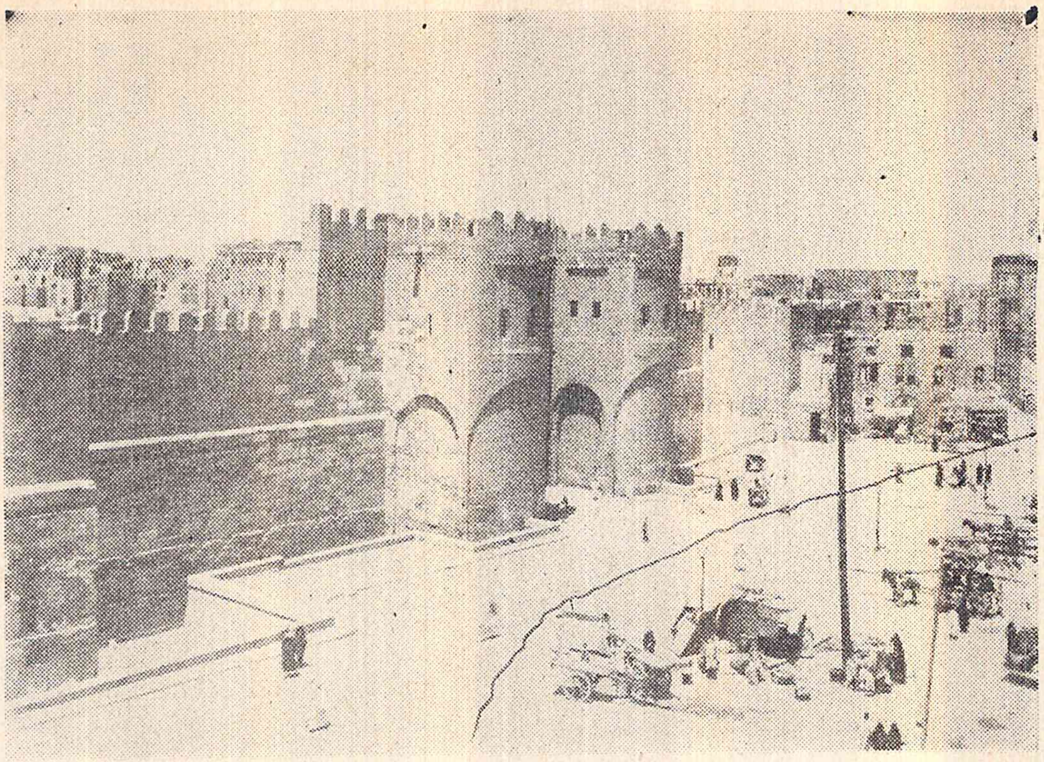

باب الفتوح وبرجيه العظيمين

للباب ، نصف هذه الدروع مستدير ، والنصف الاخر مستديرة من أعلا ومدبب من أسفل كالدروع النورمندية تماما الموجودة فى ملفات بايو .

ويوجد فى أعلا الطابق الاول كتابة جميلة من الخط الكوفى تقول أن هذه البوابة تسمى باب العز وتنتهى هذه الكتابة بانه ابتدأ فى هذا العمل فى المحرم سنة ٤٨٠هـ - ابريل - مايو سنة ١٠٨٧م . ويوجد فوق هذا النقش كورنيش مسطح من أعلا ويحمله من أسفل مجموعة من الحوامل . بينما الطابق العلوى من الابراج يتكون من ستة عشر صفا من البناء حتى الحافة السفلى للسهام . وقد أزال نابليون بونابرت سنة ١٨٠٠ م شرفات الأبراج القديمة وبنى شرفات أخرى كبيرة تتسع لفوهة المدافع ، وما زال الكثير من أسماء أتباعه موجودة على أبراج عدة فى الحائط الشمالى .

هذا وبأعلى باب النصر توجد منصة كانت تستعمل كمرصد فلكى . ويذكر لنا المقريزى أن الوزير الافضل شاهنشاه أمر أبا سعيد قرقه ببناء مرصد قطره عشر ذراعات على أرض مرتفعة تعرف بالجرف جنوب القاهرة وتشرف على القرب الذى عرف باسم الرصد . ولكن وجد أن المقطم يحجب أشعة الشمس عند شروقها ولذلك نقل المرصد الى مسجد الجيوشى . وكان الافضل قد أوصى قبل موته أن يصنع مرصد أصغر قطره سبع ذراعات وتم صنعه بعد موته . فلما تولى مأمون البطائحى الوزارة أمر بنقل هذا المرصد الى باب النصر وأحضر البحارة من الاسكندرية لهذا الغرض .

ويتصل باب النصر بباب الفتوح بوساطة سور يمتاز بأبراجه المربعة أو المستطيلة ببروز عظيم الى الخارج . كما يمتاز بالفتحات التى تعلوها عوارض أو أقواس نصف دائرية . ثم نظام البناء الذى يتلخص فى وضع قطع صغيرة غير مستوية فى داخل البناء وتطفية سطحه بالاحجار المستوية ، ثم وجود صف من الدوائر الحجرية على مسافات متساوية على ارتفاع أربعة أمتار ونصف المتر من سطح الارض ، هذه الدوائر هى رءوس أعمدة أدخلت فى البناء لتكون كرباط بين قلب البناء والسطح الخارجى الاملس له . وهذه من المميزات التى نميز بها بين اثار بدر الجمالى واثار صلاح الدين الايوبى .

أما باب الفتوح فانه يتكون من برجين عظيمين يحملان باكية عظيمة بينهما . أما الممر فبدلا من أن يكون مغطى بقبو نجده هنا مغطى بقبة ترتكز على مثلثات كروية مقعرة . أضف الى ذلك أن البرجين مستطيلان ومقدمتيهما مستديرتان وليسا مقسمان الى طبقات من الخارج . هذا والجزء الاعلى من كل برح خال تقريبا من الزخارف الا فتحات السهام وشريط بسيط من الزخرفة .

وذكر لنا المقريزى أن باب الفتوح بنى سنة ٤٨ هـ وكان يطاق عليها اسم باب الاقبال . ويقول ناصرى خسرو الذى زار مصر سنة ٤٣٩ هـ أنه رأى بابى جوهر الصقلى وكانت تسمى النصر والفتوح . والظاهر أن بدر الجمالى أو الخليفة المستنصر الفاطمى أرادا أن يعطها أسماء جديدة لهذه الابواب ، ولكن الناس درجوا على اعطائها الاسماء القديمة التى علقت بأذهانهم .

أما باب زويلة فقد بنى سنة ٤٨٥هـ - ١٠٩٢ م . ويتكون من باب عظيم يعتمد على برجين مستطيلين مقدمة كل منهما مستديرة ، والثلثين السفليين من كل من البرجين من الحجر المصمت . ويلى الباب ممر تعلوه قبة قليلة الغور محمولة على مثلثات كروية مقعرة .

هذا وقد بنى مهندس جامع المؤيد منارتى الجامع فوق مدنتى باب زويلة فأصبحتا بذلك منفصلتان عن الجامع .

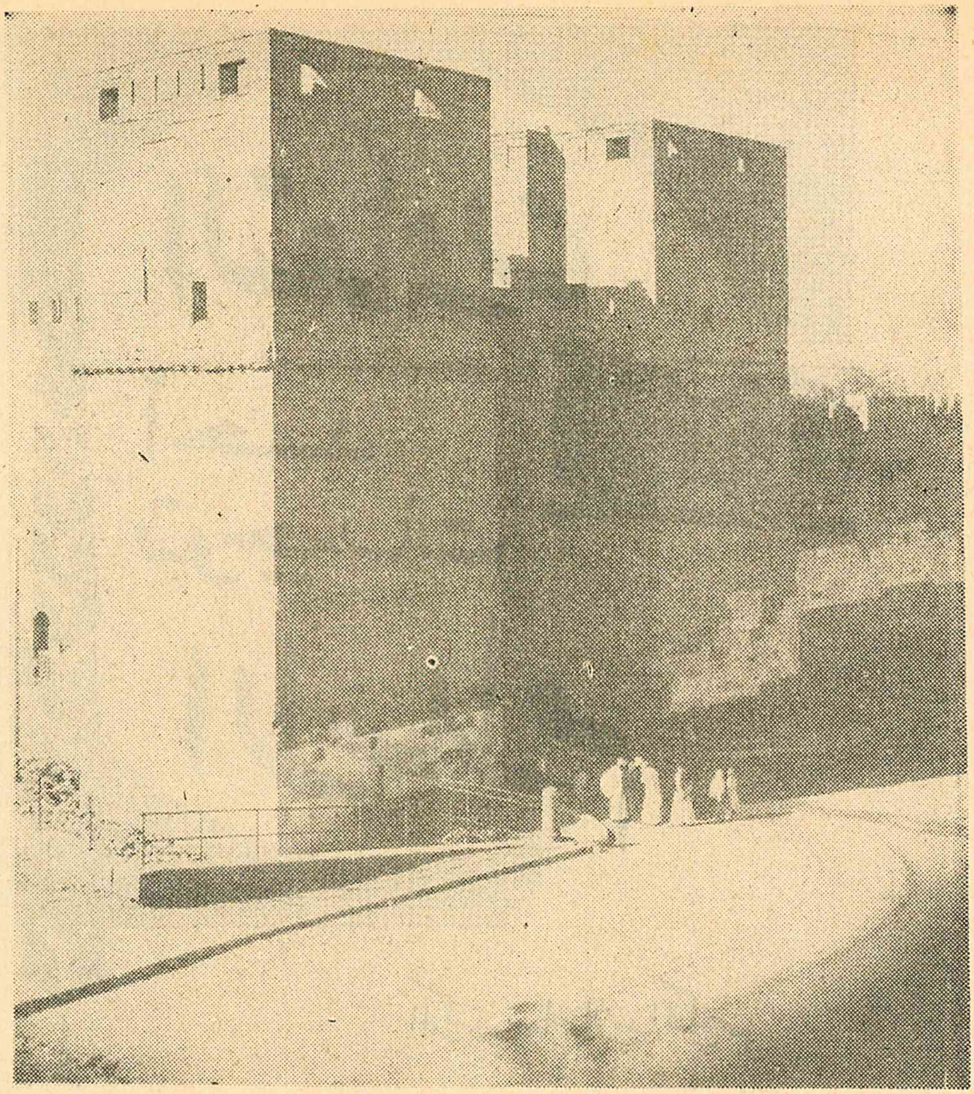

باب النصر وبرجيه المربعين

وأمام مدخل باب زويلة كما يقول المقريزى كان يوجد منحدر عظيم من الجرانيت . ويقول ان بدر الجمالى الذى بناه لم يعمل منحنى أى باشورا كما هى العادة فى بناء أبواب القلاع كالموجود مثلا فى قلعة حلب فى سوريا ، وذلك بايجاد ثنيـة أو عطف فى ممر المدخل لاعاقة الجيش المهاجم من الاستيلاء عليه أثناء الحصار، وجعل دخول الفرسان جماعة مستحيلا مما يساعد على عرقلة وصد هجمات العدو . ولكنه جعل امام المدخـل منحدرا عظيما من الصوان حتى اذا هوجم هذا الباب كان من الصعب على الخيل السير على هـذا السطح المنحدر الاملس . وقد بقى هـذا المنحـدر حتى أيام السلطان الكامل الذى أمر بهدمه لان جواده أنزلق من عليه فكبا به وبذلك لم يبق منه شىء .

ومما يجدر ذكره فى هـذه المناسبة ما رواه المؤرخ رابتماير أنه كان من عادة العرب عند بناء مدن جديدة فى العراق نقل أبواب المدن القديمة الى المدن الجديدة كذلك فعل جوهر عندبناء مدينة القاهرة اذ نقل اليهـا بابا حديدا أخذه من قصر الامارة بالفسطاط ، ولـكن ليس لدينا ما يدلنا على المكان الذى وضعه فيه والظاهر أنه كان يريد أن ينافس به المهدية التى كان لها بابان من الحديد الخالص .

وقد فعل مثل هذا الخليفة المعتصم العباسى عندما استولى على عمورية بآسيا الصغرى فى سنة ٢٢٣ هـ ـ ٨٢٨م ـ بعد حصار دام خمسة وخمسين يوما . هدم المدينة وأخذ أبوابها الى سرمن رأى (سامرا) وبعـد أن تركت سامرا نقلت الابواب الى الرقة ، ولكن فى سنة ٣٥٣هـ ـ ١٩٦٤ م أرسل سيف الدولة هذه الابواب الى القرامطة لاعطائهم حاجتهم من الحـديد ، ثم نعود فنسمع عن هذه الابواب التى استعملها الملك النـاصر يوسف صلاح الدين فى حلب سنة ٦٥٤هـ ـ ١٢٥٦م فى تجديده لباب قنسرين . وعنـدما استولى المغول على حلب سنة ١٢٥٨ م كانت هذه الابواب من أوائل الغنائم التى غنموها . ثم انتهى بها المطاف أخيرا الى القاهرة فقد استعادها السلطان الظاهر بيبرس البند قدارى عندما أستعاد حلب من يد المغول .

التعاون أحد توجيهات الإسلام

الدكتور سليمان الحكيم

((ان التعاون نظام اجتماعى اقتصادى يعتبر الأداة المثلى لارساء دعائم المجتمع الاشتراكى الديموقراطى . المجتمع الذى يتيح للمواطنين جميعا التمتع بنصيب متكافىء من الفرص مع النهوض بالانتاج الى أقصى حد ممكن عن طريق تكاثف الجهود والمشاركة الوجدانية مع استئصال النزعة الفردية بحيث يصيب الفرد خيرا عن طريق الجماعة وليس على حسابها ويحصل على نصيب عادل من ثروة وطنه))

التعاون هو اللعبة الهامة فى أساس بناء المجتمع الصالح وهو العجلة الدائرة الدافعة للتشييد والبناء ونشر العدالة والرخاء بين افراد المجتمع على حد سواء

هو تنظيم اجتماعى اقتصادى متين دعا اليه الاسلام لما له من آثار طيبة وفوائد عظيمة تعود على الفرد والمجتمع وهما فى حاجة دائمة اليه ولقد اخذ الكثير من البلاد المتقدمة بنظام التعاون فى اغلب أمورهم والكثير من اعمالهم فانشأوا الكثير من الجمعيات التعاونية المختلفة الأغراض لترعى مصالحهم وتدبر شئونهم وذلك بعد أن آمنوا بمزاياها ولمسوا فوائدها فكان لها أكبر الأثر فى تقدمها ونشر الرخاء بين ربوعها لقد تباينت اغراض الجمعيات التعاونية فمنها الجمعيات التعاونية الزراعية والجمعيات التعاونية الاستهلاكية .. والجمعيات التعاوية لبناء المساكن وغيرها من الجمعيات

التعاونية ذات الأغراض المختلفة وكلها على اختلاف اغراضها تسعى لخدمة المجتمع عن طريق النظام التعاونى

فالجمعيات التعاونية الزراعية تتكون فى الريف ويقع على عاتقها الكثير من الأعباء وامامها الكثير من الأهداف التى ترمى الى رفع مستوى الريف واسعاده • فهى تقدم الكثير من الخدمات الاقتصادية والاجتماعية والارشادات الزراعية فنية وعلمية التى تساعد كثيرا فى زيادة الانتاج وتحسينه والنهوض به كما تعمل على زيادة الدخل للزراع ورفع مستوى المعيشة لسكان الريف الذين يمثلون السودا الأعظم من أبناء الوطن بقيامها بمد المزارع بمالها من امكانيات مختلفة بالارشادات الفنية وتعد له التقاوى والنباتات المنتقاة وتعمل على تصريف محصوله بأثمان عادلة كما تمده بالمال اذ لزم الحال دون ارهاقه بالفوائد الباهظة وبذلك تحميه من الوقوع فى شراك التجار الغشاشين الجشعين ومن مصاصى الدماء المرابين وبعبارة اخرى يمكن القول أنها لصالح كل من المنتج والمستهلك على حد سواء وبذلك تنتظم الاسواق ويسودها العدالة والاتزان فى البيع والشراء فلا غش ولا غبن أو استغلال يقع على أى طرف من الأطراف •

والجمعيات التعاونية المنزلية الاستهلاكية تقوم بدور لايقل فى اهميته عن مثيلاتها من الجمعيات التعاونية الأخرى • فهى تعمل على توفير حاجيات المواطن من مواد الغذاء والكساء وغيرها من المستلزمات وتحميه من اطماع البعض من التجار الذين لاخلاق لهم والذين سخرهم الشيطان للتلاعب فى قوت الشعب وحاجياته وكسائه وخلق السوق السوداء • طمعا فى الحصول على ارباح باهظة غير معقولة أو مشروعه

اما الجمعيات التعاونية لبناء المساكن أو الجمعيات التعاونية للاسكان والتعمير فهى تعمل بما لها من امكانيات متعددة على المساهمة فى حل مشاكل ازمات الاسكان بتوفير المسكن المناسب لكل مواطن بأن تسعى للحصول على الأرض الصالحة للبناء بشروط مناسبة وتقدم الكثير من التسهيلات والمساعدات المالية والفنية كما تعمل على توفير مواد البناء • فتزداد بذلك عملية التشييد والبناء وتكثر المساكن وتحل أزمة الاسكان • وبهذا العمل يؤدى التعاون اجل الخدمات للفرد والدولة

وهكذا فان كل جمعية من الجمعيات التعاونية الأخرى لها عمل تؤديه وخدمات جليلة تقدمها للمواطنين وهدف تعمل على تحقيقه رغبة فى اسعادهم والعمل على حل مشاكلهم والرفع من مستواهم سواء من الناحية المادية أو الاجتماعية

لقد تبين من دراسة النظام التعاونى انه نظام اجتماعى واقتصادى ممتاز يجب الأخذ به فى جميع الأمور التى تتعلق بشئون البلاد ويجب على كل مواطن ان يعمل متعاونا مع غيره لصالح وطنه وبلاده فيتعاون الموظف مع زملائه على اداء المصالح الحكومية فى ميدان الأعمال المصلحية والتاجر مع زملائه فى ميدان تجارتهم والصانع مع اقرانه فى مجال صناعتهم والباحث مع مثيله فى ميدان البحث العلمى ليجنى الجميع بفضل تعاونهم أفضل النتائج التى تعود على امتهم بالخير والاسعاد •

اما تعاون الشعب مع الحكومة فله اثر كبير فى تكوين المجتمع الصالح الذى يعمل على زيادة الانتاج والرفع من مستوى البلاد وتحقيق الآمال وبمناسبة الكلام عن التعاون وآثاره فانا نهيب بجميع الدول العربية ان تعمل بكلام الله وحكمة الاسلام فتتعاون جميعا بعضها البعض لأن التعاون يكسبها قوة ويزيدها مهابه • وتكون اقوى حالا واعظم مراسا على دراسة أمورها وحل مشاكلها ومجابهة عدوها المستعمر الذى يسعى دائما للنيل منها والحط من قدرها وبث الفتن بين ارجائها

وليكن لنا نحن بنى الانسان من تعاون النمل عبرة نعتبر بها ومن تعاون نحلة العسل على بناء بيوتها وتخزين شهدها عظة كبيرة نتعظ بها • وليكن لنا نحن معشر المسلمين **من قوله تعالى ((وتعاونوا على البر والتقوى ولا تعاونوا على الاثم والعدوان)) اعظم دافع لنا وخير مرشد للعمل بنظام التعاون فى أمورنا واعمالنا**

طرائف أسبانية ذات أصول عربية

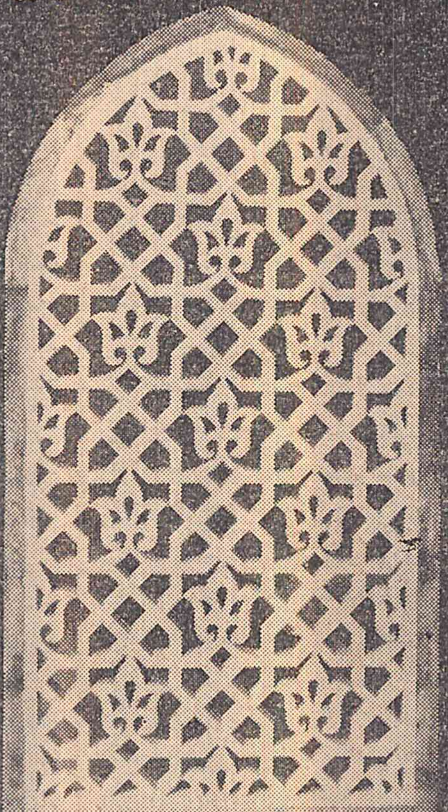

الدكتور محمد كمال شبانة

لقد تركت الأمة الاندلسية آثارا واضحة فى الحضارة الأسبانية ، ولاسيما فى التقاليد والعادات حتى يومنا هذا ، وأذا ماتركنا الآثار والصروح المادية جانبا ، فان مظاهر هذه الآثار المعنوية كثيرة . ودعك من الآثار اللغوية فان هذه معروفة ، وهى مازالت مائلة فى التعابير الاسبانية الحديثة ، ويكفى ان نذكر :

أ ـ بعض المصطلحات للمناصب العسكرية والقضائية ، مثل كلمة « الفارس و الوزير والمشرف »

ب ـ بعض المصطلحات فى أسماء الأزهار مثل كلمة « الياسمين والريحان والزهر »

جـ ـ بعض المصطلحات فى اسماء المحاصيل ، مثل كلمة « الزيتون والارز والخرشوف »

د ـ ومنها كلمات أخرى منوعة ، مثل كلمة « القصر والقنديل والمخدة والقصبة والضيعة »

فكل هذه تنطبق على الصورة العربيه ، مع تحريف بسيط فى بعضها ، وترسم بحروف لاتينية طبعا . وعلى أى حال فان النسبة المئوية للكلمات العربية المستخدمة حاليا فى اللغة الاسبانية تبلغ ١٣ر٧٪ على وجه التقريب ، وان كانت الاكاديمية الوطنية الاسبانية تحاول بين حين وآخر ان تضع مصطلحات حديثة بدلا من المصطلحات العربية الموروثة من ايام حكم العرب لهذه البلاد .

فى التقاليد الملوكية الاسبانية ، يبدو أثر التقاليد الملوكية الأندلسية العربية ، فمثلا يقرن ذكر الملك بعبارة « حفظه الله » ولاشك أنه اصطلاح دعائى عربى . كذلك يبدو الأثر الاندلسى فى كثير من العادات والتقاليد الاسبانية المماثلة لهذا وذلك كما فى الدعوات الجنائزية حيث يقال عن المتوفى « رحمه الله » وفى قصة « السيد » ان التحية تكون بتقبيل الكتف ، وهى عادة اندلسية ذات مدلول عربى التقليد والعادة ، شأنه شأن كثير من مظاهر الحياة الاسبانية الحالية ذات الأصول العربية .

يرى كثير من المؤرخين أن مصارعة الثيران التى تجرى فى عامة المدن الاسبانية ودول أمريكا اللاتينية ترجع الى اصل عربى حيث كانت تجرى فى صورة أخرى مشابهة فقد

كانت تحدث هذه ، المصارعة فى مواسم خاصة بين كل من الثور والاسد ، وغالبـا ماكان الانتصار فيها للثور ، وذلك فى حلبة خاصة يكون من بين شهودهـا السلطان والوزراء وكبار رجال الدولة ، عدا جمهور - غفير من المعنيين بشهود هذه المصارعات .

ولقد حدث ان كانت تجرى المصارعة على النحو الذى ذكرناه فى المغرب بالعاصمـة (فاس) على عهد دولة بنى مرين خاصـة (٦٦٨-٨٦٩ هـ /١٢٦٩-١٤٦٥ م) وذلك استنادا الى ما أورده الوزير المؤرخ ابن الخطيب فى وصفه لمدينة فاس بكتابه (معيار الاختيار فى ذكر - المعاهد والديار) عندما يتحدث عن ((مدينة الملك)) وهى احدى ضـواحى العاصمة (فاس) فى قوله :

((واما مدينة الملك فبيضاء كالصباح ، افق للغرر الصباح ، يحتقر - لأيوانها - ايوان كسرى ، وترجع العين حسرى ، ومقاعد الحرس وملاعب الليث المفترس ، .. فالليث المفترس الذى - أشار اليه ابن الخطيب هنـا فسره المؤرخون بانه كانت تجرى بينه وبين الثور مصارعة موسمية ، يشهدها ملوك بنى مـرين وحاشيتهم ، وليس بمستبعد أن تكون هذه المصارعة قد حدثت أيضا بالاندلس فى العصر العربى ، ولاسيما فى عهد بنى الاحمر معاصرى دولة بنى مرين فى المغرب

فى جنوب البيرة من ولاية غرناطة ، تقـع قرية «مجافر» تلك التى مازالت نساؤهـا يتمسكن بالحجاب ، فأكثر مايراهن الـزائر وهن يحملن جرارهن غاديات أو رائحات ،وقد ضربن بخمرهن على جيوبهن ، وتكاد تكون هذه العادة الاسلامية البحتة هى الوحيدة الباقية فى هذه القرية دون بقية القرى الاسبانية الى يومنا هذا . ويدعونا مثل ذلك الى ان نعرض وصـف ابن الخطيب لهذه القرية على ايامه (منتصف القرن الرابع عشر الميلادى) حيث يتبين لنا من وصفه انها كانت قرية متدينة ، الى حد ان معظم سكانها قد أدوا فريضة الحج ، يقول ابن الخطيب فى شأن هذه القرية « حصن جديد ، وخير مديد ، وبحر ما على افادته مزيد ، وخصب ثابت ويزيد ، ساكنه قد قضى الحج اكثره ، وظهر عين الخير فيه وأثره . الا أنه لاتلفى فيه للماء بلالة ، ولا تستشف للجود علالة ، وذلك فى كتابه معيار الاختبار فى ذكر المعاهد والديار الذى ألفه فى مدينة سـلا بالمغرب عندما نفى للمرة الأولى ، مع سلطانه النصرى المخلوع » الغنى بالله محمد الخامس الأحمر ، وحيث بقى بهذه المدينة مدة ثلاث سنوات .

كان الاسبان الى عهد قريب يلبسـون «الكابا» وهو عبارة عن قطعة من القماش تلف حول نصف الجسد الأعلى ، ويطرح طرف منها على الكتف ، فهذا الرداء بهذا الوصف يشبه مملكة غرناطة فى العصر العربى ، كما ان المئزر الذى كان يرتديه هؤلاء هو أشبه ما يكون بالسروال ، وأقرب مايكون الآن الى «البنطلون» الحالى ، وان كان هذا الاخير متسع من الاسفل وأما الآخر وهو لباس الغرناطيين الاسلاميين فقد كان ضيقا باسفل الساق .

يلاحظ الزائر للمناطق الجنـوبية فى الاندلس ، أن ملامح سكانها شرقية عربيـة أكثر منها أوربية غربية ، وخصوصا مـواطنى غرناطة عاصمـة الـولاية اليـوم ، فقدودهم متوسطة ، وعيونهم وشعورهم فى الأغـلب سوداء ، وسحنهم مشربة بالسمرة ، أما نساء هذه المدينة فهن هن بأنفسهن اللائى وصفهن ابن الخطيب على أيامه (منتصف القرن الرابع عشر الميلادى) فى كتابه الاحاطة يقوله «حريمهم حريم جميل ، موصوف بالحسن ، وتنعـم الجسوم ، واسترسال الشعور ، ونقاء الثغور ، وطيب النشر وخفة الحركات ، ونبل الكلام ، وحسن المحاورة ، الا ان الطول يندر فيهن »

وهذه الخصائص الاندلسية تنطبق اشد الانطباق على نساء اسبانيا الآن فى الجنوب من أسبانيا عامة وعلى الغرناطيات خاصة

يلحظ الزائر لقصر الحمراء فى غرناطة فى منتصف الناحية الجنوبية من بهو الاسـود مدخلا يؤدى الى قاعة تسمى (قاعة بنى سراج أو بنى السراج) وهى عبارة عن مستطيل مساحته نحو من اثنى عشر مترا فى ثمانية ، قد فرشت أرضها بالرخام المرمرى تعلوها قبة شامخة ، مضلعة دائرة ، قد تناثرت فى

جوانبها وفى اعلاها الزخارف الفنية الخطية الكوفية الساحرة ، من بينها على الخصوص شعار بنى نصر « ولاغالب الا الله » بالاضافة الى اشعار قد نقشت فى أوضاع خطية متشابكة ساحرة ، وهى لابن زمرك شاعر الحمراء، وصاحب معظم القصائد التى يراها السائح اليوم منقوشة على جدران وابهاء هذا القصر الاسلامى العظيم .

والذى يهمنا من هذا انه يقع فى وسط قاعة بنى سراج حوض نافورة مرمرية مستدير تقع عين الرائى فى قاع هذا الحوض على بعض البقع الحمراء الداكنة الثابتة ، تزعم الخرافة انها آثار مازالت باقية من دماء أسرة بنى سراج الذين دبر لهم أحد ملوك بنى الأحمر كمينا ، حيث استدرجهم الى القصر ، ثم نفذ فيهم القتل واحدا بعد الآخر وسط هذه القاعة المنسوبة اليهم ، بيد انه هذا الخبر لم يستند من قبل رواته الى دليل تاريخى صحيح ، ولكن القصة مازال يرويها الأسبان هكذا عموما ، والمشتغلون بالترجمة لزائرى القصر خصوصا ، ولايملك السائح الأجنبى العادى الا تصديق هذه الرواية .

قمت خلال دراستى باسبانيا بزيارة لأهم مدنها وخاصة البلاد الأندلسية ، وقد حدث أثناء زيارتى للمسجد الكبير فى قرطبة أن التقيت عنده بأحد مواطنى هذه المدينة ، وبعد ان حييته سألته : هل انت اسبانى ؟ فأجابنى بلهجة عربية لابأس بها : أنا عربى ، أنا قرطبى وعدت الى نفسى استرجع تاريخ هذه المدينة ، واعتزازها بخلافتها الأموية على مر السنين ، وحتى على الرغم من زوالها ، ثم سقوط المدينة فى حروب الاسترداد الاسبانية ، بيد ان روح التعصب لدى سكان قرطبة لبلدهم بقيت فى دمائهم حتى يومنا هذا .

ضمنى واستاذى المستشرق الاسبانى « لويس سيكودى لوثينا » ، مجلس فى غرناطة كان من حضوره محافظ المدينة ، الذى تحدثت اليه حول الفترة العربية من تاريخ أسبانيا ، وما أن وصل الحديث عن غرناطة ، آخر معاقل العرب فى شبه الجزيرة الايبيرية ، حتى اصغى الرجل فى اهتمام بالغ ، وذلك عندما ابديت له دهشتى من بقايا بعض العادات والتقاليد العربية ، التى لمستها بنفسى عند اهل العاصمة ولكن كم كانت دهشتى عندما ذكر لى المحافظ بدوره أن الغرناطيين خصوصا ، وسكان هذه الولاية عموما كانوا منذ وقت قريب يشفقون من أرسال بناتهم الى المدارس ، وان اقبال الفتاة على دور التعليم لم يكن موجودا منذ خمسين عاما ، فقد كان الحجاب قبل هذه الفترة يسود الاسر المحافظة ، التى لايزال الدم العربى يجرى فى عروقها حتى اليوم ، رغم مرور ما يقرب من خمسة قرون على اجلاء المسلمين عن الاندلس ، بعد ان سقطت غرناطة فى يد الاسبان بالتسليم فى ٢ يناير ١٤٩٢م .

اشتهرت الاندلس منذ العصر الاموى بصناعة التطعيم بالاصداف وسن الفيل ، ويعتبر منبر مسجد قرطبة الكبير أكبر شاهد على ما بلغته هذه الصناعة منذ ذلك العهد الخليفى من دقة بالغة ، وروعة ساحرة ، كما توجد فى غرناطة بقايا من منابر مساجدها يتضح لنا منها مقدار ـ ما بلغته هذه الصناعة فى عهد بنى الاحمر خصوصا ، ولقد بلغ من ذيوع شهرة هذا الفن فى اسبانيا عموما ان العصا الملكية الأسبانية التقليدية فى عصور غرناطة المتأخرة ، كانت مقابضها تصنع من الفضة والعظم ، على نمط أندلسى صميم ، ومن أمثلة هذا العصا الخاصة (بالكردينال كيسينيروس) والمحفوظة فى متحف الفن الأندلسى بأسبانيا .

والجدير بالذكر ايضا ، أن صناعة المصدفات هذه مازالت قائمة فى كثير من المدن الاسلامية وخاصة فى طليطلة وغرناطة ، ويطيب للمتخصصين فى هذه الصناعة بهاتين المدينتين أن يضمنوا زخارفهم لهذه المصنوعات شيئا من النقوش العربية ، وبعضا من الزخارف الخطية فى مقدمتها شعار ملوك بنى نصر (ولا غالب الا الله) أولئك الملوك الذين مالت بهم جنات الاندلس والحمراء الى الدعة والرفاهية فى أواخر العصر العربى بأسبانيا ، فاستسلموا للترف البالغ ، وأخلدوا الى ـ النعيم الزائل

فسبحان المعز المذل ، يرث الأرض ومن عليها وهو خير الوارثين .

امة قدسها القرآن فى مجال القدوة!

الأستاذ معوض عوض ابراهيم

سورتا الاحزاب والتحريم مدنيتان حفلتا بالحديث عن جوانب كثيرة من حياة زوجات النبى صلوات الله عليه وقررت أولاهمامكانة امهات المؤمنين قال تعالى « وازواجه امهاتهم » وتخيير الله لهن بين الحياة مع رسوله وما يواتيه من حظوظ الحياة وبين أن يمتعهن ويسرحهن سراحا جميلا قد يجدن بعدة زخارف الدنيا مع سواه ، وبيان مستوى السلوك والاداب التى يريدها الله من نساء مصطفيه وماوعدهن الله من عاجل البر وكامل الاجر فى الآخرة وما توعدهن به — وان كن زوجات نبيه — ان ضللن طريق هداه ، ونساء المؤمنين تبع لهن فيما أمرن به ونهين عنه ، وفى السورة ابطال ماتوارثه المجتمع المكى من الجاهلية الأولى من تحريم زواج الرجل من امرأة الولد الذى تبناه بزواج زيد بن حارثة من زينب بنت جحش بنت عمة رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم طلاقهما بعد ان ضاق صدر زيد بتعاليها ومباهاتها رضوان الله عليها بشرف وصباحة وحرية حرمها زيد الحر الكريم فترة من الزمان كان فى نهايتها مولى رسول الله وهو شرف خالد تالديضاعفه ان زيدا حب رسول الله هو الذى انفرد دون سائر الصحابة بامتياز ذكره باسمه فى القرآن الكريم — وحاول الرسول مرات ان يثنى زيدا عن طلاق زينب فعاقبه الله بقوله : « واذ تقول للذى أنعم الله عليه وانعمت عليه أمسك عليك زوجك واتق الله وتخفى فى نفسك ما الله مبديه وتخشى الناس والله احق ان تخشاه فلما قضى زيد منها وطرا زوجناكها لكيلا يكون على المؤمنين حرج فى ازواج ادعائهم اذا قضوا منهن وطرا .. » وهكذا

يصلحه الاسلام فلا صلاح بعده منه
كان زواج النبى من زينب بأمر الله وكان
لتصحيح خطأ كان فاشيا فى العرب ان لم

وفى ايات سورة الاحزاب احلال اللهزواج نبيه ممن يؤتيهن مهورهن ممن هاجرن من بنات عمه وبنات عماته وبنات خاله وبنات خالاته ، واباحة استمتاعه بما ملكت يمينه كصفية بنت حيى بن اخطب التى اصطفاها صلوات الله عليه من سبى خيبر وجعل عتقها صداقها وجويرية بنت الحارث المصطلقية التى ادى عنها النبى كتابتها وتزوجهاوكانت ايمن امرأة على قومها ففك الصحابة اسرهم كرامة لأم المؤمنين جويرية كالسريتين مارية القبطية وريحانة بنت شمعون .

وبينت ايات من السورة كيف يسارع الله — كما قالت أم المؤمنين عائشة رضى الله عنها — فى رضى نبيه ، حين فوض اليه التصرف فيمن وهبن له انفسهن وكن كثيرات وفى القسم بين نسائه فى بعض الروايات قال تعالى **« ترجى من تشاء منهن وتؤوى اليك من تشاء ومن ابتغيت ممن عزلت فلا جناح عليك .. »**

وفى قوله تعالى **« لايحل لك النساء من بعد ولا ان تبدل بهن من أزواج ولو اعجبك حسنهن الا ماملكت يمينك .. »** اعلاء لقدر أمهات المؤمنين وحصر شرف الزواج من النبى فيهن .. الا ماملكت يمينك — بعد أن اخترن الله ورسوله والدار الاخرة فقرت بذلك اعينهن ثم لم يلبث العزيز الحكيم ان رفع ذلك الحرج عن نبيه فأباح له التزوج معهن لكنه صلوات الله عليه لم يتزوج لتبقى له المنة عليهن ولتجلو الدنيا صور عرفانة للجميل وما يوجبه من وفاء وحنو وايثار .

ثم قرر سبحانه احكام حجاب نساء النبى — وهو احد موافقات الوحى لأمانى عمر بن الخطاب رضوان الله عليه التى كانت تعلن عن غيرته على الاسلام ورعايته لشرف المسلمين .. واحكام الاستئذان على بيوت الرسول وما كان من تسامر بعض المؤمنين بعد تناول الطعام الذى أولم به النبى يوم بنائه بزينب

قال تعالى ((يأيها الذين أمنوا لاتدخلوا بيوت النبى الا أن يؤذن لكم الى طعام غير ناظرين اناه ولكن اذا دعيتم فادخلوا فاذا طعمتم فانتشروا ولا مستأنسين لحديث ان ذلكم كان يؤذى النبى فيستحيى منكم والله لايستحيى من الحق واذا سألتموهن متاعا فاسألوهن من وراء حجاب ذلكم اطهر لقلوبكم وقلوبهن وما كان لكم ان تؤذوا رسول الله ولا ان تنكحوا ازواجه من بعده ابدا ان ذلكم كان عند الله عظيما))

فان زوجاته هن أمهات المؤمنين فى الدنيا وهن زوجاته صلى الله عليه وسلم فى الأخرة .. ولا تنتهى سورة الأحزاب حتى تفرض لنساء النبى وبناته ونساء المؤمنين الكرامة والتصوف فى لباس التقوى وثياب الاحتشام فى آيات تنهض الى آخر الدهر حجتها وتستعلن حكمتها وعبرتها ويود المسئولون أن يكتمل الوعى الدينى بها وان تجتمع عليها قلوب رعاة أسرهم فلا تحتاج الى تشريعات وقوانين بعد قول الله تعالى **((يأيها النبى قل لأزواجك وبناتك ونساء المؤمنين يدنين عليهن من جلابيبهن ذلك ادنى ان يعرفن فلا يؤذين وكان الله غفورا رحيما))**

ففى ذلك اقناط للذين فى قلوبهم مرض والذين قد يرون فى اسراف المرأة فى زينتها وفى ثيابها دعوة للسوء واطماعا فى الاثم فى زمن ندعو فيه ونعمل جادين للحد من الاسراف والبلوغ بالتنمية الاقتصادية حد الرخاء والسعة المدنيين من السكينة والدعة

والى العابثين اللاهين عبيد شهواتهم يتجه قول الله « **لئن لم ينته المنافقون والذين فى قلوبهم مرض والمرجفون فى المدينة لنغرينك بهم ثم لا يجاورونك فيها الا قليلا ملعونين اينما ثقفوا أخذوا وقتلوا تقتيلا سنة الله فى الذين خلوا من قبل ولن تجد لسنة الله تبديلا))**

وتقفز الى ذهنى كلمات للسيد الرئيس جمال عبد الناصر كان قد حدد بها دور الصحافة فى مجتمعنا الاشتراكى ووجدت خلال مذكراتى قصاصة من جريدة الجمهورية بتاريخ الخميس ١٩٦٤/٧/٢ ، اقتبس منها هذه الكلمات .

« تحدث الرئيس حديثا مباشرا وصريحا عن الدور الذى ينبغى ان تؤديه الصحافة فى مجتمعنا الذى وصفه بانه ليس مجتمع القاهرة ولا النادى الاهلى ولا نادى الزمالك ولا نادى الجزيرة ولا سهرات الليل وانما هو (مجتمع بلدنا) كفر البطيخ أو اى قرية واستنكر الرئيس بعبارات واضحة اتجاهات الاثارة والاهتمام بالجرائم والاخبار التى تعرض تدعيم الاسرة للخطر كما استنكر بنفس الوضوح موضوعات الجنس .. »

ومن عجب ان تنشر الصحافة فى ذلك اليوم دعوة اسقف كانتروري الى التسامح بالنسبة للمايوه العارى الصدر « قبل ان يصاب الشباب بنكسة » هكذا قال ذلك الرجل فى بلد يشد بحضارته وحيلة ووسائل استعماره واستغلاله للشعوب ابصار المخدوعين فى اقطار وبلاد ستلتقى شاء الاستعمار بكل صوره أو ابى فى مجالات الحرية والكرامة والانسانية **(ويقولون متى هو قل عسى ان يكون قريبا)**

.. وفى سورة التحريم اشارة الى تحريم النبى على نفسه أمرا لم يحرمه الله ، وانه ابتغى بذلك مرضاة ازواجه وان الله عاتبه فيما فعل وفرض له ولامته الخروج من نطاق التحريم الى الحل بعد ان يكفروا عن ذلك بكفارة يمين واختلف المفسرون هل كان ذلك تحريمه صلوات الله عليه مارية بعد ان نال منها فى حجرة حفصه ما احل الله له فلما علمت بذلك ثارت بها انفعالات الانثى وقالت أى رسول الله ، فى بيتى وعلى فراشى ؟

فجعل الرسول أم ابراهيم عليه حراما وحلف على ذلك مرضاة لحفصة رضوان الله عليها وحسما لنزاع لايود الرسول ان يستطير فى بيته شره وطلب اليها ان لاتذكر ذلك لأحد لكنها لم تلبث ان حدثت به عائشة فاظهره الله عليه .

ام انه صلوات الله عليه حرم على نفسه العمل ؟ قال ابن كثير والصحيح ان ذلك كان فى تحريمه العسل كما قال البخارى بسنده عن عائشة قالت ، كان النبى صلوات الله عليه وسلم يشرب العسل عند زينب بنت جحش ويمكث عندها فتواطأت أنا وحفصة

على اينا دخل عليها فلتقل له : اكلت مغافير انى احد منك ريح مغافير ـ فلما قيل له ذلك قال (لا ولكنى كنت اشرب عسلا عند زينب بنت جحش فلن اعود له وقد حلفت فـــلا تخبرى بذلك احدا ٠

وفى رواية انحفصه هى التىسقتالرسول العسل فغارت عائشة وتواطأت مع ســـودة وصفية رضوان الله عليهما ان يقلن له اكلت مغافير ـ والمغافير جمـــع مغفور وهو صمغ فيه حـــلاوة ، يكـــون فى شجـــر العرفط الذى يظهر فى بعض مراعى الابـــل ٠ وفى العسل ريح شديد وكان النبى يكره ان يشم منه ريح شديد ٠

ولا يبعد ان يكون الامران قد حدثا فى بيوت النبى وان يكون نزول صدر سورة التحريم فيهما ، وعبرهما وعظاتهما تنادى شقـــائق الرجال ان يرتفعن بانفسهن عن أشواق المرأة وأمانيها وأوهامها فى غير أوقاتها الى معـــالى الأمور لتمضى قافلة الخير ركضا الى غاياتهـــا من البناء واضاءة جوانب الحياة بالحق ٠

قال تعالى ((يأيها النبى لم تحرم ما احـــل الله لك تبتغى مرضاة ازواجكوالله غفوررحيم قد فرض الله لكم تحلة ايمانكم واللهمولاكم وهو العليم الحكيم واذ أسر النبى الى بعض ازواجه حديثا فلما نبأت به واظهره الله عليه عرف بعضه واعرض عن بعض فلما نبأها به قالت من أنبأك هذا قال نبأنى العليـــــم الخبير))

وليس عجبا ان لاتحتفظ بعض امهـــــات المؤمنين بسر من اسرار الرسول (فكل بنى آدم خطاء)كما قال صلوات الله عليه والناس يتندرون الى اليوم بان المرأة لاتمسك سرا الا كما يمسك الماء الغرابيل ولكن الله سبحـــانه قد فتح لنساء نبيه باب المتاب والانابة اليـــه من ذلك فقال ((ان تتوبا الى الله فقد صغـــت قلوبكما)) ولاحسابفيما كان (وان تظاهرا عليه) وتتواطآ بمثل ذلك مرة أخرى (فان الله هو مولاه وجبريل وصالح المؤمنين والملائكه بعد ذلك ظهير)

وما اعظم مايفعل الايمان بانفس المؤمنين ـ ان ابا حفص عمر رضوان الله عليه ليبدو من خلال احداث بيوت النبى علىمعدنه النفيس يؤثر رسول الله على نفسه وولده ويلقن ام المؤمنين حفصة دروسا وددنا ان تشيع فى الناس حتى لايفسد الابنـــاء تدليـــــل الاباء والانحراف بعاطفة الأبوه عن ســـواء الحـــق والعدل ٠

يروى الامام احمد من حديث طويل عنابن عباس ورواه الشيخان والترمذى والنسائى من طرق عن الزهرى ان ابا حفص عمر قـــال (فدخلت على رسول الله صلى الله عليهوسلم فاذا هو متكىء على رمال حصير وقد اثر فى جنبه فقلت أطلقت يارسول الله نساءك ؟فرفع رأسه الى وقال ـ لا : فقلت الله اكبر ولـــو رأيتنا يارسول الله وكنا معشر قريش يوما نغلب النساء فلما قدمنا المدينة وجدنا قوما تغلبهم نساؤهم فطفق نساؤنـــا يتعلمن من نسائهم فغضبت على امراتى يوما فاذا هى تراجعنى فانكرت ان تراجعنى فقالت : مـــا تنكر أن أراجعك ؟ فوالله ان ازواج النبى صلى الله عليه وسلم لتراجعنه وتهجره احداهـــن اليوم الى الليل فقلت : قد خاب من فعـــل ذلك منكن وخسر افتأمن احداكن ان يغضب الله عليها لغضب رسوله فاذا هى قد هلكت ٠٠ فتبسم رسول الله صلى الله عليه وسلـــم فقلت يارسول الله قد دخلت على حفصةفقلت: لايغرنك ان كانت جارتك هى أوسم أو احبالى رسول الله صلى الله عليه وسلم منك فتبسم اخرى فقلت : استأنس يارسول الله ؟ قال (نعم) فجعلت ورفعت رأسى فى البيت فوالله مارأيت فى البيت شيئا يرد البصر غير اهب مقامة فقلت : ادع الله يارسول الله ان يوسع على أمتك فقد وسع على فارس والروم وهـــم لايعبدون الله فاستوى جالسا وقال (أفىشك انت ياابن الخطاب ؟ أولئك قوم قد عجلت لهم طيباتهم فى الحياة الدنيا فقلت : استغفر لى يارسول لله ـ وكان قد اقسم ان لايدخل عليهن شهرا من شدة موجدته عليهن حتى عاتبه الله ـ) وفى رواية الامام مسلم عنابن عباس بن عمر رضى الله عنهم ـ (فقـــلت

يارسول الله مايشق عليك فى أمر النساءفان كنت طلقتهن فان الله معك وملائكته وميكال وانا وأبا بكر المؤمنين معك وقما تكلمت ــ واحمد الله ــ بكلام الا رجوت ان يكون الله يصدق قولى ونزلت الاية . اية التخيير ..
(عسى ربه أن طلقكن ان يبدله أزواجا خيرا منكن مسلمات مؤمنات قانتات تائبات عابدات سائحات ثيبات وابكارا)

وفى كل واحدة من امهات المؤمنين جوانب فضل تجعلها فى مجال القدوة وسنرخى العنان للقلم فى بيان شىء من ذلك ان شاء الله ولكن ام المؤمنين خديجة تبقى فى القمة من مجال القدوة حين تتشابه كل ايامها وتتساوق فى الحدب والبر والحفاوة بالرسول فى ايام الدعوة الأولى وما كان اعنفها واقساها على الرسول وزوجة وبناته وسائر المؤمنين

وماذا يذكر الذاكرون من السفر الطويل الحافل بامجاد أم المؤمنين خديجة ؟

لقد ذكرت قبلا ان ابا لهب وحمالة الحطب قد اسرفا وأسفا فى خصومتهما لمحمد صلوات الله عليه وكان منطق الرحم التى أمر الله ان توصل يوجب عليهما ان يكونا اسرع الناس الى مؤازرته كما فعل ابو طالب فى أقل القليل لكنهما حالا بين عتبة وعتيبة ابنيهما وبين الزواج من رقية وام كلثوم بنتى رسول الله .

وليس يعتصر قلوب الامهات والاباء شىء اكثر من ان يروا ابناءهم وبناتهم بعيدين عما يصادف أمثالهم من دعة واستقرار وتفاؤل واستبشار بيومهم وغدهم ، واتساع الحياة من حول الابناء من جلائل النعم حيث يقول الشاعر :

نعم الاله على العباد كثيرة
واجلهن نجابة الابناء

ولقد استأثرت رحمة الله بأبناء النبى وكان النبى الانسان يود ان يحمل اسمه من بعده ولد من أولاده ويتمنى بقاء احدهم حتى لا لاتستطير شماتة قريش به صلوات الله عليه يوم كانوا يموتون فى عمر الزهور الغضة التى تفتحت اكمامها واخذ بمعاقل الاجفان ومنافذ الحس جميعا رواؤها وشذاها منذ قريب ــ فعن عطاء ان ابا لهب ذهب الى المشركين حين مات ابن الرسول صلى الله عليه وسلم وقال « بتر محمد الليلة فأنزل الله فى ذلك «ان شانئك هو الأبتر » والسورة كلها على هذه الرواية فى أبى لهب وزوجه .

وفى رواية أخرى ان الذين قالوا مثل مقالة ابى لهب وزادوا تدليا وخسة العاص ابن وائل وعقبة ابن أبى معيط وكعب ابن الاشرف وغيرهم .

وخديجة رضوان الله عليها حفية باعزاز الله ــ اخرج البخارى ومسلم عن ابى هريرة رضى الله عنه قال : « اتى جبريل النبى صلى الله عليه وسلم فقال يارسول الله ــ هذه خديجة قد اتت معها اناء فيه ادام أو طعام أو شراب فاذا هى اتتك فاقرأ عليها السلام من ربها ومن بشرها ببيت فى الجنة من قصب لاصخب فيه ولا نصب » وهى اهل لحفاوة الرسول فى حياتها وبعد مماتها فلقد كان صلوات الله عليه يجد عندها ثلج صدره وراحة نفسه ويستمد منها المدد والقوة على اداء رسالة ربه ــ وكان أساه شديدا حتى افضت الى ربها وجاورت راضية مرضية مولاها وكان يسمى عام موتها (عام الاحزان) وكان يذكرها كثيرا ويحتفى بمن كن يزرن بيوت نسائه من صاحباتها ــ وكان ذلك يدعو ام المؤمنين عائشة ان تقول (وما تذكر يارسول الله من عجوز حمراء الشدقين قد ابدلك الله خيرا منها) تعنى نفسها وكانت الصديقة بنت الصديق آثر نسائه يومئذ عليه فقال لا لا ياعائشة . ما أبدلنى الله خيرا منها لقد آمنت بى حين كفر بى الناس وصدقتنى حين كذبنى الناس وواستنى بنفسها ومالها ورزقنى الله منها الولد ولم يرزقنى ولدا من غيرها .

وهو قول يقنع وان كان يوجع مرهفات الحس رقيقات الشعور فلم تكن عائشة تذكر خديجة بعد ذلك الا بخير ، (لقد كان فى قصصهم عبرة لأولى الالباب)

تعقيب

فضيلة الشيخ محمود الحصري

كنت أود ان تكون أخبار رحلتى هى وصل الحديث ولكنى آثرت أن أستاذنكم فى الرد على مقال بعنوان « الدعوه روح الفكرة » بقلم السيد الأستاذ الكبير عبد السميع البطل الذى نشر بمجلتنا الغراء منبر الاسلام فى غرة صفر من عام ١٣٨٦ من الهجرة .

واننا مع تقديرنا لغزارة علم الأستاذ ، واعجابنا بسعة اطلاعه ، وروعة اسلوبه ورصانة عباراته ، وجمال عرضه ، وحسن سبكه ، ومع شكرنا له على غيرته على أقدس ما يقدسه المسلمون وهو كتاب الله تعالى ، والحفاظ على صيانته من العبث والتلاعب ـ نحب أن ننبه الى أن الجزء الخاص بالقراء والقراءة من المقال يهدف الى أمرين :

الأول : نقد القراء من ذوى الأصوات الحسنة ، والتطريب فى القراءة ، ومراعاة الأنغام الموسيقية والايقاعات الصوتية ، المتعددة الأنواع ، المختلفة الألوان ، وتشديد النكير عليهم ، لحرصهم على القراءة بالروايات وجمعها فى المحافل العامة فى المساجد وغيرها ، وتحرى الآيات التى تكثر فيها وجوه القراءة كقراءة ورش ذات المدود الطويلة وسكنة حمزة .. الخ ماقال .

الثانى : منع القراءة الا برواية حفص ، واستدل على ذلك بأن الشيخ الحداد ـ عليه رحمة الله ورضوانه ـ حين كان شيخا للقراء أبطل هذه الطريقة ونبه القراء الى تركها فتركت واكتفى بقراءة حفص .. الخ ما قال .

أما الأمر الأول ، فنحن نقر الأستاذ عليه، وقد عقدنا فى كتابنا (مع القرآن الكريم) فصلا حافلا ببيان حكم جمع القراءات فى المحافل ، ومما قلناه فى هذا الفصل : ان هذا الجمع مبتدع مستحدث لم يكن فى العصر النبوى ، ولا فى عهد الخلفاء الراشدين ، ولا فى الصدر الأول ، ولا فى عصر الأئمة المجتهدين ، وعلى هذا اتفقت كلمة علماء القراءات سلفا وخلفا لم يشذ منهم أحد ، كان القارىء لا يقرأ أمام الجمهور الا برواية واحدة لا يعيد آية ولا يكرر أخرى .

وحيث ان هذا الجمع لم يكن فى الصدر الأول ولم يؤثر عن أحد من العلماء فى اى عصر من العصور ، اباحته وجوازه ، وليس هناك ما يبرره ويسبغه ، تعين أن يكون من البدع الضارة ، والسنن المحدثة ، الممقوتة ، ويكون مندرجا تحت قول رسول الله صلى الله عليه وسلم : « **واياكم ومحدثات الأمور فان كل محدثة بدعة ، وكل بدعة ضلالة ، وكل ضلالة فى النار** » وقال : « **من أحدث فى أمرنا هذا ما ليس منه فهو رد** » .

ذلك أن قراءة القرآن عبادة من أجل العبادات ، وقربة من أعظم القربات ، وقد اتفقت كلمة العلماء على أن ما أحدث فى العبادات سواء كان ذلك زيادة أم نقصا ، وسواء كان قولا أم فعلا ، ولم يكن هناك من أدلة الشرع العامة ما يجيزه فهو بدعة وضلالة وتغيير لدين الله بما لم يأذن به الله ، فيجب الوقوف فى جميع أنواع العبادات عند الحد الذى رسمه الشرع الشريف ، قال الله تعالى : « **وما آتاكم الرسول فخذوه** » الآية **وقال صلى الله عليه وسلم عليكم بسنتى وسنة الخلفاء الراشدين المهديين من بعدى عضوا عليها بالنواجذ . وقال : « اتبعوا ولا تبتدعوا ، فانما هلك من كان قبلكم بما ابتدعوا فى دينهم وتركوا سنن أنبيائهم ، وقالوا بآرائهم فضلوا وأضلوا » وقال صلى الله عليه وسلم « خير القرون قرنى ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم »** ، فقد أخبر أن خير القرون مطلقا قرنه وذلك يقتضى تقديمهم فى كل باب من أبواب الخير .

فلو لم يكن فى هذا الجمع الا أنه مخالف لما ورد عن الرسول وصحابته ، وعن التابعين، بل وعن علماء القرآن فى جميع العصور لكان ذلك كافيا فى رده ومنعه .

على انه قد ورد عن العلماء التصريح بانكاره ورفضه .

قال الامام ابن الجوزى فى كتابه « نقد العلم والعلماء » فى باب تلبيس ابليس على القراء : ان من تلبيسه عليهم أن منهم من يجمع القراءات فيقول : ملك ، مالك ، ملاك . وهذا لايجوز لأنه اخراج للقرآن عن نظمه .انتهى».

وقال الامام أحمد بن تيمية فى فتاويه :

ان جمع القراءات فى الصلاة أو فى التلاوة بدعة مكروهة ، وجمعها لأجل الحفظ والدرس من الاجتهاد الذى فعله طوائف ، وان الجمع لم يقع بحال من الصحابة والتابعين . انتهى. والخلاصة أن الجمع فى المحافل بدعة منكرة ، ولا ينبغى اقرارها ولا السكوت عليها .

يضاف الى ذلك ما فى هذا الجمع من التكرار الذى يقطع على السامع سلسلة تتابع المعانى، ويضطره - طوعا أو كرها - الى أن يحصر ذهنه فى التفكير فى الروايات المختلفة التى تطرق سمعه ، فيحول ذلك بينه وبين المقصود الأعظم من سماع القرآن « وهو فهمه وتدبره والانتفاع بما فيه من رشاد وهداية ، وعظمة وعبرة » .

وانى أعتقد أن السبب الحامل للقراء من ذوى الأصوات على الجمع فى المحافل ما فيه من لفت الأنظار اليهم ، والتفاف القلوب حولهم ، وما ينشأ عن ذلك من الشهرة ،وذيوع الصيت ، الذى يجلب لهم الثمرة المادية، والمنفعة العاجلة . ان بعض القراء يقصد من هذا الجمع : العجب ، والرياء ، والفخر ، والخيلاء ، وحب الظهور ، والقصدالى التفوق على الأقران .

والتفنن فى توقيع الآيات القرآنية على قواعد الموسيقى ، وقوانين النغم ، لذلك تسمعه يقرأ الآية بنغمة خاصة ، ثم يعيدها برواية أخرى ليتوصل بذلك الى اعادة الآية بنغمة أخرى وهكذا .

ومن أقبح أنواع الجمع ما يسمونه الجمع الحرفى ، وهو أن يعمد القارىء الى كلمة مشتملة على روايات متعددة او أوجه متنوعة ، فيعيد هذه الكلمة بعد ما فيها من الروايات أو الأوجه فى نفس واحد .

فيقول مثلا : وقالت هيت لك . وقالت هيت لك وقالت هيت لك . وقالت هئت لك . وقالت هئت لك . يقصد القارىء بذلك الاغراب على السامعين ، وايهامهم ان عنده من كثرة الروايات والأوجه ما ليس عند غيره .

وكل من عنده أدنى مشكلة من فهم أو ذوق يدرك أن هذا النوع من الجمع مخل بنظم القرآن مضيع لرونق التلاوة ، مذهب لجمال الأداء .

والقارىء الذى فى قلبه بقية من دين ، واثارة من توقير القرآن وتقديره لا يرتكب هذه الجريمة النكراء فى تلاوة كلام رب العالمين .

وقصارى القول أنه يجب على القارىء شرعا ان يقرأ لراو واحد سواء كان حفصا أم غيره ، نعم اذا قرأ حزبا أو نصفه أو ربعه لراو كورش مثلا وأراد أن يقرأ حزبا آخر فله أن ينتقل لراو آخر ، وعليه ألا يقرأ لراو ما الا اذا كان واثقا مما يقرأ متثبتا من أصول الراوى وفرشه ، فاذا شك فى وجه أو طريق فعليه أن يدع ما يريبه الى مالا يريبه ، ويقرأ بما هو متثبت منه حتى لا يخلط بين رواية ورواية وحتى لا يقرأ بما لم يرد عن الراوى الذى يقرأ له .

أما الأمر الثانى فأنا أستسمح الأستاذ الكاتب أن اخالف رأيه فيه .. وذلك ان أئمة الدين ، وعلماء القراءات فى كل عصر ، وفى كل مصر يجمعون على أن قراءات القراء العشرة . وقراءات رواتهم وطرقهم كلها ثابتة بطريق التواتر . لا فرق فى ذلك بين قراءة

حفص وقراءة غيره ، وليس لقراءة حفص ميزة على غيرها من باقى القراءات ، فحينئذ لا يمكن مؤمنا — كائنــا من كان — أن يقصر قـراءة القرآن على رواية حفص ويمنعهــا عـلى رواية غيره . وعلى هذا اتفقت كلمــة علماء الأمة سلفها وخلفها . لم يشذ منهم أحد . وأما قول الاستاذ الكاتب الكبير أن الشيخ الحداد وكان شيخا للقراء أبطل هذه الطريقة — ونبه القراء الى تركها فتركت . واكتفى بقراءة حفص — فهو قول يجافى الحقيقة ، ويجانب الواقع .

والى السيد الكاتب والسادة القراء اسوق ما صنعه المغفور له الشيخ الحداد ،وما قاله فى هذا الشأن وأبين سببه فأقول :

كان أحد القراء بمدينة سوهاج يقرأ فى محفل بجمع القراءات . وكان فى جملـة السامعين جماعة من العلماء ، ومنهـم قـاضى محكمة سوهاج الشرعية فأنكروا على القارىء ونبهوه الى وجوب القراءة برواية واحدة . سواء كانت رواية حفص أم رواية غـيره . فلم يحفل القارىء بارشادهم . ولـم يصـغ لنصحهم . بل استمر على قراءته بالجمـع ، فأجمعوا أمرهم على رفع الأمر الى شيخ المقارىء والقراء بالديار المصرية الأستاذ العلامة المحقق الشيخ محمد على خلف الحسينى الشهــير بالحداد ، فأرسلوا اليه ، وبينوا له ما كان من القارىء من القراءة بالجمع . وماكان منهم من الأنكار عليه . ونصــحه بالتزام القراءة براوية واحدة ، ورغبوا الى شيخ المقارىء أن يجلى وجه الحق فى هذه المســألة ، ويبين الصواب فيها . وكان ذلك فى شــهر رجب سنة ١٣٤٠ هجرية .

فأحضر شيخ القراء الحداد المبرزين فى علم القراءات المتقنين لها علما وعمـلا وعــرض عليهم المسألة .

وبعد فحصها وتمحيصها . ومراجعتها فى أمهات الكتب . أصدروا — مجتمعين — الفتوى الآتية :

« بسم الله الرحمن الرحيم . حمدا لمن تكفل بحفظ كتابه من عبث العابثين ، وصلاة وسلاما على النبى وآله وأصحابه الذين شادوا الدين . وبعد . فهاكم جواب الســؤال عن القــراءة بالجمع فى المحافل . الا وهو ، انا لم نر لأحد من علماء الفن ولاغيرهم نصا على جواز القراءة بالجمع على أى طريقة من طرقه فى المحافل . نعم أجازها بعض المتأخرين من اهل الفن فى حالة التلقى من الأشياخ لضرورة الاسراع بشروط مدونة فى الكتب . اذا علم هذا فجمع قراءة أو رواية مع أخرى فى غير حالة التلـقى ممنوع .

بل لا تجوز القراءة برواية غير المعتادة عند العامة الا اذا وجد فى المجلس عالم بها غير القارىء . فاذا قرأ القارىء على هذا الشرط لا ينتقل من الرواية التى يقرأ بها الى غيرها حتى ينتهى مجلسه والله أعلم » هذه هى فتـوى الشيخ الحداد بنصها وحروفها كمـا أوردها ابنه المغفور له الشـيخ أبو بكر فى كتــابه « الآيات البينات فى حـكم جمـع القراءات » صفحة ٣ ، ٤ .

فأنت ترى أن الفتوى تضمنت أمرين :

الأول : منع جمع القراءات فى المحافــل مطلقا .

الثانى : منع القراءة برواية غير المعتادة الا اذا وجد فى المجلس عالم بها .

وهذه العبارة — الا اذا وجد فى المجلس عالم بها — تدل فى صراحة وجلاء على جواز القراءة بالرواية غير المعتادة عند وجود عالم بها فى المجلس .

اذا تبين هذا نعلم ان المغفور له الشيخ الحداد لم يبطل القراءة بغير رواية حفص . ولم يدع الى الاكتفاء بقراءة حفص . وانما منع القراءة بالجمع فى المحافل مطلقــا . ومنع القراءة بغير رواية حفص اذا لم يوجد فى المجلس عالم بها ، وأجازها عند وجود العالم بها . هذه هى حقيقة المسألة والله يوفقنـا جميعا الى المحافظة على كلامه وهو الهادى الى سواء السبيل .

ألفاظ القرآن الكريم

فضيلة الشيخ أحمد الشرباصي

سورة الفاتحة

اللفظة	رقم الآية	المعنى
الله	١	* علم على ذات واجب الوجود ، وهو خالق كل شيء ، والمعبود بحق ، سبحانه وتعالى .
الرحمن	١	* الذى وسع كل شيء برحمته ، فهو كثير الرحمة ، يفيض النعم والاحسان على عباده .
الرحيم	١	* الثابت له صفة الرحمة ، فهى واجبة دائمة ، لا تزول ولا تنقطع .
الحمد لله	٢	* الثناء الجميل مستحق لله سبحانه ، فهو يحمد لذاته ويحمد لصفاته .
رب العالمين	٢	* الرب : المالك المدبر ، وكلمة العالمين يراد بها جميع الكائنات التى خلقها الله .
يوم الدين	٤	* يوم القيامة ، لأنه يوم الحساب والجزاء ، تقول : دنته بما صنع ، أى جازيته ، وفى المثل : كما تدين تدان ، أى كما تصنع يصنع بك .
اياك نعبد	٥	* نخصك وحدك ـ دون سواك ـ بالخضوع الكامل والطاعة الشاملة .
واياك نستعين	٥	* منك وحدك نطلب الاعانة ، فأنت القادر على كل شيء
الصراط المستقيم	٦	* الطريق المعتدل الموصل الى الحق ، والموصل الى سعادة الدنيا والآخرة .
أنعمت عليهم	٧	* تفضلت عليهم بهدايتك ، ووفقتهم لتقبل هذه الهداية لأنهم يستحقونها .
المغضوب عليهم...	٧	* الذين عرفوا الحق ، ومع ذلك تركوه وعارضوه .
الضالين	٧	* الذين تاهوا عن الحق فوقعوا فى الحيرة والشبهات

سورة البقرة

اللفظة	رقم الآية	المعنى
الم	١	* هذه حروف للتنبيه ولفت الأسماع الى ما يتلى ، وقيل انها اشارة الى اعجاز القرآن ، أى ان

اللفظة	رقم الآية	المعنى
		القرآن مؤلف من حروف كحروف كلامكم ، فان شككتم فيه فاتوا بمثله ان استطعتم •
ذلك الكتاب	٢	❊ الكتاب فى الأصل هو المكتوب ، والمراد به هنا القرآن الذى وعد الله باتمامه ، والمعنى أنه الكتاب الكامل فى الهداية •
لا ريب فيه	٢	❊ أى لا شك فيه ، فهو مبرأ من كل عيب •
هدى للمتقين	٢	❊ فيه دلالة كاملة للذين يتجنبون أسباب العقاب والعذاب •
يؤمنون بالغيب	٣	❊ يصدقون بما غاب عنهم مما أخبرهم الله به كالملائكة وأمور الدار الآخرة •
ويقيمون الصلاة	٣	❊ أى يؤدونها مستقيمة على أكمل وجه ممكن •
ومما رزقناهم ينفقون...	٣	❊ يزكون ويتصدقون بجانب مما أعطيناهم •
بما أنزل اليك	٤	❊ بالقرآن الكريم الذى نزله الله على رسوله محمد – صلى الله عليه وسلم – •
وما أنزل من قبلك		❊ المراد كتب الله تعالى التى نزلت قبل القرآن على رسل الله وأنبيائه •
وبالآخرة هم يوقنون ...	٤	❊ يصدقون تصديقا جازما لا شك فيه بالبعث وبالحياة الآخرة •
المفلحون	٥	❊ الفائزون بما يرغبون فيه ، وهو التوفيق فى الدنيا والبقاء فى النعيم المقيم فى الآخرة •
ختم الله على قلوبهم ...	٧	❊ طبع عليها وأغلقها ، فهى لا تعى خيرا ، لأن الكفر قد تمكن منها فاستحقت ذلك •
غشاوة	٧	❊ غطاء •
وباليوم الآخر	٨	❊ المراد باليوم الآخر يوم القيامة ، لأنه آخر الأيام •
يخادعون الله	٩	❊ الخدع أن توهم غيرك خلاف ما تطويه ، وأصله الاخفاء • ويخادعون : يعمل عمل المخادع ، وهو لا ينفعهم ، وقيل ان المراد أنهم يخادعون المؤمنين بالله ، ووبال المخادعة راجع الى هؤلاء المخادعين •
فى قلوبهم مرض	١٠	❊ أى شك ونفاق •
السفهاء	١٣	❊ الجهلة الطائشون ضعاف الرأى •
خلو الى شياطينهم ...	١٤	❊ انفردوا بدعاة الفتنة وانصار الباطل •
يمدهم فى طغيانهم ...	١٥	❊ يمهلهم ، ويطيل لهم فى عتوهم وتكبرهم ومجاوزتهم الحد فى البغى ، قبل أن يأخذهم بغتة •
يعمهون	١٥	❊ تعمى قلوبهم ، وتظلم بصائرهم ، فيتحيرون ، ويجورون عن الطريق ، ولا يهتدون •
اشتروا الضلالة بالهدى	١٦	❊ اختاروا طريق الكفر بدل طريق الايمان طلبا لحطام الدنيا •

اللفظة	رقم الآية	المعنى
استوقد نارا	١٧	⁂ أوقد نارا . وأصل المعنى انه طلب ايقادها بفعله أو فعل غيره ، فاتقدت .
صم بكم عمى	١٨	⁂ فقدوا منافع آذانهم وألسنتهم وعيونهم ، فهم لا يسمعون الحق سماع استجابة ، ولا ينطقون به ولا يبصرونه ابصار ادراك واقتناع .
لا يرجعون	١٨	⁂ لا يرجعون عن ضلالتهم ، ولا يخرجون من ظلماتهم ولا يتوبون .
كصيب	١٩	⁂ الصيب هو المطر ، من صاب يصوب اذا نزل .
السماء	١٩	⁂ كل ما علاك فهو سماء .
حذر الموت	١٩	⁂ خوفا من المـوت .
محيط بالكافرين	١٩	⁂ قادر عليهم وعلى أخذهم أينما كانوا .
يخطف أبصارهم	٢٠	⁂ يأخذها بسرعة ، ويذهب بها ، لشدة ضوئه .
فراشـا	٢٢	⁂ هى كالفراش ، مبسوطة ممهدة ، صالحة للاقامة عليها ، والانتفاع بها
بنـاء	٢٢	⁂ البناء وضع شيء بنظام والله قد نظم السماء ، وسوى ما فيها من أجرام، وأمسكها بقدرته وسننه فلا يصطدم بعضها ببعض .
الثمرات	٢٢	⁂ كل ما نحصل عليه من منافع عن طريق النبـات الذى يخرج من الأرض .
أندادا	٢٢	⁂ الأنداد جمع ند ، وهو الشريك والمثـل والنظير ، أى لا تجعلوا لله شركاء تعبدونهم ، سـواء أكانوا أصناما أم غيرها .
عبـدنا	٢٣	⁂ هو رسول الله محمد ـ عليه الصلاة والسلام ـ وهو عبد الله لأنه يخضع لأمره ويطيعه .
وادعوا شهداءكم	٢٣	⁂ استنجدوا ان استطعتم بآلهتكم أو بأنصـاركم ليعاونوكم ، أى استغيثوا بالذين يشـهدون لكم انكم اتيتم بسورة من مثل القرآن ولن تستطيعوا
فاتقوا النار	٢٤	⁂ تجنبوا الأسباب التى تجعلكم تستحقون العذاب فيها
وقودها الناس والحجارة	٢٤	⁂ حطبها هم الكفار والأصنام ، والوقود ـ بفتح الواو ـ ما توقد به النار .
وبشر	٢٥	⁂ أخبرهم بما يسرهم ، والبشارة هى الاخبار بمـا يسر المخبر به .
جنات	٢٥	⁂ جمع جنة ، وهى البستان ، والمراد بها هنـا دار النعيم فى اخرة للمؤمنين .
تجرى من تحتها الأنهار	٢٥	⁂ تجرى الأنهار من تحت أشجارها وحول بيوتها .

تعاون لا تحالف

فضيلة الشيخ عطية صقر

مصر فى تاريخها الطويل لها مواقف مشرفة وجهود مشكورة فى تعاونها مع الاقطار المجاورة لها منذ أزمان سحيقة ، وبعد أن اشرق عليها نور الأسلام ضمت الى مركزها العلمى والحضارى القديم مركزا دينيا ممتازا جعلت المسلمين من كافة انحاء العالم ينظرون اليها نظرة خاصة ملؤها الأعجاب والامل ، ويكفى دليلا على ذلك جهادها الصادق ضد الصليبيين وانتصار صلاح الدين عليهم فى حطين ،ووقفها زحف التتار بهزيمتهم عند عين جالوت على يد المماليك ، وايواؤها الخلافة العباسية بعد سقوط بغداد سنة ٦٥٦ هـ . وفتح ابوابها للقاصدين اليها من العلماء والقادة والهاربين من الظلم والطغيان ، واستمرار معهدها العتيد «الأزهر الشريف» يشع منه العلم والنور على المسلمين جميعا ، ويفسح صدره للوافدين اليه من كل مكان ، يتزودون من علمه ويلقون من أولى الأمر كل رعاية وتكريم

وقد ظلت مصر على المعهود منها فى مجال التعاون مع المسلمين حتى فى ايام نكبتها بالحكم العثمانى والاحتلال البريطانى ، فلما قامت الثورة العربية فى يوليو ١٩٥٢ أدركت قيمة هذه الصلة الروحية المتينة فصممت على الأفادة منها بما يحقق الخير لهذه الأمة المنكوبة بالاستعمار وبالرجعية والفساد ، فاعلن زعيمها فى كتاب فلسفة الثورة سنة ١٩٥٣ قوله « حين اسرح بخيالى الى هذه المئات من الملايين الذين تجمعهم عقيدة واحدة اخرج باحساس كبير بالأمكانيات الهائلة التى يمكن ان يحققها تعاون بين هؤلاء المسلمين جميعا تعاون لايخرج عن حدود ولائهم لأوطانهم الأصيلة بالطبع ، ولكنه يكفل لهم ولاخوانهم فى العقيدة قوة غير محدودة »

وظلت هذه العقيدة راسخة فى اعماق المصريين الذين استمروا يغذونها بألوان كثيرة من مظاهر التعاون فى المجال السياسى والثقافى والدينى والاجتماعى . حتى بعد اعلان أنها جزء من الأمة العربية وقطر من أقطار القارة المظلومة «افريقيا» وواحدة من البلاد التى تدور فيها معارك التحرير فى الشرق . وأكد ذلك رسميا فى ميثاقها الوطنى « ٢١ من مايو ١٩٦٢» عند الكلام على الوحدة العربية والجامعة الافريقية والتضامن الأسيوى الأفريقى . حيث يقول « ويؤمن شعبنا برباط روحى وثيق يشده الى العالم الاسلامى »

وأرادت ان تتخذ خطوات أكثر فعالية فى توثيق هذا الرباط فدعت الى أن يكون موسم

الحج مؤتمرا اسلاميا يجتمع فيه القـادة وأولو الرأى لبحث القضايا الاسلاميه . وحل المشاكل التى يتعرض لها المسلمون غير ان الجو السياسى فى المنطقة جعل من العسير الاستمرار فى هذه المحاولة ، واكتفى بأن يكون التعاون على مستوى الشعوب بعيدا عن رسميات الحكومات .

ان الذى يدفع جمهوريتنا لتوثيق عراها بالعالم الاسلامى أمور كثيرة ، فهو اولا تنفيذ لأمر الله الوارد فى قوله تعالى « وتعاونوا على البر والتقوى ولا تعاونوا على الأثم والعدوان» وهو ثانيا وفاء الجزء لكله وارتباط الأخ بأخيه فى الأسرة الاسلامية كما يقول الله تعالى « انما المؤمنون اخوة » وكما يقول الرسول صلى الله عليه وسلم «المسلم أخو المسلم» « مثل المؤمنين فى تراحمهم وتوادهم وتعاطفهم مثل الجسد الواحد اذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الأعضاء بالسهر والحمى » . وبلادنا فى حركتها الثورية احست طعم الحرية بعد كسر الأغلال وتذوقت حلاوة الراحة بعد طول العناء ، والواجب يحتم عليها ان تشرك غيرها معها فى هذه المكاسب العظيمة كما يقول الحديث الشريف « لايؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه »

ان جمهوريتنا تحس أن فى قوة البلاد الأسلامية قوة لها تمكنها من الحفاظ على مكاسبها ، والوقوف امام مؤامرات الأعداء ، وتحرير البقعة الاسلامية من ربقة الاستعمار والحديث الشريف يقول « المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضا » ويقول : يد الله مع الجماعة . كما أن موقعها الجغرافى الذى يتوسط القارتين اللتين تدور فيهما الآن اعظم معارك التحرير الوطنى ، وفيهما أكثرية الدول الاسلامية يفرض عليها ان تمد يد المعونة لهؤلاء فى جميع الحركات التحررية والاسلام يحرم على المسلم أن يترك أخاه يشقى ثم يقف منه موقفا سلبيا كما يقول الحديث الشريف : « من لم يهتم بأمر المسلمين فليس منهم »

ان جمهوريتنا حين تدعو الى هذا التعاون وتبذل جهدها الصادق فيه انما تصدر عن سياسة حكيمة وايمان بواجبها فى هذه الفترة الحرجة من التاريخ ، مع احتفاظها بشخصيتها المستقلة وكرامتها التى جاهدت من اجلها جهادا عنيفا . تحقيقا لقوله تعالى « ولله العزة ولرسوله وللمؤمنين »

ان المستعمرين والرجعيين ومن يسيرون فى ركابهم نقموا على ثورتنا هذا النشاط المشكور فعملوا جاهدين على عرقلة تطورنا . والوقوف امام المد الثورى والتقارب بين المسلمين ، فكانت لهم اساليبهم المعروفة من تدبير المؤامرات وتمزيق الوحدة والغزو المسلح ، وكانت أحدث بدعة قاموا بها هى الدعوة الى حلف اسلامى تبنته أمريكا وسخرت للدعوة اليه بعض الشخصيات فى المحيط الاسلامى ممن يعرفون بميولهم الاستعمارية ونظمهم الرجعيه والاهتمام بمصالحهم الشخصية ، وكان ردنا عليه هو ردنا على جميع الأحلاف التى تدور معه فى فلك واحد ، كحلف بغداد ومشروع ايزنهاور ومشروع الحلف المركزى .

والذى يبرر انكار هذا الحلف : انه مخطط استعمارى رسم ونظم على يد الأجانب حماية لمصالحهم وتمكينا لنفوذهم فى العالم الاسلامى وقد افصحت عن ذلك جريدة التربيون الفرنسية فى ١٣-١-١٩٦٦ حيث قالت بالنص « ان الغرض من هذا الحلف مساندة التيارات الرجعية » كما أن هذا الحلف يربطنا بعجلة الاستعمار مرة أخرى بعد أن تحررنا منه وفى ذلك ذلة ومهانة لايرضاها الاسلام لأى مسلم قال تعالى «أيبتغون عندهم العزة فان العزة لله جميعا » وفيه موالاة للاعداء وقد نهى الله عنها بقوله « لاتتخذوا عدوى وعدوكم أولياء » والعداوة تقليدية قديمة بالنسبة لهؤلاء المستعمرين فى امتداد للاحتكاكات بين الشرق والغرب فى الحروب الصليبية فى القرون الوسطى ، ومازالت الترة فى نفوسهم قائمة حتى بعد ان دخل اللنبى القدس وقال : الآن انتهت الحروب الصليبية ، وبعد ان قال الجنرال جورو : لقد عدنا ياصلاح الدين . فهم اعداء الله واعداء المسلمين لايريدون لنا الخير ابدا ، وان كانت لهم مشروعات خيرية فى ظاهرها فالنصيب الأوفر لهم لا للمسلمين ، قال تعالى فى حقهم

« لا يألونكم خبالا ودواما عنتم قد بدت البغضاء من أفواههم وما تخفى صدورهم اكبر »

ويقول « كيف وان يظهروا عليكم لايرقبوا فيكم الا ولاذمة ، يرضونكم بأفواههم وتأبى قلوبهم وأكثرهم فاسقون »

ان هذا الحلف وان لبس لبوسا اسلاميا الا انه بعيد عن الأسلام وما يريده الله للمسلمين، فالاسلام لا يعترف بالشعارات الكاذبة والعناوين البراقة : وكم اتخذ الأعداء الدين ستارا لأغراضهم يموهون به على البسطاء ويخفون وراءه الحقائق المريرة ، ولا يخفى على أحد ماقام به المنافقون من الأدوار الخطيرة فى التاريخ الاسلامى ، « اذا جاءك المنافقون قالوا نشهد انك لرسول الله والله يعلم انك لرسوله والله يشهد ان المنافقين لكاذبون ، اتخذوا أيمانهم جنة فصدوا عن سبيل الله » « واذا قيل لهم لاتفسدوا فى الأرض قالوا انما نحن مصلحون ألا أنهم هو المفسدون ولكن لايشعرون »

لقد أرجف المروجون للحلف ليبرروا موقفهم المخزى ، وقالوا ان توحيد الصف العربى عنصرية تتنافى مع وحدة الأمة الاسلامية التى تضم العرب وغيرهم تحت لوائها • ولكن يرد عليهم أن العمل فى مجال لايتنافى مع مجال آخر اذا خلصت النية ووضح الهدف وكان من ورائه الخير للعرب والمسلمين • ولقد نص على ذلك الميثاق الوطنى عند الحديث عن الوحدة العربية والجامعة الافريقية والتضامن الأسيوى الافريقى والارتباط الروحى بالعالم الاسلامى ، حيث قال « ان الايمان بذلك كله لايتعارض مع بعضه ، ولا يتصادم وانما هى حلقات فى سلسلة واحدة » والواقع ان المسلمين فى العالم كله يدينون للعرب بالحب والاحترام لأنهم قاموا بجهود جبارة لنشر الدين وتوصيل الحضارة الانسانية الرفيعة الى العالم اجمع ، والحديث الشريف يقول « حب العرب ايمان وبغضهم نفاق » فوحدة الصف العربى وقوته قوة للمسلمين جميعا •

التعاون مع المسلمين لابد أن يكون نابعا من واقعنا نحن وينفذ بوسيلتنا نحن المسلمين وليس من وحى الأجانب ولا بطرقهم المعروفة بخبثها فان تعاونا بهذا الشكل الأخير لايكون تعاونا على البر والتقوى ولكنه تعاون على الاثم والعدوان قال السيد الرئيس فى عيد الوحدة الثامن: نحن لانرفض التعاون الاسلامى على شرط أن يكون لوجه الله والاسلام لا لسياسة اجنبية وليس هدفه استعماريا للقضاء على حركات التحرير والتصدى للتقدم الاجتماعى » والحلف الاسلامى فيه تآمر على البلاد الاسلامية غير العربية التى تتبع سياسة عدم الانحياز وهو عملية تجميع لكل القوى الرجعية المتعاونة مع الاستعمار فى خط دفاع أخير امام المد الثورى العربى التقدمى فى البلاد العربية

وبعد فالاسلام يحب من المسلم ان يكون حذرا متيقظا كيسا فطنا ويكره له الاندفاع واتباع كل ناعق ويمقت أن يكون امعة لا رأى له ولا استقلال فى الفكر والعمل ويأمرنا الاسلام أن نفيد من التجارب ونعتبر بالأحداث الماضية وفى ذلك يقول الحديث الشريف « لايلدغ المؤمن من جحر مرتين » وقد لدغ العرب والمسلمون من الأجانب مرات ومرات، اخلفوا وعودنا معهم ومزقوا بلادنا وسلموا بعضها طعمة لطغمة من الناس (اسرائيل) وضيقوا علينا الخناق حين احتجنا للمساعدة وشردوا ابناء العرب وخنقوا حريات المسلمين •• الى آخر السلسلة المعروفة عن سياسة الاستعمار واحب أن أختم كلمتى بما روى أن عاهل الروم انتهز فرصة الخلاف بين على ومعاوية ، ففرض على معاوية معونة يصل بها الى غرضه من هزيمة على ، فتنبه معاوية لهذه الخديعة وكتب اليه : اعلم أنى وعليا اخوان نتنافس فضلا ونستبق خيرا ، فان لم تكف عن مقالتك اتيتك بجيش أوله عندى وآخره عنده حتى أملكه الأرض التى تحت قدميك • فلنتق الله ولنحافظ على وحدة الصف ولنؤثر صالح الأمة على مصالحنا الشخصية • وما عند الله خير وابقى ، والله ولى التوفيق

بقية معالم الطريق

أيها الاخوة ..

مصر الآن أكثر حرية من بريطانيا نفسها ، بريطانيا تحولت الى مستعمرة أمريكية الى درجة لا تسمح لها حتى بمجرد ابداء الرأى فى أية قضية دولية قبل اختيار الألفاظ وقبل الاستئذان من واشنطن .

وكانوا يسألون ويبحثون هل سقط عبد الناصر نتيجة لتصميم ايدن ولقوله وقت العدوان أننا لا نكن عداء للشعب المصرى ولكن عدونا هو عبد الناصر وسوف نخلعه من مكانه ثم نترك الشعب المصرى لحاله بعدها .

لم يحدث ذلك لأنه قد فات الوقت الذى كان يمكن فيه لأية قوة أجنبية أن تتحكم فى سياسة مصر ، ان الشعب المصرى وحده هو الآن يملك أن يختار قيادته ، يملك أن يرفعها ويملك اسقاطها .

ان الذين واجهوا شعب مصر بالعداء والكراهية بالعدوان وبالحرب وتمنوا تحطيم ثورته وتدمير جيشه وخراب مرافقه وهدم آماله وتضييع حريته والتدخل فى شئونه هم الذين دارت عليهم الدائرة ولحقت بهم الهزيمة .

نصر كامل وشريف

أما الشعب المصرى فقد حقق نصرا كاملا شريفا مجيدا وفاصلا فى تاريخ الحريات كلها ولم يقف الشعب المصرى عند نصر ١٩٥٦ وانما تابع الخطى تأكيدا وتدعيما فى كل المجالات فى الانتاج فى التحول الاشتراكى فى الخدمات - فى ١٩٥٦ بعد الانسحاب البريطانى استطعنا أن نؤمم كل المصالح البريطانية والفرنسية الموجودة فى مصر وبذلك خلقنا القطاع العام وبذلك قمنا فعلا بعملية ضخمة من أجل التحرير الاقتصادى من أجل اقامة اقتصاد وطنى ومن أجل اقامة تحويل اشتراكى - يمكن لولا العدوان كنا وجدنا بعض الصعوبات فى هذا ولكن همه اعتدوا علينا علشان يأخذوا قناة السويس ويقضوا علينا ولكننا استفدنا أيضا من العدوان وبعد كده أممنا المصالح البلجيكية ثم بعد كده أممنا كل المصالح الأجنبية وخلقنا فعلا الاقتصاد الوطنى ولا يمكن لبلد أن يشعر باستقلاله أو بحريته الا اذا كان هناك استقلال اقتصادى بجانب التحرر السياسى فى ميزان الانتاج استطعنا بعد العدوان ان احنا ننفذ الخطة الخمسية الأولى وقبل تنفيذ الخطة الخمسية الأولى استطعنا ان احنا نبنى عملنا خطة صناعية وصرفنا فى هذه المرحلة فى التصنيع ما يقرب من ألف مليون جنيه - بالنسبة للزراعة صلحنا فى الخطة الخمسية الأولى نصف مليون فدان علشان تتجه الى استصلاح الأراضى لاستقبال مياه السد العالى - اذن الشعب المصرى لم يقف عند نصر ١٩٥٦ ولكن كان النصر حافز ودافع ليه لأنه يبنى بلده لأن الاستقلال هو وسيلة لأن نبنى بلدنا ان احنا نتخلص من الاستعمار ونجابه العدوان ونضحى بالأرواح والدماء علشان نبنى بلدنا ونخلق المجتمع الحر - المجتمع المستقل وبعد هذا نخلق الاقتصاد المستقل وبعد هذا نخلق مجتمع الرفاهية - سرنا فى بناء الخدمات : المدارس المستشفيات - المجمعات الصحية - يمكن سرنا بطريقة أكثر من اللازم - فسرنا فى هذا ولن نتردد اذن أيضا حققنا انتصارات كبيرة بعد انتصار ١٩٥٦ - كان لينا هدف كبير - ان نبنى مجتمع جديد متخلص من آثار الاستغلال ، استغلال الاقطاع واستغلال رأس المال - نبنى مجتمع جديد يشعر ابناؤه فيه بالمساواة - نبنى مجتمع جديد نزيل فيه الفوارق بين الطبقات - نقضى على المجتمعات القديمة التى قامت بين ربوع بلدنا - المجتمع القديم اللى قام على الاحتكار واللى قام على الاقطاع واللى قام على الاستغلال وسرنا فى هذا الطريق وقطعنا مشوار كبير من اجل بناء المجتمع الجديد .

التقشف قد يكون مرحلة

الاشتراكية .. الاشتراكية هى الكفاية والعدل معنى هذا أن نذيب الفوارق بين الطبقات معنى هذا أن نبنى حتى نرفع مستوى الجميع . الاشتراكية مش معناها الفقر والتقشف قد يكون التقشف مرحلة من المراحل ولكن الاشتراكية معناها الرفاهية للجميع .. الرأسمالية معناها الرفاهية لعدد من الناس الرأسمالية - الاقطاع معناه الرفاهية لعدد من الناس اللى همه الاقطاعيين أما الباقى الفلاحين والعمال يحرموا ويأخذوا ناتج عملهم ليدخل جيوب الاقطاعيين والرأسماليين - الاشتراكية بعد القضاء على الاقطاع والقضاء على رأس المال المستغل تسير فى طريق الكفاية والعدل بتبنى وتبنى باستمرار حتى يتحقق مستوى رفيع من المعيشة لكل الناس . اذن ونحن نسير فى هذا الطريق طريق بناء المجتمع الجديد نحتاج الى جهد كبير ونحتاج الى عمل لاننا لا نستطيع أن نرفع مستوى معيشة الناس كلها الا اذا زودنا الانتاج وده السبب اللى من أجله بنقول ان احنا لازم نعمل ونعمل باستمرار بزيادة الانتاج معنى زيادة الانتاج ان احنا فعلا بنرفع مستوى المعيشة بنذيب الفوارق بين الطبقات ولكن هل النهارده مستوى المعيشة فى البلد واحد ؟ لا ..

مستوى المعيشة فى البلد مش مستوى واحد لسه فيه ناس بتقاسى من آثار الماضى وانا لا استطيع أن اقول أن احنا فى الكام سنة اللى فاتوا دول واحناقاعدنا لغاية سنة ٥٧ كان عندنا انجليز وكنا بنكافح الاستعمار مقدرش اقول ان فى الكام سنة اللى فاتوا دول حققنا كل شىء حانحتاج الى عشرات من السنين حتى نقضى على البؤس الموجود فى عمال التراحيل والبؤس الموجود فى بعض الانحاء . لـن تستطيع الاشتراكية فى يوم وليلة ان تقضى على هذا البؤس لن تستطيع الاشتراكية فى يوم وليلة ان تقضى على الظلم الاجتماعى اللى قاسينا منه آلاف السنين .. لن تستطيع الاشتراكية ان تغير وجه الدنيا فى جرة قلم ولكن نستطيع احنا الاشتراكيين نعمل على بناء الاشتراكية نستطيع بالعمل أن نخلق المجتمع الجديد فعلا وان احنا نزيل البؤس بالتدريج .. النهارده اعتقد ان احنا استطعنا ان نزيل البؤس بالنسبة لقطاع كبير من الناس ولكن لا زال امامنا كفاح طويل لا زال امامنا كفاح عنيف خصوصا فى الأجواء التى تحيط بينا من كل مجال . لن ننتصر فى قناة السويس بس ولكن وفى الانتاج والخدمات والتحويل الاشتراكى ولكن انتصرنا فى تحقيق الديمقراطية السياسية والديمقراطية الاجتماعية كما نص عليها الميثاق اللى صدر سنة ٦٢ والميثاق نص على الحرية السياسية والحرية الاجتماعية قال الميثاق انه لا يمكن ان تقوم حرية سياسية بدون قيام حرية اجتماعية لأن عدم قيام الحرية الاجتماعية معناه أن الشعب سيخضع لسيطرة رأس المال المستغل ويخضع لسيطرة الاقطاع ويخضع لتحالف طبقة الاقطاع ورأس المال وكررنا ان ٥٠٪ من المنظمات الشعبية ومن مجلس الأمة تمثل العمال والفلاحين .. كان هدفنا فى هذا أيضا ان نبنى مجتمع جديد مجتمع ينتهى فيه التخلف والاستغلال والسيطرة لكى يبدأ عهد الكفاية والعدل وتكافؤ الفرص .

تحويل ليس له مثيـل

فى السنوات العشر منذ السويس وتأكيدا وتدعيما لانتصار عظيم كامل شريف مجيد فاصل حقق الشعب المصرى تحولا ليس له مثيل فى بلدان العالم النامى كله .. ليس هناك بلد وضع فى الصناعة مثلا (١٠٠٠ ألف مليون جنيه) فى عشر سنوات ومافيش بلد تحمل بالمسئولية مشروع كمشروع السد العالى لتطوير الزراعة والكهرباء مافيش بـلد حدث فيه التحول الاجتماعى اللى شهدته مصر وانتقلت الثروة فيه من احتكار الدخل فى المائة (½٪ من سكانه) على حساب حرمان ٩٩٫٥٪ من شعبه لكى تتحقق سيطرة كل الشعب على مقدرات الثورة ويحدث هذا بأقل قدر من العمر وبغير قطرة من دم عـلى الاطـلاق .

مافيش هنـاك بلد تأكدت فيه قوى الشعب العاملة كل أنواع التأميم المتاحة اجتماعيا لكفالة حياة حرة كريمة المتاحة سياسيا لضمان وضع سلطاتها دائمـا فى قيادة العمل الوطنى كل التأمينات الاجتماعية الموجودة لغاية التأمين ضد البطالة حققناها . ولا ندعى أيها الاخوة بهذا الكلام ان غيرنا من بلاد العالم النامى لم يتحرك بالعكس احنا نـرى تجارب باسلة تقوم بيها شعوب حية ولكننا نقف انه حين تمد التجارب المرموقة فى هذا العصر وتعد بانصاف وتجرد فان التجربة المصرية تبقى أبرز النماذج وخير الأمثلة .

عمل أكبر من قدرتنا

طبعا انا اما باتكلم معكم باستمرار باتكلم على الماضى ، على ايه اللى عملناه وفى كلامى على الماضى لى هدف . الحقيقة احنا بنعمل عمل أكبر من قدرتنا ، بنعمل على ان نتحول من دولة متخلفة الى دولة متقدمة .. بنعمل على نقل الدخل القومى من دخـل محدود الى دخل كبير .

زى ما قلنا بنضاعفه كل عشر سنوات . الدخل كان فى اول الثورة ٨٠٠ مليون النهارده الدخل القومى ١٨٠٠ مليون نعمل على زيادة الانتاج . الانتاج فى أول الثـورة كان ١٨٠٠ مليون فى أول السنة دى وصل ٣٣٠٠ مليون . والأرقام قلتها لكم مرات عديدة قبل كده بالنسبة للاجور وبالنسبة للتشغيل والعمالة .

وبالنسبة للميزانية ، أول ميزانية اشتغلنا فيها بعد الثـورة كانت ١٩٤ مليون جنيه سنة ٥٣ . الميزانية الأخيرة ١٢٠٠ .

معنى كده ايه ، معنى كده أن فعلا مجالات العمل فى البلد كبيرة . وانا بدى اقول لكم بقى حاجة . احنا بنعمل اكثر من طاقتنا وبنصرف اكثر من طاقتنا . يعنى دخلنـا أما بيكون ٦٠٠ مليون جنيه من الضرائب بنصرف ١٢٠٠ مليون بعدين بالنسبة للاستيراد من الخارج بنستورد أيضا اكثر من طاقتنا .

والسبب فى هذا ان احنا مستعجلين . مستعجلين بالنسبة للعمل فى الزراعة ، بالنسبة للعمل فى الصناعة ، بالنسبة للعمل فى الخدمات ، بالنسبة للعمل فى النقل بالنسبة للعمل فى كل المجالات انتقلت الدولة من دولة عبارة عن مجموعة من الاداريين والكتبة الى دولة تمارس فعلا ادارة هذه المسائل .

الايجـابى والسـلبى

فيه حاجة بدى أقولها بقى بالنسبة لهذا الموضوع .. واحنا ماشيين فى هذا الطريق ماكنتش اتصور أبدا أن احنا فى سكتنا حانبلغ الكمال ١٠٠٪ أبدا ، زى ما فيه الايجـابى فيه السلبى . زى ماحانبنى مصانع زى ما حانغلط فى بعض الامور . زى ما فيه ناس كويسين حايكون فيه ناس وحشين . زى ما فيه ناس حسنة التصرف حايكون فيه ناس

تصرفهم سيىء . طب هل احنا مش عاوزين الكمال .. لا .. عايزين الكمال ولكن لا يمكن فى هذه المرحلة اللى احنا بنشتغل فيها اكثر من قدرتنا ان احنا نوصل الى الكمال فى كل شىء قابلتنا مشاكل . عندنا مشاكل موجودة ، مشاكل فى المستشفيات ، أهو توسعنا فى بناء المستشفيات وبعدين سمعنا شكوى ان بعض المستشفيات مافيهاش أدوية . فى الناحية الايجابية ان احنا بنينا مستشفيات ، الناحية السلبية ان بعض المستشفيات مافيهاش أدوية . ولكن النواحى السلبية اللى بهذا الشكل نستطيع ان نتغلب عليها . نستطيع . ولكن نظرا لكبر المسئولية وكبر العمل اللى احنا بنقوم بيه . زى ما باأقول لكم عمل أكبر مننا ، نظرا لهذا لازم ننتظر الايجابى والسلبى ، مش معنى هذا ان احنا مانعالجش السلبى ولكن يجب أن نعالج السلبى .

حلول لكل المشاكل

فيه مشكلة مواصلات فى القاهرة انا عارف ان فيه مشكلة مواصلات فى القاهرة باشوف الناس موجودة على المحطات نتيجة النمو والتوسع فى العمالة والقاهرة زادت عن أربعة مليون وانتم زدتم عن ٣٠ مليون .

طيب اللى كان ما بيركبش اتوبيس بيركب بيقولوا هل مازودناش الاتوبيسات ؟ زودنا الاتوبيسات وبعدين الكلام الاخير اللى مهاجبنا اتوبيسات مفيش فايدة هل الحل الوحيد ان احنا نعمل مترو تحت الأرض . واتكلمنا مع الاتحاد السوفييتى عشان يعمل مترو تحت الارض وهم وافقوا ، وافقوا على انهم يعملوا مترو تحت الأرض بهذا بنحل المشكلة . لكن الحل الوحيد النهاردة العلمى لازمة المواصلات ان انا ازود التذاكر الحل الوحيد . لما حانزود التذاكر واللى بيركب له محطتين ثلاثة ويستسهل انه يدفع له قرش يستخسر بدفع قرشين فى المحطتين الثلاثة وبهذا الناس بتمشى شوية جنب الاتوبيسات هو ده الحل العلمى اننا نرفع ثمن التذاكر وانا باتكلم على تذاكر الاتوبيس مش على الرز تذاكر الاتوبيس مش حتباع فى السوق السودة (ضحك) .

حد يطلع يشترى شوية تذاكر الليلة من السوق السودة (ضحك وتصفيق حاد) .

ولكن احنا رأينا اننا ما نرفعش ثمن التذاكر بالعكس (ضحك وتصفيق حاد) .

وقلنا بنجيب اتوبيسات جديدة وبنعمل مترو وبنحسن فى المرور والطرق . قصدى برضه من هذا المثل ان كل شىء فيه سلبى وفيه ايجابى فيه ازمة مساكن موجودة مطلوب منى النهاردة ابنى مساكن قدرتى على بناء المساكن محدودة لانه موضوع اقتصادى وموضوع مبنى على الاسمنت وعلى الحديد اللى موجود عندى وانا مقدرش استورد اسمنت وحديد من بره ولو ان احنا السنة اللى فاتت استوردنا حديد من بره لان معنديش عملة صعبة ادفعها ولا نقد اجنبى ادفعه عشان أجيب أسمنت وحديد . دى المشكلة الموجودة . اذن المشكلة بنحاول نحلها بقدر الامكان .

وامبارح فى انجلترا قالوا انهم وقفوا حتى مشاريع الاسكان رغم انها يعنى دولة كبيرةو لكن اقتصاديا وقفوا عمليات البناء عشان يمنعوا التضخم .

فيه الايجابى فيه السد العالى فيه قنال السويس فيه التصنيع فيه العمالة فيه التامينات الاجتماعية فيه حاجات ايجابية لا أول لها ولا اخر وفيه المساكن الشعبية وفيه اصلاح الاراضى وفيه تحويل الحياض الى رى دائم فيه حاجات ايجابية كثيرة جدا ولكن ايضا فيه حاجات سلبية .

كل واحد فينا يعمل على ان احنا نصلح السلبى .

تجربة أمريكا واوربا

وبعدين فى البلاد اللى بره وضعهم بيختلف . البلاد اللى بنت نفسها نمسك أوربا لما بنت نفسها من القرن الرابع عشر أو الخامس عشر بنلاقى انهم عملوا وتعبوا وبنوا أنفسهم .

نمسك امريكا لما بنت نفسها امريكا من ١٥٠ سنة او من ١٠٠ سنة وامريكا النهاردة مين اللى عمل هذا الكلام هم اللى بيبنوا بلدهم وهم اللى بيشتغلوا وبيتعبوا واعتقد ان اللى قرأوا التاريخ الامريكى واللى قرأوا ازاى اتبنت امريكا يقدروا يعرفوا ان امريكا بتاعة النهاردة مش هى أمريكا اللى كانت من ١٠٠ سنة . ولهذا لو واحد بيجى النهاردة يقارن بينا وبين امريكا باقول له والله انك فى هذا غلطان أو بينا وبين انجلترا او بينا وبين فرنسا احنا بنبتدى من نقطة الابتداء اللى بدأوا منها الامريكان من ١٠٠ سنة لان عشان نعمل مجتمع صناعى وعشان نعمل مجتمع يشعر فيه الناس كلهم بالحرية ويشعر الناس كلهم بالرفاهية عايزين عمل مستمر .

باتكلم على اللى عملناه باستمرار بتلاقونى كل مرة آجى هنا باقول عملنا وعملنا وعملنا لان طبعا باستمرار اللى بيتكلم بيشوف الغلط وانا حتى يمكن التقارير اللى بتجيلى عن المشاكل أكثر مما بتجيلى تقارير عن النجاح . يعنى كل واحد حريص على انه بيشوف الحاجات الوحشة فين ويلفت النظر اليها وبعد كده احنا بنصلح وكل واحد فى مجاله بيصلح .

الحقيقة ده السبب اللى خلانى ان انا اقول عملنا كذا وعملنا كذا وسوينا كذا وسوينا كذا .

الآمال تسير مع المشاكل

ولكن برضه انا عارف ان فيه ازمة مواصلات وانا عارف ان فيه ازمة مساكن – انا عارف ان المستشفيات فيها مشاكل انا عارف ان القصر العينى ماتحلتش مشاكله – حاجات

كثيرة بهذا الشكل الواحد عارفها - عارف فى بنك التسليف مثلا ناس بتشتكى من بنك التسليف ان بيدى ناس ومابيديش ناس وحاجات بهذا الشكل ، ولكن بدى اقول ان فيه العمل الكبير اللى احنا بنعمله اللى هوه اكبر من طاقتنا فيه السلبى وفيه الايجابى وبنبص للايجابى وبنصلح السلبى ولازم نفتكر باستمرار ان احنا بنعمل عمل اكبر من قدرتنا وبنبنى بنا أكبر من طاقتنا وان الحقيقة لازم نعمل لازم نمشى فى هذا الطريق والا بعدين نتعب - اذا كنا وصلنا فى زيادة السكان الى أكبر نسبة فى العالم الباكستان أكبر والاحصاء الأخير قال ان مصر زاد تعدادها عن ٣٠ مليون معنى هذا ان احنا كل سنة حانزيد مليون - طيب حانوكل المليون دول منين اذا لم نعمل يعنى لازم نعتمد على نفسنا - اذن لازم نبص للمستقبل بآماله الكبيرة - وآمال المستقبل الكبيرة لازم نجد معاها مشاكل كبيرة - المستقبل بآماله ومشاكله الكبار أمامنا والامال تسير مع المشاكل دائما - جنبا الى جنب - كل ما تلاقى مشكلة عندنا آمال وكل ما نحقق آمال بنلاقى مشكلة وبنحلها ومافيش أمل بيتحقق بالتمنى - الأمل يتحقق بالعمل - بنبص للى فات ونستخلص منه الدرس ونحولها الى الخبرة علشان نخدم المستقبل ونساعد المستقبل - وقيام الثورة فى يوليو ١٩٥٢ وكذلك تأميم قناة السويس ليهم دلالات كبيرة ستنفعنا فى كل ما نعقد عليه العزم - فى يوم الثورة وفى المعركة الفاصلة فى السويس بيتضح لنا شىء مافيش حاجة نخاف منها مبنخافش والثقة بالنفس والاستعداد واقتحام العقبات يتضحلنا من هذا الدرس أن مافيش لهم بديل غير النضال يصمم على بلوغ اهدافـــه - النقطة الثانية اللى نستخلصها من الثورة والمعركة ان وضوح الهدف واجب أكبر واهم من شروط النصر - يوم الثورة كان فيه المبادىء الستة المعروفة وفى معركة السويس كان فيه وضوح للهدف وهو ان قناة السويس لمصر ومصر لشعبها - يوم الثورة وفى معركة السويس اتضح لنا ان الجماهير وحدها هى القادرة على الوفاء وعلى التحقيق - بدون الجماهير وبدون التأييد الشعبى - يوم ٢٣ يوليو ماكانش يبقى ثورة ولكنه كان يكون انقلاب على السلطة - لكن كون ثورة فى ٢٣ يوليو - فى يوم ٢٣ يوليو كانت تعبر عن آمال وامانى الجماهير - طبعا اندفع الجماهير لتؤيدها لتسقط الملكية التى كانت تمثل تحالف الاقطاع ورأس المال وبهذا سارت الثورة وحققت الكثير من أجل الشعب العامل والنهاردة نحتفل بالعيد الرابع عشر ونستقبل العام الخامس عشر النهاردة بنبنى فى كل مكان اللى جماهير الشعب الشعب العامل صاحب المصلحة الحقيقية فى الثورة تؤيد هذه الثورة - بدون تأييد الجماهير ووضوح الهدف ليها كان تأميم قنال السويس يتحول الى مغامرة - لا امل فيها - وزى ما قلت لكم يوم الغارات ما بدأت على القاهرة انــا قلقت كان بالليل الساعة وخفت لا تتأثر الروح المعنوية فى الشعب لهذه الغارات وكنت عارف ان الانجليز وايدن بالذات كان هدفه السياسى ان يزعزع روح الشعب المعنوية ولكن لما ركبت العربية ونزلت وطلعت فى وسط الضلمة ولقيت الانوار مطفية بالليل وكانت الناس بتنادى بالمقاومة والنضال والحرب - وفى يوم مارحت الازهر يوم ٢ نوفمبر وكانت أيضا الغارات على القاهرة كانت الناس على طول الطريق بتقول حانحارب - الشعب العامل الشعب اللى عارف ان الثورة دى بتاعته وقامت علشان تمشى الفوارق بين الطبقات وقامت علشان تقضى على الاستغلال وتقضى على الاستعمار وتقضى على الاحتلال وقامت علشان ترد له حقوقه - بهذا فعلا استطعنا ان احنا ننتصر فى معركة السويس واحنا كنا مجهزين المقاومة واذا كانم دخلم من بورسعيد لهنا وطبعا قوة بريطانيا وقوة فرنسا قوة كبيرة لا نستطيع ان احنا نقول ان احنا حانقف قصادهم جيش لجيش ولكن حرب التحرير والحرب الشاملة كنا نستطيع ان احنا نقف - لو لم تقف الجماهير أو لو تخاذلت ماكانش اللى حصل حصل بالنسبة للثورة ولا بالنسبة للتأميم ولا بالنسبة لاندحار العدوان وخطط العدوان واندحار مدبرى العدوان .

النصر عمـل شـاق

طبعا من اللى فات ده كله بيتضح ان النصر مش كلام - مش حماسة وانما النصر عمل - عمل شاق - عمل علمى - تضحية ونضال وفداء واستشهاد مانتصرش لما كل واحد يقف فى مكتبه ويتكلم أى كلام - اى واحد ممكن يقعد فى مكتبه ويصور نفسه على انه قادر على اصلاح الكون وانه يقول مش عاجبنى ده ومش عاجبنى ده - الممارسة هى السبيل الوحيد والممارسة عايزه عمل شاق وتضحية ومش حانقدر ابدا ندحر العدوان فى ١٩٥٦ بالكلام لكن استطعنا بالنضال والتضحية والفداء ان احنا ندحر العدوان ما قلناش الكفاية والعدل وامما بس ولكن اممنا وبنينا مصانع - ماقلناش نصدق قانون الاصلاح الزراعى وبس اللى هوه قانون تحديد الملكية ولكن كان لازم بعد كده نصلح الأرض البور ونقيم السد العالى ونصلح أرض جديدة ونستخدم كل نقطة ميه بتروح البحر - النصر عمل شاق - عمل علمى - نجاح نضال وتضحية - مش واحد بس اللى يناضل لازم جماهير الشعب العاملة هى اللى تناضل - قانون الاصلاح الزراعى اللى صدر فى أول الثورة كان اشارة مدروسة الى كل ما هو قادم من تحولات سياسية واجتماعية فى مصر اللى اطلع على هذا القانون فى الأول بيبين انه نحو العدالة الاجتماعية - نحو الاشتراكية نحو اذابة الفوارق بين الطبقات نجاح الادارة المصرية فى قناة السويس كان هو الرد الحاسم على التحدى وهو التأكيد بان الشعب المصرى بطلب ملكية القناة وهذه الملكية حق للشعب المصرى قادر فى نفس الوقت على حسن ادارتها وهى واجب عليه - طبعا عارفين سحب

الفنيين وسحب المرشدين ورغم هذا استطعنا ان احنا ندير القناة ـ الشعب المصرى محمود يونس والناس اللى راحوا معاه الشعب المصرى استطاع انه يحقق الادارة السليمة ـ فى ٢٢ يوليو كانت ليلة الاستيلاء على السلطة فى الجيش ونقل سلطة الدولة بالتالى الى سيطرة قوى الثورة ـ وفى ٢٦ يوليو وجهت سلطة الجيش والدولة معا ضد قمة النظام الحاكم وخرج الملك وبعدها بشهور سقطت اسرة محمد على وتتابعت مراحل الكفاح ـ بعد تأميم قناة السويس لم نقفل باب التفاوض كنا على استعداد للتفاهم ولم نكن على استعدد للتفريط حتى فرض علينا القتال وقاتلنا ـ طبعا كلنا نعرف بعثة مانزيس هنا ـ وطلبوا تدويل القناة وانهم ياخذوها ويهددونا ورفضنا تهديدهم ومانزيس ابتدأ يتكلم فى جلسة كلام يبان ان فيه روح استفزاز وانا كنت قاعد على المكتب وكانوا خمسة من لجنة مانزيس قاعدين حـوالين المكتب وكان منزيس اللى بيتكلم وقالوا انهم جايين يطلعونا نتائج مؤتمر لندن ـ وقابلتهم طبعا بكل ترحيب وبدأ الكلام وقرار التدويل .. وانا رفضت قرار التدويل ـ بعدين بدأ منزيس يهدد بطريقه وقال ان معنى الكلام ده ستقابله ظروف صعبة وانه حايحصل مشاكل لن تستطيعوا ان تواجهوا هذا الكلام وكان بيبان من حركاته ومن وشه ومن عينيه انه بيهددنا لحساب بريطانيا .

لا نقبـل التهـديد

ولكن كان بيبان من حركاته ومن وشه ومن عينيه انه بيهددنا لحساب بريطانيا . وأنا قفلت الورق اللى قدامى وقلت له أنا مش عايز أتكلم معاك . احنا ما بنقبلش التهديد اذا كنتم عايزين تتفاهموا تتفاهموا واذا كنتم عايزين تهددوا انا مابااتكلمش ويبقى الجلسة انتهت .

اتعدل منزيس واعتذروا الناس التانيين وقالوا ان هو لا يقصد شىء من هـذا القبيـل .

باأقول ده ليه ؟ احنا مستعدين للتفاهم مع كل الدول واثبتنا فى قناة السويس بعد التأميم ان احنا مستعدين للتفاهم ورحنا الأمم المتحدة ورحنا مؤتمر وبعثنا مراقب لمؤتمر فى لندن وكنا مستعدين نتفاهم ولكن هم ماكانوش عايزين يتفاهموا . احنا قلنا ان احنا مستعدين أن نتفاهم ولكنا غير مستعدين اطلاقا ان نفرط فى أى حق من حقوقنا .

وعلى هذا الأساس فرض علينا القتال وانتصرنا بعون الله وحفظنا حقوقنا . قدمنا عشان نتتصر ايه ، فيه ناس مننا ماتوا فيه ناس ضحت بارواحها . معنى هـذا ان احنا عشان نتتصر ناضلنا وقاتلنا ومات البعض منا ، استشهد البعض .

ده معناه ان احنا نستطيع ان نواجه اى تحدى فى هذا العالم . مستعدين ان نتفاهم ولسنا على استعداد لأن نفرط .

طبعا يوم ٢٣ يوليو ووقت العدوان فى معركة التاميم الحوادث ما كانتش تحت قيادة مجموعة من الناس اللى أنا اعرفهم بس ، ابدا . ناس لا عدد لهم فى كل مكان معظمهم انا ماأعرفهمش ، لكن بلدهم ، هى بلدى أنا لوحدى ؟ ما هى بلدهم وشرفهم هو شرفى أنـا لوحدى ؟ شرفهم واجبهم كل الناس طلعت ، ناس طلعت فى بورسعيد قاتلوا وماتوا وناس تطوعوا فى الحرس الوطنى وناس لاقوا العذاب وتحدوا الانجليز فى بورسعيد .

طلعت قيادات فى بورسعيد أثناء احتلال الانجليز لهم وكانوا بيعملوا مجلات ومنشورات كانوا بيهاجموا الانجليز وبيقتلوا عساكر .

هل احنا اللى عملنا لهم القيادات دى ؟ لا . ناس مانعرفهمش . ناس من صـميم الشـعب .

الشـعب فيـه قيـادات

اذن الشعب فيه قيادات تستطيع أن تعمل الشىء الكثير بدون أن نعرفهم .

معنى هذا أن القيادات ليست قاصرة على المجمـوعة الموجودة واللى بتشوفوها وبتعرفوها فيه قيادات فى كل مكان استطاعت أن تحقق هذا النصر .

ثورة ٢٣ يوليو والنجاح اللى حققته .

ثورة ٢٣ يوليو والخطوات التى سارت بعد الثورة فيها ناس قادوا التغيير المادى والتغيير الاجتماعى ، غير القيادات المعروفة .

بالنسبة لقناة السويس اللى بيقروا الأيام دى قصة التاميم واللى حصل فى القناة بيشوفوا فيه ناس كانت بتناضل يوم التاميم علشان تعود القناة لمصر ، فيه المرشـدين والمهندسين والعمال فى قناة السويس والموظفين اللى كافحوا وخلـونا قدرنا ننجح نقضى على كل الأساليب اللى كان ايدن بيقولها ان احنا لن نستطيع أن ندير القناة .

الناس دول بيمثلوا قيادات فعلا موجودة .

خطـة طموحة جـدا

معنى هذا ايه .. ولو احنا برضه رجعنا نتكلم عن الماضى تبين ان اللى حصـل فى الماضى ده تأثيره وفائدته حايظهر فى مراحل قادمة باقتحام العقبات بالنضـال بوضوح الهدف بالجماهير بالشعب العامل بالعمل الشاق العلمى المنظم بالمرونة مع متابعة الهدف بمشاركة العدد الأكبر من القيادات فى كل مكان .. بكل ده يتحقق أى هدف ويتاكد اى نصر . الحاجات اللى شفناها فى المرحلة اللى فاتت نستطيع أن نستفيد منها فى المرحلة المقبلة من النضال .. المرحلة المقبلة رغم اللى احنا شفناه ده قد تكون اكثر صعوبة من

المرحلة اللى فاتت لأن آمالنا ومطالبنا النهارده اكثر من آمالنا ومطالبنا من عشر سنين أو من أربعتاشر سنة . قدمنا خطة .. خطة طموحة جدا ومع انتا حاولنا تخفيض عبء الخطة على الشعب العامل بان احنا مدناها من خمس سنين لسبع سنوات لأن احنا حانستثمر أكثر من ٣٠٠٠ مليون جنيه وقلنا استثمار ٣٠٠٠ مليون جنيه فى خمس سنوات قد يتعبنا وخصوصا احنا بنقابل ضغط خارجى وقلنا نمدها سبع سنوات على قد طموح الخطة على قد مشاكل الخطة حاتقابلنا مشاكل كثيرة جدا مشاكل فى الادارة ومشاكل فى البنا ومشاكل فى التصنيع ومشاكل فى النقل ومشاكل فى كل حاجة .

طبعا احنا لازم نسلم لأن على قد الطموح والأمانى لابد ان تكون هناك مشاكل الناس اللى النهارده بيعملوا الحديد من مئات السنين فشلوا فى الأول وفيه شركات قامت وفلست .. احنا مثلا اما نبتدى انتاج الحديد بنقبل ان بيكون عندنا مشاكل بس لازم نحل هذه المشاكل ، احنا لما بنيجى نعمل مصانع بيحصل حاجات .. فيه حاجة من الحاجات جت الالات والمصانع متبناش . حاجة طبعا تضايق انها متأخرة ولكن فيه مشاكل قدامنا بالنسبة لهذا الموضوع كانت موجودة .. الخطة الجاية طموحها كبير ومشاكلها اكثر ومع كده فعندنا المشاكل اللى باقية من الخطة اللى فاتت مشاكل الاستهلاك مشاكل الادارة مشاكل الأسعار برضه مشاكل المواصلات ومشاكل الاسكان كل دى مشاكل نجاح ومشاكل طموح ومشاكل سببها ان ٩٩½٪ من السكان الآن يطلبون الحياة ويرفضون أن تكون حكر بنص فى المائة (½٪) ومهما كانت مشاكل طموح ونجاح فهى مشاكل على كل حال حانقابلها ولازم نعرف .. أما بنقول لكم مثلا زودوا ادخاركم اما مابتزودوش الادخار بتخلقوا لنا مشكلة بتخلقوا تضخم ان احنا عايزين نشغل كل الناس اللى بتتخرج بنشغل كل خريجى الجامعة وبنشغل العمال .. انا قرأت النهارده ان احنا فى السنة اللى فاتت شغلنا حوالى ١٤٠ ألف عامل فرص عمل . اذن على السبع سنين هانبقى شغلنا اكثر من مليون عامل — خريجى الجامعة كلهم بيشتغلوا اتعملت علاوات بالنسبة للموظفين دورية كل سنة كل ده بيسبب زيادة فى الفلوس واذا ماعملناش وحدة انتاج كبير جدا وصدرنا على طول ينتج تضخم ونتيجة التضخم هو زيادة فى الاسعار وندخل فى حلقة مفرغة بالنسبة للاسعار .

الخطة الجاية حاتقابلنا مشاكل خلال عملنا ولكن لابد ان نقبل هذه المشاكل سوف نتعرض ايضا خلال عملنا لضغوط اشد من الضغوط اللى تعرضنا اليها فى الخطة السابقة احنا من أول الثورة واحنا بنقابل ضغوط من سنة ٥٢ علينا ضغوط أجنبية لا يتصورها عقل ولا يتصورها انسان .

اتفاقية القمح الأمريكى

ولكن انا حادى مثل النهارده فى الخطة اللى فاتت كنا نحصل على القمح بعملة مصرية نتيجة لاتفاقية مع امريكا . كنا بناخد كل سنة حوالى ١٠٠ مليون دولار بنعمل اتفاقية بنستورد القمح بندفع الثمن بالجنيه المصرى الربع كانت بتأخذه السفارة الامريكية والتلت تربع ٣/٤ بناخده احنا بقرض تانى علشان نستعمله فى الخدمات . النهارده مافيش اتفاقية مع امريكا الاتفاقية خلصت آخر الشهر اللى فات ولم تجدد اتفاقية جديدة السنة اللى فاتت حصل اتفاقية لست أشهر وكان فيه ست أشهر من غير اتفاقية اذن لازم نرتب نفسنا على ان احنا حانشترى القمح من بره بالعملة الصعبة محتاجين الى قمح بأكثر من ١٠٠ مليون دولار هذا القمح اللى كنا بنستورده الأول بالعملة المحلية مفروض ان احنا نستورده بالعملة الصعبة ده طبعا أمر لازم نعمله احنا شفنا اتقال ان احنا مش ماشيين كويس واتكتب فى الجرايد ووكالات الانباء .. ولذلك امريكا مش حاتدينا القمح لغاية ما نمشى كويس وزعلانين من حاجات مش بينا وبينهم ولكن علشان اتكلمنا على اسرائيل ومفاعلها الذرى واتكلمنا على السعودية واتكلمنا عن الصين بما نشعر به ونؤمن به ورأينا فى هذا بيخالف رأى أمريكا . والكونجرس الامريكى اول امبارح قرر انه مايديناش معونة اجنبية الا اذا كانت هناك مصلحة قومية امريكية تحتم اعطائنا المعونة .

سنحافظ على حريتنا بالدماء

معنى هذا ايه .. ان احنا لازم نبنى خطتنا على اساس الاعتماد على نفسنا طبعا الخمسين مليون دولار دول معناها ان انا حاشترى قمح بخمسين مليون دولار وحنقص الخمسين مليون دولار من حاجات تانية ولكن اذا ماسرناش فى هذا الطريق اذا مارتبناش نفسنا معنى ده ان احنا على استعداد للخضوع والاستسلام . احنا محنش مستعدين نخضع ولا نستسلم ورأينا حنقوله بصراحة وحريتنا سنحافظ عليها بالدماء .. الحرية اللى اشتريناها بالدم لن نبيعها بقمح ولا رز ولا ضره ولا حاجة ابدا .

اذن الخطة اللى جيه فيها مشاكل أكتر . بيقولوا طيب ما كان عندكم القمح بيكفيكم. آه احنا مابنقلش ان القمح نقص انتاجه القمح زاد انتاجه بس انتم زاد انتاجكم فى نفس الوقت . معنى كده ان احنا عندنا كل سنة مليون كنا فى أول الثورة ١٩ مليون النهارده بالصلاة على النبى ٣٠ مليون .

أنا بأقول نشتغل جنب ده معناه ان احنا عايزين قمح مش بس قمح وذرة لان الرقعة الزراعية محدودة عندنا ٥ مليون فدان بعد السد العالى حايبقى ٦٫٥ مليون فدان وبعدين معندناش حاجة تانى غير كده .

وسبيلنا الوحيد بعد كده هو التصنيع فلازم حانستورد قمح من بره . واحنا طبعا تقدر ما نزرعش قطن ونزرع قمح ولكن بهذا تكون السياسة الاقتصادية بتاعتنا سياسة فى قلط لأن القطن اقتصادى اكتر من القمح وبيدى دخل اكتر من دخل القمح .

لا بديل للثورة

اذن المرحلة اللى جيه الخطة اللى جيه بمشاكلها والضغوط اللى حانقابلها حاتكون يمكن مشاكل وضغوط اكتر من الخطة اللى فاتت .

المرحلة القادمة وطموحها السياسى والاقتصادى والاجتماعى نحن نحتاج الى كل الدلالات التى ستطيع استخلاصها من الثورة معركة القنال . نحتاج دائما الى وضوح الرؤية ونحتاج الى عملفكرى مستمر يرتفع الى مستوى التحديات نحتاج الى نضال وعمل قادر متحرر يملك الفعل ويملك رد الفعل . مقدمناش بديل وانا النهارده بنعتمد على انفسنا مبناخدش مساعدة من حد بنبنى بلدنا بدرعنا والسبيل الوحيد هو السير فى الثورة ليس هناك دليل لاستمرار الثورة فكرا وعملا تجربة وانجازا وتحقيقا وتاكيدا . الثورة فى كل المجالات والعمل فى كل المجالات . مقدمناش بديل للانطلاق فى التنمية بأسرع ما يمكن لا نستطيع التوقف أو التردد قد نقبل بالانكماش ستة أشهر أو سنة لنعيد ترتيب أوضاعنا.

احنا عملين سياسة انكماشية يمكن فى هذه المرحلة قد تمتد الى ستة أشهر وقد تمتد الى سنة ولكن ده لن يكون السياسة المقررة لينا على طول لان معنى ده ان احنا ما نعملش حاجة . لازم ننطلق فى التنمية بأسرع ما يمكن عشان نقيم المجتمع الجديد اللى احنا عايزينه لازم ننطلق بكل قوة . اذا انكمشنا ستة اشهر أو سنة مقدرش ننكمش أكثر من ذلك زى ماقلت الرقعة الزراعية محدودة اذن التنمية الصناعية املنا الكبير .

الخطة اللى فاتت استثمرنا فى الصناعة والكهرباء حوالى ٥٨٥ مليون جنيه الخطة الجديدة ١٣٦٠ مليون جنيه .

الزراعة قاعدة اساسية لابد من تطويرها فى الخطة اللى فاتت كان ٣٥٠ مليون جنيه استثمار فى الخطة دى ٦٠٠ مليون جنيه فى الزراعة والرى .

اذن مقدمناش بديل ان احنانرفع الانتاج عشان ازود مستوى المعيشة وارفع مستوى المعيشة لازم ارفع الانتاج . واذا كنا بنزيد بمعدل ٢ر٧ مانقدرش نرفع الانتاج بمعدل ٢ر٧ وان معنى هذا ان الحال حايفضل على ما هو عليه . واحنا كان قرارنا وتصميمنا الى ان احنا نرفع الانتاج بمعدل ٨٪ سنويا اذن معنى هذا ان بيزيد فعلا مستوى الدخل بالنسبة للفرد سنويا ٥٪ لأن مع الزياده ٢ر٧ يبقى الفرق ٥٪ طبعا معنى ده ايه ؟ معنى ده لازم تكون فيه آثار تضخمية موجودة لأن بنزل فلوس ومابنخدش منها ناتج وقلنا نزلنا فلوس فىالسد العالى ونزلنا فلوس فى مشاريع بـ ٤٠٠ مليون جنيه فى الخطة اللى فاتت اللى هى ١٥٠٠ مليون جنيه لسه ماجبناش منها عائد الأرض اللى صلحناها لسه ماجاش منها عائد الآن فيهفلوس بدون عائد اذن بيشتد الطلب بدون ناتج اذن بيكون فيه تضخم .

ولا بديل لزيادة التنمية

مفيش بديل على ان احنا نمشى فى التنمية ونزود الانتاج فى الصناعة والكهرباء السيد رئيس الوزارة رئيس لجنة تحديد النسل ارجو انكم تسمعوا كلامه فى هذا الموضوع وتطبقوا الخطة اللى عاملها بالنسبة للتنمية الاجتماعية يعنى الاسرة اللى بتخلف عدد كبير من الأطفال مابتقدرش توفر لكل هذا العدد العيشة الكريمة المقبولة اذن الاقتصاد فى الخلفة خير على العيلة وخير على الوطن .

وزى مابقول لكم مفيش داعى نخلف اولاد وتبقى معتلة الصحة لأن أهلها مهياش قادرة تصرف عليها .

طبعا الرزق على الله ده كلام عارفينه ولكن ربنا قال طبعا ان احنابنعتمد عليه ولكن لازم نعمل . والنبى قال اعقلها وتوكل ماقولش اتكل على الله وسيبها تتوه منك فانا مش عايزكم تتوهوا بالزيادةفى النسل نبص نلاقى الخطة ناهت مننا الحقيقة موضوع جد جدا لما نطلع أكبر نسبة فى العالم بعد الباكستان فى زيادة السكان طبعا نتيجة لهذا حانعوز قمح أكثر ونعوز أكل أكتر لان احنا من ناحية الاكل معندناش كفاية ذاتية ده يساعدنا على ان احنا لما نعمل التنمية فعلا التنمية بتنجح وبتدى اثر لكن مع الزيادة الهائلة فى السكان التنمية مابتبانش .. مابتديش الاثر المطلوب .

حايبقى عندنا مشاكل وكل يعمل على حل هذه المشاكل مفيش بديل امامنا من ان احنا نسير فى التنمية وفى الصناعة فى الزراعة ولازم أيضا نعمل ثورة فى الادارة نغير اوضاع الادار ةتغيير اساسى ناس كتير بتشتكى من الادارة والادارة تمثل اخطر مشاكلنا الآن واحنا عايزين نعمل ثورة فى الادارة الدليل الواضح امامنا هو تجاربنا الواقعة محناش عايزين مستشارين اجانب وكتب وكلام من ده ابدا آدى تجاربنا ونجيب الناس ونسأل على مشاكل الادارة ونحل هذه المشاكل .

زى ما بنينا السد العالى بالروح العالية اللى كل العالم بيشيد بيها .

زى ما ادرنا القناة بالكفاية العالية لازم هذه الروح تنحط فى كل مشروع وفى كل موقع عمل .

وعلى هذا الأساس تستطيع ان تنجح مفيش بديل للبشر ولحماسة البشر لازم نحرك حوافز البشر المادية والمعنوية حوافز كل انسان لازم تتحرك الناحية الروحية والناحية المعنوية ثم ناحية الحافز . الناس مهياش طوب الناس مهياش آلات الناس عايزه الكلمة والتوجيه والمكافأة حتى يمكن قد تكون الكلمة الطيبة مقبولة وبهذا نشتغل .

والحوافز اذا وضعت فى اطارها الاجتماعى الصحيح وبرئت من الاستغلال ومظنات الاستغلال أكثر جدوى من الروادع من كل أجهزة الرقابة اذن واحنا بنعمل الثورة الادارية لازم نشوف هذا الموضوع ونضع فى اعتبارنا ان الانسان يحتاج الى الناحية المعنوية والناحية الروحية تحتاج الى الحوافز لكى يعمل .

فى الفترة القادمة امامنا مجالات للعمل السياسى يجب ان نتحرك فيها .

الاتحاد الاشتراكى أثبت وجوده

بهذه المناسبة باتكلم على الاتحاد الاشتراكى فى الفترة الأخيرة الاتحاد لاشتراكى فعلا أثبت وجوده فى كل مكان أثبت وجوده بان التنظيمات القيادية والجماعات القيادية الموجودة والمكاتب التنفيذية اتحركت فى مجالاتها كشفت الاقطاع وكشفت الاستغلال كشفت الانحراف .

وده شىء يبشر بالأمل الكبير .

عايزين طبعا التوسع فى قواعد الاتحاد الاشتراكى ولا نقبل ان يفضل بيننا منحرف واى لجنة فيها واحد ينحرف لازم تتكلم اللجنة دى وتعمل على اخراجه محدش يجامل الثانى ويجب فعلا ان احنا ندى الأجيال الجديدة والشباب مسئولياتها . المسئولية ايه ؟ طيب الشباب بتدريبهم حايعملوا ايه ؟ لكن هم بيسألوا أنا باعتقد ان كل واحد يستطيع أن يعمل فى وطنه ما يمكن من تغيير مستقبل هذا الوطن فى مجاله .

أستاذ الجامعة لو بيدرس فى الجامعة ويحضر المحاضرات وميبقبشى لو بيدى الطلبة المقرر لو بيفهمهم بيطلع ناس يؤثروا على مستقبل هذا البلد . الشاب اللى موجود فى حته لو بيفهم الناس وبيوعى الناس ويعتقد انه مناضل مكافح من أجل أهداف عليا مش من اجل فلان ولا اجل علان اهداف عليا واضحة امامنا وعايزين نحققها ويحارب الانحراف فى مكانه بهذا يكون الشاب يعمل العمل اللى الوطن بيطلبه منه .

اذن المرحلة القادمة سنشاهد فيها استكمال بناء الاتحاد الاشتراكى وايضا قيام اللجنة المركزية للاتحاد الاشتراكى .

بالأمس قامت اللجنة المركزية للشباب لسه الاتحاد الاشتراكى اللجنة المركزية لم تتم وبعد كده تتجه الى مؤتمر قومى للاتحاد الاشتراكى لكن عشان نعمل المؤتمر لازم يتم النظر فى كل القيادات لغاية القرية والوحدات الجماهيرية والوحدات الاساسية .

النشاط اللى موجود النهاردة يدعو الى الاعجاب ويبشر بالأمل . وقدامنا عمل فى المستقبل نعمله . والاتحاد الاشتراكى اكثر واصعب من العمل اللى عملناه لغاية دلوقت .

واحنا باستمرار الحقيقة يمكن النقد كان اكثر من التقريظ . انا برضه بالنسبة للجرائد وبالنسبة للمجلات الآن ان فيه نقد للاتحاد الاشتراكى وانا باأقول انه يجب انهم ينقدوا . ونقد أيضا للقطاع العام لدرجة يمكن بتتعدى المعنى المطلوب وبرضه باأقول بنسيبهم ينقدوا .

تقييم لا تجميد الثورة

ولكن فى نفس الوقت مانتساش نقرأ هذا النقد ان فيه عوامل ايجابية وعوامل طيبة موجودة . فيه الاتحاد الاشتراكى يستطيع الاتحاد الاشتراكى النهارده ان يتصل بالجماهير وان يحرك الجماهير وان ياخذ منها ويعطيها ويفهم مشاكلها ويحلها . والنجاح اللى وصل اليه الاتحاد الاشتراكى يبشر بالأمل فى المستقبل وكل اللى ارجوه ان احنا بالعمل والهمة اللى مشينابها نستطيع ان نضاعفها فى المستقبل مانتخاذلش ، خصوصا بالنسبة للشباب لأن الشباب دول هم اللى بيمثلوا الأجيال القادمة اللى ستأخذ القيادة لهذه الثورة وستسير بها نحو بناء المجتمع الجديد .

لأن احنا لن نستطيع فى حياتنا ان احنا نبنى المجتمع الجديد اللى احنا بنقول عليه لأن زى ما باأقول ان فيه بلاد قضت مئات السنين وهى بتبنى هذا المجتمع اذا كنت باأقول سأذيب الفوارق بين الطبقات وادى الناس كلها حياة الرفاهية هل نستطيع ان احنا ننتظر هذا اليوم ؟ لا . لأن الجيل الجديد هو اللى حاياخذ المسئولية من اجل تحقيق هذا الهدف .

فى المرحلة القادمة أيضا لازم نشوف عملية تقييم الثورة . الدستور الدائم ، مجلس الأمة النهارده بيعمل فى الدستور الدائم . سلطات الدولة وعلاقاتها ببعضها وعلاقات الأفراد ببعضها أى علينا خلال الفترة القادمة ان نتم بناء مؤسسات الدولة الرسمية والشعبية وان تتحدد الحدود والعلاقات . والدولة ليست ارادات فرد أو أفراد وانما هى مؤسسات رسمية وشعبية تعبر كل منها عن مصلحة عامة وعن هدف عام .

وأما نقول ان احنا علينا فى المرحلة القادمة ان نقنن للثورة ليس معنى هذا ان احنا بنجمد الثورة .

وأما نقول ان احنا عاوزين نبني المؤسسات ونحدد عملها مش معنى هذا ان احنا بنمنع التطور .

تعمير مؤسسات الدولة عن المصلحة العامة والهدف العام لا يلغى التوجيه الانسانى وقدرته المبدعة . عمل القوانين ، قلنا برضه قبل كده ان احنا عايزين نلغى القوانين القديمة ونعمل قوانين جديدة ، فيه قوانين قديمة من اللى كانت قبل الثورة هى اللى بتسبب يمكن اللخبطة الادارية ولخبطات كثيرة موجودة ، كل دى لازم نلغيها . اذن المرحلة القادمة عايزين نتجه نحو تقييم الثورة فى كل المجالات .

الثورة مستمرة ودولة الثورة لابد ان تقوم على أسلم الأسس وأصلب القواعد . أسلم الأسس وأصلب القواعد هو الدستور والقوانين وتنظيم مؤسسات الدولة والعلاقة بين هذه المؤسسات ، يجب أيضا ان نعمل على قيام جيل جديد من القيادات فى كل مجال .

يجب ايضا أن نعمل على توسيع الحكم المحلى . ويجب أن نقيم الديموقراطية الفعلية .. وهذا يعنى المجالس الشعبية اللى تكلمنا عليها فى الميثاق . ويجب ان نقيم سيطرة الشعب على الخدمات وده كلام أيضا جه فى الميثاق .

اذن لا زال قدامنا عمليات كبيرة جدا بالنسبة للبناء فى الصناعة والزراعة والادارة وبناء الدولة والبناء السياسى .

ثم نصفى كل الجيوب الباقية من الاستغلال الاقطاعى أو الرأسمالى أو النفوذ . وقرأتم وتابعتم كلكم فى الصحف ان فيه بقايا اقطاع موجودة .

لا تمس الميثاق أو الملكية

فيه مخالفات لقانون الاصلاح الزراعى الأول ، الاجراءات اللى اتخذت كلها اجراءات متعلقة بقانون الاصلاح الزراعى الأول وقانون الاصلاح الزراعى الثانى لا علاقة لها بحدود الميثاق المقررة ولا بحق الملكية فى حد ذاته ، أبدا . القرارات دى أيضا اتخذت ضد الناس اللى بيمارسوا الارهاب فى الريف . موجودين هنا فيكم ناس كتير من الريف وعارفين ان فيه ناس بتستغل لأن عندها ارض وناس بتستغل لأنها تعتمد على الاجرام . والحوادث اللى الواحد قرأها لم يكن يتصورها . واحد غفير مثلا وكان بياخذ اتاوات ومن الاتاوات عمل ثروة ٣٠٠ فدان .

الناس اللى وقفوا فى وجه الاقطاعيين فيه ناس قتلوا والقيت جثثهم فى شوارع القرى وقيدت الحوادث ضد مجهول لأن الناس خافت تشهد عارفين احنا فى الريف بيحصل ايه . واحد مثقف تمردوا بجسمه كله وخدوه الى المقابر ودفنوه فى المقبرة دفنوا جسمه كله وخلوا راسه بس طالعه وقعدوه هناك طول الليل والصبح طبعا الراجل كان من التعذيب ومن العمليات دى فقد عقله .

حوادث أطلب ايضا من المشير عبد الحكيم عامر انه ينشر لكم هذه الحوادث علشان تعرفوا قد ايه الاقطاع والارهاب كان بيعمل عندنا فى الريف . لا نستطيع ان نتكلم عن الحرية والريف مش حر .

اذن لابد ان نصفى الاقطاع تصفية كاملة وده عمل لجنة تصفية الاقطاع .

وزى ما قلت بنصفى الاقطاع فى القرية ، بنصفيه فى الاتحاد الاشتراكى ، الاقطاع والاستغلال والاجرام ، بنصفيه فى الجمعيات التعاونية ، بنصفيه فى كل مكان .

واللجنة دى لجنة مستمرة لن ينتهى عملها . ستبقى باستمرار .

بعد كده علينا ايضا فى المرحلة الجاية ان احنا نقوم الانحراف . الناس فيها الكويس وفيها الوحش وفيه ناس بتنحرف اذن اللى بينحرف لا نرحمه ويجب ان نقوم الانحراف . والانحراف بيظهر على اشكال مختلفة واشكال متعددة ولكنا نستطيع الحقيقة برضه خلال العمل السياسى ان احنا نعرف الانحراف ونقوم الانحراف .

اهتمام اكبر بالجامعات

وأيضا يجب ان نهتم اهتمام اكبر فى المرحلة القادمة بالجامعات . والجامعات هى اللى بتخرج لنا الجيل الجديد اللى بنعتمد عليه فى البناء واللى بنعتمد عليه فى القيادة السياسية وفى البناء السياسى وانا مع الناس اللى بيقولوا ان مستقبل التطور يرتكز على دعامتين ، المجالس الشعبية المنتخبة اللى نص عليها الميثاق والجامعات أيضا تقوم بدورها كما نص عليه الميثاق سواء بالنسبة للمناهج ، بالنسبة للتعليم أو بالنسبة للادوات بالنسبة للمعامل أو بالنسبة للكتب ، بالنسبة للمكتبات ، واعتقد ان ده موضوع مهم جدا والتوفير فيه خسارة مش مكسب .

وانتهز الفرصة للكلام عن الجامعات واتجه الى اخواننا المبعوثين الموجودين هنا وان شاء الله فى أثناء وجودهم هنا حاجتمع معاهم واتكلم معاهم ولكن الكلمة اللى احب اقولها النهارده ان بلدهم هنا اهلهم ، ابهاتهم امهاتهم اخوانهم ، شعبهم يعلق عليهم أهمية كبيرة لانه منتظر انهم يجوا يقوموا بدور كبير فى عملية البناء ، احنا هنا طبعا شعب ماقصرش من ناحية واجبه نحوهم ضحى سواء بالنسبة للدراسة أو بالنسبة للجامعة أو بالنسبة للارسال فى بعثات للخارج ، برضه بتروحوا تشوفوا فرنساوتشوفوا المانيا احنا لا احنا فرنسا ولا احنا المانيا . احنا لسه بنى مر وقها وقليوب كدا يعنى . ونشوف القاهرة واللى

موجود فى القاهرة وتلاقى اكثركم جى من الريف واكترنا كلنا جايين من الريف علينا مسئولية ان احنا نمول بلدنا زى البلاد اللى اتعلم فيها هو دى اللى انت تقدر تديه لبلدك. لكن اللى يرجع من بره من الريف الانجليزى ، وانا باسمع انا مارحتش انجلترا بيقولوا الريف الانجليزى جميل جدا . ويجى هنا يقرف من الريف المصرى ويقول انا شايف الجاموس والبقر والى آخر الحاجات اللى انتم عارفينها دى والتراب والعفرة والترعة مانقدرش نقرف من منبتنا ، من الأرض اللى احنا اتخلقنا فيها ، عايزين نعمل الريف بتاعنا زى الريف الانجليزى . هو ده اللى احنا عايزين نعمله . هل بيقدر نقول له بتعمل .. أبدا لازم نشتغل ونعمل وندخل كهرباء ونصنع ونعمل زراعة ذات اقتصاد قوى .

فى حماية جيش قوى

معنى كلامى ده كله ان العمل السياسى يجب أن ينمو ويصبح قادرا بالديموقراطية على الاحتفاظ بسلطة الدولة دائما بتحالف قوى الشعب العاملة بدون حاجة الى أى جراء استثنائى . لابد ان نهيىء أنفسنا للوضع الطبيعى الوضع الذى نحمل من داخله عوامل استمراره وضوابط استقراره وحوافز حركته ودوافع تقدمه كل ده يجب أن يحميه جيش قوى ، الجيش الوطنى القوى اللى قلنا عليه فى المبادىء الستة ، القوات المسلحة قامت بدور قوى قامت بالثورة فى ٢٣ يوليو ، اشتركت فى معارك الثورة ، اشتركت فى العمل من أجل التطور الاجتماعى والاقتصادى ، اشتركت فى الدعم العربى والقومى ، والآمال للامة العربية كلها فى حماية رادع قادر على الحركة .

الجيش المصرى يمثل رادع قادر على الحركة ، وعندنا المثل فى اليمن استطاع الجيش المصرى ان يتحرك الى ليمن وان يعمل ويحافظ على الثورة اليمنية .

موقفنا من العمل العربى

انتقل الآن الى العمل العربى . وحينما اتكلم عن العمل العربى انتهز هذه الفرصة واعبر عن سرورنا لحل مشكلة الاكراد فى العراق . وحنا كنا دائما ننادى بالحل السلمى بين ابناء الوطن الواحد وقد استطاع العراق ، حكومة العراق ان تصل الى اتفاق لحل سلمى وده عمل تشكر عليه وعمل يشعرنا ان الجرح اللى كان يستنزف قوة العراق يندمل ويبقى العراق قوة وسند للعالم العربى .

أيضا اما اتكلم عن العمل العربى أشير الى العدوان الاسرائيلى الأخير يوم الخميس اللى قبل اللى فات على سوريا .

وأقول ان السوريين استطاعت طائراتهم ان تواجه العدوان ولكن اسرائيل هى أداة للعدوان واداة للاستعمار . واحنا مستعدين فى سبيل مواجهة اسرائيل ان احنا ننسق أكثر عملنا مع الحكومة السورية حتى نستطيع ان نواجه العدوان فى جبهة واحدة . العدوان على سوريا هو عدوان على الوطن العربى كله .

واذا تكلمت عن العمل العربى ، اعتقد انكم عايزين تسمعوا رأينا فى مؤتمرات القمة وسياسة مؤتمرات القمة .

فى آخر ٦٣ دعيت الى مؤتمرات القمة وكان السبب من الدعوة الى مؤتمرات القمة توحيد العمل من أجل فلسطين لأن الدول العربية كانت مختلفة وكانت متنابذة وكان فيه انقسام واضح بين الدول العربية وكان مجلس الجامعة العربية ومجلس الدفاع لا يحقق أى شىء .

وعلى هذا الاساس وجدنا ان الواجب الوطنى يدعونا الى ان نطالب باجتماع مؤتمر لقادة الدول العربية لبحث موضوع فلسطين وبحث موضوع تهديد اسرائيل وبحث الموضوعات التى تمكننا من وحدة العمل من أجل فلسطين وتحرير فلسطين . واجتمع المؤتمر الأول فى سنة ٦٣ .

تناقضات فى الدول العربية

طبعا كنا نعرف ان فيه تباين فى الدول العربية . فيه دول رجعية وفيه دول متحررة وفيه دول لها مصلحة مرتبطة مع المصالح الاستعمارية وفيه دول على الحياد بين هذا وبين ذاك .

اذن فيه تناقضات موجودة فى الدول العربية .

كنا نتساءل هل هذه التناقضات الموجودة بين الدول العربية تعيقنا عن العمل من أجل فلسطين ؟ وكان رأيى ان هذه التناقضات رغم وجودها لكن يجب أن نتناساها ونحاول مع الدول العربية كلها بتناقضاتها المختلفة ان نعمل من أجل فلسطين وقد يشعر كل واحد ان قضية فلسطين هى القضية الأولى .

وعلى هذا الأساس اجتمع المؤتمر الأول ثم بعد هذا اجتمع المؤتمر الثانى فى اسكندرية ثم بعد كده اجتمع المؤتمر الثالث فى الدار البيضاء واستمرت المؤتمرات وكان هناك نوع من التفاهم ونوع من التعايش .

ولكن فى السنة الأخيرة وبالذات بعد مؤتمر الدار البيضاء بدأت تظهر فى الجو العربى حاجات جديدة .

ظهر ان احنا كنا عايزين ان نقيم وحدة عمل عربى من ا جل فلسطين وعلى هذا هاجمنا الرجعية العربية على اساس ان الرجعية العربية ستشترك فى هذه الوحدة وقلنا ان كل واحد مسئول عن بلده وان يكون هناك تعايش بين الأنظمة العربية المختلفة .

هل نفذت الرجعية العربية هذا الكلام أو لم تنفذه ، احنا نفذنا هذا الكلام ماهاجمناش حد ولا تآمرناش على حد ولا انتهزنا هذه الفرصة لنطعن حد فى الظهر .

ولكن فى السنة الأخيرة ظهر ان الرجعية العربية تحاول استغلال مؤتمرات القمة اللى تنص على وحدة العمل من أجل فلسطين وتقيم وحدة من القوى الرجعية ضد القوى الثورية وضد الجمهورية العربية المتحدة .

٥ مليون للدعاية ضدنا

طبعا ظاهر ان الحرية السياسية لازم بتتبعها حرية اجتماعية .. بدأت حملات علينا وصرفت أموال .. يصرف فى امريكا خمسة مليون جنيه لمؤسسة امريكية من الدول الرجعية العربية بالذات من السعودية علشان تعمل دعاية ضدنا توزعها فى امريكا وتوزعها فى الكونجرس الامريكى وهذه الدعاية مفهاش ولا كلمة ضد اسرائيل كل الكلام اللى فيها ضد الجمهورية العربية المتحدة . تطبع كتب وطعن فى الاشتراكية والجمهورية العربية المتحدة .

أما راحوا الحجاج فى السعودية السنة دى وموجود منهم ناس بينكم هنا عملت ضدنا حملة دعاية واتوزعت منشورات وكتب كلها كذب وكلها افتراءات وكل ده سارت فيه الرجعية العربية اللى احنا هادناها ولكنها ترى الخطر فى المبادىء والكلام اللى احنا بنتكلمه وترى ان العدالة الاجتماعية ستقضى على الاستغلال اللى بتقوم بيه ، طبعا بعد كده بدأت عملية المؤتمر الاسلامى او الحلف الاسلامى وموضوع الحلف الاسلامى ده موضوع مش جديد ان موضوع الحلف الاسلامى ده فى سنة ٥٧ اما سعود رجع من امريكا قالوا له الأمريكان اعمل حلف اسلامى علشان تجمد التطور اللى موجود فى العالم العربى وجه سعود اتكلم معنا وايزنهاور كتب هذا الكلام فى مذكراته .

الاسلام ثورة

اذن الحلف الاسلامى موجه ضدنا . موجه ضد قوى التحرر وقوى الثورة فى العالم العربى طبعا الاسلام قوة دافعة الاسلام ثورة .. التضامن الاسلامى نحن فى اشد الحاجة اليه ازاى نعمل من أجل الاسلام اذا كنا عايزين نعمل من أجل الاسلام نتجه نحو الدين ومش نحو الاستغلال السياسى والاجتماعى نعمل مؤتمر لعلماء الدين الحقيقيين نعمل مراكز الفكر الدينى فعلا مانجمعش السماسرة والارهابيين من حزب الاخوان المسلمين والمرتشين والمتاجرين وانا اقدر احط اسماء للمرتشين والمتاجرين اللى بيجتمعوا فيما يسمى النهاردة بالمؤتمر الاسلامى أو رابطة المؤتمر الاسلامى ولكن كل الناس عرفاهم وانا مش عايز اقول اسماء ممكن علماء المسلمين يجتمعوا فى الأزهر الشريف فى القاهرة او فى الحرم فى مكة أو فى المسجد الأقصى فى القدس احنا على استعداد لهذا بنقول اه ده فعلا اسلام مش دجل ولا استخدام اسلام فى السياسة اما ان يجتمع علشان يبحث فى الشئون الدينية شاه ايران وكلنا نعرف ان شاه ايران ما يعرف حاجة فى الدين وواقف فى وجه رجال الدين فى بلده وبيقضى اكتر اوقاته واجازاته بره فى أوربا ولا يمكن ان شاه ايران هو اللى يقعد علشان يحكى لنا فى الدين الاسلامى ويقول لنا ايه هو الدين الاسلامى اللى احنا نتبعه لان شاه ايران مش رجل دين ولكنه رجل سياسى يجلس ثانى مين بورقيبة . طب بورقيبة اده فتوى بافطار رمضان وابطل الصوم فى رمضان ونادى بالصلح مع اسرائيل بورقيبة عميل و « مهووس » وحانجيب واحد عميل و « مهووس » وتقول له اقعد اتكلم فى الدين لا يمكن اذا كنا .

أنا باقول مهووس مش عايز اقول مجنون .

اذا كان المؤتمر الاسلامى بهذا الشكل اما بيجوا يقولوا رؤساء دول اسلامية ويقعدوا على طول أول رؤساء الدول ما يقعدوا يبقى الوضع سياسى ميبقاش ابدا وضع دينى ممكن يكون وضع اقتصادى ممكن يكون وضع اجتماعى .

أما الحلف الاسلامى أو المؤتمر الاسلامى فهو عملية هدفها الاساسى وضع البلاد العربية داخل مناطق النفوذ الاستعمارية وهو البديل لحلف بغداد .

الرجعية تستغل مؤتمر القمة

طبعا الرجعية العربية تآمرت رغم مؤتمرات القمة على ثورة اليمن واحنا انذرنا ان احنا سنضرب قواعد العدوان وتآمرت الرجعية العربية على ثورة الجنوب العربى وتواطات مع الانجليز برضه لاحظنا فى السنة الأخيرة تعاون مطلق بين الرجعية العربية وقوى الاستعمار وان فيه تعاون وتضامن بينهم للعمل ضد القومية العربية وقوى الثورة والتحرر العربى .

صفقات السلاح المشبوهة التى تستهدف العرب ولا تستهدف عدو العرب بدليل ان الاسلحة اللى بيديها لبعض العرب هو الذى يعطيها لاعداء العرب اللى سلح اسرائيل هوه اللى بيسلح السعودية هوه اللى بيسلح الدول الرجعية الموجودة فى المنطقة .

الطيارين الانجليز وانتوا قرأتم أول امبارح كلام عن الطيارين الانجليز والاتفاق بين السعودية وبريطانيا على ان بريطانيا تهديها طيارين انجليز وفيه طبعا بعثة عسكرية أمريكية وفيه ايضا بعثة عسكرية انجليزية .

اذن السنة اللى فاتت الرجعية انتهزت فرصة مؤتمرات القمة لتتآمر ضد القوى الوطنية العربية ولتتعامل مع الاستعمار وتوحد مخططاتها مع مخططات الاستعمار وتستر نفسها تحت اسم المؤتمر الاسلامى .

هل المؤتمرات حققت الهدف

اذن يحق لنا ان نبحث هل فعلا مؤتمرات القمة حققت الهدف منها :

والا الهدف منها كان هدف طيب سامى ولكن الهدف لم يتحقق بدل وحدة العرب من اجل فلسطين وحدة الرجعية ضد القوى الثورية العربية ووحدة الرجعية مع الاستعمار.

سألنا نفسنا السؤال ايه الجدوى ان احنا نروح ونحضر المؤتمر وده الجو هانروح نقعد . ونقعد نقول لبعض ازيك سلامات ازى الصحة ونشرب قهوة ونشرب شاى ويتعمل عزايم ونطلع ومعنى هذا اناحنا برأنا العناصر الرجعية براءة كاملة من التهم اللى يدينهم بيها الشعب العربى فى كل مكان .

اذا اتكلمنا ودخلنا ونسفنا المؤتمر بان احنا حانصارح الرجعية بكل الأعمال اللى بتقوم بيها ونقيم عليها الاتهام معنى هذا ان المؤتمر بينتهى وبيتفشكل وبتكون نهاية سيئة وفيه نتيجة لهذا المؤتمر مؤسسات تعتبر انها مؤسسات مفيدة وعزيزة علينا اولا منظمة التحرير وجيش فلسطين والقيادة العربية الموحدة . وهيئة استثمار روافد نهر الاردن وبأعمال لها فائدة وأخيرا استقر رأينا على الآتى :

لن نذهب للمؤتمر القادم

فى هذا الجو الحالى اللى بتقوم فيه الرجعية متعاونة مع الاستعمار فى العمل ضد القوى الوطنية العربية وترى أنها استفادت من مؤتمرات القمة لتنتقل من مرحلة الدفاع الى مرحلة الهجوم على القوى الوطنيةالعربية ـ اذن احنا لا نستطيع ان نجلس هذه القوى التحريرية مع هذه القوى الرجعية فى مؤتمرات قمة قادمة والا معنى هذا ان احنا بنديها (تصفيق حاد) . معنى هذا ان احنا بنديهم رد اعتبار رغم التهم المسلطة والملقاة فوق رءوسنا معنى هذا ان احنا ـ الجمهورية العربية المتحدة لن نذهب الى مؤتمر القمة القادم ـ ولكن مش معنى ده ان احنا انسحبنا من مؤتمرات القمة احنا طلبنا من الدول العربية واتصلنا بها وحانطلب من الجامعة العربية ان يؤجل مؤتمر القمة الى أجل غير مسمى ـ والله اذا انتهت هذه الاساليب التى تظهر منها تحالف الرجعية مع الاستعمار ضد القوى الوطنية العربية بدلا من وحدة العمل من أجل فلسطين اذا رجعنا وشفنا ان فيه امكانية وحصل كلام شرف واتفاقات حقيقية على عدم الغدر . والسير فى الطريق السليم كان بها ـ يبقى فيه فرصة لعقد المؤتمر أما ذا سارت الأمور على الشكل اللى هية ماشية عليه النهاردة اذن المؤتمر حيكون بالنسبة لنا ـ لا يمكن لنا ن احنا نحضره ـ واذا ارادوا باقى الدول ان همه يعقدوا المؤتمر يعقدوا المؤنمر ولكنا لم نستطع ابدا ان نحضر هذا المؤتمر والحال على ما هو عليه الشىء اللى انا ذكرته لكم الرجعية العربية تستفيد من المؤتمروتضرب القوى الثورية العربية ـ طبعا ده سيحرمنا من زيارة ارض الأبطال فى الجزائر الذين كان مقررا ان يعقد المؤتمر فى عاصمتهم لكننا نثق ان الفرصة التى سوف نجمعنا قريبا ـ كما اننا نثق فى تقديرهم ـ تقدير اخواننا الجزائريين لكل الظروف والملابسات ـ الرجعيةسيئة النية ، الاستعمار يساندها واحنا بعد هذا سوف نتعاون فى اطار الجامعة العربية وخارج اطار الجامعة العربية مع الذين نشعر أننا على صلة بهم من وحدة الهدف ووحدة الهدف ليست وحدة دستورية وحدة الهدف تحقق الاستقلال الكامل ـ ادراك ضرورة التطلع الى العدل الاجتماعى والعمل له ـ وحدة الهدف وهذا ما نسعى اليه ـ وموقفنا مع أمانى الشعوب العربية بغير حد وبغير تحرج وبغير تردد وامام اية مخاطر استعدادنا بصرف النظر عن اى اتفاقيات مكتوبة وبصرف النظر عن الأنظمة الاجتماعية الى الاشتراك فى الدفاع عن اى ارض بلد عربى ضد اى عدوان اسرائيلى أو استعمارى ونحن بالنسبة لسوريا على استعداد لتنسيق الدفاع معاها ـ ذلك ثبت وتأكد فى كل الظروف ـ ده بالنسبة للموقف العربى ورأينا بالنسبة لمؤتمرات القمة .

نسعى للسلام

بالنسبة للعالم كله نحن نسعى الى ايجاد علاقات طيبة مع العالم كله ، ونحن نهتم بحركة التحرير الوطنى فى آسيا وافريقيا وامريكا اللاتينية ونحن نهتم بعدم الانحياز وسعينا لتأكيد وتجديد مفاهيمه ، وعدم الانحياز هو الموقف المستقل ازاء اى قضية متحررة من ا ىالتزام سبق الا التزام المبادىء وحدها ـ طبعاً كلنا نشعر النهاردة ان الموقفبيتدهور واخطر شىء النهاردة فى تدهور الموقف هو ما يحدث فى فيتنام ـ طبعا العدوان الأمريكى على فيتنام الشمالية يؤثر تأثيرا كبيرا عى امكانية حل المشكلة بالطريق السلمى ـ نحن نعمل من اجل السلام ولكننا لا نستطيع غير ان ندين سياسة القوة وان نندد بالعدوان ـ الشعوب لا تستطيع ان تقرر مصيرها تحت القنابل ولا انتبنى حياتها وسط الدمار والحرب ـ الشعوب فى كل مكان تريد السلام ـ لكن السلام لا يقوم الا على العدل وعلى الحق ـ شعبنا ـ الشعب العربى يدرك أكثر من غيره مقتضيات البناء وأهمها توفير جو السلام شعبنا يدرك أكثر من غيره انه بغير المبادىء لا يقوم سلام ـ ونحن أيها الأخوة نثق فى حتمية انتصار المبادىء ان شعبنا عاش سنوات نضاله الثورى كلها تحت راية المبادىء ، وتحت راية المبادىء انتصر وسوف ينتصر بمشيئة الله دائما لان مبادىء الحقوالعدل ـ مبادىء السلام والخير هى لمحات من ارادة الله عز وجل وفقكم الله والسلام عليكم ورحمة الله .

العالم الإسلامي في شهر

أخبار ✯ أحداث ✯ تعليقات

الأستاذ محمود الكوني

* ٦٠٠ مليون مسلم التقت قلوبهم بالبطل جمال عبد الناصر في ٢٣ يوليو
(القاهرة)

* ضباط يهود ينظمون تدريبات جوية بالطائرات الأمريكية فوق الكعبة المشرفة والبيت الحرام
(السعودية)

● القاهرة :
احتفلت الجمهورية العربية المتحدة بعيد ثورتها الرابع عشر .. والتقت قلوب ٦٠٠ مليون مسلم عبر العالم الاسلامي على خريطة القارات الخمس بالقائد .. البطل .. الامل .. الرجل .. جمال عبد الناصر وهو يتحدث اليهم عن ايمانه العميق بوحدة المسلمين ، وحدة اسلامية حقيقية بعيدة عن المزايدات السياسية ، وبعيدا عن الاحلاف الصليبية .. والاعلام الاستعمارية ..

وقد فتحت القاهرة قلبها لتستقبل مئات من زعماء العرب والمسلمين الذين شاركوا الشعب العربي افراحه وانتصاراته في العيد الوطني العربي الكبير

وقد اشترك ألوف من الطلاب المسلمين الوافدين الذين يمثلون ٧٢ دولة من انحاء العالم الاسلامي في المهرجانات الوطنية الكبرى التي اقامها المجلس الاعلى للشئون الاسلامية لهذا الفرض في مقره الرئيسي بالقاهرة وفي معسكر ابي بكر الصديق بالاسكندرية وتناوب الحديث الى الشباب في هذه المناسبة كل من المهندس احمد عبده الشرباصي نائب رئيس الوزراء وفضيلة الاستاذ الكبير الشيخ احمد حسن الباقوري والاستاذ محمد توفيق عويضة السكرتير العام للمجلس الاعلى للشئون الاسلامية وكبار علماء الأزهر وأساتذة الجامعات

كما اصدر المجلس بهذه المناسبة الجزء الاول من « موسوعة جمال عبد الناصر للفقه الاسلامي وهي اول موسوعة فقهية اشترك في تحريرها الف عالم من علماء المسلمين يمثلون مختلف المذاهب والبلاد الاسلامية ، وستصدر في خمسين جزءا وتوزع على جميع الهيئات العلمية والشعبية والمراكز الاسلامية ، والجامعات في انحاء العالم لتكون اول مرجع للباحثين

● وفي العراق :
يبذل الخبراء العرب مجهودا كبيرا في مشروعي استصلاح مليون فدان زراعي بالعراق ، وشق الترع والمصارف ، واقامة قناة كركوك حيث يجرى العمل بمهارة فائقة في سرعة الانتهاء من المشروعين الكبيرين . اللذين لا يقلان اهمية عن المشروع الخطير الذي يقوم به الخبراء العرب من ابناء الجمهورية العربية المتحدة في « سد المخيبة » بالأردن .

● وفي فلسطين

بدأ جيش منظمة التحرير الفلسطينية يتضاعف عوده عقب التصريحات الهامة التي اعلنها السيد الرئيس جمال عبد الناصر في خطابه الوطني في عيد الثورة .. وقد تكدست لدى منظمة التحرير الفلسطينية الاف الرسائل من المجاهدين المتطوعين الراغبين في الانخراط في سلك جيش التحرير الفلسطيني مما اضطر المنظمة الى انشاء مكتب خاص لتصنيف هذه الرغبات وتنسيقها .. وتسجيلها في سجلات كتائب جيش التحرير

● وفي الكويت

قررت حكومة الكويت انشاء اكبر محطة اذاعة في العالم واطلاق اسم « صوت الكويت » عليها ، وسيتم استلام معداتها واجهزتها في منتصف العام القادم ١٩٦٧

● وفي عدن

كشف ثوار الجنوب المحتل عن مخطط استعماري انجليزي جديد وضعته بريطانيا وامريكا للمنطقة العربية لتنفيذه بعد انهيار قواعدها العسكرية في كل من عدن والعراق ، ومصر .

وقد مد الثوار نشاطهم الى المحميات الشرقية — ردا على هذا المخطط الجديد — وتمكن المجاهدون من قتل الكولونيل جواى المساعد السابق للجنرال جلوب والقائد البريطاني في حضرموت الواقعة على بعد ٢٦٠ ميلا شرقي جنوب عدن

● وفي باكستان

وجهت الجامعة القاسمية بكراتش الدعوة الى الشيخ محمود الحصري شيخ مشايخ عموم المقارىء العربية بالجمهورية العربية المتحدة للاشراف على « محفل تلاوة القرآن الكريم » الذي يقام لمدة ٢٠ يوما في كل من باكستان الغربية والشرقية ، وطلبت اليه ان يصحب معه الشيخين محمد صديق المنشاوي ، وعبد الباسط عبد الصمد .

وقد بعث الشيخ الحصري الى السيد محمد اصف قاسمى مؤسس الجامعة القاسمية وسكرتيرها العام بتحديد الموعد خلال شهري رجب وشعبان او بعد عيد الفطر المبارك .

أضواء على المسلمين في العالم

الإسلام والمسلمون في بورما

إعداد الأستاذ رياض خليفة

أخى القارىء :

ونعود مرة أخرى الى آسيا وفى الجنوب الشرقى لهذه القارة العتيدة وفى بورما سنلتقى على صفحات منبر الاسلام كما عودتك مع أخوة جدد تهمك معرفة كل شىء عنهم على ما بيننا وبينهم من فوارق المسافة ولكنهم معنا الان : مسلمو بورما وأيضا ستعرف كل شىء عن بورما : جغرافيا وسياسيا وتاريخ الاسلام فى هذه البلاد البعيدة ولمحات عن الحياة العامة لمسلمى بورما اليوم وحياتهم ومدارسهم ومساجدهم وكل ماتود معرفته . واليك أولا :

« كل شىء عن بورما »

وتقع بورما فى الجنوب الشرقى لقارة آسيا وفى الجزء الذى كان يسمى قديما بالهند الصينية وجمهورية بورما تحد شمالا بالصين والتبت وشرقا بسيام وبعض الممالك وجنوبا بخليج البنغال وغربا بباكستان .

وتبلغ مساحتها ٢٦١ر٧٨٩ ميلا مربعا وسكانها حوالى ٢٠ مليونا ٧٠٪ منهم من بورما انحدروا اليها من زمن بعيد من غربى الصين والتبت كما هاجر اليها كثير من الهنود والصينيين ويعيش فيها أكثر من عشرة الاف أوروبى .

وسكان بورما يعتنقون عدة ديانات نذكر منها البوذية والوثنية والاسلام والهندوكية والمسيحية وغيرها ويقدر عدد المسلمين بحوالى ثلاثة ملايين نسمة .

و « رانجون » هى العاصمة الرسمية لبورما وبها حوالى مليون نسمة ومن أهم المدن هناك « مندلاى » و « مولين » و « أكياب » و « ماكتيلا » و «شويبو » .

وليست هناك احصاءات دقيقة تبين نسبة توزيع المسلمين فى البلاد يوجد أكثر من ١٥٠ الف مسلم فى « رانجون » العاصمة كما يوجد كثير منهم فى مدينتى « مندلاى » و « اكياب » ٧٪ من المسلمين برمويون يتبعون عادات السكان الاصليين فى ملابسهم ومساكنهم ، ولغتهم البرموية سهلة يقول الخبراء انه يمكن تعلمها بسهولة وفى مدة قصيرة لقلة حروفها ومن المسلمين أيضا جاليات هندية وأخرى صينية .

وقد اعترف باتحاد بورما كدولة ذات كيان سياسى مستقل فى يناير سنة ١٩٤٨ ففى ذلك اليوم تسلم السلطة « ساوشوى ثايك » أول رئيس لجمهورية بورما من السير « هوبرت رانس » اخر الحكام البريطانيين.

وتألفت الوزارة الجديدة واقسمت اليمين ثم صدق مجلس النواب على المعاهدة بين بورما وبريطانيا التى نصت على استقلال بورما خارج نطاق الكومنولث ورئيس الجمهورية دكتور بو الذى انتخب فى ١٢ مارس ١٩٥٢ وكان رئيس الوزراء اذ ذاك السيد أونو وقد تسلم الجيش مؤخرا مقاليد الامور فى البلاد.

وبورما دولة بوذية ومعظم سكانها من البوذيين ولكن المسلمين فيها يتمتعون بالمساواة القانونية مع جميع المواطنين فى الحقوق والواجبات الاجتماعية والسياسية والفرص الاقتصادية مفتوحة أمام الجميع على قدم المساواة دن تفرقة .

وقبل الثورة الاخيرة فى بورما والتى ألغت البرلمان كان يشترك فى الوزارة وزير مسلم كما كان لهم فى برلمان بورما خمسة من النواب (أربعة رجال وسيدة) من بين أعضائه البالغ عددهم ٣٠٠ عضو .

وما زالت النائبة السابقة السيدة المسلمة (سوشوى) تخدم طنها ودينها فى ميدان الحياة السياسية والاجتماعية ومن المسلمين فى بورما كذلك بعض كبار التجار وعدد لايستهان به من المدرسين فى مختلف المراحل وأساتذة الجامعات ومن بين الهنود المسلمين فى بورما طبقة مثقفة راقية فمنهم الاطباء والمحامون ومنهم أساتذة فى جامعة رانجون فى الطبيعة والكيمياء وفى الرياضة وعلم النفس ورئيسة قسم الانتروفولجى فى هذه الجامعة سيدة مسلمة . وهناك مجموعة كبيرة من الطلبة المسلمين والمسلمات وعدد كبير من خريجى الجامعة من النساء يشتغلن بالطب وغيره .

وتلعب العنصرية بين مجموعات المسلمين فى بورما دورا كبيرا فالهنود فى جانب والمسلمون البرمويون فى جانب اخر يشعر بصلتهم نحو البرمويين البوذيين وليس للمسلمين من أهل بورما من النفوذ والسلطان بل ولا من التعليم ما للهنود الذين نجحوا نجاحا كبيرا فى الميادين الاقتصادية والسياسية والاجتماعية كما سبق أن ذكرت .

ولعل من أهم أسباب الخلاف بين المسلمين والبوذيين ذبح الحيوان فهو محرم عند البوذيين ويشتد النزاع بنوع خاص فى المواسم والاعياد حيث يكثر ذبح الحيوان.

الاسلام وتاريخه فى بورما

وقد دخل الاسلام الى هذه البلاد كما دخل تايلاند والممالك المجاورة لها عن طريق الدول الاسلامية المحيطة بالمنطقة وأخصها الهند . وقد انتشر الاسلام فى أيام الحكم المغولى الذى سيطر على الهند من سنة ١٥٢٦ - ١٨٥٧ م

فقد قدم الاسلام الى بورما عن طريق التجار العرب الذين كانوا يحطون رحالهم عند الشواطىء .

لكنه انتشر فى أعقاب عام ١٢٨٧ م عندما غزا المسلمون التتار من الصين وبورما وخلعوا ملكها عن العرش وفى أثناء حكم « أورانجزيب » قدم أخوه « سوجا » فارا من أخيه ومعه رجاله واستوطنوا (أراكان) عند حدود « شيتا جونج » ولكن نشبت المعركة بين هؤلاء وملك « أراكان » البوذى الذى تغلب على القادمين وقتل

معظمهم ومن بقى منهم سالما أقصى داخل البلاد حيث عاشوا ونشروا الدين الحنيف .

المسلمون فى بورما اليوم

والمسلمون فى بورما اليوم يعيشون فى هدوء تام والحكومة متسامحة معهم ولهذا يؤثرون ألا يكونوا حزبا سياسيا خاصا حتى لا يعتبروا منفصلين عن الغالبية وهم يعاملون بالقانون الاسلامى فى الاحوال الشخصية.

وهناك حالات من تعدد الزوجات ولكنها قليلة كما أن الطلاق نادر أيضا .

والمسلمون فى بورما يدفعون الزكاة عن أموالهم وأنفسهم من تلقاء أنفسهم ويتولون ارسالها الى الجمعية التى يريدونها من الجمعيات الاسلامية وذلك الى جوار الضرائب القانونية التى يدفعونها للحكومة كمواطنين .

وجميع المسلمين فى بورما من أهل السنة ويتعبدون على مذهب الامام أبى حنيفة مما يقوى الصلة بينهم وبين الهند التى تصدر لهم ثقافتهم خصوصا من المنطقة الجنوبية ، وهم يعملون منذ عامين على ترجمة تفسير القرآن الى اللغة البورمية وقد تم فعلا ترجمة تفسير ونشر الاربعة الاجزاء الاولى منه ويجرى الان نشر الجزأين الخامس والسادس وقد تم ترجمة ستة عشر جزءا وتتم مراجعة هذه الترجمة بدقة تامة وامانة لجنة متخصصة يستغرق عملها شهورا فى مراجعة الجزء الواحد .

الحركة التعليمية والمدارس

والتعليم العام فى الدولة مجانى ومختلط فى جميع المراحل وفى بورما جامعتان احداهما فى « رانجون » والاخرى فى « مندلاى » وتضم الجامعتان كل أنواع الكليات المعروفة غير أن التعليم الدينى غير معروف فى مدارس الحكومة ولهذا اضطر المسلمون الى انشاء مدارس لتعليم الدين الاسلامى غير أن أكثرها يشبه الكتاتيب وهى ملحقة بالمساجد ويوجد نحو ٥٠٠ مدرسة ابتدائية وثانوية ومدرسة خاصة للبنات .

وفى « رانجون » أربعة معاهد عالية دينية منها معهد « زينة الاسلام » للفتيات وهناك مدرسة دار العلوم سنة ١٩٣٦ وتقوم فى ضواحى رانجون ويرأس مجلس ادارتها المفتى الاعظم للمسلمين ولها مدير أو شيخ كما يلقبونه ويتلقى فيها الطالبات القرآن وتفسيره والحديث والاصول والادب والفقه والمنطق والهندسة واللغات الاوروبية والانجليزية .

وقد اتجه المسلمون أخيرا الى اعادة فتح الكتاتيب التى أغلق أكثرها لقلة مواردها المالية كما اتجهوا الى انشاء مدارس اسلامية تدرس البرامج التى تضعها الدولة لمدارسها ثم تدرس الدين فى غير أوقات الدراسة العادية ومن هذه المدارس مدرسة خاصة للبنات كما توجد فى « أكياب » مدرسة تسمى تكميل العلوم ومدرسة فى « بوتهى دنج » يؤمها الطلبة من أقصى البلاد ومدرسة « اشاعة اسلام » فى « نول » وعلى العموم فان مستوى التعليم الدينى محدود جدا .

النشاط الاجتماعى والثقافى لمسلمى بورما

وتصدر فى « رانجون » صحيفتان اسلاميتان الاولى اسمها « الدور الجديد » والاخرى تسمى « بارواز » والى جوار ذلك تصدر مجلة المسلم البورمى وهى جميعا تهتم بمعالجة شئون بورما فى مختلف الميادين العامة والقومية وقد ترجم تفسير القرآن الى اللغة البورمية

وأسست كثير من المدارس الدينية بهمة المصلح الكبير والرجل التقى مولانا عبد الغفار صالح وتعلم فيها اللغتان الاوردية والعربية .

والمؤسسات الاسلامية الخاصة فى بورما ليست كثيرة العدد ولكنها كبيرة الحجم مما يدل على الترابط والتنظيم .

وللمسلمين فى بورما ثلاث جمعيات دينية كبرى واحدة اسمها « المسلم البورمى » ولها عدة فروع وهى تصدر مجلة معروفة باسمها باللغة البورمية والثانية اسمها « جمعية المجلس الاعلى للشئون الاسلامية البورمية » وهى ذات نشاط ثقافى وتربوى اسلامى واسع وهى تسهم فى ترجمة الكتب الاسلامية الى اللغة البورمية والثالثة اسمها « جمعية الاتحاد الاسلامى المالى المركزى » ولهذا الاتحاد نشاط واسع وبلغت ميزانيته فى عام ١٩٦٢ حوالى مليونين من العملة البورمية وتشكل الزكاة المورد الرئيسى لهذا الاتحاد كما تشكل نفس المورد فى الجمعيتين الاخريين ومسلمو بورما شديدو التمسك بالتقاليد الدينية والمحافظة عليها واحتفالهم بشهر رمضان المعظم يستمر طول الشهر كله وما أن يصلى شبابهم صلاة التراويح حتى يجتمعون فى الاماكن العامة ويأخذون فى عقد الندوات الثقافية لمناقشة أمور الدين والدنيا .

المساجد وأشهر الجمعيات الاسلامية

وفى بورما مساجد كثيرة اذ يوجد منها فى «رانجون» ٣٦٥ مسجدا كما يوجد فى « اكياب » ٥٠ مسجدا ويولى المسلمون هناك عنايتهم بالمساجد والمدارس وان من يدقق النظر فى نسبة المساجد يرى أنه يوجد مسجد لكل ألف شخص وفى أحيان كثيرة ترتفع هذه النسبة وهم شديدو الاهتمام بالثقافة الاسلامية فكل مدينة أو قرية يوجد بها مسلمون لابد أن يوجد فيها غالبا مركز اسلامى ثقافى أو مدرسة وتزيد معاهدهم الاسلامية الكبرى عن عشرين معهدا والمسلمون يتولون نفقاتها بواسطة جمعياتهم هناك التى من أشهرها .

١ - الجمعية الاسلامية ويرأسها الشيخ محمد رشيد وتشرف هذه الجمعية على ترجمة القرآن كما تشرف على ملجأ للايتام يضم نحو ٦٠ تلميذا نصفهم من مدرسة بورما الاسلامية العليا .

٢ - جمعية الطلبة المسلمين ولها مجلة سنوية وأهدافها ثقافية محضة .

٣ - جبهة العلماء وهدفها نشر الدعوة الاسلامية بين المسلمين .

وهناك مستشفى اسلامى فى رانجون ساعدت الحكومة المصرية فى بنائه .

هذا والجمهورية العربية المتحدة على صلة طيبة ببورما وقد أرسل الازهر اثنين من علمائه الى الملايو وقد زارا هذه البلاد لتفقد الشئون الدينية والعلمية فيها .

وفدت أول بعثة من طلاب بورما الى الازهر سنة ١٩٥٦ وكانت مكونة من طالبين وقد زاد عدد الطلاب الان زيادة تدعو الى التفاؤل وتبشر بالخير ويتقاضى كل منهم ٨ جنيهات شهريا من مصر الى جانب الاقامة والمأكل ذلك عدا الرعاية الطبية والاجتماعية والثقافية .

وبعد :

فهذه لمحات يسيرة عن الاسلام والمسلمين فى بورما ذلك الجزء البعيد من العالم تعرضنا فى هذه اللمحات لبيان الجوانب الاساسية لحياة هؤلاء الاشقاء هناك ونرجو بهذا أن تزيد روابطنا بهم كرباط الدين المتين ونسأل الله الكريم للاسلام عزا ونصرا وانتصارا شاملا انه خير مسئول وأعظم مأمول والى اللقاء .

المخدرات في نظر الدين والطب والقانون

إعداد : عبدالقادر فيوض ، يوسف الرويني

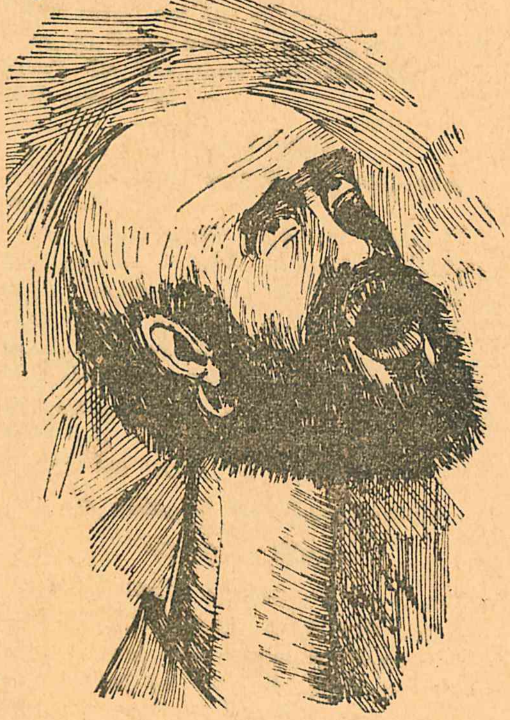

جاء الاسلام وكان من اهدافه بناء مجتمع متكامل الجوانب مجتمع سليم من كل ما يعيق أبناءه عن أداء رسالتهم فى هذه الحياة فأمر بالمحافظة على الابدان والعقول والأموال وحرم كل ما من شأنه أن يثبط همة المسلم عن الحركة ويقعده عن الكسب • قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : المؤمن القوى خير واحب الى الله من المؤمن الضعيف وقد تنبه المسلمون الاوائل الى حكمة الدين فى ذلك فامتنعوا عن الخمر وغيرها من الخبائث فدانت لهم الدنيا ولكن خلف من بعدهم خلف عموا وتعاموا عن حكمة الدين فانفقوا الأموال فى غير ما فائدة تعود عليهم وعلى مجتمعهم فأتاهم الضعف وأصابهم وهن فى العقول والابدان .. وما اجدرنا اليوم ونحن امة تبنى امجادها ان نتبين حكمة الدين ونلتزم بتشريعاته الحكيمة فى بناء المجتمع المثالى المنشود •

وقد جاء الميثاق مؤكدا ذلك فقال :

ان الاسرة هى الخلية الاولى للمجتمع ولابد ان تتوافر لها كل أسباب الحماية التى تمكنها من ان تكون حافظة للتقليد الوطنى مجددة لنسيجه متحركة بالمجتمع كله ومعه الى غايات النضال الوطنى »

فيا أخى العربى فى كل مكان .. اليك حقائق رهيبة نضعها امام بصيرتك ويجليها لك اساتذة متخصصون • وسنناقش النقاط التالية :

- ما هو رأى الدين فى متعاطى المخدرات ؟ أهى حرام ؟
- بائعها ومشتريها فى نظر الدين •
- الاموال التى تحقق عن طريق الاتجار بالمخدرات •
- ما هو أثر المخدرات على الجسم البشرى؟
- ما اثرها على العقل وعلى سائر الانسجة الجسمية والاعضاء التناسلية ؟
- متعاطى المخدرات كيف ينظر اليه علماء النفس ؟

معنا فى هذه المناقشة :

فضيلة الشيخ محمد الحسينى هاشم •

فضيلة الشيخ محمد سيد جاد الحق •

الاستاذ الدكتور محمد حافظ موسى أستاذ الامراض الباطنية بطب القصر العينى

الاستاذ الدكتور ابو الفتوح رضوان وكيل كلية التربية •

الدكتور احمد جامع •

الدكتور حامد حفنى داود •

دعـــوة باطلة

يستند الذين يتعاطون المخدرات على عدم وجود نص صريح فى القرآن والسنة يدل على تحريمها فما حكم الله فى ذلك ؟؟

يقول فضيلة الشيخ محمد الحسينى هاشم

ان الذين يقولون بان القرآن والسنة لم يرد فيهما نص بتحريم المخدرات لايفهمون روح الشريعة الاسلامية وقواعدها العامة التى تندرج تحتها الجزئيات المتماثلة وهؤلاء الذين اتخذوا اهواءهم سـبيلا من دون الله فضلوا عن السبيل المستقيم ·

رأى ابن رشـد

يقول الامام ابن رشد معلوم عند العلماء وأهـل اللغة أن الخمر انما سميت خمرا لمخامرتها العقل فوجب أن تنطلق اسم الخمر لغة على كل ماخامر العقل وهـذا الذى يقرره ابن رشد ليس بغريب عن الشرع فقد روى الامام البخارى فى كتابه التاريخ الصغير بالسـند المتصل عن رسول الله أنه قال : الخمر ماخامر العقل

وروى الامام مسلم عن ابن عمر رضى الله عنهما : ان النبى صلى الله عليه وسلم قال : كل مسكر خمر وكل خمر حرام » واخرج الترمذى وأبو داود والنسائى عن جابر بن عبد الله أن رسول الله صلى الله عليـه وسلم قال : ما أسكر كثيره فقليله حرام »

فكل ما خدر العقل وغطاه وقلل نشاطه وعطله عن أداء مهمته من النشاط العلمى والتفكير فى آلاء الله والسعى فى عمارة الكون يكون قد خامر العقل فيكون خمرا ويأخذ حكم الخمر ·

والمخدرات تخدر العقل وتخامره والعقل مصباح الحياة ومركزا للتدبير ونعمة الله الكبرى بها ينظم الانسان معاملته على أساس سليم · مع المجتمع ومع نفسـه ومع ربه فاذا تعسر وثقل فقد أفسد كل هذه العلائق فحلت العداوة والبغضاء وغفل عن ذكر الله ومن هنا كان تحريم الخمر « انما الخمر والميسر والانصـاب والازلام رجس من عمل الشيطان فاجتنبوه لعلكم تفلحون انما يريد الشيطان أن يوقع بينكم العداوة والبغضاء فى الخمر والميسر ويصدكم عن ذكر الله وعن الصلاة فهل أنتم منتهون » ·

ويقول فضيلة الشيخ محمد سيد جاد الحق ·

المخدرات أسلحة فتاكة جاء بها التتار حين أغاروا على بغداد لافساد عقول الشرقيين والقضاء على قوميتهم ووحدتهم وبذلك يتم لهم ما أرادوه للقضـاء على تلك البلاد بهذا السلاح الفتاك · والصهيونية لاتفتـأ بين الحين والحين عن ارسال سمومها القاتلة عن طريق تلك المخدرات التى تعمل جاهدة على نشرها بين جميـع الشرقيين قاطبة حيث تراها معول هـدم فى عقـول الشرقيين وعزائمهم والشريعة الاسلامية تؤاخذ كل من غيب عقله متعمدا بجميع مايجترحه من الجرائم لاتفرقة بينه وبين الصاحى المتعمد فهى تحرم جناية الانسان على نفسه كما تحرم جنايته على غيره ويقول بعض الناس انه لايوجد نص يحرم الحشيش

التحريم صريحا فى القرآن والسنة

وأنا أقول ان التحريم جاء فى الاحاديث الصريحـة واشار اليه القرآن يقول ابن حجر الهيثمى فى الزواجر : والحشيشة المعروفة حرام كالخمر يحد أكلها كما يحد شارب الخمر وهى أخبث من الخمر لانها تفسد العقل والمزاج افسادا عجيبا حتى يحدث من تعاطيها تخنث قبيح فلا يصير له شىء من المروءة ويشاهد من أحواله خشونة الطبع وفساده وانقلابه الى اشر من طبيعة النساء ويرى آخرون من العلماء التعزير أكلها ومما يقوى القول بالحد ان أكلها ينتشى ويشتهيها كالخمر وأكثـر حتى لايصبر عنها وتصده عن ذكر الله وعن الصلاة مع ما فيها من تلك القبائح ·

وسبب اختلاف العلماء فى الحديث وفى نجاستها كونها جامدة مطعومة وليست شرابا فقيل هى نجسه كالخمر وهو الصحيح عند الحنابلة وبعض الشافعية لانها لم تكن على عهد السلف من متقدمى الامة الاسلامية · وأما أحسن ما قيل

فأكلها وزاعمهـا حلالا
فتلك على الشقى مصيبتان

فوالله ما فرح ابليس بمثل فرحته بالحشيشة حيث زينها للنفوس الخبيثة

أدلة التحـريم

وسنورد أدلة التحريم التى وعدنا بها فنقول : روى أبو داود فى سننه فقال نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن كل مسكر ومفتر » قال الخطابى البستى : المفتر كل شراب يخدر ويورث الفتور فى الاعضاء : ويقول الرسول صلى الله عليه وسلم لاضرر ولا ضرار وهذا دليل السنة أما دليل الكتاب فقوله تعالى ويحرم عليهم الخبائث » وهى خبيثـة ·

وقوله تعالى انما يريد الشيطان أن يوقـع بينكم العداوة والبغضاء فى الخمر والميسر » الآية وهـذه العلة ، موجودة فيها لانها مظنة لذلك ، وأيضا ·

عمر بن الخطاب ومعاذ بن جبل رضى الله عنهما قالا يارسول الله الخمر مسلبة للعقل مذهبة للمال وهـذه العلة موجودة فيها ·

من واقع الحياة

ويستدرك فضيلة الشيخ الحسينى هاشم فيقول فى حرمة المخدرات ·

أخبرنى طبيب بمحافظة الشرقية منذ أسابيع بأنه قد حضر اليه شخص فى حالة اعياء واغماء لعمل اسعافات له ولكن الاسعافات لم تفلح فقد كانت الحالة عصبيـة قاسية ثم تبين أن السبب هو كثرة تعاطى كمية من الحشيش وهذا يؤكد لنا بانه سم بطىء بل وسـم عاجل وانتحار عند كثرته وهذا يؤكد حرمته تحريما قطعيا ويعتبر أنه يسكر كثيرة فقليله حرام لان الرسول قال ما أسكر كثيره فقليله حرام ، بل يفيد أنه يصل الى درجة الموت · والله يقول « ولا تقتلوا أنفسكم »

تاجر المخدرات عدو نفسه ومجتمعه متعاون مع الأعداء

نعرف أن المخدرات استعملت بدءا لقتـل معنويات الشعب العربى وتفتيت قوته وبعثرة أمواله واليوم نعرف أن اسرائيل هى المصدر الوحيد فى تصدير المخدرات فما حكم الدين فيمن يتعامل مع الاعداء فضلا عن أنه يتعامل فيما حرمته الشريعة والقانون

يقول فضيلة الشيخ سيد جاد الحق :

الحقيقة والواقع يؤكدان جناية المخدرات على الانسانية فكل من عاون على نشر هذه السموم فانه خائن لله ولرسوله ووطنه والعالم العربى بأسره بل هو عـدو للانسانية وجزاءه قد ضمنه الله فى أوضح آياته

حكم الله

قال تعالى : « انما جزاء الذين يحاربون الله ورسوله ويسعون فى الارض فسادا أن يقتلوا أو يصلبوا أو

تقطع أيديهم وأرجلهم من خلاف أو ينفوا من الارض والله يقول الحق وهو يهدى السبيل »

مال تاجر المخدرات

ان كل كسب أتى بطريق غير شرعى فهو فى نظر الدين حرام ولا خير فيه ولا بركة بل سيحاسب عليــه صاحبه حسابا عسيرا وفى الحديث يسأل ابن أدم عن ثلاث : عمره فيما أفناه وماله من أين اكتسبه وفيما انفقه .

مع الطب

ويقول الطب كلمتــه على لسان رجل من كبار الاطباء المتخصصين هو الاستاذ الدكتور أحمد حافظ موسى أستاذ الامراض الباطنية بالقصر العينى فماذا يقول

يدعى مدمن المخدرات بأنها تهدىء الاعصاب وباعثة للنشاط والتفكير السليم فهل هذا الزعم يصدق علميا؟

ان دعوى مدمن المخدرات بانها تهدىء الاعصاب فان ذلك يمكن الوصول اليه بطريقة أسلم اذا ما عولجت أسباب الاضطراب وأمراض الاعصاب واستعملت العقاقير اللازمة لعلاجها بدل من استعمال المخدرات .

أضرار جسيمة

فان المخدرات لها أضرار كثيرة منها على سبيل المثال لا الحصر :

انها تخفى أعراض الامراض عن الشخص وعن الطبيب كما أنها تحتاج الى زيادة مطردة فى عملية المخدر مما يصيب الجسم بتسمم وعادة يصعب التخلص منها

أما الادعاء بان المخدرات تساعد على النشاط

فانه كالادعاء السابق هروب من الحياة ومن الاسباب الحقيقية للضعف الجنسى مما يجعل فائدتها وقتيــة والمثابر على استعمالها تحيله الى الضرر ولا تفيد الا بجروح كبيرة كما أسلفنا .

أما الادعاء الثالث بأنها تساعد على التفكير

فان هذه الظاهرة لاتحدث الا باستعمال المخدر بكميات قليلة ثم بعد ذلك تحيل التفكير وتزيل شخصية المدمن بحيث تصبح كل تصرفاته تنبىء عن تعاطيه للمخــدر واستعادة المخدر للتفكير

أما الاضرار الناتجة عن تناول المخدرات فهى :

تحدث اضطراب فى الجهاز الهضمى والتنفس نتيجــة الاقلال من المأكولات واضطراب الاجهــزة العصبيــة الدقيقة المنظمة لعملية الهضم والامتصاص والتنفس مما يحدث اضطرابات وظائفية عضوية لهذه الاجهزة وبخاصة بعد أن كانت المخدرات تعطى عن طريقيهما سواء بتناولها بالفم والاستنشاق « الجوزة » أو السجاير مما يحدث التهابات مدمنة لكلا الجهازين مما يجعل الشخص لايدرى بالمكان الذى يكون فيه مما يعرضه لتغيرات الطقس مما يساعد على احتقانات تساعد على زيادة التهابات المعدية والرئوية المزمنة أو الحادة ، كما أن تكاليف تعاطيها والتغالى فى استعمال المخدرات تجعل الشخص يهمل فى تعاطى الغذاء اللازم مما يسبب الامراض الناتجة عن نقص الاغذية . كما أن بعض المخدرات كالافيون وغيره تحدث امساك وتقلصات بالقولون والكبد مما يجعل الشخــص معرضا لمضاعفات واضطراب هذه الاحشاء وتجعله عرضة للاصابة بالامراض وخاصة فى الصيف .

وضع المدمنين

كما لايخفى أن ايقاف استعمال المخدرات للمدمنين بدون رقابة طبية تحدث أيضا أعراضا بالجهاز الهضمى كثيرا ما تشتبه مع امراض اخرى وتؤدى الى اجراء عمليات جراحية لا لزوم لها .

علم النفس والمخدرات

والمتحدث الينا الان هو احد اساتذة علم النفس هو الاستاذ الدكتور ابو الفتوح رضوان وكيل كلية التربية جامعة عين شمس .

يدعى بعض مدمنى المخدرات ان فى تعاطيها راحــة لاعصابهم وهروبا من مشاكلهم فما صحة هذه الدعوى

طريقة حيوانية

لاشك أن الذى يهرب من مشاكله بوسائل الهروب الدنيئة متخفيا وراء لفافة تبغ حاجبا عن ذاته حيــاته وأموره بعيدا عن الرجولة والمروءة انما هو انسان الى الحيوانية أقرب ويجب عليه أن يربأ بنفسه عن هــذه الاشياء التافهة الخبيثة فان المخدر موت بطىء بدارى الحياة ويقلل من حيويتها وقدرتها وانطلاقها ففى الموت راحة من المشاكل ولكن هل هذا هو الطريق الســليم للحياة .

وتطرقنا الى نقطة هامة .

هل يستطيع علم النفس فى مجتمعنا الحالى أن يقدم علاجا لمدمنى المخدرات بعد ماثبت أن العقاب البدنى أو المادى غير حاسم لعلاج هذه المشكلة يقول الدكتــور ابو الفتوح رضوان .

يجب أن يتم علاج المــدمنين فى عيادات خاصــة ومتخصصة وأساس العلاج فى مثل هذه المؤسســات هو ابعاد المريض عن فرص تناول المخدرات ومعذلك فانه لاغنى فى هذا العلاج عن الجانب النفسى

ضعف فى الشخصية

فالداء كله قائم على ضعف فى الارادة ولذلك يجب أن يصحب المنع عملية بناء الارادة . ارادة المريض عن طريق اشعاره بالانتصار على العادة السيئة بالتدريج

فابطال تعاطى المخدرات يجب أن يتم بالتدريج وفى كل خطوة انقاص القدر الذى يتعاطاه بحيث يلفت نظره الى أنه استطاع أن يقاوم ان انتصر فى طريق منعه وشعوره بالانتصار يقوى شخصيته ويدفع النفس الى الهجوم على العادة والقضاء عليها .

نرى أن هذا المرض يتفشى فى الاسر محدودة الدخل فهل هناك أسباب نفسية لتفسير ذلك وما هى الانعكاسات الناشئة عن ذلك بالنسبة للافراد والاسرة يقول الدكتور ابو الفتوح رضوان .

لاشك أن هذا المرض ينتشر فى الاسر محدودى الدخل وأسباب ذلك أن هناك ارتباطا بين ضعف الدخل وعدم الوعى وانعدام الهوايات النافعة فى وقت الفراغ كما أن هناك ارتباطا بين الفشل فى الحياة والاحباط كما يقول علماء النفس .

الجهل وضعف الوعى

ولا شك أن الجهل وضعف الوعى من الدوافع لتناول المخدرات واذا وجدنا بين الميسورين من تفشى فيهم هذه العادة فذلك عن انعدام الوعى وضعفه والفشل فى الحياة يمكن أن يوجد فى حالات بعض المتعلمين والموسرين ولا شك أن ادمان الاب والام ينعكس على الاطفال عن طريق التعليم ومحاكاته البيئة .

نحن نبنى مجتمعا صناعيا ولا يمكن ان نجنى فائدته الا بقوة سواعد بنيه فما هى الوسائل التى يقدمها المصنع أو الوحدة الانتاجية لتجنيب العاملين اخطار هذا المرض .

أثر المخدرات على العمل والعمــال

يجيب عن هذا السؤال السيد الدكتور احمد جامع :

الحقيقى الذى يتمتع به العامل ومن ثم ينخفض مستوى معيشته هو وأسرته ثم انها تؤدى الى توجيه جزء من
نتائج انتشار المخدرات بين العـــاملين على وجـه الخصوص عديدة ومتشعبة فهى تقود الى انتقاص الدخل
الدخل القومى وجهة غير انتاجية وغير مفيدة ومن ثم تمثل عائقا فى وجه الاسراع بالتنمية · ولكن الذى نود أن نركز عليه الضوء فى هذا المجال هو تأثير المخدرات على العمل ذاته الذى يؤديه العامل فمعروف انالمخدرات تؤدى الى أضعاف الذهن وتشتيت الذاكرة ومن ثم تقتل قدرة العامل الذى يتعاطى المخدرات على التركيز عـلى عمله مما يؤدى الى نقص فى كفاءته الانتاجية ويقلل بالتالى من انتاجيته كذلك فهى فيما يترتب على عـــدم التركيز من تعطيل العمل الذى قد ينتج عنه عجز العامل كليا أو جزئيا من الاستمرار فى عمله بالاضافة الى النسيان الذى بسببه تعاطى المخدرات وتكون من نتيجته ضعف كفاءة العامل فنيا ومن ثم كفاءته الانتاجية كذلك تشيع المخدرات روح الاستهتار فى من يتعاطاها وينعكس أثر هذا فى شكل اللامبالاة وتراخى من يتعاطى المخدرات من العمال ·

اضعاف الصـــحة

أضف الى هذا أن المخدرات تؤدى ا لى اضعاف الصحة العامة للعامل وذلك من وجهة عدم اعتنائه بالتغـــذية والعناية الكافية والثانى هو التأثير المباشر للمخدرات مما يترتب على ضعف الصحة وقدرة العامل حيال عمله كذلك كثرة حالات التغيب عن العمل · وغالبا مايكون هذا دون اذن · ومن الطبيعى أن انتاجية الانتاجالقومى وهو يقوم على العمل أولا بكل هذه الآثار الضـــارة للمخدرات على من يتعاطاها من العاملين ·

والذى لاشك فيه هو أن مكافحة المخدرات انما تعنى بالضبط مكافحة التغيب عن العمل ومكافحة نقص الكفاءة الفنية والانتاجية للعامل ومكافحة أستهتار العامل الذى يتعاطى المخدرات وهى بهذا تعنى فى الوقت نفســه زيادة الانتاج القومى وتحسين نوعه والاسراع والتنمية الاقتصادية للوطن ·

اما الدكتور حامد حفنى داود فيجيب عن :

المخدرات بين العقوبة والاصلاح

هل ترون ســـيادتكم فى تغيير العقـــوبة باحلام عقوبة رادعة على كل من يتاجر أو يعمل على رواج المخدرات أو يتعاطاه حلا لمشكلة انتشار المخدرات فى المجتمع الاشتراكى الجديد ؟!

قبل ان نتحدث عن تغيير عقوبة المخـدرات بعقـوبة أخرى رادعة أرى انه يحسن أن نمهد لذلك بالآتى : لم تعرف المخدرات فى عصر النبوة بهذين النـوعين : الحشيش والافيون وما يدخل تحتها من فصائل ·

وقد جاء تحريم هذه المخدرات حين عرفت فى العصور الوسطى ، وكان ذلك على مرحلتين على حسب أجتهـاد علماء الشريعة وفتاواهم فى ذلك · فكان العلماء فى أول الامر يرون أنهما يدخلان تحت حكم « المكروه كراهة التحريم » استنادا الى أن الاصل فى الاشياء الاباحة وأنه لاتحريم الا بنص · فلما دقق المجتهدون فى اجتهادهم أصدروا فتواهم بتحريم المخدرات قياسا على الخمر ، لان المخدرات والخمر تدخل جميعا فى دائرة « المسكر » وكلمسكر حرام بنصالحديث ثم حين ارتقى البحث العلمى ارتقت الاحكام الفرعية القيـــاسية فى التشريع تبعا لذلك حين ثبت للعلماء أن المخدرات أضرمن الخمر احيانا ، لان الخمر ضررها ينحصرفى احتجابالعقل بينما المخدرات ولا سيما الحشيش والافيون تؤثر على

الجهاز العصبى تأثيرا بالغا يستغله بعض الساقطين فى ارتكاب الفجور وهتك الاعراض · وتفصيل ذلك لايخفى على القارىء اللبيب · وهذا خلاصة تطور تحريمها ·

أما العقوبة على المخدرات فلم تكن رادعة لاول وهلة بل أخذت عدة صور من التطور · ويبدو أن تطـــور العقوبة كان مسايرا لتطور التحريم · وان كان تطور العقوبة فى الواقع ـ جاء متأخرا خلال النصف قـرن الماضى · فكان مرتكب المخدرات ـ فى أول الامر ـ يجازى بالمخالفة · ثم تطورت المخالفة الى جنحة · ثم تطورت الجنحة الى جناية · فلما أشرقت الثورة شددت التنكير على مرتكب المخدرات والمتجر بها ، وأصبح جزاء هؤلاء السجن مع الاشغال الشاقة ·

والآن لا أعتبر من الشدة فى شىء تحويل عقـوبة المزاولين لهذا الموبق من الاشغال الشاقة الى الاعـدام

واليك الاسباب والمبررات والحيثيات التى نبنى عليها هذه العقوبة :

أما الاسباب التى نبنى عليها هذا الحكم فهى تتجلى فيما أوضحناه من أن ضرر المخـدرات يتجاوز الاضرار بالعقل الى الافساد بالاخلاق فى صورة أشد من الخمر ولا سيما فى أوساط المنحلين اخلاقيا حيث يستخدمونها فى مزاولة الفجور وهتك الاعراض كذلك لان هذا الموبق يلتهم المنحرفين من الفقراء ويستشرى ضرره فى أوساط العمال فيهدم جانبا خطيرا من جسم الامة العربية حين يؤثر هؤلاء المنحرفون حياة الانحلال فى جو المخدرات فتتصدع الاسر ويفسد النساء وتتشرد الامهات والاطفال الابرياء ·

أما مبرراتنا لهذا الحكم والحيثيات التى نبنى عليها فتستند فى حملتها ا لى أن الاصل فى العقوبة أن تكون رادعة للجريمة قبل ان تكون مساوية لها · ولو نظرنا الى أصول العقوبات فى التشريع الاسلامى ، لوجدنا أن الشرع لم يستند فى حكمه الى كون العقوبة مماثلـــة للجريمة بل دائمة ياتى بها شديدة رادعة ، والا لما جاز قطع يد السارق بسبب خطام بسيط من الدنيا ،ولماأباح رجم الزانى حتى تزهق روحه دون أدنى شفقة أو رحمة ومن ثم فانى أرى ان أعدام مرتكب المخدرات ـ تعاطيا أو اتجارا ـ المقصود منه بتر جسم الجريمة والقضاء عليها بهذه الصورة المهولة وهى فى مهدها قبـــل أن تستفحل وتودى بالامة نفسها ·

ولست أشك ـ حين ننفذ حكم الاعدام على عشرات من متعاطى المخدرات ـ أننا سنقضى بفضل هذا الحـــكم الرادع على جسم الجريمة فى مهدها ، فى الوقت الذى لانستطيع فيه القضاء على هذا الموبق لو ظللنا نقصر العقوبة عند حكم الاشغال الشاقة مهما أمعنا فى تطبيق هذا الحكم عشرات السنين · وسر ذلك معلوم وهو أن الحياة أثمن شىء لدى الانسان ، فالمجرم الذى يعـــلم تمام العلم أن جريمته ستقضى عليه بالموت لاشك انه سيقف منها موقفا حازما ولا بد أنه منته عما يرتكب ·

والرأى العام حين يدعو الى تطويرعقوبة المخدرات من الاشغال الشاقة الى الاعدام انما يتمشى فى هذا الحكم مع فلسفة التشريع الاسلامى بطريق القياس العـــام وهو فى نفس الوقت يقوم من أود المجتمع العربىويحميه من هوة سحيقة كثيرا ماتردى فيها فى الماضى ولا يزال يتردى حتى يأتى الدواء الناجع ·

وبعد ··

فياأخى القارىء لعلنا نكون قد أجبنا لك فى وضوح ما أراده الشرع الحكيم من سعادة لبنيه فى دنيـــاهم وأخرتهم والمجلة تشكر السادة الذين ســاهموا بجهدهم وعلمهم ·

قصة الحياة في القرآن الكريم

الدكتور
محمود دياب

جاء في القرآن الكريم في سورة الحج قول الله - سبحانه وتعالى - « يأيها الناس ان كنتم في ريب من البعث فانا خلقناكم من تراب ثم من نطفة ثم من علقة ثم من مضغة مخلقة وغير مخلقة لنبين لكم ونقر في الأرحام ما نشاء الى أجل مسمى ثم نخرجكم طفلا ثم لتبلغوا أشدكم ومنكم من يتوفى ومنكم من يرد الى أرذل العمر لكيلا يعلم من بعد علم شيئا » .

صدق الله العظيم

سيجد القارىء الكريم لهذه الآية الى أى مدى وصلت والى أى عمق علمى فى دقائق الطب وصل القرآن الكريم .

وتفسير هذه الآية :

خلق الله آدم من تراب بقوله كن فيكون ، أما باقى الخليقة فتتكون من الجنين الذى ينتج من تلقيح مادة الذكر لبويضة الانثى وهو ما يسمى نطفة ثم يصير شكله مستطيلا مثل العلقة تماما ويستمر كذلك فى الأسابيع الأولى ولا يمكن رؤيته الا بأدق أنواع الميكروسكوبات التى لم تظهر فى عالم الوجود الا بعد ألف سنة من نزول القرآن الكريم ، مما يدل على اعجازه وسبقه العلم الحديث ، وتثبت هذه العلقة فى جدار الرحم وتنمو حتى تصير على شكل قطعة اللحم الممضوغة وحولها الأغشية الثلاث .

ويبدأ الجنين فى التكوين من خلية واحدة تنقسم ثانيا الى نوعين من الخلايا .

١ - نوع جنينى غير مخلق ، وهى الخلايا غير المتميزة وهى التى لها القدرة على النمو غير المحدود والقدرة على التوالد والتكاثر حتى تتكون الطبقات الجرثومية الثلاث الظاهرة والمتوسطة والداخلة .

٢ - نوع مخلق متميز ، ويبدأ بتكوين الطبقات الثلاث التى تتطور نحو الشكل المعروف للانسان وهى تتخذ شكلا متميزا ومتنوعا فى الأنسجة والأعضاء والوظائف ، واذا بقيت الخلايا الجنينية غير المتميزة كامنة فيمكن أن تتوالد وتظهر تحت تأثير عوامل مختلفة كشكل سرطانى يلتهم أى عضو سليم ..

يتطور الجنين فى نموه وفى أى طور من هذه الأطوار تحدث عوامل بالنسبة للرحم وبالنسبة لجسم المرأة يتسبب عنها اجهاضها فاذا استقر الجنين فى الرحم بتثبته فى جداره مدة عشرة أشهر قمرية وتهيأ الجسم كله والرحم لنزوله الى عالم الأرض بقدرة الخالق الجبار وبعوامل هى معجزات يحاول العلم الحديث أن يثبت جانبا منها :

« نخرجكم طفلا ثم لتبلغوا أشدكم » .

ينزل الطفل ليرضع من ثدى أمه فيتدرج فى الرضاعة حتى تخرج أسنانه ثم يتغذى غذاء طبيعيا وينمو حتى يبلغ المراهقة ، ثم يبلغ منتهى النضوج الجسدى والعقلى ، وفى أى سن من هذه يتوفى الانسان حسب مشيئة الله بأى طريقة من طرق الموت ، وافناء الحياة الأرضية سواء أكانت طبيعية أو غير طبيعية وقد يعيش بعض الناس ويردون الى أرذل العمر أى الى سن الهرم والشيخوخة .

فتتصلب شرايين مخه ويصير كالطفل فى عقله بعد أن كان متزنا غاية الاتزان ، لأن مخه فقد القدرة على التفكير .

ماذا تعرف عن العالم الإسلامي دوله وشعوبه؟

الخليج العربي

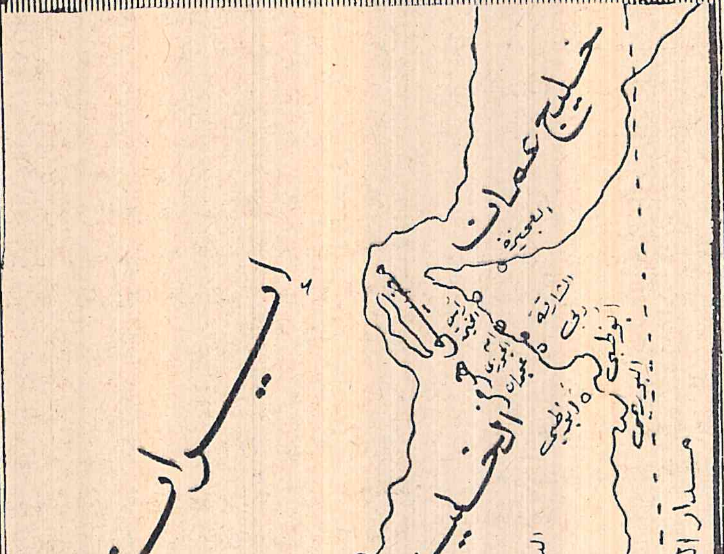

الدكتورة عنايات الطحاوي

يقع الخليج العربى بين ايران والمملكة العربية السعودية فشاطئه الشرقى ايرانى سكانه من الايرانيين أما شاطئه الغربى فسكانه من العرب

وتبلغ مساحة الخليج العربى نحو ٩٧٫٠٠٠ ميل مربع ويطل مدخله على الطريق البحرى الطويل الى الهند والشرق الأقصى •

وكانت هرمز التى تقع على الشاطئ الشرقى لمدخل الخليج من المراكز التجارية الهامة قبل كشف طريق رأس الرجاء الصالح • وقد احتلها البرتغال سنة ١٥٠٧ وفى القرن الثامن عشر اتجه الانجليز الى الخليج العربى وأصبحت حمايته والسيطرة على قواعده قاعدة أساسية من قواعد سياسة الامبراطورية وحلقة هامة فى حلقات استراتيجيتها العامة فبدأت تبسط نفوذها على شواطئه بعد حملة نابليون على مصر وقضت على أى محاولة يبذلها الفرنسيون للوصول الى الخليج العربى ثم أخذت تنفذ الى اجزائه واحدا بعد الأخر حتى سيطرت عليه تماما • وازدادت اهمية الخليج لبريطانيا بعد ان نبع البترول على شواطئه وأصبح الخليج معبر الناقلات التى تحمل البترول الى مواطن استهلاكية فى أوربا الغربية •

ويضم الساحل الغربى من الخليج بعض الامارات والمشيخات نذكرها فيما يلى :

أولا ـ قطر

تقع شبه جزيرة قطر على الخليج العربى بين الساحل العمانى والحسا • وتقع البحرين على مقربة من الجزء الشمالى من ساحل قطر الغربى •

وسواحلها رملية ومياهها الساحلية قليلة الغور مليئة بالشعاب وتعتمد فى سقياها على الآبار •

وتبلغ مساحة قطر نحو ٢٠٫٧٠٠ كيلومتر مربع وهى عبارة عن صحراء لاأنهار فيها ولكن بها مياه جوفية يجرى تكريرها من المواد المعدنية كى تصلح للشرب أو للرى • والمناخ شديد الحرارة صيفا رطب تبلغ درجة حرارته من ٣٥ درجة الى ٤٥ درجة مئوية وتصل نسبة الرطوبة الى ٨٠٪ احيانا •

ومن الناحية الاقتصادية فان قطر فقيرة مواردها الزراعية تنتج كميات محدودة من الخضر والفاكهة لاتستطيع أن تسد بها حاجة السكان المحلية من المواد الغذائية

ولقد كان أهل قطر يعملون فى صيد اللؤلؤ والأسماك وتجارتهما • ولكن هذه الحرفة تضاءل أمرها شأنها فى ذلك شأن منطقة الخليج بسبب ازدهار صناعة اللؤلؤ الصناعى من جهة وتفجر ينابيع الذهب الأسود (البترول) من جهة اخرى •

ويعتبر البترول المصدر الرئيسى للثروة الأهلية والدخل القومى • فقد بدأ التنقيب عنه فى سنة ١٩٣٧ واكتشف فى البئر الاولى « دخان رقم ١ » فى ديسمبر سنة ١٩٣٩ ثم توقف العمل سنة ١٩٤٢ ولكنه استؤنف بعد ذلك بخمس سنوات ومد خط انابيب طوله ٧٥ ميلا الى ميناء «أم سعيد » المقام داخل البحر • ومنذ ذلك التاريخ والانتاج يتقدم باطراد •

ففى عام ١٩٤٠ كان الناتج ٥٠٠٠ برميل وفى سنة ١٩٥١ وصل الناتج الى ٢٫٣ مليون طن وفى سنة ١٩٥٥ وصل الى ٥٫٣ مليون طن وفى سنة ١٩٦١ وصل الناتج الى ٨٫٢ مليون طن وينتظر العثور على بترول فى قاع الخليج يقدر بحوالى ٨ مليون طن أخرى • هذا فضلا عن الاحتياطى الذى يقدر بحوالى ٣ بليون طن •

والشركة التى تتولى استخراج البترول انجليزية • وتحصل قطر على حوالى ٢٠ مليون جنيه سنويا من البترول • وقد انشئ معمل للتكرير فى أم سعيد سنة ١٩٥٥ يستهلك نصف انتاجه محليا والباقى تستغله الشركة فى اغراضها الصناعية •

ومن المشروعات الاقتصادية الكبرى فى قطر انشاء (بنك قطر الوطنى) الذى افتتح فى ٣٠ ديسمبر سنة ١٩٦٤ ويعتبر المؤسسة

الاقتصادية الأولى فى قطر وقد تم برأسمال قطرى فاسهمت الحكومة بنسبة ٥٠٪ والأعضاء المؤسسون بنسبة ٥٪ وطرحت بقية الأسهم للاكتتاب العام بين الوطنيين • وقد بلغ مجموع رأس المال ١٤ مليون روبية (الروبية ٧ قروش) .

ويساهم البنك فى تمويل المشروعات الوطنية الجديدة فى قطر ومنها مشروعات انتاج الأسمنت وصيد الأسماك وانشاء الميناء القطرى الجديد وتوسيع امتداد شبكة الطرق الحديثة ومرافق المياه والكهرباء •

ومن المشروعات التى تهدف قطر الى تحقيقها مشروع استصلاح الأراضى والتنمية الزراعيه وتحقيق الوحدة الثقافية العربية فقد بدأ التعليم فى قطر بمدرسة واحدة وتضاعف الى ان صار ٧٤ مدرسة بنين وبنات وسكان قطر يتمتعون بالرعاية الاجتماعية فالتعليم هناك بالمجان كما ان العلاج أيضا بالمجان • ويوجد فى قطر عدة مستشفيات مزودة بأحدث الأجهزة وقطر ليس فيها ضرائب غير رسوم جمركية بواقع ٢٪ على البضائع المستوردة ، ويبلغ دخل الفرد هناك حوالى الف جنيه سنويا .

ويبلغ عدد السكان فى قطر حوالى ٤٠ الف نسمة • اقل من نصفهم من أصل عربى وقليل منهم لايزال على بداوته • أما الأوربيون فلايزيد عددهم عن ٨٥٠ وكلهم من رعايا بريطانيا • هذا فضلا عن حوالى ٤٠٠٠ نسمة من باكستان والهند يضاف اليهم كثرة من الايرانيين واليمنيين والصوماليين والعراقيين والسعوديين •

وهؤلاء جميعا يعملون فى التجارة أو فى صناعة الزجاج أو الصباغة وهذه الحرف لا يقوم بها القطريون العرب .

ومن حيث المواصلات ففى قطر طرق برية تصلها بالسعودية وميناؤها فى أم سعيد التى تستقبل السفن التجارية وحاملات البترول أما ميناؤها الجوى فهو مطار الدوحة وهى العاصمة

ثانيا ـ البحرين

يتكون أرخبيل البحرين من بضعة جزر تقع فى الخليج العربى الى الغرب من شبه جزيرة قطر والى الشرق من ساحل الحسا . وهى البحرين والمحرق والرقاع والحد والبديع وستره وأم نعسان والمنامة وغيرها

وأهم هذه الجزر البحرين ويبلغ طولها ٤٥ كم وعرضها ١٥ كم وبها ينابيع عذبة وسطح هذه الجزر متوسط الارتفاع واكثرها ارتفاعا جزيرة البحرين حيث يبلغ اقصى ارتفاعها ١٥٠ مترا فوق سطح البحر •

وتتمتع البحرين منذ اقدم الأزمنة بموقع استراتيجى عظيم الأهمية فهى منذ فجر التاريخ نقطة اتصال تجارى دولى جعلها مهدا لحضارات عريقة فى ميادين التقدم الاقتصادى والعمرانى •

وتتكون البحرين من احدى عشرة جزيرة تربطها شبكة هائلة من الطرق المعبدة المرصوفة والمضاءة بالكهرباء كما امتدت انابيب المياه النقية الى كل بيت فى «المنامة» العاصمة وأخذت خطوط شبكتها الجديدة تمتد الى بقية انحاء الجزر

وأهم محاصيل البحرين الزراعية الخضروات والبلح • وكانت تعتمد جزر البحرين على صيد اللؤلؤ حتى اكتشف فيها البترول فتغير وجه الحياة فيها • وقد اكتشف البترول سنة ١٩٣٢ وصدر لأول مرة سنة ١٩٣٤ وتقع حقول البترول فى الجزء الأوسط من الجزيرة حيث جبل الدخان ومن جزيرة سترة تخرج أنابيب البترول التى تمتد داخل البحر الى مسافة خمسة كيلو مترات • وفى البحرين

اليوم ٦٥٠ بئرا للبترول تقريبا تنتج حوالى ٤٥ الف برميل يوميا . ويبلغ عدد السفن التى يستقبلها ميناء البحرين مائة سفينة شهريا . كما تعتبر مصفاة البحرين من اكبر مصافى البترول فى العالم

وقد انشىء معمل للتكرير يقوم بتكرير ٨ مليون طن .

والشركة المنتجة للبترول فى البحرين أمريكية والأرباح مناصفة بين الشركة وبين حاكم البحرين وهذا مايجرى فى جميع الاتفاقيات الخاصة بالبترول فى الخليج العربى .

ومعظم تجارة البحرين مع السعودية وقد بلغت قيمة الواردات ١٦ مليون جنيه معظمها سلع منزلية أما الصادرات فتتركز فى البترول ويقدر عدد سكان جزر البحرين بحوالى ١٤٢ الف نسمة

وتقع «منامة» فى شمال جزيرة البحرين وهى العاصمة ويبلغ عدد سكانها ٤٥ الف نسمة وفيهم نسبة كبيرة من الفرس والهنود الى جانب العرب الذين يحتلون المراكز الرئيسية فى الادارة والتجارة . وتعتبر «منامة» المركز التجارى فى البحرين وهى مقر المقيم الانجليزى وهى أيضا مركز السفن الذاهبة للعراق والمحيط الهندى . كما انها مركز صيد السمك واللؤلؤ أيضا .

وللبحرين تاريخ قديم فقد كانت أول موطن للفنيقيين ومهد الحضارة القديمة وفيها آثار حضارة ترجع الى السومريين

ويبدأ الاهتمام الأوربى بالبحرين منذ نزل اليها البرتغال عام ١٥٠٧، واحتلوها وشيدوا بها قلعة ما زالت آثارها باقية الى الآن ولكنهم لم يعمروا طويلا فقد أغار عليهم العرب من فارس سنة ١٦٠٢، وطردوهم منها .

ثم بدأت بريطانيا توجه أنظارها الى جزر البحرين منذ أوائل القرن التاسع عشر وتعقد المعاهدات والاتفاقيات التجارية مع شيوخها . وفى عام ١٨٩٢، انشأت الحكومة البريطانية وكالة سياسية لها فى البحرين واتخذت المنامة مقرا لها . وفى سنة ١٩١٤ اتخذ الانجليز البحرين مركزا لهم حين ارادوا غزو العراق . وهكذا دخل الاستعمار البريطانى منذ حوالى خمسين عاما وطيلة فترة الاستعمار لم يكف شعب البحرين عن ثوراته .

وكانت أولى هذه الثورات سنة ١٩٢٨ ورغم ان بريطانيا تعامل أهل البلاد بوحشية نظرا لثوراتهم الدائمة ومطالبتهم بالاستقلال الا ان شعب البحرين لايكف عن ثوراته ولا عن المطالبة بحريته

ولا يفوتنى أن أذكر معالم النهضة الحديثة فى البحرين فى ميادين متعددة وفى مقدمتها المشروع الضخم الذى كان بشيرا بمولد الادارة العامة للاسكان والتمليك فى البحرين وهو مشروع انشاء أول مدينة جديدة كاملة بالبحرين وهى مدينة « عيسى » وتتسع لأسكان ٣٥٫٠٠٠ نسمة ومساكنها نموذجية مزودة بكافة المرافق .

هذا الى جانب التقدم فى ميدان التربية والتعليم ففى خلال عشر سنوات فقط كان عدد المدارس فى البحرين لايتجاوز ٣١ مدرسة سنة ٥٤/١٩٥٣ فأصبح ٧٥ مدرسة فى سنة ٦٤/١٩٦٣ وارتفع عدد الطلاب من ٧٥٠٠ سنة ١٩٥٣ الى ٣٢٫٥٠٠ سنة ١٩٦٣

وقد شملت انطلاقة البحرين ميادين متعددة كالصحة والرعاية الاجتماعية والمرافق والاسكان والتنمية الاقتصادية ونصرة قضايا العروبة وتدعيم الجهود البناءة فى تحقيق الوحدة الكبرى للوطن العربى .

ثالثا ـ شاطىء الهدنة (ساحل الصلح البحرى)

ويمتد بين نهاية الخليج العربى عند جزيرة مسندم وبين شبه جزيرة قطر وكان يعرف من قبل باسم شاطىء القراصنة ويبسط سبعة من المشايخ سيادتهم على سبع مشيخات أو امارات هى :

أبو ظبى ودبى والشارقة ورأس الخيمة وأم الجوين وعجماء وفجيرة . والشاطىء

متقطع تتخلله الصخور المرجانية والجزر الصغيرة والاعماق السحيقة ومن حيث التضاريس فان الأرض منبسطة اللهم الا فى أقصى الشمال الشرقى حيث المنطقة الممتدة الى الشمال كقرن من اليابس والأرض رملية تغطيها تلال من الكثبان الرملية

والمناخ حار رطب فى الصيف ودفىء نادر المطر فى الشتاء

ويبلغ طول شاطىء الهدنة حوالى ٨٠٠ كم وسكان هذه الأمارات السبع من البدو المختلطين بجماعات من الهنود والأيرانيين .

ويعملون فى صيد الأسماك والنقل التجارى بين جهات الخليج المختلفة وموانى الهند وساحل افريقية الشرقى . ومنهم جماعات تشتغل بصيد اللؤلؤ ولكن اهمية اللؤلؤ قد تضاءلت كثيرا بسبب تناقص الطلب عليه نتيجة التقدم الحديث فى انتاج اللؤلؤ الصناعى

ويسود الفقر هذه الامارات اذا ما قورنت بالأقطار المجاورة مما حمل الكثير من الأهالى على الهجرة المؤقتة للعمل فى البحرين وقطر والكويت حيث تفجرت ينابيع البترول الا انه من المتوقع تضاؤل ظاهرة الهجرة نتيجة لكشف البترول فى احدى هذه الأمارات السبع وهى أبو ظبى ونبدأ بتعريفها

١ - أمارة ابو ظبى :

وهى جزيرة على مقربة من الطرف الجنوبى الغربى لشاطىء الهدنة كما تطلق ايضا على مشيخة عاصمتها مدينة أبو ظبى وقد انشئت هذه المدينة حوالى عام ١٧٦١ وتقع على الساحل الشمالى للجزيرة فى مواجهة البحر ولها مرسى عميق .

وتبلغ مساحتها حوالى ١٦٠ الف كم وعدد سكانها خمسة آلاف يضاف اليهم ٢٠ الفا فى واحة البوريمى .

والحدود ليست مخططة بينها وبين السعودية وهناك مشكلة واحة البوريمى بين أبو ظبى وبين السعودية وقد زاد هذا الخلاف بعد العثور على البترول فى غرب ميناء أبو ظبى فى منطقة طريف سنة ١٩٥٤ وحفرت بعض الآبار عام ١٩٦٠ ولكن الانتاج قليل يبلغ (حوالى نصف مليون طن فى العام)

وموارد الماء قليلة وتوجد بعض الحقول بها قدر يسير من الزراعة كما يوجد بعض النخيل ويستخدم علفا للماشية وتنمو فى الداخل أعشاب برية . ويقوم اقتصاد أبو ظبى على الملاحة والتجارة وصيد السمك واستخراج اللؤلؤ . أما فى الداخل فيعيش الاهالى على تربية الماشية ورعيها .

وقد قفزت أبو ظبى أخيرا الى عالم الأهمية نتيجة اكتشاف البترول فيها وصارت من الدول المنتجة والمصدرة للبترول فقد بلغ الانتاج سنة ١٩٦٤ ١٢٠٫٠٠٠ برميل فى اليوم كما بلغ الدخل الحالى من البترول ١٠ مليون جنيه وسوف يزداد فى المستقبل وسيكون لهذه الثروة الحديثة الكشف اثر عظيم فى تقدم الشعب وتطوره فى جميع النواحى المادية والاجتماعية وفى رفع مستوى معيشته وفى مدينة أبو ظبى يقيم ممثل لبريطانيا .

٢ - مشيخة دبى :

وهى صغيرة المساحة تبلغ حوالى ١٨٫٠٠٠ كم ، ويبلغ عدد سكانها ٧٠ الف نسمة وتشتهر دبى بأنها فينيسيا الخليج العربى لانتشار معالم التقدم والعمران فيها ولوجود قناتها الجميلة الواسعة التى تسمى (بالخور) والتى تعبرها الزوارق لتصل بين الضفتين اللتين تقع على شاطئيهما مدن الأمارة ومنشآتها ومعالم نهضتها الجديدة النامية . ويعتبر الجسر (الكوبرى) الذى يربط بين ضفتى الخور أطول واحدث كوبرى بمنطقة الخليج العربى والعمل جار فى انشاء الميناء الجديد الذى سيصبح صالحا لجميع انواع السفن كما بدىء العمل فى انشاء الكورنيش الجديد الذى يحاذى الخور الذى يخترق الأمارة ومن المشروعات الجديدة أيضا انشاء مطار دبى بحيث يصبح مطارا دوليا . والبحث جار عن

البترول واذا ثبت وجوده بكميات اقتصادية فانه سيلعب دورا كبيرا فى مستقبل الامارة

ولعل أبرز معالم التقدم فى امارة دبى النهضة التعليمية التى استطاعت أن تحققها فى بضع سنوات قليلة ففيها الآن سبع مدارس تضم ٢٥٠٠ تلميذ وتلميذة •

وللسكان مهارة فى التجارة والصيد ويمتلكون عددا كبيرا من المراكب يتنقلون بها بين شواطىء أفريقية والهند • ويصدرون التمر والأسماك ويستوردون الحبوب والسكر والشاى والأقمشة •

ولم يكن الأهالى يميلون الى التجارة وبذلك أصبح المجال فسيحا أمام التجار الأجانب وخاصة الهنود والايرانيين ولكن ابناء البلاد تنبهوا اخيرا وسيطروا على تجارة بلادهم وتوالت انتصاراتهم الاقتصادية الباهرة •

وتستورد دبى معظم حاجياتها من الخارج كما انها تربح كثيرا من تجارة الترانسيت ويقصد البدو دبى لبيع ماشيتهم وشراء ما يحتاجون اليه من سلع • وكان نتيجة للنشاط التجارى فى دبى أن ظهرت المحال التجارية الحديثة والمعارض • كما بدأت تظهر فى دبى صناعات حديثة كصناعة الألومنيوم والأثاث وغيرها • والعملة المستعملة هى الروبية

ويقيم فى دبى المعتمد البريطانى لأمارات الخليج •

٣ ـ مشيخة الشارقة أو الشارجة

تقع امارة الشارقة على بعد لايتجاوز عشرة كيلو مترات من امارة (دبى) والشارقة تمتد نحو ميلين من الشرق الى الغرب وقد كان التنظيم الادارى الذى وضع لها فى عهود الاستعمار يستهدف شطرها الى قسمين وتكون بموجبهما الشارقة وهى العاصمة على الساحل بينما تكون مدينة «خورفكان» فى المنطقة الشرقية وتفصل بينهما امارة صغيرة أوجدها الاستعمار لتكون مصدرا للخلافات والفرقة • تلك هى امارة الفجيرة التى لايتجاوز عدد سكانها ٥٠٠٠ نسمة

أما امارة الشارقة فيبلغ عدد سكانها خمسون ألف نسمة معظمهم من العرب الرحل الذين استوطنوا هذه الأمارة من زمن بعيد عندما كانوا يحترفون مهنة صيد اللؤلؤ والأسماك والتجارة •

وتمتاز الشارقة بموقع ممتاز على الخليج وساحلها ضحل غنى بالأسماك المتعددة الأنواع ويمكن أن تغل ثروة كبيرة لو أمكن تمويلها واستثمارها •

وتنشط الآن فى الشارقة عمليات واسعة للتنقيب عن البترول أما الزراعة فتكاد تنحصر فى بلدة خورفكان التى تنمو فى أراضيها الخضر والفاكهة بكميات كبيرة وتمتاز التربة فى الشارقة بصلاحيتها للزراعة ولكنها تحتاج الى المال والخبرة الفنية والأدوات الزراعية والأيدى العاملة

وبالشارقة مرفأ طبيعى ترسو عليه البواخر القادمة من أيران والهند وشرق افريقيا • وبها أيضا مطار جيد وهو الذى يصل هذه الأمارات بالعالم الخارجى • وقد كان النفوذ الاستعمارى سببا فى تخلف الشارقة عن ركب المدينة زمنا طويلا الى أن بدأ حكامها العرب من اسرة (القواسم) يعملون على النهوض بها ويستعينون فى ذلك بالخبراء العرب من الجمهورية العربية المتحدة والكويت وغيرها من الدول العربية المجاورة •

وبالشارقة نهضة تعليمية ملحوظة تسير وفق مناهج الجمهورية العربية المتحدة • وقد نفذ أخيرا مشروع لاستخراج المياه بواسطة الأنابيب من منطقة (طوى البديعات) التى تبعد ١٨ كيلو مترا عن الشارقة

والمواطنون فى الشارقة يؤمنون بانتصار قوميتهم العربية وتطهير كل بقعة من أرض الوطن العربى من كل أثر للاستعمار والاستغلال

٤ — امارة رأس الخيمة :

وتقع الى الشرق من الشارقة ويبلغ عدد سكانها حوالى ١٥ الف نسمة ومساحتها ٨٠٠٠ كيلو متر مربع

وأهم منتجاتها صيد الأسماك واللؤلؤ وصيد الغزلان • وأهم زراعاتها الخضروات والتمر •

وقد قاوم ميناء رأس الخيمة الانجليز مقاومة فعالة فى أوائل القرن التاسع عشر وتمكن بفضل قبيلة القواسم من طردهم وطرد جميع الأجانب الذين كانوا يحتلون بعض نقط على الساحل ويسيطرون على تجارة المحيط الهندى

٥ — امارة أم الجوين :

وتقع بين رأس الخيمة والشارقة • ويبلغ عدد سكانها حوالى خمسة الاف نسمة ومساحتها ٣٠٠٠ كيلو متر مربع

وأهم عمل للسكان الصيد والتجارة وأهم منتجاتهم السمك والتمر وهم يعتمدون فى غذائهم وفى سد حاجياتهم على مايرد اليهم من الخارج

وميناء أم الجوين عميق صالح لرسو السفن

٦ — مشيخة عجمان :

وتقع الى الجنوب من أم الجوين وتبلغ مساحتها ٢٠٠٠ كم وعدد سكانها حوالى ثلاثة الاف نسمة وتوجد بها مياه عذبة ولذلك تقوم بها بعض الزراعات وبخاصة الخضروات والفاكهة والتبغ والنخيل •

٧ — امارة فجيرة :

وتقع على ساحل خليج عمان أى الى الشرق من الامارات السابقة وقد دخلت فى اتحاد مع الشارقة وربما انضمت اليها بعد الغاء الجمارك والحدود •

وتتوفر بها المياه العذبة وعليها تقوم زراعة الفواكه كالموز والخضروات والبطاطا والتبغ كما تكثر اشجار النخيل

ويبلغ عدد السكان بها حوالى ٣٠ الف نسمة

وشاطىء الهدنة عامة فقير من حيث اهميته الاقتصادية اللهم الا فى منابع البترول • وتقتصر موارده على تجارة الأسماك والتمر والابل ومعظم تجارته فى أيدى الايرانيين •

وحالة السكان متدهورة بالنسبة الى جيرانهم من العرب وذلك نظرا لعدم الأقبال على تجارة اللؤلؤ التى كانت تدر عليهم ربحا وفيرا وذلك نظرا لظهور اللؤلؤ الصناعى • هذا من ناحية ولعدم توافر المياه العذبة التى تساعد على قيام الزراعة وسد حاجة الأهالى ثم لعدم ظهور البترول الا فى نقاط صغيرة على الساحل •

واخيرا لتمكن الاستعمار الانجليزى من البقاء فى هذا الساحل بعد ان انهى السيادة العثمانية على هذه المنطقة سنة ١٩١٣

وعندما اندلعت الحرب العالمية الاولى سنة ١٩١٤ كان الخليج العربى جميعه فى قبضة بريطانيا بمدنه وجزره وسواحله •

على أنه ليس من المعقول أن يظل الاستعمار قابضا على ناصية الأمور فى بلاد على الرغم من أهلها ولذلك فقد اندلعت الثورات فى كل مكان وقام فى هذه المناطق بين الحين والحين رجال يطلبون تحرير بلادهم •

ولن ينقضى وقت طويل حتى تتحرر هذه المنطقة تحررا كاملا وتعود تجارة اللؤلؤ والبترول فيها الى أهلها العرب الذين كتب لهم التاريخ فى الماضى صفحة مجيدة

واليوم تندلع فى الخليج العربى كله نار الثورة فى وجه الاستعمار وتنادى جميع الأطراف لتلتئم فى الأم العربية المتحدة

« ان ينصركم الله فلا غالب لكم »

المرأة المسلمة

المرأة الباكستانية

من أغسطس ١٩٤٧ إلى أغسطس ١٩٦٦

إعداد : نجاة الزنيري

ظهرت باكستان على خريطة العالم فى الرابع عشر من أغسطس ١٩٤٧ حين قسمت الهند البريطانية السابقة الى دولتين مستقلتين الهند وباكستان .

واليوم ـ فى اغسطس ١٩٦٦ ـ اى بعد تسعة عشر عاما من ميلاد باكستان أجدنى أتساءل : أين تقف المرأة الباكستانية .. وهل حققت ما كافحت من أجله خلال هذه الأعوام .. وللاجابة على هذا التساؤل لابد من تتبع تاريخ الحركة النسائية فى باكستان .

تاريخ الحركة النسائية بباكستان :

شاهد القرن العشرون تطورات خطيرة كان منها التغير الذى طرأ على وضع المرأة فى العالم سواء كان فى داخل البلاد أو فى المجال الدولى .

وقد تغير وضع المرأة بباكستان تبعا لنمو الوعى السياسى بين المسلمين وانتشار التعليم فى شبه القارة خلال السنوات الماضية . وعلى هذا فالواجب اذا ما تعرض الانسان لوضع المرأة فى هذه البلاد أن يعرض لها من الناحية السياسية والناحية التعليمية معاوليس من الناحية النسائية فقط .

واليوم وبعد مرور هذه الأعوام ـ تخرج المرأة من تحت القناع والحجاب الذى اختفت تحته منذ ذلك الوقت لتواجه متحدية التغيرات التى طرأت على العصر كله وعلى بلدها الجديد .

وكانت المرأة المسلمة تعيش فى شبه القارة حوالى عام ١٩٠٠ فى عزلة تامة لا تعرف عن فوائد التعليم ولا عن مسئولياتها تجاه المجتمع ولا عن الحياة العامة الا النزر اليسير . بينما كانت المرأة الهندوكية تتمتع بكثير من الحرية وكثير من العلم والثقافة نتيجة خروجها واختلاطها .

وقد رأى الزعيم (محمد على جناح) أن الحركة الوطنية الدينية لن يقدر لها النجاح ما لم تتحرر المرأة المسلمة من قيودها الزائفة أولا وما لم تعمل جنبا الى جنب مع الرجل فى شتى الميادين خاصة وان الاسلام يبيح لها الحرية الايجابية البناءة ويبيح لها العلم والدراسة والكفاح فى سبيل الله .

وما أن انقضت بضع سنوات حتى ظهرت عدة مجلات باللغة الأوروبية تخصصت فى معالجة شئون المرأة منها (تهذيب النساء) التى كانت تصدر بلاهور و (خاتون) فى عليكره ـ ولكن معالجة هذه الصحف لهذه الأمور كان يراعى فيها دقة الموقف ودقة الموضوع ولذلك راحت تعالجها فى صورة هينة متواضعة . وظهر عاملان خطيران أولهما الرغبة والعمل على تعليم المرأة وثانيهما اشتراكها فى حركة التحرير . وتأسست بالمقاطعات الهندية لجان كونتها النساء المسلمات تحت قيادة (فاطمة جناح شقيقة محمد على جناح) كان من مهام هذه اللجان ترقية الوعى الاجتماعى والسياسى بين نساء الهند المسلمات واستنهاض هممهن واعدادهن لمعركة الحرية .

وظهر الوعى الوطنى النسائى بين المرأة المسلمة بالهند عندما أعيد تنظيم حزب الرابطة الاسلامية تحت قيادة محمد على جناح بمدينة (لكنو) فى أكتوبر

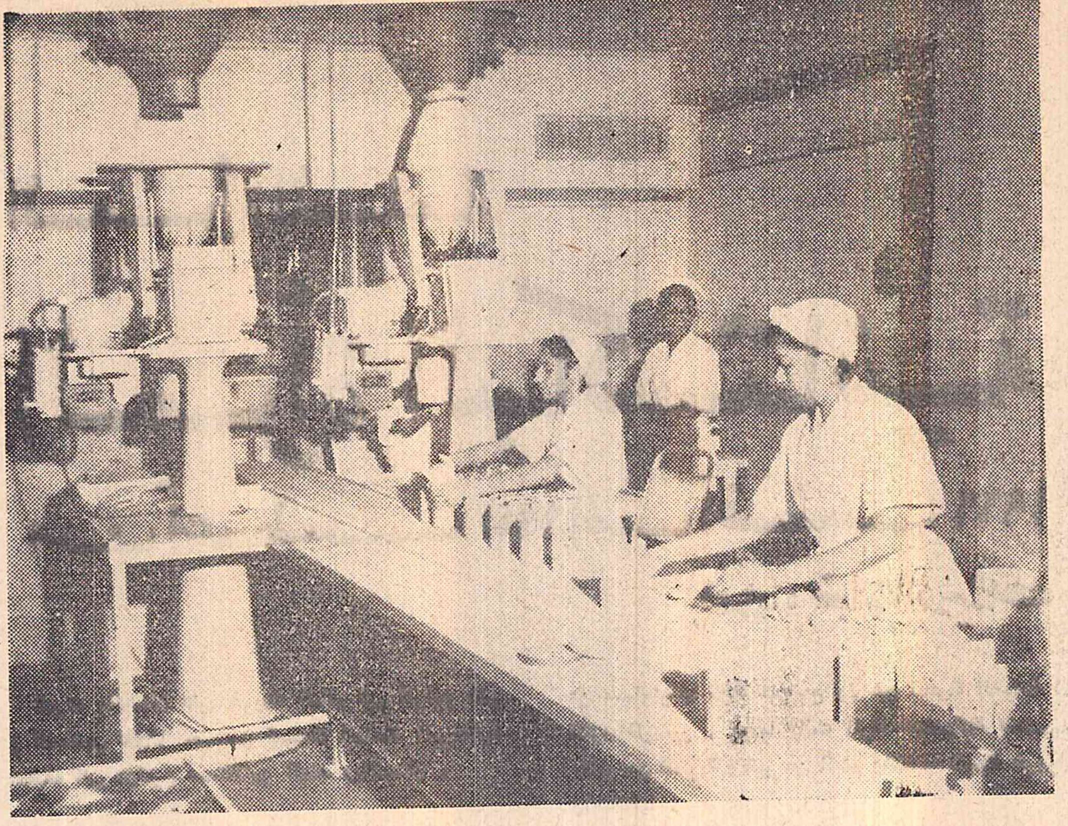

المرأة الباكستانية فى المعمل

١٩٣٧ . وبعد ذلك التاريخ بأربعة شهور - أى فى ٢٣ مارس - اتخذ المؤتمر قراره التاريخى بوجوب انشاء دولة باكستان وهنا ازداد مركز المرأة الباكستانية رسوخا وامتدت آمالها الى آفاق جديدة واسعة وكان أن انشىء حزب الرابطة الاسلامية للسيدات وبدأت المرأة تأخذ مكانها فى الاجتماعات السياسية وتشترك فى مظاهرات الاحتجاج .

وكل من يدرس الفترة التى مرت على تلك البلاد من عام ١٩٤٠ الى ١٩٤٧ يستطيع ان يدرك أهمية الدور الكبير الذى قامت به زعيمات السيدات المسلمات رغم أن عددا كبيرا منهن كن لا يزلن مختفيات وراء الحجاب وقد صاحب هذه الحركة نشاط آخر أتى من ناحية الطالبات فى الكليات والمعاهد .

وما أن مر ما يقرب من الاسبوعين على تاسيس باكستان فى ١٤ أغسطس ١٩٤٧ حتى ووجهت المرأة الباكستانية بحالة من أسوأ ما ذكره التاريخ نجمت عن الأحداث التى جرت فى تلك المنطقة عقب تقسيم البلاد الى دولتين مستقلتين . فقد لجأ الى باكستان فى أولى سنى مولدها ثمانية ملايين من اللاجئين كان على هذه الدولة الناشئة ان تستقبلهم وأن تأويهم وتوفر لهم المسكن والمأكل .. واذا عرفنا ان الدولة نفسها قامت ولم يكن لديها أبسط مقومات الدولة من مال وادارة وعمل وغير ذلك .. أدركنا ولا شك الصعوبة التى واجهت البلاد ازاء قدوم ملايين من الناس يستطيعون بمفردهم ان يكونوا دولة كبيرة فيما بينهم .

وقد تطلبت هذه الحالة اعادة التنظيم والتفانى فى الخدمة العامة وجمع الأموال اللازمة .

وهنا هبت المرأة الباكستانية وأنشأت منظمتين لتواجها الظروف الجديدة التى طرأت على البلاد هما الحرس الأهلى والاحتياطى البحرى للسيدات .

وكان على المرأة المسلمة أن تجتاز الامتحان الذى وضع لها فقد وكل اليها مهمة العناية بهؤلاء البائسين وتوفير الراحة لهم وامدادهم بالمأكل والملبس والعناية بالمرضى منهم . وكانت المهمة شاقة وكبيرة ولكن المرأة الباكستانية التى صممت على ابراز كيانها وبناء أمتها تبذل أقصى ما فى وسعها فى هذا السبيل الى ان قدر لها النجاح واستطاعت البلاد بعد أعوام قصيرة ان تتغلب الى حد كبير على مشاكلها .

وبعد انقضاء عامين على تأسيس باكستان أى فى عام ١٩٤٩ - أنشأت بيجوم لياقت على خان قرينه أول رئيس وزراء لباكستان - ومجموعة من السيدات المشتغلات بالشئون الاجتماعية المنظمة النسائية لعموم سيدات باكستان التى تعد الان اكبر منظمة من نوعها استطاعت ان تقدم للبلاد أجل الخدمات فى شتى الميادين .

وقد عنيت هذه الجمعية فى أولى سنينها بالترفيه عن اللاجئين والعمل على استيطانهم وانشاء المدارس لأطفالهم ومساعدة الرجال منهم على ايجاد أعمال يرتزقون منها . وقد نجحت هذه الجمعية فى ترك أثر لها فى كل ناحية من نواحى الحياة بباكستان فهى التى عملت على احياء الصناعات اليدوية وانشاء الجمعيات التعاونية والمدارس والكليات والمستشفيات والعيادات كما أنها هى التى ساعدت على رفع مستوى المعيشة فى القرية واشاعة الرفاهية بين الشباب وجاهدت من أجل

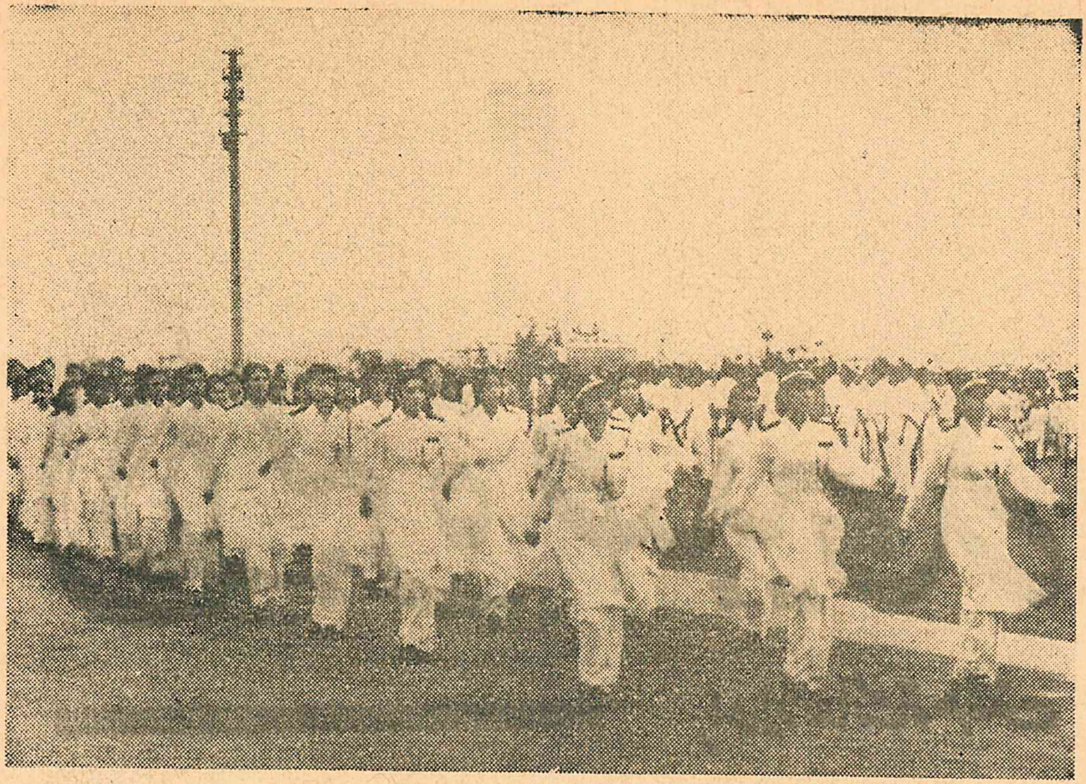

صورة تبين كفاح المرأة المسلمة فى باكستان

حصول المرأة على مركزها القانونى وراحت تتعاون مع المنظمات الدولية ووكالات الأمم المتحدة فى كل ميدان يبدو فيه اى نشاط اجتماعى .

وحين أعلن الرئيس أيوب خان تحذيره للامة من عواقب (انفجار السكان) هبت المرأة الباكستانية لتسهم بنصيبها فى هذا السبيل فانشأت فى لاهور عام ١٩٥٣ هيئة تنظيم الأسرة ـ وسرعان ما أهتمت بهـا الحكومة وأعانتها بالمال . وبباكستان الان حركة كبيرة تستهدف تحديد النسل لأن نسبة تزايد السكان كبيرة وموارد البلاد لا تكفى كل هذه الملايين .

وكان مما اهتمت به الجمعية النسائية بباكستان ايضاح العواقب التى تنجم عن تعدد الزوجات والزواج المبكر والطلاق وفى عام ١٩٥٥ ـ تألفت لجنة لوضع قوانين الأسرة والزواج وأتمت وضع هذه القوانين فى مارس ١٩٦١ .

ويعتبر مارس ١٩٦١ نقطة تحول فى تاريخ الحركة النسائية بباكستان . ودخلت المرأة الباكستانية مجالات العمل نتيجة لزيادة حركة التصنيع بالبلاد والأخذ بنظام التعليم الخاص والتدريب النسائى وارتفاع مستوى المعيشة وتطور الأحوال الاجتماعية بالبلاد.ويمكن الحكم على ما طرأ على نهضة المرأة الباكستانية من احصائيات تعليم الفتـاة هناك . ففى عـام ١٩٥١ كان بالمدارس الابتدائية ٩٦٨ الف فتاة اما فى عام ١٩٦١ فقد ارتفع الرقم الى مليونين وربع مليون .

اما فى التعليم الثانوى فكان عام ١٩٥١ نحو ٤٧ الف فتاة ولكن الرقم ارتفع كذلك عام ١٩٦١ الى ٦٩ الفـا .

اما فى التعليم العالى فقد اصبح العدد ١١ر٤١٣ عام ١٩٦١ بعد ان كان ٧٧١٥ عام ١٩٥١ .

اين تقف المرأة الباكستانية اليوم ؟

حصلت المرأة الباكستانية على حقوقها السياسية كاملة منذ الساعة التى استقلت فيها باكستان سنة ١٩٤٧ ـ ودخلت البرلمان وكانت السيدة (بيجوم شاه فواز) وكيلة البرلمان فى يوم من الأيام وترأست البرلمان فى يوم تغيب فيه رئيسه .

ومثلت المرأة الباكستانية بلادها فى الوفد الرسمى الى الامم المتحدة . ولباكستان اليوم سفيرتان همـا بيجوم ليافت على خان فى هولندا ـ وبيجو شاستا اكرام الله فى المغرب وهناك طبيبات ومهندسات وعالمات فى الذرة ورئيسات لبعض المصالح . وبعض السيدات برزن فى عالم الصناعة وهن يجبن البلاد الأجنبية بحثـا عن كل وسيلة تستطيع أن ترتقى بمستوى الصناعة

وقد صدرت مجلة خاصة بالشئون النسائية هى مجلة (عصمت) باللغة الأوروبية ، ومجلة (عالم المرأة) ومجلة (المرأة) باللغة الانجليزية .

وبعد : لقد استطاعت المرأة الباكستانية ان تؤدى الواجب العظيم لبناء الأمة وأخذت مكانها فى المعركة وأثبتت مقدرتها على الوقوف جنبا الى جنب مع الرجل من أجل حياة أفضل للاجيال القادمة .

الأميرة صبيحة

إعداد عائشة حسنى

في هذا الباب عرضنا صورا جليلة لحياة المراه المسلمة في شتى الميادين من العهد الاسلامي حتى عهد الدولة العباسية وهي الدولة التي مضت على سننها دول اسلامية أخرى تخطو خطوها وتنهج نهجها مما أثر في حياة الأمم والشعوب .

وفي هذا العدد ننتقل الى صورة أخرى للمرأة في بلاد الأندلس فنتكلم عن امرأة كانت لسان بيت الزهراء الناطق وحياة قرطبة الزاهرة وروح الأندلس النابض . انتشرت أنوار ذكائها في كل صوب وناحية واشتهرت بين الجميع بالكياسة واصابة الرأى حتى لم يبق انسان لم يعجب بحسن ادارتها وقيامها بالشئون العامة .
هذه السيدة هي :

الاميرة صبيحة ملكة قرطبة وزوجة الخليفة الحكم المستنصر وأم لولدين ثانيهما هشام الذي ورث عرش الأندلس بعد ابيه .

واذا تحدثنا عن صبيحة اتضحت لنا صورة سيدة قوية الشخصية ، واسعة النفوذ ، انتشر سلطانها على بلاد الاندلس مدة طويلة من الزمن وكان لها أعظم الاثر في تسيير دفة الأمور والتأثير في مجرى الحوادث الجارية في تلك البلاد وهي التي اقترن اسمها بتلك النهضة العلمية والاقتصادية وذلك الامن والنظام الذي رفرف على ربوع الأندلس في عهد زوجها الحكم المستنصر بالله وعهد وصايتها على ابنها الخليفة هشام بن الحكم .

عرض سريع لتاريخ الاندلس يبين لنا كيف وصلت صبيحة الى الحكم :

تولى عبد الرحمن الثالث الناصر لدين الله عرش الخلافة ((ثامن ملوك بني أمية في الاندلس)) فبذل جهده لترقية المملكة واعلاء شأنها .

وان التاريخ لن ينسى أياديه البيضاء على العلوم والفنون وترويجه الزراعة والتجارة في تلك البلادالجميلة التي أضاءت نفوس أهلها من رجال ونساء بأنوار العلم والعرفان والتي أصبحت ترفرف عليها المدنية في وقت كانت فيه أوربا في ظلمات الجهل تتلمس لنفسها سبيل النور والضياء .

كان عصر نهضة وزمان تجدد وانتباه وكان للعلوم والفنون وقتئذ تجارة فائقة وللاندلس من هذه النهضة نصيب وافر حيث كانت مطمحا لانظار الشعراء والعلماء وقبلة أهل الأدب وغيرهم من الوجوه ورجال الفضل من كل صوب وحدب .

وبذلك يعتبر عهده مجدا للاسلام وعظمته لانه من أحسن الأزمنة التي عادت على الأمة الاسلامية بالخير بل انه كان كما قال البعض العصر الذهبي للاسلام المتوج تاريخه بأكاليل المجد والفخار .

مات عبد الرحمن وبموته انفتح للاندلس أبواب عهد جديد هي أيام الحكم المستنصر بالله ، وكان من حماة العلوم وأنصار الفنون .

كانت صبيحة ذات جمال ساحر ونفس جذابة ورقة كما كانت تمتاز بالأدب أدب العلم والنفس فكانت تجذب الخليفة بأحاديثها الحلوة وفكاهتها العذبة فلا يطيـق مفارقتها طول يومه .

وقيل بأن الخليفة اطلق عليها صبيحة لأنه تجسمت فى مخيلته مناظر تلك الحدائق العطرة ، حدائق الزهراء فتحيا فى ذهنه صورة الاندلس بخواطرها العـذبة وذكرياتها اللذيذة بكل ما فيها من لطف وظرف .

انجبت صبيحة من الخليفة غلاما كان موضع سروره وفرحه . وقيل بأنه منذ ذلك اليوم توطد مركز صبيحة وعرف أهل القصر قدرها فاحلوها المقام اللائق بها .

وبعد عامين ابتسم لها الدهر وولدت للخليفة غلاما سمى هشاما فعظمت منزلتها فى الحكم .

كان الخليفة عبد الرحمن ملكا جليل القدر أما ابنه فكان يجل العلم ويعظم أهل الفن والعـلم والأدب ، فانتهزت صبيحة هذه الفرصة وأخذت تشارك زوجهـا فى ادارة الحكومة ولم يمض وقت كبير حتى كانت تشغل منصبا كبيرا فى ميدان السياسة والادارة مكنها من اظهار ذكائها وقدرتها على ممارسة الاحـكام بشكل أدهش الجميع .

وأدرك الحكم ما كان من أمر زوجته وفطنتها وفطرتها وعهد اليها بالحكم علنا ووسع المجال لدائرة نفـوذها وتأثيرها واستمرت تتدرج فى مراتب الكمال حتى صارت الملكة صاحبة الكلمة فى كل بلاد الأندلس .

وكان الحكم خليفة البلاد اسميا أما السلطان الفعلى فكان بيد صبيحة فقد كانت رفاهية الأندلس والنظر فى شئون الشعب واحتياجاته وتعليم أولياء العهد وتثقيف أذهانهم وتربية مداركهم كل هـذه كانت تقـوم بها الأميرة .

وكانت صبيحة تريد أن تجعل من قرطبة مكانا لرجال العلم والأدب وهى التى كانت تقوم بترتيب الحفلات داخل القصر وتدبير الخطط اللازمة للدفاع عن البلاد . كما كانت تعقد الجلسات للمداولة والمشاورة فى أحوال البلاد وتدبير الخطط اللازمة لمكافحة شر الأعـداء والتنكيل بهم .

توفى الحكم بعد أن حكم ستة عشر عاما كلها أمـان وسلام وترك دولتـه وهشـامه وديعة فى أيادى زوجتـه صبيحة وحاجبه الأمين وكاتبه محمـد بن أبى عامر ومملوكين . واخفت صبيحة الخبر ولعبت دورها بكل اتقان الى أن وفقت فى تخليص الدولة من احتلال يهدد البلاد .

ظهرت صبيحة فى هذه اللحظة بالنبوغ والدهاء فهى كانت تعلم أن مستقبل الاندلس فى يدها وأقل اهمـال يكفى للخطر ويوقع قرطبة لحكم الحزب المخالف وكان لذلك أثره فى تخليد اسمها فى صفحات التاريخ فهى جاهدت وكافحت وانتهى ذلك بنصرها وتوفيقها فى تخليص التاج والعرش لابنها هشام ، واصبحت الوصية عليه فكان اليوم يومها والزمان زمانها وكانت الحاكمةالمديرة لكل أمر فكانت تحكم من وراء ستار وكان لها نفـوذ واسع أخذت تنظر فى قرارات المجلس الأعلى وتبحث عن الوسائل المؤدية لاستتباب الامن فى ربوع الاندلس فكان من أول أعمالها تخفيض الضرائب الباهظة التى أثقلت كاهل الاهالى مما جعلها محبوبة لدى الشعب .

وفى آخر أيامهـا فى عهد وزيرها المنصور انهـدمت آمالها وضاع نفـوذها الا أنها لم ترض ان تقبض يد همتها عن شعبها ، أهالى قرطبة المحبوبين منها . فلم تتداخل صبيحة فى شئون الادارة ولكنها خدمت أمتها عن طريق آخر وعملت على سعادتهم فبذلت ما فى وسعها لانشاء المساجد والمستشفيات وبناء المدارس والملاجىء وبينما كان المنصور يدير حـركة البلاد ويختم حروبه بالنصر كانت هى تحفـر الجـداول والعيـون وتنشىء الجسور والقناطر .

فاعمال صبيحة أدهشت أمراء الفرنجة الذين عظموها وأجلوها واعترفوا بفضلها باقامة الحفلات لها .

أما المنصور فقد عمل على رفع شان الاندلس بالغزو والحروب فاستتب الامن فى الداخل وارتفع شان البلاد فى الخارج وأصبح الحاكم المقرون اسمه بالشـجاعة والكرم والعدل وحسن الادارة .

توفى المنصور وفقد الاندلسيون بموته أملا من آمالهم وركنا من أركان شوكتهم وهدد الاندلس بالمسـتقبل المظلم .

وبعد ست سنوات من موت المنصور توفيت صبيحة فى العام الثامن والتسعين وكان لموتها صـدى فى نفس الشعب ورثاها كثير من الشعراء ومنهم بن دراج الذى شبهها بنجمة الاندلس .

توفيت صبيحة بعد حياة كلها جهاد ، وعاركت الدهر وتقلباته وانتصرت على أهواله وتدهورت بعـد وفاتهـا الاندلس ، وكأن القدر لم يبقها على الحياة حتى تشهد مصرع الدولة الاندلسـية التى شربت من كأس الذل والهوان بعد أن ذاقت حياة العزة والكرامة .

أنت تسأل والمفتى يجيب

فضيلة الامام الاكبر الشيخ حسن مأمون

س ١ : من السيد على أحمد حجازى محمد معاون محطة حلوان

يسأل عن الذى يقوله بعض انصار اهل السنة من انه لايجوز تلاوة القرآن الكريم فى المساجد قبل صلاة الجمعة لأنهــا بدعة وكل بدعة ضلالة وكل ضلالة فى النار ؟

الجواب : انه حقيقة لم يؤثر عن الرسول صلى الله عليه وسلم وصحابته ان واحدا منهم كان يتلو القرآن الكريم يوم الجمعة وغيره من المصلين ينصتون اليه ، ولكن تلاوة القرآن فى ذاتها عبادة ويفيد بعض المصلين منها ، وقد عنى القرآن الكريم ببيان حكم الاستماع الى قراءة القرآن بقوله تعالى :«واذا قرىء القرآن فاستمعوا له وانصتوا لعلكم ترحمون» ولم يؤثر عن النبى صلى الله عليــه وسلم انه نهى المسلمين عن تلاوة القرآن فى المسجد أو فى غيره من الأمكنـــة المحترمة ولذلك نرى انه وان لم يؤثر تلاوة القرآن من احد حفاظه يوم الجمعة فى المسجد قبل الخطبة واداء الصلاة فى عهد النبى صلى الله عليه وسلـم وصحابته الا أن ما احدثه المسلمون فيه خير وهو عبادة الله رب العالمين ولا نقول بمنعه استنادا الى الحديث بانه بدعة وكل بدعة ضلالة وكل ضلالة فى النار ـ لان البدع المنهى عنها هى مـا يكون فيها ضرر للأمة او مخالفة لاحكام الشريعة الثابتة .

لذلك كله نفتى بجواز قراءة القرآن فى المسجد قبل صلاة الجمعـة ولا نقــول بمنعها ـ والله تعالى اعلم

س ٢ : ومن السائل نفسه يقول :

هل كانت المساجد قديما وبعد انتشار الدعوة الاسلامية يقام لها مآذن أم لا ؟ وبعض السادة المسلمين يؤكـدون ان الأفضل اقامة هذه المآذن فى المساجد .

الجواب : الغرض من اقامة المآذن فى المساجد أن يذاع منها صوت المؤذن للصلاة فى دائرة كبيرة حتى يتنبه المسلمون الى أن الصلاة قد حان وقتها فيسارعـون الى التطهر والاستعداد لأداء الصــلاة فى وقتها .

هذا ومما يجب الاشارة اليه ان المآذن لم تكن فى عهد النبى صلى الله عليه وسلم وان أول من رقى منارة مصر للأذان هو شرحبيل بن عامر المرادى — وبنى سلمة المنائر للأذان بأمر معاوية ولم تكن قبل ذلك • وعن أبى سعد مسندا الى أم زيد بن ثابت (كان بيتى اطول بيت حول المسجد فكان بلال يؤذن فوقه من أول ما اذن الى ان بنى النبى صلى الله عليه وسلم مسجده • فكان يؤذن بعد على ظهر المسجد وقد رفع له شيء فوق ظهره

لذلك كله لانرى بأسا فى اقامة هذه المآذن وان يؤذن من فوقها المؤذن لاعلام الناس بحلول وقت الصلاة •

س ٣ : من السيد عبد الفتاح عرفه يقول انه كان يعمل بحديقة احد الأغنياء فهجم عليه النساء وأخذن حشائش من الحديقة فنهرهن قائلا (على الطلاق لا تأخذن منه شيئا وأخذ الحشيش منهن وانصرفن ، وبعد ساعة وجد ان النساء المحلوف عليهن هن اللائى اخذن الحشيش وسأل احد الفقهاء فافتى بوقوع اليمين ورده •

الجواب : قول السائل (على الطلاق ما تأخذن من الحشيش شيئا — هو طلاق بصيغة اليمين وفيه معنى تعليق الطلاق على اخذ الحشيش — ونظرا لانه لم يقل فى سؤاله ما حدث بعد حلف اليمين بل اكتفى بالحكاية انهن اخذن الحشيش فى أول الأمر •

فلهذا لايكون الطلاق واقعا بهذه الصيغة الا على الوجه الذى سنبينه بالطلاق المعلق فى السؤال التالى :

س ٤ : من السائل نفسه يقول : انه تشاحن مرة مع زوجته فقال لها اذهبى الى البيت يقصد بيته — فذهبت الى بيت اهلها — فقال لها اذا ذهبت الى بيت اهلك فانت طالق فذهبت ويسأل عن حكم هذا اليمين •

الجواب : ان قول الحالف لزوجته (ان ذهبت الى بيت ابيك فأنت طالق) هو من قبيل الطلاق المعلق • فأن كان قصد الحالف بهذا اليمين مجرد منع زوجته من الذهاب الى بيت ابيها ولم يقصد ايقاع الطلاق عند ذهابها فانه لايقع بهذا اليمين طلاق حتى لو حصل منها المحلوف عليه •

وان كان قصده ايقاع الطلاق اذا ذهبت الى بيت ابيها وقع بهذا اليمين طلقة واحدة رجعية له مراجعتها مادامت فى العدة وان كانت قد خرجت من العدة فله ردها الى عصمته بعقد ومهر جديدين بأذنها ورضاها • ذلك ماتنص عليه المادة ٢ من القانون رقم ٢٥ المعمول به

وهذا اذا لم يكن قد سبق منه طلاقان عليها قبل هذا اليمين والله تعالى اعلم •

س ٥ : ومن نفس السائل يقول : ان له بنتا صغيرة يريد ان يزوجها لابن عمها ولكن أم البنت قالت ان اخت الولد الصغيرة رضعت منها مرتين فما الحكم؟

الجواب : اذا ثبت ان بنت السائل لم ترضع من ام أبن عمها الذى يريد الزواج بها ولم يرضع هو من أمها ولم يرضعا معا من ثدى امرأة أخرى فانه يحل له الزواج من بنت عمه المذكورة •

وأما رضاع اخت خطيبها من والدتها فلا دخل له فى التحريم لان اخت الأخ رضاعا تحل كأخت الأخ نسبا •

س ٦ : من الطالبة فتوح راشد شلش بدار المعلمات بكوم حمادة تسأل عن ختان البنات — هل هو جائز أم غير جائز ؟

الجواب : ان الختان من صفات الفطرة التى دعا اليها الاسلام ، ففى حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم الذى رواه الجماعة • خمس من الفطرة وذكر منها الختان • والفطرة هى الدين لقوله تعالى: « فأقم وجهك للدين حنيفا فطرة الله التى فطر الناس عليها » أو هى السنة التى اختارها الانبياء واتفقت عليها الشرائع كما قال الامام البيضاوى وهذا الحديث عام فى ختان الذكر والانثى ،

فعن عبد الله بن عمر رضى الله عنهما عن النبى صلى الله عليه وسلم مرفوعا . يانساء الانصار اختضبن خمسا واختفضن ولا تنهكن ، وروى ابو داود عن أم عطية ان امرأة كانت تختن النساء بالمدينة فقال لها النبى صلى الله عليه وسلم « لاتنهكى فان ذلك احظى للمرأة واحب للبعل » وفى رواية ذكرها رزين ولا تنهكى فانه انور للوجه واحظى عند الرجل » وهذا الحديث له شاهدان آخران من حديث انس ومن حديث أم أيمن عن أبى الشيخ وآخر من الضحاك ابن قريش البيهقى وفيه رواه – الامام أحمد والبيهقى ولفظه : الختان سنة فى الرجال مكرمة فى النساء ، وغير ذلك من الادلة كثيرة ، والحق أن رجال الحديث قد صححوا الحديث الاول وضعفوا اسناد الأحاديث الأخيرة الا انه لكثرة الاحاديث فى هذا الموضوع وتضافرها قد قوى بعضها بعضا ولذلك اتفقت كلمة فقهاء المسلمين على ان الختان محمدة ومكرمة وانه من فطرة الاسلام وشعائره ولم يقل أحد منهم فيما نعلم بمنعه أو عدم جوازه لهذا القدر متفق عليه من جميع الفقهاء الا انهم اختلفوا فى وصف هذه الشعيرة حسب اختلاف آرائهم فى فهم هذه الأدلة ، فذهب الشافعية كما فى المجموع الى ان الختان واجب فى حق الذكر والانثى وذهب الحنفية والمالكية الى انه سنة فى حقهما وقال الامام النووى ان هذا هو قول اكثر العلماء قال « فى نيل الأوطار » والحق انه لم يقم دليل صحيح على الوجوب والمتيقن السنة كما فى حديث خمس من الفطرة ونحوه الى آخر ماقال : وذهب الحنابلة الى انه واجب فى حق الذكر مكرمة فى حق الانثى وقال العلامة ابن عابدين فى الجزء الخامس ص ٣٢٦ تعليلا لاباحة نظر الختان والخافضه الى العدوة «لأن الختان سنة للرجال من جملة الفطرة لايمكن تركها وهو مكرمة فى حق النساء ايضا وقال صاحب الاختيار ج٣ ص ١٢١ الختان للرجال سنة وهو من الفطرة وهو للنساء مكرمة ، وقد ذكر بعض الفقهاء ان الحكمة فى مشروعية الختان للرجل هو تطهيره من النجاسة المختفية فى الغلفة وفى الانثى تعديل شهوتها وتلطيف الميل الجنسى فيها الى حالة الاعتدال المحمود شرعا – وهذا مما يجب التنبيه اليه ، والمسلم به هو ان اقوال الائمة الاربعة وأقوال الفقهاء فى هذا الموضوع المذكور آنفا مبنية حتما على سند صحيح فى نظرهم وانه بعد اجتماعهم على ان الختان للذكر والأنثى من فطرة الاسلام وشعائره وانه لم يقل احد منهم بعدم جوازه ، وجرى على ذلك غالب جماعة المسلمين فبعد كل هذا لايحق لمقلد غير مجتهد ان ينفى هذا الحكم أو يخالف هذه الآراء ولا ان يقلل من شأن هذا الأمر .

ومن هنا يعلم ان المجتهدين من الفقهاء لم ينقل عنهم عدم جواز الختان للذكر والانثى وهو ما نطمئن اليه ونرى العمل به

س ٧ : من السيد محمود العقبى بالجزائر : يقول انه حارس مزرعة بها ليمون وبرتقال – شرع فى الصلاة ثم رأى انسانا يخطف من البرتقال – فهل له ان يقطع الصلاة – وهل له ان يقطعها ليطرده ؟

الجواب : يرى الفقهاء من الحنفية انه يجب قطع الصلاة باستغاثة ملهوف بالمصلى ويجوز قطعها بسرقة ما يساوى درهما ولو لغيره وخوف ذئب على غنم أوخوف تردى أعمى فى بئر وكذا أن خافت القابلة على الولد والا فلا بأس بتأخيرها الصلاة وتقبل على الولد وكذا المسافر اذا خاف من اللصوص أو قطاع الطريق جاز له تأخير الوقتين .

وبناء على هذه النصوص يجوز للحارس الذى شرع فى الصلاة ان يقطعها فى حالة دخول انسان الى الحديقة ليسرق ما

فيها متى غلب على ظنه انْ قيمة مـا سيسرق تساوى - درهما فأكثر كما يجوز قطعها لطرد حمار أو حصان شرع يأكل ما فى المزرعة

س ٨ : من نفس السائل يقول ؟

شرع انسان فى تأدية فريضة الصلاة بالمسجد وكان وحده ، واثناء تأديتها دخل كلب المسجد - فهل يقطع الصـلاة ليطرد الكلب من المسجد •

الجواب : اذا دخل كلب المسجد ولم يكن فيه من يطرده سوى رجل يؤدى الصلاة وجب عليه أن يقطع الصلاة ليطرده - لأن الضرر هنا غالب وهو خوف تبول الكلب أو تغوطه فى المسجد أو نومه أو اقعائه فى المسجد والغالب فى الكلاب تلوثها بالنجاسة وبخاصة وان الغالب فى الكلب انه يلهث كثيرا ويتساقط لعابه النجس على فراش المسجد ومكان الصلاة لابد فيه لصحة الصلاة عليه من الطهارة •

س ٩ : ومن السائل نفسه أيضا :

يقول : قام انسان لتأدية الصـلاة بالباخرة ، واثناء تأديتها دارت الباخرة فهل يجوز له ان يدور معها أم يبـقى على حالته ؟

الجواب : ذهب الحنفية الى أنه تصـح الصلاة فرضا ونفلا على ظهر السفينة وعلى المصلى ان يستقبل القبلة متى قدر على ذلـك وليس له ان يصلى الى غير وجهتها ولو دارت السفينة وهو يصلى وجب عليه ان يدور الى جهة القبلة حيث دارت فان عجز عن استقبال القبلة سقط عنـه وجوب استقبالها كما يسقط عنـه السجود اذا عجز عنه

وهذا كله اذا خاف المصلى خروج الوقت قبل ان تصل السفينه الى المكان الذى يصلى فيه صلاة كاملة فان صلاها على هذا الوجه اجزأته ولا اعادة عليه •

أما اذا لم يخف خروج الوقت فالاولى ان ينتظر حتى تصل السفينه الى مكان يؤدى فيه الصلاة كاملة - وحكم الصـلاة فى القطار والطائرة كحكم الصلاة فى السفينة

س ١٠ : من السيد ع٠م٠ الدقهليه يقول :

جاء فى سورة فصلت آية ٦، ٧ «وويل للمشركين الذين لايؤتون الزكاة » فهل تصح الزكاة من المشركين ؟ ثم نعلم انْ الزكاة لم تشرع الا فى المدينة والسورة كلها مكية •

الجواب : ذهب الالوسى فى تفسيـره الى انْ الزكاة فى الآية الكريمة تحمل على معناها الشرعى ونسب ذلـك الى ماقاله ابن السائب ، كما روى عن قتادة والحسن والضحاك ومقاتل ، كما انه يجوز حمـل الزكاة فى الآية على المعنى اللغوى والمعنى انهم لا يفعلون ما يزكى انفسهم وهـو الايمان والطاعة ونقل عن مجاهـد (والربيع انهم لايزكون اعمالهم) أى لا يقولون لا اله الا الله ، والمعنى على هذا انهم لا يطهرون انفسهم من الشرك والمعنى عليه : فاستقيموا اليه بالتوحيد واخلاص العبادة له تعالى وتوبوا اليه مما سبـق لكم من الشرك وويل لكم ان لم تفعلوا ذلك كله فوضع موضعه صيغة ايتـاء الزكاة ليؤذن بأن الاستقامة على التوحيد واخلاص العمل لله تعالى والتبرى عـن الشرك هو تزكية النفس وهو اوفق •

أما اشتراط الاسلام لوجوب الزكـاة وصحتها فقد اختلف فى ذلك العلماء ، فذهب الحنفية الى ان من شروط وجوب الزكاة الاسلام فلا يجب على الكافر عندهم ان يزكى عن ماله لأنها عبادة • وذهب المالكية الى ان الاسلام شرط لصحـة اخراج الزكاة لا لوجوبها فتجب عـلى الكافر وان كانت لاتصح الا بالاسـلام وقالوا ان الكافر اذا وجبت عليه الزكاة ثم اسلم سقطت عنه بالاسلام لقولـه تعالى « قل للذين كفروا ان ينتهوا يغفر لهم ماقد سلف » ولافرق عندهم بين الكافر الاصلى والمرتد •

- عن الشق الثانى :

ظل القرآن الكريم فى مكيــــــة ومدنيه ، يحث المسلمين بأساليبه القوية على الانفاق فى سبيل الله وعلى الفقراء والمساكين دون بيان لمقدار ما ينفقــون ولا للانواع التى ينفقون ولذلك كان ـ المسلمون يسألون عن ذلك فكان الجواب ينزل عليهم يصرفهم عن تحديد ماينفقون ويتركهم الى كرمهم وأريحيتهم ـ ترى ذلك واضحا من مثل قوله تعالى (ويسألونك ماذا ينفقون قل العفو) ومثل قولــه تعالى (يسألونك ماذا ينفقون قل مـا ما انفقتم من خير فللوالدين والاقربين واليتامى والمساكين)

وهكذا كان يأمرهم بالانفاق دون تحديد حتى اذا ماتركز المسلمون فى المدينة بعد الهجرة وصاروا جماعة متميزة لهـــا نظامها وقوانينها فى الحياة وهدفهـــا الذى تعمل له وتهيأت نفوسهم لقبول التحديد اتجه الرسول عليه السلام الى هذه الناحية بالتنظيم والتحديد الى أن جعلت الزكاة ركنا من أركان الـــدين وفريضة من فرائضه

ومن ذلك يعلم ايجاب الزكاة فى مكة اجمالا وتفصيلها وتنظيمها وتحديدهـا وبيان مقاديرها الواجبة والانواع التى تجب فيها وكان ذلك بالمدينة فى السنة الثانية من الهجرة .

فقد جاء فى تفسير العلامة الالوسى عن الآية الكريمة (قد افلح المؤمنون الذين هم فى صلاتهم خاشعون والذين هم عن اللغو معرضون والذين هم للزكـــاة فاعلون) ـ ردا على من استشكل بان السورة مكية مع أن الزكاة لم تفرض الا فى المدينة قوله بعد تسليم ان ماذكر فيه يدل على فرضيتها يقال ان الزكاة كانت واجبة بمكة والمفروض بالمدينـة ذات النصب ، أى القدر الذى يجب فيه الزكاة والقدر الواجب اخراجه .

س ١١ : من السيد محمد عبد الوهاب عبد الرازق ـ الطالب بمدرسة الحسينية الثانوية يقول فى سؤاله : ((انه قرأ فى جريدة المساء بعددها الصادر فى ١٥ ـ١٢ـ١٩٦٥ ـ موضوعا ملخصه ان رجلا تزوج من احدى ملكات الجان وعقد زواجه عليها منذ عشرين عاما وانجب خلالها ثلاثة أولاد وانه زار عواصـم العالم معها وبعد انتهاء هذه المدة اختفت الجنية من عالمه هو وأولاده فهل يوجد على سطح الأرض انس يتزوج من جنية وما حكم الدين فى ذلك ؟

الجواب : ان الثابت فى الشريعة الاسلامية ان الله سبحانه وتعالى خلق الجن كما خلق الانس وان كلا منهما مسئول عن عمله وان فى الجن الصالح والطالح والمؤمن والكافر ، وان شريعة محمد صلى الله عليه وسلم نزلت لهداية النـاس وهداية الجان مصداقا لقوله تعالى « يا معشر الجن والانس ان استطعتم ان تنفذوا من اقطار السموات والأرض فانفذوا لا تنفذون الا بسلطان »

واما ظهور الجان للانسان واتصــاله بجنية وتزوجه بها ومعاشرته لها وانجابه منها أولادا فأغلب الظن ان ذلك من الاوهام التى تدور على السنة الناس ولا أصل لها فى الشرع ودليل وجود الجـان وانهم مكلفون بالاحكام الدينية كما يكلف بها الانس قوله تعالى « قل اوحى الى انه استمع نفر من الجن فقالوا انا سمعنا قرآنا عجبا يهدى الى الرشد فآمنا به ولن نشرك بربنا احدا . وقوله تعـالى وأنا منا المسلمون ومنا القاسطون فمن اسلم فاولئك تحروا رشدا واما القاسطون فكانوا لجهنم حطبا وقد خاطب الله تعالى الجنسين فقال « يامعشر الجن والانس ألم يأتكم رسل منكم يقصون عليكـم آياتى وينذرونكم لقاء يومكم هذا » وعليه فان الواجب على المسلم ان يؤمن بالله وان الله سبحانه وتعالى كما خلق الانس خلق الجن ، وانه كما كلـف الانس بالتكاليف الشرعية كلف الجن وما زاد على هذا القدر فهو من أوهام الناس ومعتقداتهم التى لاتمت الى الدين بصلة

مع القراء

إعداد: فؤاد هيبة

عزيزى القارىء :

فى موكب انتصار الارادة الثوريه ، موكب التحرر الاقتصادى والانطلاق الفكرى ، موكب ازدهار الاشتراكية العربية والنهضة الحضاريه الرائدة ، يتحقق الرخاء الانسانى بالمشاركة الايجابية للقوى الجماهيرية فى بناء صرح الوحدة القوميه ودعم السلام العالمى ، فقد أصبح العمل الخلاق فضيلة أخلاقية ، والحقل السياسى مجالا للتعبير عن المشاكل الاجتماعية وميدان العلم سبيلا للمشاركة البناءة فى تحقيق الرفاهية .. فجاء هذا دليلا ناصعا على مدى اصالة ثورتنا فى واقعية تجاوبها مع المبادىء الانسانية .. وهو ما عبر عنه المؤرخ الانجليزى المعاصر « أرنولد توينبى » حيث قال « ان مارآه فى الجمهورية العربية المتحدة انما هو ثورة انسانية عالمية » .

منبر الاسلام .. والتنمية الثقافية

القارىء/كمال بسيونى الخرادلى ـ دار المعلمين بدمنهور

يسر مجلة منبر الاسلام يا أخى ـ أن تزف اليك والى قرائها بشرى زيادة الكمية المطبوعة منها شهريا بمقدار ١٠٫٠٠٠ نسخة ابتداء من هذا العدد ، وذلك تلبية لرغباتكم الصادقة ، وايمانا منها بأهمية الجانب الثقافى فى مرحلة الانطلاق الثورى فضلا عن كونه حقا أصيلا للجماهير فى مجتمعنا الاشتراكى ، حتى تكون على وعى كامل وفهم صحيح وتصور صادق لمشاكلها السياسية والاقتصادية والاجتماعية . وهو ما تعرض له مجلة منبر الاسلام عرضا اسلاميا يرتفع بمستوى الجماهير الى مكانة سامية من الادراك العقائدى الحق والمستوى الثقافى المشرف .. وهكذا تسير مجلة منبر الاسلام بخطا ثابتة نحو تحقيق مخططها الثقافى الذى يجمع بين الجدية والاصالة والعمق المنهجى من حيث الكيف ، وبين عدالة التوزيع وتكافؤ الفرص بتغطية كل مستويات المجتمع من حيث الكم مترسمة بذلك أقوم سبل التنمية الثقافية

التأريخ الميلادى .. للمولد النبوى

القارىء/محمد عبد العاطى أحمد : نجع حمادى ـ الاصلاح الزراعى

يسأل فى رسالته عن السر فى اختلاف التأريخ الميلادى للمولد النبوى ؟ ويطلب تحقيق التأريخ الميلادى الصحيح ؟ وبالرجوع الى السيد الدكتور الحسينى عبد المجيد هاشم أجاب سيادته قائلا ، ان السر فى ذلك هو اختلاف الروايات فى التأريخ الهجرى لمولد الرسول ، فقد ورد كما فى السيرة النبوية لابن كثير ، وسيرة ابن هشام ، أن النبى صلى الله عليه وسلم ولد قبل عام الفيل بعشر سنوات .. وذكر أنه ولد عام الفيل فى رمضان ، وذكر الرأى المعروف ، وهو رأى الجمهور أنه ١٢ ربيع اول عام الفيل وذكر أنه بعد المحرم بخمسين يوما من عام الفيل ، وكل تاريخ هجرى له موافق ميلادى . فينقل الكاتب التاريخ الميلادى منفردا لرأى غير المشهور ويظن أنه متفق مع الرأى المشهور كما حصل للكاتب الكبير أرتين دينييه فى كتابه « محمد رسول الله » فنقل أنه ولد صلى الله عليه وسلم يوم الاثنين لاثنتى عشرة ليلة من ربيع الأول عام الفيل الموافق ٢٩ اغسطس .. وبالتحقيق **وجد أن الذى يوافق الثانى عشر من ربيع الأول عام الفيل هو ٢٠ أبريل ٥٧١ م فقد ذكرت سيرة ابن هشام أنه يوافق ٢٠ نيسان ، وذكر الشيخ الامام محمد عبده فى رسالته التوحيد : أنه أيضا ٢٠ ابريل سنة ٥٧١ م ، نذكر ذلك شاكرين للمجلة حسن تقديرها .**

تفسير القرآن .. باب ثابت

القارىء/كريم عبده سليمان محمد ـ شركة كيما ـ قسم السماد ـ أسوان

تحقيقا لرغبتك ولرسائل السادة القراء ، قررت المجلة تنفيذ اقتراحك بشأن تخصيص باب ثابت لتفسير القرآن تفسيرا سهلا مبسطا وان يحرر ضمن أبواب المجلة بقلم فضيلة الشيخ أحمد الشرباصى ابتداء من هذا العدد

بريد التعارف

الاسم : حسنى عبد المنعم الاوسطى
البلد . الجمهورية العربية المتحدة
السن : ١٩ سنة
المهنة : طالب بمعهد دمنهور الدينى الثانوى
الهواية : الخطابة وقراءة الكتب والمجلات الدينية ومراسلة الشباب المسلم
العنوان : ديروط بحيرة مركز المحمودية

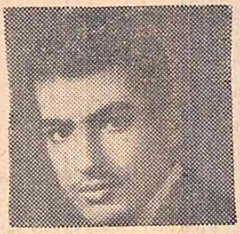

الاسم : عبد الله السيد الشربينى العبادى
البلد : الجمهورية العربية المتحدة
السن : ١٨ سنة
المهنة : طالب بمدرسةبلقاس الثانوية
الهواية : القراءة والمراسلة وتبادل الصور والطوابع
العنوان . بلقاس دقهليةشارع صلاح الدين

الاسم : احمد توفيق بلاس
البلد الجمهورية العربية المتحدة
السن : ١٩ سنة
المهنة : طالب بكلية طب الاسكندرية
الهواية المراسلة وتبادل الصور
العنوان : القراموص ـ مركز أبو كبير

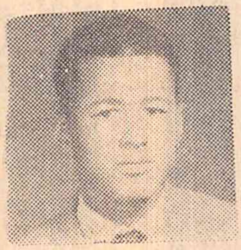

الاسم : هاشم على أحمد
البلد الجمهورية العربية المتحدة
السن : ١٧ سنة
المهنة : طالب بمعلمين بنى مزار
الهواية : قراء الكتبالاسلامية والمراسلة
العنوان : المنيا ـ مطاى ـ أبو شحاته

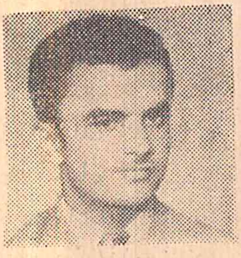

الاسم : محمد عبد الله باسويد
البلد : عدن
السن ٢٠ سنة
المهنة طالب ثانوى
الهوايه تبادل الاراءوالمراسله
العنوان : عدن كريتر صندوق بريد ٤٦٤

الاسم : عبد الله صالح بامنيف
البلد : أثيوبيا
السن ١٨ سنة
المهنة . طالب ثانوى
الهواية : جمع الطوابعالمراسلة والقراءة
العنوان : صندوق بريد ٧٥٦ أديس ابابا أثيوبيا

اقرأ فى هذا العدد :

		صفحة
معالم الطريق		٣
حديث مع الاستاذ أحمد الشقيرى	اعداد : عبدالودود محمد طه وعبده الزينى	٦
الصوفية فى الهامهم	الاستاذ حسن كامل الملطاوى	٩
حق الفرد على المجتمع	فضيلة الشيخ محمد محمد المدنى	١٣
المنزلة بين المنزلتين	الدكتور احمد الحوفى	١٧
من حضارة الاسلام	الاستاذ عبد العزيز سيد الاهل	٢٠
دعوة الميثاق الى تعديل القوانين	المستشار أحمد موافى	٢٦
عود على بدء	فضيلة الشيخ عبد الجليل عيسى	٢٩
خواطر مستشار	المستشار على على منصور	٣٣
السنة النبوية والحديث القدسى	فضيلة الشيخ عبد اللطيف السبكى	٣٨
دفاع عن القرآن الكريم	الدكتور عبد الغنى الراجحى	٤١
الحسين بن على	الاستاذ محمود كمال	٤٦
من وحى الدين والثورة	الاستاذ أحمد وافى	٥٤
الصبر فى القرآن الكريم	الدكتور مصطفى زيد	٥٩
الاشتراكية العربية	الدكتور أحمد شلبى	٦٢
الايمان قاعدة الاصلاح	فضيلة الشيخ أحمد البسيونى	٦٤
الايمان وأثره فى سلوك الانسان	فضيلة الشيخ زكى الدين شعبان	٦٧
الاتجاهات الروحانية فى تفسير القرآن	الدكتور السيد فؤاد فهمى	٧٠
الدعوة روح الفكرة	الاستاذ عبد السميع البطل	٧٤
من بلاغة القرآن	الاستاذ أحمد ماهر البقرى	٧٩
مظاهر الايمان فى الاسلام	الدكتور لطفى على	٨٠
الايمان صانع المعجزات	الاستاذ محمود الهجرسى	٨٣
حديث السيف	الاستاذ محمد فرج	٨٤
التصوف والاسلام	الاستاذ طه سيف النصر	٨٨
الذين فى قلوبهم مرض	الدكتور سعد الدين الجيزاوى	٩١
القرآن بين الفلسفة والعلم	الاستاذ محمود ابو الفيض المنوفى	٩٤
أدب الوقت عند الصوفية	الدكتور أبو الوفا التفتازانى	٩٧
طارق بن زياد	فضيلة الشيخ محمد سيد جاد الحق	٩٩
الاسلام واستراتيجية الحرب والسلام	الدكتور جمال الدين الرمادى	١٠٢
رحمة الله	الدكتور حسن عز الدين الجمل	١٠٤
الامير الشاعر	فضيلة الشيخ محمود محمد شبكة	١٠٧
العروبة فى نظر الامام الشافعى	الاستاذ محمد الدسوقى	١٠٩
عظمة الاسلام	الاستاذ منصور نسيم	١١١
السياسة الشرعية	الاستاذ صلاح عزام	١١٣
الحذار يا حامى الحرمين	فضيلة الشيخ محمد محمد خليفة	١١٦
عبد الناصر ... صانع السلام	الاستاذ كامل عبد المجيد	١١٩
أهداف النضال العربى	الاستاذ على الجمبلاطى	١٢١
الاسلام رباط المسلمين	فضيلة الشيخ محمود احمد جميلة	١٢٤
من توجيهات الاسلام	فضيلة الشيخ عبد الحميد بلبع	١٢٦
الدنيا فى مرآة الاسلام	الاستاذ عبد العليم المهدى	١٢٩
بيت الشاكرين	الاستاذ عبد السلام القوصى	١٣٢
المساواة فى الاسلام	الاستاذ محمد المتولى النظامى	١٣٥
أثر الاسلام	الاستاذ محمد عطية الابراشى	١٤١
بعضكم من بعض	الاستاذ ناصر محمد عطية	١٤٣
الجهاد الفكرى فى الاسلام	الاستاذ احمد المصلحى المغازى	١٤٥
رجل عرف الحق ببصيرته	الدكتور طه الزينى	١٤٧

صفحة

صياغة الهدم في التاريخ الاسلامي	الدكتور ابراهيم شعوط	١٤٩
الدفاع المدني	فضيلة الشيخ عبد الله المشد	١٥١
في مواجهة صناع حلف الاسلام	الاستاذ محمد الخضري عبدالحميد ...	١٥٤
سعد بن أبي وقاص	فضيلة الشيخ الحسيني هاشم	١٥٧
قطوف	الاستاذ على الجندي	١٥٩
حول سيرة الامام البخاري	سماحة الاستاذ مبشر الطرازي الحسيني	١٦١
مطالعات	الاستاذ حسن الشيخة	١٦٤
بين الاديان والتقاليد	فضيلة الشيخ أبو الوفا المراغي	١٦٦
الشاه البهلوي الصهيوني	الدكتور على حسني الخربوطلي	١٦٩
الى عملاء الاستعمار	الاستاذ عبد العال شعيب	١٧٢
قصة الغرانيق	الدكتور محمد صلاح الدين مجاور ..	١٧٤
الحلف الاسلامي المزعوم	الاستاذ زكريا عبد الحافظ عامر ..	١٧٧
الحلف المزعوم	فضيلة الشيخ محمد على الطعمي	١٧٩
دعاة الاسلام ومجددوه	الاستاذ انور الجندي	١٨٢
دراسات في التاريخ الاسلامي	الدكتور أحمد ابراهيم الشريف	١٨٥
تاريخ التشريع الاسلامي في مصر	الدكتور حامد حفني داود	١٨٨
أضواء على التاريخ الاسلامي	الاستاذ محيى الدين الالوائي	١٩٢
حياة المقر الشهابي	الاستاذ محمد عبد الجواد الاصمعي ..	١٩٤
بناء الرجال أصعب من بناء المصانع	فضيلة الشيخ محمد حافظ سليمان...	١٩٧
حلف الاصنام	الاستاذ محمد السباعي	٢٠٠
الحلف الاسلامي	الاستاذ أحمد فريد عبد الفتاح	٢٠٤
دعوة الميثاق الوطني من دعوة الاسلام ...	الاستاذ حسني عبد المجيد	٢٠٦
سيموت الاستعمار	الشاعر عبدالله شمس الدين	٢٠٩
« قل لا أسألكم عليه أجرا »	الشاعر محمود جبر	٢١٠
من مآسي الاستعمار	الشاعرة روحية القليني	٢١٢
قلب فنان « قصة »	الاستاذ حسين الطوخي	٢١٣
باب الرياضة	الاستاذ ناصف سليم	٢١٧
باب العلم	الدكتور محمد جمال الدين الفندي ...	٢٢٠
مختارات من شعر بن عربي	الاستاذ عبد العزيز سيد الاهل	٢٢٣
باب الفن	الاستاذ محمود وصفي	٢٢٦
التعاون أحد توجيهات الاسلام	الدكتور سليمان الحكيم	٢٣٠
طرائف اسبانية ذات أصول عربية	الدكتور محمد كمال شبانة	٢٣٢
أمة قدسها القرآن	فضيلة الشيخ معوض عوض ابراهيم	٢٣٥
تعقيب	فضيلة الشيخ محمود الحصري	٢٣٩
ألفاظ القرآن الكريم	فضيلة الشيخ احمد الشرباصي	٢٤٢
تعاون لا تحالف	فضيلة الشيخ عطية صقر	٢٤٥
بقية خطاب السيد الرئيس في عيد الثورة	الرابع عشر	٢٤٨
أخبار سريعة	الاستاذ محمود الكولي	٢٦٠
أضواء على المسلمين في العالم	الاستاذ رياض خليفة	٢٦١
المخدرات في نظر الدين والطب والقانون ...	اعداد : عبد القادر فيوض ... ... يوسف الرويني	٢٦٣
قصة الحياة في القرآن الكريم	الدكتور محمود دياب	٢٦٧
الخليج العربي	الدكتورة عنايات الطحاوي	٢٦٨
المرأة المسلمة	اعداد : نجاة الزنيري	٢٧٥
الأميرة صبيحة	اعداد : عائشة حسني	٢٧٨
انت تسأل والمفتي يجيب	فضيلة الامام الاكبر الشيخ حسن مأمون	٢٨٠
مع القراء	اعداد : فؤاد هيبة	٢٨٥
بريد التعارف	... ...	٢٨٦

بسم الله الرحمن الرحيم

المجلس الأعلى للشئون الإسلامية

لجنة القرآن المرتل

نزولا على رغبة المواطنين . واستجابة لآلاف الطلبات والخطابات التى وردت للمجلس الأعلى للشئون الإسلامية من السفارات والهيئات المختلفة والجمعيات الإسلامية فى قارتى أفريقيا وآسيا وبعض دول أوربا وأمريكا اللاتينية ..

يسر لجنة القرآن المرتل أن تعلن عن بيع ..

إسطوانات القرآن المرتل

- رواية حفص عن عاصم وترتيل الشيخ محمود خليل الحصرى

٤٤ إسطوانة

		مليم	جنيه
بالغلاف الفاخر	بثمن	٧٩٦	٢٣
بالغلاف العادى	بثمن	٣٢٢	١٩

السرعة ٣٣ ١/٣ لفة فى الدقيقة

- رواية ورش عن نافع وترتيل الشيخ محمود خليل الحصرى

٦٨ إسطوانة الثمن ١٥٠ مليم ، ٣٥ جنيه

السرعة ٣٣ ١/٣ لفة فى الدقيقة

- كما يسر اللجنة أيضا أن تعلن عن بيع مجموعة إسطوانات تعليم الصلاة باللغات العربية والانجليزية والفرنسية وفى ٢٣ يوليو سنة ١٩٦٦ عيد الثورة الرابع عشر إن شاء الله تظهر باللغات الأوردية والسواحلية ...

المجموعة تحتوى على ٧ سبع اسطوانات

الاسطوانة الأولى شاملة للآذان . والثانية تشمل كيفية الوضوء . والخمس إسطوانات الأخرى على كل منها صلاة من الصلوات الخمس . وأمام كل إسطوانة . كتيب يشرح كل فريضة . بالكلمة وبالصورة

الثمن ٥٠ خمسون قرشا

مواعيد البيع :

من الساعة ٩ صباحا الى الساعة ٢ مساء و من الساعة ٥ مساء الى الساعة ٩ مساء ما عدا أيام الجمع والعطلات الرسمية

العنوان:
- القاهرة : مخازن القرآن المرتل : ٧٦ شارع الجمهورية ت ٩١١٧٠٨
- الاسكندرية : فرع المجلس الأعلى للشئون الإسلامية : ٤٢ شارع سعد زغلول ت ٣٨٦٦٢

(مطابع شركة الاعلانات الشرقية)